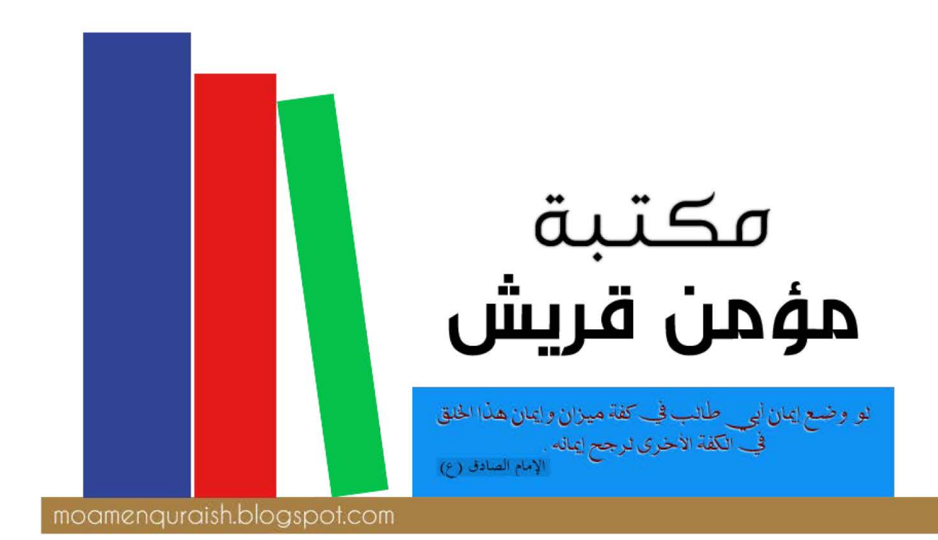

أنوار الولاية
تأليف
العلّامة الحجّة آية الله
ملا زين العابدين الكلپايگاني
١٢٨٩ هـ.ق


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com


أنوار الولاية
تأليف
العلامة الحجة آية الله
ملا زين العابدين الگلپايگاني
١٢٨٩ هـ.ق

الكتاب : أنوار الولاية

المؤلف : آية الله الآخوند ملاّ زين العابدين الگلپايگاني

المطبوع : ٢٠٠٠ نسخة

التاريخ : ١٤٠٩ هـ . ق

نبذة من حياة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

العلم شمس طالعة ، تبدد الظلم الحالكة ، وتمزق أستار الغياهب المدلهمّة، والعلماء حملة مشاعل النور بين الامّة ، يضيئون العقول بأنوار المعرفة ،ويكشفون عن الطرق المثلى لبناء حياة سعيدة تحيى فيها الفضائل وتموت الرذائل .

كما أنّ الناشر لصحائف العلماء الامناء يؤمّن لقومه الحياة الطيّبة أكثر من الذين ينورون الطرق في الظلماء .

إنّ بين العلماء نوابغ قلائل يضن بهم الزمن إلّا في فترات متقطّعة ومتباعدة وهؤلاء يعدّون من القمّة من حملة مشاعل النور ونبارسه ومصابيحه.

ومن تلك الزمرة والنموذج الأمثل لهؤلاء شيخنا العلّامة الحجّة آية الله العظمى الآخوند ملّا زين العابدين الگلپايگاني المعروف بـ «حجّة الاسلام» فقد كان من نوابغ عصره وفطاحل زمانه، وقد حقّت له العبقريّة والنبوغ .

ولد ـ رحمه الله ـ في موطنه گلپايگان عام ١٢١٨ هـ ق وأخذ هناك الأوليات و تعلّم السطوح العالية ثمّ انتقل لتكميل دروسه إلى مدينة إصفهان فتلقّى هناك على يد المحقّق الشيخ محمّد تقي صاحب الحاشية (م١٢٤٨) ولم تقنع نفسه الكريمة بما اكتسبه من العلوم فغادر إصفهان إلى المدرسة الكبرى للشيعة : النجف الأشرف وأخذ هناك عن أعلام عصره مثل الشيخ علي كاشف الغطاء ـ نجل الشيخ جعفر الكبير ـ والشيخ محمّد حسن صاحب الجواهر (م١٢٦٦) وغيرهما من أساتذة الوقت وأعاظم العصر إلى أن استقلّ بالتدريس وتخرج على يديه لفيف من المحقّقين الكبار نظراء السيّد حسين الكوهكمري (م ١٢٩٩) والسيّد ميرزا حسن الشيرازي (م ١٣١٢) إلى غيرهما من الأكابر الأعلام ، ثمّ انتقل إلى موطنه قائماً بالوظائف

الدينيّة ومكبّاً على الدراسة و الكتابة حتّى انتقل إلى جوار ربّه عام١٢٨٩[١] وترك ثروة علميّة كبيرة مازالت مخطوطة كالكنوز الثمينة تحت أطباق الثرى.

ما قيل في حقه:

١ ـ مجتهد فحل ومرجع لجميع أهل الفضل ، وكان جميع أفاضل عصره ومجتهدي زمانه يعدّون أنفسهم دونه في الفقاهة والاجتهاد، كان ـ رحمه الله ـ على ما حكي متخصّصاً في اثني عشر فنّاً ، كما كان البعض يعتقد بأنّه كان صاحب الكرامات والمكاشفات ، غير أنّ نطاق التحرير في هذه الرسالة لأضيق من أن يحيط بترجمة هذا الفقيه الأعظم ، وأقصر من أن يقوم بالواجب نحوه ، فليس عندنا عبارة تفي بحقّ أمثال هؤلاء من الرجال مع رعاية الاختصار .

توفّي ـ قدس الله روحه ـ عام ألف ومائتين وتسعة وثمانين[٢] .

٢ ـ النحرير الصمداني ملاّ زين العابدين الجرفادقاني [٣] كان في العلوم بحراً خضماً ، وبين العلماء فقيهاً معظّماً ، أعلم الفقهاء على اليقين ، رئيس الملّة والدين وأورع المتورعين ، وأزهد الزاهدين عقمت الأرحام عن مثله ، ولم يسمع الدهر بنظيره ، وقد تشرفت في سالف السنوات ـ بعد أن رجعت من العتبات العاليات ـ بخدمته ، وساعدني التوفيق على إدراك فيض حضرته ، وقد كتبت إليه ـ بعد وفاة الشيخ مرتضى الانصاري ـ جماعة من أكابر تلامذته ، منهم الحاج ميرزا حسن الشيرازي والحاج السيّد حسين الترك يلتمسون منه الهجرة من جرفادقان إلى النجف

---

(١) حكى العلامة الحجة السيد أحمد الحسيني الاشكوري في حاشية النسخة المطبوعة من «الكرام البررة» للمحقق الشيخ آغا بزرك الطهراني الموجودة في مكتبة المرعشي عن الورقة الاولى من كتاب شرح الشرائع للمولى علي بن عبدالغفار : ان الشيخ زين العابدين الگلپايگاني توفي بعد مضي ساعتين من يوم الثلاثاء ١١ ربيع الثاني سنة ١٢٨٩ .

(٢) المآثر والآثار : الباب العاشر ص١٤٦ باللغة الفارسية، وقمنا بترجمته حرفياً.

(٣) معرب گلپايگان .

الأشرف ، ليستفيدوا من علومه وأفكاره ، فلم يجب سؤلهم معتذراً بأنّه قد طعن في السن ، ولا تساعده الحال على البحث والتدريس .

وقد كان زاهداً بعيداً عن زخارف الدنيا ، مجتنباً عن معاشرة أرباب القيل والقال ، وقد أوصاني ـ قدس سره ـ بإقلال المعارف ، وترك التصدي للمرافعة والقضاء والابتلاء بمخالطة أبناء الزمان ، ولاسيّما الحكّام والامراء ، وله مصنّفات كثيرة في الفقه والاصول والمعارف والمنقول من جملتها كتاب «الأنوار القدسيّة» وقد تلقّاها الفحول بالقبول [1] .

٣ ـ العلّامة المشهور في كلپايكان ، هاجر إلى إصبهان ، وأخذ عن الشيخ محمّد تقي صاحب حاشية المعالم ، ثمّ ارتحل إلى كربلاء وتتلمذ على شريف العلماء وصاحب الفصول ، ثمّ هاجر إلى النجف وأخذ الفقه عن الشيخ علي بن الشيخ جعفر ، ثمّ عن صاحب الجواهر ، ثمّ عاد إلى بلده ، وتصدر التدريس .

له من المؤلّفات : (١) شرح الدرة النجفيّة لبحر العلوم . (٢) صلاة المسافر (٣) صلاة الجماعة ، ولم تكن الدرة مشتملة عليهما . (٤) شرح أسماء الله الحسنى . (٥) روح البيان ، باللغة الفارسيّة . (٦) كتاب النكاح والمتاجر . (٧) الأنوار القدسيّة في الفضائل الأحمديّة . (٨) تفسير قوله سبحانه : « إنّ الله و ملائكته يصلّون على النبي » .

يروي عن صاحب الجواهر ويروي عنه جماعة منهم المجدد الميرزا الشيرازي [2] .

٤ ـ عالم وفقيه جليل ، كان من أعاظم رجال الدين و أكابر فقهاء الطائفة ، ولد في سنة ١٢١٨ ، واشتغل في إصفهان على الشيخ محمّد تقي صاحب «حاشية المعالم» و بعد وفاته تشرف إلى العتبات المقدسة في العراق فحضر في النجف الأشرف على

---

(١) لب الالقاب في ألقاب الاطياب للشيخ العارف حبيب الله الشريف الكاشاني : ص ١٠٦ .

(٢) أعيان الشيعة: ج٧ ص ١٦٤ .

الشيخ علي كاشف الغطاء صاحب «الخيارات» والشيخ محمّد حسين الاصفهاني صاحب «الفصول» و الشيخ محمّد حسن صاحب «الجواهر» حتّى بلغ في الفقه و اصوله مكانة سامية وأصبح على جانب عظيم من التحقّق والتبحّر.

عاد الى گلپايگان فرأس وأصبح من مراجع الدين وأعلام المسلمين، واشتغل بالتدريس والتأليف وترويج الدين ونشر لواء المذهب إلى أن انتقل إلى رحمة الله في الحادي عشر من ربيع الأول سنة ١٢٨٩.

له آثار جليلة منها: «شرح الدرة» للسيّد مهدي بحر العلوم و هو مبسوط، وقد ضمّ إليه بابي صلاة المسافر و صلاة الجماعة غير الموجودين في الدرة، و قد تمّا في قرب مائة ألف بيت، و له «كتاب النكاح» و «كتاب المتاجر» و «روح الايمان» فارسي و «الأنوار القدسيّة» و مجموعة على نهج الكشكول ذات فوائد كثيرة و «الوارد» في الغيبة، إلى غيرها، و الجميع عند ولده العالم الجليل الميرزا محمّد مهدي المدعو بـ «آقازاده» و يروي عن مشايخه المذكورين و يروي عنه شيخنا العلّامة الميرزا حسين الخليلي بالاجازة منه، فقد أدركه في سفره إلى إيران في گلپايگان كما حكاه عنه السيّد حسن الصدر في إجازته لي [1].

هذا بعض ماقيل في حقّه، غير أنّه ـ كما اعترف به معاصره صاحب المآثر و الآثار ـ فوق هذه الأوصاف والتحديدات، كيف لا و آثاره الباقية الخالدة على جبين الدهر تدلّ على أنّ شيخنا المترجم له كان أوحديّ عصره وإن عاقد سمطها هو الّذي استحلب صفو درتها، و استخرج إليهم من درتها.

تجاوز حدّ المدح حتّى كأنّه بأحسن ما يثنى عليه يعاب

ولأجل ذلك نطوي الكلام والايعاز إلى سماته و نكتفي بنقل حكاية بديعة، نقلها الأمثل فالأمثل. حدّثنا شيخنا آية الله الصافي عن الآية العظمى الحاج السيّد أحمد الخونسازي (م ١٤٠٥) عن العلّامة الحجّة الحاج روح الله كما لوند الخرم آبادي

(١) الكرام البررة للمحقق الشيخ آغا بزرگ الطهراني: ج٢ ص٥٨٧.

عن فقيه الطائفة و فقيد الاسلام آية الله العظمى الحاج السيّد حسين البروجردي (م١٣٨٠) هذه الحكاية البديعة :

في إحدى الحروب الداخليّة الّتي وقعت في عهد الملك الايراني « ناصر الدين شاه » كانت قواته تواجه الفشل والاخفاق ، و رغم سعي جيوشه للظفر على أعدائه كانت الخيبة حليفة لهم فطلبت القيادة العسكريّة الامداد من الملك ، فسأل الملك عن سبب إخفاق قواته وفشلها ، فوافاه الجواب بأنّ جنوده الّذين يقاتلون في هذه المعركة من مقلّدي حجّة الاسلام الشيخ زين العابدين الگلپايگاني وهو يحرم هذا القتال. فاستدعاه الشاه إلى طهران حتّى يعاتبه على هذا التحريم ، فلمّا قدمها نزل على العالم الكبير الطائر الصيت الحاج ملاّ علي الكني (م١٣٠٦) و كان آنذاك كبير علماء طهران، و لقي عنده حفاوة بالغة، ثمّ تقرر أن يتمّ لقاء بين الشيخ زين العابدين والشاه ، و قد كان من نيّة الشاه أن يعترض عليه بشدة و عنف ، ولمّا رأى رجال البلاط أنّ « الكني » رافقه عند مجيئه إلى الشاه قام الملك بترحيب حارّ به . فلمّا انتهى المجلس و خرج الضيوف من البلاط سأل بعض المقربين من الشاه عن عن سرّ عدوله عمّا نواه أولاً ، فأجاب الملك بأنّي رأيت عند دخوله إلى قصري كأنّ رجلاً قد شهر سيفه يمشي إلى جانبه، فقلت في نفسي سيأخذه شرطة القصر مهما كان، ويقبضون عليه، إلاّ أنّني لم أر أحداً يتعرض له قط، فقد كان يمرّ على الحرس من دون أن يقابله أحد ، حتّى دخل عليّ بهذه الهيئة ، ثمّ قال ـ أي ذلك الرجل الحامل للسيف ـ لي : إيّاك أن تسيء إلى هذا الشيخ ، أو قال : ـ إن تعرضت إليه بإساءة قتلتك بسيفي هذا أو قطعت عنقك، و لهذا لم أجرأ على المساس بالشيخ، أو الازدراء به، وقمت له بالاحترام اللازم وعاملته بأحسن مايليق به من الأدب .

وقدقمنا ـ ولله الحمد ـ بطبع ثمان رسائل من مجموع رسائله الشريفة، و سمّيناها بـ « أنوار الولاية » سائلين المولى سبحانه أن يوفّقنا لطبع و نشر ماتبقّى من تلك الثروة القيّمة .

مواصفات الرسائل الثمان :

هذه الرسائل الثمان التي ترى نور الوجود لأول مرة، إليك بعض مواصفاتها:

الرسالة الاولى : في شرح حديث ماروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لو اجتمع الناس على حبّ علي عليه السلام ما خلق الله النار» وقد ألّفها في الحائر الشريف الحسيني ثمّ أكملها بعد أعوام .

الرسالة الثانية في تحقيق الصراط .

الرسالة الثالثة : في شرح حديث الضبّ ، و فيها الحثّ على التشبّه بأولياء الله المعصومين .

الرسالة الرابعة : في علم المعصومين عليهم السلام وسعة علومهم .

الرسالة الخامسة: في شرح حديث المعرفة .

الرسالة السادسة: في بيان معنى الحبّ لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام .

الرسالة السابعة : في تحقيق القول في علم المعصومين عليهم السلام .

الرسالة الثامنة : في شرح الخطبة النبويّة في فضيلة شهر رمضان .

وهذه إلمامة بهذه الرسائل أتينا بها ليقف القارىء على موضوعاتها ، ونتقدم بالشكر الجزيل إلى شيخنا العلاّمة الحجّة آية الله الشيخ لطف الله الصافي ـ دام ظلّه الوارف ـ على بذل جهوده المشكورة في التفحّص عن آثار فقيدنا الراحل وتشجيعنا على طباعتها ونشرها . وآخر دعوانا أن الحمدلله ربّ العالمين .

لجنة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الّذي خلقنا بقدرته لمعرفته وعبادته ، وغرس في أفئدتنا أشجار محبّته وولاء أهل طاعته ، فسبحانك اللّهمّ ربّنا أتمم لنا أنوار معرفتك وأهّلنا لعبادتك ، وهيّم قلوبنا لارادتك ، وفرّغ فؤادنا لحبّك ، واجعلنا ممّن اصطفيته لقربك وولايتك ، وأخلصته لودّك ومحبّتك ، ورغّبنا فيما عندك ، وألهمنا ذكرك ، وأوزعنا شكرك . وثبّت في صدورنا رجاءك ، وأوفر مزيدنا من صلاتك وحبّك وحبّ من يحبّك وحبّ كلّ عمل يوصل إلى قربك وجوارك ، حتّى تكون إلينا أحبّ ممّن سواك .

وصلّ اللّهمّ على حبيبك ونجيبك ، سيّد الأنبياء وأكرم الأصفياء ، محمّد المصطفى ، وعلى آله الأئمّة الأبرار الأتقياء ، اصول أشجار الكرم وأولياء النعم .

وبعد ، فإنّ تمام السعادة وكمال الفضل في الخوض في أخبار النبيّ صلّى الله عليه وآله وعترته الطاهرين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين واستخراج درر الفوائد المتلألئة وغرر الفرائد المتعالية في هذا البحر الذخّار ، ولاسيّما ما يحتوي منها على فضيلة من فضائلهم السنيّة ، أو يتضمّن لمقام من مقاماتهم العليّة ، أو يبرز شأناً من شؤونهم الكبيرة فإنّ في ذكرها وكتبها واستماعها والنظر إلى ما كتب منها لفضلاً كثيراً وأجراً جزيلاً ومثوبة وافرة ومغفرة ورحمة كافية وافية .

ففي الحديقة: نقلاً عن كتب المناقب، عن النبي ﷺ «ان الله جعل لأخي علي بن أبي طالب عليه السلام فضائل لا تحصى كثيرة، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقراً بها غفر الله لهما تقدم من ذنبه وما تأخر. و من كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة أثر [1] ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر» [2].

فبالحري لطلاب السعادات وبغاة الدرجات الاجتهاد في تحصيل هذه التشريفات وإحراز تلك المثوبات. ولقد سلك هذا المسلك القويم وسار على هذا الصراط المستقيم جمع من الأعيان وعيون الانسان من علماء المسلمين، عامتهم وخاصتهم فألفوا كتباً في المناقب ورسائل على الخصوص، مقتصرين فيها على تلك النصوص.

وإني كنت من القديم أتمنى اتباع ملتهم واقتفاء أثرهم، حتى وفقني الله سبحانه بلطفه الجسيم وفضله العظيم في عنفوان الشباب حين سني مجاورتي في أخضع المواضع و أشرف الأماكن، أرض الله المقدسة الطاهرة المطهرة، أفضل بقاع الجنان، مدفن سيدنا و مولانا ثاني سيدي شباب أهل الجنة و ثالث الأئمة أبي عبدالله الحسين عليه السلام لتأليف رسالة في هذا الشأن، قد أودعت فيها من جواهر الحقائق - التي القيت في روعي من فضل الله المنان ببركة تلك المجاورة - جملة وافية، وأبحت بطائفة من أسرارهم، و كشفت النقاب عن وجوه عرائس شرذمة من أستارهم بعون الله المتعال.

فخلد في خلدي وجلد في خاطري بعد ذلك بأعوام العود إلى ذلك بتوفيق الله العلام وإلهام منه سبحانه وترصيف مصنف أبسط ومؤلف أطول وأفيد، يوضح لما ابهم في السابقة ويضيف إليها بعض ما حذف منها ولم يودع فيها، حثاً للفوز

(١) فى الحديقة : أثر ورسم .

(٢) حديقة الشيعة :ص ٢ .

بمزيد المثوبات ورغبةً في وصول الكمال في هذا المجال ، فشرعت فيه متوكّلاً على الله مالك الملك والملكوت وربّ العزة والجبروت ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وقد أذن الله تعالى لنا بما أجراه على لسان بعض الأعيان من الاخوان أن اسمّيه بـ «روح الايمان» فأسميته به وبروح الايقان ونور العرفان ونور الجنان ، والله المفضّل والمنّان.

مقدمة

اعلم : أنّهم عليهم السلام لهم الدرجات الرفيعة والمقام المحمود و المكان المعلوم عندالله عزّوجلّ ولايدركه غيره وغيرهم ، والجاه العظيم والشأن الرفيع والبنيان الكبير ، جعلهم الله تعالى امناء سره واسترعاهم أمر خلقه وقرن طاعتهم بطاعته ، ما أحلى أسماءهم ! وأكرم أنفسهم ! وأعظم شأنهم ! وأجلّ خطرهم ! وأوفى عهدهم وأصدق وعدهم ! كلامهم نور وأمرهم رشد ووصيّتهم التقوى وفعلهم الخير وعادتهم الاحسان وسجيّتهم الكرم ، وشأنهم الحقّ والصدق والرفق ،وقولهم حكم وحتم ، ورأيهم علم وحلم وحزم ، أوّل كلّ خير وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه قد بلغ الله بهم أشرف محلّ المكرمين وأعلى منازل المقربين وأرفع درجات المرسلين حيث لا يلحقه لاحق ولايفوقه فائق ولايسبقه سابق ولايطمع في إدراكه طامع ، حتّى لايبقى ملك مقرب ولانبيّ مرسل ولاصدّيق ولاشهيد ولاعالم ولاجاهل ولا دنيّ ولافاضل ولامؤمن صالح و لا فاجر طالح ولاجبّار عنيد و لاشيطان مريد ولاخلق فيما بين ذلك شهيد إلّا عرفهم جلالة أمرهم وعظم خطرهم و كبر شأنهم و تمام نورهم و صدق مقاعدهم و ثبات مقامهم و شرف محلّهم و منزلتهم عنده و كرامتهم عليه وخاصّتهم لديه وقرب منزلتهم منه .

وبالجملة : لايقدر واصف على حسن ثنائهم ووصف قدرهم ، ولايحصي أحد جميل بلائهم ، ولايبلغ من المدح كنههم ، إذ آتاهم الله مالم يؤت أحد أحداً من

العالمين ، خلقهم الله أنواراً فجعلهم بعرشه محدقين حتّى منّ علينا بهم ، وهم نور الأخيار وهداة الأبرار وحجج الجبّار ، بهم فتح الله وبهم يختم ، وبهم ينزل الغيث وبهم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه ، وبهم ينفّس الهمّ ويكشف الضرّ ، وعندهم ما نزلت به رسله وهبطت به ملائكته ، وهم أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ومعدن الرحمة وخزان العلم ومنتهى الحلم واصول الكرم وقادة الامم وأولياء النعم وعنصر الأبرار ودعائم الأخيار وساسة العباد وأركان البلاد وأبواب الايمان وامناء الرحمن وسلالة النبيّين وصفوة المرسلين وعترة خيرة ربّ العالمين .

وكلّ ما ذكر وغيره مذكور في الزيارة الجامعة وغيرها .

وروى في العيون في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في وصف الامامة والامام وذكر فضل الامام ورتبته مسنداً عن عبدالعزيز بن مسلم عنه عليه السلام حديثاً طويلاً ، ومن جملته قوله عليه السلام: «إنّ الامامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم ، هل يعرفون قدر الامامة ومحلّها من الامّة فيجوز فيها اختيارهم ؟! إنّ الامامة خصّ الله عزّوجلّ بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة» إلى أن قال عليه السلام بعد كلام طويل : «الامام كالشمس الطالعة للعالم ، وهي في الافق بحيث لاتنالها الأيدي والأبصار ، الامام البدر المنير والسراج الزاهر» ثمّ قال عليه السلام بعد كلام طويل ممّا عدّ فيه جملة من صفات الامام : «فمن ذا الّذي يبلغ معرفة الامام ويمكنه اختياره؟! هيهات ! هيهات ! ضلّت العقول وتاهت الحلوم وحارت الألباب وحسرت العيون وتصاغرت العظماء وتحيّرت الحكماء وتقاصرت الحلماء وحصرت الخطباء وجهلت الألبّاء وكلّت الشعراء وعجزت الادباء وعييت البلغاء عن وصف شأن من شؤونه أو فضيلة من فضائله ، فأقرت بالعجز والتقصير ، وكيف يوصف له أو ينعت بكنهه أو يفهم شيء من أمره أو يوجد من يقام مقامه ويغني غناه؟

لا ! كيف وأنّى ؟ وهو بحيث النجم من أيدي المتناولين ووصف الواصفين ، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول من هذا ؟» إلى آخر ما قال عليه السلام من كلام طويل[١] بيّن فيه صفات الامام التي لايبلغها العقول ليختاروه .

وروي عن الباقر عليه السلام أنّه لايمكن وصف الله و كيف يوصف ؟ وقد قال في القرآن : «وماقدروا الله حقّ قدره» فالله أعظم من كلّ ما يوصف به . وأنّه لايمكن وصف النبيّ صلى الله عليه وآله كيف يوصف عبد ؟ أجازه من سبعة حجب وأشجاه[٢] وجعل طاعته طاعته وقال : من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله وفوض إليه أمر دينه . ولايمكن وصفنا أهل البيت عليهم السلام و كيف يوصف جمع ؟ طهّرهم الله تعالى من كلّ شكّ وشبهة وذنب ، ورفع عنهم الذنوب وطهّرهم من كلّ عيب . ولايمكن أن يوصف المؤمن ، فإنّ المؤمن إذا لاقى أخاه المؤمن وصافحه ينظر الله إليهما بالرحمة وتحاتّ عنهما الذنوب كما تحاتّ الورق من الشجر[٣] .

وغرضنا هنا أنّه لايمكن معرفة الامام وفضله لغير الله تعالى ونبيّه والأئمّة عليه وعليهم السلام، إذ لايمكن أن يرى بالبصر أو يدرك بالبصيرة إلّا من وصل إلى مقام المرئى والمدرك ، لانتفاء شرط الرؤية و الادراك ، و إنّما كلّفنا بمعرفتهم وإثبات صفات الكمال لهم ونفي صفات النقص عنهم بقدر طاقتنا على حدّ معرفتنا الله تعالى بوجه هو كمالنا ، فتعالى هو تعالى وتعالوا عن ذلك ، فلايمسّهم إلّا المطهّرون المعصومون ، ولايبلغ أحد كنههم سواهم ، فالطلب مردود و الطريق مسدود ! لكن

---

(١) عيون أخبار الرضا : . ج١ الباب ٢٠ باب ماجاء عن الرضا عليه السلام فى وصف الامامة والامام ح١ مع اختلاف يسير فى العبارة .

(٢) كذا فى النسخة ، وقد راجعنا المصدر ولم نجد فيه هذه الكلمة .

(٣) اصول الكافي : كتاب الايمان و الكفر باب المصافحة ح١٦ مع اختلاف كثير فى العبارة ، ولعله أراد النقل بالمعنى .

كلّفنا بولايتهم ومعرفتهم لنستضيء بمصباحهم ونهتدي بهديهم ، والحمـدلله ربّ العالمين على الحدّ الممكن والمقدور والمستطاع .

والحاصل : أنّ مقاماتهم عليهم السلام وفضائلهم متعالية متانية [١] عن أن ينالهـا أيدى المتناولين وأبعدغوراًمن أن يدركها بصائر المتحاملين [٢] وأكثـر من أن تحدّها إحصاء العالمين . وفي النبويّ صلى الله عليه وآله «ولو كانت البحار مداداً والأشجـار أقلاماً والسماوات صحافاًوالانس والجنّ كتّاباً لنفد البحر المداد وفنت الصحف وكلّت الأقلام ولم يكتبوا عشر معاشر فضل عليّ عليه السلام» [٣] وقال الله تعالى : «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفدالبحر قبل أن تنفد كلمات ربّي»الآية [٤] فإنهم عليهم السلام هم المرادون بالكلمات في هذه الآية وغيرها ، كما في التفاسير المعتبرة والروايات .

واعلم : أنّ أعالي فضائلهم ومقاماتهم لم يصل إليها أيدي العالمين ، لاختفائها بنفسها ـ لعلوّها وشرف رفعتها ـ عنهم ، وكثيراًمنها لايحتملهاعقولهم ، أوأخفاها الله ورسوله وهم عليهم السلام عن العبادإشفاقاًعليهم من أن يضلّوا فيهم و كفروا ـ كما في النصوص ـ أو اتّقاءً على أنفسهم من الحسدة والمنافقين . وكثيراً ممّامسّته أيدي الفسقة والمعاندين أخفوها،لبغضهم وعداوتهم لهم، فلم يبق في البين إلّاقليل من كثير وصل إلى الناس ولم يخفوه ، إذلم يحسّوا به ليخفوه ، ولم يمسّوه ، أولم يجدوا سبيلاً إلي إخفائه ، لانتشاره . ومع ذلك لقد ملأفضائلهم ما بين الكتمين الخافقين! والله متمّ نوره ولو كره المشركون .

واعلم أيضاً: أنّ مراتب الناس في معرفتهم ومعرفة فضائلهم متفاوتة، وكذلك

---

(١) كذا فى النسخة ،والظاهر أنها «متأبية» .

(٢) كذا فى النسخة ، ويمكن أن يكون «المتحاملين» .

(٣) بحار الانوار : ج ٣٨ ص١٩٧ مع اختلاف فى العبارة .

(٤) الكهف : ١٠٩ .

محبّتهم وولايتهم ، مثل معرفة الله ومحبّته تعالى ولله المثل الأعلى ، وكلّ أحد من الأنبياء والملائكة والناس والجنّ وسائر مخلوقات الله تعالى ينتفع بمعرفة النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة وبولايتهم ومحبّتهم عليهم السلام على قدر شعورهم واستعدادهم وكمالهم ومتابعتهم ومشايعتهم لهم عليهم السلام قولاً وعملاً وخلقاً ، فمنهم من بلغ بها مرتبة الخلّة ، ومنهم من وصل إلى درجة الاصطفاء والاجتباء ، ومنهم امناء الوحي والتنزيل ، ومنهم حملة العرش ، و منهم الأنبياء ، ومنهم المؤمنون الممتحنون والشيعة المخلصون والأحرار الأتقياء والصلحاء ، ومنهم الموالي والمحبّون ، ومنهم المياه العذبة والفواكه الطيّبة ، فكلّ النعم بهم وببركتهم ، وهم أصلها ومبدؤها ومنتهاها . وعلى هذا القياس مراتب أعدائهم - لعنهم الله - بالنسبة إلى الشرور والتأثيرات فيها . فكلّ أحد ينتفع بمعرفتهم وولايتهم على حسب حالهم ، حتّى أنّ من أكمل ولايتهم لو أراد إنزال العرش لقدر عليه ! ويقدر على جعل الذكران اناثا و بالعكس ! ويخضع له كلّ مخلوق و ينقاد له ! والشواهد والآثار في ذلك كثيرة معروفة مرقومة ، والله الهادي .

واعلم أيضاً : أنّه كما لهم آثار في العوالم وتأثيرات ، وكذا لمحبّتهم وولايتهم ، فكذا لأسمائهم ، وفي الآثار والأخبار شواهد وتنصيصات على جميع ذلك ، ففيهم في كلّ ذلك شبه بربّهم وبارئهم ، إلّا أنّهم عباده المقرّبون ومخلوقون له ومربوبون .

والحمدلله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وصلّى الله على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين ، ولعنة الله على أعدائهم وظالميهم وغاصبي حقوقهم أجمعين .

وإذا بلغ الكلام في المقدمة هذا المبلغ ، فلنشرع الآن في المطلوب المقصود ونرجو من الله المنّان أن يوفّقنا بحفظ أربعين حديثاً في فضائلهم وذكرها وشرحها وبيانها في مطاوى تلك الأبحاث كي يبعثنا بذلك في زمرة الفقهاء العلماء . سبحانك اللّهمّ لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وثبّت رجاءك في صدورنا ، وهب لنا من لدنك

رحمة إنّك أنت الوهّاب .

ولنذكر المقصود في فصول :

فصل

روي أخبار متعددة بأسانيد كثيرة في كتب الفريقين ـ العامّة و الخاصّة ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لو اجتمع الناس على حبّ عليّ عليه السلام ما خلق الله النار» و كلّها متّفقه على هذا المعنى وإن اختلفت يسيراً بزيادات ليست في بعضها أو بالحبّ في البعض والولاية في البعض .

ففي البحار : السناني ، عن الأسدي، عن النخعي ،عن النوفلي ، عن عليّ بن سالم ، عن أبيه ، عن أبان بن عثمان ، عن أبان بن تغلب ، عن عكرمة ، عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله جلّ جلاله : لو اجتمع الناس كلّهم على حبّ عليّ ما خلقت النار [١].

وفيه أيضا: الفردوس: طاووس، عن ابن عبّاس، قال النبيّ صلى الله عليه وآله : إنّ الناس لو اجتمعوا على حبّ عليّ بن أبي طالب لما خلق الله النار [٢].

وفيه : عن أحمد بن محمّد الفقيه الطبري، باسناده، ويرفعه إلى طاووس ، عن ابن عبّاس ،قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام : لو اجتمعت الخلائق على ولايتك لما خلق الله النار ولكن أنت وشيعتك الفائزون يوم القيامة [٣].

وفيه أيضاً : عن مناقب الخوارزمي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لو اجتمع الناس على حبّ عليّ بن أبي طالب لما خلق الله عزّ وجلّ النار [٤].

وفيه أيضاً في ذيل حديث المعراج : عنه صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام: يا محمّد والّذي

---

(١) بحار الأنوار : ج٣٩ ص ٢٤٧ ح٤ وفيه «على ولاية علي» .

(٢) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢٤٨ ح٨ .

(٣) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢٤٨ ح٩ .

(٤) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢٤٨ ح١٠ .

بثعك بالحق نبياً لو أن أهل الأرض يحبون علياً كما يحبه أهل السماوات لما خلق الله ناراً يعذب بها أحداً (١) .

وفيه أيضاً: عن محمد بن عبدالوهاب الرازي، عن محمد بن أحمد النيسابوري، عن أحمد ابن محمد بن عمر الفقيه، عن محمد بن عبدالله الشيباني، عن يحيى بن طلحة، عن أبي معاوية عن ليث، عن طاووس، عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لو اجتمع الناس على حب علي بن ابي طالب لما خلق الله النار (٢) .

وفيه أيضاً: عن كتاب الفردوس مما يرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال. لو اجتمعت على حب علي بن أبي طالب أهل الدنيا ما خلق الله النار. (٣) إلى غير ذلك .

ومنطوقها منع الاجتماع المزبور عن خلق النار، وخلقها، لانتفائه، وتدل بفحواها على عدم تعذيب مواليه بها بعد خلقها . ويدل على الثاني نصوص كثيرة جاوزت حد التواتر، وعلى الأمرين الرواية الثالثة وقوله عليه السلام في دعاء الكميل «فباليقين أقطع لولا ما حكمت به من تعذيب جاحديك وقضيت به من إخلاد معانديك لجعلت النار كلها برداً وسلاماً وما كانت لأحد فيها مقراً ولا مقاماً، لكنك تقدست أسماؤك ! أقسمت أن تملأها من الكافرين من الجنة والناس أجمعين وأن تخلد فيها المعاندين، وأنت جل ثناؤك ! قلت مبتدئاً وتطولت بالأنعام متكرماً أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً؟ لايستوون» فعلى الأول بصدره، وعلى الثاني بعجزه(وهو قوله عليه السلام : لكنك، إلى آخره) مع الاقتران بالبرهان لوجهين أشار إلى أولهما بقوله عليه السلام :«أقسمت: الخ »وإلى ثانيهما بقوله عليه السلام : « وأنت... الخ» وسيجيء بيان ذلك إن شاءالله تعالى .

(١) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢٤٨ ح١١ .
(٢) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢٤٩ ح١٢ .
(٣) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢٦٧ ح٤١ .

فصل
في شرح أجزاء تلك الاخبار

أمّا كلمة «لو» فهي تكون مصدريّة وهي التي تصلح في موضعها «أن» وأكثر ما يقع بعد «يودّ» أو ما بمعناه، كقوله سبحانه: «يودّ أحدهم لو يعمّر ألف سنة»[1]. وللتمنّي، نحو «فلو أنّ لنا كرّة فنكون من المؤمنين»[2] أي فليت لنا، و«لو تأتيني فتحدّثني». وللعرض، نحو «لو تنزل عندنا فتصيب خيراً» أي انزل. وللتحضيض، نحو «لو تأمر فتطاع» أي مر، و«لو فعلت كذا ياهذا» أي افعل. وأكثر مايجيء مع «ما» وتشترك الثلاثة في الطلب، لكنّ العرض طلب بلين، والتحضيض طلب بحثّ. وفي كون التي للتمنّي لو الامتناعيّة اشربت معنى التمنّي فيجاب بجواب الامتناعيّة، أو قسماً برأسه فلايجاب بجوابها، أو أنّها لو المصدريّة أغنت عن التمنّي ـ لكونها لاتقع غالباً إلّا بعد مفهم تمنٍّ ـ أقوال: الأخير لابن مالك، والثاني للزمخشري، فعدّها حرف تمنٍّ، وغلّطه الأوّل بمجيئها مع فعل التمنّي في قوله تعالى: «ودّوا لو تدهن»[3] ولو كانت للتمنّي لماجمع بينهما، كما لم يجمع بين «ليت» وفعل تمنٍّ. وردّه الزركشي في تشنيف المسامع: بأنّ مراد الزمخشري وغيره ممّن أثبتها للتمنّي: أنّها له حيث لم تل فعل تمنٍّ، وحيث تليه لاتكون حرف تمنٍّ.

وللشرطيّة للماضي، وإن دخلت على المضارع فحينئذٍ تصرفه إلى المضيّ، بعكس «إن» فإنّها للمستقبل وإن دخلت على الماضي، هذا قول الأكثر. وعن قوم أنّهم أبوا تسميتها حرف شرط، لأنّ حقيقة الشرط لايتأتّى إلّا في الاستقبال، فالتعليق في الماضي ليس منها، فليست هي من أدوات الشرط. وفي تشنيف المسامع:

---

(١) البقرة: ٩٦. (٢) الشعراء: ١٠٢.

(٣) القلم: ٩.

«قيل : إنّ النزاع لفظيّ ، فإن اريد بالشرط الربط المعنوي الحكمي فلاشكّ أنّها شرط ، وإن اريد به العمل في الجزئين فلا» ، انتهى . وهو جيّد ، وسيجيء إن شاءالله تعالى مزيد تحقيق لذلك .

ثمّ إنّها تجيء للمستقبل قليلاً ، مثل «إن» فتكون له وتصرف الماضي إليه كقوله تعالى : «وما أنت بمؤمن لنا ولو كنّا صادقين»[1] وقوله سبحانه : «وليخش الّذين لو تركوا من خلفهم ذرّيّة ضعافاً خافوا عليهم »[2] و«أكرم زيداً ولو أساء» أي وإن أساء . وعن ابن الحاجّ تخطئتهم في ذلك ، قال : « والقاطع بذلك أنّك لا تقول: لو يقوم زيد فعمرو منطلق، كما تقول: إن يقم زيد فعمرو منطلق» وقال بدرالدين ابن مالك : وعندي أنّ «لو» لا تكون لغير الشرط في الماضي ، وما تمسّكوا به من نحو قوله تعالى: «وليخش الّذين لو تركوا من خلفهم ذريّة ضعافاً خافوا عليهم» وقول الشاعر :

ولو أنّ ليلى الأخيليّة سلّمت ... عليّ ودوني جندل وصفائح

لسلّمت تسليم البشاشة أو زقى ... إليها صدى من جانب القبر صائح

لا حجّة فيه ، لصحّة حمله على المضيّ ، انتهى .

فتحصّل الوفاق على مجيئها للماضي و اختصاص الخلاف بمجيئها للاستقبال، فانكراه. بل عزّى في تمهيد القواعد إنكار ورودها له إلى قوم منهم البدر بن مالك ، ثمّ قال : إذا عرفت ذلك ، فمن فروعه مالو قال : « أنت عليّ كظهر امّي لو دخلت الدار » ومقتضى القاعدة أنّه يرجع إليه في التفسير ، فإن أراد معنى « إن » فواضح ، وإن أراد أنّه لو حصل في الماضي دخول لكان يقع الظهار قبل أيضاً ، ولم يقع ، فإن تعذرت المراجعة فالأصل عدم الوقوع ، ولأنّ وقوع « لو » على الوجه الأوّل أكثر أو متعيّن ، انتهى .[3]

(١) يوسف : ١٧ .
(٢) النساء : ٩
(٣) تمهيد القواعد ـ الملحق بالذكرى ـ : ص٦٧ القاعدة ١٦٢.

وتفصيل ما ذكره: أنّهم اختلفوا في اشتراط التنجيز في الظهار ،فجمع على ثبوته، فيشترط فيه أن يكون غير معلّق بشرط ولا صفة، كقدوم زيد وطلوع الشمس مثل الطلاق إجماعاً. والشيخ ـ رحمه الله ـ وجماعة على اشتراط التنجيز بحسب الثاني لا الأول فيصحّ تعليقه على الشرط ، وقواه في اللمعة وتبعه في الروضة . فعلى مذهبه : إن أراد معنى « إن » يقع ، لكونه تعليقاً على الشرط ـ كقدوم زيد ودخول الدار ـ وإن أراد المعنى الآخر (أي التعليق في الماضي) لايقع ، لكونه تعليقاً على غير شرط . فقوله : « واضح » يريد به الوقوع. وقوله : « على الوجه الأول » يريد به التعليق في الماضي ،لأنّه المذكور أولاً في كلامه الّذي ذكره قبل كلامه المذكور.

ثمّ إنّ البدر جعل النكتة فيما أشرنا إليه : من عدم الجزم والعمل حيث دخلت على المستقبل ـ وكانت له على مقالة هؤلاء ـ هي النكتة بعينها في عدم كونها للمستقبل ووجوب صرفه إلى المضيّ لو دخلت على المستقبل ، قال : ولكون «لو» للتعليق في الماضي غلب دخولها على الفعل الماضي ، وهو مبنيّ ، فلذلك إذا دخلت على المضارع لم تعمل فيه شيئاً ووجب أن يكون مدخولها مصروفاً إلى المضيّ ، كما في قوله تعالى : « لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتّم » [1] إلى آخر ما قال. وأنت خبير بأنّه بعد ورود السمع بمجيئها للمستقبل وذهاب بعض الفحول إليه ـ وإن قلّ ـ فالمتّجه المصير إليه وقبوله . والتكلّف في تأويل السمع وصرفه إلى الماضي لا يستحسنان مع عدم حاجة إليه. فالأجود ثبوته وإن قلّ .

هذا ، ولم يذكر كثير من النحويّين التحضيض ، ومنهم من ذكر الأول والأخير فقط ، ومنهم من اقتصر بالأخير . وزاد بعضهم معنى آخر : هو التقليل نحو اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة ، والتمس ولو خاتماً من حديد ، واطلبوا العلم ولو بالصين ، وغيرها، والتقدير : ولو كان الاتّقاء...الخ ، وهكذا ، فحذفت « كان »

---

(١) الحجرات : ٧ .

مع اسمها . وهذه « الواو » للحال عند صاحب الكشّاف ، واعتراضيّة عند بعض، وعاطفة عند بعض،فالتقدير :اطلبوا العلم لو لم تكن بالصين و لو كان العلم بالصين،وهكذا.

ثمّ في تشنيف المسامع أنكر هذا المعنى ، قال : والحقّ أنّه مستفاد ممّا بعدها لا من الصيغة ، انتهى . وقال في القاموس : « لو » حرف تقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه . [قال] سيبويه: « لو » حرف لما كان سيقع لوقوع غيره ، وقول المتأخّرين : حرف امتناع لامتناع،خلف. وترد على خمسة أوجه : أحدها المستعملة في نحو « لو جاءني أكرمته » وتفيد ثلاثة امور : أحدها الشرطيّة ،والثاني تقييد الشرطيّة بالزمن الماضي ، الثالث الامتناع ، انتهى .

أقول: قد عرفت وقوعها على ستّة أوجه ، فالحصر في خمسة لانكاره التمنّي أو التقليل ، ويحتمل إنكار التحضيض ، هذا . وأمّا الشرطيّة : فقد عرفت ثبوتها بل كونها أظهر معانيها الخمسة أو الستّة ، بل ووفاقيّة ، وأنّ إنكار بعضهم لها يرجع إلى أمر آخر حقيقيّ معنويّ لا إلى إنكار ورودها للتعليق . وأمّا الماضويّة : فهي أيضاً اتّفاقيّة،كما عرفت . والنزاع في مجيئها للاستقبال ليس نزاعاً في ثبوتها ونفيها بل في إثباته قليلاً والعدم بعد الاتّفاق على ورودها لها لبتّاً على حسب ما ظهر، والمراد منها ماضويّة الشرط خاصّة بالنسبة إلى زمن الخطاب والنسبة على حدّ كون « إن » للاستقبال ، وأمّا الجزاء فلابدّ أن يكون ماضياً وضعاً أو معنىً كالمضارع المجزوم بـ « لم » .

فإن كان مثبتاً فالغالب فيه دخول اللام عليه ، مثل « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم »[1] وفي قليل يخلو منها ، ومنه « لو تركوا من خلفهم ذريّة ضعافاً» الآية[2] . وفي المنفيّ بـ «لم» يمتنع اللام ، وبـ « ما » جاز الأمران كالمثبت، لكن

(١) الانفال : ٢٣ .
(٢) النساء : ٩ .

بعكسه . فالخلوّ أكثر وأجود ، كما ورد به التنزيل ، نحو « ولوشاء ربّك ما فعلوه » [١] « لوشاء الله ما اقتتلوا » [٢] ومنه أقلّ الأخبار المزبورة، ومن المشتمل عليها أكثرها.

ثمّ القول بتجويز كون الشرط مستقبلاً مع لزوم كون الجزاء ماضياً يستلزم ترتّب الماضي على المستقبل ، وهو لايصحّ إلّا على الكشف ، ويمكن التصحيح على السببيّة أيضاً ، لكنّهما معاً لايجريان على الاستعمال المتعارف ، بل قيل بعدم المعقوليّة ، لانتفاء الربط حقيقة حينئذٍ و حقيقة الشرطيّة . ولذا عدّوا ذلك في « إن » من جملة المواضع الّتي يلزم الفاء في الجزاء فيها ، لامتناع تأثير حرف الشرط فيه ، فيجب دخولها فيه لتربطه بالشرط ، مثل « إن تكرمني فقد أكرمتك أمس » . ويمكن أن يقال لزوم الماضويّة في الجزاء يختصّ بغير صورة كون الشرط مستقبلاً ، لكن يأباه ظاهر إطلاقهم . إلّا أن يعتذر بالوضوح ، فيصير المتحصّل على ذلك العذر جواز الاستقبال فيهما وإن ندر، فتدبّر .

ثمّ إنّ «لو» الشرطيّة كان يختصّ بالفعل ولاتدخل على الاسم ، لكن قد تدخل « لو » على « أنّ » ـ بفتح الهمزة ـ واسمها وخبرها ، نحو « لو أنّ زيداً قائم لقمت » وحينئذٍ قيل : هي باقية على اختصاصها بالفعل ، وإنّ « أنّ » مع اسمها وخبرها في موضع الفاعل لفعل محذوف ، والتقدير «لو ثبت أنّ زيداً قائم ـ أي قيام زيد ـ لقمت» . وعن سيبويه زوال الاختصاص وأنّها مع اسمها وخبرها في موضع المبتدأ ، والخبر محذوف ، والتقدير « لو أنّ زيداً قائم ثابت لقمت » أي لو قيام زيد ثابت لقمت . هذا هو بيان حال الشرطيّة وتقييدها بالماضويّة .

وأمّا إفادة « لو » للامتناع : ففيها أقوال . والمراد به الانتفاء ، على حدّ تعبيرهم في « إذا » بالايجاب ـ أي الاثبات ـ فيراد به ما هو أعمّ من العدم في

---

(١) الانعام : ١١٢ .
(٢) البقرة : ٢٥٣ .

الماضي الممتنع حصوله . . . الحصول المجزوم به الواجب تحقّقه و الممتنع عدمه ولو في العادة المعتبرة ، إذ يكفي الظنّ بالوقوع ، كما سيجيء إن شاء الله تعالى ونحوه هنا ، فيراد انتفاء المضمون ولو كان عدميّاً .

والأقوال : إفادتها للامتناع في الشرط خاصّة كما مرّ عن ق ، واختاره جمع من المحقّقين ، وإليه يرجع قول سيبويه على احتمال .

وفيه وفي الجزاء معاً ، كما تقدّم عن ق ، نسبته إلى المتأخّرين ودفعه ، ونسبه آخر إلى المعربين ، وثالث إلى الأكثرين لاسيّما المعربين ، وفي التمهيد إلى المشهور على ألسنة المعربين ، وفي المطوّل إلى المشهور بين الجمهور ، ويرجع إليه قول سيبويه على احتمال آخر .

والعدم مطلقاً ، وهو قول الشلوبين : إنّها لاتفيد الامتناع أصلاً ، بل يدلّ على مجرد التعليق في الماضي ، كما دلّت « إن » على التعليق في المستقبل فهي لمجرد ربط الجزاء بالشرط كـ « إن » واستفادة انتفائهما أو انتفاء الشرط فقط من خارج . وفي التشنيف : أنّه تابعه في ذلك ابن هشام الخضراوي .

وقيل : إنّها لامتناع ما يليه واستلزامه لتالية من غير تعرض لنفي التالي ولا لاثباته ، فقولك : « لو قام زيد لقام عمرو » يفيد انتفاء قيام زيد واستلزام ثبوته لثبوت قيام من عمرو ومع انتفائه ينتفي هذا القيام من عمرو ، لكن يحتمل أن يكون لعمرو قيام آخر غير اللازم من قيام زيد وأن لايكون ، و لاتعرض له لاثبات أحدهما . وحينئذ إن كان الجزاء مساوياً للشرط في العموم وجوداً لزم انتفاؤه بانتفائه ، وإلّا فلا . وبوجه آخر : الأول سبب والثاني مسبّب ، والمسبّب قد يكون أعمّ من السبب في الوجود ، لجواز أن يكون لشيء أسباب مختلفة ، كالنار والشمس للاشراق . وحينئذ القول بالعكس ـ أي استلزام انتفاء الجزاء لانتفاء الشرط دون العكس ـ أولى ، و من هنا أنّ الميزانيّين قالوا في القياس الاستثنائي: بإيجاب رفع التالي لرفع المقدم وعدم إيجاب رفع المقدم لرفع التالي،

فهي لامتناع الأول بامتناع الثاني .

وفيه :أنّ التخصيص بالسبب لا سبب له . والتزام كون الشرط سبباً والجزاء مسبّباًغير صحيح أيضاً، لأنّ الشرط عندهم أعمّ من السبب ،فقد يكون سبباً ، نحو «لو كانت الشمس طالعة لكان النهار موجوداً» . وقد يكون شرطاً ، نحو «لو كان لي مال لحججت» . وقديكون مسبّباً ، نحو «لو كان النهار موجوداً كانت الشمس طالعة» و«إذا نزل الثلج فقد حلّ الشتاء» و«إذا صففت الغلمان فقد جلس الأمير» و«إذا رأيت معرفة مرفوعة أول الكلام فهو متبدأ» إلي غير ذلك . وقد يكون معلولاً لعلّة الجزاء ، فيكونان معلولي علّة واحدة يستكشف بأحدهما عن الآخر، كالاستكشاف عن العلّة بالمعلول كالعكس ، وأمثلته أيضاً كثيرة واضحة ، مثل «لو تاب من شرب الخمر لتاب من الزنا وغيره» . والتزم بعضهم بفساد دليل ما ذكر ـ لما ذكر : من عدم اختصاص الشرط بالسببيّة وعمومه له ولغيره ممّا ذكر ـ وبصحّة مدعاه: من امتناع الأول لامتناع الثاني ، لاالعكس ،إذ انتفاء اللازم مطلقاً مسبّباً كان أو مشروطاً يوجب انتفاء الملزوم من غير عكس . قلت : في ذلك أيضاً قصور،فإنّ من الأمثلة التي ذكره كون الشرط لازماً ، وزدنا عليها كونه أحد المعلولين ، إلّا أن يريدمن اللازم مالاينفكّ عن الشيء . لكن فيهمع بعدهأنّه في الصورتين يستلزمامتناع الشرط لامتناع الجزاء ، فالمتّجهعلى تعليله نفي الاستلزام من الطرفين إن اريد الكلّيّة ، وثبوت الاستلزام من الطرفين مع إرادة فيالجملة، و التفصيل بذلك ، كماهو قضيّة تعليله ، فالمرجع الى استلزام انتفاء اللازملانتفاء الملزوم لاالعكس في كلّ من الشرط والجزاء ، فماكان منهما لازماًيستلزم انتفاءه لانتفاء الآخر الملزوم له ، وماكان منهما ملزوماً لايستلزم انتفاءه لانتفاء الآخر اللازم له ، إذ انتفاء اللازم يوجب انتفاء الملزوم من غير عكس .

وينقدح من ذلك تطرق المناقشة فيماذكره الميزانيّون أيضاً . ثمّ ما ذكره الميزانيّون أمر معقول ولاتعلّق له ببحث الألفاظ،وأيضاً لايختصّ بحرف من حروف

الشرط كـ «لو» بل يعمّ جميع حروفها ، وأيضاً يختصّ بمقام الاستكشاف والعلم ولايجيء في مقام التحقّق في الخارج . فقصدهم إلى الاستدلال بانتفاء التالي على انتفاء المقدم و عليّة العلم بانتفاء التالي للعلم بانتفاءالمقدم ، ضرورة انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم وعدم انتفاء اللازم بانتفاء الملزوم، فلايوجب العلم بانتفاءالملزوم للعلم بانتفاء اللازم ، بل الأمر بالعكس ، كما عرفت .

وفيه ما عرفت : من أنّه غير لازم أن يكون الشرط ملزوماً أبداً والجزاء لازماً كذلك ، فقد يكون الأمر بالعكس . وقصد المعربين : من أنّ «لو»لامتناع الثاني بامتناع الأول ليس إلّا[1] الاستكشاف والعلم به منه - ليمنع بعدم استلزام العلم بانتفاء الملزوم للعلم بانتفاء اللازم - بل إلى دلالة كلمة «لو» على أنّ سبب انتفاء الجزاء في الخارج انتفاء الشرط ، من غير التفات إلى أنّ علّة العلم بانتفاء الجزاء ماهي، فمعنى «لو جاء زيد لأكرمته» أنّ علّة انتفاء الاكرام عدم المجيء ، ومعنى « لو شاءالله لهداكم » أنّ انتفاء الهداية إنّما هو لانتفاء المشيّة .

وبالجملة : فالقضايا الشرطيّة تستعمل على ماذكره المعربون ، وهي قاعدة وهي أكثر ، وقدتستعمل على قاعدة أرباب الميزان ، ومنه قوله تعالى : « لوكان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا » [2] فالغرض استكشاف عدم تعدد الآلهة و التصديق به من عدم الفساد والاستدلال به عليه ، وسيقت الآية الشريفة لذلك، لا لأن يراد بها أنّ علّة عدم الفساد في الخارج عدم تعدد الآلهة ، فلم يقصد لبيان سبب انتفاء الفساد ، بل لما ذكر أولاً .

وحينئذٍ فالمستفاد من الاستعمال الغالبي وطريقة اللغة الربط والسببيّة في القضايا الشرطيّة بأسرها بحسب التحقّق في الخارج، وربط وجود الجزاء بوجود الشرط فيه وكونه سببه، وانتفاؤه بانتفائه أيضاً، وانحصار السبب في الشرط، ويزيد

(١) والظاهر زيادة كلمة «الا» فلاحظ .

(٢) الانبياء : ٢٢

« لو » بإفادة انتفاء الشرط فينتفي الجزاء . فمداول « لو جاء زيد لأكرمته» ربط وجودالاكرام بمجيء زيدوربط انتفائه بانتفائه وانتفاء المجيء،فيكون سبباً لانتفاء الاكرام ،ومدلول «إذا جاء زيدفأكرمه» ربطوجود وجوبالاكرام بمجيء زيد وثبوت المجيء ، فيكون سبباً لثبوت وجوب الاكرام. ومدلول «إن» ربط وجود الجزاء بوجود الشرط فقط إن لم نقل بالمفهوم، ويزيد ربطالانتفاء بالانتفاء إن قلنا به . لكن لا دلالة لها على ثبوت الشرط بعد ليثبت الجزاء أو على انتفائه لينتفي .

وحينئذ يمكن أن يقال: إنّ معنى الشرط ربط الوجود بالوجود فقط في كلّ أدوات الشرط حتّى « لو » ولا مفهوم له بربط الانتفاء بالانتفاء ، ولا دلالة أيضاً على انتفاءالشرط أو وجوده وانتفاء الجزاء أووجوده، فهذا منشأقول الشلوبين، فيبتني على نفي المفهوم، وهوظاهر مقاله، ويحتمل أنّه يسلّمالمفهوم لكن يمنع دلالة « لو » على انتفاء الشرط وكذا على انتفاء الجزاء منجّزاً، فيتمّ قوله على القولين.

وأمّا قول من خصّها بالدلالة على امتناع الشرط خاصّة : فيبتني على نفي المفهوم وأنّ الشرط لمجرد ربط الوجود بالوجود،دون ربطالعدم بالعدم، فكلمة«لو» وإن أفادت انتفاء الشرط ، إلّا أنّه لا يلزم منه انتفاء الجزاء ، لعدم ارتباط العدم بالعدم. والغرض من عدم ربط العدم بالعدم عدم ربط عدمالجزاء بوجه كلّي بعدم الشرط ، بجواز خلف سبب آخر غير السبب المنتفي۔ وهوالشرط ۔ مقامه أوجب ثبوت الجزاء عند انتفائه ، و أمّا الفرد المسبّب من الشرط : فينتفي بانتفائه قطعاً على القول بالمفهوم وعدمه .

وهذا أيضاً معنى قولهم: بعدم استلزام انتفاء الملزوم لانتفاء اللازم، فيعنون به جوازوجوداللازم بسبب آخر قاممقامالملزومالمنفيّ. وتعليلهمبجوازأسبابمتعددة لمسبّب واحد وكون اللازم لملزومات متعددة والتزام استلزام نفي الملزوم اللّازم المساوي صريح فيذلك. فالقائلون بمفهوم الشرط يدّعون فهم انحصار السببيّة في

الشرط و كون الجزاء لازماً مساوياً له فينتفي الجزاء مطلقاً و كلّيّاً بانتفائه ، لوضوح انتفاء المعلول بانتفاء علّته، فحيث لم يكن هناك علّة اخرى يعدم المعلول أصليّاً و كلّيّاً عندانتفاء علّته الواحدة. والنافون للمفهوم يسلّمون لانتفاء الجزاء المترتّب على الشرط بانتفائه ، وغرضهم أنّ ربط الوجود بالوجود لايستلزم ربط العدم بالعدم، ويعنون به أنّ عدم كلّي الجزاء لايرتبط بعدم الشرط، لقيام علّة اخرى أثبتته حين انتفاء علّة هي الشرط، لا أنّ الجزاء الخاصّ والقدر المترتّب منه على الشرط يبقى مع انتفاء الشرط ، إذ هو يناقض ربط الثبوت بالثبوت الّذي هو منطوق الشرطيّة ، فإنكاره يناقض لفرض الشرطيّة . فحينئذٍ يحتمل بناء هذا القول على نفي المفهوم، ويحتمل بناؤه على أنّ الدلالة ليست بـ «لو» بل بمفهوم خارج عن اللفظ ثابت التزاماً ، أو أنّها بعقل مستقلّ. وعلى القول بكون المفهوم دلالة تضمّنيّة لايتأتّى هذا الاحتمال مع جوازه بنفي الدلالة المطابقيّة وقصد ذلك.

والأظهر من هذه الوجوه نفي الدلالة أصلاً لنفي مفهوم الشرط، فغايته دلالة « لو » على امتناع الشرط خاصّة، ويحتمل ثبوت الجزاء حينئذٍ بقيام علّة اخرى مقام الشرط المنفيّ .

و أمّا قول المشهور : فيبتني على ثبوت المفهوم للشرط و دلالة « لو » على انتفاء الشرط، فليزمه انتفاء الجزاء. وأنت خبير بثبوت المفهوم عرفاً ودلالة العرف بل الشرع في عدة أخبار عليه ـ كما بيّنّاه في محلّه ـ فيلزم هنا انتفاء الجزاء بعد استفادة امتناع الشرط من كلمة « لو » .

وأمّا القول الرابع : فيرجع إلى القول الأول ، وهو قول صاحب ق، وإنّما حصل بعد ذلك فيما يستفاد من الخارج من الدلالة. وقد أرجع بدرالدين بن مالك القول الثاني إلى الرابع ، فقال ـ بعد القول بإفادة « لو » لامتناع الشرط و أنّ جوابها وإن كان مساوياً للشرط في العموم لابدّ من انتفائه أيضاً ولو كان أعمّ من الشرط لابدّ من انتفاء القدر المساوي منه للشرط ـ ما نصّه: ولذلك تسمع النحويين

يقولون: « لو » حرف تدلّ على امتناع الشرط لامتناع غيره، أي يدلّ على امتناع الجواب لامتناع الشرط، ولا يريدون أنّها تدلّ على امتناع الجواب مطلقاً، لتخلّفه في مثل « لو ترك العبد سؤال ربّه لأعطاه » وإنّما يريدون أنّها تدلّ على انتفاء المساوي. ثمّ جعل الأولى أن يقال : إنّها تدلّ على لزوم شيء لشيء وكون الملزوم منتفياً ، ولا يتعرض لنفي اللازم ولا ثبوته ، لأنّه غير لازم من معناها .

أقول : وعلى ذلك يرجع القول الرابع والأول والثاني إلى واحد ، لكن ما ذكره بعيد من كلام النحويّين . وبما ذكر تقدر على إرجاع الأقوال إلى واحد. فقول الشلوبين نفي لحكم العقل لا في اللغة ، و كذا أهل الميزان . وأمّا في اللغة فيحتمل الأقوال الثلاثة الاخرى ، و قد عرفت رجوعها إلى واحد، فتنبّه لذلك . و أبعد هذه الأقوال من التحقيق قول الشلوبين ، بل هو مصادم للضرورة العرفيّة وجحدلها ، كما نصّ به في التشنيف و المغني : وهو واضح أيضاً . قال في الأول : فإنّ كلّ من سمع «لو فعل» فهم عدم وقوع الفعل من غير تردد، ولهذا جاز استدراكه، فتقول « لو جاءني أكرمته لكنّه لم يجيء » انتهى . و نحوه الثاني ، لكنّه زاد بالاستشهاد لذلك بالآيات [1] والأشعار .

ثمّ اللمّ في ذلك : أنّ تسليم إفادتها التعليق في المضي يستلزم ذلك، إذ الأمر الواقع الموجب لشيء لا معنى لتعليقه ، بل اللازم حينئذٍ إيجاب ما يترتّب عليه، والمفروض التعليق ، فإنّما يعقل فيما انتفى بأنّه لو وقع فرضاً لثبت ما يترتّب عليه . ونبّه عليه بدرالدين بن مالك في شرح ارجوزة والده ، قال : ومن ضرورة كون « لو » للتعليق في الماضي أن يكون شرطها منتفي الوقوع ، لأنّه لو كان

---

(١) في الانوار النعمانية: مسألة ـ قوله تعالى: «ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله» قال الشيخ شهاب الدين أحمد بن ادريس : قاعدة : «لو» أنها اذا دخلت على ثبوتيين كانا منفيين وعلى منفيين كانا ثبوتيين أو نفي وثبوت فالنفي ثبوت والثبوت نفي وبالعكس ، انتهى .

ثابتاً لكان الجواب كذلك ولم يكن تعليق في البين بل إيجاب لايجاب ، لكن «لو» للتعليق لا للايجاب، انتهى .

وبالجملة : فالتعليق في الماضي لايعقل سواء وقع الشرط أمانتفى ،إذاللازم إيجاب الجزاء في الأول و إيجاب انتفائه في الثاني ، و إنّما يعقل التعليق فرضاً على تقدير الوقوع بأنّه لو انتفى الشرط انتفى الجزاء ، و على تقدير عدم الوقوع بأنّه او لم ينتف الشرط لم ينتف الجزاء . بخلاف المستقبل ، لاحتمال وقوعه وعدمه في نفسه وإن جزم بوقوعه من خارج، فالتعليق إنّما يناسب الاستقبال . ومن هنا نفى الشرطيّة في الماضي بعض ، كما مرّ .

و ما ذكرناه من صورتي تعقّل التعليق في الماضى يشملها قولهم : « لو للامتناع» يعنون به أنّها لافادة انتفاء مضمون الجزاء لانتفاء مضمون الشرط، سواء كان مضمونهما أمرين ثبوتيّين أو عدميّين أو مختلفين ، ففي مثل قولك : « لو لم يجئني لم اكرمه » تريد انتفاء عدم الاكرام لانتفاء عدم المجيء ، بمعنى أنّه جاء فأكرمته ، وأنّ الاكرام للمجيء . وقد نصّوا بهذا التعميم .

وبهذا كلّه استصحّ إفادة « لو » للامتناع بحسب العرف و اللغة ، و بطل سائر الأقوال ، وظهر مستند المختار ومستند سائر الأقوال وبطلانه. لكن في كلام بدرالدين إشكال ـ و إن و افقناه في سابق الزمان ـ إذ التعليق في الماضى يمكن بجهل المخاطب ، وهو الأغلب في التعليق ، حتّى أنّهم قصّروا حقيقته عليه، وإن عرفت ما فيه . نعم كلامه يتّجه مع علم المتكلّم بما وقع ، هذا .

وأمّا كلام الميزانيّين : فقد عرفت أنّه أمر معنوي لا دخل له بباب الألفاظ وعدم جريه على الاستعمال الغالب، بل قدعرفت عدم صحّته في نفسه بعدم اطّراده في جميع صور التعليق المعنوي . ويمكن تصحيحه بأنّ قضيّة التعليق و الاشتراط في العرف إنّما هي سببيّة الشرط للجزاء ، وكون التعليق لمجرد العلامة ، مثل قولك : « إن كان النهار موجوداً فالشمس طالعة » خلاف الاستعمال الغالب . ثمّ

بعد ذلك يمكن الاستدلال عقلاً من انتفاء الجزاء على انتفاء الشرط وجعله علامة عليه، فغرضهم الاستكشاف و الاستدلال في القضيّة الشرطيّة من نفي التالي على نفي المقدم، لدلالة انتفاء اللازم على انتفاء الملزوم و انتفاء المسبّب على انتفاء جميع أسبابه وعلله، بخلاف العكس في جميع أقسام الشرط. فيطّرد في أدوات الشرط كلّها، سواء في ذلك كلمة «لو» وغيرها وأمّا العكس فلا، إذ لاملازمة عقليّة في العكس ولادلالة لفظيّة أو عقليّة، لعدم مفهوم للشرط. ويمنع بثبوت الثاني، كما عرفت. فمعنى قولهم: أنّ معنى الشرطيّة ربط الوجود بالوجود خاصّة، ولا تفهم ربط العدم بالعدم، وبه صرح الاستاذ العلّامة ـ رحمه الله ـ ونحن نردّ عليهم بفهم الثاني أيضاً. ثمّ على قولهم جاءوا بأمر معنوي زائد، و هو استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم، فاستكشفوه منه، ولا يجيء ذلك في العكس. فهذه علامة معقولة في القضيّة الشرطيّة المفيدة لسببيّة الشرط للجزاء و مبتنية على جعل الشرطيّة ربط الوجود بالوجود خاصّة، فلذا ينتج إثبات المقدم لعين التالي دون ربط العدم بالعدم أيضاً، و لذا لا ينتج نفي المقدم لنفي التالي. فلا بحث في شرطيّة جعلت علامة، لكونها خلاف حقيقة الشرطيّة. وغرض المعرب بين الدلالة في العكس لثبوت المفهوم وإن انتفت الملازمة العقليّة، و أمّا العلامة الصرفه فخارجة عن حقيقة الشرطيّة. وإلى ذلك يرجع كلام العلّامة التفتازاني في المطوّل، وإن يأباه عنه ظاهره ويوهم أنّ غرض أرباب الميزان الاستكشاف الصرف والعلامة المحضة، فمتى لم يقيّد بحقيقة الشرطيّة يرد عليه ماذكرناه من عدم تماميّة الملازمة فيما وقع الشرط لازماً والجزاء ملزوماً أو وقعا معلولين لعلّة. و يمكن أن يقال: غرض الميزانيّين أنّ في القضايا الشرطيّة بوجه مطلق يلزم عقلاً إنتاج عين المقدم لعين التالي ونقيض التالي لنقيض المقدم تحقيقاً للشرطيّة وربط الوجود بالوجود المستلزم وجود الأول للثاني ونفي الثاني لنفي الأول، وهذا لا ينافي تحقّق الدلالة في بعض أدوات الشرط على انتفاء المقدم وعلى انتفاء التالي له.

قلت: لا ينافي الأول لكنّه ينافي الثاني، إذ حيث لا ملازمة وارتباط للعدم بالعدم. وهو معنى المفهوم، لا دلالة للأدوات على انتفاء الثاني لانتفاء الأول، إذ ليست الدلالة وضعيّة.

فنقول عليهم: حقيقة الشرطيّة ربط كلّ من الوجود بالوجود و العدم بالعدم، فينتج معه عدم المقدم لعدم التالي كنفسه لنفسه، و كذا ينتج نقيض التالي لنقيض المقدم كشفاً، فليتأمّل.

و هناك تفصيل آخر يقرب من التفصيل الأول أو يرجع إليه، و هو أنّ «لو» تقتضي امتناع الشرط الّذي يليه واستلزامه لتاليه ثمّ ينتفي التالي إن ناسب المقدم، بأن يكون الترتيب بينهما مناسباً ولم يخلف المقدم غيره، نحو «لو كان فيهما آلهة إلّا اللّٰه لفسدتا»[1] بخلاف غيره كأن ناسب و خلف، نحو «لو كان هذا إنساناً كان حيواناً» إذ يخلف الانسان في ترتّب الحيوان غيره، كالحمار. وإن لم يكن الترتيب بينهما مناسباً لم يدلّ على انتفاء الثاني، بل على وجوده بالأولى، نحو «نعم العبد صهيب! لو لم يخف اللّٰه لم يعص [يعصه]» و كذا مع المساواة و كذا مع الأدونيّة، مثل «لو لم تكن ربيبتي لما حلّت للرضاع» و «لو انتفت اخوة النسب لما حلّت لي للرضاع» فالغرض منها أنّ الجزاء لازم الوجود في جميع الأزمنة وعلى تقديري وجود الشرط وعدمه، فمع انتفاء الشرط خلف سبب آخر - من أولى أو مساوٍ أو أدنى- مقامه، و القرينة موجودة، فتدبّر.

تنبيهات

الاول:

ما أشرنا إليه من اختلاف أدوات الشرط في الجزم بالوقوع وفي الجزم بعد الوقوع وفي الشك - كما نصّ به المعربون- يناقض ماشاع بين الاصوليّة وغيرهم من أصحابنا وغيرهم من امتناع حقيقة الشرطيّة على العالم بالعواقب، لاستلزامها للجهل والشكّ والتردد.

---

(١) الانبياء : ٢٢ .

والحقّ فساد ذلك و إن شاع وقرع الأسماع ، وما ذكروه من التثليث من شواهد ذلك ، لصدق حقيقة الشرطيّة من دون تجوّز في لفظ الشرط و لا أداتها . ويمكن تنزيل كلامهم على استلزام التعليق لتردد السامع المخاطب وتشكيكه في الوقوع والعدم ، وهو جيّد ، لكنّه لا يناسب استحالتهم لحقيقتها على العالم، إلاّ أن يحمل على السامع العالم أيضاً . و يدفعه أنّه لا ينافي الشرطيّة ، إذ شأنها التشكيك للسامع ، لا لزوم حصوله له .

والحقّ أنّ ما ذكروه قضيّة أغلبيّة، فحقيقة الشرطيّة «ربط شيءبشيء وبيان الارتباط بينهما » وله دواعٍ ، والداعي الغالبي جهل المتكلّم . وقد يكون الداعي بيان نفس السببيّة والارتباط للمخاطب وإن علم المتكلّم بالحال من وجود الشرط أو عدمه قبل أو في المستقبل . و قد يكون الداعي اختلاف من تعلّق بهم مضمون الخطاب في التلبّس بالشرط وعدمه . وقد يكون حسن التوطين فيأمر الآمر من يعلم بوجود الشرط فيه بأمر مشروط لاظهار جلالته بامتثاله، إذ في التنجيز إلزام بتّ، و في الاشتراط مجال عذر بتعذر الشرط، فمع الاقدام في السعة الخضوع أكثر.

و يترتّب على ذلك أنّ قولهم : « بامتناع حقيقة الشرطيّة والتعليق على العالم بالعواقب » لا حقيقة له ، إذ المستحيل عليه إنّما هو القسم الأغلبيّ منه ، لامطلق حقيقته . و نمنع انحصار الحقيقة في هذا القسم ـ كما راموه ـ لماعرفت من تحقّقها لدواعٍ اخر . والتزام التجوّز في جميع ماسوى هذا القسم دونه خرط القتاد ! بل وواضح الفساد ، كما حقّقناه في محلّ لائق به .

وهذه الشبهة سرت في نظائر هذا المقام، كالاستفهام والأمر وغيرهما، فاستحالوا حقيقة الأول على العالم، لنحو ماذكر، وفيه ماذكر. و كذا حصروا الأمر الحقيقي في الارادي ، وفيه أيضاً نحو ما ذكر. فالحقّ في الكلّ هو الوضع لما يعمّ أقسامه واختلاف الدواعي. وتوهّم انحصار الحقيقة فيما يكون بداعٍ غالب ومجازيّة غيره هو سبب الخطأ في الكلّ ، وهو باطل . نعم ، فيما انتفت الحقيقة أصلاً نصير إلى

التجوز ، فالأمر وطلب الشيء حتماً لارادة المأمور به أو للتوطين أو للابتلاء كلّها حقيقة على حدّ سواء. نعم، لو اورد أمر ينتفي معه الطلب أصلاً ـ كقصد التسخير أو التعجيز أونحوهما ـ يكون مجازاً ، فليتدبّر ذلك .

وعلى ما ذكروه فالخطابات المشروطة من الله سبحانه المتعلّقة بقاطبة المكلّفين ـ ومنهم الفاقدون للشرط ـ تنحلّ إلى خطابين: سلبي بالنسبة إلى الفاقد للشرط، وثبوتي بالنسبة إلى الواجد له . وعلى مقالتهم يلزم التجوّز في الشرطيّة في الكلّ . وعلى ما ذكرناه تنحلّ إلى خطابين أيضاً كما ذكر ، لامتناع هذا القسم الغالبي من الشرط ـ أي المسبّب من الجهل والترديد في التلبّس بالشرط وعدمه ـ على الله سبحانه ، فلا فرق بيننا وبينهم في الانحلال المزبور ، لكن لا تجوّز عندنا والتزموه. وأنت خبير بما في التزامه فيها كلّها مع كثرتها ! وكذا الحال في الأمر، والحال أنّ من المأمورين من يطيع ومنهم من يعصي ومنهم من يقدر على الاتيان ومنهم من لا يستطيع، فيلزمهم التجوّز في الكلّ ، بل الجمع بين المعنيين ـ الحقيقي والمجازي ـ في استعمال واحد ، ولا يلزمنا ذلك المحذور أصلاً. وقد حقّقنا حال هذه المقالة وأبسطناها وأوضحناها وبيّنّا فروعها وثمراتها بما لامزيد عليه في الاصول، والله المشكور والمسؤول للتوفير والمزيد .

الثاني :

مافسّرنا به المفهوم المتنازع فيه ـ من امتناع الجزاء بامتناع الشرط (أي على تقديره) وبعبارة اخرى: على حدّ الاثبات في المنطوق ـ يجامع الأقسام الثلاثة للشرط (ما يجزم فيه بالوقوع ، وبالعدم ، وما يتردد فيه) فالجزم بوقوع الشرط كما في «إذا» أو بعدمه كما في «لو» لاينافي المفهوم ، كما لاينافي المنطوق ، على ما حقّقناه .

وعلى ما قالوه يلزم المنافاة فيهما والاستحالة ـ وهو نصّهم ـ إذ أحالوا مع العلم حقيقة التعليق، فلا منطوق ولامفهوم . ثمّ الفرق بين ماذكرناه من الامتناع

في «لو» و المفهوم واضح ، إن الأول امتناع الشرط منجّزاً و كذا انتفاء الجزاء لانتفائه، والمفهوم انتفاؤه على تقدير انتفائه ، فالثاني هو مبنى انتفاء الجزاء لانتفاء الشرط، كما يستفاد من «لو» و نظيره إفادة «إذا» الجزم بوقوع الشرط، فيلزمه الجزم بالمشروط معه ، و هو يباين منطوق الشرط الّذي هو ترتيب الجزاء على الشرط ، ويبتني الأول على الثاني ـ أي المنطوق ـ فتدبّر .

الثالث :

إنّما أتى بكلمة «لو» تنبيهاً على انتفاء الاجتماع على محبّة أمير المؤمنين عليه السلام وعلى انتفاء عدم خلق النار، على التحقيق المختار كما مرّ . وحينئذٍ لو اجتمعوا على محبّته عليه السلام أدخلهم كلّهم في الجنّة ، بل لم يخلق النار، ولّما افترقوا يدخل المحبّين في الجنّة والمبغضين في النار ، فصار «قسيم الجنّة والنار» لتلك النكتة.
و استكشف صلى الله عليه وآله عدم اجتماعهم على محبّتة عليه السلام من الحسّ و المشاهدة لكثير منهم على النفاق والعداوة ومتلبّسين بضدّ صفات المحبّين، ومن إخباره تعالى بذلك وتعذر الطغام لوصيّه ـ عليه وعليه السلام ـ وهجومهم عليه وغصب حقّه وعبادة العجل وتقديمهم للجبت والطاغوت عليه وظلمهم له ولسائر أهل بيته وخذلانهم بل وقتلهم وسبي ذراريهم ـ و مع إرادة جميع الناس هذه الامّة و من شيعتهم الأمر أوضح ـ و من العلم بذلك من نفس انتفاء الجزاء (أي خلق النار) إذ يستكشف من انتفاء الجزاء انتفاء الشرط وينتج رفع التالي لرفع المقدم ، كما تقدم ، هذا .

وأمّا الاجتماع : فهو ضدّ الافتراق وهو بظاهر إطلاقه يعمّ الاجتماع الارادي على سبيل علم كلّ بفعل الآخر. وقصد ذلك و عدمه ،فلا يشترطان، بل يكفي تحقّق الاجتماع وإن لم يعلموا به ولم يقصدوه أو اختلفوا في ذلك . وهذا التعميم قضيّة ما يأتي من السرّ واللمّ لترتّب عدم ذلك الجزاء على عدم هذا الشرط أيضاً .

وأمّا الناس: فيحتمل أن يراد به ما يعمّ الانس والجنّ ، كما في القاموس، واختاره

بعض مستدلاً عليه بقوله تعالى: «في صدور الناس من الجنّة والناس». و بذلك يتّضح حال المقام، إذ بعد اجتماع الثقلين - ذكرانهما و اناثهما - على الولاية والايمان لا باعث على خلق النار، لانحصار المكلّفين فيهما. ويدلّ على هذا التعميم الرواية الثالثة والخامسة والسابعة.

والتشبيه في الرواية بمحبّة أهل السماوات: إمّا بحسب الاجتماع أو الكلّيّة - كما يكشف عنه سائر الروايات - أو بحسب الكمّيّة و الكمال، والأمر حينئذٍ في غاية الوضوح والظهور.

وأمّا لو قلنا باختصاصه بالانس - كما هو المتبادر في العرف، وعليه بعض. وأجابوا عن الآية باحتمال كون الناس فيها مخفّف «الناسي» مثل «لو يدع الداع» وهو الأظهر تقديماً للعرف على اللغة لو ثبتت المغايرة، مع أنّها ممنوعة - فيشكل الأمر حينئذٍ. لكن لاغرو في تبعيّة الجنّة للناس في الثواب و العقاب و منع اجتماع الناس على الايمان و الولاية عن خلق النار - ولو للجنّة - و إن لم يوافقوهم في الايمان و المحبّة، ولاغضاضة في هذه التبعيّة. و يحتمل تخصيص النفي بنارهم ومغايرة نارهم لنار الجنّة كجنّتهم، كما سيجيء إن شاء الله، ويحتمل الاختصار في الذكر على الأهمّ، وهو الناس.

وهذه الوجوه آتية في سائر الامم لو اريد من «الناس» خصوص هذه الامّة، ولو عمّ لا إشكال. نعم، يشكل حينئذٍ بأنّ سائر الامم كلّهم أو جلّهم لم يسمعوا به عليه السلام ولم يكلّفوا بولايته، فلا يعقل اجتماعهم على ولايته. ويرتفع بأنّ القضيّة الشرطيّة لاتعتمد [على] إمكان المقدم، فالغرض إظهار فضله عليه السلام وإن لم يعقل الفرض عادةً. مع أنّ عدم تكليف سائر الامم بالولاية واعتقاد أفضليّتهم عليهم السلام ممنوع. على أنّ الفرض يمكن بوجه آخر، هو عدم تعذيب محبّيه، فالمقصود إنشاء ذلك، إذ مع اجتماع كلّ أهل الدنيا على حبّه - و إن لم يعقل الفرض أو لم يتحقّق عادةً - لانتفى خلق النار، فإيجاب حبّه لرفع العذاب عن محبّيه بعد انتفاء

الاجتماع وخلق النار بالأولى . وحينئذٍ يصير هذه الأخبار كناية عن عدم تعذيب المحبّين ودالّة عليه بمنطوقها، كأخبار كثيرة اخرى يأتي بعضها إن شاء الله، وسيجيء وجوه اخر إن شاء الله مع بيان الوجوه المزبورة وتوضيحها .

و أمّا الولاية : فقال بعض أفاضل العصر قدس سره في بعض تحقيقاته : معنى الولاية في اللغة بفتح الواو: النصرة والصداقة والدنوّ والقرب ، و بكسر الواو : الأمارة والسلطان ، وفي العرف الظاهر : النيابة والقيام بأمر الشيء والقيام عليه، انتهى .

أقول : قال في القاموس : «الولي» القرب والدنوّ والملك والمطر بعد المطر ووليت الأرض بالضمّ، والولي الاسم منه والمحبّ والصديق والنصير، وولي الشيء وعليه ولاية وولاية، أوهي المصدر، وبالكسر الخطّة والأمارة والسلطان، وأوليته الأمر ولّيته إيّاه، والولاء الملك، والمولى المالك والعبد والمعتق والمعتق والصاحب والقريب -كابن العمّ ونحوه- والجار والحليف والابن والعمّ والنزيل والشريك و ابن الاخت و الوليّ و الربّ و الناصر والمنعم و المنعم عليه والمحبّ والتابع والصهر ، انتهى .

و كيف كان : المراد هنا الحبّ، ويدلّ عليه تبديلها به في أكثر الروايات ، ومرجعهما إلى واحد. والغرض حبّهم عليهم السلام ونصرتهم والاعتراف بإمامتهم والدنوّ منهم وتقديمهم على غيرهم والاحتجاب بذمّتهم وإطاعتهم والخضوع لهم والانقياد لسلطنتهم وإمارتهم وجعلهم أولى بهم من أنفسهم ، فكلّ هذه من لوازم الحبّ و الولاية ، كما سنوضح جميع ذلك إن شاء الله تعالى . ثمّ عند أهل البيت عليهم السلام و شيعتهم كلّما يطلق الولاية فالمقصود و المعهود ولايتهم عليهم السلام كما سيجيء في أخبار كثيرة في بناء الاسلام على خمس وعدّ منها الولاية . وفي الأخبار المزبورة اضيفت إلى عليّ عليه السلام وفي بعضها التصريح بأبيه -عليه وعليه السلام- أيضاً .

ووجه الاول : إمّا الأهمّيّة و الاقتصار في الذكر على الأهمّ أو التلازم وعدم انفكاك محبّته عليه السلام عن محبّة الرسول صلى الله عليه وآله وسائر الأئمّة والزهراء عليهم السلام و كون إنكار بعضهم كإنكار الكلّ و كفراً ، كما تدلّ عليه نصوص يأتي بعضها إن شاء الله تعالى أو معروفيّة كون حبّه وبغضه عليه السلام علامتي الايمان والنفاق عند الصحابة، وقد خصّه الله تعالى بذلك من بين الأئمّة بحكمة خفيّة علينا ، كما يدلّ عليه بعض النصوص ، مثل مارواه في البحار مسنداً عن عليّ عليه السلام قال: « إنّ بني فاطمة يشترك في حبّهم البرّ والفاجر وإنّي كتب لي أن يحبّني كلّ مؤمن ويبغضني كلّ منافق »(١) والغرض التنصيص باختصاصه بذلك،وأمّا أخبار أنّه لا يحبّه إلّا مؤمن و لا يبغضه إلّا منافق أو أخبار معروفيّته بذلك عند الصحابة فهي كثيرة، وحينئذٍ فالاجتماع على حبّه يكشف عن الاجتماع على الايمان. فعدم خلق النار حينئذٍ لذلك . أو تأتّي حبّه و ولايته و التكليف به في كلّ الامّة من صدر الاسلام إلى آخر الزمان ، بخلاف سائر الأئمّة عليهم السلام إذ لم يكلّفوا في صدر الاسلام بولاية الأواخر منهم عليهم السلام فهو الميزان والمعيار في الجميع وعلى سبيل الاطّراد دون غيره .

ووجه الثاني : شدة الحرص على تعيين الحجّة والصراط المستقيم والتأكيد و الاهتمام في تبليغ أمر الله تعالى في الولاية و الوصاية و الامامة ، كي لا يبقى مجال لتلبيس الأبالسة في صرفها عن محلّها و التأويل ـ على وفق معترفهم ـ بجعلها لغيره عليه السلام و لكنّ الناس لا خير فيهم . و هذا الوجه آتٍ في الأول أيضاً . و قد فعل ذلك في حديث غدير خمّ بالتعيين بالاشارة ، فلمّا لم يجدوا سبيلاً إلى إنكار الموصوف المشار إليه أنكروا الصفة المعيّنة وردّدوها بين معانٍ خمسة أو أكثر وأبهموها بلا إمعان ورويّة، وما دروا ـ أعمى الله أبصارهم ـ تعيين المراد فيها أيضاً ببيان سابق، هو قوله صلى الله عليه وآله : « ألست أولى بكم من أنفسكم »(٢) بل لا يناسب

---

(١) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢٥٣ ح٢٤ .

(٢) بحار الانوار : ج٢١ ص٣٨٧ .

المقام لغير المعنى المقصود ، إذ سائر ما احتماوه : منها ـ ما يرجع إلى المقصود : من الامامة والخلافة والأولى بالتصرف. ومنها ـ مالايناسب الحال والمقام: من حبس جمع كثير في شدة الحرّ والظمأ والتعرض لبيانه ، بل لا يصدر مثله من عاقل .

ثمّ إضافة الولاء والحبّ في تلك النصوص : إمّا من إضافة المصدر إلى الفاعل أو إلى المفعول .

فعلى الأول : المجرور ـ المكسور ببغي من القوم ـ فاعل ما فعل : من حسن المواساة والصبر على المتابعة والتمكين والانكسار عملاً بالوصيّة وانقياداً لأمر الله ورسوله ﷺ وإلّا فكان قادراً على أن يفعل بهم ماشاء بأول مرة .

و على الثاني : المجرور ـ على حبّ بقاء الدين و نظم المسلمين ـ إلى نحو الخليفة مجبور على الكسر والتبعيّة ، وهو في الحقيقة منصوب للخلافة بفعل من الله رسوله ومفعول به مع استحقاقه لها والتعظيم والتسليم مالايستحقّه من الظلم والتقديم عليه بسفاهة وغباوة . والمعنيان متقاربان أو متلازمان ، كما سيبيّن إن شاءالله المنّان .

ثمّ منطوق الأخبار ترتّب عدم خلق النار على الاجتماع على محبّته ،ومفهومها انتفاء عدم خلق النار ـ أي خلقها ـ عند انتفاء الاجتماع المزبور ، بأن اجتمعوا على عدم المحبّة أو اختلفوا فيه ، كمافي كلّ أدوات الشرط .

ويزيد «لو» ـ بناءً على مامرّ ـ بإفادة انتفاء الاجتماع علي المحبّة وانتفاء عدم خلقها ـ أي ثبوت خلقها ـ و يدلّ بالفحوى على عدم تعذيب المحبّين بها ، إذ مع منع الاجتماع عن خلقها فمنع المحبّة عن التعذيب مع عدم الاجتماع و خلقها بالأولى . ويمكن منع الفحوى وفهم الاستلزام ، فمحبّة الكلّ يستلزم عدم تعذيب الكلّ ، ولايبقى فائدة في خلقها حينئذٍ ، فلايخلق ، ومحبّة البعض يستلزم عدم تعذيب المحبّين خاصّة بها . ويمكن منع الفحوى والاستلزام معاً، وهو الأظهر، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وتفيد أيضاً ـ على ما مرّ من اختصاصها بماضويّة الشرط والجزاء ـ انتفاء الاجتماع المزبور حين صدور الخطابات وخلق النار حينئذٍ ، فكذلك الجنّة ، للاجماع المركّب .

ولنذكر جميع ماذكر في فصول :

فصل

دلالة الأخبار على منطوقها واضحة . وإنّما الاشكال في سرّ ذلك ، ويمكن بيان ذلك بوجوه :

الاول : الوجه المجمل، وهو أنّ المستفاد من الأخبار أنّ مدار دخول الجنّة النار حبّه وبغضه عليه السلام فلو اجتمعوا على حبّه لا يعذّب أحد بالنار، فلافائدة في خلقها، ولو اتّفقوا على بغضه لايدخل الجنّة أحد ممّن سواهم وإنّما يختصّون عليهم السلام بدخول الجنّة . ولو اختلفوا في ذلك ـ كما هو الواقع ـ يحصل القسمان : النار للمبغضين والجنة للمحبّين ، فخلقتا معاً . و لهذا المعنى صار « قسيم الجنّة والنار » وهذا يستلزم عدم تعذيب المحبّين بالنار، وهو خلاف المختار. لكن يصحّ ذلك بما يأتي: من عدم دخول المحبّين في النار الأصليّة ، أوعدم الدخول للتعذيب بل للتطهير ونحوهما . وينطبق ذلك المجمل على الوجه المفصّل الآتي .

ثمّ بهذا البيان تقدر على جعل الأخبار الدالّة على عدم تعذيب المحبّين دالّة على المقام ، إذ هي تعمّ كون المحبّ واحداً أوأكثر أوجميع الخلق، فعلى الأخير لايعذّب أحد بالنار ، فلافائدة في خلقها، فتقتضي الحكمة حينئذٍ عدم خلقها على تقدير الاجتماع على الولاية . و قد تقدم احتمال العكس أيضاً ، بجعل أخبار المقام كناية عن عدم تعذيب المحبّين بالنار و كون المدار في الجنّة و النار على حبّه وبغضه ، وعلى ذلك يصير مفاد أخبار المقام وأخبار عدم تعذيب الموالين بالنار وأخبار جعل الجنّة للمحبّين والنار للمبغضين وأخبار كونه قسيم الجنّة

والنار كلّها واحداً، ومعنى الجميع «كون النجاة بحبّهم والهلاك ببغضهم» فالغرض من الكلّ واحد، وهو أنّ دخول الجنّة بحبّهم وأنّه بلغ قدرهم إلى أنّه لو أحبّهم جميع الخلق لايعذّب بالنار أحد ونجوا جميعاً بحبّهم، ولو أبغضهم الكلّ هلكوا جميعاً ببغضهم، ولمّا اختلفوا صار «قسيم الجنّة والنار» أي الجنّة ودخولها بحبّه والنار ودخولها ببغضه، فكانّه قسيم الجنّة والنار. وهذا صحيح، لكنّه لمن لايحتمل عقله أزيد من ذلك بحسب الجزءين، أي كون دخول الجنّة بحبّه والنار ببغضه وكونه قسيماً لهما بهذا المعنى.

الوجه الثاني: وهو مجمل أيضاً، لكنّه أعلى محلاّ ممّا ذكر ولمن بلغ مقاماً أعلى، وهو أنّ حبّه إيمان وبغضه كفر ونفاق، ومرجع كلّ العقائد الحقّة والطاعات إلى حبّه. وكلّ الكفر والمعاصي ترجع إلى بغضه، فالايمان والكفر هما الحبّ والبغض ـ كما في الأخبار ـ ويأتي سرّ ذلك وبيانه. فالمراد حبّهم المستلزم للايمان، إذ من لم يعرفهم ولم يعتقد بإمامتهم وقدّم عليهم الجبت والطاغوت فهو عدوّهم على الحقيقة، فالمراد من المحبّ «المؤمن» فلو أحبّهم الكافر لاأثر له هنا وإن أثّر في منع العذاب بعد خلق النار، فلو اجتمعوا على حبّه لم يخلق النار، لأنّ الجنّة للمؤمنين والنار للكافرين، كما في الآيات والأخبار.

قال مولانا الرضا عليه السلام فيما كتبه للمأمون من محض الاسلام وشرائع الدين: «والله عزّوجلّ لايدخل النار مؤمناً وقد وعده الجنّة، ولايخرج من النار كافراً وقد أوعده النار والخلود فيها، ولايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء، ومذنبو أهل التوحيد لايخلدون في النار ويخرجون عنها، والشفاعة جائزة لهم» الحديث [1].

والمراد بجواز الشفاعة هو في الابتداء ـ بأن لايدخلوا النار ـ فلا ينافي تحتّم عدم الخلود، أو أعمّ، فلا يخلدون يقيناً ويخرجون بالشفاعة وإن استحقّوا الخلود

(١) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص١٢٤.

فإنّ الجزاء العدل بأول معصية الخلود في النار ، وتكون المغفرة بالتوبة أو بالعفو أو بالشفاعة ابتداءً ، و كذا الاخراج من النار بالشفاعة أو بالعفو كلّها تفضّلاً ، كما يظهر من الصحيفة السجّادية عليه السلام .

ومعنى كونه قسيم الجنّة والنار قوله عليه السلام للنار : خذي هذا واتركي هذا وإدخاله في الجنّة . فهذا وجه آخر هو باطن الأول والأول ظاهر هذا ، و كلاهما صحيحان في مقامه وينطبقان على الوجه المفصّل الآتي ، و لامخالفة بينهما أصلاً .

روى الصدوق رحمه الله في العيون عن تميم بن عبدالله بن تميم القرشي ، قال: حدّثني أبي ، عن أحمد بن عليّ الأنصاري ، عن أبي الصلت الهروي ، قال : قال المأمون -عليه اللعنة- للرضا عليه السلام: يا أبا الحسن أخبرني عن جدك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بأيّ وجه هو قسيم الجنّة والنار وبأيّ معنى؟ فقد كثر فكري في ذلك،فقال له الرضا عليه السلام : يا أمير المؤمنين ! ألم ترو عن أبيك ، عن آبائه، عن عبدالله بن عبّاس أنّه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : حبّ عليّ إيمان وبغضه كفر؟ فقال : بلى ، فقال الرضا عليه السلام : فقسمة الجنّة و النار إذا كانت على حبّه وبغضه فهو قسيم الجنّة والنار ، فقال المأمون : لا أبقاني الله بعدك يا أباالحسن ، أشهد أنّك وارث علم رسول الله صلى الله عليه وآله. قال أبو الصلت الهروي: فلمّا انصرف الرضا عليه السلام إلى منزله أتيته ، فقلت له : يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله ما أحسن ما أجبت به أمير المؤمنين ! فقال الرضا عليه السلام : يا أبا الصلت إنّما كلّمته من حيث هو ، ولقد سمعت أبي يحدّث عن آبائه ، عن عليّ عليه السلام أنّه قال : قال لي [1] رسول الله صلى الله عليه وآله يا عليّ أنت قسيم الجنّة والنار يوم القيامة تقول للنار هذا لي وهذا لك . [2]

وروى قبل ذلك متّصلاً به مسنداً عن الحسن بن عليّ بن فضّال ، عن أبيه قال : سألت أبا الحسن عليه السلام فقلت له : لم كنّي النبي صلى الله عليه وآله بأبي القاسم ؟ فقال:

(١) في المصدر «قال رسول الله» بدون كلمة «لي» .
(٢) عيون أخبار الرضا : ج٢ ص٨٤ح٣٠ .

لأنّه كان له ابن يقال له: «قاسم» فكنّي به، قال: فقلت له: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله فهل تراني أهلاً للزيادة؟ فقال: نعم، أما علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أنا وعليّ أبوا هذه الامّة؟ قلت: بلى، قال: أما علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أب لجميع امّته وعليّ منهم؟ قلت: بلى، قال: أما علمت أنّ عليّاً قاسم الجنّة والنار؟ قلت: بلى، قال: فقيل له: «أبو القاسم» لأنّه أبو قاسم الجنّة والنار: فقلت: وما معنى ذلك؟ قال: إنّ شفقة النبيّ صلى الله عليه وآله على امّته شفقة الآباء على الأولاد، وأفضل امّته عليّ، ومن بعده شفقة عليّ عليه السلام كشفقته صلى الله عليه وآله لأنّه عليه السلام وصيّه صلى الله عليه وآله وخليفته والامام من بعده صلى الله عليه وآله [1] فلذلك قال صلى الله عليه وآله: أنا وعليّ أبوا هذه الامّة، وصعد صلى الله عليه وآله المنبر، فقال: من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ وإليّ، ومن ترك مالاً فلورثته، فصار لذلك [2] أولى بهم من آبائهم وامّهاتهم وأولى بهم منهم بأنفسهم، وكذلك أمير المؤمنين بعده جرى ذلك له مثل ما لرسول الله صلى الله عليه وآله [3].

وروى ـ رحمه الله ـ في محكيّ كتاب العلل بإسناده عن المفضّل بن عمر، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: بما صار عليّ بن أبي طالب قسيم الجنّة والنار؟ قال: لأنّ حبّه إيمان وبغضه كفر، وإنّما خلقت الجنّة لأهل الايمان وخلقت النار لأهل الكفر، فهو قسيم الجنّة والنار لهذه العلّة، والجنّة لا يدخلها إلّا أهل محبّته والنار لا يدخلها إلّا أهل بغضه، قال المفضّل: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله فالأنبياء والأوصياء هل كانوا يحبّونه وأعداؤهم يبغضونه؟ فقال: نعم، قلت: فكيف ذلك؟ قال: أما علمت أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، ما يرجع حتّى يفتح الله على يده؟ قلت: بلى، قال: أما علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا اوتي بالطائر المشويّ قال: اللّهمّ ائتني

---

(١) في العيون «والامام بعده».

(٢) في المصدر «بذلك».

(٣) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٨٤ ح٢٩.

بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطائر ، وعنى به عليّاً عليه السلام ، قلت : بلى ، قال: يجوز أن لا يحبّ أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله؟ فقلت : لا ، قال: فهل يجوز أن يكون المؤمنون من اممهم لا يحبّون حبيب الله وحبيب رسوله وأنبيائه عليهم السلام ؟ قلت : لا ، قال : فقد ثبت أنّ جميع أنبياء الله ورسله وجميع المؤمنين كانوا لعليّ بن أبي طالب عليه السلام محبّين، وثبت أن المخالفين لهم كانوا له ولجميع أهل محبّته مبغضين ؟ قلت : نعم ، قال : فلا يدخل الجنّة إلّا من أحبّه من الأولين والآخرين ، فهو إذاً قسيم الجنّة والنار . قال المفضّل ابن عمر : فقلت له : يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله فرّجت عنّي فرّج الله عنك ، فزدني ممّا علّمك الله ، فقال : سل يا مفضّل ، فقلت : أسأل يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله فعلي ابن أبي طالب يدخل محبّه الجنّة ومبغضه النار أو رضوان ومالك؟ فقال: يا مفضّل أما علمت أنّ الله تبارك وتعالى بعث رسوله وهو روح إلى الأنبياء عليهم السلام وهم أرواح قبل خلق الخلق بألفي عام؟ قلت : بلى . قال : أما علمت أنّه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته واتّباع أمره ووعدهم الجنّة على ذلك وأوعد من خالف ما أجابوا إليه وأنكره النار ؟ قلت : بلى ، قال : أفليس النبيّ صلى الله عليه وآله ضامناً لما وعد وأوعد عن ربّه عزّ وجلّ؟ قلت: بلى، قال: أوليس عليّ بن أبي طالب عليه السلام خليفته وإمام امّته؟ قلت : بلى ، قال : أوليس رضوان ومالك من جملة الملائكة والمستغفرين لشيعته الناجين بمحبّته ؟ قلت : بلى ، قال ، فعليّ بن أبي طالب إذاً قسيم الجنّة والنار عن رسول الله صلى الله عليه وآله ورضوان ومالك صادران عن أمره بأمر الله تبارك وتعالى يا مفضّل خذ هذا ، فإنّه من مخزون العلم ومكنونه لا تخرجه إلّا إلى أهله[1].

اعلم ـ وفّقك الله سبحانه وتعالى للحكمة وجعلك من أهلها ـ أنّ لكلام الرسول صلى الله عليه وآله وكلام أهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين محامل ومخارج وظواهر وبواطن إلى السبعين يريدونها ولا يكذبون ، وكلّها صحيح

(١) علل الشرائع : ص١٦١ .

بالنسبة إلى كلام واحد ، ولكلّ أهل ، كما ورد في النصوص . وهم عليهم السلام يكلّمون الناس على قدر عقولهم ويعالجون أمراض جهلهم بما يقتضي إصلاحهم ويوافق مزاجهم وبحسب استعداداتهم ، فيلقون إلى واحد معنى هو أهله وإلى آخر آخر وهكذا . فالكلام الملقى إلى جماعة الناس يراد من كلّ واحد مرتبة من المعنى يغاير مايراد من الآخر، وكلّ هذه مراتب لمعنى واحد، وكلّ واحد أهل لما يستعدّ له وللمعاني روح وصور وظواهر وبواطن ، فلا كذب ولا استعمال في معاني متعددة ، والكلّ صحيح ووجوه لمعنى واحد ومراتب ودرجات له. وذلك كلّه للاستصلاح ولئلّا يضلّوا وليهتدوا ولا يظلمون ولا يهلكون ، مثل المرضى يعالج واحد بدواء لو عولج به آخر لهلك . ونظير ذلك الواجب المشروط يلقى إلى جماعة مختلفين في وجدان الشرط وعدمه ، فيراه الوجوب بالنسبة إلى الواجدين له والعدم بالنسبة إلى الفاقدين ، والخطاب واحد ، مثل قوله تعالى : « ولله على الناس حجّ البيت» [1] فيجب على المستطيع دون غيره ، فكذا بحسب الارادة من وجد شرط معنى وبلغ مبلغ إدراكه واستعدّ له يفهمه ومن هو دونه لا يصل إلى مرتبة أعلى ولا يدرك لها ، وكما في درجات الآخرة ونعيمها ربما يتّحد الصورة ويدرك أهل المرتبة العليا ما هو لأهل السفلى ويزوره دون العكس ليفرحوا بما عندهم ، و« كلّ حزب بما لديهم فرحون» [2] وكما في الدنيا يعطي السلطان عامّة الرعايا بالعطاء والعطاء واحد، مع أنّ كلّ صنف له حظّ، فالفقير المسكين يلتذّ بوصول النعمة الحسّيّة ورفع الفاقة ، والوزير ينظر إلى قرب السلطان وإعطائه بيده الشريفة، والمتوسّطون في وسط من ذلك . وهذا المعنى مركوز في أذهان الناس وأصحاب الأئمّة عليهم السلام ولذا قالوا : هل تراني أهلاً للزيادة ؟ وسألوها، وعرفوا اختلاف الدرجات على حسب اختلاف طبقات الناس وإدراكاتهم ،فلكلامهم ظواهر وبواطن وكلّ يتعدد ، والكلّ حقّ وصدق .

---

(١) آل عمران : ٩٧ . (٢) المؤمنون:٥٣ .

فما قيل في معنى « أبي القاسم» أو في معنى كونه «قسيم الجنّة والنار» كلّها صحيح ، لا أنّ بعضها كذب باطل وبعضها صدق وحقّ ، حاشا عن ذلك ! فما قال عليه السلام للمأمون وجه لمعنى «قسيم الجنّة والنار» على حسب ما هو عليه ، وإن كان في مقام التقيّة ، وكذا ما قال لأبي الصلت .

وكذا ما ورد في اجور الأعمال ، مثل زيارة مولانا الحسين عليه السلام من أنّه مثل الحجّ أو كعشرة أو سبعين أو سبعمائة أو أزيد [1] فلكلّ أحد مقدار معرفة بمقامه عليه السلام و ثواب زيارته على حسب ولايته و معرفته ، فالاختلاف لاختلاف الزائرين والسائلين .

وأيضاً ربما يستبعد بعضهم مقداراً فيكفر لوسمع ، فيلقى إليه مايقبله كي لاينكر ويكفر، فلوقيل لأحد: «مثل حجّ» صح، ولو قيل لآخر :« كعشرة» صحّ ، أو «ما يعادل الألف» صحّ أنّه كعشرة وعشرين ومائة إلى الألف .

والحاصل : أنّهم عليهم السلام الحكماء الالهيون وامناء ربّ العالمين يراعون المصالح والمفاسد ويضعون الأشياء مواضعها ، وأطبّاء النفوس يكمّلونهم ويعالجون أمراضهم معالجة الطبيب المريض، فيلقون الآداب والمعارف ومعالم الدين ظاهرها وسرها إليهم على حسب استعداداتهم وقابليّتهم ، فيوقفون الأحرار على الأسرار ويزوونها عن الأشرار والفجّار وضعفاء العقول و يحمونهم حمية الطبيب المريض عمّا يضره من الأغذية ، ويعطون الحكمة أهلها ، ويمنعونها من لم يتأهّل لها ، كي لا يظلموا أهل الحكمة أوالحكمة . ويفتحون باب الرجاء لمن علموا إشرافه على اليأس من رحمةالله ، وباب الخوف لمن خافوا غروره .

وهكذا مراعين في ذلك بقاءهم في الظاهر والباطن ، أي هدايتهم . ولذا كتم النبيّ صلى الله عليه وآله أكثر فضائل عليّ عليه السلام خوفاً من الغلوّ فيه والضلالة أو الانكار والكفر و أمروا أصحابهم بمخالفة الحقّ اتّقاءً عليهم أو على أنفسهم ، كما في وضوء

(١) كامل الزيارات : ص١٦١ .

«عليّ» بن يقطين» وغيره، وربما عيّبوه لنحو ذلك، كما في «زرارة».

يشير إلى ذلك قوله عليه السلام: «لو علم أبوذر ما في قلب سلمان لقتله»[1] ففيه أمر بمنعه له ما في قلبه من الأسرار وكذا قوله عليه السلام: «إنّ هنا لعلوماً جمّة لو وجدت لها حملة»[2] وغير ذلك.

فأنبؤوهم بأنّ لكلّ شيءأهلاً وليس كلّ أحدأهلاًلكلّ شيء، وأصحابهم أذعنوا بذلك، ولذا قالوا: «أولست صاحب سرك؟» و«هل تراني أهلاً للزيادة؟» وورد عنهم «أنّ أحاديث آل محمّد صلى الله عليه وآله صعب مستصعب خشن مغشوش فانبذوها إلى الناس نبذاً، فمن عرف فزيدوه ومن أنكرفأمسكوا عنه»[3].

وانظر إلى صنيعة سيّدنا ومولانا أبي عبدالله الحسين عليه السلام كيف ذكر نسبه الشريف وأتى بولده الصغير، وقال: هذا لاذنب له في مذهب، وقال عليه السلام: «هل حرّمت حلالاً أو حلّلت حراماً؟»[4] إلى غير ذلك، كي يتنبّهوا ويتذكروا.

وإلى فعل السجّاد لحنّان في الحمّام وتلطّفاته وقوله عليه السلام: «أنتم الشعار دون الدثار»[5] وغير ذلك.

وإلى صنيعة الحسنين عليهما السلام مع الشيخ الذي أساء في الوضوء ولم يحسنه ومعارضتهما تبليغاً للأحكام وإجلالاً لذي الشيبة المؤمن[6].

وإلى صنيعة خير البشر مع الشابّ المسمّى بالبهلول و فتحه له أولاً باب الرجاء لمّا أحسّ منه اليأس، ثمّ فتح باب التوبة عليه، ثمّ بعد إنقاذه عن اليأس

---

(١) اصول الكافي: ج١ ص٤٠١.

(٢) نهج البلاغة: قصار الحكم ١٤٧، وفيه «انّ هاهنا لعلماً جماً ... لو أصبت له حملة».

(٣) بحار الانوار: ج٢ ص ١٩٢ ح٣٥، بصائر الدرجات: ص٢١ ح٥ وفيهما «مخشوش».

(٤) المنتخب للطريحي: ص١٨٨.

(٥) بحار الانوار: ج٧٦ ص٨٠.

(٦) بحار الانوار: ج٤٣ ص٣١٩ نقلا بالمعنى.

باستخباره عنه لبعض ذنوبه وطرده عنه ليستعدّ له [١].

وإلى خروج الزهراء من بيت الأمير عليه السلام - لشكايته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإحضار النبيّ صلى الله عليه وآله الأول والثاني وأضرابهما في الليل، وقوله صلى الله عليه وآله : إنّها بضعة منه ومن أذاها فقد أذى النبيّ صلى الله عليه وآله [٢] إتماماً للحجّة عليهم . كما ظهر من فعلها عليها السلام بعد وفاة أبيها وإيذائهم لها وتذكيرها لهم وتصديقهم لها وقولها عليها السلام: اللّهمّ إنّهما آذياني ، ولم تكلّمهما عليها السلام حتّى ماتت[٣] .

وفعل الحسين عليه السلام بجماعة للمسلمين وطلبهم إلى الحجّ - حيث أشرف الاسلام إلى الانهدام - بسنة قبل شهادته، وإظهار آيات الله لهم ، ثمّ إتمام ذلك في السنة الثانية بشهادته عليه السلام تقويةً للدين ودفعاً لشبهات معاوية و أتباعه و إفساد أمرهم وبدعهم .

وإلى فعل موسى في إلقاء الألواح السماويّة والأخذ برأس أخيه جاراً إليه تنبيهاً على عظم فعل امّته في عبادة العجل الخوار ، ليرتدعوا وليستعدوا للتوبة ، إلى غير ذلك .

وبالجملة: فأقوال امناء الله ورسوله وفعلهم وتركهم و كلّ ما يصدر منهم فيها ضروب من الحكم والمصالح وإن اختفيت علينا ولم نعقلها ، فينبغي التسليم والانقياد ، والله الموفّق للسداد والرشاد .

وأعظم من ذلك كلّه وأشدّه لطفاً فعل الله تعالى مع عباده في خلقهم ذكراناً وإناثاً وفقراء وأغنياء ، وتعليمهم بعض العلوم ومنعهم عن بعضها، وتوفيقهم للطاعة حيناً وتسليط النوم عليهم اخرى، وغير ذلك ، تربيةً لهم وإصلاحاً لأحوالهم «إنّ

---

(١) بحار الانوار : ج٦ ص ٢٣ ح٢٦ .

(٢) بحار الانوار : ج٤٣ ص ٢٠١ ح ٣١ .

(٣) بحار الانوار : ج٤٣ ص ١٩٧ ح٢٩ .

الله لايظلم الناس شيئاً ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون»[(١)] فلكلامهم عليهم السلام مخارج ومحامل وظواهر وبواطن .

وكذلك للقرآن معاني ودرجات وصور وحقائق ، وكذا للصلاة والزكاة وسائر الطاعات والمعاصي والفحشاء والمنكر، فهم حقائق كلّ خير وطاعة، وأعداؤهم أصل كلّ شرّ ومعصية وفحشاء ومنكر. فتفسير القرآن بهم حقّ، وبهذا القرآن الصوري حقّ، فهم عليهم السلام كلام الله الناطق ، وهم الصلاة والزكاة، بل المؤمن قرآن وأعظم، وأعداؤهم الفحشاء والمنكر، وكلّ التفسيرات والمعانى صحيحة لا اختلاف فيها ولا كذب .

فيراد من قوله تعالى : « أقيموا الصلاة » الاتيان بهذه الأركان ونصب عليّ عليه السلام بالامامة والخلافة ، ولا اختلاف بينهما في الحقيقة ، وهكذا .

وكذا هو سبحانه وتعالى يدخل المؤمنين في الجنّة والكفّار في النار، وكذا النبيّ صلى الله عليه وآله وكذا الوصيّ وسائر الأوصياء، وكذا الملائكة، والكلّ صحيح وحقّ وكذا الله سبحانه يتوفّى الأنفس، وكذا عزرائيل وملك الموت، وكذا الملائكة، كما ورد الكلّ في القرآن واشير إليه في حديث المفضّل[(٢)] وذكره الأمير عليه السلام في حديث الزنديق الذي أتى بمتناقضات القرآن ، المروي في الاحتجاج[(٣)] بالحمل على اختلاف الموتى أو اختلاف المعاني، وكذا سائر الأشياء، ولا اختلاف ولا تناقض أصلاً . وربما يتّفق كثير من ذلك في العرف والعادة وفي لسان الامم والطوائف أو في خصوص لغة العرب .

قال في الصافي بعد ذكر حديث المفضّل: أقول : وقد فتح هذا الحديث باباً

---

(١) يونس : ٤٤

(٢) المروى فى العلل : ص١٦١ .

(٣) الاحتجاج: ج١ ص٢٤٠ طبع مشهد .

من العلم انفتح منه ألف باب ، وسيأتي له مزيد انكشاف في المقدمة الرابعة عند تحقيق القول في المتشابه وتأويله ـ إن شاء الله تعالى ـ . ومن هذا القبيل خطاب الله تعالى لبني إسرائيل الّذين كانوا في زمن نبيّنا صلى الله عليه وآله بما فعل بأسلافهم أو فعلت أسلافهم - كانجائهم من الغرق وسقيهم من الحجر وتكذيبهم الآيات ، إلى غير ذلك، و ذلك : لأنّ هؤلاء كانوا من سنخ اولـئك راضين بما رضوا به ساخطين بما سخطوا به. وأيضاً، فإنّ القرآن إنّما نزل بلغة العرب ، ومن عادة العرب أن تنسب إلى الرجل ما فعلته القبيلة الّتي هو منهم وإن لم يفعل هو بعينه ذلك الفعل معهم. وقد ورد ذلك بعينه في كلام السجّاد عليه السلام حيث سئل عليه السلام عن ذلك ، فقال : إنّ القرآن بلغة العرب فيخاطب فيه أهل اللسان بلغتهم ، أما تقول للرجل التميمي الّذي قد أغار قومه على بلد وقتلوا من فيه: أغرتم على بلد كذا وفعلتم كذا، الحديث. وسرّ هذه العادة في لغتهم ما قلناه. وبهذا التحقيق انحلّ كثير من المشكلات والشبهات في تأويل الآيات الوارد عنهم عليهم السلام بل كفينا مؤونة ذكر تلك التأويلات في ذيل تلك الآيات ، إذ لا يخفى بعد معرفة هذا الأصل إجراء تلك التأويلات في آية آية على اولي الألباب ، إلّا أنّا سنأتي بنبذ منها في محالّها ـ إن شاء الله تعالى ـ والحمدلله على ما أفهمنا ذلك وألهمناه . انتهى [٢] .

وحديث السجّاد عليه السلام ما رواه في الاحتجاج عن الباقر، عن أبيه عليهما السلام أنّه قال له بعض من في مجلسه: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله كيف يعاتب الله ويوبّخ هؤلاء الأخلاف على قبائح آبائهم وأسلافهم وهو يقول : « ولا تزر وازرة وزر اخرى » ؟ فقال عليه السلام: إنّ القرآن [٣] إلى آخر ما مرّ .

أقول: وبه يظهر تعذيب بني اميّة بفعل آبائهم وأسلافهم لرضاهم بما فعلوا

(١) : ج٢ ص٣١ .

(٢) تفسير الصافي : ج١ ص٢٦ .

(٣) الاحتجاج : ج٢ ص٣١ وفيه « على قبائح أتاها أسلافهم » .

«ومن رضي بشيء فهو كمن فعله» فيعذبون و يوبّخون للنكتة المذكورة. وبتلك النكتة أيضاً تنحلّ ما مرّ في حديث المفضّل: من كون كلّ نبيّ ووصيّ و مؤمن محبّاً لعليّ عليه السلام و من كون أعداء الأنبياء و الأوصياء مبغضين له . و ينحلّ بها الشبهتان المتقدمتان : من أنّه على تقدير اختصاص الناس بهذه الامّة كيف لا يخلق النار لسائر الامم؟ ومع التعميم كيف يعقل الاجتماع مع أنّ الامم السالفة لم يعرفوه ولم يكلّفوا بولايته عليه السلام ؟ و من أنّه أيّة خصوصيّة لمحبّته عليه السلام؟ و جوابهما عدم انفكاك محبّته من محبّة الرسول صلى الله عليه وآله وسائر العترة، و كون كلّ مؤمن محبّاً له و كلّ كافر مبغضاً له .

و قد تعرض لبيان ذلك في الصافي ، ثمّ ذكر حديث المفضّل المذكور مستشهداً به ، ولنذكر ذلك أيضاً .

قال: إنّه قد ورت أخبار جمّة عن أهل البيت عليهم السلام في تأويل كثير من آيات القرآن بهم وبأوليائهم وبأعدائهم، حتّى أنّ جماعة من أصحابنا صنّفوا كتباً في تأويل القرآن على هذا النحو ، جمعوا فيها ماورد عنهم عليهم السلام في تأويل آية آية إمّا بهم أو بشيعتهم أو بعدوّهم على ترتيب القرآن ، وقد رأيت منها كتاباً كان يقرب من عشرين ألف بيت . وقد روي في الكافي و في تفسيري العيّاشي وعليّ بن إبراهيم القمّيّ والتفسير المسموع من الامام أبي محمّد الزكيّ عليه السلام أخبار كثيرة من هذا القبيل ، وذلك مثل ماروواه في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «نزل به الروح الأمين* على قلبك لتكون من المنذرين *بلسان عربيّ مبين»[1] قال : هي الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام . وفي تفسير العيّاشي عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا محمّد إذا سمعت الله ذكر قوماً من هذه الامّة بخير فنحن هم، و إذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء ممّن مضى فهم عدوّنا. و فيه : عن عمر بن حنظلة عن أبي عبدالله عليه السلام سأله عن قول الله تعالى « قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب»[2] قال: فلما رآني أتتبّع هذا وأشباهه من الكتاب، قال: حسبك

(١) الشعراء : ١٩٣–١٩٥ . (٢) الرعد : ٤٣ .

كلّ شيء في الكتاب من فاتحته إلى خاتمته مثل هذا ، فهو في الأئمّة عليهم السلام عنوا به.
أقول: و السرّ فيه إنّما ينكشف ويتبيّن ببسط من الكلام وتحقيق للمقام، فنقول - وبالله التوفيق - : إنّه لمّا أراد الله تعالى أن يعرّف نفسه بخلقه ليعبدوه، وكان لم يتيسّر معرفته كما أراد على سنّة الأسباب إلّا بوجود الأنبياء والأوصياء ، إذ بهم يحصل المعرفة التامّة والعبادة الكاملة دون غيرهم، وكان لم يتيسّر وجود الأنبياء والأوصياء إلّا بخلق سائر الخلق ليكون انساً لهم وسبباً لمعاشهم، فلذلك خلق سائر الخلق ثمّ أمرهم بمعرفة أنبيائه وأوليائه وولايتهم و التبري من أعدائهم و ممّا يصدهم عن ذلك ، ليكونوا ذوي حظوظ من نعيمهم، و وهب الكلّ معرفة نفسه على قدر معرفتهم بالأنبياء والأوصياء ، إذ بمعرفتهم إيّاهم يعرفون الله وبولايتهم إيّاهم يتولّون الله، فكلّما ورد من البشارة والانذار والأوامر والنواهي والنصائح و المواعظ من الله سبحانه فإنّما هو لذلك. ولمّا كان نبيّنا سيّد الأنبياء و وصيّنا سيّد الأوصياء لجمعهما كمالات سائر الأنبياء والأوصياء ومقاماتهم مع مالهما من الفضل عليهم وكان كلّ منهما نفس الآخر - صحّ أن ينسب إلى أحدهما من الفضل ما ينسب إليهم ، لاشتماله على الكلّ و جمعه لفضائل الكلّ ، وحيث كان الأكمل يكون الكامل لا محالة ، فلذلك خصّ تأويل الآيات بهما وبسائر أهل البيت عليهم السلام الّذين هم منهما ذريّة بعضها من بعض . وجيء بالكلمة الجامعة الّتي هي « الولاية » فإنّها مشتملة على المعرفة والمحبّة والمتابعة وسائر مالابدّ منه في ذلك و أيضاً فإنّ أحكام الله تعالى إنّما يجري على الحقائق الكلّيّة و المقامات النوعيّة دون خصائص الأفراد والآحاد ، كما أشرنا إليه سابقاً ، فحيثما خوطب قوم بخطاب أو نسب إليهم فعل دخل في ذلك الخطاب وذلك الفعل عند العلماء واولي الألباب كلّ من كان من سنخ اولئك القوم و طينتهم، فصفوة الله حيثما خوطبوا بمكرمة أو نسبوا إلى أنفسهم مكرمة خصّوا بها دون غيرهم، و كذلك إذا خوطب شيعتهم بخير أو نسب إليهم خير أو خوطب أعداؤهم بسوء أو نسب إليهم سوء يدخل

في الأول كلّ من كان من سنخ شيعتهم وطينة محبّيهم وفي الثاني كلّ من كان من سنخ أعدائهم وطينة مبغضيهم من الأولين والآخرين ، وذلك : لأنّ كلّ من أحبّه الله و رسوله أحبّه كلّ مؤمن من ابتداء الخلق إلى انتهائه ، و كلّ من أبغضه الله و رسوله أبغضه كلّ مؤمن ، كذلك و هو يبغض كلّ من أحبّه الله ورسوله ، فكلّ مؤمن في العالم قديماً أو حديثاً إلى يوم القيامة فهو من شيعتهم ومحبّيهم، وكلّ جاحد في العالم قديماً أو حديثاً إلى يوم القيامة فهو من مخالفيهم ومبغضيهم . وقد وردت الاشارة إلى ذلك في كلام الصادق عليه السلام في حديث المفضّل ابن عمر ، وهو الّذي رواه الصدوق ـ طاب ثراه ـ في كتاب علل الشرائع بإسناده عن المفضّل بن عمر ، قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام [1] و ذكر الحديث المزبور .

قوله : «أن يعرف نفسه .. إلخ» هو مضمون الآية الشريفة «وما خلقت الجنّ والانس إلّا ليعبدون» [2] والحديث القدسي «كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف» [3] . ولا تنافي بينهما ، إذ معرفة الله تعالى و الايمان به ورسله و أوصيائهم وسائر ماجاءوابه أفضل العبادة وأولها. والغرض: أنّه خلقهم ليعبدوه ، ولابدّ من معرفته ليعبدوه و يتمكّنوا من عبادته، وبعبادته أيضاً يحصل لهم كمال المعرفة ، إذ بالمجاهدات والرياضات يستنير قلوبهم ويستأهلون لمعرفة لم تكن لهم قبل .

و هكذا قوله : «على سنّة الأسباب . . . إلخ» إمّا أن يراد أنّ المعرفة التامّة المرادة له سبحانه من خلقه يختصّ بالمعصومين ـ و يرشد إليه تعليله ـ فالغرض : أنّه تعالى خلق سيّد الأنبياء و الأئمّة له ، و سائر الأنبياء والأوصياء لهم ، وسائر الخلق تبعاً للأنبياء والأوصياء ، وسائر المخلوقات تبعاً للناس، ويراد

(١) تفسير الصافي : ج١ ص٢٣ ـ ٢٥ .
(٢) الذاريات : ٥٦ .
(٣) الانوار النعمانية : ج١ ص١٤٤ مع تفاوت يسير .

من « سنّة الأسباب » طريقة الترتيب على النحو المذكور . و هذا معنى القدسي « لولاك لما خلقت الأفلاك » (١) أي بما فيها من جميع المخلوقات. وقولهم عليهم السلام : « نحن صنائع الله و الخلق كلّهم صنائع لنا » (٢) أي خلقوا لأجلنا بواسطة أو وسائط أو بلاواسطة ، كما أشرنا إليه. وفي القدسيّات الموسويّة وغيرها تنصيص بذلك، وأنّه لولا خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله لم يخلق الله تعالى أحداً من أنبيائه وملائكته و سائر الخلق ، فخلق ما سوى سيّد البشر لأجله انساً له وتتميماً لما يراد منه ، ومنه تتميم العبادة بهم بتكميله بساستهم و تكمليهم بإجابتهم وبعبادتهم ، وهكذا سائر المخلوقات ، فإنّهم من متمّمات المعاش والمعاد ، و لكلّ شعور و تكليف وحبّ وبغض .

وإمّا أن يراد أنّ سنّة الأسباب في معرفة الله تعالى و عبادته لا يتيسّر لخلقه إلّا بواسطة الأنبياء ـ أي من كان له جهة تلقّي الفيض من الله تعالى و جهة الوصول إلى الخلق،وهم الأنبياء، و كلّ أحد لا يستأهل للوحي والالهام، فلا بدّ من معرفة الأنبياء وحبّهم ومودتهم ليمكن أخذ المعالم منهم ويتمّ ما هوالغرض من الخلقة، فهم أبواب الله الّتي لابدّ من الاتيان منها في المعارف و الطاعات ، و لا يقبل من من أحد عمل وطاعة إلّا بمعرفتهم والأخذ منهم ، كما يأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ فيلزم جعلهم أئمّة والائتمام بهم وتقديمهم أمام الحوائج وتلقّي الفيوض منه سبحانه وتعالى بواسطتهم .

فهم أصل كلّ خير ، و أعداؤهم أصل كلّ شرّ ، وأصل أصل الخير نبيّنا صلى الله عليه وآله وأوصياؤه، فإن ذكر الخير كانوا أوله وأصله و مأواه و منتهاه ، وأصل أصل الشرور أعداء نبيّنا صلى الله عليه وآله و أوصيائه ، فمن اهتدى و نجا من الأنبياء و الملائكة وسائر الخلق فإنّما هو بهم ، ومن ضلّ فإنّما هي بواسطة أعدائهم ، فصلوات الله وسلامه عليهم كما خلقنا وهدينا بهم ، ولعنة الله على أعدائهم كما ظلمونا وضاعف

(١) مفاتيح الغيب : ص١٢ . (٢) نهج البلاغة : الكتاب ٢٨ ص٣٨٦ مع تفاوت .

عليهم وعلى أتباعهم العذاب .

فلو خوطب قوم بمكرمة يدخلون صلوات الله عليهم فيه ، و هم المقصود الأصيل، و كذا الحال في أعدائهم في الدخول في كلّ خطاب بسوء نسب إلى قوم. و كلّ من أساء إلى مؤمن فقد أساء إليهم ، و من أحبّ مؤمناً فقد أحبّهم و من أبغضه فقد أبغضهم .

و بالجملة : فهم الصراط المستقيم الواجب معرفتهم وولايتهم والاهتداء بهداهم إمّا بلا واسطة أو بواسطة سائر الأنبياء ، فكلّ مؤمن ومطيع لله تعالى وللأنبياء فهو لهم محبّ ، و كلّ مخالف له تعالى فهو لهم مبغض .

فالمراد من اجتماع الناس على ولايته اجتماعهم على الايمان وعلى طاعة الله تعالى والسلوك في الصراط المستقيم و طريق النجاة و إن لم يعلم بأنّ حقيقة الصراط ذلك ولم يسمع بخبره عليه السلام و لم يستيقن بكون ذلك ولايته ، و كلّ من سلك مسلك الجبت والطاغوت وأبى عن طاعة الله تعالى فهو من مبغضي الأئمّة عليهم السلام ومن أتباع أعدائهم وإن لم يسمعوا بأعدائهم .

و بذلك ظهر وجه ثالث و إليه يرجع ما يأتي من كلام الشيخ الحرّ ـ رحمه الله ـ .

ثمّ يمكن جعل كلّ الناس محبّاً له عليه السلام بوجوه اخر .

منها : أنّ الجميع كلّفوا بولاية نبيّنا صلّى الله عليه وآله وأوصيائه صلوات الله عليه وعليهم أجمعين كما في نصوص كثيرة يأتي بعضها إن شاء الله .

ومنها : أنّ الكلّ كلّفوا بولايته حين اخذ الميثاق والعهود منهم في عالم الذرّ ، كما في نصوص كثيرة ، فمن قبل هناك ولايته صار مؤمناً في الدنيا من جميع الامم ، ومن لم يقبل ولايته هناك ولم يؤمن به كفر هنا من جميع الامم وإن لم يسمعوا به عليه السلام في الدنيا ، فالمراد الاجتماع في عالم الذرّ ، وعلامة قبول الولاية هناك الايمان في الدنيا وإطاعة الله تعالى، وعلامة عدم قبول الولاية هناك الكفر في

الدنيا والمخالفة له سبحانه . نعم: من أدركه في الدنيا له علامة اخرى أيضاً هو قبول الولاية وحبّه أو بغضه في الدنيا ، فيكشف ماهنا عمّا هناك .

ومنها : أنّه حبيب الله ورسله وأنبيائه ،فكلّ مؤمن يحبّ من هو كذلك بالعموم وإن لم يعرف شخصه .

ومنها : أنّ كلّ مؤمن بالله وأنبيائه وأوصيائهم ومطيع لله منقاد للحقّ بانٍ عليه من الأولين والآخرين لوأدركوا نبيّنا صلّى الله عليه وآله وأوصيائه عليهم السلام وسمعوا بهم لآمنوا بهم وأحبّوهم، إذهم خاضعون لأمر الله وبنوا عليه وعلى الايمان والانقياد وهم حبيب الله وأنبيائه ، ولا يجوز أن لا يحبّهم من هو مؤمن تابع لمراد الله سبحانه وتعالى . فكلّ من أحبّهم لو سمع بهم ـ وهم المؤمنون ـ فهو من أهل الجنّة ، وكلّ من أبغضهم لو سمع بهم ـ وهم الكافرون ـ فهو من أهل النار .

وكلّ هذه الوجوه يحتمل لها حديث المفضّل المتقدم . ويؤيّدها لفظ « الكلّ » في أكثر النصوص ، ولفظ «الناس» ولفظ «أهل الدنيا» أو «الخلائق» .

وهنا وجه آخر : هو أنّ من سمع بخبره عليه السلام من هذه الامّة وكلّف بولايته لو اجتمعوا عليها لم يخلق الله النار ولو للامم الماضية ، لكون هذه الامّة أفضل الامم ، فلاغرو في تبعيّة غيرهم لهم كتبعيّة الامم للأنبياء و الجنّ للانس ، ولذا أتى بلفظ « الانس » و كتبعيّة ضعفاء أعدائهم لكبرائهم .

وهنا وجه آخر: هو كون الغرض بيان فضله عليه السلام بأنّه لا يعذّب محبّه عليه السلام وأنّه بحيث لو أحبّه جميع أهل العالم لنجاهم الله من النار ولم يخلقها تفضّلاً وببركته عليه السلام ولتعظيمه . فهو عليه السلام استحقّ لهذه الكرامة و هذا التشريف، وقد اشير فيما تقدم إلى هذه الوجوه .

ثمّ إنّه ذكر الشيخ المحدّث البارع الحرّ العاملي ـ رحمه الله ـ في الجواهر السنيّة وجهاً آخر لسرّ المنع الاجتماع المزبور عن خلق النار ، و مرجعه إلى الحمل على الحبّ الكامل المرادف للتشيّع .

قال -رحمه الله- بعد ذكر الخبر الأول: أقول: توجيه الحديث الشريف أنّ ولايته عليه السلام من شرط صحّتها وقبولها الاقرار بالوحدانيّة والعدل والنبوة والمعاد ويدخل في ولايته الاقرار بإمامة الأئمّة من ولده عليهم السلام وكذلك لا تقبل تلك المعارف إلّا بالاقرار بولايته، وهذا معلوم بالبراهين القطعيّة والأدلّة العقليّة والنقليّة. وليس وجوب الاقرار لولايته مقصوراً على هذه الامّة، بل عليها اخذت مواثيق الأنبياء واممهم، كما تواترت به الأحاديث. ويضاف إلى ذلك قول الصادق عليه السلام «لا يقبل الله عملاً إلّا بمعرفة ولا معرفة إلّا بعمل» وقولهم عليهم السلام «إنّما شيعتنا من اتقى الله» وقولهم عليهم السلام: «ليس منّا من هو في مصر فيه مائة ألف أو أزيد وفيهم من هو أورع منه» إلى غير ذلك من الأخبار الكثيره. و معلوم أنّه لو كان جميع الناس مقرين لله بالوحدانيّة والعدل ولسائر الأنبياء بالنبوة ولجميع الأوصياء بالامامة والوصيّة ملازمين للتقوى والعمل معترفين بالمعاد لما احتيج إلى خلق النار. ووجه تخصيص ولاية عليّ عليه السلام بالذكر مزيد الاعتناء بها وعدم قبول شيء من ذلك بدونها وتوقّف النجاة من النار عليها، والله أعلم. وقد ذكر عليّ بن عيسى والحافظ البرسيّ في تأويل هذا الحديث ما يوافق هذا المعنى. انتهى كلامه -رحمه الله- [١].

أقول: مرجعه - كما ذكرناه - إلى الحمل على الحبّ الكامل والتشيّع، وينصّ عليه قوله وقولهم عليهم السلام: «إنّما شيعتنا... إلخ» وقولهم عليهم السلام: «ليس منّا ...إلخ» وقوله: «ملازمين للتقوى والعمل...إلخ». ويرشد إليه بعض الأخبار المزبورة، وهو «حديث المعراج» على وجه هو جعل التشبيه بحسب الكمّ، لا بحسب الاجتماع.

والحقّ كفاية الايمان والولاية والاجتماع عليه وإن فقد التقوى، فالاجتماع عليه يمنع من خلق النار، وأمّا بعد خلقها فربما يعذّب بها من آمن ولم يتّق بترك المعاصي، ولنحقّق المقال ثمّ نتوجّه إلى ما في كلام هذا الشيخ -رحمه الله-.

فنقول -ومن الله المعونة والتأييد-: هنا اجتماع على الولايه وعلى البغض،

(١) الجواهر السنية: ص٢٣٦.

واختلاف . والحقّ أنّ الحبّ يجامع الكفر وإن لم يكن حبّاً على الحقيقة ، فلو اجتمع الكلّ على الولاية والايمان والتقوى لم يخلق النار، ولو تركوا التقوى أو اختلفوا فيه لم يخلق أيضاً . ولو اجتمعوا على المحبّة وعلى عدم الايمان أو مع الاختلاف في الايمان لم يخلق أيضاً . ولكن لا تعقل الصورة الأخيرة ، إذ لا يتحقّق بمقتضى الحكمة ، إذ لا يوجد كفر إلّا مع بغضهم عليهم السلام ولو بفرد واحد .

ولو اتّفقوا على البغض لم يخلق الجنّة . لكن لا يتحقّق الفرض ، إذ لا بغض إلّا مع تحقّق المبغوض ، ومعه يخلق الجنّة له .

ولو اختلفوا في الحبّ والبغض ـ كما هو المتحقّق ـ فيخلقان ويدخل الجنّة المحبّ الكامل ولا يدخل النار أصلاً ، والمبغض بالعكس . والمحبّ الناقص مع الكفر يدخل النار ولا يعذب (وهو تعذيب حقيقة) ومع الايمان يدخل النار (وليس بتعذيب حقيقة) ثمّ يخرج منها إلى الجنّة، ولنبيّن سرّ ذلك .

فاعلم: أنّ الجنّة خلقت من نور النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين ومن نور معرفتهم وإيمانهم ، ثمّ الأنبياء ، ثمّ أشياعهم فأولها وأصلها نوره صلى الله عليه وآله ويزيد عليها أتباعه بنور إيمانهم وموالاتهم له وبأعمالهم الصالحة . فأصلها من نور حبيب الله ورحمة الله على العالمين، ثمّ من أنوار محبيّه صلى الله عليه وآله و موالاتهم له ، ثمّ فروعها من قصورها وأشجارها وغيرهما من أعمالهم الصالحة . و من هنا أنّها احتفّت برضوان الله والفرح وبالروح والراحة والأمن والأمان والسلامة والسلام، ونظر إليها سبحانه وتعالى بعين الرحمة ، ويشدّ ويزيد نعيمها ونضرتها وبهاؤها وبهاء أهلها على الدوام ولا ينقص ولا يخفّف بنقصان أو بشوب كدورة همّ و حزن

روي عن رسول الله بأسانيد متعددة ما معناه : إنّ الله تعالى خلقني وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قبل خلق آدم حين لم يكن سماء ولا أرض ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا جنّة و لا نار . فقال عمّه العبّاس : فكيف ابتداء خلقكم يا رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : يا عمّ لمّا أراد أن يخلقنا أوجد كلاماً وخلق

منه نوراً، ثمّ خلق منه كلاماً آخر فخلق منه روحاً، فمزج النور بالروح وخلقني وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فسبّحنا الله سبحانه وتعالى ولم يكن مسبّح غيرنا وقدّسناه ولم يكن مقدس غيرنا، فلمّا أراد أن يخلق سائر الخلق شقّ نوري فخلق منه العرش، فالعرش من نوري ونوري من نور الله، ونوري أفضل من العرش، ثمّ شقّ نور أخي عليّ عليه السلام وخلق منه الملائكة، فالملائكة مخلوقون من نور عليّ عليه السلام ونور عليّ من نور الله، وعليّ أفضل من الملائكة، ثمّ شقّ نور ابنتي فاطمة فخلق منه السماوات والأرضين فخلقت السماوات والأرضين من نور ابنتي فاطمة، ونور فاطمة من نور الله، وفاطمة أفضل من السماوات والأرضين، ثمّ شقّ نور ولدي الحسن عليه السلام وخلق منه الشمس والقمر، فالشمس والقمر مخلوقان من نور الحسن، ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثمّ شقّ نور ولدي الحسين عليه السلام وخلق منه الجنّة والحور العين، فخلقت الجنّة والحور العين من نور ولدي الحسين، ونور الحسين من نور الله، وولدي الحسين خير من الجنّة والحور العين[1].

وفي رواية اخرى -في البحار- عن ابن مسعود، قال: دخلت يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله عليك السلام، أرني الحقّ لأنظر إليه، فقال: يا عبدالله لج المخدع، فولجت المخدع وعليّ بن أبي طالب يصلّي وهو يقول في سجوده وركوعه: «اللّهمّ بحقّ محمّد عبدك، اغفر للخاطئين من شيعتي» فخرجت حتّى اجتزت برسول الله صلى الله عليه وآله فرأيته يصلّي وهو يقول: «اللّهمّ بحقّ عليّ عبدك فاغفر للخاطئين من امّتي».

قال: فأخذني من ذلك الهلع العظيم، فأوجز النبيّ صلى الله عليه وآله في صلاته، وقال: يا بن مسعود أكفر بعد إيمان!! فقلت: حاشا وكلّا يا رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) بحار الانوار: ج١٥ ص ١٠ ب١ ح١١.

ولكن رأيت عليّاً يسأل الله بك ورأيتك تسأل الله بعليّ، فلا أعلم أيّكما أفضل عندالله عزّ وجلّ؟ فقال: اجلس يابن مسعود، فجلست بين يديه، فقال لي: اعلم أنّ الله خلقني وعليّاً من نور قدرته قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، إذلا تسبيح ولا تقديس، ففتق نوري فخلق منه السماوات والأرضين، وأنا والله أجلّ من السماوات والأرضين، وفتق نور عليّ بن أبي طالب فخلق منه العرش و الكرسي، و عليّ بن أبي طالب والله أفضل من العرش و الكرسي، و فتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم، والحسن والله أفضل من اللوح والقلم، وفتق نور الحسين فخلق منه الجنان والحور العين، والحسين والله أفضل من الحور العين. ثمّ أظلمت المشارق والمغارب فشكت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة، فتكلّم الله جلّ جلاله كلمة فخلق منها روحاً، ثمّ تكلّم بكلمة فخلق من تلك الكلمة نوراً، فأضاف النور إلى تلك الروح وأقامها مقام العرش، فزهرت المشارق والمغارب، فهي فاطمة الزهراء، ولذلك سمّيت «الزهراء» لأنّ نورها زهرت به السماوات. يابن مسعود إذا كان يوم القيامة يقول الله جلّ جلاله لي ولعليّ أدخلا الجنّة من شئتما وأدخلا النار من شئتما، وذلك قوله تعالى: «ألقيا في جهنّم كلّ كفّار عنيد» فالكافر من جحد نبوتي والعنيد من جحد بولاية عليّ بن أبي طالب وعترته والجنّة لشيعته ومحبّيه [1].

تنبيه

اعلم أنّ نورهم عليهم السلام واحد و طينتهم واحدة، لكنّ المراتب محفوظة ذريّة بعضها من بعض، و التعدد لذلك، و كلّ مظهر لأمر نسب إليه، و حسنت تلك النسبة من تلك الجهة.

ومن هنا تقدر أن تتعقّل بساطة الفيوض الصادرة و تكثّرها في مرتبة ثانية بالأئمّة عليهم السلام فإنّ العرش غير مكوكب ومنطقة البروج مقسم البروج الاثني عشر، فافهم.

---

(١) بحار الانوار: ج٤٠ ص٤٣ ب٩١ ح٨١.

و كذا تعقل من ذلك أنّ صلح الحسن عليه السلام مع معاوية أفضل ممّا طلعت عليه الشمس و أضاء عليه القمر ، وأنّ جهاد الحسين عليه السلام مع حزب الشيطان كذلك . وأنّ الفرقة الناجية ـ وهي المستمسكة بهم والداخلة في سفينة النجاة و ولايتهم ومتابعتهم بتنصيص النبيّ المختار المقسّم لامّته على ثلاثة وسبعين فرقة ـ عمدة السبب في نجاتهم و في دخولهم الجنّة الحسين عليه السلام حيث إنّه أحياهم في سنة قبل شهادته عليه السلام بالمواعظ الشافية والنصايح الوافية في الموسم بمنى في جمع كثير بلغوا أربعمائة ألف ، جمعهم و سعى في جمعهم هناك، وبلغ في ذلك وفي إعلاء الاسلام و تجديده والانكار على مفاسد الجبت والطاغوت وتلبيسات العادي وغير ذلك المبلغ الأقصى ، ثمّ أمرهم بالتبليغ إلى الغائبين المؤمنين ، ثمّ في السنة القابلة أوضح الأمر غاية التوضيح بكلامه ونفسه وأهله وعياله، فبذلهم كلّهم في سبيل رضاء ربّ العالمين وأنقذ به الامّة المغترة بالأبالسة حتّى تيقّنوا ببطلانهم وضلالهم وإضلالهم فتلك الدرجة خاصّة به عليه السلام لم ينلها إلّا بالشهادة .

واعلم أيضاً أنّ الفرقة الناجية بإرشاده عليه السلام عمدة السبب في نجاتهم محبّته وزيارته وإقامة عزائه وبكائهم عليه، وخدمة زواره وإعانتهم ، وسائر ما يتعلّق به عليه السلام . و لم يتمسّكوا بشيء كتمسّكهم بذلك ، و لم يتشبّثوا بسائر الأعمال الصالحة كتشبّثهم به . فقددريت يقيناً أنّ الجنّة والحور خلقتا من نوره، وتتفهّم أنّهم كيف لايتركون فيض صحبته في المحشر ولا يبدلونه بدخول الجنّة ومعانقة الحور الحسان، فإنّ الأصل أفضل وألذّ من الفرع ، كما تقدم التنصيص بذلك من النبيّ صلّى الله عليه وآله فيما خلق من نور كلّ من الخمس صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

واعلم أيضاً أنّ ما ذكر إحدى فوائد محبّته عليه السلام فقد مكّن الله في قلوب مواليه محبّته عليه السلام ثمّ قدّر عليه الشهادة والظلم عليه وعلى أهل بيته بمالامزيد عليه ، فاغتمّوا لذلك غمّاً شديداً ويبكون على الدوام ، فيرحمهم الله ويغفر لهم بذلك وبزيارته وبغير ذلك .

فقد علم أنّ تلك الدرجة له عليه السلام وهي الشفاعة الكبرى لم يمكن أن يتحقّق إلّا بشهادته، لتلك النكتة. ومثل ذلك يجيء في محبّة باقي العترة الطاهرة والأئمة الراشدين، وإن لم يكن بذلك الشدة. ومثلها الحال في محبّة الأولاد والآباء الصوريّة والاخوان والأخوات وسائر الأهالي والأحبّة. فإنّ الانسان ينتفع ببدائهم وموتهم والتألّم بهم وبهمّهم وآلامهم ويقبح إيراد الألم بلاعوض أعظم وأجزل من الحكيم العادل، فهذا النظم والترتيب لأجل ذلك، وإلّا فقد كان قادراً على أن يحدث كلّ أحد ابتداعاً من دون أب وامّ، فافهم راشداً مهديّاً، إنّ الله لايظلم الناس شيئاً ولكنّ الناس لاخير فيهم. وحقيق على من عرفه أن لا يقطع رجاءه منه «وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها»[1] والحمدلله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلّى على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

هذا، وأمّا النار: فقد خلقت من ظلمة بغضهم عليهم السلام ومن ظلمة مبغضيهم -لعنة الله عليهم أجمعين- والأصل فيه: أصحاب التابوت ورئيسهم الجبت والطاغوت ويزيد أتباعهم عليهم بظلمتهم وموالاتهم لهم، وهو عين بغضهم للأئمّة الراشدين عليهم السلام فأصلها من ظلمة بغيض الله ثمّ من ظلمة شركائه وموالاتهم له، وفروعها من أعمالهم وظلمهم. ومن هنا إنّ الله لم ينظر ولا ينظر إلى أهل النار بعين الرحمة أبداً واحتفّت بالمكاره والآلام ولا يخفّف عن أهلها ولا يؤذن لها بالتخفيف لأنّها لاتكون إلّا عن غضبه وانتقامه، و«كلّما خبت زدناهم سعيراً»[2] و«كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب»[3] ومن زعم انقطاع ألمها فقد ضلّ أوغوى وكذب وافترى.

وبالجملة: فالجنّة مرحومة ومرحوم أهلها، لاغضب فيها أصلاً، كلّها نور خلقت

---

(١) ابراهيم: ٣٤.

(٢) الاسراء: ٩٧.

(٣) النساء: ٥٦.

من نور يتبع نوراً ، ويرى ظاهر قصورها من بطونها ومخّ ساق أهلها من وراء سبعين حلّة . والنار خلقت من ظلمة الظلمة لا نور فيها ولا راحة ولا سعة ، قال سيّد العابدين عليه السلام (في الصحيفة السجّاديّة) في دعائه بعد الفراغ من صلاة الليل : «اللّهمّ إنّي أعوذ بك من نار تغلّظت بها على من عصاك وتوعّدت بها من صدف عن رضاك، ومن نار نورها ظلمة وهيّنها أليم وبعيدها قريب، ومن نار يأكل بعضها بعض ويصول بعضها على بعض، ومن نار تذر العظام رميماً وتسقي أهلها حميماً ومن نار لا تبقي على من تضرع إليها ولا ترحم من استعطفها ولا تقدر على التخفيف عمّن خشع لها واستسلم إليها، تلقى سكّانها بأحرّ ما لديها من أليم النكال وشديد الوبال» الدعاء [1] .

وفيه تنصيص بجميع ما أشرنا إليه: من عدم نور ورحمة وتخفيف فيها ، وخلقها من الظلمة والبغض ، واشتداد ألمها وعذابها على الدوام، كما يكشف عنه الجمل الخبريّة الدالّة على الثبوت وإطلاق توصيفها بصفات الشدة ، وكذا الأفعال المضارعة الدالّة على التجدد والحدوث، فإنّ كلّ ذلك يستلزم الشدة، إذ مع البقاء على حالة واحدة يلزم التخفيف بمقتضى الاعتياد الموجب للسهولة ، فعدم التخفيف هنا يستلزم التشديد ، و التعبير عنه به لتلك النكتة . ومن هنا قال الأمير عليه السلام (في دعاء كميل) : «ولا يخفّف عن أهلها لأنّه لا يكون إلّا عن غضبك و انتقامك» أي يشتدّ على الدوام ، للعلّة المزبورة ، فناسب التعليل للمعلول ، وحسن التعبير عن المعلول - الّذي هو الشدة - بعدم التخفيف ، مع أنّ في الكتاب« كلّما خبت زدناهم سعيراً»[2]« كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب» [3] إلى غير ذلك .

---

(١) الصحيفة السجادية : الدعاء ٣٢ .

(٢) الاسراء : ٩٧ .

(٣) النساء : ٥٦ .

فاتّضح فساد التخفيف ، أو وهم رفع العذاب وحصول الطبيعة السمندريّة لهم لا يتألّمون بالنار بل يتألّمون بفراقها ـ كالجعل يتأذى بالروائح الطيّبة ـ لبعض الحكماء المتأخّرين من الاسلاميّين المنتسبين بالتشيّع ، لشبهات واهية عقليّة وخبر واحد يدلّ على أنّه ينبت في قعر جهنّم نبت يقال له : « جرجير »(١) ومن العجب ! أنّ بعض هؤلاء القائلين يشنّع على علمائنا المجتهدين بالعمل بالظنون والتخريجات في فروع الدين، مع أنّه في الاصول والعقائد يتشبّث كثيراً بمثل هذه الاستحسانات والتخريجات وبشواذ أخبار الآحاد .

واعلم أنّا وإن قلنا : إنّ أصل كلّ خير في الدنيا والآخرة هو النبيّ ﷺ وعترته الطاهرة،وأصل كلّ شرّ هو أعداؤهم،وأتباعهم يتبعونهم، وضعفاؤهم يقبضون آثار كبرائهم وأئمّتهم . لكن لابدّ أن يعلم أنّه لا أصل للشرور ولاقرار لها وإنّما هي ظلّ الخيرات والأنوار ، وحينئذٍ لولا النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام لم يكن مخلوق من الأفلاك بما فيها ولاجنّة ولانار، كما في عدة من القدسيّات وغيرها. فالظلمة ظلّ النور والشرّ من الخير، فأصل النار من غضب الله وظلمة أعداء أهل البيت عليهم السلام وبغضهم لهم، فلولاهم لم يحصل بغضهم ، ولولا نورهم لم يحصل ظلمتهم،فكلّ المخلوقات موجودون ببركتهم . فالنار خلقت بهم من أعدائهم وطينتهم ووصفهم وأعمالهم ، لكن لولا أئمّة الخير لم يوجدوا ولاوصفهم وأعمالهم وماخلق منهما . فالنار من ظلمة بغضهم ومن غضب الله وخلقت منهما، ووجودها ببركتهم ومهيّتها بشوقة أعدائهم، وكذا أعداؤهم خلقوا ببركتهم، وهم هم من حيث أنفسهم، فلولاهم لم يكن مخلوق، لامحبّ ولامبغض ولاحبّ ولابغض . وكلّ المخلوقات لاتخرج من القسمين ، إذ الولاية معروضة على الكلّ ، منهم من قبلها ومنهم من أنكرها فمنهم شقيّ ومنهم سعيد .

ثمّ لولا المبغضون لم يوجد مقتضى وصفهم وعملهم : من الشرور في الدنيا

(١) سفينة البحار : ج١ص١٤٨ .

والنار في الآخرة ، فهم أصل كل شر وأصل النار . كما أن الأئمة عليهم السلام أصل كل خير وأصل الجنة، وإن كان وجود الكل ببركة الأئمة « كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وماكان عطاء ربك محظوراً»[1] .

فابن آدم بنعمة الله يقوى على معصيته « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً » [2] لكنه لم يشأ بمقتضى الحكمة «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» [3] مع أن الله لم يشأ إيمان الكل بمقتضى الحكمة . فاختلفت المخلوقات بمقتضى الحكمة ، وإن قدر الله الجميع وقبل كل باختياره ما قدر له، وكان وجود الكل ببركة الأئمة الراشدين ، وهم قسيم الجنة والنار والخير والشر للأشياء على حسب القوابل والاستعدادات بإذن الله تعالى، فلو لم يكونوا لم يكن مخلوق أصلاً ، كما قال عليه السلام : « أنا لولم أكن لكنتم لا » [4]

فهو الله الّذي خلق الموت والحياة والخير والشر للابتلاء ، و كل أهل لشيء ومتيسر لما خلق له . والجنة أصلها ووجودها بهم عليهم السلام ومنهم، و كذا وجود النار والشرور . و لكن مهيتها من أعدائهم، ثم كبراؤهم أصلها ، وأتباعهم فروع لهم. ثم اقتضت الحكمة مزج الأشياء المتضادة في هذه النشأة ، فامتزج الخير بالشر والفرح بالهم والكفر بالايمان ، وهكذا . فكل شيء زوج تركيبي للحكمة و الابتلاء والدار الاخرى دار تمييز . ومن هنا يجري الشرور على أيدي محبي الأئمة بلطخ أعدائهم والخيرات على أيدي أعدائهم لمجاورة المحبين ، وعند التمييز يرجع كل شيء إلى أصله، فيعطى الأعمال السيئة المحبين أعدائهم ،والأعمال الصالحة لأعدائهم إلى المحبين لهم بعد جزاء كل على عمله ، فافهم موفقاً راشداً مهدياً .

---

(١) الاسراء : ٢٠ .

(٢) و(٣) يونس : ٩٩ .

(٤) لم نعثر عليه .

فللنار أصل وظلّ كما في الجنّة ، وكذا لأهلهما ، والضعفاء أتباع الكبراء يتبعون لآثار أئمّتهم في الدنيا والآخرة ، أئمّة يدعون إلى الخير ، وأئمّة يدعون إلى الشرّ .

فأصل الجنّة هم الأئمّة ، ثمّ شيعتهم ومواليهم يزيدون على مقام ساداتهم بعقائدهم وأعمالهم الصالحة ، ويرثونها من آبائهم الحقيقيّين . وربّما يعمل أعداؤهم بمجاورة المحبّين لهم عملاً صالحاً ويخلق بإزائه شيء في الجنّة ، فيعطيه الله سبحانه المؤمنين ، ويرثونه من الكفّار بعه أن يجزي الله تعالى الكافر جزاء عمله في الدنيا بصحّة ونعمة اخرى أو سهولة الموت .

والنار أصلها من كبراء أعدائهم يرثها أتباعهم منهم ويزيدون عليها بعقائدهم وأعمالهم . وربّما يعمل الموالون للأئمّة عملهم فيعطيه الله سبحانه أعداءهم ، لأنّه منهم ، لكن يجزي المؤمنين جزاءهم ببلاء الدنيا وشدة الموت وعذاب البرزخ .

فلكلّ مؤمن وكافر مقام في الجنّة ومقام في النار ، ويرث كلّ من الآخر ولا ظلم أصلاً ، بل خلاف ذلك ظلم .

وبعد ما ذكر تقدر على استخراج ما رمناه من تلك الاصول الملقاة إليك ، فإنّه لو اجتمع كلّ الناس على الايمان انتفت مادة خلق النار ، وهو بغض أهل البيت عليهم السلام .

و لا فرق حينئذٍ بين ظهور المعاصي على أيديهم و عدمه ، غاية الأمر في اختصاص تطهيرهم بسائر المطهّرات من بلاء الدنيا و أهوال القيامة ، بل لا يعقل حينئذٍ معصية ، لأنّها بشؤمة رؤساء النار وتبعيّتهم ، والمفروض عدمهم فافهم .

و لو اجتمعوا على حبّه عليه السلام مع كفرهم لم يخلق النار أيضاً ، لعدم البغض الّذي هو مادة النار .

لكن لا يعقل هذا الفرض أيضاً ، لأنّ الكفر بشؤمة الرؤساء وهم المبغضون ، فالاجتماع على الحبّ لا يجامع الكفر ولا عدم التقوى .

ولو أحبّهم كافر يدخل النار بعد خلقها ولا يحترق بها . لكن دخول النار والحشر مع أعداء أهل البيت والخلود فيها عذاب وذلّة ومهانة وإن لم يحسّ بظاهر الألم الجسماني .

كما أنّه لو عصى أحد من المؤمنين و لم يغفر له فهو يدخل النار و يعذب بها ويخرج منها . لكنّه ليس بعذاب و إن أحسّ بالألم الجسماني ، و إنّما هو تطهير وتنقية ليصلح لمرافقة الأئمّة الطاهرين وأهل الجنّة ، كما أنّ الأب الشفيق يعالج ولده العزيز بالفصد والحجامة والدواء المرّ ، بل بقطع بعض الأعضاء حذراً من السراية الموجبة لموته وهلاكه .

ولو اجتمع أهل الدنيا على بغضهم لم يخلق الجنّة وأكبّهم الله جميعاً في النار. لكن هذا الفرض أيضاً منتفٍ لخلق الجنّة من نورهم لهم عليهم السلام وإن لم يكن لهم أتباع. ولا فرق في هذا الفرض أيضاً بين إطاعتهم لله تعالى وعدمه ، لكنّه لا يتحقّق الاطاعة مع البغض لهم .

فتحقّق أنّ الاجتماع على الايمان مانع عن خلق النار و إن لم يكن معه تقوى ، لانتفاء مادة النار. لكن عرفت أنّه لا يعقل في [هذا الفرض] عدم التقوى. فالايمان حينئذٍ يستلزم كماله والتقوى وعدم صدور المعصية .

فيرجع ما ذكرناه في المآل إلى ما ذكره الشيخ الحرّ -رحمه الله- من تلك الجهة [1] لكنّه يباينه ، لأنّه حمل الايمان المانع من خلقها على الايمان الكامل. و نحن نقول : الايمان المانع منه هو المطلق عند اجتماعهم عليه ، لكن مطلقه لا ينفكّ في الفرض عن الفرد الكامل و هو المقترن بالتقوى ، للنكتة المزبورة ، وبينهما بون بيّن .

تنبيه

قد تبيّن ممّا ذكرناه معنيان لتوريث الجنّة و النار : الوراثة من آبائهم

(١) الجواهر السنية : ص٢٣٦ .

الحقيقيّين ـ وإن كان لا حقيقة لآباء أهل النار ـ ووراثة كلّ من المؤمنين والكفّار من الآخر . وهنا معنى ثالث لارث أهل الجنّة، وهو الارث من أبويهم الصوري، وهو « آدم » و « حواء» فإنّهما دخلا الجنّة ، ثمّ خرجا وأورثا لولدهم، فكأنّهم يرثونها منهما .

هذا إن قلنا : إنّ الجنّة الّتي دخلاها جنّة الاخرى ، و يظهر من بعض الأخبار أنّها جنّة الدنيا [١] .

وقال بعض العرفاء : هي هي من جهة وغيرها من اخرى. ثمّ إنّ كلاًّ من هذين الأبوين أو الأب خاصّة له جهة حقيقيّة أيضاً، وبه يحصل معنى رابع لتوريث أهل الجنّة .

و هنا معنى خامس لتوريث الجنّة و النار ، هو وجودهما ببركة الآباء الحقيقيّين ـ الأئمّة الهداة ـ فيرثونهما منهما،وإن كانوا أبناءً بئس ماورثوا! لكنّ الشرّ منهم وإليهم ، ولاذنب على آبائهم وإنّما اللوم عليهم لاختيارهم السيّيء .

وهنا تنبيه آخر :

وهو أنّا قد أشرنا إلى أنّ إيجاد النار والشرور والكفّار نعمة من الله وخير محض ، و إنّما اللوم على من اختاره ، فما فعله الله تعالى من خلق الكافر هو الأصلح بمقتضى الحكمة، وإن كان الأصلح له بعد كفره و خلود العذاب أن لا يوجد.

فاعلم: أنّ هنا مصالح كثيرة في إيجاد تلك الأشياء، وهو توقّف النظام عليها، فإنّ المؤمن ينتفع في الدنيا بالشرور والمكاره، بالابتلاء بها ليصبر ويؤجر، وبالنجاة منها ليشكر ويؤجر،وكذا ينتفع بالكافر في معاشه ـ وهو واضح ـ وفي معاده بالصبر على أذيّته وبالتألّم بما يرى من كفره ومعصية ربّه والظلم على أولياء الله وسبّ الأنبياء والأئمّة ونحو هذه . و كذا ينتفع بخلق النار بالاقبال على عبادة الجبّار

(١) الانوار النعمانية: ج١ ص٢٢٢ في تعليقته .

للهرب منها، ويلتذّ في الآخرة بعذاب أعداء الله وأعداء أحبّائه بها، وبالنجاة منها، فإنّه لايتمّ نعيم الجنّة ولايدرك حقّ الادراك إلّا بمشاهدة النار والنجاة منها. وهذا هو المسرّ في الجواز على الصراط، وهو الجسر الممدود على جهنّم، وورود الكلّ على النار، وفي كلّ ذلك تتميم وتكميل. وفي الآيات والأخبار والعقول شواهد على ذلك. و هنا مصالح اخرى كثيرة لا يخفى على اولي الألباب، و الله الموفّق للصواب.

إذا عرفت، فلنخض في بيان وشرح أجزاء كلام هذا الشيخ ـ رحمه الله ـ وفي التعرض لما يقال له وعليه، مع تضمين الفوائد وتحقيق جملة من الحقائق.

فنقول ـ ومن الله سبحانه التأييد وبه الاعتصام ـ: كلامه المزبور يشتمل على عدة من المقاصد المهمّة وأكثرها منظور فيه عندي.

ـ الاول ـ

إنّ ولايته من شرط صحّتها [و] ترتّب الأثر عليها جميع ماذكر من الامور، فلاتؤثّر أثراً مع الكفر وعدم الاقرار بالنبوة وغيرها.

و الحقّ خلافه، فقد ورد: أنّ يهوديّاً كان يحبّ الحسنين عليهما السلام فسألا جدهما عن حاله و أنّه هل ينفعه هذه المحبّة؟ فقال ما معناه: نعم يدخل النار ويسكن في بيت من الطين وتخوفه النار ولا تحرقه، ويصل إليه رزقه كالدنيا [١]. ولا بُعد في ذلك، وله نظائر.

و في البحار مرسلاً عن ابن عبّاس أنّه قال: كان يهوديّ يحبّ عليّاً حبّاً شديداً فمات ولم يسلم، قال ابن عبّاس: فيقول الجبّار تبارك وتعالى: أمّا جنّتي فليس له فيها نصيب، ولكن يانار، لا تهيديه، أي لاتزعجيه [٢].

وفيه أيضاً نقلاً عن فضائل أحمد و فردوس الديلمي، قال عمر بن الخطّاب:

---

(١) لم نجده.

(٢) البحار: ج٣٩ ص ٢٥٨.

قال النبي صلى الله عليه وآله : حبّ عليّ براءة من النار ، وأنشد :

حبّ عليّ جنّة للورى احطط به يا ربّ أوزاري
لو أنّ ذمّيّاً نوى حبّه حصّن في النار من النار [١]

وهذا مناف لما سبق: من اختصاص المؤمنين بحبّه كالكفّار ببغضه ـ بخلاف باقي بني فاطمة ـ إلّا أن يحمل الاختصاص المزبور على القضيّة الغالبة المثمرة عند الشكّ ، لا أنّه يمتنع حبّ كافر له عليه السلام .

ثمّ الكلام الفيصل في المقام: أنّ قبول الأعمال والعبادات وصحّتها وإن اشترط بالقصد والشعور ، إلّا أنّ المتتبّع الواقف على الآثار تجد استثناء امور من تلك بخصوصيّة اعتورتها فاستوجبت للتفضّل على ترتيب الأثر عليها مع عدم تحقّق هذه الشرائط أو بعضها .

منها: ما ذكرنا من محبّتهم وكذا زيارتهم وإقامة عزائهم والبكاء عليهم وإيواء ذريّتهم ومحبّيهم وقضاء حوائجهم وسدّ خلّتهم وأصناف التعطّفات عليهم وغيرها ، والآثار في ذلك كثيرة مثل ماورد في أخبار « مختار » وإنقاذه الحسين عليه السلام وإخراجه من قعر جهنّم بقتله لقتلته ، مع ما ابتدع من المذهب ، وأنّه يستغيث بالحسين عليه السلام ويقول: إنّي طلبت بثارك، ويقول النبيّ صلى الله عليه وآله للحسين: أجبه فينقضّ الحسين عليه السلام في النار كأنّه عقاب كاسر ، ويخرج المختار مع ما ابتدع من المذهب [٢] أو أنّه او شقّ عن قلبه لوجد حبّهما في قلبه [٣] كما في الخبر.

والظاهر أنّ المراد حبّ « الشيخين » وأنّه علّة دخول النار . وعن بعض الأفاضل تجويز رجوع الضمير إلى « الحسنين » وأنّه علّة للخروج منها . والأول أقرب لفظاً ، والثاني معنىً ، إذ خروج محبّي «الشيخين» عن النار خلاف القواعد

(١) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢٥٨ .
(٢) فى البحار « فيخرج المختار حممة ، ولو شق . . . الخ » .
(٣) بحار الانوار : ج٤٥ ص٣٤٥ ب٤٩ .

والأخبار ، وإن أمكن ذلك في سائر الكفّار ، هذا على الرواية المذكورة . وفيه رواية اخرى تدلّ على عدم دخوله النار[١] .

وماورد في الشيخ المجوسيّ في « سمرقند » من إعطائه رسول الله صلى الله عليه وآله في الرؤيا القصر من الزمرد الأخضر بالاحسان إلى العلويّة البلخيّة و ولدها وضيافتهم وإكسائهم وإطعامهم ، ومنع الشيخ المسلم و الاعراض عنه ، حيث إنّه لم يعطها ولم يلتفت إليها[٢] . وهذا المجوسيّ وإن أسلم بما رأى في تلك الرؤيا ، إلاّ أنّه لاينافي مارمناه ، بل إسلامه وإسلام أهله ببركة ذلك أيضاً ، و هو نعمة اخرى.

ومثل مجوسيّ آخر زوّج ابنته وصنع طعاماً ودعا الناس إليه وكان إلى جانبه قوم أشراف فقراء، فسمع صبيّة تقول لامّها يا امّاه! قد أذانا هذا المجوسيّ برائحة طعامه، فأرسل إليهنّ بطعام كثير و كسوة ودنانير. فلمّا نظروا إلى ذلك قالت الصبيّة للباقيات : والله ما نأكل حتّى ندعو له ، فرفعن أيديهنّ و قلن : حشرك الله مع جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وأمّن بعضهنّ فاجيبت الدعوة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً في منامه أن يأتيه ويبشّره بإجابة الدعوة ، فرزق الاسلام و الحشر معه صلى الله عليه وآله و تحقّقت إجابة الدعاء بما فعل [٣] .

وحكاية الزانية ـ الّتي اقتبست النار الموقدة في مجلس عزاء الحسين عليه السلام فدمعت عيناها بدخول الدخان فيهما . فغفر الله تعالى لها ـ معروفة [٤] .

بل من المسموع الثابت نوح هنود الهند وبكاؤهم في العشر الاول من المحرم على الحسين عليه السلام وإقامة عزائه ، لما وجدوا من بعثه على نزول البركة عليهم في

(١) بحار الانوار : ج٤٥ ص ٣٤٣ ح٩ .
(٢) داجع بحار الانوار: ج٤٢ ص١٢ .
(٣) داجع بحار الانوار : ج٤٢ ص١٤ .
(٤) المنتخب للطريحى : ص٢١١ .

عامّة عامهم هذا ، و هو كذلك ، لأنّ البكاء عليه يوجب للجنّة ، ودنيا الكفّار جنّتهم فيجازون به فيها . و هذا مؤيّد ، و لا يدلّ على المطلوب من النفع في الآخرة .

ومنها : إيواء المؤمنين من سائر الامم ، فقد ورد عن الباقر عليه السلام أنّ رجلاً من المؤمنين هرب من سلطان جائر ودخل ملك سلطان جائر فآواه رجل من الكفّار وأضافه ، فلمّا مات ذلك الكافر قال الله تعالى له : و عزتي و جلالي ، لو كان لك مقام في الجنّة لأسكنتك الجنّة ، لكنّها محرمة على المشركين ، وقال للنار : أن تروعه ولاتحرقه و لا تؤذيه ، و يوصل إليه رزقه في طرفي النهار ، قال السائل : أمن الجنّة ؟ قال : من حيث يشاءالله تعالى[1]. لكون كلّ المؤمنين من محبّيهم عليهم السلام و كلّ الامم من امّة النبيّ صلى الله عليه وآله .

و منها : إدارة السبحة المعمولة من طين قبر الحسين عليه السلام ساهياً ، فيكتب له بذلك التسبيح وإن لم يسبّح [2] .

ومنها : ترك شرب الخمر لا بدّ منه[3]فقد ورد : أنّ الله تعالى يسقيه من الخمر المختوم في الجنّة[4] .

و منها : السخاوة، فقد وردفي حاتم[5]مع كونه كافراً مثل ماذكرفي اليهودي.

بل ربما يغيّر هذه الأفعال بعض الأحكام المقررة في الدنيا : من قتل وسبي و غيرهما ، كما في كافر قدم رسول الله صلى الله عليه وآله فأمر عليّاً عليه السلام بضرب عنقه ، فنزل عليه جبرئيل ، فقال ، يا محمّد صلى الله عليه وآله ربّك يقرئك السلام ، و يقول : لا

---

(١) اصول الكافي : كتاب الايمان والكفر ، باب ادخال السرور على المؤمنين ح٣ مع تفاوت .

(٢) وسائل الشيعة : ج٤ ص١٠٣٣ باب ١٦ من أبواب التعقيب ح٧ .

(٣) كذا في النسخة ، والصحيح « لا لله تعالى » .

(٤) بحار الانوار : ج٧٩ ص١٥٠ ، وفيه « من الرحيق المختوم » .

(٥) بحار الانوار : ج٧١ ص٣٥٤ ذيل ح١٦ .

تقتله ، فإنّه حسن الخلق وسخيّ في قومه ، الحديث [١].

وقد اتّفق مثل ذلك في غير موضع . وإسلامهم بعد وقوفهم على النهي لمكان الأمرين ونحوهما من الأخلاق الحسنة لا ينافي مقصودنا كما تقدم . وكذا الحال في توبة المرأة الزانية المزبورة .

تنبيه :

النهي عن قتل ذلك الكافر و نحوه ، إن لوحظ بالنسبة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وكونه مأموراً بقتل الأسير البالغ الذكر المأخوذ قبل أن يضع الحرب أوزارها، يكون تخصيصاً ، فيدلّ على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى الحاجة . و هذا يبتني على أن نجعل وقت الحاجة مبعّضاً بالنسبة إلى أفراد العمل . و لو جعلناه وقت العمل المبيّن في الجملة - كما هو ظاهرهم - فيكون هذا من التأخير عن وقت العمل ، فلابدّ من طرح الحديث حينئذ لمخالفته للقاعدة أو تأويله بما يوافقها.

وإن لوحظ بالنسبة إلى الوصيّ عليه السلام وكونه مأموراً بقتله، فيكون من النسخ قبل حضور وقت العمل أو قبل العمل بعد حضور وقته .

والحقّ هو الأول ، وإلّا فيلزم كون كثير ممّا هو نسخ قبل حضور وقت العمل من النسخ قبل العمل بعد حضور وقته، وهم لا يلتزمونه . وحينئذ فهذا موهن آخر للحديث على طريقة مشهور الأصحاب من عدم تجويزهم لذلك .

ولكن الحقّ هو الجواز وفاقاً لبعض الأصحاب ، كشيخنا المفيد والمحقّق الاستاذ العلّامة - رحمهما الله - وأكثر الأشاعرة . والوجه : عدم كون الأمر من قبيل الارادة ، بل من الطلب، كيف! والأمر من الانشاءات الحاصلة بالأمر الدالّ عليها الغير القابلة للصدق و الكذب ، و الارادة من الامور النفسانيّة التابعة لدواعيها و ممّا يقبل الصدق و الكذب ، فكيف يجعل أحدهما عين الآخر ؟ و كذا الطلب قد يتحقّق و لا إرادة للمأمور به هناك، فلا يكون مسبوقاً بها أيضاً . فالحقّ في

---

(١) بحار الانوار : ج٧١ ص٣٩٠ ح٤٩ مع تفاوت .

ذلك المبنى وما يبتني عليه من جواز أمر الآمر مع العلم بانتفاء شرطه .

ومن المسألة المزبورة وغيرها [١] مع الأشاعرة ، دون أكثر أصحابنا . نعم مسألة جواز التكليف بمالايطاق المتفرعة على ذلك المبنى أيضاً لانوافق نحن فيها للأشاعرة ، لعدم ترتّب فائدة على ذلك التكليف- من ابتلاء وتوطين ونحوهما- مع العلم بكونه ممّا لايطاق .

ثمّ نسخ إيصال صورة البراءة إلى أهل مكّة من قبيل المذكور أيضاً، ويحتمل أنّ الأمر هناك لم يكن على حقيقته بل كان أمراً صوريّاً لضرب من المصلحة التي لايخفى .

لكن فيه ما لايخفى ، إذ لو اريد عدم الارادة للمأمور به ، ففيه: أنّ حقيقة الأمر متحقّقه متى تحقّق الطلب وإن انتفت الارادة وكان لسائر الدواعي ، وهذا محلّ نزاعنا . وإن اريد انتفاء الطلب أيضاً ، ففيه منع ، إذ وجه المصلحة هنا تحقّق الطلب ، لأنّه ينافيه ، والأمر إنّما يكون صوريّاً لو انتفت حقيقة الطلب أصلاً ، كما في صورة إرادة التسخير والتعجيز ونحوهما .

تنبيه :

اعلم : أنّ وجه المصلحة هنا بيان نقص المرسل وعدم قابليّته وإتيانه لتبليغ آيات من القرآن ، لطفاً من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وآله كي لايغيّروا بعده به ويتّخذوه خليفةً وإماماً بشبهه وتلبيساته. وقد فعل مثل ذلك في مواضع اخر إتماماً للحجّة ، مثل غزوة خيبر وإعطائه الراية «الأول» ثمّ «الثاني» ثمّ إعطائها عليّاً وقوله صلى الله عليه وآله : لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ، كرار غير فرار [٢] . وظهور الأعاجيب منه : من قلع الباب، وفتح الحصن، وثبات القدم ، وتفريق جنود الكفر ، وإدخال عسكر المسلمين في الحصن بعد أن أجازهم

(١) سقط من هنا كلمات ، لعلها «يظهر أن الحق» .

(٢) بحار الانوار : ج ٣٩ ص٧ ب٧١ ح١ .

فإنّ في قول النبيّ صلى الله عليه وآله وفعله وفعل الوصيّ عليه السلام إشارات لمن يفقه ويعقل إلى أنّ الأولين ـ التيم والعديّ ـ اللذين سيقدمان غدراً وجوراً على نفس الرسول ليسا من ذلك في شيء، ولافتوح بيدهما، وأنّهما سببان لاضلال الامّة ولتخريب الاسلام وتشجيع أهل الكفر والعدوان، وأنّهما لم يؤمنا بالله طرفة عين، ولا يحبّان الله والرسول ولا يحبّانهما، وأنّ الفتوح وقلع باب الكفر إنّما هو لمظهر العجائب، ومظهر الغرائب، أسدالله الغالب، ومطلوب كلّ طالب، صاحب الراية في الغدين، وهو المحبّ لله ولرسوله ومحبوبهما، وأنّ حبّه إيمان وبغضه كفر، فيريدان من الكلّ محبّتهم له، فمن لم يحب محبوبهما فهو مبغوض لهما، وهو الكرار الغير الفرار، الثابت على الهدى، والمثبت عليه الامّة، وهو المجيز غداً عن الصراط والمدخل في الجنة ودار السلام، والملقي في النار، وبالغ من الرفعة إلى مقام عالٍ، ووضع قدميه على أكتاف الملائكة وكلّ المخلوقات تحت رجليه، وله مقام علا مقامهم، وجاوز قدره قدرهم، وكلّهم تحت سلطنته وإمارته وطاعته، إلى غير ذلك، فافهم راشداً مهديّاً.

ومثل ما ذكر قصّة عطرفة بن شمراخ (1) الجنّي وأمره من رسول صلى الله عليه وآله على قومه الّذين لم يؤمنوا به وأمره صلى الله عليه وآله أبابكر بالرواح معه والحكم بينهم، فاعترف بالعجز عن الذهاب معه إلى تحت الأرض والحكم بينهم، مع أنّه لا يفهم كلامهم ثمّ أمره عمر وجوابه بمثل جواب صاحبه، ثمّ أمره عليّاً وإجابته وإتمام أمره بما يقضي العجب[2]، إلى غير ذلك.

ومنها: العدالة، فقد ورد في «أنوشيروان» مثل ما ذكر في «حاتم» وأنّه لمّا قدم عليّ عليه السلام المدائن رأى جمجمة أخبرت أنّها هو، وأنّه خلّص عن عذاب

(1) في البحار «عرفطة بن سمراخ».

(2) بحار الانوار: ج٣٩ ص١٦٨ ح٩ نقلا بالمعنى.

النار ببركة عدله وإنصافه بين الرعيّة ، لكنّه في النار [1] .

ومنها : الشجاعة ، فانّه ورد في «رستم» مثل ماورد في «حاتم» .

ومنها : الستر على العيوب ، فإنّ حكاية بحر العلوم العلّامة الطباطبائي -قدس سره- مع الحلّي الذى صنعته إشراب القهوة والتتن وأخذ الاجرة على ذلك معروفة مشهورة ، وفيها ما فيه غنية و كفاية .

ومنها : سائر مكارم الأخلاق، كما يظهر للمتدبّر المتدرب والمتتبّع المطّلع بمذاق الشرع والآثار الواردة فيه في ذلك المضمار .

ومنها : النيّة ، وليست لهانيّة ، وإلّا لتسلسلت ، إلى غير ذلك .

والكلام الفيصل في المقام والضابط الكلّي لم نره من أحد من الأعلام، اللّهم إلّا ما للشهيد الثاني -رحمه‌الله- في قرض الروضة، قال : و قد يقع التفضّل على كثير من فاعلي البرّ من غير اعتبار القربة ، كالكرم ، انتهى .

وما للمحقّق الفقيه النبيه ـ رحمه‌الله ـ في كشف الغطاء ، فضبط بـ «مكارم الأخلاق» .

وأنت خبير بأنّ ما ذكراه مع كونه أخصّ من المرام لا يلقي بماهو السرّ ،فقد فقدا الضبط والسرّ معاً .

والتحقيق في السرّ الاجمالي في المقام : أنّ عدم نيّة القربة في البعض لعدم الامكان ، كالأخيرة ، وفي البعض بجلالة أوجبت التأثير بتلك المثابة وترتّب الأثر مع انتفاء الشرائط المقررة .

فمنها : ما عظمت و جلّت ، لانتسابها إلى الأعاظم الأجلّة و أحبّاء الله و أصفيائه ، فتعظيمها و التسهيل فيها من نتائج تعظيمهم و إكرامهم . فمثل زيارة الحسين عليه‌السلام و سائر الأئمّة و البكاء عليهم و إقامة عزائهم و كصوم يوم الغدير و غيرها ممّا ينتسب إليهم عليهم‌السلام بوجه ، نسبة ترتّب الاجور الكثيرة

(١) بحار الانوار : ج٤١ ص٢١٤ .

عليها إنّما هو لتعظيمهم أو في الحقيقة من اجور أعمالهم، لأنّهم قد بذلوا أنفسهم في سبيل مرضاة الله و أكملوا جميع مراتب العبوديّة ولم يروا أنفسهم في آن، فلذا منحوا بهذه التشريفات والتكريمات من الله تعالى بل كلّما منح به شيعتهم ومواليهم من اجور الأعمال فإنّما هو ببركتهم ومن جهة انتسابهم إليهم عليهم السلام وإلاّ فأعمالهم من حيث هي ومن حيث انتسابها إلى الفاعلين لا توجب تلك المقادير المقررة من الاجور. حتّى أنّ من لم ينتسب إليهم عليهم السلام لا أجر لعمله أصلاً، و لا يقبل منه عمل إلاّ ما يجازى به في الدنيا. نعم، يجعل أعماله لمواليهم المنتسبين إليهم، لتحقّق الشرط فيهم.

وبهذا يتّضح فساد استبعاد ترتّب هذه الاجور الكثيرة على أعمالهم، مثل زيارة الحسين عليه السلام وصوم يوم الغدير ونحوهما، فاشكل حاله على علمائنا الأعلام ـ قدس الله أسرارهم ـ وتفصّوا بوجوه في أكثرها تعسّف، وجلّهم نادوا من مكان بعيد! ومنهم من فتح باب الانكار بمجرّد هذا الاستبعاد الواهي، وأنّه كيف يزيد أجر زيارة الحسين عليه السلام على حجّ بيت الله سبحانه مثلاً بالوف؟ مع ما فيه من كثرة المشاقّ والتغرب عن الأوطان و الأولاد وصرف المال الكثير! و الحال أنّ أفضل الأعمال أحمزها وأشقّها.

وفيه: أنّ هذا الأجر الكثير لأحمز الأعمال في الحقيقة، و هو صبره عليه السلام على الشهادة و تحمّل مشاقّها و بذل نفسه و عياله و أولاده في سبيل رضا ربّ العالمين، لا لعمل الزائر. فما ذكرناه أحسن الوجوه الّتي ذكروها و أوضحها وأصحّها، و لا يبقي للمؤمن العارف بمرتبة ساداته أثراً من الاستبعاد ولا فراراً.

و في القدسيّ النبويّ «بشّر أخاك عليّاً بأنّي لا اعذب من تولاّه ولا أرحم من عاداه»[1] وفي آخر «عليّ مقيم حجّتي لا اعذب من والاه وإن عصاني ولا

(١) الجواهر السنية: ص٢٢٢.

ارحم من عاداه وإن أطاعني»[1] .

ففي البشارة إشارة إلى ماذكرناه، بل في كلّ أحاديث الولاية وإناطة النجاة بها و الهلاك ببغضه إرشاد إلى ذلك ،كما لا يخفى على المسترشد الخبير البصير .

ومنها : ما عظمت وجلّت ، للتشبيه بالله تعالى و التخلّق بأخلاق الله ، ومن ذلك جملة من المذكورات ، كالسخاوة ، و العدالة ، والستر على العيوب ، والصوم . فإنّ الله تعالى كما جعل بعض صفاته خاصّة به ، من أراد الشركة فيها أذلّه و أخزاه ـ مثل الكبر و غيره ـ فمنها ما يحبّ اتّصاف عباده بها والشركة فيها ، ومن اتّصف بها يحبّه ويأواه ويعظّم أجره ويكرم مثواه ، ولذا ورد « أنّ الصوم لي وأنا اجزي به »[2] فهذا وجه ذلك .

ويمكن إرجاع هذا القسم إلى الأول ، بأن يقال فيه تشبّه بأحبّاء الله ، والفرق بأنّ الأول عمل يتعلّق بهم عليهم السلام وهذاعمل يشبهأعمالهم؛ خلق يشبهأخلاقهم والله سبحانه كما يحبّهم يحبّ صفاتهم و من اتّصف بصفاتهم : من علم وسخاوة وجود و كرم حلم وصبر وشجاعة ، وهكذا . وقد روي أنّ الرجل الّذي كان منه فرعون لما تشبّه بموسى عليه السلام في الملبس ودخل على فرعون يقلّد علىموسى في أقواله وأفعاله وقد غضب منه موسى ، ولمّا أغرق اللهفرعون وجنوده وكانفيهم ذلك الرجل فلم يغرقه الله سبحانه فقال موسى : ياربّ ، إنّ هذا الرجلأغاظني فلم لم تغرقه ؟ فقال: ياموسى ، إنّه تشبّهبك في الثياب والكلام، فأنجيته لماتشبّه بأحبّائي[3].

وذلك لايختصّ بالمحبّةالحقيّقية وبعالمالحقيقة ، بل يتحقّق نظيره في عالم الشهود أيضاً .

(١) الجواهر السنية : ص٢٣٨ .

(٢) بحارالانوار : ج٩٦ ص٢٤٩ ب ٣٠ ح١٢ .

(٣) الانوار النعمانيه ج٣ ص٣١٠ .

على أنّ «كثيراً» كان رافضيّاً وكانت خلفاء بني اميّة يعرفون منه ذلك، فدخل يوماً على «عبدالملك بن مروان» فقال: نشدتك بحقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام هل رأيت أعشق منك؟ فقال: نعم بينما أسير في بعض الفلوات إذا أنا برجل قد نصب حبائله، فقلت: ما أجلسك هنا؟ قال: أهلكني و أهلي الجوع، فنصبت حبائل لاصيب لهم ولنفسي ما يكفينا يومنا هذا. فقلت: أرأيت أن أقمت فأصبت صيداً تجعل لي جزءً؟ قال: نعم، فبينما نحن إذ وقعت عليه [ظبية] فخرجنا مبتدرين. فسارع إليها فحلّها وأطلقها، فقلت له: ما حملك على هذا؟ قال: دخلني عليها رقّة لشبهها بليلى، وأنشأ يقول:

ألا شبيهة ليلى لاتراعي فإنّني ... لك اليوم من وحشيّة لصديق

أقول وقد أطلقتها من وثاقها ... لأنت لليلى لوعرفت عتيق

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ... و لكنّ عظم الساق منك دقيق

ولمّا أسرعت في العدو، جعل يقول:

اذهبي في كلاءة الرحمان ... أنت منّي في ذمّة وأمان

لاتخافي من أن تحاجي بسوء ... ماتغنّى الحمام في الأغصان [1]

أقول: وسيجيء في الفصول الآتية إن شاء الله تعالى في معنى الحبّ ومقاماته جملة من ذلك وحكايات يحقّق هذا المعنى وما يضاهيه: من أنّ المحبّ يحبّ جميع ما له نسبة إلى المحبوب ـ من بلد ودار وجدران و كلاب ونحوها ـ أوما له

(١) الانوار النعمانية: ج٣ ص١٧٦.

ألاشبه ليلى لا تروعى فانني ... لك اليوم من بين الوحوش صديق

أقول وقد أطلقتها من وثاقها ... فأنت لليلى ان شكرت عتيق

فعيناك عيناها وجيدك وجدها ... سوى أن عظم الساق منك دقيق

اذهبى فى كلائة الرحمان ... أنت منى فى ذمة وأمان

لا تخافى و لا تراعى بسوء ... ما تغنى الحمام فى الاغصان

ولهتنى وجيدها جيد ليلى ... . . . و الجبين و العينان

شبه به ، وأنّ كلّ ذلك لاينافي التفرد في المحبّة والخلوص للمحبوب ، بل يرجع إلى محبّته في الحقيقة ، إلى غير ذلك .

تنبيه :

قد استصعب العلماء ـ رحمهم الله ـ في معنى الحديث المذكور في الصوم، وسلكوا مسالك ، ولأرباب الألباب وأصحاب القلوب توجيهات له . وما أشرنا إليه أحسنها وأجودها ، فإنّ إخلاء الجوف يشبه بصفة الصمد تعالى لأنّه ليس له سبحانه الأكل ونحوه . وعن النبيّ ﷺ «تخلّقوا بأخلاق الله» (١) . والمراد ما يحبّ الشركة فيها ، كعدم الأكل والنوم، وترك الفعل والقول السيّئين ، وكالحمد والثناء والحلم والاستغناء والجود والاحسان والاطعام ، ونحوها من الصفات الكماليّة الّتي طلبها سبحانه وتعالى من عباده ، دون ما جعله من خواصّه ، كالعظمة والكبرياء والجلال ـ كما مرّ ـ فتلك الاضافة وذلك الاختصاص لما ذكر .

ومن جملة التوجيهات المذكورة له : أنّ الصوم يوجب صفاء العقل والفكر بواسطة ضعف القوى الشهويّة بسبب الجوع ، ولذلك قال عليه السلام : «لاتدخل الحكمة جوفاً مليء طعاماً » و صفاء القلب و الفكر يوجبان حصول المعارف الربّانيّة الّتي هي أشرف أحوال النفس الانسانيّة و يثمران لمحبّة الله. ومن هذا قرأ بعضهم «اجزى» ـ بالمجهول ـ يعني أنّ معرفته تعالى ومحبّته جزاؤه. وهذا يتلو ما سبق في الحسن والجودة لو لم يكن أحسن وأجود .

وفي القدسيّات الأحمديّة «يا أحمد ، لو ذقت حلاوة الجوع والصمت والخلوة وما ورثوا منها ، فقال : يارب ، ماميراث الجوع ؟ قال: الحكمة، وحفظ القلب ، والتقرب إليّ ، والحزن الدائم ، وخفّة المؤونة بين الناس ، وقول الحقّ ، ولايبالي عاش موسراً أم معسراً ، يا أحمد ، هل تدري بأيّ وقت يتقرب العبد إليّ ؟ قال :

---

(١) لم نجده بهذه العبارة ، لكن في البحار ج٧١ ص ٤٢٣ « لان العفو و الغفران صفتان من صفات الله عزوجل أودعهما في أسرار أصفيائه ليتخلقوا بأخلاق خالقهم» .

لا يا ربّ ، قال : إذا كان جائعاً أو ساجداً» الحديث [١] .

وفيها أيضاً « يا أحمد، تدري لأيّ شيء فضلّتك على سائر الأنبياء ؟ قال : اللّهمّ لا ، قال : بالخلق وحسن الخلق وسخاوة النفس ورحمة الخلق ، وكذلك أوتاد الأرض لم تكن أوتاداً إلّا بهذا ، يا أحمد ، إنّ العبد إذا جاع بطنه وحفظ لسانه علّمته الحكمة ، وإن كان كافراً تكون حكمته حجّة عليه ووبالاً ، وإن كان مؤمناً تكون حكمته له نوراً وبرهاناً وشفاءً ورحمة ، ويعلم مالم يكن يعلم، ويبصر مالم يكن يبصر ، فأول ما أبصره عيوب نفسه حتّى يشتغل بها عن عيوب غيره وأبصره دقائق العلم حتّى لا يدخل عليه الشيطان ، يا أحمد ، ليس شيء من العبادة أحبّ إليّ من الصمت والصوم ، فمن صام ولم يحفظ لسانه كان كمن قام ولم يقرأ في صلاته ، فاعطيه أجر القيام ولم اعطيه أجر العبادة» الحديث [١] .

ويستفاد منهما أنّ مطلق الجوع ولاسيّما إذا كان مع حفظ اللسان يورث العلم والحكمة وإن لم يكن بقصد الصوم و التقرب ، بل كان مع الكفر أيضاً . ومن هنا إنّ الرياضة وترك الملاذّ وقلّة الأكل وحفظ الفرج والبطن واللسان يوجب تصفية النفس لجميع أهل المذاهب والأديان ، وكلّهم لهم حظّ من العلم والحكمة بها . لكنّ الحكيم الّذي يسوغ الأخذ منه ومتابعته ويستأهل لذلك وللاقتداء به إنّما هو من كان قلبه مطّلعاً بما يجري على لسانه ، ويكون حكمته نوراً وبرهاناً وشفاءً ورحمة ، وإلّا فالعالم المفتون بالدنيا كثير وأوعية الحكمة كثيرون ، وليس كلّ من اوتي الحكمة أهلاً لها ، فلا تغترّ إذاً بمن رزقها ، ولا تقتد به مالم تعلم أنّه أهل للاقتداء .

وفي النبويّ ﷺ :يا أباذر ، ما زهد عبد في الدنيا إلّا أثبت الله عزّ وجلّ الحكمة في قلبه ، و أنطق بها لسانه ، و بصّره عيوب الدنيا وداءها و دواءها ،

---

(١) الجواهر السنية : ص١٩٢ .

(١) الجواهر السنية : ٢٠٠ .

وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام ، ياأباذر ، إذا رأيت أخاك قد زهد في الدنيا فاستمع منه ، فإنّه يلقي إليك الحكمة [١] .

وفيه : ياأباذر : من اوتي من العلم ما لايعمل به[٢] لحقيق أن يكون اوتي علماً لاينفعه الله به ، لأنّ الله عزّوجلّ نعت العلماء، فقال: «إن الّذين اوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرّون للأذقان سجّداً * ويقولون سبحان ربّنا إن كان وعد ربّنا لمفعولاً * ويخرّون للأذقان يبكون[٣].

وفيه : ياأباذر ، إنّ الله جلّ شأنه يقول : إنّي لست كلّ كلام الحكيم أتقبّل ، ولكن همّه وهواه ، فإن كان همّه وهواه فيما احبّ وأرضى جعلت صمته حمداً لي ووقاراً وإن لم يتكلّم [٤] .

وفي الحديث ، وأنّ الجاهل المتنسّك والعالم المتهتّك قصما ظهر رسول الله صلّى الله عليه وآله [٥] لاغترار الناس بزهد الأول وعلم الثاني .

فمن يستأهل الاقتداء إنّما هو الجامع بين الأمرين : العلم والزهد في الدنيا . اللّهمّ فاجعل ما علّمتناه حجّة لنا ، وعلّمنا ما جهلناه بحقّ الحكمة واهله صلّى الله عليهم أجمعين .

هذا . وأمّا التوجيهات الاخر الّتي ذكروها فلايهمّنا التكلّم عليها الآن وذكرها ، لعدم مناسبة المقام لها ، والله وليّ التوفيق .

والمحصّل : أنّ المحبّة والولاية لهمادرجات ، وتثمران الثمرات في الدنيا والآخرة ، وللمؤمنين والكفّار ، ولسائر المخلوقات من الأرض و المياه والطيور والحيوانات وغيرها .

---

(١) مكارم الاخلاق : ص٤٦٣ .

(٢) في مكارم الاخلاق «ما لايبكيه» .

(٣) مكارم الاخلاق: ص٤٦٢.

(٤) مجموعه ورام : ج٢ ص٦٢ وفيه «لست كلام الحكيم أتقبل» .

(٥) بحار الانوار : ج٢ ص١١١ .

وعن ابن عبّاس ـ رحمه الله ـ أنّه لما رأى سلمان عليه السلام في الطيف في درجته الرفيعة ومرتبته في الجنّة ، فسأله بم نلت بذلك ؟ فقال : يابن عبّاس والله ما نلت بذلك إلّا بحبّ عليّ بن أبي طالب (١) .

وعن عليّ بن محمّد الصوفي وكان في عصر مولانا الباقر عليه السلام أنّه رأى الشيطان فسأله بحقّ الله أن يعلّمه عملاً يصير به مقربي حضرت ربّ العزة ، فقال : اقنع من دنياك بالعفاف والكفاف، واستعن على الآخرة بحبّ عليّ بن أبي طالب وبغض أعدائه ، فإنّي عبدت الله في السماوات السبع وفي الأرضين السبع وصرت مطّلعاً بأحوال أهل السماوات وأهل الأرضين ، فما وجدت ملكاً مقرباً و لا نبيّاً مرسلاً إلّا أنّه كان يتقرب إلى الله سبحانه بحبّ عليّ بن أبي طالب و يتوسّل في الحوائج والمهمّات به و يجعله شفيعاً عندالله تعالى (٢) .

ونعم ما قيل بالفارسيّة : «بيدار علي باش» .

وبالجملة: فولايته جامعة لجميع مراتب الخير، وبغضه بالعكس، وبهما ينوط أمر الدنيا والآخرة . ومن أكمل ولايتهم يقدر على إنزال العرش والسماوات ويتدرج إلى أن يصل إلى الكفّار ، فيدخلون النار ولا يحرقون ، بل في كثير من الأخبار : أنّ كثيراً ممّن يوالونهم ولا يعتقدون بإمامتهم ولا يبغضون أعداءهم لهم النجاة ويدخلون الجنّة. وأنّ الناس ثلاثة أقسام المؤمن والمبغض و ... وإلى الحيوانات العجم والجمادات . ولكلّ خلق نصيب من ولايته وينتفع بقدر شعوره وإدراكه، فصحّ دخل الطاعات والتقوى في النجاة ، وصحّ الاناطة بحبّه . وكذا الحال في المعاصي وبغضه ، سواء في ذلك هذه الامّة وسائر الامم ، وسواء الملائكة والأنبياء والرسل وسائر الناس أجمعين . لكنّ الاجتماع على الولاية مانعة عن خلق النار و لو كانت ناقصة ، إلّا أن يلاحظ ما قدمناه ، فلا يكون المفروض . ولا يبعد أنّ

(١) لم نعثر عليه .
(٢) بحار الانوار : ج٣٩ ص١٨١ ب ٨٣ ح٢٣ مع تفاوت كثير .

«الحافظ البرسي» يريد ما ذكرناه ، كما هو أقرب بمذاقه . وليس عندي الآن كلامه .

ـ الثاني ـ

قوله : «ويدخل في ولايته الاقرار بولاية الأئمّة» .

وهو منظور فيه أيضاً من وجوه :

الاول : أنّه لا ينفكّ ولاية بعضهم عن بعض. وقد عرفت بطلانه في حديث اليهوديّ وأيضاً في زمان النبيّ صلى الله عليه وآله امروا بولاية أمير المؤمنين عليه السلام منذ سنين ولم يسمعوا لسائر الأئمّة عليهم السلام إلّا الخواصّ، وكثير منهم كانوا يوالونه من دون علم بالباقين.

الثاني : أنّه يدخل في ولايته الاقرار بولايته . وهو منتقض بمن مات في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يسمع بإمامته .

الثالث : أنّه يدخل في إمامته الاقرار بسائر الأئمّة . وهو ينتقض بأكثر الشيعة من زمانه إلى زمان «القائم» فإنّهم كلّهم أو أكثرهم كانوا يعرفون إمامة البعد بنصّ من قبله ، بل جلّهم كانوا يعتقدون في إمام أنّه هو «القائم» و كثيراً ما كانوا يسألون عن الأئمّة عليهم السلام : أنت صاحب العصر؟ فكانوا يجيبون: نعم، تسليةً لهم ، ولكون كلّهم صاحب العصر .

فيلزم ممّا ذكره كون الشيعة كلّهم أو جلّهم سوى من شذّ في تلك الأزمنة المتطاولة لم يكونوا من مواليه عليه السلام فضلاً عن كونهم من شيعته . نعم، الشيعة الكاملون مثل «سلمان» و«أبي ذر» و«مقداد» و«عمّار» و«جابر» وأضرابهم من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله و كذلك الخواصّ من أصحاب الأئمّة كانت لهم هذه المرتبة دون جميعهم.

وقد ذكر علماء الرجال ـ رحمهم الله ـ أنّ الواقفيّة قسمان : من مات في زمان أبي الحسن موسى عليه السلام ، و من أدرك زمن أبي الحسن الرضا عليه السلام وأنّ كثيراً من الأجلّاء رموا بالوقف القادح ـ وهم من القسم الأول ـ لعدم التنبّه بمراد من نسبهم إلى الوقف . وعلى ما ذكره ـ رحمه الله ـ يلزم عدم الفرق بين القسمين .

فان قلت: كلّ أصحاب النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة سمعوا بأنّ الأئمّة إثنا عشر وأنّهم كلّهم من قريش، فالمقصود من اعتقاد إمامة الجميع هذه المعرفة الاجماليّة وأخذها في ولاية أمير المؤمنين.

قلت: يدفعه ما عرفت من سؤال كثير في بعض الأئمّة عليهم السلام أنّه «القائم» عليه السلام.

وبالجملة: فأخذ جميع ما ذكر في مطلق ولايه علي عليه السلام بيّن الفساد، كما أنّ أخذ ما سبق شرطاً في صحّتها وفي ترتّب الأثر عليها ـ فبدونه لا يؤثّر أثراً ـ كذلك، كما عرفت. نعم، من عرف منهم إماماً وأنكره أو أقرّ بإمامة غير إمام عصره ـ كفرق الشيعة من الواقفيّة وغيرهم ـ لا ينفعهم ولاية من تقدم والاقرار بإمامته. وكذلك الحال من زمان «القائم» عليه السلام إلى زماننا وما بعده، فلابدّ فيه من الاقرار بإمامة جميع الأثني عشر عليهم السلام وإنكار واحد منهم كإنكار الكلّ و كإنكار رسول الله صلى الله عليه وآله وأشدّ، كما ورد في الأخبار، بل لا يؤثّر الولاية من هؤلاء أثراً أصلاً، فحالهم أدنى من حال اليهوديّ الذي كان يحبّ الحسنين عليهما السلام. نعم، من ضعف عقله ويواليهم ولم يعرف حقيقة الأمر، فهم «المرجون لأمر الله إمّا أن يعذبهم أو يتوب عليهم» بعد إتمام الحجّة.

وتحقيق المقام: أنّ الولاية النافعة هي المحبّة مع معرفة حقهّم واعتقاد إمامتهم والسلوك في الصراط المستقيم، وهو مختلف باختلاف الأشخاص والأزمان، ففي الامم السابقة إنّما يكون باعتقاد نبوة نبيّ عصرهم مع من سبق، وفي صدر الاسلام بالايمان بالنبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ الوصيّ عليه السلام وهكذا في كلّ زمان يضاف معرفة إمام الزمان عليه السلام مع من سبق، لا أزيد، إلّا من عرف بالمتأخّر إجمالاً أو تفصيلاً فيكلّف به كذلك. وكذلك الحال في الامم السابقة من سمع منهم بنبيّنا صلى الله عليه وآله وأوصيائه عليهم السلام وبأفضليّتهم مكلّف باعتقاد ذلك واخذ عليهم الميثاق بذلك، إلّا أنّ من لم يسمعه تلك الدعوة لا شيء عليه.

فالولاية شيء واحد مطّرد في جميع الامم ، و هي ملاك السعادة و النجاة . و كذا بغضهم سارٍ في الجميع ، وهو مناط الشقاوة ، فلكلّ أحد نصيب من حبّهم أو بغضهم من جميع الامم و كلّهم مكلّفون بالولاية و بالسلوك في الصراط المستقيم. ومن أحبّهم ولم يعرف إمامتهم من الضعفاء لهم تكليف آخر ويرجى فيه النجاة. وربما ينفع حبّهم في الدنيا وفي الآخره لبعض الكفّار ، كما تقدم، إلاّ أنّهم ليسوا من أهل الولاية في شيء. وربما يعذب بعض مواليهم بنار عارضيّة هي ظلّ النار الأصيل ، كما سيجيء إن شاء الله تعالى في الفصل الآتي، وهو ليس بتعذيب في الحقيقة بل تطهير وتنقية ، أو ببلاء الدنيا، وهي أيضاً نار عارضيّة ظلّيّة، وهي نصيبهم من النار . كما أنّ الكفّار في الدنيا أحاطت بهم النار بصورة الصفات الرذيلة ، وإن لم يدركوا بها ، وسنفصّل كلّ ذلك إن شاء الله المنّان في الفصل الآتي .

وقد عرفت: أنّ الولاية التي يمنع الاجتماع عليها من خلق النار هي الولاية الكاملة بالجهة المذكورة، لكنّها غير ما قصده هذا الشيخ -رحمه الله- فالملخّص أنّ المحبّة المانعة اجتماعهم عليها من خلق النار هي الأعمّ لفقد مادة النار حينئذٍ . لكن نقول : المحبّة الناقصة حينئذٍ تنعدم ، إذ الكفر و المعاصي منتفيان أيضاً بانتفاء رؤساء النار ، فيرجع ما ذكروه إلى ما ذكره هذا الشيخ- رحمه الله - من تلك الجهة ، هذا .

وأمّا قوله : « و كذلك لا تقبل تلك المعارف . . . إلخ » فهو حقّ لا معدل عنه ، بل سائر الأعمال الفرعيّة -من الصلاة والزكاة والحجّ وغيرها- لا تصحّ بدون ذلك الاقرار، بل لا يكفي ذلك الاقرار ، بل لابدّ من الاقرار بإمامتهم و ولايتهم جميعاً ، و مراده -رحمه الله- ذلك أيضاً بناءً على أصله المزبور الّذي أفسدناه، فأخذ الاقرار بإمامتهم جميعاً في ولايته ، فعبّر بذلك ، ويدلّ على وفق تعبيره الأخبار، و سيجيء تحقيق هذا المقام إن شاء العلاّم ، لكنّه لا يستلزم مارامه : من كون مطلق الولاية اخذ فيها جميع المذكورات .

ثمّ كلامه ـ رحمه الله ـ فيه كلام آخر حيث إنّه اشترط في صحّة ولايتهم تلك المعارف و في صحّة تلك المعارف الولاية و الحقّ اشتراط صحّة تلك المعارف بالولاية ، و هو نصّ قول الرضا عليه السلام : « و أنا من شروطها » [1] أي من شروط « كلمة التوحيد » وصحّتها وأمّا الولاية واعتقاد إمامتهم: فهما فرع تلك المعارف وتحقّقها في التحقّق ، مع أنّه شبيه الدور المعي . و أمّا مطلق الولاية والمحبّة : فلا توقّف لهما في التحقّق ولا في الصحّة على تلك المعارف .

ثمّ قول الرضا عليه السلام يدلّ على ما ذكرناه من انفكاك الاقرار بالبعض و أنّ اللازم الاقرار بإمام العصر مع من سبق ، ولذا قال : « أنا من شروطها » يعني هو و من قبله ، لأنّه قال ذلك رداً على من وقف على أبيه عليهما السلام فلو اشترط الاقرار بإمامة الكلّ لقال : « أنا ومن بعدي » و لو قرىء بالتشديد لأفهم ذلك ، لكنّه بعيد من العبارة .

وبالجملة : فاللازم الاقرار بالأنبياء تفصيلاً فيمن علم تفصيلهم وفي خصوص نبيّنا صلى الله عليه وآله وإجمالاً فيمن لم يعرفهم تفصيلاً وبالأئمّة المتقدمة تفصيلاً إلى إمام العصر، لا من بعده . نعم ، لابدّ من الاقرار بأوصياء النبيّ صلى الله عليه وآله إجمالاً و إن لم يعرف العدد والمعدود .

وأمّا قوله ـ رحمه الله ـ : « وليس وجوب الاقرار . . . إلخ » فهو حقّ ثابت، ولكنّه على سبيل الاجمال من دون لزوم معرفة التفصيل عدداً ومعدوداً ، فلا يقال علينا : كيف أنكرت ذلك في أكثر هذه الأمّة واعترفت به في الامم السابقة ؟

ـ الثالث ـ

إنّ قوله ـ رحمه الله ـ : « ويضاف إلى ذلك . . . إلخ » فيه : أنّ قول الصادق عليه السلام مع إجماله واحتماله لوجوه يمتنع الاستدلال به في المقام، سلّمنا ظهوره وعمومه بحيث يشمل للمقام ، و لكن أدلّة المستثنيات المذكورة أخصّ منه فتقدم عليه ،

(١) عيون أخبار الرضا : ج٢ ص١٣٤ .

ومع صحّة الاستثناء المزبور يعلم أنّ صحّة الولاية مطلقاً و ترتّب الأثر عليها ـ ولو في الجملة ـ غير مشروط بتلك الاعتقادات كلّها. مضافاً إلى أنّ المذكور في كلامه عليه السلام « القبول » و الفرق بينه و بين الصحّة محتمل ، و لو سلّم العدم ، فمطلق ترتّب الأثر ـ ولو في الجملة ـ غير الصحّة التامّة و ترتّب جميع الآثار أو الأكثر.

ـ الرابع ـ

إنّ قوله عليه السلام وقولهم عليهم السلام: « إنّما شيعتنا... إلخ » فيه: أنّ « الشيعة » في لسان أهل البيت أخصّ من « الموالي » و « المحبّ » كما يعلم بملاحظة الأخبار، فالشيعة ، والمؤمن، وولي ّ الله ، والحرّ ، ونحوها في الأخبار و كلام الأخيار تطلق على الكاملين العاملين بأعمال سادات البريّة عليهم السلام والمحبّ والموالي أعمّ .

ـ الخامس ـ

إنّ قوله : « ومعلوم أنّه لو كان جميع الناس . . . إلخ » وإن كان صحيحاً في نفسه، إلّا أنّ الظاهر عدم توقّف عدم خلق النار على كون جميع الناس كذلك ، بل لو كان كلّهم يوالونه ولو محبّة ناقصة لما خلق الله النار . لكن قد عرفت: عدم تحقّق الاجتماع على المحبّة الناقصة ، بل يلزم حينئذٍ كمالها فيصحّ كلامه بتلك الملاحظة ، كما تقدم .

فصل

بعد ما عرفت حكم الاجتماع على المحبّة وولايته وانتفاء الاجتماع المزبور وخلق النار بمقتضى كلمة «لو» في هذه الأخبار وبأحاديث المعراج وسائر الأخبار بل الآيات القرآنيّة، بل ضرورة المذهب، فهل من يتولاه ينجي من العذاب بها وإن أتى بأعمال قبيحة ؟ أو أنّه يعذب بها الفسّاق و لو في الجملة ؟ الحقّ الثاني و إن أمكن إرجاعه إلى الأول على بعض الوجوه الآتية إن شاء تعالى ، و قد بيّنّا سرّ حكم الاجتماع . ولهذا أيضاً سرّ لطيف لابدّ أن يبيّن .

وكلام الشيخ المزبور ـ رحمه الله ـ يعطي هنا إناطة النجاة و توقّفها على جميع ما ذكره أيضاً من الاعتقادات، وملازمة التقوى، وكونه أورع من مائة ألف في مصر هو فيه، وغير ذلك ممّا هو من صفات الشيعة المخلصين والمؤمنين الكاملين الّذين هم أعزّ من الكبريت الأحمر.

وهذا أيضاً منظور فيه، بل النجاة منها إنّما لهؤلاء ولكثير من الفسّاق. نعم، الفسّاق الّذين أكثروا في الفسق والعصيان، وانتهوا فيهما ولم يطهروا بالمطهّرات: من مصائب الدنيا، والأعمال الصالحة، والتوبة، وشدة النزع، وعذاب البرزخ، ولم يدركهم العفو و شفاعة النبيّ المختار ﷺ و سائر الشفعاء، ربما يدخلون النار إلى أن يطهّروا، ثمّ يخرجون منها و يدخلون الجنّة برحمة الله تعالى والشفاعة.

لاأنّ النجاة من النار يتوقّف على جميع ما ذكره ويختصّ بالشيعة الكاملين كما زعمه ـ رحمه الله ـ فإنّه باطل بالأخبار الكثيرة، بل بضرورة المذهب. ولا أنّ النجاة ينوط بالمحبّة مطلقاً ولو انتهى في الفسوق والعصيان ـ كما رامه بعض ـ فإنّه باطل أيضاً، وهما في إفراط وتفريط. والحقّ سواء الصراط ووسط الطريق.

نعم، يمكن إرجاع القولين إلى القول المختار بأنّ الفسّاق ما لم يطهّروا ولم يصيروا كالكاملين لم يدخلوا الجنّة، وبأنّ من يدخل النار من الموالين إنّما يدخلون في ظلّها لا في النار الأصليّة، أو بأنّ دخولهم للتطهير لا على وجه العذاب، ونحو ذلك.

لكن كلامه هذا خلاف ظاهر بل نصّ القولين، كما لا يخفى. ولا بدّ من تنقيح المقام أوّلاً وبيان الحقّ أيضاً بما استفدناه من دليل الحكمة و العقل المتّبع و من أخبار العترة الطاهرة صلوات الله عليهم أجمعين ومن مشكاة أنوارهم وولايتهم عليهم السلام ثمّ التعرض لما يمكن أن يقال للقولين و لأدلّة الطرفين، و الجمع بين الأخبار والأدلّة المتعارضة.

فنقول: الجنّة خلقت من أنوارهم ومنهم، ثمّ من أنوار شيعتهم ومحبّيهم،

ومن حبّهم لهم ولمحبّيهم. والنار إنّما خلقت للكفّار ولهم ومن بغضهم ولمبغضهم ومن كبرائهم ثمّ من أتباعهم ومن ظلمة كفرهم وبغضهم، كما عرفت. ولكلّ من الجنّة والنار أصل وظلّ، ومن دخل الجنّة يخلد فيها وكذلك النار وأصلهما للمخلصين من المؤمنين أو الكفّار، وظلّ الجنّة لمن هو دون المؤمنين من فسّاق الموالين و مؤمني الجنّ و أولاد الزنا و أضرابهم، و ظلّ النار لفسّاق المؤمنين الّذين لم يطهّروا بالمطهّرات، فيدخلونه ثمّ يخرجون منها إلى جنّتهم و كنّي عنه في الأخبار بالطبقة الأعلى من جهنّم [1]. فلابدّ في دخول الجنّة من التطهير و التأهّل لمرافقة الأخيار و لمعانقة الحور الحسان وسلب لطخ أعداء الله و تمييز خبثهم من الموالين ببلاء الدنيا ومصائبها ولسائر الكفّارات فيها، أو بعذاب البرزخ، أو بظلّ النار، والنار العارضيّة الّتي أوقدوها على ظهورهم إلى أن يطفى و ينعدم فيحصل التصفية ويصلحون لدخول الجنّة. وأمّا الكفّار فيدخلون النار الأصليّة بعد تمييز طيب المؤمنين منهم، و جزاء ما جرى على أيديهم من الأعمال الصالحة ببركة مجاورة المؤمنين في الدنيا من سعة و مال وراحة و سائر نعمها و بسهولة النزع، ثمّ يعطى جزاء أعمالهم الصالحة و مقامهم في الجنّة المؤمنون، لأنّها في الحقيقة منهم و من طينتهم، و إنّما جرت على أيديهم بمقتضى لطخ النور الّذي أضاء عليهم من امتزاج الطينتين بمقتضى الحكمة، كما أنّ عصيان المؤمنين من الكفّار في الحقيقة وبمقتضى الامتزاج المزبور، فيسلب مازادوا بفسقهم عنهم ويعطى أصله الكفّار. و كلّ ذلك قضيّة العدل والحكمة، فلا إشكال في التوريث المزبور من الطرفين، ولا في تفدية المؤمنين بالكفّار، بل خلاف ذلك خلاف العدل والحكمة، كما لا يخفى على أهل الاشارة واولي الألباب.

فكلّ مؤمن يدخل الجنّة إمّا ابتداءً أو بعد التطهير في الدنيا أو بعد التطهير في الآخرة بشدائد المحشر أو بظلّ النار، ثمّ يخلد في الجنّة. و كلّ كافر يدخل النار ويخلد فيها إمّا ابتداءً أو بعد جزاء عمله الصالح في الدنيا وهي جنّتهم.

(١) تفسير الامام: ص١٤٣.

وربما لا يعذب بعض الكفّارة في النار ، كما عرفت ، لكنّهم مخلّدون أبداً فيها. وكونهم فيها وحشرهم مع أعداء الله عذاب ، و أيّ عذاب ، وفي « دعاء كميل » وغيره الاستعاذة من الحشر مع الشياطين وأعداء الله ، والاضطراب منه ومن فراق الأحبّة والموالي وأولياء الله ومن فراقه تعالى والتسليم للاحتراق بالنار والعذاب، فجعل الأول أشدّ من الثاني، نعوذ بالله منهما .

و حينئذٍ فنصيب المؤمن من النار ما أصابه في الدنيا و مصائبها من حمى وضيق ، ومن أهوال المحشر، وعذاب البرزخ، و شدة الموت ، ومشاقّ الرياضات، والتطهير بها في الآخرة . ولا نار له حقيقة لا في الدنيا ولا في الآخرة، وإنّما الدنيا سجن له يتألّم فيه ويستريح بخروجه منها .

ونصيب الكافر من الجنّة نعيم الدنيا وزخارفها . ولا جنّة له حقيقة، إنّما هو إعطاء مبغوض لمبغوض .

و حينئذٍ فما في الأخبار من عدم تعذيب المحبّين بالنار محمول على عدم الخلود ، لأنّه الفرد الكامل من العذاب .

أو على المحبّة الكاملة ، لأنّها الفرد الكامل من مطلقها .

أو على النار الأصليّة .

أوعلى نفي التعذيب، وإنّما دخولهم في النار للتطهير والشفقة والرحمة، كما في بلاء الدنيا ، فليس ابتلاؤهم في الدنيا لاستهانة بهم ، و إنّما هو شفقة و رحمة لتطهيرهم أو لرفع درجتهم ، وبهذه الوجوه و نحوها ، كما في مثل الأب الشفيق يشرب أعزّ ولده الدواء المرّ لاحراز ما هو أعظم و هو صحّة البدن، أو يفصده أو يحجمه لذلك ، أو يقطع بعض أعضائه حذراً من السراية و الاهلاك ، أو يضربه لتعليم الآداب .

أوعلى الأكثر، فإنّهم يطهّرون في الأكثر بغير دخول نار جهنّم، إلى غير ذلك.

ويجتمع أخبار نفي تعذيب المحبّين بالنار مع أخبار التعذيب ، وهو نصّ الحديث النبويّ صلى الله عليه وآله وأخبار العترة عليهم السلام .

ولنذكر حديثاً واحداً مكتفياً به ، فنقول : ذكر في تفسير الامام الهمام الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام عند تفسير قوله تعالى : «بلى من كسب سيّئة وأحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» (1) قال الامام عليه السلام : السيّئة المحيطة هي الّتي تخرجه عن جملة دين الله ، وتنزعه عن ولاية الله ، وتؤمنه عن سخط الله ، هي الشرك بالله والكفر به والكفر بنبوة محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله والكفر بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام [وخلفائه] وكلّ واحدة من هذه سيّئة تحيط به، أي تحيط بأعماله ، فتبطلها وتمحقها ، فاولئك الّذين عملوا هذه السيّئة المحيطة أصحاب النار هم فيها خالدون . ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ ولاية عليّ حسنة لايضرّ معها سيّئة من السيّئات وإن جلّت ، إلّا ما يصيب أهلها من التطهير منها بمحن الدنيا وببعض العقاب في الآخرة [إلى] أن ينجو منها بشفاعة مواليه الطيّبين الطاهرين ، وإنّ ولاية أضداد عليّ ومخالفة عليّ سيّئة لاينفع معها شيء ، إلّا ما ينفعهم بطاعاتهم في الدنيا بالنعم والصحّة والسعة ، فيردون الآخرة ولايكون لهم إلّا دائم العذاب . ثمّ قال: إنّ من جحد ولاية عليّ عليه السلام لايرى الجنّة بعينه أبداً إلّا ما يراه بما يعرف به أنّه لو كان يواليه لكان ذلك محلّه ومأواه ومنزله ، فيزداده حسرات وندمات، وإنّ من يوالي عليّاً ويبرىء من أعدائه وسلّم لأوليائه لايرى النار بعينه أبداً إلّا ما يراه ، فيقال له : لو كنت على غير هذا لكان ذلك مأواك ، وإلّا ما يباشره منها . وإن كان مسرفاً على نفسه بما دون الكفر إلى أن ينظف بما يحبّهم بجهنّم ، كما ينظف قذر بدنه بالحمّام ،ثمّ ينقل منها بشفاعة مواليه . ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اتّقوا الله معاشر الشيعة ، فإنّ الجنّة لن تفوتكم وإن أبطأت بكم عنها قبائح أعمالكم ، فتنافسوا في درجاتها . قيل : فهل

(1) البقره : ٨١ .

يدخل جهنّم أحد من محبّيك ومحبّي علي عليه السلام؟ قال: من قذر نفسه بمخالفة محمّد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وواقع المحرمات وظلم المؤمنين والمؤمنات وخالف مارسما به من الشرعيّات جاء يوم القيامة قذراً طفساً يقول محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام: يا فلان أنت قذر طفس، لا تصلح لمرافقة مواليك الأخيار ولا لمعانقة الحور الحسان ولا لملائكة الله المقربين، ولا تصل إلى ما هناك إلّا بأن تطهّر عنه ماهاهنا يعني ما عليه من الذنوب، ويدخل إلى الطبق الأعلى من جهنّم، فيعذب ببعض ذنوبه ومنهم من تصيبه الشدائد في المحشر ببعض ذنوبه، ثمّ يلقط من هنا ومن هنا من يبعثهم إليه مواليه من خيار شيعتهم، كما يلقط الطير الحبّ. ومنهم من تكون ذنوبه أقلّ وأخفّ فيطهر منها بالشدائد والنوائب، من السلاطين وغيرهم، من الآفات في الأبدان في الدنيا، ليأتي في قبره وهو طاهر من ذنوبه. ومنهم من يقرب بموته وقد بقيت عليه فيشتدّ نزعه، يكفّر به عنه، فإن بقي شيء وقويت عليه ويكون له بطن واضطراب في يوم موته، فيقول من يحضره فيلحقه به من الذلّ فيكفّر عنه، فإن بقي شيء اتي به ولمّا يلحد ويوضع فيفرقون عنه، فيطهر، فإن كانت ذنوبه أكثر وأعظم طهر منها بشدائد عرصات القيامة، فإن كانت أكثر وأعظم [طهر] منها في الطبق الأعلى من جهنّم. وهؤلاء أشدّ محبّينا عذاباً وأعظمهم ذنوباً، وليس هؤلاء يسمّون بشيعتنا ولكنّهم يسمّون محبّينا والموالين لأوليائنا والمعادين لأعدائنا، إنّ شيعتنا من شيّعنا واتّبع آثارنا واقتدى بأعمالنا.[1] انتهى كلامه صلوات الله عليه.

ثمّ ذكر عليه السلام كلاماً طويلاً في الفرق بين الشيعة والموالين، تركناه مخافة الاطالة. وفيما نقلناه كفاية في المقام لمن استبصر واسترشد وتأمّل في مناطيقه وفحاويه وقيوده وإشاراته ورموزه ووجوه الحكمة والأسرار المطويّة فيه. وأكثر الجموع[2]

(١) تفسير الامام: ص ١٤٣، مع اختلاف في بعض الكلمات.

(٢) كذا في النسخة، ولعل الصحيح «وأكثر الوجوه».

الّتي ذكرناها يلتقطها منه اللبيب المسترشد .

تكميل :

اعلم أنّ التطهير بالبلايا والامراض والشدائد في الدنيا إنما هو للعاصي . و أمّا الأولياء الّذين لاذنب لهم أومن محا ذنبه قبل ، فيؤجر بها برفع الدرجات فإنّ إيراد الآلام على العبد بدون عوض أعظم قبيح من الحكيم . وهاهنا نكتة وهو أنّ التطهير بالبلايا والمشاق لاينفكّ عن الأجر ورفع الدرجة إذا صبر عليها ففيه جهتان: تطهير ، وأجر .

روي أنّه عاد علي عليه السلام سلمان الفارسي - رحمه الله - في مرضه فقال : يا أبا عبدالله كيف أصبحت من علّتك ؟ قال: يا أميرالمؤمنين عليه السلام أحمدالله كثيراًوأشكو إليه كثرة الضجر، قال : فلا تضجر ياأباعبدالله . فما من أحد من شيعتنا يصيبه وجع إلّا بذنب قد سبق منه ، وذلك الوجع تطهير له ، قال سلمان : فإن كان الأمر على ما ذكرت - وهو كما ذكرت - فليس لنا في شيء من ذلك أجر خلا التطهير قال علي عليه السلام : ياسلمان إنّ لكم الاجر بالصبر عليه والتضرع إلى الله عزّ اسمه والدعاء له ، بها يكتب لكم الحسنات ويرفع لكم الدرجات، وأمّا الوجع خاصّة فهو تطهير و كفّارة ، قال : فقبّل سلمان ما بين عينيه وبكى ، وقال : من كان يميّز لنا هذه الأشياء لولاك ياأميرالمؤمنين عليه السلام[1] .

إذا عرفت هذا ، فنقول : يمكن الاستدلال لعدم تعذيب المحبّين بالنار بامور ، أكثرها قواعد كلّيّة ، وبعضها أدلّة مخصوصة .

الاول

قاعدة نفي الاستواء

وهي قاعدة نفيسة عقليّة وشرعيّة ، فإنّ التسوية بين المستحقّ وغيره وبين

---

(١) بحار الانوار: ج ٨١ ص١٨٥ ح ٣٩ ونقل بالمعنى .

الفاضل والمفضول قبيح عقلاً، وقال الله تعالى «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً يستوون»[١] والغرض منها الاشارة إلى قضاء العقول السليمة بذلك، لامجرد التعبّد باعتقاد ذلك، وهو واضح، فيرشد إلى عقليّتها أيضاً.

ثمّ فصّل سبحانه ذلك بقوله عزّ من قائل «أمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنّات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون * وأمّا الّذين فسقوا فمأواهم النار كلّما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الّذي كنتم به تكذبون»[٢] فقد نصّ الله تعالى بأنّ المؤمنين ينزلون الجنّة في درجاتهم، والفاسقين الخارجين عن الايمان بفسقهم، مأواهم النار لايخرجون منها. وقال تعالى «أفنجعل الّذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتّقين كالفجّار»[٣]. وقال سبحانه «لايستوي أصحاب النار وأصحاب الجنّة أصحاب الجنّة هم الفائزون»[٤].

وفي العيون بسنده عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله في تفسيرها، قال: أصحاب الجنّة من أطاعني وسلّم لعليّ بن أبي طالب عليه السلام بعدي وأقروا بولايته، وأصحاب النار من سخط الولاية ونقض العهد وقاتله بعدي[٥] وقال تعالى «مثل الفريقين كالأعمى والأصمّ والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلاتذكرون»[٦].

إلى غير ذلك، وقضيّة الكلّ عدم تعذيب المحبّين، وإلّا لزم الاستواء المنفيّ.

وقال عليّ عليه السلام في دعاء كميل: «فباليقين أقطع لولا ما حكمت» إلى آخر

---

(١) السجدة: ١٨.

(٢) السجدة: ١٩ و٢٠.

(٣) ص: ٢٨.

(٤) الحشر: ٢٠.

(٥) عيون أخبار الرضا: ج١ ص٢٨٠. (٦) سورة هود: ٢٤.

ماتقدم. فانظر كيف استدلّ عليه السلام بتلك القاعدة، فأسّسها وقررها مخاطباً بهاربّه وملخّص ما ذكره عليه السلام : أنّ بعد خلق النار أقسمت أن تملاها من الكافرين و تدخلهم فيها، فيلزم أن لاتدخلها المؤمنين، وإلّا لزم استواءهما وأنت نفيته.

وصدره يفيد ما تقدم: من أنّه على تقدير الاجتماع على الولاية لم يخلق الله النار، كما تقدم. وفروع هذه القاعدة كثيرة في الفروع والاصول.

الثاني

قاعدة أحبّيّة سرور النبيّ صلى الله عليه وآله حبيب الله عند الله تعالى من سرور الشيطان العدوّ له وأنّ في دخولهم المحبّين الجنّة الأول و في النار الثاني، فيلزم إدخالهم الجنّة

قال السجّاد عليه السلام في دعاء أبي حمزة في أسحار رمضان: «إلهي إن أدخلتني النار ففي ذلك سرور عدوك، وإن أدخلتني الجنّة ففي ذلك سرور نبيّك، وأنا والله أعلم أنّ سرور نبيّك أحبّ إليك من سرور عدوك» فانظر كيف استدلّ عليه السلام بتلك القاعدة مع الحلف والتأكيد به. وفي كلامه إشارة إلى مرتبة الاعتراف بالتقصير، وأنّ النار أقرب إلى العبد من الجنّة من حيث هو هو، فلذا قدم دخول النار، وإلى أنّ دخول الجنة تفضّل بين كذا النبيّ صلى الله عليه وآله وسروره، وإلى لزوم كون العبد بين الخوف والرجاء، حيث إنّه أتى بكلمة «إن». وكونه جازماً بدخول الجنّة لاينافي ذلك في مقام التأديب للرعيّة، مع أنّ للجنّة درجات. وأيضاً الأمن من مكر الله من الصفات المذمومة المتعلّقة بالقوة الغضبيّة وسببه: إمّا الكفر، أو الجهل، أو الغرور، أو العجب، و كلّها طريق إلى هلاك العبد وسبيل إليه. و الآيات والأخبار في ذمّه مستفيضة، قال الله تعالى «فلا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون»[1] وثبت بالتواتر ـ كما قيل ـ أنّ الملائكة والأنبياء خائفون من مكر الله.

---

(١) الاعراف : ٩٩.

منها: ما روي أنّه لمّا صدر من الشيطان اللعين ماصدر وصار رجيماً بكى جبرئيل وميكائيل، فأوحى الله تعالى إليهما: ما أبكاكما؟ قالا: نخاف من امتحانك وابتلائك ولانأتمن ذلك، فقال الله: كونا كذلك أبداً ولاتأمنا مكري [(١)].

وروي أنّ النبي ﷺ وجبرئيل بكيا، فأوحى الله إليهما: لم تبكيان وقد أمنتكما، قالا: من يأمن من مكرك [(٢)]؟

قال بعض العلماء: لعلّ عدم أمنهما لأنّهما لم يأمنا أن يكون قول الله تعالى «إنّي قد أمنتكما» امتحاناً وابتلاءً، أو لأنّه إذا سكن خوفهما يظهر أنّهما أمنا مكر الله ولم يفيا بقولهما، كما أنّ الخليل لمّا ألقوه في النار قال: «حسبي الله» [(٣)] فلمّا ادعى هذه الدعوى العظيمة: من أنّه لايعتني بماسوى ربّه امتحنه الله تعالى فأرسل إليه أمينه جبرئيل، فوصل إليه في الجوّ فقال: هل لك حاجة يا إبراهيم؟ قال: إليك فلا، فقال: اطلب حاجتك ممّن ترجوه، قال: علمه بحالي حسبي عن مقالي، [(٤)] ولذا قال سبحانه وتعالى «وإبراهيم الّذي وفّى» [(٥)]. قال: و كان من خوف امتحان الله و مكره أنّه لمّا شاهد موسى سحر السحرة خاف في الباطن قليلاً، كما قال تعالى «فأوجس في نفسه خيفةً موسى» [(٦)].

الثالث

قاعدة وعدالله سبحانه نبيّه أن يعطى حتّى يرضى

وهو ﷺ لايرضى بتعذيب المحبّين والموالين لعترته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين بالنار، وإن كانوا لله عاصين.

قال عليه السلام في دعاء أيّام شهر رمضان: «اللّهمّ إنّك قلت لنبيّك ﷺ: ولسوف

(١) لم نعثر عليه.

(٢) بحار الانوار: ج٧٠ ص٣٩٣ ح٦٣ ونقل بالمعنى.

(٣) قد راجعنا الاخبار الواردة في المقام ولم نجد في ذيلها «علمه بحالي حسبي عن مقالي».

(٤) بحار الانوار: ج١٢ ص٣٣ ونقل بالمعنى.

(٥) النجم: ٣٧ (٦) طه: ٦٧.

يعطيك ربّك فترضى ، اللّهمّ إنّ نبيّك ورسولك وحبيبك وخيرتك من خلقك لا يرضى بأن تعذب أحداً من امّته دانك بموالاته وموالاة الأئمّة من أهل بيته وإن كان مذنباً خاطئاً في نار جهنّم، فأجرني يا ربّ من جهنّم وعذابها وهبني لمحمّد صلى الله عليه وآله وآل محمّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يا أرحم الراحمين » [1].

الرابع

نصوص كون ولاية علي عليه السلام حصناً من دخله أمن من النار

مثل ما روي في محكي مجالس الصدوق مسنداً عن علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن موسى بن جعفر ، عن جعفر بن محمّد ، عن محمّد بن علي ، عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل، عن ميكائيل ، عن إسرافيل ، عن اللوح ، عن القلم ، قال : يقول الله عزّ وجلّ : «ولاية علي بن أبي طالب حصني ، فمن دخل حصني أمن من ناري» [2] ورواه في العيون [3] . وفي محكي معاني الأخبار أيضاً. [4] وفي البحار [5] مسنداً عن علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى آخر السند ، لكن فيه «فمن دخل حصني أمن عذابي» وورد نحوه في التوحيد .

ففي العيون [6] ومحكي المجالس [7] والتوحيد [8] وثواب الأعمال [9] أنه لمّا وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيشابور وأراد أن يرحل منها إلى المأمون اجتمع

---

(١) زاد المعاد : ١٧٧ .
(٢) أمالي الصدوق : ص١٩٥ ح٩ .
(٣) عيون أخبار الرضا : ج٢ ص١٣٤ .
(٤) معاني الاخبار : ص٣٧١ .
(٥) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢٤٦ ب ٨٧ ح١ .
(٦) عيون أخبار الرضا : ج٢ ص١٣٤ .
(٧) أمالي الصدوق : ص١٩٥ ح٨ .
(٨) التوحيد : ص٢٥ ح٢٣ .
(٩) ثواب الاعمال : ص٢١ .

إليه أصحاب الحديث، فقالوا: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ترحل علينا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك؟. وقد كان قعد في العمارية، فأطلع رأسه وقال: سمعت أبي موسى ابن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمّد يقول: سمعت أبي محمّد بن عليّ يقول: سمعت أبي عليّ بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن عليّ يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت جبرئيل يقول: سمعت الله جلّ جلاله يقول: «لا إله إلّا الله حصني، فمن دخل حصني أمن عذابي» فلمّا سرت الراحلة نادانا: بشروطها وأنا من شروطها.

وفي البحار مسنداً عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جده عليهم السلام عن جابر ابن عبدالله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي لأرجو لامّتي في حبّ عليّ كما أرجو في قول لا إله إلّا الله» (١).

ومعلوم: أنّ الغرض كونه مثله في كونهما من حصون العذاب والأمن منه كما أنّه معلوم أنّ المراد من «الولاية» الاقرار له ولسائر الأئمّة عليهم السلام بالامامة وبكونهم أئمّة مفترضي الطاعة على العباد من قبل الله تعالى فإنّ من قدم غيره عليه السلام عليه وأخّره عمّن هو متأخّر عنه وعزله عن منصبه وأنكر حقّه وجعله رعيّة لرعيّته كيف يدعي ولايته؟ بل هو عدوّ له على الحقيقة، ويرشد إلى ذلك قوله عليه السلام في حديث التوحيد: «وأنا من شروطها» (٢) إذ المراد الاقرار بإمامته عليه السلام بعد الأئمّة السابقين عليه إن قرىء بالتخفيف، و إن قرىء بالتشديد فيشمل الجميع بمنطوقه.

وفي العيون ومحكيّ التوحيد: أنّ المراد الاقرار له عليه السلام بكونه إماماً على العباد من قبل الله تعالى.

و يلتقط ممّا ذكر رجوع الأمرين إلى واحد، فنصوص حصن التوحيد

---

(١) بحار الانوار: ج٣٩ ص٢٤٩ ب ٨٧ ح١١.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص١٣٤.

وحصن الولاية مفادهما واحد، ومرجع الكلّ إلى أنّ حصن الايمان بمعنى الدخول في حصن التوحيد والاقرار بالرسالة للنبيّ صلّى الله عليه وآله وبإمامة الأئمّة عليهم السلام يوجب النجاة. فمع إنكار الرسالة لاينفع الدخول في حصن التوحيد، و مع إنكار إمامة الأئمّة كلّاً لاينفع الدخول في حصن التوحيدوالرسالة. و كذلك مع إنكار واحد منهم لا ينفع الايمان بالله و برسوله و بسائر الأئمّة، سواء قرأنا « أنا » بالتخفيف أو بالتشديد، وهوواضح.

وعلى هذا فيصير مفاد تلك الروايات مفاد تعليق النجاة في الآيات والأخبار بالايمان. ويستفاد ممّا ذكر أنّ ولايتهم كما هي شرط في صحّة الفروع، فهي شرط في الاصول. كما أنّها عبادة في مرتبة ثالثة، فأول العبادة الاقرار بالله وبتوحيده وبصفاته تعالى، ثمّ الايمان برسوله، ثمّ حبّ الأئمّة بمعنى الاقرار بإمامتهم، فهي أفضل العبادات بعد الايمان باللهوبرسوله. فهو نصّ النبويّ في حديث أبي ذر كما في الزيارة الجامعة «ولكم المودة الواجبة»[١].

فتحصّل وجوب ولايتهم في نفسها وكونها من شروط صحّة الاسلام والعبادات الفرعيّة، فكلّ هذه واجبات في أنفسها ويثاب على كلّ، وكلّ شرط في الآخر، والايمان عبارة عن الجميع، فقد يعبّر بالأمر الجامع ـ وهو الايمان ـ تنبيهاً على أنّ النجاة بهذا المجموع، وقد يؤتى لواحد من الثلاث تنبيهاً على وجوب كلّ، وقد يذكر حينئذٍ الباقي شرطاً تنبيهاً على الارتباط، وقد يجعل الايمان عبارة عن الولاية تنبيهاً على أنّها بها الاتمام و هي الخاتمة، و قد يذكر مع الايمان الأعمال الصالحة ـ كما في كثير من الآيات والروايات ـ تنبيهاً على أنّ النجاةالتامّ مع ضمّها وضمّ التقوى بالايمان لئلّا يدخل نارجهنّم أصلاً، لا للعذاب، ولا للتطهير.

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص ٢٧٧.

فمن آمن بالله ولم يصدّق برسل الله وبكتبه ما آمن به تعالى، ومن صدّق برسل الله دون أوصيائهم ما آمن بالله أيضاً ولا نور له، كما قال تعالى «و الّذين كفروا ـ أي بالأئمّة ـ أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات»[1] أي من نور التوحيد والايمان بالرسالة، فهو لا نور [له] كمن لم يؤمن بالله. وهل هو مراعى؟ أو إبطال؟ ظاهر الآية الثاني.

وقد علم أنّ المراد بالولاية هو الايمان والسلوك في الصراط المستقيم، والمحبّة جزء لها وتطّرد في الامم، كما تقدم. بل التقوى داخل فيها أيضاً، و ذلك هو النافع التامّ وإن نفع الايمان بدونه في الجملة، وكذا أثمرت المحبّة في الجملة أيضاً بدون الايمان بالرسالة و بالامامة. و من ثمرات المحبّة أنّها سبب التعلّم في الظاهر بالمخالطة و الأخذ وفي الباطن باستنارة القلب و شمول الرحمة. و في الزيارة الجامعة «و بموالاتكم علّمنا الله معالم ديننا» إذ علم القرآن عندهم عليهم السلام «و أصلح ماكان فسد من دنيانا، و بموالاتكم تمّت الكلمة» أي كلمة التوفيق «وعظمت النعمة، وائتلفت الفرقة، و بموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة» أي العبادات الفرعيّة أو مطلقاً حتّى التوحيد «ولكم المودة الواجبة... إلخ»[2] أي في نفسها، أجراً للرسالة، فضلاً عليهم، ليصحّ إيمانهم وأعمالهم. و يظهر منه إناطة صلاح العباد في المعاش والمعاد بها، كما يظهر من تتمّتها ـ الّتي لم نذكرها ـ اختصاص الشفاعة و قبولها بمواليهم عليهم السلام.

الخامس

النصوص الدالّة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة والملائكة يستغفرون للمحبّين ودعاء هؤلاء مستجاب عند الله تعالى ومن غفر الله له ذنوبه لا يدخل النار.

السادس

الأخبار الدالّة على أنّ حبّ عليّ عليه السلام يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب.

(١) البقرة: ٢٥٧. (٢) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٢٧٧.

وهي على حذو السابقة ، بل أبلغ .

السابع

الأخبار الدالّة على أنّ من أحبّه وتولاّه يرحمه الله وإن عصى الله، وعلى أنّه يدخل الجنّة على ما كان من عمل .

وهي على حذو السابقة أيضاً . وأنّ ذنوبه لا تبقى وتغفر بالمحبّة .

الثامن

الأخبار الدالّة على أنّه ما ثبّت الله حبّ عليّ عليه‌السلام في قلب أحد فزلّت لهم قدم إلاّ ثبّتها الله وثبّت له قدم اخرى، أي في سبيل الله وطريق الحقّ وعلى الصراط في الآخرة ، كما نصّ به في آخبار اخر .

وعلى أنّ الله كتب لمحبّيه البراءة من النار، والجواز على الصراط، والمروز عليه كالبرق الخاطف ، والأمان من العذاب .

وعلى أنّ من أحبّه لا ينشر له ديوان و لا ينصب له ميزان ، و يقال له : ادخل الجنّة بغير حساب .

وعلى أنّه قسيم الجنّة و النار يدخل في الجنّة محبّيه وفي النار مبغضيه ، وأنّ الله تعالى يقول للنبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله و له أيضاً : أدخلا في جهنّم كلّ من أبغضكما وأدخلا الجنّة من أحبّكما ، فإنّ ذلك هو المؤمن .

وعلى أنّ حبّه حسنة لا يضرّ معها [معه] سيّئة، و بغضه سيّئة لا ينفع معها [معه] حسنة .

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المختلفة مضامينها المتّفقة عليه على المرام. ومن المجموع يحصل القطع بالمقصود .

أقول : والكلّ منظور فيه .

أمّا قاعدة نفي الاستواء : فلأنّ قضاءها الفرق في الجملة لا من كلّ وجه، وهو حاصل بعدم إخلاد الفسّاق في النار و خروجهم منها و الخلود في الكفّار ، و هو

الفرد الكامل المنصرف إليه اللفظ، بل نصّ به عليه السلام في تأسيس تلك القاعدة. و مع الغضّ عن ذلك يتبيّن أنّ ذلك هو المراد بأخبار كثيرة دالّة على تعذيب بعض الفسّاق بها ثمّ خروجهم منها. مضافاً إلى نصّ بعضها بهذا الجمع ــ كما عرفت ــ وأيضاً نفي العذاب والفرق به ممكن والحمل على عدمه بالنار الأصليّة.

و أمّا قاعدة الأحبّيّة: ففيها أنّ الاحبّ عند النبيّ صلى الله عليه وآله التطهير للمتأهّل لدخول الجنّة ومرافقة أهلها، وما لا يحبّه هو عذاب المحبّ بالنار. لا تطهيره، كالأب الشفيق لا يحبّ إيلام ولده ولا يسرّه ذلك، ومع ذلك ربّما يحجمه ويفصده ويقطع بعض أعضائه لسلامته وحصول دوام صحّته.

و ببيان آخر في إدخال المحبّ لهم عليهم السلام في الجنّة سرور النبيّ صلى الله عليه وآله والدخول في الجنّة لا يحسن إلاّ مع التطهير. كما أنّه لو أحبّ رجل إدخال شخص في مجلس ضيافة أحد وكان هو قذراً طفساً فغسّله ونظّفه صاحب المجلس وأدخله فيه، فتغسيله ذلك محقّق لمقصود المحبّ، لا أنّه مناف له؛ بل لو سئل عن أنّه يحبّ الادخال على حاله لنفاه، قائلاً: إنّه يريد الادخال على الوجه اللائق، فكذا هاهنا، مع أنّ إدخال الموالين في ظلّ النار، لا في النار.

وأمّا قاعدة الوعد باعطائه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى يرضى:

ففيها أنّ نصّ كلامه عليه السلام في تأسيس تلك القاعدة عدم رضا النبيّ صلى الله عليه وآله بتعذيب الموالين بنار جهنّم، وقد عرفت: أنّ ما نقصده ليس تعذيباً ولا بنار جهنّم، وإنّما هو تطهير بظلّها شفقة ورحمة و كرماً ليدخل الجنّة ويتأهّل لها. فكما أنّ الله تعالى وهو أرحم الراحمين رضي بذلك فكذا نبيّه صلى الله عليه وآله. و كما أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله رضي بسائر المطهّرات في الدنيا و البرزخ فكذا هو راضٍ بهذا المطهّر.

نعم، نرجو من الله تعالى رفع بلايا الدنيا و الآخرة ببركة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم المختار وشفاعته ودخول الجنّة أيضاً، لكن إذا اقتضت المصلحة توجّه بلاء حتم فلا يرتفع ولا يشفع النبيّ صلى الله عليه وآله في رفعه.

و أمّا قاعدة الحصنية : فهي مسلّمة ثابتة أيضاً ، فإنّ من دخل في حصن الولاية أو في حصن التوحيد بشروطها من النبوة و الامامة وغيرها ـ فيرجعان إلى واحد كما عرفت ـ ولا خوف عليهم و هم آمنون و سالمون من العذاب بالنار ، بل ذلك الحصن هو الجنّة ودار السلام في الحقيقة، ولاسبيل للنار ولوازمها والهموم و الآلام فيها .لكن ما نقول ليس عذاباً و لا بالنار ، بل تطهيراً بظلّها . فكما أنّ التطهير بسائر المطهّرات لاينافي الدخول فيه فكذا بهذا المطهّر. و كما أنّ الأدلّة دلّت على ثبوت التطهير بسائر المطهّرات فكذا بهذا المطهّر . فلا يعذب الموحّدون والموالون لهم عليهم السلام بالنار ، وإلّا لخلدوا ، إذ لا خروج لمن دخلها، كما في الجنّة. غاية الأمر تقييد أدلّة السلامة لمن دخل الحصن في ظاهر المقال بأدلّة ذلك التطهير، ولذا استثني في النبويّ المتقدم ، مع أنّه لا تقييد ولااستثناء في الحقيقة ، كما عرفت. ولو التزمناه لا بأس به أيضاً، لأنّه شائع في الأدلّة ، ويصلح الأدلّة المقيّدة هنا لذلك وزيادة .

و بوجه آخر حقيقيّ هذه المطهّرات كلّها في طريق دخول ذلك الحصن في الدنيا و الآخرة ، وأمّا بعد دخوله فأهله آمنون سالمون و لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . فالموحّدون و المؤمنون و المحبّون في الدنيا سالمون من الضلالة ويغفر لهم سيّئاتهم، ولكنّهم يطهّرون بالبلايا، وكذا في الآخرة آمنون سالمون، لكن يجوزون على الصراط ويطهّرهم أو يرفع درجتهم رؤية النار والخوف منها ووصول حرارتها إلى بعضهم، ويؤثّر فيهم تأثيراً شديداً ، ولو كانت ذنوبهم أكثر كان التأثير أشدّ بالاحتراق بظلّها ، ولا يحترقون في الحقيقة ، بل يحترق لطخهم و لباسهم ، لا أصلهم . فكما أنّ تأثير النار في الجواز على الصراط لا ينافي الأمن من العذاب بها وبالنار في حقّ الجميع ، لأنّه تطهير وتنقية أورفع درجه وزيادة التصفية المقيّدة لأدلّة الأمن منها للموالين ، فكذا زيادة التأثير لبعضهم باحتراق

لطخهم بها ، إذ كلاهما ليسا عذاباً بالنار. نعم ، احتراقهم بها وعذابهم بأصلها على وجه المهانة وعلى الدوام عذاب و ينافي الاحتصان ، و قد عرفت أنّه تطهير على الشفقة، كمامرت الاشارة إليه في النبوي ّ وقول محمّد صلى الله عليه وآله وعلي ّ عليه السلام اهم بالتلطّف: « يافلان أنت قذر طفس » [١] إلى آخر. وأين ذلك من العذاب والاهانة ؟ فافهم.

و بهذا ظهر وجه آخر للجمع ، هو عدم احتراق أصلهم و إنّما المحترق لطخهم، وهو ليس منهم ولا بجزئهم، وإن تألّموا في الجملة بانفصاله عنهم وبتمييزه ورفعه . و العذاب إنّما هو بإحاطتها بهم وبأصلهم و بفرعهم .

و المتحصّل : أنّ العاصي يوقد ناراً على ظهره ، فإن أطفأها بالمكفّرات في الدنيا أو بشدة الموت أو بعذاب البرزخ أو بأهوال القيامة يدخل الجنّة بعد ذلك ظاهراً ، وإن بقيت بعدها لابدّ من احتراقها بنار جهنّم .

وما ذكرناه من الايقاد والاطفاء مدلول الأخبار الكثيرة .

منها النبوي: ما من صلاة يحضر وقتها إلّا نادى ملك بين يدي الناس : قوموا إلى نيرانكم الّتي أوقدتموها على ظهوركم فأطفؤها بصلاتكم [٢] .

ومنها النبويّ : حبّ عليّ بن أبي طالب يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب . [٣]

ومنها ما روي : أنّ دمعات الباكين من خشية الله تطفي بحوراً من النار في القيامة [٤] .

إلى غير ذلك . وبما ذكرناه يظهر الجواب عن سائر الأدلّة المذكورة بأدنى توجّه، عن كلّ بوجوه .

---

(١) تفسير الامام : ص١٤٣ .

(٢) روضة الواعظين : ج٢ ص٣١٨ .

(٣) بحار الانوار : ج٣٩ ب٨٧ ص٣٠٤ .

(٤) بحار الانوار : ج٩٣ ص٣٣٢ ح٢٠ مع اختلاف في العبارة .

كما أنّه ظهرت أدلّة المختار وقوّتها و أنّ المتأمّل يقطع بعد الخوض في جميع أدلّة الطرفين بأنّه لايجوز اعتقاد غير ما اخترناه وأنّ المسألة بعد مانبّهنا عليها من المعلومات . و الله سبحانه وليّ التوفيق و الصواب في كلّ باب ، وله الحمد على نعمائه وصلواته وسلامه على حبيبه وآله الطاهرين .

تذييل :

قال في الأنوار النعمانيّة : وقع الخلاف بين العلماء ـ رحمهم الله ـ في أنّ المؤمن الفاسق هل يدخل النار أم لا ؟ بعدما اتّفقوا على أنّه لايخلد فيها والحقّ أنّ الأخبار مختلفة كالأقوال ، ففي الأخبار عن مولانا الامام أبي عبدالله عليه السلام «أنّ من شيعتنا من تداركه شفاعتنا بعد أن يكون في النار ثلاثمائة ألف سنة» وفي بعضها عنه عليه السلام أيضاً أنّه قال : «لايدخل النارمنكم اثنان ، لاوالله ، لايدخل النارمنكم أحد» ويدلّ على مضمون كلّ واحد من الخبرين أخبار كثيرة . ويمكن الجمع بين الأخبار ، بحمل الداخلين على أهل درجة من درجات الايمان الناقصة ، وقوله عليه السلام : «لايدخل النار منكم أحد» على أهل الدرجات الكاملة ، فإنّك عرفت أنّ للايمان درجات . انتهى (١) .

أقول : لابدّ من هذا الحمل ، فإنّه من المعلوم أنّ أهل كلّ الدرجات ـ حتّى الكاملين ـ لايدخلون في النار ، وأخبارالدخول لاتعمّ للكلّ . وأمّاأخبار العدم فتعمّ ، ومنها ما ذكره . ولابدّ من الحمل على أحد الوجوه المذكورة . وأمّا ما ذكره فهو اختيار للقول بالدخول في الحقيقة من دون ذكروجه للجمع فإنّ القائل به لايريد إلّا دخول الناقصين . وما ذكرناه : من أدلّة العدم ووجوه الجمع ، لم نره في كلام أحد ، سوى حمل أخبار العدم على الدخول المخلّد ، فلاحظ وتدبّر ما ذكرناه وخذه شاكراً ، والله وليّ الحمد .

فصل

اختلفوا في خلق الجنّة والنار الآن ، أو خلقهما في يوم القيام . والحقّ

---

(١) الانوار النعمانية : ج٤ ص٢٨٧ مع تفاوت .

إنّما هو الأول ، وهو المستفاد من أحاديث المقام بمقتضى ماذكرناه في كلمة «او» كما تقدمت الاشارة إليه ، ويتمّ المرام بضمّ الاجماع المركّب وعدم القول بالفصل بين الجنّة والنار . نعم ، بخلق جزئيّاتهما تتجدد أهاليهما و بأعمالهم الحسنة أو السيّئة وبحبّهم و بغضهم للأئمّة .

والظاهر أنّ أحداً من الامامية لم يذهب إلى القول الثاني ، إلّا ما نسب إلى السيّد الرضي ـ رحمه الله ـ وهو في غاية البُعد لو ثبت النسبة .

ويظهر من الصدوق ـ رحمه الله ـ إجماع الاماميّة على الأول . قال : «اعتقادنا في الجنّة والنار أنّهما مخلوقتان الآن وأنّ النبيّ ﷺ قد دخل الجنّة ورأى النار حين عرج به » انتهى [١] .

و هو مذهب أكثر متكلّمي العامّة أيضاً ، و أنّهما خلقتا في ابتداء خلق العالم. وإنّما نسب القول الثاني إلى قليل من المعتزلة .

و كيف كان، يدلّ على المختار ـ مضافاً إلى الاجماع ـ ظواهر الآيات القرآنيّة الكثيرة ، مثل «اعدت للمتّقين»[٢] «اعدت للّذين آمنوا»[٣] «اعدت للكافرين»[٤] إلى غير ذلك .

وأكثر أخبار المعراج مشتمل على دخول النبيّ ﷺ في الجنّة ورؤيته النار أيضاً . ومنها: ما اشتمل على أنّه أكل من رطب الجنّة وصار نطفة «فاطمة» عليها السلام و كذا دلّت أخبار كثيرة اخرى على أكل المعصومين من رطبها ورمّانها ـ و كذا سائر الأنبياء والأولياء ـ وانعقاد نطفة الامام من ذلك ، و كذا نزول الحور الحسان عليهم في العرس والتولّد والعزاء ، وتزيين الجنّة في شهور رجب وشعبان ورمضان ويدلّ كثير من الأخبار على أنّ جنّة آدم وحواء هي جنّة الآخرة، إلى غير ذلك.

(١) بحار الانوار : ج٨ ص٢٠٠ ح٢٠٢ نقلا عن اعتقاد الصدوق .
(٢) آل عمران: ١٣٣ .
(٣) الحديد: ٢١ .
(٤) البقرة: ٢٤ .

بل في بعض الأخبار التنصيص بأنّهما مخلوقتان الآن ، وأنّ من زعم أنّهما قدّرتا ولم يخلقا بعد ليسوا منهم ولاهم عليهم السلام منهم، وأنّ من قال بذلك كذّب الله ورسوله صلى الله عليه وآله .

وأمّا تجدد الجزئيّات فيدلّ عليه أخبار المعراج وغيرها أيضاً من أنّه رأى جمعاً من الملائكة يبنون القصور للمؤمنين، وأنّ « من فعل كذا وقال كذا بنى الله له كذا وخلق له الحوراء » وهكذا يجدها المتتبّع .

تتميم فيه امور :

الاول : اعلم أنّ حبّهم عليهم السلام عظيم وإن قلّ ، فكلّ قلب أضاء عليه نور حبّهم بمقدار ذرة أوجب نجاته وطهّره . وكذا حبّ أعدائهم وبغضهم يهلك من كان في قلبه بمقدار رأس ابرة، فيقلقل أحشاءه وأمعاءه والأول يوجب لقبول الطاعات ويمنع عن تأثير المعاصي ويوجب لغفرانها . والثاني يبعث على الحبط وعدم قبول الطاعات ويورث كلّ شرّ وبذر النفاق مع الربّ تبارك وتعالى .

روى في البحار مسنداً عن حذيفة ، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول :ما من عبد ولا أمة يموت وفي قلبه مثقال حبّة خردل من حبّ عليّ بن أبي طالب إلّا أدخله الله عزّ وجل الجنّة [1] .

الثاني : في بعض الأخبار عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال : يقول الله عزّ وجلّ : من آمن بي وبنبيّ وتولّى علياً عليه السلام أدخلته الجنّة على ما كان من عمله [2] .

وفي الكافي ـ آخر كتاب الكفر والايمان ـ عن عليّ بن إبراهيم ، عن يونس بن بكير ، عن أبي اميّة يوسف بن ثابت ، قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: لا يضرّ مع الايمان عمل [ولا ينفع مع الكفر عمل ،كا] ألا ترى أنّه قال « وما منعهم

(١) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢٤٦ ب ٨٧ ح٢ .

(٢) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢٤٩ ب٨٧ ح٧ .

أن تقبل منهم نفقاتهم إلّا أنّهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم كافرون » [١] .

وفيه عن عليّ ، عن يونس ، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال موسى للخضر : قد تحرمت بصحبتك ، فأوصني ، قال : الزم مالايضرك معه شيء كما لا ينفعك مع غيره شيء [٢] .

و فيه في الباب مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الايمان لايضرّ معه عمل ، والكفر كذلك لاينفع معه عمل [٣] .

وفيه في الباب مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً ما يقول في خطبته : يا أيّها الناس دينكم دينكم ، فإنّ السيّئة فيه خير من الحسنة في غيره ، والسيّئة فيه تغفر والحسنة في غيره لاتقبل [٤] .

أقول : بل تكون سيّئة غير مغفورة ، لانتفاء شرط الولاية والايمان ، فتكون بدعة محرمة ، ولاتغفر السيّئة مع الكفر . ولعلّ الاقتصار بعدم القبول للتنبيه على كونه سيّئة وعلى علّة ذلك ، أي لاتقبل فتكون بدعة فتكون سيّئة، والخيريّة قاضية به ، إذ مجرد عدم القبول لايستلزمها . غاية الأمر تساويها ، إلّا أن يقال : في السيّئة في الدين لذة عاجلة مع أنّها تغفر ، والحسنة في غيره مشقّة بلاثمرة ، فالخيريّة لذلك .

ويحذو حذوها أخبار ناصّة بأنّ الله لايعذب من تولّى عليّاً وإن عصاه ، ولا يرحم من عاداه وإن أطاع الله .

وأصرح من ذلك كلّه ما رواه في البحار عن الفهّام بسندين عن جابر بن عبدالله ، قال : كنت عند النبيّ صلى الله عليه وآله أنا من جانب وعليّ أمير المؤمنين من جانب إذ أقبل عمر بن الخطّاب ومعه رجل قد تلبّب به ، فقال : ماباله ؟ قال : حكى عنك يارسول الله أنّك قلت : من قال : « لاإله إلّا الله ، محمّد رسول الله » دخل الجنّة ،

---

(١) و(٢) الكافي : ج٢ ص٤٦٤ .

(٣) الكافي : ج٢ ص٤٦٤ . (٤) الكافي:ج٢ ص٤٦٤.

وهذا إذا سمعته الناس فرطوا في الأعمال، أفأنت قلت ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، إذا تمسّك بمحبّة هذا وولايته [١].

قلت: غاية بعض تلك الأخبار دخول الجنّة مع الايمان و الولاية، وهو لا ينافي دخول النار قبله. و بعضها النافي لضرر عمل مع الايمان والولاية تحمل على الفرد الكامل منه، وهو الضرر بالخلود في النار، مع أنّ النفع كلّ النفع في دخول الجنّة ولا يمنع منه عمل شيء مع الايمان والولاية، فلاضرر أصلاً، إنّما الابتلاء في الدنيا والآخرة بالمطهّرات منفعة لاضرر، و مع ذلك لتحصيل منفعة أعظم.

وأمّا ما في بعض الأخبار من «أنّ محبّته يدخل الجنّة على ما كان من عمل» فقد عرفت وجهه.

وهنا وجه آخر هو دخولها مع قلّة عمله الصالح أو كثرته، كما في الكافي، الباب... مسنداً عن محمّد بن مارد، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: حديث روي لنا أنّك قلت: إذا عرفت فاعمل ما شئت، فقال: [قد] قلت ذلك، قال: فقلت: وإن زنوا وإن سرقوا أو شربوا الخمر! فقال لي، إنّا لله وإنّا إليه راجعون! والله ما أنصفونا، أن نكون اخذنا بالعمل ووضع عنهم، إنّما قلت: إذا عرفت فاعمل ما شئت من قليل الخير و كثيره، فإنّه يقبل منك [٢].

أقول: مرجع ذلك إلى اشتراط صحّة العبادات بالولاية والتحثيث للموالين على إكثارها. ثمّ مراده أنّ ذلك مراده ممّا قال وأطلق في العمل، لأنّ سائر ما هو مثله مثله. لكن تعليله يعطي كون الجميع سواء، إلّا أنّ غاية ذلك أنّهم لايريدون الاغراء على السيّئات والاطلاق فيها. وأما الاستبشار والتبشير للمعترفين المقتربين إلى اليأس بأنّهم يدخلون الجنّة فلابأس به، و هو على حذو الأخبار

---

(١) بحار الانوار: ج٣٩ ص٢٩٨ ب٨٧ ح١٠٣.

(٢) الكافي: ج٢ ص٤٦٤.

الدالّة على أنّ مواليهم كلّهم معهم في الجنّة ولا يخلدون في النار، ولكن فليتنافسوا في الدرجات وليتّقوا عذاب البرزخ ، وهكذا .

و بالجملة : فهذه الاطلاقات مقيّدة بتلك المقيّدات ، كما سبق ، فلا تغفل والمعارضة في الأخبار غير عزيزة ، واللازم الجمع بينهما ، لا الأخذ بطرف اقتراحاً وكما تشتهيه النفوس بإغواء الشيطان والخروج عن الصراط المستقيم والغرور بوعده الكاذب ، أعاذنا الله من حبائله ومصائده ومن شرور أنفسنا ، وعليه التكلان .

الثالث : قد أشرنا في مطاوي الأبحاث السابقة إلى اشتداد نعيم الجنّة على أهلها وعذاب النار على أهلها على الاستمرار وعدم قدرتهما على التخفيف، فاعلم أنّ امور الآخرة امور جليلة كاملة، لا اختلاط فيها ولا امتزاج. ولا نقص ولا كدورة ، بخلاف امور الدنيا. فنعيم الآخرة غير نعيم الدنيا، وكذا آلامها وراء آلامها. ولا يمكن إحساس امور الآخرة بحواسّ أهل الدنيا ولا إدراكها بعقولهم ولا توصيفها ، بل كلّ امور الآخرة أعظم من وصفها، والدنيا بالعكس . فلا يمكن أن يرى الجنّة وأهلها إلّا لأهلها ، ولا لأهل المرتبة السافلة أهل المرتبة العالية ، كما أنّ الشمس تمنع نورها و ضياءها عن النظر إليها ، فهي أشدّ تمانعاً بمراتب .

وبالجملة: فالدار الآخرة دار ضيافة الملك الجليل، وهي على حسب جلالة المضيف وكرامته ، أو دار سخطه وانتقامه ، وهذا ما لا تقوم له السماوات والأرض فهذه النشأة الدنياويّة نشأة اختلاط وامتزاج ، ودار الآخرة دار تمييز . فنعيم الدنيا مشوب بكدوراتها وآلامها و كلّها ناقصة غير خالصة تدرك الحواسّ ناقصة، خلقت لاستكشاف ماهاهنا بها ، لطفاً منه تعالى و كرماً ، ليعبدوه وليعرفوا معنى اللذة والألم والحياة والعقاب والنور والظلم ، ويستمتعوا بها أيضاً .

كما أنّه تعالى جعل فينا الصفات والحواسّ من علم وسمع وبصر و قدرة وهكذا ، لنعرف صفاته مع سلب النقايص الناشئة لسبب إمكاننا ، و لنتمتّع أيضاً بأسماعنا وأبصارنا وسائر حواسّنا، فعلمنا بصفة وسمعنا بحواسّ وآلات وهكذا.

وهو الله سبحانه وتعالى بصير لابآلة بصر ، سميع لابآلة سمع ، عالم لابعلم زائد «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» .

قال رسول الله ﷺ : يا أباذر، إنّ لله عزّوجل ملائكة قياماً من خيفته ما يرفعون رؤوسهم حتّى ينفخ في الصور النفخة الأخيرة ، فيقولون جميعاً :سبحانك وبحمدك ماعبدناك كماينبغي لك أن تعبد ، [ياأباذر] فلو كان لرجل عمل سبعين نبيّاً لاستقلّ عمله من شدة ما يرى يومئذٍ ، ولو أنّ دلواً صبّت من غسلين في مطلع الشمس لغلت منه جماجم من في مغربها ، و لو زفرت جهنّم زفرة لم يبق ملك مقرب ولانبيّ مرسل إلّا خرّ جاثياً لركبتيه ، يقول : ربّ نفسي نفسي ، حتّى ينسى إبراهيم عليه السلام إسحاق عليه السلام يقول: ياربّ أنا خليلك إبراهيم فلاتنسني . يا أباذر، لو أنّ امرأةً من نساء أهل الجنّة اطلعت من سماء الدنيا في ليلة ظلماء لأضاءت له الأرض أفضل ممّا يضيء القمر ليلة البدر ، ولوجد ريح نشرها جميع أهل الأرض، و لو أنّ ثوباً من ثياب أهل الجنّة نشر اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم [(١)] .

تنبيه :

يدلّ الحديث الشريف بنصّه على المقصود وعلى أفضليّة إبراهيم عليه السلام بعد نبيّنا ﷺ من سائر الأنبياء . ويؤكّد هذه ما تقدم من توصيفه تعالى إيّاه بالوفاء على سبيل المبالغة ، حيث لم يخف من نار نمرود في أول سنّه ، وأعرض عن كلّ ما سوى الله . فتعلم أنّ نار جهنّم ـ نعوذ بالله منها ـ لاتقاس بنار الدنيا ، حتّى أنّه بعد استكمال عمره واستكماله يخرّ جاثياً لركبتيه بزفرتها ورؤيتها ويمكن أن [يكون] هذا وجه اختصاصه بالذكر ، فيضعف الدلالة على أفضليّته حينئذٍ لكن يتأكّد المقصود من الشدة على هذا الوجه .

---

(١) مكارم الاخلاق : ص٤٦٤ مع تفاوت في بعض الكلمات .

وفي بعض الأخبار إضافة بعض الأنبياء الاخر، مثل «يعقوب ينسى يوسف ويقول: ربّ نفسي نفسي» وإضافة قول نبيّنا صلى الله عليه وآله: «ربّ امّتي امّتي» ويدلّ حينئذ على أفضليّة نبيّنا صلى الله عليه وآله، ولكن الدلالة على الشدة محفوظة.

واحتمل غير بعيد اتّحاد دعاء جميع الأنبياء عليهم السلام. وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يدعو لامّته، وسائر الأنبياء للنبيّ صلى الله عليه وآله، وهو نفسهم بأن لا يتألّم بعذاب امّته. ويحتمل أنّ دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله للجميع لأنّ الجميع من الأنبياء وامّتهم وامّته امّته، و هو رسول على الجميع، بل على أهل السماوات، و«كان نبيّاً وآدم بين الماء والطين» فأكمل الملائكة وعلّمهم التوحيد والتسبيح والتهليل والتكبير، ثمّ أكمل الانس والجنّ بتوسّط الأنبياء المرسلين إليهم المبشّرين به صلى الله عليه وآله والآخذين الميثاق عليهم بالاقرار بأفضليّته صلى الله عليه وآله وبأفضليّة عترته الطاهرين إلى أن بعث عليهم في الظاهر، بل هو وأهل بيته وسائط الفيوض بأسرها ـ من الشرائع والمعالم ونعمة الايجاد وغيرها ـ في جميع العوالم الماضية و الآتية، فإنّ الله سبحانه و تعالى كنز مخفيّ يحبّ أن يعرف، فخلق الخلق ليعرف و ليعرفوه به و بصنعه قبل خلق آدم وبعده، وقد خلق ألف ألف آدم و ألف ألف عالم، وهكذا يخلق بعد انقضاء هذا العالم للنكتة المزبورة. و الرسول والواسطة في الجميع هو هو صلى الله عليه وآله و أهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين والشفاعة الكبرى في الجميع لولده الحسين عليه السلام. ولا أكشف سرّ الله أكثر ممّا ذكر، والله تعالى حافظ السرّ والعلن.

وبالجملة: فهو يدعو لامّته والأنبياء يدعون له، وهو المراد بنفسهم ومن هو أعزّ عليهم من نفسهم ومن يوسف على يعقوب ومن إسحاق على إبراهيم، حتّى يسألوا نجاته ويفدو بيوسف وبإسحاق. والمراد وقايته وعدم تأذيه بعذاب امّته، وإلّا فهو له النجاة ولا خوف عليه، فتبيّن أنّ مرجع دعاء الجميع واحد.

و في القدسيّات الموسويّة «قال موسى: ياربّ اجعلني من امّته، فقال:

يا موسى أنت من امّته[1]» .

و إذا عرفت منزلته ومنزلة أهل بيته فاعلم أنّ جهنّم والجنّة والملائكة أيضاً داعون لامّته بالنجاة و بالجواز علی الصراط ، فالنار تدعو لهم إشفاقاً على نفسها ، فإنّ نور المؤمن يغلب نار جهنّم ، فيدعوه بالاسراع إشفاقاً على نفسها ، وريح الجنّة يجده المؤمن من مسافة بعيدة وتجذبه إلى نفسها شوقاً إليه، والملائكة على الصراط يدعون لهم بالنجاة .

و الغرض من هذه الاشارة البشارة إلى تعدد الدعاء و أسباب النجاة ، فيجوز المؤمن حينئذٍ على الصراط كالبرق الخاطف . والله وليّ السرائر والأسرار والهداية، فافهم راشداً مهديّاً، ولا تكن من الجاهلين ومن الكافرين بسعة رحمة الله والجاحدين لنعمة الله ، والحمد لله ربّ العالمين .

واعلم أيضاً أنّ أهوال القيامة كثيرة ، ونجاة المؤمن منها بما مرّ من الدعاء والشفاعة والأعمال الصالحة، حتّى أنّ كلّ عمل يدفع هؤلاء، كما أنّ للمعاصي تأثيراً في الدنيا أيضاً .

و بالجملة : لكلّ من المعاصي و الطاعات تأثيراً في الدنيا و في الآخرة ، وللطاعات تأثيراً في رفع بلايا الدنيا وأهوال الآخرة وعذابها، و كذا المعاصي تؤثّر بالشدائد في الدنيا و بالعذاب في الآخرة . وسنتلوا عليك ما يدلّ على ذلك، فلنذكر بعض أخبار هذه الامور المرموز إليها وسند هذا المستور المجمل والستر المقنّع، ثمّ أخبار المقصود من عظمة امور الآخرة ، ثمّ نعطف على الفصول الآتية بعون الله الوهّاب .

روي عن جابر ، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد »[2] فقال : يا جابر تأويل ذلك : إنّ الله عزّ وجلّ إذا أفنى هذا الخلق و أفنى هذا العالم وسكن أهل الجنّة الجنّة وأهل

(١) بحار الانوار : ج١٣ ص٣٣٨ ح١٣ .
(٢) ق : ١٥ .

النار نارهم جدد الله عالماً غير هذا العالم، و جدد خلقاً من غير فحولة و لا اناث يعبدونه و يوحدونه، وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم، وسماء غير هذه السماء تظلّهم، لعلّك ترى أنّ الله عزّوجلّ إنّما خلق هذا العالم الواحد؟ ترى أنّ الله لم يخلق بشراً غيركم؟ بلى و الله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم، أنت في أواخر تلك العوالم واولئك الآدميين [1].

روى الشيخ الجليل محمّد بن يعقوب الكليني - في روضة الكافي - عن عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن مفضّل بن صالح، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أخبرني الروح الأمين أنّ الله لا إله غيره إذا وقف الخلائق و جمع الأولين و الآخرين اتي بجهنّم يقاد بألف زمام، أخذ بكلّ زمام مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد، ولها هدة وتحطّم و زفير و شهيق، إنّها لتزفر الزفرة، فلولا أنّ الله عزّوجلّ أخّرها إلى الحساب لأهلك الجميع، ثمّ يخرج منها عنق يحيط بالخلائق البرّ منهم و الفاجر، فما خلق الله عبداً من عباده ملك و لا نبيّ إلّا وينادي يارب نفسي نفسي، و أنت تقول: يارب امّتي امّتي - إلى أن قال - الناس على الصراط، فمتعلّق تزل قدمه وتثبت قدمه، والملائكة حولها ينادون: ياحليم يا كريم اعف واصفح وعد بفضلك وسلّم [2] الحديث.

وروي أنّ الله عزّوجلّ أمر النار فنفخ عليها ألف عام حتّى ابيضّت، ثمّ نفخ عليها ألف عام حتّى احمرت، ثمّ نفخ عليها ألف عام حتّى اسودت، فهي سوداء مظلمة، ولو أنّ قطرة من الضريع قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها [3].

وفي جهنّم واد يسمّى الفلق، يوقد عليها ألف سنة لم يتنفّس، فإذا تنفّس أحرق جميع النار [4].

(١) نور الثقلين : ج ٥ ص، ١٠٨ مع اختلاف فى بعض الكلمات.
(٢) روضة الكافي : ص٣١٢ ح ٤٨٦ .
(٣) بحار الانوار : ج ٨ ص ٢٨٠ ب ٢٨ ح ١ .
(٤) تفسير نور الثقلين: ج ٥ ص٧٢١ ح٢٥ .

وفيها دلالة على ما تقدم من فقد الضوء في نار جهنّم وأكل بعضها بعضاً.

وروى الصدوق ـ رحمه الله ـ فيما حكي عنه بإسناده إلى عبدالرحمن بن سمرة، قال: كنّا عند رسول الله ﷺ يوماً، فقال: إنّي رأيت البارحة عجائب، فقلنا: يا رسول الله وما رأيت؟ حدّثنا به، فداؤك أنفسنا وأهلونا وأولادنا، فقال: رأيت رجلاً من امّتي قد أتاه ملك الموت بقبض روحه فجاءه بره بوالديه فمنعه بره منه، ورأيت رجلاً من امّتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه الوضوء فمنعه منه، ورأيت رجلاً من امّتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله عزّ وجلّ فنجّاه من بينهم، ورأيت رجلاً من امّتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فمنعته منهم، ورأيت رجلاً من امّتي يلهث عطشاً كلّما ورد حوضاً منع فجاءه صيام شهر رمضان فسقاه وأرواه، ورأيت رجلاً من امّتي والنبيّون حلقاً حلقاً كلّما أتى حلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة وأخذ بيده فأجلسه إلى جنبي، ورأيت رجلاً من امّتي بين يديه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن تحته ظلمة مستنقعاً في الظلمة فجاءه حجّه وعمرته فأخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور، ورأيت رجلاً من امّتي يكلّم المؤمنين فلا يكلّموه فجاءه صلته للرحم فقال: يا معشر المؤمنين كلّموه فإنّه كان واصلاً لرحمه فكلّمه المؤمنون وصافحوه وكان معهم، ورأيت رجلاً من امّتي يتّقي وهج النيران وشررها بيده ووجهه فجاءته صدقته فكانت ظلاً على رأسه وستراً على وجهه، ورأيت رجلاً من امّتي قد أخذته الزبانية من كلّ مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فخلّصاه من بينهم وجعلاه مع ملائكة الرحمة، ورأيت رجلاً من امّتي جاثياً على ركبتيه بينه وبين رحمة الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله في رحمة الله، ورأيت رجلاً من امّتي قد هوت صحيفته قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه، ورأيت رجلاً من امّتي قد خفّت موازينه فجاءه أفراطه فثقّلوا موازينه، ورأيت رجلاً من امّتي قائماً على شفير جهنّم فجاءه رجاه من الله عزّ وجلّ فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من امّتي وهوى في

النار فجاءت دموعه التي بكى من خشية الله فاستخرجه من ذلك، ورأيت رجلاً من امّتي على الصراط يرتعد كما ترتعد السعفة في يوم ريح عاصف فجاءه حسن ظنّه بالله فسكن روعته ومضى على الصراط، ورأيت رجلاً من امّتي على الصراط يزحف أحياناً ويتعلّق أحياناً ويحفو أحياناً و يحبو أحياناً فجاءته صلواته عليّ وأقامته على قدميه ومضى على الصراط ، ورأيت رجلاً من امّتي انتهى إلى أبواب الجنّة كلّما انتهى إلى باب غلق دونه و جاءته شهادة أن لا إله إلّا الله صادقاً بها ففتحت له الأبواب ودخل الجنّة [1] .

وفي خبر أنّه بعد تسليم مفاتيح الجنّة ومقاليد النار إلى عليّ بن أبي طالب يقبل عليّ عليه السلام حتّى يقف على حجزة جهنّم وقد تطاير شررها وعلا زفيرها واشتدّ حرها وعليّ أخذ بزمامها ، فتقول جهنّم : جزني يا عليّ فقد أطفأ نورك لهبي، فيقول لها عليّ: قري ياجهنّم ، خذي هذا واتركي هذا وليّي . فلجهنّم يومئذ أشدّ مطاوعة لعليّ عليه السلام من غلام أحدكم لصاحبه [2] .

فإن شاء يذهبها يمينه وإن شاء يذهبها يساره، والجنّة يومئذ أشدّ مطاوعة لعليّ فيما يأمرها به من جميع الخلائق .

تنبيه :

اعلم أنّ دخول بعض المحبّين النار للتطهير المذكور. وله نكتة اخرى هي تحقّق الشفاعة . وكذا الحال في محبّ امر به إلى النار ، فإنّ الشفاعة إنّما هي بعد الأمر أو بعد دخول النار أو عند الحساب و المناقشة. وفي الأخبار: إنّ فاطمة عليها السلام تقرأ بين عيني محبّ ـ امر به إلى النار ـ محبّاً ، فتسأل ربّه ، فتجاب بأنّه لتشفعي له وتبين قدرك [3] .

(١) أمالي الصدوق : ص١٩١ .
(٢) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢٠٤ مع تفاوت .
(٣) بحار الانوار : ج٤٣ ص٦٤ ح٥٧ نقلا بالمعنى .

فصل

في فضيلة حبهم عليهم السلام وفوائده، وآثار بغضهم ومضاره

وقد تقدم بعض ذلك .

فمنها : النبوي المروي في البحار: يابن عبّاس، والذي بعثني بالحق نبيّاً إنّ النار لأشدّ غضباً على مبغض عليّ منها على من زعم أنّ لله ولداً [١].

ومنها : مارواه فيه عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « هذان خصمان اختصموا في ربّهم فالّذين كفروا ـ بولاية عليّ بن أبي طالب ـ قطّعت لهم ثياب من نار » [٢].

ومنها : ما فيه عن « تاريخ بغداد» و « شرف المصطفى » و « شرح الألكاني» عن عبدالرزاق ، عن معمّر ، عن الزهري، عن عبدالله، عن ابن عبّاس ، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه نظر إلى عليّ بن أبي طالب، فقال: أنت سيّد في الدنيا وسيّد في الآخرة، من أحبّك فقد أحبّني ، ومن أحبّني فقد أحبّ الله ، ومن أبغضك فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله [٣].

ومنها : ما فيه عن عمر بن الخطّاب ، قال : كنّا بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله في مسجده وقد صلّى بالناس صلاة الظهر ، و استند إلى محرابه كأنّه البدر في تمامه . وأصحابه حوله، إذ نظر إلى السماء وأطال النظر إليها، ونظر إلى الأرض وأطال النظر إليها ، ثمّ نظر سهلاً و جبلاً وقال : معاشر المسلمين انصتوا يرحمكم الله ، واعلموا أنّ في جهنّم وادياً يعرف بوادي الضباع ، في ذلك الوادي بئر ، وفي تلك البئر حيّة، فشكت جهنّم منذلك الوادي إلىالله عزّوجل و شكا الوادي من تلك البئر ، و شكت البئر من تلك الحيّة إلى الله تعالى في كلّ يوم سبعين

(١)و(٢) بحار الانوار: ج٣٩ ص٢٥٠ ب٨٧ ح١٣ .

(٣) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢٥٠ ب٨٧ .

مرة، فقيل: يا رسول الله ولمن هذا العذاب المضاعف الّذي يشكو بعضه عن بعض؟ قال: لمن يأتي يوم القيامة وهو غير ملتزم بولاية عليّ بن أبيطالب[١].

أقول: نظره إلى السماء والأرض و غيرهما و إطالته إمّا للاحساس بنزول الوحي في شيء عليه فانتظره، أو للاحساس بذلك الوادي وما فيه ليخبر به شفقة على امّته، أو لغير ذلك. ثمّ هذا الحديث يدلّ على ماتقدم من شدة عذاب جهنّم على الاستمرار و أشديّة عذاب مبغضيه من جميع الكفّار. ويشير كالحديث الأول إلى خلق النار من ظلمة بغضه عليه السلام.

ثمّ قد تقدم أنّ كلّ مؤمن له محبّ و موال، و كلّ كافر له مبغض، فاعلم أنّ الفرق أنّ ظهور الحبّ والبغض له عليه السلام في تلك الشريعة أشدّ و أكمل من ظهورهما في سائر الشرائع بواسطة سائر الأنبياء، كمن عصى سلطاناً في أمره مشافهةً، ومن عصاه فيما أمره بواسطة بعض خدامه، فافهم.

ومنها: ما فيه مسنداً عن رياح بن [أبي] نصر، قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً في ملأ من أصحابه، إذ قام فزعاً، فاستقبل جنازة على أربعة رجال من الحبش، فقال: ضعوه، ثمّ كشف عن وجهه، فقال: أيّكم يعرف هذا؟ فقال عليّ بن أبيطالب عليه السلام: أنا يارسول الله، هذا عبد بني رياح ما استقبلني قطّ إلّا قال: و الله أنا احبّك، قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: فأشهد ما يحبّك إلّا مؤمن و لا يبغضك إلّا كافر، و أنّه قد شيّعه سبعون ألف قبيل من الملائكة كلّ قبيل على سبعين ألف قبيل، قال: ثمّ أطلقه من جريده و غسّله و كفّنه وصلّى عليه، وقال: إنّ الملائكة تضايق به الطرق، وإنّما فعل [به] هذا لحبّه إيّاك يا عليّ.

قال ـرحمه‌الله‌ـ: بيان: قوله «ثمّ أطلقه من جريده» لعلّه تصغير الجرد وهو

(١) بحار الانوار: ج٣٩ ص٢٥٠ ب٨٧ ح١٢.

الثوب الخلق ، أي نزع ثيابه البالية . انتهى [١] .

أقول: قيامه صلى الله عليه وآله فزعاً لعلّه لما أحسّ وسمع من صوت الملائكة وتسبيحهم وذكرهم في كثرتهم . وانظر إلى ما يتضمّنه من فضيلة المحبّة ، من تشييع هذا الجمع الكثير من الملائكة، ومن تغسيله وتكفينه وصلاته عليه، كلّ ذلك لحبّه لعليّ عليه السلام .

وقد رواه عن الصدوق ـ رحمه الله ـ ببعض التغييرات، وفيها «أمر الرسول بغسله وتكفينه بثوب من ثيابه وتشييعه مع المسلمين، وسماع المسلمين دويّاً شديداً في السماء من كثرة الملائكة » وفي آخرها « نزل رسول صلى الله عليه وآله في لحده، ثمّ أعرض عنه، ثمّ سوّى عليه اللبن ، فقال أصحابه: يارسول الله رأيناك قدأعرضت عن الأسود ساعة ثمّ سويت عليه اللبن؟ فقال: نعم، إنّ وليّ الله خرج من الدنيا عطشاناً فتبادر إليه أزواجه من الحور العين بشراب من الجنّة ، و وليّ الله غيور ، فكرهت أن احزّنه بالنظر إلى أزواجه فأعرضت عنه»[٢] .

ومنها : ماروواه فيه عن شيرويه ـ في الفردوس ـ قال ابن عبّاس: قال النبيّ صلى الله عليه وآله : إنّما رفع الله القطر عن بني إسرائيل بسوء رأيهم في أنبيائهم ، و أنّ الله يرفع القطر عن هذه الامّة ببغضهم عليّ بن أبي طالب [٣] .

قال : وفي رواية : فقام رجل ، فقال : يارسول الله وهل يبغض عليّاً أحد؟ قال : نعم ، القعود عن نصرته بغض [٤] .

أقول : فانظر إلى ما فيه من التهديد و التشديد والوعيد ، وأنّ القعود عن نصرته بغض له . وحينئذٍ فما أكثر مبغضيه ! وما أرحم الله بالمحبّين في الغيبة !

---

(١) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢٥٤ ح٢٥ .

(٢) بحار الانوار : ج ٣٩ ص٢٨٩ ح٨٤ .

(٣) بحار الانوار : ج٣٩ ص٣٠٣ ح١١٨

(٣) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢٦٤ ذيل ح٣٣ .

حيث لم يخلقهم في زمانه كي لا يحشروا في زمرة مبغضيه، وأنّ قطع الفيض من سماء الرحمة إنّما هو بشومة بغضه و القعود عن نصرته ، كما في الأخبار : أنّهم لو نصروه لكان ينزل على الناس أرزاقهم مائدة من السماء ، وقد اخّر ذلك بشومتهم إلى ظهور دولة الحقّ و اجتماع الناس على محبّته ، فيزيد حينئذٍ في أعمارهم وأرزاقهم ، ويصافحون الملائكة ، ويذهب عنهم كلّ ضيق وشدة وظلم، حتّى أنّ الشاة و الذئب يجتمعان في المرعى و المشرب . و هذا هو السرّ في انتفاعنا بلعنهم ومضاعفة عذابهم به، لشدة ظلمهم علينا وعلى ساداتنا حتّى أنّهم قتلوهم وظلموهم وغصبوا حقوقهم وأيتمونا وساقوا إلينا كلّ شدة وضيق من جهل بمعالمنا ، وضيق رزق ، وسائر الشدائد ، ودعاء المظلوم يستجاب على الظالم .

ومنها : ما نقله عن كتاب كفاية الطالب[1] عن الحارث الهمداني،قال: دخلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: ما جاء بك؟ فقلت: حبّي لك ياأمير المؤمنين ، فقال : يا حارث أتحبّني ؟ فقلت : نعم والله ياأمير المؤمنين فقال : أما لو بلغت نفسك الحلقوم لرأيتني حيث تحبّ ، ولو رأيتني وأنا أذود الرجال عن الحوض ذود غريبة الابل لرأيتني حيث تحبّ ، الحديث[2].

ومنها : ما نقله عن جمال الدين بن يوسف بن حاتم الفقيه الشامي -رحمه الله- في كتاب الأربعين في فضائل أمير المؤمنين ، عن حمّاد بن يزيد ، عن عبدالرحمن بن السراج ، عن نافع، عن ابن عمر، قال: سألت النبيّ صلى الله عليه وآله عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : ما بال قوم ينكرون من له منزلة كمنزلتي ؟ ألا ومن أحبّ عليّاً فقد أحبّني و من أحبّني رضي الله عنه ، و من رضي الله عنه كافاه الجنّة ، ألا و من أحبّ عليّاً يقبل الله صلاته وصيامه و قيامه واستجاب الله دعاءه . ألا ومن أحبّ عليّاً استغفرت له الملائكة وفتحت له أبواب الجنّة يدخل من أيّ باب شاء بغير

(١) نقله البحار ــ على ما وقفت عليه ــ عن الامالي .

(٢) بحار الانوار : ج٢٧ ص١٥٧ ح٢ .

حساب. ألا ومن أحبّ عليّاً لا يخرج من الدنيا حتّى يشرب من الكوثر ويأكل من شجرة طوبى ويرى مكانه من الجنّة. ألا ومن أحبّ عليّاً أعطاه الله في الجنّة بعدد كلّ عرق في بدنه حوراء و يشفّع في ثمانين من أهل بيته و له في كلّ شعرة في بدنه مدينة في الجنّة . ألا و من أحبّ عليّاً بعث الله ملك الموت إليه برفق ودفع الله عزّوجلّ عنه هول منكر ونكير ونوّر قبره وبيّض وجهه. ألا ومن أحبّ عليّاً نجّاه الله من النار . ألا ومن أحبّ عليّاً أثبت الله الحكم في قلبه وأجرى على لسانه الصواب وفتح الله له أبواب الرحمة . ألا ومن أحبّ عليّاً سمّي في السماوات أسير الله في الأرض . ألا ومن أحبّ عليّاً ناداه ملك من تحت العرش أن ياعبدالله استأنف العمل فقد غفرالله لك الذنوب كلّها. ألا ومن أحبّ عليّاً جاء يوم القيامة و وجهه كالقمر ليلة البدر . ألا ومن أحبّ عليّاً وضع الله على رأسه تاج الكرامة . ألا ومن أحبّ عليّاً مرّ على الصراط كالبرق الخاطف. ألا و من أحبّ عليّاً و تولّاه كتب الله له براءة من النار و جوازاً على الصراط وأماناً من العذاب . ألا و من أحبّ عليّاً لا ينشر له ديوان و لا ينصب له ميزان ويقال له: ادخل الجنّة بغير حساب. ألا ومن أحبّ آل محمّد صلّى الله عليه وآله أمن من الحساب والميزان و الصراط ، ومن أحبّ آل محمّد صلّى الله عليه وآله صافحته الملائكة و زارته الأنبياء و قضي له كلّ حاجة كانت له عند الله عزّوجلّ. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد صلّى الله عليه وآله فأنا كفيله بالجنّة والنار [1] قاله ثلاثاً . قال قتيبة بن سعيد بن رجاء : كان حمّاد بن زيد يفتخر بهذا الحديث ويقول : هو الأصل لمن يقرّ به [2].

قال في البحار : أقول: رواه الصدوق محمّد بن بابويه ـ رحمه الله ـ في كتاب فضائل الشيعة ، عن أبيه ، عن عبدالله بن الحسين المؤدب ، عن أحمد بن عليّ الاصفهاني ، عن محمّد بن أسلم الطوسي ، عن أبي رجاء قتيبة بن سعيد ، عن نافع ، عن ابن عمر

---

(١) والظاهر زيادة كلمة « والنار » كما في المصدر .

(٢) البحار : ج٣٩ ص٢٧٧ ح٥٥ .

مثله . انتهى .

ومنها : ما فيه (عن روضة الواعظين) في خبر : أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال يوما لأصحابه : أيّكم يصوم الدهر ويحيي الليل ويختم القرآن؟ فقال سلمان: أنا يارسول الله ؟ قال : فغضب بعضهم ، فقال : إنّ سلمان رجل من الفرس يريد أن يفتخر علينا معاشر قريش و هو يكذب في جميع ذلك ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : مه يا فلان ؟ أنّى لك بمثل لقمان الحكيم ؟ سله فإنّه ينبئك، فقال: رأيتك في أكثر أيّامك تأكل وأكثر لياليك نائماً وأكثر أيّامك صامتاً، فقال: ليس حيث تذهب، إنّي أصوم الثلاثة في الشهر وقال الله: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها»[1] واوصل رجب و شعبان بشهر رمضان فذلك صوم الدهر، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من بات على طهر فكأنّما أحيى الليل وأنا أبيت على طهر ، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ : يا أبا الحسن مثلك في امّتي مثل « قل هوالله أحد » فمن قرأها مرة فقدقرأ ثلث القرآن ومن قرأها مرتين فقد قرأ ثلثي القرآن ومن قرأها ثلاث مرات فقد ختم القرآن كلّه، فمن أحبّك بلسانه فقد كمل له ثلث الايمان ومن أحبّك بلسانه وقلبه فقد كمل له ثلثا الايمان ومن أحبّك بلسانه وقلبه و نصرك بيده فقد استكمل الايمان ، والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً، ياعليّ لو أحبّك أهل الأرض كمحبّة أهل السماء لما عذّب أحد بالنار ، وأنا أقرأ « قل هو الله أحد » كلّ يوم ثلاث مرات، فقام كأنّه اُلقم حجراً[2] .

ومنها : ما في البحار عن ابن بطّة في الابانة، بإسناده عن جابر ، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لو أنّ امّتي أبغضوك لأكبّهم الله على مناخرهم في النار[3] .

أقول : التعبير بـ «لو» لعلّه للاشارة إلى عدم اجتماعهم على بغضه ، كما لم

(١) الانعام : ١٦٠ .

(٢) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢٥٧ ب٨٧ .

(٣) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢٦١ ب٨٧ ح٣٣ .

يجتمعوا على حبّه ، فالقضيّتان فرضيّتان ، والمحقّق اختلافهم فيهما .

ثمّ هذا لا ينافي ما ذكرناه : من عدم إمكان اجتماعهم على بغضه ، لأنّ البغض فرع وجود المبغوض الّذي يخلق له الجنّة، وذلك لوجهين: الأول: فرضيّة القضيّة والغرض إظهار جلالته . الثاني : أن ليس المذكور عدم خلق الجنّة ، بل إدخال الامّة المبغضة جميعاً في النار ، فالمراد غير رئيس الامّة وما سواه ، فتأمّل .

ومنها : مارواه عن جعفر بن محمّد العزاري معنعناً عن أبي جعفر ، قال : جاء أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب وقريش في حديث لهم ، فلمّا رأوه سكتوا، فشقّ ذلك عليه ، فجاء إلى النبيّ ﷺ فقال: يارسول الله قتلت بين يديك سبعين رجلاً صبراً ممّا تأمرني بقتله، وثمانين رجلاً مبارزة ، فما أحد من قريش ولامن وجوه العرب إلّا و قد دخل عليهم بغض لي ، فادع الله أن يجعل لي محبّة في قلوب المؤمنين، فسكت رسول الله ﷺ حتّى نزلت هذه الآية «إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّا»[1] فقال النبيّ ﷺ: ياعليّ إنّ الله قدأنزل فيك آية من كتابه وجعل لك في قلب كلّ مؤمن محبّة [2] .

أقول: وقدذكر أخباراً متعددة في نزول هذا الآية فيه ﷺ ، وأنّه لايوجد رجل مؤمن إلّا وفي قلبه حبّه ﷺ ، وأنّ النبيّ ﷺ أمره بالدعاء ، فسأل هذا المعنى ، واستجاب الله تعالى في ذلك ، وأنزل هذه الآية فيه [3] .

و وردت أخبار كثيرة في أنّه لا يحبّه إلّا مؤمن و لا يبغضه إلّا كافر [4] أو منافق [5] أو أولاد زنا [6] ، أو حيض [7] ، أو من شارك الشيطان أباه في وطي امّه [8] و أنّهم كانوا يعرفون المؤمن والمنافق و الكافر بحبّه وبغضه، [9] ولاسيّما

---

(١) مريم : ٩٦ .

(٢) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢٩٠ ب٨٧ ح٨٨ .

(٣) بحار الانوار : ج٣٥ ص٣٥٣ ب١٤ .

(٤و٥و٦و٧و٨و٩) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢٤٦ ب٨٧ .

الأنصار. وأن بني فاطمة يحبّهم البرّ والفاجر، وأمّا هو عليه السلام فاختص بأنّه يحبّه المؤمنون ويبغضه المنافقون. والأصل في ذلك كلّه كما يظهر من هذا الخبر ونحوه ما ذكر، فإنّه عليه السلام لم يخف في الله لومة لائم، و لم ير بعينه و قلبه في أفعاله وسكناته ولحظاته سوى رضا الله ربّ العالمين. في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وبعدها ولم يراع حميماً ولاقرابة، فقاتلهم في الله وصالحهم في الله، فكان المسلمون قتل آباؤهم وقراباتهم، فمن كمل إيمانه رضي بذلك وأحبّه في الله، ومن لم يكن له نصيب من الايمان وأقرّ الاسلام بلسانه خوفاً من سيفه ليحقن دمه ونافق في قلبه أبغضه بما فعل بآبائهم وعشائرهم، بخلاف سائر بني فاطمة وسائر المسلمين لانتفاء هذا السبب فيهم. ومن هنا لم يرضوا بخلافته ونبذوها وراء ظهورهم وخذلوه وقدّموا عليه الجبت والطاغوت. وكذا بعد موت الرسول قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، فحصلت الضغائن في صدورهم في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وبعدها، إلّا عباد الله المخلصين. وكذا حال الأنبياء إلى يوم القيامة.

فالأصل في اختصاصه بهذه الخصلة و كون حبّه و بغضه علامتي الايمان والنفاق والكفر ذلك. ثمّ دعا عليه السلام ربّه تعالى في ذلك، وأجابه فيه، وسبّب أسباب ذلك: من جعل مبغضيه من أولاد الزنا والحيض ونحوهما، فحقّق الله رجاءه في في ذلك إلى يوم القيامة، وبقي ذلك الحكم مستمراً إليه. وقد أوصاهم النبيّ صلى الله عليه وآله بحبّه عليه السلام ونصحهم وألطفهم، فقال: ما فعله من قتل آبائهم بأمر ربّ العالمين، لاذنب عليه، وأنّ لحمه من لحمه ودمه من دمه، وأنّه خليفته ووزيره، وأنّه لايخرجهم من هدى إلى ضلال. وكذا هو قال: ديني دين رسول الله صلى الله عليه وآله وحسبي حسبه[1] ولا ذنب عليّ فيما فعلت، فما نفع ذلك إلّا المؤمنين، وأمّا المنافقون: فدعتهم حميّة الجاهليّة إلى بغضه والقعود عن نصرته، ونبذوا أمر الله وراء ظهورهم، فبئس ما صنعوا! وارتدوا عن دين الله. وقد وفّق الله المؤمنين حتّى أحبّوه، ولايتر كون

---

(١) بحار الانوار: ج٣٩ ص٣١٣ ب٨٨ ح٨.

حبّه ولو ضرب عنقهم، ولا يحبّه المنافقون ولو صبّ عليهم الدنيا.

ففي الأخبار عنه عليه السلام يقول: والله لو صببت الدنيا على المنافق صبّاً ما أحبّني، ولو ضربت بسيفي هذا خيشوم المؤمن لأحبّني، وذلك أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا علي لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق (١).

وفي خبر أنّه عليه السلام قال لولده الحسن عليه السلام وهو يجود بنفسه: إنّ الله أخذ ميثاق أبيك على بغض كلّ منافق وفاسق، وأخذ ميثاق كلّ منافق وفاسق على بغض أبيك (٢).

ونحوه اه(٣).

قال في البحار: بيان، لعلّ معنى أخذ ميثاقهم على البغض أنّه لمّا أخذ ميثاق ولايته عنهم أنكروه في ذلك اليوم وأبغضوه. انتهى وهو جيّد.

والمتحصّل: أنّ المنافقين أبغضوه من حين أخذ الميثاق وتحقّق سببه في الدنيا بقتل آبائهم ومنع دينه عنهم وحفظه، ثمّ بما قرره الله تعالى من كونهم أولاد الزنا والحيض ونحو ذلك. وأمّا المؤمنون فقد وفّقهم الله تعالى فقبلوا حبّه واختاروه في وقت أخذ الميثاق، وتحقّق سببه لهم في الدنيا بقوة الايمان وطهارة المولد ورفض حميّة الجاهليّة وبغض أعداء الله ولو كانوا آباءهم، والله وليّ التوفيق، وله الحمد.

ومنها: ما فيه عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في خطبته: أيّها الناس لاتسبّوا عليّاً ولاتحسدوه، فإنّه وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة بعدي فأحبّوه بحبّي، وأكرموه لكرامتي، وأطيعوه لله ولرسوله، واسترشدوه توفّقوا وترشدوا، فإنّه الدليل لكم على الله بعدي، فقد بيّنت لكم أمر عليّ فاعقلوه

(١) بحار الانوار: ج٣٩ ص٢٥١ ب٨٧.
(٢) بحار الانوار: ج٣٩ ص٢٥٢ ب ٨٧.
(٣) كذا في النسخة.

وما على الرسول إلّا البلاغ المبين[1].

وفيها إرشاد إلى جميع ماذكرناه: من السبب والنصيحة والملاطفة.

ومنها: ما فيه عن الشيخ أبي القاسم البلخي أنّه روى أبو غسّان النهدي، قال: دخل قوم من الشيعة على علي عليه السلام في الرحبة، وهو على حصير خلق، فقال: ماجاءبكم؟ قالوا: حبّك ياأمير المؤمنين. قال: أما أنّه من أحبّني رآني حيث يحب أن يراني، ومن أبغضني رآني حيث يكره أن يراني، ثمّ قال: ماعبد الله أحد قبلي إلّا نبيّه صلى الله عليه وآله واقدهجم أبو طالب علينا وأنا وهو ساجدان، فقال: أوفعلتموها؟ ثمّ قال لي وأنا غلام: ويحك! انصر ابن عمّك، ويحك! لاتخذ له، وجعل يحثّني على مؤازرته ومكانفته[2].

ومنها: ما فيه مسنداً عنه عليه السلام قال: يهلك فيّ ثلاثة: اللاعن والمستمع المقرّ وحامل الوزر، وهو الملك المترف الّذي يتقرب إليه بلعني ويتبرأ عنده من ديني وينتقص عنده حسبي، وإنّما حسبي حسب رسول الله صلى الله عليه وآله وديني دينه. وينجو فيّ ثلاثة: من أحبّني و من أحبّ محبّي و من عادى عدوّي، فمن اشرب قلبه بغضي أو ألبّ عليّ أوانتقصني فليعلم أنّ الله عدوّه وجبرئيل والله عدوّ الكافرين[3].

ومنها: ما فيه مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الجنّة لتشتاق ويشتدّ ضوؤها لأحبّاء علي عليه السلام وهم في الدنيا قبل أن يدخلوها، وأنّ النار لتغيظ ويشتدّ زفيرها على أعداء علي عليه السلام وهم في الدنيا قبل أن يدخلوها[4].

ومنها: ما رواه في البحار ـ نقلاً من كتاب الأربعين ـ مسنداً عن الكاظم عليه السلام قال: إنّ أمير المؤمنين عليّاً كان يسعى على الصفا بمكّة، فإذا هو بدرّاج

(١) بحار الانوار: ج٣٩ ص٢٩٢ ب٨٧.

(٢) بحار الانوار: ج٣٩ ص٢٩٥ ب ٨٧.

(٣) بحار الانوار: ج٣٩ ص٢٩٦ ب٨٧.

(٤) بحار الانوار: ج٣٩ ص٣٠٢ ب٨٧.

يتدرج على وجه الأرض : فوقع بإزاء أمير المؤمنين ، فقال : السلام عليك أيّها الدرّاج ، فقال الدرّاج : وعليك السلام ورحمة الله بركاته يا أمير المومنين، فقال له أمير المؤمنين : أيّها الدرّاج ما تصنع في هذا المكان؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنّي في هذا المكان منذ كذا و كذا عام اسبّح الله واقدسه وامجّده وأعبده حقّ عبادته فقال أمير المؤمنين : أيّها الدرّاج إنّها لصفا ! نقيّ لامطعم فيه و لامشرب ، فمن أين لك المطعم والمشرب ؟ فأجابه الدرّاج وهو يقول : وقرابتك من رسول الله ياأمير المؤمنين إنّي كلّما جعت دعوت الله لشيعتك ومحبيّك فأشبع ، وإذا عطشت دعوت الله على مبغضيك ومنتقصيك فأروى [(١)]

وفيه إشارة إلى أنّ للطيور وسائر المخلوقات أيضاً شيعة ومحبّ ومبغض وإلى التنعّم بالعبادات في الجنّة و تجسّمها ، بل أعلى النعم وأفضلها حبّ أهل البيت وبغض أعدائهم .

واعلم أنّ حبّهم عليهم السلام يرجع إلى حبّ الله تعالى وحبّ الرسول صلى الله عليه وآله ، و حينئذٍ يشمله أخبار فضل حبّ الله والرسول صلى الله عليه وآله ، مثل ماجاء في الأثر :

إنّه جاء أعرابي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يارسول الله متى الساعة ؟ قال: ماذا أعددت لها ؟ فقال : ما أعددت كثير صلاة و لاصيام ، إلّا أنّي احبّ الله و رسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : المرء مع من أحبّ . قيل : ما فرح المسلمون بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك [(٢)] .

وماروي من أنّ عيسى مرّ بثلاثة نفر وقدنحلت أبدانهم وتغيّرت ألوانهم، فقال لهم : ما الّذي قد بلغ بكم ما أرى ؟ فقالوا : الخوف من النار ، فقال : حقّ على الله أن يؤمن الخائف . ثمّ جاوزهم إلى ثلاثة آخرين ، فإذا هم أشدّ نحولاً وتغيّراً ، فقال : ما الّذي بلغ بكم إلى ما لديّ ؟ قالوا: الشوق إلى الجنّة .فقال:

---

(١) بحار الانوار : ج ٤١ ص ٢٣٥ ب ١١١

(٢) بحار الانوار : ج ١٧ ص ١٣ ب ١٣ مع اختلاف في بعض العبارات .

حقّ على الله أن يعطيكم ما ترجون ثمّ جوزهم إلى ثلاثة آخرين ، فإذا هم أشدّ نحولاً وتغيّراً ، كأنّ على وجوههم المرايا من النور ، فقال : ما الّذي بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: نحبّ الله عزّ وجلّ ، فقال : أنتم المقربون[١] .

وعن رسول الله ﷺ أنّه بكى شعيب من حبّ الله عزّ وجلّ حتّى عمي فردّ الله عليه بصره ، ثمّ بكى حتّى عمي فردّ الله عليه بصره ، ثمّ بكى حتّى عمي فردّ الله عليه بصره ، فلمّا كانت الرابعة أوحى الله عزّ وجلّ إليه إلى متى تكون هذا أبداً منك ؟ إن يكن هذا خوفاً منك من النار فقد أجرتك ، وإن يكن شوقاً إلى الجنّة فقد أبحتك . فقال : إلهي وسيّدي أنت تعلم أنّي ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً إلى جنّتك ، ولكن عقد حبّك على قلبي فلست أصبر أو أراك ، فأوحى الله جلّ جلاله إليه : أما إذا كان هذا هكذا ، فمن أجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران[٢]

أقول : فلسائر المحبّين مثله من إخدام الملائكة ومجاورة الأنبياء في الجنّة ونحوهما ، إلى غير ذلك . والمراد من الرؤية الرؤية القلبيّة أو يراد أراك قد قبلتني حبيباً ، أو التعليق بالمحال ، أي كما لا يمكن الرؤية لا يمكن ترك حبّك والبكاء ، ونحو ذلك ، إلى غير ذلك .

واعلم أنّ فضائل أمير المؤمنين صلوات الله عليه وكذا فضائل أهل بيته الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين كثيرة يعسر إحصاؤها ، وسيجيء جملة اخر منها في الفصول الآتية ، إن شاء الله المنّان .

---

(١) مجموعة ورام : ص١٨٥ .

(٢) ارشاد القلوب : ج١ ص١٧١ مع تفاوت يسير .

فصل

في وجوب حبهم عليهم السلام

اعلم أنّه يجب الحبّ والبغض، واهما موارد أربعة : حب الله،وحبّ رسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته ، وسائر أولياء الله . وأعداء الله [١].

وعلى الأولين ادعى «الشيخ ابن الورام» إجماع المسلمين في مجموعته [٢].

وفي الزيارة الجامعة «ولكم المودة الواجبة» .

وفي العيون فيما كتب الرضا عليه السلام المأمون من محض الاسلام«وحبّ أولياءالله عزّوجلّ واجب ، و كذلك بغض أعداء الله و البراءة منهم و من أئمّتهم وبرّ الوالدين واجب» [٣] .

وفيه أيضاً: والبراءة من الّذين ظلموا آل محمد صلى الله عليه وآله وهمّوا بإخراجهم وسنّوا ظلمهم وغيّروا سنّة نبيّهم ، والبراءة من الناكثين والقاسطين والمارقين الّذين هتكوا حجاب رسول الله ونكثوا بيعة إمامهم وأخرجوا المرأة وحاربوا أمير المؤمنين عليه السلام وقتلوا الشيعة ـ رحمة الله عليهم ـ واجبة ،والبراءة ممّن نفى الأخيار وشردهم وآوى الطرداء اللعناء وجعل الأموال دولة بين الأغنياء واستعمل السفهاء ، مثل معاوية وعمرو بن عاص لعيني رسول الله صلى الله عليه وآله والبراءة من أشياعهم الّذين حاربوا أمير المؤمنين وقتلوا الأنصار والمهاجرين وأهل الفضل والصلاح من السابقين،والبراءة من أهل الاستيثار،ومن أبي موسى الاشعري وأهل ولايته، الّذين ضلّ سعيهم في الحياةالدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، اولئك الّذين كفروا بآيات ربّهم

---

(١) كذا في النسخة ، سقط من هنا جمل و هي « بغض أعداء الله و أعداء رسوله وأعداء أهل بيته وأعداء أولياء الله» .

(٢) مجموعة ورام : ج١ ص٢٢٣ .

(٣) عيون أخبار الرضا : ج ٢ ص١٢٣ .

وبولاية أمير المؤمنين ولقائه، كفروا بأن لقوا الله بغير إمامته، فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ، فهم كلاب أهل النار ، والبراءة من الأنصاب والأزلام أئمّة الضلال وقادة الجور كلّهم أولهم وآخرهم ، والبراءة من أشباه عاقري الناقة أشقياء الأولين والآخرين ، وممّن يتولّاهم . والولاية لأمير المؤمنين عليه السلام والذين مضوا على منهاج نبيّهم صلى الله عليه وآله ولم يغيّروا ولم يبدلوا ، مثل سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود ، وعمّار بن ياسر، وحذيفة اليماني، وأبي الهيثم بن التيهان ، وسهل بن حنيف ،وعبادة بن الصامت،وأبو أيّوب الانصاري ،وخزيمة ابن ثابت ذي الشهادتين ، وأبي سعيد الخدري ، وأمثالهم ـ رضي الله عنهم ـ ، والولاية لأتباعهم وأشياعهم والمهتدين بهديهم السالكين مناهجهم ـ رضوان الله عليهم ورحمته ـ [1].

والدلالة في مواضع كثيرة على أكثر الموارد الأربعة . وأيضاً في كثير من الأخبار أنّ حبّهم حبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وبغضهم بغضه ، وحبّه وبغضه حبّ الله وبغضه . وقد عرفت وجوب حبّ الله والنبيّ صلى الله عليه وآله والاجماع عليه . و كذا حبّ أوليائهم يرجع إلى حبّهم ، وكذا بغضهم .

وفي الكافي وغيره أخبار كثيرة في هذا المعنى وفي فضل الحبّ في الله والبغض في الله ووجوبهما .

فمنها : ما رواه مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كلّ من لم يحبّ على الدين ولايبغض على الدين فلادين له [2] .

تنبيهات

الاول : الحبّ لأولياء الله والبغض لأعداء الله من الامور العلميّة ، فلو ظهر الخطأ فالأجر أو الوزر حاصلان .

---

(١) عيون أخبار الرضا : ج٢ ص١٢٤ و١٢٥ .
(٢) الكافي : ج٢ ص١٠٤ ح١٦ .

روى في الكافي مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام قال : لو أنّ رجلاً أحبّ رجلاً لله لأثابه الله على حبّه إيّاه وإن كان المحبوب في علم الله من أهل النار، ولو أنّ رجلاً أبغض رجلاً لله لأثابه الله على بغضه إيّاه وإن كان المبغوض [المبغض] في علم الله من أهل الجنّة (١)

وعلى ماذكر : فليس حبّ أولياء الله وبغض أعدائه مثل أئمّة الصنفين من الامور الواقعيّة ، كسائر اصول الاسلام ،وأمّا الأئمّة من الطائفتين : فحبّهم وبغضهم من الامور الواقعيّة ، فمن أبغض النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يعرفه أو الأئمّة فهو في النار ، وكذا من أحبّ الجبت والطاغوت .

الثاني : قد تقدم أنّ حبّ الأئمّة ينفع مع الكفر وإن لم يعرف المحبّ إمامتهم . فاعلم أنّ حبّ شيعتهم و مواليهم كذلك ، فينفع لمن لم يعتقد ولم يعرف ماهم عليه .

روى في الكافي مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الرجل ليحبّكم وما يعرف ما أنتم عليه فيدخله الله الجنّة بحبّكم، وإنّ الرجل ليبغضكم ومايعرف ما أنتم عليه فيدخله الله ببغضكم النار (٢) .

و الغرض من الأول أنّه لو أحبّ رجل من الموالين رجلاً بزعم أنّه من الشيعة أو الأخيار يثاب على ذلك وإن أخطأ ، ولو أبغض رجل رجلاً بزعم أنّه من الكفّار أو الفسّاق لاثيب على ذلك و إن أخطأ ، و من ذلك ما لو أبغض بعض الصلحاء أهل الأبرار بزعم الكفر أو الغلوّ .

والغرض من الثاني أنّه لو أحبّ رجل رجلاً من الشيعة والمحبّ ليس بشيعة ينفعه حبّه،ولو أبغضه كذلك ليضره ذلك . ودخول الجنّة حينئذ مشكل ـ والله العالم ـ إلّا أن يراد رفع العذاب ، فافهم .

---

(١) الكافي : ج٢ ص١٠٣ ح١٢ .
(٢) الكافي : ج١ ص١٠٣ ح١٠ .

الثالث : أفضل علائم الخير في الرجل حبّ أهل الخير وطاعة الله وبغض أهل معصية الله ، ومن ليس كذلك فليس فيه خير وإيمان كامل ، فبالحريّ للمؤمن تحصيل مرتبتي الحبّ والبغض في الله وترك الأنساب والحمى وامور الدنيا .

روى في الكافي مسنداً عن جابر الجعفي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا أردت أن تعلم أنّ فيك خيراً فانظر إلى قلبك ، فإن كان يحبّ أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير والله يحبّك ، وإذا كان يبغض أهل طاعة الله ويحبّ أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك ، والمرء مع من أحبّ [(١)].

فلا بدّ من محبّة المعروف وأهل المعروف وإنكار المنكر وبغضه وبغض أهله.

الرابع : التحبّب لأعداء الله وأعداء الرسول صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام قولاً وفعلاً بعيادة مرضاهم والدخول في جماعاتهم وزيارتهم ومعاشرتهم والصبر والتحمّل لذلك للتقيّة مع إنكارهم في القلب فيه فضل كثير ، وربما يجب للتحفّظ والتوقّي من أذيّتهم ، وفيه أخبار كثيرة .

الخامس : التحبّب إلى الناس من أفضل الفضائل . روى في الكافي مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام قال : أنّ أعرابيّاً من تميم أتى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له : أوصني، فكان ممّا أوصاه «تحبّب إلى الناس يحبّوك» [(٢)] . وفي خبر آخر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «مجاملة الناس ثلث العقل» [(٣)]. وفي آخر عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «ثلاث يصفين ودّ المرء لأخيه المسلم: يلقاه بالبشر إذا لقيه، ويوسّع له في المجلس إذا جلس إليه ، ويدعوه بأحبّ الأسماء إليه» [(٤)]. وفي آخر عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «التودد إلى الناس نصف العقل» [(٥)] . وفي آخر عنه مثله . [(٦)] وفي آخر

---

(١) الكافي : ج٢ ص١٠٣ ح١١ .
(٢) الكافي : ج٢ ص٤٦٩ ح١ .
(٣) الكافي: ج٢ ص٤٦٩ ح٢.
(٤) الكافي : ج٢ ص٤٧٠ ح٣.
(٥) الكافي: ج٢ ص٤٧٠ ح٣.
(٦) الكافي: ج٢ ص٤٧٠ ح٥.

عنه يقول : «من كفّ يده عن الناس فإنّما يكفّ عنهم يداً واحدة و يكفّون عنه أيدياً كثيرة» (۱) . وفي آخر عنه ، قال: قال الحسن بن علي عليهما السلام :«القريب من قربته المودة وإن بُعد نسبه ، والبعيد من بعّدته المودة وإن قرب نسبه» الحديث (۲) .

السادس : في الاخبار بالحبّ فضل كثير . روى في الكافي مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام «إذا أحببت أحداً من إخوانك فأعلمه ذلك، فإنّ إبراهيم قال: ربّ أرني كيف تحيي الموتى ؟ قال : أولم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئنّ قلبي» (۳) . وفي خبر آخر عنه عليه السلام قال: «إذا أحببت رجلاً فأخبره بذلك، فإنّه أثبت للمودة بينكما»(۴) .

وفي التعليل إرشاد إلى فضل المحبّة ، و أنّ الاخبار لتثبيتها . و تعليل الخبر الأول يجتمع مع الاطمئنان بالخلّة الموعودة لنبيّ يسأل إحياء الموتى و يجيبه في ذلك ، كما في الأخبار . والاطمئنان بالاحياء للمشاهدة عياناً بعد الاعتقاد به برهاناً .

فصل

في اشتراط صحة جميع العبادات بولايتهم عليهم السلام

بل الظاهر عدم اختصاص هذه الشرطيّة بهذه الامّة، بل كلّ الامم لايقبل منهم إلّا بولاية نبيّهم ووصيّهم والأخذ بدلالته وإرشاده. بل يستفاد من النصوص اشتراط صحّة أعمال الامم بمعرفة نبيّنا وأئمّتنا .

وقد ادعى صاحب « بحار الأنوار » إجماع علماء الشيعة وتواتر الأخبار على

(۱) الكافي: ج۲ص۴۷۰ ح۶.
(۲) الكافي: ج۲ ص۴۷۰ ح۷.
(۳) الكافي: ج۲ ص۴۷۰ ح۱.
(۴) الكافي: ج۲ ص۴۷۰ ح۲.

اشتراط صحّة العبادات بالاعتقاد بامامة الأئمّة الاثني عشر صلوات الله عليهم وعلى أنّها بدونه لايثمر أثراً ، بل توجب العقاب [١] .

وكيف كان : يدلّ عليه جميع ما دلّ على اشتراطها بالايمان من الآيات والأخبار ، مضافاً إلى نصوص خاصّة :

منها : ما رواه في الكافي عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه وعليّ بن محمّد القاساني جميعاً ، عن القاسم بن محمّد ، عن سليمان المنقري ، عن حفص بن غياث ، قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إن قدرت لا تعرف فافعل، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت محموداً [عند الله] ثمّ قال : قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام : لا خير في العيش إلّا لرجلين : رجل يزداد كلّ يوم خيراً ورجل يتدارك منيّته بالتوبة ، وأنّى له بالتوبة ؟ والله لو سجد حتّى ينقطع عنقه ما قبل الله تبارك وتعالى منه إلّا بولايتنا أهل البيت ، ألا ومن عرف حقّنا ورجا الثواب فينا ورضي بقوته نصف مدّ في كلّ يوم وما ستر عورته وما أكنّ رأسه ، وهم والله في ذلك خائفون وجلون ، ودّوا أنّه حظّهم من الدنيا ، وكذلك وصفهم الله عزّ وجلّ : فقال : « والّذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنّهم إلى ربّهم راجعون » [٢]. ثمّ قال : ما الّذي آتوا ؟ آتوا والله الطاعة مع المحبّة والولاية وهم في ذلك خائفون ، ليس خوفهم خوف شكّ ولكنّهم خافوا أن يكونوا مقصّرين في محبّتنا وطاعتنا [٣] .

ومنها : القدسيّ الموسويّ : فكان فيما ناجاه أن قال له: يا موسى لاأقبل الصلاة إلّا لمن تواضع لعظمتي وألزم قلبه خوفي وقطع نهاره بذكري ، ولم يبت مصرّاً على الخطيئة ، وعرف حقّ أوليائي وأحبّائي ، فقال موسى : يارب تعني بأوليائك وأحبّائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب ؟ فقال الله عزّ وجلّ : هم كذلك يا موسى إلّا

(١) بحار الانوار: ج ٢٧ ص ١٦٦.

(٢) المؤمنون : ٦٠ .

(٣) الكافي: ج٢ ص ٣٣٠ح١٥ .

أنّي أردت من من أجله خلقت آدم وحواء والجنّة والنار، فقال موسى: يارب ومن هو؟ قال: محمّد أحمد، شققت اسمه من اسمي لأنّي أنا المحمود، فقال موسى: يارب اجعلني من امّته، فقال: ياموسى أنت من امّته إذا عرفت منزلته ومنزلة أهل بيته، إنّ مثله ومثل أهل بيته فيمن خلقت كمثل الفردوس في الجنان لا ييبس ورقها ولا يتغيّر طعمها، فمن عرفهم و عرف حقّهم جعلت له عند الجهل علماً و عند الظلمة نوراً، أجبته قبل أن يدعوني و اعطيه قبل أن يسألني [1] الحديث.

و يستفاد منها اشتراط قبول أعمال كلّ الامم بمعرفتهم و معرفة حقّهم، و ما تقدم: من كون الكلّ و أنبيائهم من امّته وممّن أخذ عليه الميثاق بالاقرار بأفضليّته وأفضليّة أهل بيته وولايتهم. وظاهرها اختصاص اشتراط الصحّة بمعرفتهم وولايتهم، بل ونفي الاشتراط بمعرفة سائر الأنبياء، إلّا أنّه يظهر بالتدبّر عدم إرادة ذلك، إذغايتها عدم إرادة المذكورين من الأولياء فيها وإرادتهم عليهم السلام فلا ينافي ثبوت الاشتراط بمعرفة أنبياء كلّ عصر بالنسبة إلى امّتهم لو ثبت بدليل، وسيجيء الدليل عليه، فافهم.

و منها: القدسيّ الموسويّ أيضاً، وهو أنّ موسى مرّ برجل وهو رافع يده يدعو، فغاب في حاجته سبعة أيّام، ثمّ يرجع إليه وهو رافع يده إلى السماء يدعو، فقال: يارب هذا عبدك رافع يده إليك يسألك حاجة ويسألك المغفرة منذ سبعة أيّام لا تستجيب له؟ فأوحى الله عزّ وجلّ [جلّ جلاله] إليه: ياموسى لو دعاني حتّى تسقط يداه أو تنقطع يداه أو ينقطع لسانه لم أستجب له حتّى يأتي من الباب الّذي أمرته [1].

وفي القدسيّ العيسوي، أنّ رجلاً من بني إسرائيل اجتهد أربعين ليلة ثمّ دعا الله فلم يستجب له، فأتى عيسى يشكو إليه ويسأله الدعاء له، فتطهّر عيسى ودعا الله عزّ وجلّ، فأوحى الله تبارك و تعالى إليه: يا عيسى إنّه أتاني من غير الباب

(١) الجواهر السنية: ص ٦٠.   (١) الجواهر السنية ص: ٧٠.

الّذي اوتي منه . إنّه دعاني و في قلبه شكّ منك ، فلو دعاني حتّى ينقطع عنقه وتنشر أنامله ما استجبت له [١]

و منها :أخبار كثيرة دالّة على أنّه «بني الاسلام على خمس: على الصلاة، و الزكاة ، و الصوم ، و الحجّ ، والولاية » وعلى أنّه « لم يناد بشيء مثل مانودي بالولاية »[٢].

وقد ذكر الشيخ الأجلّ محمّدبن يعقوب الكلينيّ - رحمهالله - في كتاب الكافي أوائل كتاب الايمان في باب دعائم الاسلام أربعة عشر أحاديث تدلّ على بناء الاسلام على الولاية . و في كثير منها ذكر معها الأربعة الاخرى . و في بعضها الصلاة والزكاة . وفي بعضها أنّ الّذي افترض الله على العباد الّذي لايقبل منهم غيره الشهادة بالوحدانيّة وبالرسالة والاقرار بما جاء به الرسول والولاية لأهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم ، وأنّه دينهم عليهم السلام الّذي يدينون به في السرّ والعلانية. وفي بعضها التصريح بأنّ غير الموالي لهم عليهم السلام ليس له على الله حقّ في ثوابه ولا كان من أهل الايمان ، وأنّ الولاية لهم مأمور بها ، و« من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة »[٣] كما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله ، بل ورد به أخبار كثيرة متواترة بطريق الفريقين ـ على ما ادّعي ـ وهو كذلك . وأنّ المراد بها محبّتهم و الاقرار بولايتهم و إطاعتهم وأخذ الطاعات منهم ، كما قال الله عزّوجلّ : « يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمرمنكم» [٤] فهم المراد من « اولي الأمر » . وفي بعضها « ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير » . ولنذكر منها واحداً .

---

(١) الجواهر السنية: ص١١١.

(٢) الكافي: ج٢ ص١٥ــ٢٠.

(٣) بحار الانوار : ج ٢٧ ص ٢٠١ ب ٧ ح٦٨.

(٤) النساء: ٥٩.

فروى في الصحيح ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بني الاسلام على خمسة أشياء : على الصلاة، والزكاة ، والحجّ ، والصوم ، والولاية، قال زرارة: فقلت: وأيّ شيء من ذلك أفضل ؟ قال : الولاية أفضل لأنّها مفتاحهنّ ، والوالي هو الدليل عليهنّ - إلى أن قال -: ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للامام بعد معرفته، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: «من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظاً»[1] أما لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره و تصدّق بجميع ماله وحجّ جميع دهره ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ، ما كان له على الله حقّ في ثوابه و لا كان من أهل الايمان [2] الحديث .

وهو نصّ في اشتراط الاسلام و الايمان و جميع الطاعات بولايتهم وبالأخذ منهم .

ولا يخفى أنّ المراد من توقّف جميع الأعمال وصحّتها على دلالة وليّ الله توقّف مايحتاج منها إلى البيان، فلايندرج فيها المستقلّات العقليّة، فيخرج منها على وجه التقييد أو التخصيص ، أو أنّها لا ينصرف إليها. ومع ذلك فالثواب في الكلّ في الآخرة مشروط بولاية وليّ الله والايمان به على حدّ سواء .

وقد عقد الكليني - رحمه الله- بعد ذلك باباً في أنّ الاسلام يحقن به الدم ويستحلّ به الفروج وتؤدى به الأمانة ، وأنّ الثواب على الايمان و معرفة هذا الأمر مع الاسلام ، وأنّ من أسلم ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً وكان ضالّاً و لا ثواب له على إسلامه وأعماله . وذكر فيها أحاديث متعددة تدلّ على ذلك [3] .

و بذلك كلّه يصحّ ما تقدم من صاحب البحار -رحمه الله- من ادعاء تواتر الأخبار على اشتراط صحّة العبادات بالولاية [4] .

---

(١) النساء: ٨٠.

(٢) الكافي : ج٢ ص١٦ ح٥ .

(٣) الكافي ج٢ ص٢٠ .

(٤) بحار الانوار : ج٢٧ ص١٦٦ .

ثمّ إنّ المتتبّع للأخبار في الأبواب المختلفة تجد الدلالة فيها على ذلك أكثر كثير، على حدّ لا يحصى. وبه يتّضح صحّة الدعوى المزبورة وزيادة.

وفي بعض الأخبار: أنّ أفضل الأمكنة مابين الركن ومقام إبراهيم، وأنّه لو عمّر أحد عمر نوح بين قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً وعبدالله تعالى هناك صائماً نهاره قائماً ليله ولم يوال أهل البيت لا تنفعه تلك الأعمال أصلاً [١].

وفي بعضها: لو أنّ عبداً عبدالله سبحانه هناك من أول خلق السماوات والأرضين إلى انقضاء الدنيا ولم يقرّ بولاية عليّ أكبّه الله في النار [٢].

وفي بعضها: لو أنّ عبداً عبدالله حتّى ينقطع وصار كالشنّ البالي وكان منكراً لولاية أهل البيت لا يدخله الله الجنّة ولا يظلّه بظلّ عرشه [٣].

وفي بعضها: أنّ النبيّ ﷺ قال: لو أنّ عبداً أتى بعمل سبعين نبيّاً لم يقبل الله منه إلّا بولايته وولاية أهل بيته عليهم السلام [٤].

وفي بعضها أنّ العبد يقام في مقام الحساب عند الله تعالى، فأول ما يسأل عنه عن الصلاة والزكاة والحجّ وولاية أهل البيت، فإن أقرّ بالولاية ومات عليها يقبلون منه صلاته وصومه وزكاته وحجّه، وإن لم يقرّ بولايتهم لا يقبلون عملاً من أعماله [٥].

إلى غير ذلك.

فتحصّل وصحّ اشتراط العقائد وصحّة الطاعات بأسرها بالولاية، وعدم نفع لها وإن كثرت بدونها، نعم: يعطاها الموالون لهم للنكتة المتقدمة.

والله المشكور، وله الحمد.

---

(١) بحار الانوار: ج٢٧ ص١٧٣ ح١٦.

(٢) بحار الانوار: ج٢٧ ص١٦٧ ح٣.

(٣) بحار الانوار: ج٢٧ ص١٦٩ ذيل ح٨.

(٤) بحار الانوار: ج٢٧ ص١٩٢ ح٤٩.

(٥) بحار الانوار: ج٢٧ ص١٦٧ ح٢ وهذه الاحاديث كلها منقولة بالمعنى.

فصل

في أخذ الميثاق على الناس بالولاية في عالم الذر وتكليفهم جميعاً حتى الامم السابقة في هذه النشأة بالاقرار بولايتهم وأفضليتهم

ففيه مقامان:

الاول : في أخذ الميثاق في عالم الذرّ ، وهو مدلول أخبار كثيرة .

منها: ماروا ه في الكافي مسنداً، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق خلق ماءً عذباً وماءً مالحاً اجاجاً فامتزج الماءان، فأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً ، فقال لأصحاب اليمين وهم كالذرّ يدبّون: إلى الجنّة بسلام ، و قال لأصحاب الشمال : إلى النار و لا ابالي ، ثمّ قال : ألست بربّكم ؟ قالوا : بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة : إنّا كنّا عن هذا غافلين، ثمّ أخذ الميثاق على النبيّين، فقال : ألست بربّكم؟ وأنّ هذا محمّداً رسولي ؟ وأنّ هذا أمير المؤمنين ؟ قالوا : بلى ، فثبت لهم النبوة، و أخذ الميثاق على اولي العزم أنّني ربّكم ومحمّداً رسولي وعليّاً أمير المؤمنين وأوصياءه من بعده ولاة امري وخزان علمي، و أنّ المهدي عليه السلام أنتصر به لديني واظهر به دولتي وأنتقم به من أعدائي واعبد به طوعاً و كرهاً، قالوا : أقررنا يارب وشهدنا، ولم يجحد آدم ولم يقرّ، فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي، ولم يكن لآدم عزم على الاقرار به ، وهو قوله عزّوجلّ : « ولقدعهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً»[1] قال: إنّما هو فترك، ثمّ أمر ناراً فاجّجت، فقال لأصحاب الشمال: ادخلوها فهابوها، وقال لأصحاب اليمين: ادخلوها فدخلوها، فكانت عليهم برداً وسلاماً، فقال أصحاب الشمال: يارب أقلنا، فقال: قد أقلتكم اذهبوا فادخلوها، فهابوها، فثمّ ثبتت الطاعة والولاية والمعصية[2].

(١) طه : ١١٥ .   (٢) الكافي : ج٢ ص٦ ح١ .

ولا يخفى أنّ ظاهرها اختصاص النبيّين بأخذ الميثاق برسالة رسول الله صلى الله عليه وآله و ولاية الأئمّة دون سائر الخلق ، و مقتضى الأخبار الاخر العموم . و لعلّ الاختصاص باعتبار التفصيل المزبور ، فيختصّ بالنبيّين، وسائر الخلق اخذ الميثاق منهم على الاجمال بولاية العترة الطاهرة .

و كذا الحال في التكليف بالولاية في الدنيا ، فالأنبياء مخصوصون بمعرفتهم تفصيلاً من أولهم إلى خاتمهم . ويدلّ على أنّ معنى كونهم أولياء الله أنّهم ولاة أمره تعالى وخزان علمه ، وأنّهم الأئمّة المتقدمة في الامور كلّها، ووسائط جميع الفيوض وإنزالها من الله تعالى إلى المخلوقات، لامجرد كونهم أحبّاء الله، وإن رجعا إلى واحد عند المهتدي .

وقال القاضي سعيد القمّي ـ رحمه الله ـ (في الأربعين) في معنى أمير المؤمنين : إنّه كان مولانا عليّ عليه السلام يمير أهل الايمان بالعلم و العرفان ، و لذلك سمّي بأمير المؤمنين، كما في أخبار الأئمّة الطاهرين عليهم السلام ويمير سائر الخلايق بأنواع الأرزاق بإذن الله الخلّاق ، روى السيّد المرتضى علم الهدى : أنّ قنبراً جاء إلى دار أمير المؤمنين عليه السلام طالباً له ، فقالت له فضّة: إنّ المولى عرج إلى السماء ذات البروج ليقسّم أرزاق العباد ! فأنكر عليها قنبر و خرج إلى ظاهر المدينة فوجد عليّاً يعمل بالمسحاة ، فشكى إليه ما قالت فضّة ، فقال عليه السلام : يا قنبر و لعلّك لم تؤمن بولايتنا حقّ الايمان ، ثمّ مسح بيده المباركة على عينيه فسأله: أيّ شيء ترى يا قنبر؟ فقال: رأيت السماء والأرض كجوزة في يد المولى انتهى .

وفي « عين الحياة» ماترجمته: نقل بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام أنّ تمام الدنيا في يد الامام مثل كسر رغيف ، فلا يخفى عليه شيء من امور الدنيا ويفعل ما يشاء ويقدر على كلّ ما يشاء [١] انتهى .

---

(١) عين الحياة : ١٣١ وفيه : مثل كسر جوزة .

ثمّ إنّ فعل الامام عليه السلام وإفاضته قد يكون بالتكليف والارشاد، وقد يكون بالتأثير والقهر والغلبة، إمّا على سبيل العادة، أو بنحو خارق لها، كما مرّ في أمر قنبر، وكختم عليّ عليه السلام القرآن عند ركوبه [1]. وكجعله رجلاً أنصاريّاً كان منافقاً من أحبّائه، فارتعدت فرائصه و سقط لوجهه، فأقامه، فقد شاهد الجنّة والنار والحجب، وقد وقّر الاخلاص والايمان في قلبه [2]. وكتعليمه القرآن رجلاً كان يخبط هو هو، فقال: ياشابّ لو قرأت القرآن لكان خيراً لك، فقال: إنّي لا احسنه، ولوددت أن أحسن منه شيئاً، فقال: ادن منّي، فدنا منه، فتكلّم في اذنه بشيء خفيّ فصوّر الله القرآن كلّه في قلبه، فحفظ كلّه. رواه في البحار [3] إلى غير ذلك.

ومعنى عدم عزم «آدم» يحتاج إلى بيان لعلّه يأتي إن شاء الله تعالى.

و منها: مارواه في البحار عن الأصبغ بن نباتة، قال: أتى ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: خبّرني عن الله عزّ وجل كلّم أحداً من ولد آدم قبل موسى؟ فقال عليه السلام: قد كلّم الله جميع خلقه برّهم وفاجرهم وردّوا عليه الجواب، فثقل ذلك على ابن الكواء ولم يعرفه، فقال: كيف ذلك ياأمير المؤمنين؟ قال: أو ما تقرأ كتاب الله إذ يقول لنبيّه فيكم: «و إذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا» [4] فقد أسمعهم كلامه وردّوا الجواب عليه، كما يسمع في قوله تعالى: «قالوا بلى» وقال: «إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا الرحمن» فأقروا له بالطاعة و الربوبيّة، و بيّن [ميّز] الأنبياء و الرسل والأوصياء و أمر الخلق بطاعتهم، فأقروا بذلك في الميثاق، فقال الملائكة عند إقرارهم بذلك: شهدنا عليكم يا بني آدم أن تقولوا يوم القيامة: إنّا كنّا عن

---

(١) لم نجده.

(٢) لم نعثر عليه.

هذا الدين و هذا الأمر و النهي غافلين [1] .

ومنها : مارواه في الكافي، مسنداً، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق الخلق، فخلق من أحبّ ممّا أحبّ، وكان ماأحبّ أن خلقه من طينة الجنّة وخلق من أبغض ممّا أبغض، وكان ما أبغض أن خلقه من طينة من النار، ثمّ بعثهم في الظلال ، فقلت : و أيّ شيء الظلال ؟ فقال : ألم تر إلى ظلّك في الشمس شيئاً وليس بشيء؟ ثمّ بعث منهم النبيّين فدعوهم إلى الاقرار بالله عزّ وجلّ، وهو قوله عزّ وجلّ : « و لئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله [2] » ثمّ دعوهم إلى الاقرار بالنبيّين فأقرّ بعضهم وأنكر بعضهم، ثمّ دعوهم إلى ولايتنا فأقرّ بهاوالله من أحبّ وأنكرها من أبغض ، و هو قوله : « ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل » [3] ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام : كان التكذيب ثمّ [4] .

و هي صريحة في عموم أخذ الميثاق للجميع بالنبوة والولاية ، و تدلّ على إقرار الكلّ بالله عزّ وجلّ واختلافهم في الاخريين. ومن هنا أنّ معرفة الله تعالى والاقرار بوجود الصانع تعالى صارت فطريّة للناس لم ينكرها أحد حتّى الدهريّين، فإنّ الدهر هو الله ، فهم أيضاً مقرون بوجود الصانع و إن أ طأوا في جعله هو الدهر، ولذا كلّف الناس بالتوحيد أولاً، لا بوجود الصانع، إذ هو من الواضحات ومتّفق عليه . وتدلّ أيضاً على أنّ كلّ أحد ميسّر في هذه النشأة لما قبله هناك من السعادة والشقاوة والطاعة والمعصية بمقدار ما قبله ثمّة .

و اعلم أنّ أخبار ثبوت عالم الذرّ وأخذ الميثاق فيه على العباد و الأنبياء و غيرهم في غاية الكثرة ، وربّما جاوزت حدّ التواتر ، لكن كثير منها يختصّ

---

(١) بحار الانوار : ج٥ ص٢٥٨ ح٦٢ مع اختلاف .

(٢) الزخرف : ٨٧ .

(٣) الاعراف : ١٠١ .

(٤) الكافي : ج٢ ص٨ ح٣ .

بأخذ الميثاق بالربوبيّة ، و بعضها بالربوبيّة وبالنبوة للأنبياء ، وبعضها يعمّهما و الولاية . و في كثير منها وقوع التكاليف فيه بدخول النار التي اسعرت ودخول المؤمنين وأصحاب اليمين وخوف أصحاب الشمال والكفّار وعصيانهم ثم استقالتهم وإقالته تعالى وعصيانهم مرة ثانية، وفي بعضها أنّ أول من آمن وأجاب وأقرّ لله عزّوجلّ بالربوبيّة نبيّنا ، ولذا صار أفضل الأنبياء وأسبقهم مع كونه آخرهم وخاتمهم. و قد عقد الشيخ الجليل محمّد بن يعقوب الكليني ـ رحمه الله ـ له أبواباً في أوائل كتاب الكفر والايمان من الكافي .

وبالجملة : فهي متواترة معنىً وزيادة. لكنّ السيّد الأجلّ المرتضى علم الهدى ـ رحمه الله ـ أنكر ذلك في جواب المسائل الرازيّة، و رمى الأخبار المزبورة بكونها أخبار آحاد وبكونها خلاف مقتضى العقول، فلابدّ من طرحها ومن تأويل الآية الشريفة [1] .

أقول : أمّا الأول : فقد عرفت فساده و تواترها معنىً . و أمّا الثاني : فهو ممنوع أيضاً ، فلا داعي إلى صرفها عن ظاهرها وتأويلها . ولنذكر بعض كلامه ـ رحمه الله ـ في ذلك ، ثمّ نشفعه بجوابه .

قال ـ رحمه الله ـ : المسألة الثامنة في الذرّ [2] ما القول فيما اشتمل عليه كثير من الاصول و الفروع من الأخبار المنسوبة إلى الصادقين عليهم السلام في أنّ الله تعالى ذرّ الخلق وكانوا كالذرّ يدبّون وأنّه خاطبهم، فقال : ألست بربّكم ؟ فإنّ فيهم من أنكر هناك وفيهم من أقرّ، وأنّه من أقرّ ثمّ أقرّ هاهنا ومن أنكر ثمّ أنكر هاهنا. وما انطوت عليه هذه الأخبار من الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى « وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى » إلى آخر الآية . مع ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله و قد قيل له : بما سبقت الأنبياء

(١) رسائل السيد المرتضى : المجموعة الاولى ص١١٣ .

(٢) فى المصدر : المسألة الرابعة . ولايطابق ما نقله المؤلف ـ ره ـ مع ماأفاده السيد (ره) الا في ما شذ .

وأنت آخرهم؟ فقال عليه السلام : كنت أول من أقرّ بالله عزّ وجلّ وقال لي حيث قال: قال: ألست بربّكم ؟ [(١)] و الأخبار في هذا المعنى كثيرة جداً . فكيف كان هذا الخطاب والجواب لهم ومنهم ؟ أكان وهم أرواح بلا أجسام ؟ أم بأرواح وأجسام ؟ فإن كان وهم أرواح بلاأجسام، فكيف تقوم الأرواح بأنفسها وهي أعراض تحتاج إلى المحلّ والآلات ؟ وإن كان وهم أرواح وأجسام ، فهذا هو القول بالتناسخ . و ما القول أيضاً فيما ورد مناسباً لهذا من الأخبار في تلاق المؤمنين بعد الممات ومسألة بعضهم لبعض؟ وأنّهم إذا سألوا وارداً عليهم عن آخر من إخوانهم فأخبرهم القادم عليهم أنّه باقٍ رجوه وانتظروه ، وإن أخبرهم أنّه قد تقدم قالوا : هوى هوى. والأخبار في هذا المعنى وما قبله كثيرة لو قصدت إلى إيرادها لطال الكتاب والسؤال و كنت جديباً بالاضجار والاملال .

الجواب ـ وبالله التوفيق ـ :قد بيّنّا أنّ أخبار الآحاد و كلّ خبر لايوجب العلم اليقيني غير محتجّ به و لا معتمد عليه ، فكيف إذا وردت هذه الأخبار بما ينافي ظاهره أدلّة العقول وما استقرّ بالحجج الثابتة و البيّنات الواضحة؟ فحينئذٍ متى وردت ذلك وجب إطراقها و القطع على كذب رواتها، اللّهمّ إلّا أن يكون لظواهرها تأويل ومخرج سهل في اللغة والشرع يطابق مقتضى العقول، فلا يجب القطع على كذب رواتها وجاز كونه صادقاً وأنّ التأويل غير ما اقتضاه الظاهر . فأمّا إخبار القرآن: فلابدّ مع القطع على صحّة نقلها من بيان تأويلها وتخريجه على ما يوافق الأدلّة الصحيحة ، والواجب بيان الكلام في قوله تعالى: « وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم » . فالكلام في هذه الآية هو الأصل في بيان فساد مااشتبه على أصحاب التناسخ، ثمّ نثنّي الكلام في الأخبار الواردة على ذلك. اعلم أنّ علماء أهل الكتاب والتأويل قدتكلّموا في تأويل هذه الآيات بما يدفع الشبهة ويحسمها ، وقالوا: ظاهرها ينافي قول أصحاب التناسخ، لأنّه تعالى

(١) الكافي : ج٢ ص٨ ح١ .

قال : « وإذ أخذ ربّك من بني آدم » و لم يقل : « من آدم » وقال تعالى : « من ظهورهم » ولم يقل : « من ظهره » وقال : « ذريّتهم » ولم يقل: « ذريّته » وهذا كلّه بخلاف ماذهبوا إليه . وقالوا: غير ممتنع أن يكون الله عزّوجلّ قرر جماعة من بني آدم على ما يجب عليهم من المعارف به تعالى والعبادة له وأشهدهم على أنفسهم بذلك ، فأذعنوا به واستجابوا إليه، وكان ذلك منه تعالى زيادة في إيجاب الحجّة عليهم ولطفاً لمن سواهم، وإنّما اشتبه على قوم، فظنّوا أنّ اسم «الذريّة» لايقع على العقلاء البالغين ، و هذا غلط، لأنّ هذا الاسم يقع على العاقل وغيره ، ونحن نسمّي كلّ بالغ عاقل منّا بأنّه من ذريّة آدم ، وقد سمّى الله تعالى في القرآن العقلاء بالذرّ ، ومثل هذا لا يشتبه على محصّل. وأجود من هذا التأويل وأشبه بفصاحة القرآن وبلاغته أن يكون معنى هذه الآية أنّه تعالى لّما خلق هذه الذريّة خلقاً يدلّ الناظر المتأمّل المتفكّر على معرفة الله تعالى و ربوبيّته ووحدانيّته وسائر صفاته ووجوب عبادته، جاز أن يجعل ذلك استشهاداً لها على هذه الامور الّتي تدلّ عليها و تفضي إلى العلم بها ، و يجعل تسخيرها لما جعلت دلالة عليه ، و انقيادها لما تكون حجّة فيه و مفضية إلى العلم به ، كأنّه شهادة منها وإجابة وإقرار، وهذه طريقة غريبة موجودة في أشعار العرب و كلامها وملاحظ خطابها إذا فتّشت عنها وجدت منها الكثير الغزير ، قال المعزي :

امتلأ الحوض و قال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني

وقال أهل المعرفة بمعاني كلام العرب: إنّ ذلك أنّه اكتفى وامتلأ حتّى لو أنّه ممّن يقول لقال : حسبي فإنّك قد ملأت بطني، فجعل ما يجب أن يقوله لو كان قائلاً ناطقاً قوله الآن له و مضافاً إليه. و هكذا لّما كان الله تعالى قد فطر الخلق وبناها وأنشأها على أحوال تدلّ على معرفته وربوبيّته لو كانت ناطقة قائلة واستشهدت على ذلك لشهدت به وأجابت إليه، جاز أن يضاف الآن إليها الشهادة

والاقرار والاعتراف ، تسمّحاً في البلاغة وتوسّعاً في الفصاحة ، و تعويلاً على أنّ المعاني ملحوظة وفوائد الكلام معروفة . وممّا قبل لمن ضلّ عن الصواب [1] في تأويل هذه الذريّة وأنّه خاطبها واستشهدها لايخلو من: أن يكون وقدفعل ذلك وهي بالغة عاقلة كاملة مكلّفة ، أو على ما ادعوا من صفة الذرّ غير أحياء و لا عارفين . فإن كان الأول فقد كان يجب أن يذكروا الآن و في هذه الأحوال ذلك الخطاب وتلك الشهادة وذلك الاستشهاد أو يذكر أكثرهم ذلك ، لأنّه محال أن ينسى العقلاء مثل هذا حتّى لا تذكره منهم، وإنّما لايذكر ماكان منّا في أحوال الطفوليّة لفقد كمال العقل في تلك الأحوال ، وليس ينجي من ذلك أن يقول : إنّه تخلّل بينها و بين الحالتين للعقلاء أحوال عدم و مضت أزمان متطاولة ، لأنّ تخلّل أحوال العدم لايزيد على تخلّل أحوال النوم و السكر و الجنون و الاغماء والامور المزيلة للعلوم، و قدعلمنا أنّ اعتراض ذلك كلّه و تطاول الأزمان بين الأحوال الّتي للعقلاء وتحقّقها وطروّها لايمنع من ذكرهم لذلك وعلمهم به ، وأنّ نسيانهم كلّهم لهم لا يجوز ولم يجر بمثله عادة. وإن كان الأمر على الوجه الثاني وهو أنّه تعالى خاطبهم واستشهدهم وهم غير عقلاء و لا أحياء فذلك سفه وقبيح لا يجوز إضافته إليه جلّت عظمته لأنّ خطاب من لا يفهم معاني الخطاب قبيح . فأمّا الأخبار المرويّة من طرق أصحابنا في ظاهر معنى هذه الآية فتحمل إذا صحّحت على ماذكرناه من التأويل، ويعدل عن ظاهر ما له ظاهر منها ما يخالف الصواب، للأدلّة الموجبة لذلك. فإن قيل: أليس في الأخبار المرويّة في هذا الباب ما يتضمّن أنّ بعض هؤلاء المأخوذ عليهم العهد أقرّ و بعضاً أنكر، وأنّ من أقرّ هناك أنكر هاهنا ، وهذا لا يطابق تأويلكم الّذي اعجبتم به ؟ قلنا: إنّ أول ما في هذا أنّ الآية المقطوع عليها الّتي يجوز أن يحتجّ بمثلها في هذا الباب لا تتضمّن إنكاراً ممّن استشهد وقرر و لا من أحد منهم ، بل الاعتراف والشهادة . و ما عدا الآية

---

(١) كذا في النسخة ، ولا يخفى ما فيه من الخلط أو التصحيف.

من الأخبار قد بيّنا أنّه غير ملتفت إليه و لا معوّل به . على أنّه يمكن أن تحمل الأخبار التي تتضمّن إقراراً وإنكاراً على العلم وأنّ الله تعالى لمّا فطر الخلق علم ما يكون من كلّ واحد منهم: من إيمان و كفر وإقرار وإنكار وخير وشرّ، وكان ذلك العلم الّذي لابدّ من كون معلومه كأنّه فعل واقع وأمر هناك حادث، وهذا أيضاً وجه في الفصاحة قويّ وطريق مسلوك معروف . فإن قيل : فما معنى قوله عليه السلام : « إنّما سبقت جميع الأنبياء إلى الايمان والاقرار و كنت أولهم »[1] واستشهاده بالآية؟ قلنا: معنى السبق هاهنا والأوليّة الفضل والتبذير وزيادة الثواب، لا السبق في الزمان وتقدمه ، و قد يكون متأخّراً في الزمان من هو متقدم فضلاً وثواباً . و يجوز أنّ معنى استشهاده بالآية : أنّ الله تعالى علم منه ذلك فيما لم يزل ومنهم وعلم أنّه أسبقهم وأفضلهم و أوفرهم ثواباً. فأمّا تلاقي أرواح المؤمنين بعد الموت على ما وردت به بعض الأخبار فقد قلنا في أخبار الآحاد وأنّه غير حجّة في شيء و لا معتمد فيه ما كفى . هذا إذا كانت سليمة الظواهر من منافاة أدلّة العقول ، فكيف إذا كانت بخلاف ذلك ؟ فأمّا الروح فهي الهواء المتردد في مخارق الحيّ منّا ومنافذه على وجه لا يتمّ كونه حيّاً إلّا معه، حتّى أنّه متى خرج عن نظامه بطلت الحياة، وعلى هذا التحقيق الروح جسم. وقد غلط قوم فجعلوا الروح هي الحياة نفسها ، وإنّما اشتبه ذلك عليهم ، لأنّ الروح على ما فسّرناه يتحفّظ الحياة ويستمرّ وجودها . فجعلوا ما لا يتمّ كون الحياة إلّا به حياةً . والروح على الحقيقة لا يصحّ فيها التلاقي الّذي عنوه والتخاطب والتزاور، ولا الحياة الّتي هي عرض أيضاً. فأولى ما حمل عليه لفظ الخبر الوارد بتلاقي أرواح المومنين أنّ المراد به تلاقي المؤمنين أنفسهم، وعبّر عن ذي الروح بالروح، كما يقول القائل: روحي تتوق إلى كذا و تريد كذا ، و إنّما يريد أنّني في نفسي أتوق واريد . وليس يمتنع أن يحيي الله تعالى قبل المحشر المؤمنين وينعّمهم في جنانه . وفي

(١) تفسير العياشي : ج٢ ص٣٩ ح١٠٧ .

القرآن مايطابق ذلك، وهو قوله : «ولا تحسبنّ الّذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون [(١)]» فيتلاقون ويتزاورون ويتساءلون وينظر بعضهم إلى بعض ، وكلّ هذا جائز و إن كان غير مقطوع عليه [(٢)] . انتهى كلامه أعلى الله مقامه .

أقول: أصحاب التناسخ قوم يجعلون الأرواح قديمة وينكرون الحشر والنشر والآخرة والجنّة والنار ، و يقولون بانتقالها وترددها في الأبدان في هذا العالم ، وأنّه لا نشأة اخرى سواها ، وأنّه ثوابها وعقابها ، وينكرون الأنبياء و يسقطون التكاليف و لا يقولون بالصانع تعالى وإنّما كفروا لهذه العقائد الباطلة لا لمجرد التناسخ ، كذا في « حقّ اليقين » .و أنت خبير بأنّ الجمع بين نفي الصانع و إنكار الأنبياء وسقوط التكاليف وبين كون ما ذكر هو الثواب والعقاب ممّا لا يمكن.

وقال شيخنا البهائي (في الأربعين): إن التناسخ الّذي أطبق المسلمون على بطلانه هو تعلّق الأرواح بعد خراب أجسامها بأجسام اخر في هذا العالم ، إمّا عنصريّة كما يزعمه بعضهم ويقسّمه إلى النسخ و المسخ والفسخ، أو فلكيّة ابتداءً أو بعد ترددها في الأبدان العنصريّة، على اختلاف آرائهم الواهية المفصّلة في محلّها . وأمّا القول بتعلّقها في عالم آخر بأبدان مثاليّة مدة البرزخ إلى أن تقوم قيامتها الكبرى فتعود إلى أبدانها الأوليّة بإذن مبدعها إمّا بجمع أجزائها المتشتّة أو بإيجادها من كتم العدم كما أنشأها أول مرة، فليس من التناسخ في شيء وإن سمّيته تناسخاً فلامشاحة في التسمية إذا اختلف المسمّى. وليس إنكارنا على التناسخيّة وحكمنا بتكفيرهم بمجرد قولهم بانتقال الروح من بدن إلى آخر ، فإنّ المعاد الجسماني كذلك عند كثير من أهل الاسلام، بل لقولهم بقدم النفوس وترددها في أجسام

---

(١) آل عمران : ١٦٩ .

(٢) رسائل السيد المرتضى : المجموعة الاولى ص١١٣ و لايوجد هذا التطويل في الرسالة .

هذا العالم و إنكارهم المعاد الجسماني في النشأة الاخرويّة . قال : قال الفخر الرازي(في نهاية العقول): إنّ المسلمين يقولون بحدوث الأرواح وردها إلى الأبدان لا في هذا العالم ، و التناسخيّة يقولون بقدمها و ردّها إليها في هذا العالم وينكرون الآخرة والجنّة و النار ، وإنّما كفروا من أجل هذا الانكار . انتهى كلامه ملخّصاً . فقد ظهر البون البعيد بين القولين، والله الهادي[1]. انتهى كلامه أعلى الله مقامه .

وفي جنّات الخلود ما ترجمته : إنّ التناسخيّة من أهل النحل يرون المعاد وجزاء العمل في هذه النشأة ، يقولون : كلّ ذي روح يعود بعد الموت إلى الدنيا بصورة أحسن من الاولى لو كان عمله خيراً وأقبح منها لو كان شراً ، ويقولون : كلّ طبيعة من الطبائع الجماديّة والنباتيّة والحيوانيّة والانسانيّة الّتي غلبت عليه يعود بصورة مناسبة لها ، فيجعلون بناء مذهب التناسخ على أربعة :

الأول «الرسخ» وهو الانتقال من الصورة الانسانيّة إلى الصورة الجماديّة .

الثاني «الفسخ» وهو الانتقال من الانسانيّة إلى النباتيّة .

الثالث «المسخ» وهو الانتقال من الصورة الانسانيّة إلى الصورة الحيوانيّة .

الرابع «النسخ» وهو الانتقال من الصورة الانسانيّة إلى الانسانيّة .

ويقولون : في كلّ ثلاثين ألف سنة يعود الشخص إلى الدنيا بهيكله الّذي كان عليه . ومعلّمهم الشاذ كونى المروي انتهى .

فقد علم أنّهم لاينكرون الصانع وينكرون الدار الآخرة ويذعنون بجزاء الأعمال في الدنيا . فقول العلاّمة المجلسي ـ رحمه الله ـ بإنكارهم للصانع تعالى لعلّه أخذه من قولهم بقدم الأرواح، ولاتلازم بينهما، لامكان مصيرهم إلى تعددالقدماء. وأيضاً المجازات يستلزم الاقرار به تعالى إلاّ أن يراد المجازات بحسب الطبيعة

---

(١) الاربعين للشيخ البهائي : ص٢٧٠ .

بالعود إلى ما يناسب الطبيعة الغالبة في المعاد . ونسبته إليهم سقوط التكاليف ، لعلّه لنفيهم دار الآخرة والجزاء ، ولاتلازم أيضاً لمصيرهم إلى المجازات في الدنيا ، وهو فرع التكليف ، وفيه مامرّ . وحينئذٍ هم من الدهريّة .

هذا ، ولكن كلّما حكي متّفق على قولهم بقدم الأرواح ونفي الجزاء في الآخرة .

وممّا ذكر ظهر أنّ الأرواح أجسام في عالم الذرّ ، ثمّ الانتقال منها إلى الأجسام العنصريّة في الدنيا ليس من التناسخ الموجب لكفر قائله ، وكذا البقاء بعد خراب البدن إلى أجسام مثاليّة ثمّ العود إلى الأجسام العنصريّة والحشر فيها أو جعل الجسم المثالي هو ما يحشر به وخالص العنصري ، وكذا الانتقال في الدنيا إلى الجسد المثالي أو انقلاب الجسم الانساني في الدنيا إلى جسم حيوان ، كالمسوخ.

فالانكار إنّما هو على قدم الأرواح وعلى نفي الحشر والجزاء في الآخرة ، وإلّا فجميع ما قلنا ـ بل وما قالوا ـ لو سلب منه الأمران لاكفر فيه .

ثمّ الروح ليست هي الحياة بل ما ذكره السيّد ـ رحمه الله ـ وهي الهواء المتردد إلى آخر ما ذكره ، والمراد بها هنا :أي ما خلق قبل الأجسام واخذ منها الميثاق ومابقي بعد خراب البدن هي النفس القدسيّة ، إن قد يطلق الروح عليها ولها تعلّق بالروح بالمعنى الأول ، ويفارق البدن بخروجها ويتحقّق به الموت ، و ينتقل إلى القالب المثالي و يتنعّم أو يتعذب ثمّ ينتقل إلى الجسم الأول . وفي عالم الذرّ هل كانت في جسد مثالي ؟ أو بلا جسد ؟ وجهان ، وهي بهذا المعنى جسم مجرد عن الموادّ العنصريّة ، وعليه حمل قول من قال بتجردها و دفع به مقالة المجلسي ـ رحمه الله ـ ببطلان ذلك ، لاختصاص التجرد به سبحانه . فهي نحو الروحانيّين ولها إدراك وشعور من لدن خلقها إلى الأبد يصحّ تكليفها في كلّ نشأته ، بل يصحّ تكاليف كلّ المخلوقات ، بل لها تكاليف وشعور جزئيّة بنسبة كونها ويرشد إليه قوله تعالى: «وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده ولكن لاتفقهون

تسبيحهم»[١] وقوله تعالى: «لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها»[٢] بضمير العقلاء، ولم يقل: ما وردنها، وقوله تعالى: «فقال لها وللأرض ائتياطوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين»[٣] وهكذا، وقيل في الروح: إنّها عرض، وقيل: جسم، وقيل: جسمانيّ.

والحقّ ما قلناه، فالانسان مركّب من بدن هو الجسد العنصري، ومن روح هي لطيفة ربّانيّة قادسة، و من المجردات و الروحانيّين، و هي من علّيّين، وهي ممّا خلقت منه أبدان الأنبياء، وأبدانهم من دون ذلك، بل أبدان الأئمّة والأنبياء أعلى من أرواحنا وذات شعور وعقل، كما ثبت تلاوة رأس الحسين عليه السلام سورة الكهف، بل كلّ ما في الجنّة ذو عقل وشعور.

ثمّ لهذه الروح تعلّق بالروح البخاريّ الحيوانيّ، و تموت الانسان بمفارقتهما. فالتكليف في عالم الذر يحتمل ماذكر و يحتمل ما ذكره السيّد ـ رحمه الله ـ.

والوجه الّذي حكاه أولاً في معني الآية خلاف الأخبار المفسّرة لها، وإن كان ألصق بظاهر الآية. وما ذكره السيّد ـ رحمه الله ـ في رفع التكليف في عالم الذرّ بلزوم التذكّر له[٤] كان فاسداً، لمنع الملازمة، والقياس بالنائم ونحوه فاسد ومع الفارق، إذ هو تبديل نشآت، إنّما يتذكر الاولى من سلب علائق هذه النشأة ورفع الحجب والغواشي الظلمانيّة الطبيعيّة وحصل له تصفية، بخلاف النائم ونحوه، فإنّه من تبديل الأحوال في نشأة واحدة

هذا وفي الكافي مسنداً عن أبي‌عبدالله عليه السلام «كيف أجابوه وهم ذرّ؟ قال:

(١) الاسراء: ٤٤.
(٢) الانبياء: ٩٩.
(٣) فصلت: ١١.
(٤) رسائل الشريف المرتضى: المجموعة الاولى ص١١٣.

حصل فيهم ما إذا سألهم أجابوه »[١] وفي نسخة كما عن العيّاشي بعد ماذكر يعني في الميثاق[٢] وهو ظاهر فيما ذكره السيّد ـ رحمه‌الله ـ في تأويل الآية، و يتحمّل لما قلناه ، والله العالم .

المقام الثاني: في تكليف سائر الامم بالاقرار بنبيّنا صلى‌الله‌عليه‌وآله و الأئمّة عليهم‌السلام وبأفضليّتهم ، بل تكليف كلّ المخلوقات بولايتهم على نسبة شؤونهم .

و يدلّ عليه أخبار كثيرة بل ومتواترة ، كما سبق من الشيخ الحرّ في «الجواهر السنيّة » والكتاب ، واشتمال التوراة والانجيل وسائر الكتب السماويّة على ذكرهم وذكر أوصافهم وأفضليّتهم والنهي عن النظر إليهم بعين الحسد ، و أنّه لولاهم لم يخلق الله أرضاً و لا سماءً و لا الأنبياء و غيرهم . و الغرض أنّ ذكرهم كان في الذاكرين ، و أسمائهم في الأسماء ، وأنوارهم في السماء و الأرض ، كان المخلوقون من الملائكة و الناس أجمعين يستضيئون بأنوارهم و يتوسّلون بها وبهم وبأسمائهم و بالاقرار بأفضليّتهم ، وكان الأنبياء مأمورين بالتبشير بهم ، وكان ذكرهم في الكتب السماويّة وبشّر بهم الأنبياء و الأوصياء والرهبان والكهنة والأحبار ، والقصص في هذا كثيرة لايمكن إحصاؤها .

ختام :

روى شيخنا الصدوق ـ رحمه‌الله ـ في « عيون الأخبار » مسنداً عن عبدالسلام ابن صالح الهروي، قال : قلت للرضا عليه‌السلام : يابن رسول الله أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء ماكانت ؟ فقد اختلف الناس فيها ، فمنهم من يروي أنّها الحنطة ، ومنهم من يروي أنّها العنب، ومنهم من يروي أنّها شجرة الحسد،

(١) الكافي : ج٢ ص١٠ ح١ .

(٢) تفسير العياشي : ج ٢ ص٣٧ ح١٠٤ .

فقال : كلّ ذلك حقّ، قلت : فما معنى هذه الوجوه على اختلافها ؟ فقال: يا أبا الصلت ، إنّ شجرة الجنّة تحمل أنواعاً، فكانت شجرة الحنطة وفيها عنب وليست كشجرة الدنيا ، وأنّ آدم عليه‌السلام لمّا أكرمه الله تعالى ذكره بإسجاد ملائكته له وبإدخاله الجنّة، قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضل منّي، فعلم الله عزّ وجلّ ما وقع في نفسه ، فناداه: ارفع رأسك يا آدم، فانظر إلى ساق العرش ، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش، فوجد عليه مكتوباً «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، وزوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة» فقال آدم : يا ربّ من هؤلاء ؟ فقال عزّ وجلّ هؤلاء من ذريّتك ، وهم خير منك ومن جميع خلقي ، ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنّة والنار ولا السماء والأرض ، فإيّاك أن تنظر إليهم بعين الحسد ، فأخرجك عن جواري ، فنظر إليهم بعين الحسد فتمنّى منزلتهم ، فتسلّط عليه الشيطان حتّى أكل من الشجرة الّتي نهي عنها ، وتسلّط على حواء لنظرها إلى فاطمة بعين الحسد حتّى أكلت من الشجرة كما أكل آدم ، فأخرجهما الله عزّ وجلّ عن جنّته وأهبطهما عن جواره إلى الأرض [1] .

أقول : و هذا نسيان ، و ترك آدم العزم على ولايتهم ، فلم يصر من اولي العزم بخلاف اولي العزم من الرسل . ونحو هذا السؤال وإن ورد في موسى عليه‌السلام إلّا أنّه بعد ما علم عزم ولم يتمنّ مرتبتهم، وأمّا آدم فتمنّى ذلك وترك الأولى ، فمن ارتكبه لم يخضع لهم حقّ الخضوع ، وهذا ما وعدناك سابقاً .

وتسمية ما ذكر حسداً على سبيل الاتّساع ، إذ تمنّيها غبطة ، أو لانحصار هذه المرتبة واختصاصها بهم ، فتمنّيها حسد يستدعي زوالها عن المحسود ، أو أنّه يلزم الخضوع لهم فمن لم يخضع كأنّه تمنّى ذلك وجعل نفسه من العالين .

وفي الآيات الواردة في أحوال بني إسرائيل في سورة البقرة وغيرها ،

(١) عيون أخبار الرضا : ج١ ص٣٠٦ ح٦٧ .

والأخبار الواردة في تفسيرها، المذكورة في التفاسير ـ مثل تفسير الامام عليه السلام والقمّي والعيّاشي والصافي والمجمع وغيرها ـ كفاية وغنية لايسع اذكرها هذه الرسالة، و الله العالم والمشكور.

فصل

قال في القاموس: الحبّ (بالضمّ) الوداد كالحباب و الحبّ (بكسرهما) والمحبّة والحباب (بالضمّ) أحبّه وهو محبوب على غيرقياس، ومحبّ قليل، وحببته أحبّه (بالكسر) شاذّ حبّاً وحبّاً (بالضمّ والكسر) وأحببته واستحببته، والحبيب والحباب (بالضمّ). والحبّ (بالكسر) والحبة (بالضمّ) المحبوب، وهي بهاء، وجمع الحبّ: أحباب و حبّان وحبوب وحببة (محركة) و حبّ (بالضمّ) عزيز أو اسم جمع، وحبّتك (بالضمّ) ما أحببت أن تعطاه أويكون لك، والحبيب: المحبّ. انتهى. و فيه أيضاً: البغض (بالضمّ) ضدّ الحبّ و البغضة (بالكسر) والبغضاء شدته، وبغض ككرم ونصر وفرح بغاضة فهو بغيض ويقال: بغض جدك كتعس جدك، ونعم الله بك عيناً وبغض بعدوك عيناً، وأبغضه ويبغضني (بالضمّ) لغة رديّة، و ما أبغضه لي شاذّ، وأبغضوه: مقتوه، و بغيض بن ريث بن غطفان أبوحيّ، والتبغيض والتباغض والتبغّض ضدّ التحبيب والتحابب والتحبب. انتهى.

وفيه أيضاً: الودّ والوداد: الحبّ، ويثلّثان كالودادة و المودة والمودَدة و المودودة، وودِدته ووددته أوده فيهما، و الودّ أيضاً المحبّ، ويثلّث كالوديد والكثير الحبّ كالودود والمودّ، والمحبّون كالأودة والأوداء والأوداد والوديد والأود (بكسر الواو وضمّها)ـ إلى أن قال ـ: وتودده: اجتلب وده وإليه تحبّب، والتوادّ: التحابّ، ومودة: امرأة، والمودة: الكتاب، وبه فسّر «تلقون إليهم بالمودة» [1] أي بالكتاب. انتهى.

(١) الممتحنة: ١.

وفيه أيضاً : الخلّة : الحاجة و الفقر والخصاصة ـ إلى أن قال : ـ والخلّة الخصلة ، جمع : خلال ، وبالضمّ الخليلة والصداقة المختصّة لاخلل فيها تكون في عفاف وفي دعارة، جمع: خلال ككتاب.والاسم الخلولة والخلالة مثلّثة، وقد خالّه مخالّة وخلالاً ، ويفتح ، وإنّه لكريم الخلّ والخلّه (بكسرهما) أي المصادقة والاخاء ، والخلّة أيضاً الصديق للذكر والانثى والواحد والجمع ، والخلّ (بالكسر والضمّ) الصديق المختصّ أو لا يضمّ إلّا مع ودّ، يقال : كان لي وداً وخلّاً ، جمع : أخلال كالخليل جمع : اخلّاء وخلّان ، والخليل الصادق أومن أصفى المودة وأصحّها،وهي بهاء ، جمعها : خليلات وخلائل ـ إلى أن قال : ـ وهو خليلي ، وخليلك قلبك أو أنفك. وخلّ : خصّ ضدّ عمّ. انتهى .

وفيه أيضاً: العشق والمعشق كمقعد : عجب المحبّ بمحبوبه أو إفراط الحبّ ويكون في عفاف وفي دعارة ، أو عمى الحسّ عن إدراك عيوبه ، أو مرض وسواسي يجلبه إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور ، عشقه كعلمه عشقاً (بالكسر وبالتحريك) فهو عاشق وهي عاشق وعاشقة ، وتعشّقه : تكلّفه وكسكّيت كثيرة ، وعشق به كفرح لصق،والعشقة (محركة) شجرة تخضرّ ثمّ تدقّ وتصفرّ جمع : عشق . انتهى .

وفيه أيضاً : الوله (محركة) الحزن ، أو ذهاب العقل حزناً ، والحيرة والخوف ، وله كورث ووجل ووعد ، فهو ولهان وواله وآله ، وتوله واتّله، وهي ولهى ووالهة وواله وميلاه شديدة الحزن والجزع على ولدها ، وأولهها ـ إلى أن قال : ـ واتّلهه النبيذ كافتعله : ذهب بعقله . انتهى .

وفيه أيضاً :الولي : القرب والدنوّ ، والمطر بعد المطر، وليت الأرض(بالضمّ) والوليّ الاسم منه والمحبّ والصديق والنصير ،وولي الشيء وعليه ولاية وولاية، أو هي المصدر، وبالكسر: الخطّة والامارة والسلطان، وأوليته الأمر : ولّيته إيّاه، والولاء:الملك والمولى:المالك،والعبد، والمعتِق والمعتَق،والصاحب، والقريب ـ كابن

العمّ ونحوه ـ و الجار ، و الحليف ، والابن، والعمّ ، والنزيل، والشريك، وابن الاخت ، و الوليّ ، والربّ، والناصر ، والمنعم والمنعَم عليه، والمحبّ ، والتابع، والصهر . انتهى .

هذا معنى الحبّ ومرادفاته وأضداده .

فصـل
في تفسير الحب عرفاً

قال في «الصافي» : المحبّة من العبد: نيل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه، بحيث يحملها على مايقربها إليه، ومن الله: رضاه عن العبد و كشفه الحجاب عن قلبه . انتهى [١] .

وقال الشيخ محمّد بن طلحة الشافعي في «مطالب السؤول» بعد الحكم بمغايرة محبّة الله ومحبّة العبد : وإيضاح ذلك أنّ حقيقة محبّة الله تعالى لعبده إرادته لانعام مخصوص يفيضه على ذلك العبد من تقريبه و إزلافه من محالّ الطهارة والقدس وقطع شواغله عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتّى شاهده كأنّه يراه ، فإرادته لأن يخصّه بهذه الأحوال الشريفة هي محبّته . فإن كانت إرادته لأن يخصّه بما هو دون هذه الأحوال من الانعام ـ كإرادته أن يثيبه ويرفع عقابه عنه ـ فتسمّى هذه الارادة بهذا المعنى القاصر عن المقام الأول رحمة ، فالمحبّة أخصّ من الرحمة، و كلّ واحد منهما إرادة لخير ، لكن يتفاوتان بتفاوت متعلّق كلّ منهما، فهذا معنى محبّة الله تعالى لعبده. وأمّا محبّة العبد لله فهي ميله إلى نيل هذا الكمال وإرادته وترك هذه الفضائل، فتكون إضافة المحبّة إلى الله تعالى عزّ و علا وإضافتها إلى العبد مختلفين ، نظراً إلى

---

(١) تفسير الصافي : ج١ ص ٣٠٣ .

الاعتبارين المذكورين . انتهى .

واعلم أنّ تغاير معنى محبّة الله للعبد ومحبّة العبد إنّما هو لأنّ الله تعالى لا يصير محلاًّ للعوارض من الحبّ والبغض وغيرهما. فالمراد بهما في حقّه سبحانه أنّه يعامل مع العبد معاملة المحبّ مع من أحبّه، أو المبغض مع المبغوض من الازلاف أو التبعيد وكشف الحجاب أو وضعه .

و كذلك الكلام في أكثر ما يوصف به الله سبحانه ، فإنّه إنّما يؤخذ باعتبار الغايات لا المبادي .

قال مولانا الصادق عليه السلام في «توحيد المفضّل» أي الحديث الاهليلجي ، قال - يعني الطبيب الهندي - : فأخبرني عن قوله: «رؤوف رحيم» وعن رضاه ومحبّته و سخطه، قلت: إنّ الرحمة و ما يحدث لنا منها شفقة ومنها جود، وإنّ رحمة الله ثوابه لخلقه ، و الرحمة من العباد شيئان : أحدهما يحدث في القلب من الرأفة والرقّة لما يرى بالمرحوم من الضرّ والحاجة وضروب البلاء ، و الآخر ما يحدث منّا بعد الرأفة واللطف على المرحوم، والرحمة منّا ما نزل به، وقد يقول القائل : انظر إلى رحمة فلان ، و إنّما يريد الفعل الّذي حدث عن الرقّة الّتي في قلب فلان،و إنّما يضاف إلى الله عزّ وجلّ من فعل ما [حدث] عنّا من هذه الأشياء، و أمّا المعنى الّذي هو في القلب فهو منفيّ عن الله تعالى كما وصف عن نفسه ، فهو رحيم لا رحمة رقّة . وأمّا الغضب فهو منّا إذا غضبنا تغيّرت طبايعنا وترتعد أحياناً مفاصلنا و حالت ألواننا، ثمّ ما يجيء من بعد ذلك بالعقوبات سمّي غضباً ، فهذا كلام الناس المعروف ، و الغضب شيئان : أحدهما في القلب ، و أمّا المعنى الّذي في القلب فهو منفيّ عن الله جلّ جلاله، و كذلك رضاه وسخطه ورحمته على هذه الصفة جلّ وعزّ لا شبيه له ولا مثل في شيء من الأشياء . قال : فأخبرني عن إرادته ، قلت : إن الارادة من العباد الضمير و ما يبدو بعد ذلك من الفعل ، وأمّا

من الله عزّ وجل فالارادة للفعل إحداثه إنّما يقول: كن،فيكون بلاتعب ولا كيف. قال: قد بلّغت، حسبك، فهذه كافية لمن عقل، والحمد لله ربّ العالمين، الّذي هدانا من الضلال، وعصمنا من أن نشبهه بشيء من خلقه، وأن نشكّ في عظمته وقدرته ولطيف صنعه وجبروته، جلّ عن الأشباه والأضداد، وتكبّر عن الشركاء والأنداد[1] انتهى كلامه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين.

ولا يخفى: أنّ ماذكر بالنسبة إليه تعالى من الصفات ليس معنىً مجازيّاً كما توهّم، بل هو حقيقة أيضاً، بل كونه حقيقة أقوى، كما قررناه في محلّه. وملخّص بيانه من وجهين:

احدهما: ما حقّقه العلّامة الدواني ـ رحمه الله ـ في بعض كلماته من أنّ قصر نظر عامّة العرف هذه المبادي والقيودات أمر ظاهريّ عوامي، وإلّا فالموضوع له حقيقة هو القدر الجامع، وهذه القيود إنّما هو بحسب المتعارف الغالب المحسوس عندهم وإلّا فالحقيقة ما يعمّ ذلك كلّه وغيره.

الثاني: أنّ للمعاني صوراً و حقايق، والحقيقة عند العامّة وإن اختصّت بالاولى، إلّا أنّ استحقاق إطلاق اللفظ على الثانية بالأولى و أقوى، و لتحقيقه محلّ آخر.

و كيف كان: اختلفت التعاريف للحبّ، فقيل: إنّ الحبّ هو إيثار المحبوب على سائر المصحوب. وقيل: هو ميلك إليه بكلّيّتك وإيثارك له على نفسك وموافقتك له سراً وجهراً. وقيل: هو هتك الأستار و كشف الأسرار. وقيل: هو محو الأشباح وذوب الأرواح. وقيل: هو سرّ روحاني يهوى من عالم الغيب إلى القلب، ولذلك سمّي «هوى» من «هوى يهوي» إذا سقط، و يسمّى بالحبّ لوصوله إلى حبّة القلب الّتي هي منبع الحياة وإن اتّصل بها سرى مع الحياة في جميع أجزاء البدن

---

(١) بحار الانوار: ج٣ ص١٩٦ ب٤.

وأثبت في كلّ جزء صورة المحبوب في الباطن ، كما حكي عن « الحلاّج » أنّه لمّا قطعت أطرافه كتب في مواقع الدم: الله الله وهكذا حكي عن « زليخا » أنّها افتصدت فارتسم من دمها يوسف يوسف [١] .

وربّما يرى المحبّ صورة المحبوب في ظاهر بدنه أو بدن غيره أو يرى صورة المحبوب وشخصه في الخارج ، و ذلك لاستدامة فكره وخياله على ذكر المحبوب و صورته ، فإذا قوي الخيال يحسّ بالمحبوب المتخيّل . و كذا الحال في كلّ متخيّل يستديم على ذكره وإن لم يكن محبوباً بل عدواً ، كالجبان المتوهّم من الأسد ربّما يرى الأسد .

قال في « الأنوار النعمانيّة» عن أوثق مشايخه، والظاهر أنّه أراد به العلاّمة المجلسي ـ رحمه الله ـ قال : حكى لي أوثق مشايخي بإصفهان ليلة من الليالي أنّه قد كان له صديق وقد كان يهوى صاحباً له، فاتّفق أنّ أهله أرسلوه ببضاعة إلى بلدة بهبهان ، فلمّا مضت له أيّام لم يملك الصبر عنه، فسافر إلى تلك البلدة ، فحكى أنّه لمّا دخل بهبهان كانت ليلة الجمعة و كان الناس يخرجون إلى قبور موتاهم لزيارتهم ، قال : فرأيت مجمعاً من الناس فجلست معهم حتّى أسأل عن أحوال ذلك الصاحب وأهتدي إلى منزله ، ثمّ أخذت في تخيّل صورته، فنظرت إلى يدي وإذا هي بصورة يده ، وإلى أعضائي كلّها فما رأيت شيئاً من أعضائي وجوارحي إلاّ وهي على صورة أعضائه ، فغرقت في بحر تعجّبي ، فلمّا دخلت البلد وسألت عنه قيل : إنّه في مجمع من الناس مجتمعين في بيت رجل للضيافة ، فدخلت عليهم ونظرت إليه ، فرأيته في تلك الصورة الّتي رأيت نفسي عليها ، فلمّا شاهدت من نفسي هذا الحال رجعت إلى إصفهان . و هذه الحكاية كان للشيخ ـ أدام الله تعالى أيّام سلامته ـ إذا تذاكرنا مذاهب الصوفيّة وقولهم بالحلول والاتّحاد (وهو أنّ الله سبحانه يحلّ لكلّ المخلوقات) يكذّبهم و يقول : إنّ مثل هذا الاتّحاد

(١) الانوار النعمانية : ج٣ ص١٦١ .

الخيالي ممكن [١] انتهى .

وفي النظم والنثر في كلمات العشّاق والمحبّين عبارات في الاتّحاد بالمحبوب وكلّها من التصورات الخياليّة أو من المبالغات الشرعيّة، ولا حقيقة للاتّحاد بظاهره المستحيل عقلاً . وبالجملة : استدامة ذكر الشيء وطول الفكر فيه ودوام تخيّله يوجب الامور المذكورة، فالمحبّ المشغول بالمحبوب المستديم على ذكره يتخيّل له محبوبه في الخارج أو في المحبّ نفسه أو في غيره ويتأثّر منه في سره وعلانيته وباطنه وظاهره على حسب تأكّد المحبّة وقوة الفكر والخيال، وإذا استولى سلطان المحبّة على ملك بدن شخص وأخذ بقلبه واستقرّ فيه يذوب ذاته في ذاته وصفاته في صفاته وجزؤه وكلّه وسره وباطنه فيه ويشتغل به عمّا سواه ويؤثره ويهواه، حتّى لا يرى غيره ولا يحسّ بما عداه بألم أو لذة ، ولا يقدر على مشاهدته بل ومشاهدة آثاره، ويملك المحبوب كلّه ويأخذه منه ويفنى فيه ويصير هو إيّاه ، يطيعه إذا أمر ويعبده ولا يشرك به أصلاً، ولا يطلب غيره ولا همّ له سواه ، وربّما ينقطع عن الأكل والشرب والاحساس بألم أو لذة، ومتى استغرق فيه ترتفع عنه الشهوة والدواعي وتنحصر همومه فيه ، وربّما يتألّم بألمه ويفرح بفرحه مع العلم والادراك بذلك ، وهو واضح كثير ، ويضطرب عند سماع اسمه ومتعلّقاته لما في باطنه، ويعقد محبّته في قلبه، بل يتمكّن العشق في الصدر ويصير ناراً موقدة، وربّما يفرح أو يحزن بفرح المحبوب أو حزنه من دون اطّلاع على فرح أو حزن المحبوب، بل ينبيء عنه سره لتحقّق الرابطة المستحكمة بينهما ونحو اتّحاد حاصل لهما ، وربّما يؤثّر فرط المحبّة فيهما وسرى منهما إلى ما يتولّد منهما ، كما حكي أنّ ليلى الأخيليّة مرت قرب قبر توبة ومعها زوجها، فقال، لها : يا ليلى هذا قبر توبة فسلّمي عليه، فقالت وما تريد منه؟ قال: اريد تكذيبه، أليس هو الّذي يقول: «ولو أنّ ليلى الأخيليّة سلّمت » ـ إلى آخر ما مرّ في بحث « لو » ـ فلا والله ما برحت حتّى تسلّمي

(١) الانوار النعمانية : ج٣ ص١٦٨ .

عليه، فقالت: السلام عليك يا نوبة، ألست القائل: «ولو أنّ ليلى الأخيليّة سلّمت» إلى آخر، فأين ما قلت؟ فإذا طائر كان هناك، فخرج من القبر حتّى ضرب بصدرها فشهقت شهقة فماتت، فدفنت إلى جانب قبره، فنبتت على قبره شجرة وعلى قبرها شجرة فطالتا فالتفّتا، فانظر كيف أثّر فيهما فرط المحبّة؟ وسرى منهما إلى شجرتيهما [حتّى تلاقتا، والظاهر أنّ تلاقيهما] عياناً يشعر بتلاقي روح أهل الحبّ بياناً(١).

لكن هذا ليس من الاتّحاد المحال الّذي ادعاه الصوفيّة، والكلّ متحقّق في عالم الحسّ والشهود وفي عالم الحقيقة، والأول آية الثانية، والمجاز قنطرة الحقيقة، ولنذكر بعض ذلك في العالمين.

منها : ما تقدم.

ومنها : ماحكي عن شيخنا البهائي ـ رحمه الله ـ في حاشيته على تفسير القاضي من أنّ رجلاً يهودياً كانت عنده جارية وكان مفرطاً في حبّها ومتعشّقاً لها، فمرضت يوماً و احتاجت إلى طبخ طعام لمكان المرض فوضع القدر، فلمّا قارب اشتواء الطعام احتاج إلى سوطه، فأخذ المغرفة وشرع يسوطه، فكان هو يسوط الطعام والجارية تأنّ، فلمّا سمع أنينها اشتغل قلبه بها فوقعت المغرفة عن يده وصار يسوط القدر بيده و لم يحسّ به حتّى تساقط لحم يده، فلمّا سكنت من الأنين ورجع إليه عقله رأى أنّه كان يسوط القدر بيده (٢).

ومنها : ما في الأنوار النعمانية للسيّد نعمة الله الجزائري ـ رحمه الله ـ وفي كتاب قصص الأنبياء منه، قال: رأيت في عشر تسعين بعد الألف ـ لمّا كنت بشيراز ـ رجلاً عرياناً و الناس خلفه في حوش عمارة السيّد ابن أحمد بن الامام موسى الكاظم عليه السلام فرأيت في كلّ واحد من يديه سكّيناً وهو يضرب بهما صدره و يقطع بهما لحم بدنه و دماؤه تجري، فسألت عن حاله، فقالوا: إنّه كان يهوى شخصاً وقد أشخصه

---

(١) الانوار النعمانية : ج٣ ص١٧٤ .

(٢) الانوار النعمانية : ج٣ ص١٦٧ .

أهله إلى بعض البلدان ، فما يدري أين ذهب [(١)] .

ومنها : ما عن كتاب مصارع العشّاق : إنّ كثير عزّة قال : أعجب وألذّ ما مرّ عليّ في حبّ عزّة أنّه كان مع ركب يريدون الحجّ ، وقد اتّفق أنّ في ذلك الركب عزة مع زوجها وكان كثير لا يعلم بهما، فبينما هو ذات يوم في الطريق قاعد يبرىء سهاماً وإذا عزّة واقفة على رأسه، فطار لبّه لمّا نظر إليها وصار يبرىء أصابعه بالشفرة والدم يسيل من يده وهو لا يحسّ به، وكان زوجها باعثها تشتري سمناً فأظهرت عزّة لكثير أنّها تريد سمناً و كان عنده ظرف سمن ، فقام و صبّ لها في الاناء فامتلأ وفاض و وقع باقيه على الأرض ، فلمّا نظرت عزّة إلى الدم يسيل من أصابعه قطعت قطعة من مقنعتها وعصبت بها يده و مضت إلى زوجها [(٢)]، الحكاية .

ومنها : ما أخبر الله سبحانه وتعالى في قصّة يوسف ، قال تعالى : « فلمّا رأينه أكبرنه وقطّعن أيديهنّ » الآية [(٣)] .

ومنها : ما يجيء عن بعض الثقات ، بل أمثلة ذلك أكثر كثير من العشّاق الّذين لم يحسّوا بحرّ ولا برد و غيرهما ، بل كلّ مشغول القلب بذكر شيء كذلك ، كما ترى أنّ الانسان حين التعارك و المقاتلة و المضاربة مع الأعداء والحيوانات السباع لا يحسّ بألم جراحاته، فإذا فرغ وسكن وعاد إليه لبّه يحسّ بالألم ويشرع في الأنين ، وكذا المهموم يسمع أو يبصر ولا يدرك لاشتغال قلبه ، وكذا الفرح المسرور كثيراً ، وهكذا .

ونظير ما ذكر في عالم الحقيقة ما صحّ وثبت : من أن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام سحب النصل في بدنه في بعض الحروب فلم يملك الصبر لاخراجها ، فأمر النبيّ صلى الله عليه وآله الجرّاح بالصبر حتّى قام إلى الصلاة فأخرجها منه حينئذ ولم يحسّ

---

(١) الانوار النعمانية: ج٣ص١٦٨ .   (٢) الانوارالنعمانية : ج٣ ص١٧٣ .

(٣) يوسف : ٣١ .

بها لاشتغاله بعالم القدس ومالك الجبروت[١] وكذلك سائر الأئمّة عليهم السلام كان يحرق بيوتهم عند اشتغالهم بالصلاة ويجتمع الجيران وأهل البيت لاطفائها ولم يحسّوا به وبهم وبأصواتهم إلى الفراغ، أوكان يقع أولادهم في بئر الماء ويرتفع الضوضاء في بيتهم ولم يحسّوا به لاشتغالهم بعبادة ربّهم ، إلى غير ذلك .

ومنها : ما يشاهد من العشّاق في قطع المسافة الكثيرة في السير إلى المحبوب ولا يحسّون بتعب وألم السير ويجوعون ويعطشون أيّاماً كثيرة ولا يدركون ، وهو لأنّهم مرضى يصبرون على الجوع أكثر من الأصحّاء .

ونظير هذا في عالم الحقيقة ما رواه الشيخ الصدوق ـ رحمه الله ـ في من لا يحضره الفقيه ، قال : «ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الوصال في الصيام وكان يواصل ، فقيل له في ذلك، فقال صلى الله عليه وآله: إنّي لست كأحدكم، إنّي أظلّ عند ربّي فيطعمني ويسقيني»[٢].

وكذلك الحال في سائر الأنبياء في مناجاتهم وميعادهم اسبوعاً وأربعين يوماً.

ومنها : ما حكي عن بعض الثقات ، قال: اجتزت في بعض أسفاري بحيّ بني عذرة، فنزلت في بعض بيوته، فرأيت جارية قد لبست من الجمال حلية الكمال ، فأعجبني حسنها وكلامها، فخرجت في بعض الأيّام أدور في الحيّ وإذا أنا بشابّ حسن الوجه ، وعليه أثر الوجد، وهو أضعف من الهلال وأنحف من الخلال ، وهو يوقد ناراً تحت قدر ويردد أبياتاً ودموعه تجري على خديه ، فما حفظت منه إلّا قوله :

فلاعنك لي صبر ولا فيك حيلة ... ولا عنك لي بد ولا عنك مهرب

ولي ألف باب قد عرفت طريقها ... ولكن بلا قلب إلى أين يذهب

فلو كان لي قلبان عشت بواحد ... وأفردت قلباً في هواك يعذب

---

(١) لم نعثر عليها بعد الفحص في مظانها .

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص١٧٢ ح٢٠٤٦.

فسألت عن الشابّ وشأنه فقيل : يهوى الجارية الّتي أنت نازل في بيتها وهي محتجبة عنه منذ أعوام ، قال : فرجعت إلى البيت وذكرت لها ما رأيت ، فقالت : ذاك ابن عمّي ، فقلت لها : يا هذه إنّ للضيف حرمة ، فنشدتك بالله إلّا مامتّعته بالنظر إليك في يومك هذا، فقالت : صلاح حاله في أن لا يراني ، قال : فحسبت أنّ امتناعها ضنّة منها، فما زلت اقسم عليها حتّى أظهرت القبول وهي متكرهة ، فقلت لها : أنجزي وعدك الآن فداك أبي و امّي ، فقالت : قدّمني فإنّي ناهضة في إثرك ، فأسرعت نحو الغلام فقلت : ابشر حضور من تريد ، فإنّها مقبلة نحوك الآن ، فبينما أنا أتكلّم معه إذ خرجت من خبائها مقبلة تجرّ أذيالها وقد أثارت الريح غبار أقدامها حتّى ستر الغبار شخصها ، فقلت للشابّ : هاهي قد أقبلت ، فلمّا نظر الغبار صعق وخرّ على النار بوجهه ، فما أقعدته حتّى أخذت النار صدره و وجهه ، فرجعت الجارية وهي تقول : من لا يطيق مشاهدة غبارنا ، كيف يطيق مطالعة جمالنا ؟ [(١)]

قال بعض المحقّقين : ونظير هذا في عالم الحقيقة قوله تعالى : «ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه» [(٢)] الآية .

ومنها : ما حكي في قرب أعصارنا ، وهو أنّ شابّاً من أولاد الأكابر قد عشق امرأة في بعض بلاد الهند، واتّفق إنّ أباه أراد السفر إلى منزله في إصفهان ،فأتى بذلك الولد معه ، وقد كان ذلك الولد يكتم ذلك الحبّ ، فلمّا دخل في إصفهان زاد شوقه والتهبت نار فراقه وبقي يصفرّ وجهه وينحلّ بدنه يوماً فيوماً ، ولا يدري ما علّته حتّى ضعف عن الحركة والمشي وبقي نائماً على الفراش ، وقد أعيت الأطبّاء عن علاجه ومعرفة علّته ، فأتوا إليه بطبيب حاذق وتأمّله فقبض على نبضه وقال : يا صبيّ مرضت من الشيء الفلاني ؟ أم من الشيء الفلاني ؟ فجعل يعدّ عليه

(١) الانوار النعمانية . ج ٣ ص ١٧٢ .

(٢) الاعراف : ١٤٣ .

الأمراض حتّى بلغ إلى العشق، فلمّا عدّه تحرك النبض حركة شديدة، فعرف أنّ علّته العشق، ثم شرع يعدّ له البلدان بأنّ معشوقه في البلد الفلاني؟ أم في البلد الفلاني؟ حتّى ذكر تلك البلدة فتحرك النبض أيضاً مثل تلك الحركة، فأمر الطبيب بإحضار من يعرف أهل تلك البلدة، فلمّا حضر عدّ نساء تلك البلدة وبناتها، فلمّا انتهى إلى المرأة تحرك النبض أشدّ من الحركتين الاوليين، فعلم أنّ محبوبته تلك المرأة، فتوصّلوا إلى تحصيلها [(١)].

وفي العالم الحقيقي ذلك موجود أيضاً، قال الله عزّ وجلّ: «إنّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم» [(٢)] وروي أنّه كان يسمع أزيز صدر الخليل عند ذكر الله على ميل، و كان صدره يغلي كغليان القدر [(٣)]. فالعاشق يتحرك نار وجده عند ذكر المعشوق وكذا أكثر عروقه وأعضائه.

ومنها: ما حكي أنّ زليخا قعدت يوماً على ممرّ يوسف فلمّا أخبرتها جاريتها بدنوه منها قالت: يا يوسف بحقّ الّذي أعزك وأذلّني أن تقف ساعة ولا تغيب عنّي، فقال: يا زليخا أين مالك وجمالك؟ قالت: ذهبا في سبيلك، فقال: وأين عيناك؟ فقالت: ذهبتا بالبكاء على فراقك، فقال: وأين عشقك؟ قالت: في صدري كما كان، قال: فأين برهانك؟ قالت: ناولني سوطك، فناولها إيّاه فتأوهت ونفخت فيه فاحترق السوط من نفسها، فألقاه يوسف من يده وصرف عنان الفرس فراراً، فقالت: يا يوسف إنّك بدعوى الرجوليّة لم تكن مثل المرأة، فإنّي حفظت تلك النار في صدري منذ أربعين سنة ولم أنهزم كانهزامك [(٤)].

وبالجملة: فالعشق نار موقدة في الأفئدة وله لوازم من الاشتغال عن غير

---

(١) الانوار النعمانية: ج٣ص١٩١.

(٢) الانفال: ٢.

(٣) الانوار النعمانية: ج٣ ص١٩١.

(٤) الانوار النعمانية: ج٣ ص١٧٢.

المحبوب ومن عدم الأكل والشرب وانقطاع الشهوات والنوم ، وغير ذلك وسيجيء بعض آخر إن شاء الله تعالى .

ومنها : ما حكي عن التفاسير أنّ زليخا غضبت على يوسف يوماً فأمرت خادمها بأن يضربه أسواط وهي تسمع الصوت ، فكان الخادم يوقع الأسواط على الأرض ويضرب الأرض وهي تسمع ، فخطر بخاطر الخادم أن يضربه سوطاً واحداً حتّى يرى الأثر على بدنه فلا تكذبه زليخا في ضرب الأسواط ، فضربه سوطاً ، فخرجت زليخا من خدرها وصاحت به كفّ عن الضرب ، فهذا السوط الّذي ضربته الآن قد وقع ألمه في قلبي ، وكأنّك ضربتني أنا ، لا يوسف ، فأمّنت على الخادم ، فحكى لها كيفيّة الضرب وأنّه كان على الأرض إلّا ذلك السوط [(١)] .

وروى في «الأنوار النعمانيّة» في ذلك ـ في نور التراكيب المشكلة والأشعار والأخبار المروّحة ـ أخباراً في ذلك بحسب عالم الشهود والحقيقة ، قال ـ رحمه الله ـ : ومن الأخبار المروّحة للخاطر ما رواه الصدوق ـ قدس الله روحه ـ بإسناده إلى إلى عبدالرحمن ، قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّي ربّما حزنت فلا أعرف في أهل ولا مال ولا ولد وربّما فرحت فلا أعرف في أهل ولا مال ولا ولد ، قال : ليس من أحد إلّا ومعه ملك وشيطان ، فإذا كان فرحه كان دنوّ الملك منه ، وإذا كان حزنه كان دنوّ الشيطان [منه] وذلك قول الله تبارك وتعالى : «الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرةً منه وفضلاً والله واسع عليم» [(٢)] .

أقول : هذا الخبر روي هكذا في سبب الفرح والحزن من غير سبب معروف . وروي في خبر آخر : أنّ السبب فيه دخول السرور على أهل البيت عليهم السلام ودخول الحزن عليهم ، فإنّ الشيعة لكون طينتهم من طينة أهل البيت صاروا يفرحون بفرحهم ويحزنون بحزنهم من حيث لا يشعرون ، وفي خبر آخر : أنّ السبب فيه هو كون الانسان له أصدقاء وأحبّاء وهم متفرقون في البلدان فربّما حصل لبعضهم فرح

---

(١) الانوار النعمانية : ج٣ ص١٧٣ . (٢) البقرة : ٢٦٨ .

فتحسّ النفس به فتفرح من حيث لا يشعر الانسان بسبب ظاهر ، وكذا في جانب الحزن . ولا تنافي بين هذه الأخبار ، لأنّها علامات ومعرفات ، وقد يكون للشيء الواحد أسباب مختلفة [1] انتهى وهو جيّد .

وممّا ذكر تأثّر الشيعة والمؤمنين من ذكر اسم الحسين عليه السلام وغمّهم وبكاؤهم كما في النصوص وكما هو مشاهد ، بل وتأثر الأنبياء عليهم السلام من ذكر اسمه قبل معرفتهم به وبقضيّته ، لأنّه عليه السلام مظهر المظلوميّة ، فملك قلوب أحبّته قبل ظهور حينه ومعرفته ، فتدبّر .

وربّما تتّفق هذه التأثيرات في سائر المقامات مثل عدم قدرة الحسين للتكلّم عند خفاء الأمير عليهما السلام مع أنّه لم يعلم به ، وهكذا .

ثمّ ما ذكرناه ـ من قنطريّة المجاز للحقيقة ـ هو الصحيح الّذي ينبغي العكوف عليه وتقضي به العقول ، فقد علم اولوا الألباب أنّه يستدلّ بالشاهد على الغائب وبما هاهنا على ما هنالك . ومن الواضح للمستبصر أنّ غرض خالق الأرض والسماء من خلقهما وما فيهما الاستدلال بهما على الله تعالى وأنّ خلق المستلذات والمؤلمات ـ كالفواكه والنسوان والغلمان وغيرها ، والحيّات والعقارب والأوجاع والنار والجوع و العطش و غيرها ـ للاستدلال على خالقها ولاستكشاف النعيم والجحيم في دار الاخرى ، وكذا خلق الصفات والمشاعر في العبد لذلك وللاستمتاع بها وللاستدلال على خالقها مع سلب النقائص الناشئة من جهة إمكان العبد ، فيستدلّ بعلمه وسمعه وبصره وقدرته وسائر الصفات فيه على صفات الخالق ، لكن مع سلب المبادي والأخذ بالغايات .

فالدنيا بما فيها دليل على الآخرة ، والشاهد مرآة معرفة الغائب ، وهذه النشأة قنطرة الوصول إلى الآخرة وإلى معرفة الربّ سبحانه وتعالى ، وما خلق الله الجنّ والانس إلّا ليعرفونه بهم وبسائر المخلوقات ويعبدونه . ويمكن معنى

(١) الانوار النعمانية : ج٤ص٤٤ .

آخر : هوعدم الركون إلى المجاز وهوما سوى الله ، بل إنّما خلقـوا للوصول إلى الحقيقة ، فمتى أدركوا أمراً دنيويـّاً لابدّ من التعدي والتجاوز عندوالوصول إلى الله تعالى لأنـّه المقصود الأصيـل الذي كلّفوا بالوصـول إليه ، فالغرض من التشبيه لزوم التجاوز كما في القنطره وهو مع الاعداد والتهيئة للوصول، كماهو متحقـّق في القنطرة أيضاً .

وعن الشيخ عبدالرزاق الكاشي توجيهذلك بوجهآخر، فعنه في شرح«منازل السابقين»[1] العشق النظيف أقوى في تلطيف السرّ والاعداد للعشق الحقيقي،فإنـّه يجعل الهموم همّاً واحداً ويقطع توزّع الخاطر وتفرقه ويلذذ خدمة المحبوب ويسهّل التعب والمشقـّة في طاعته ، بخلاف العشق المنبعث من غلبة سلطان الشهوة ، فـإنـّه وسواس وسعي في تحصيل لذات النفس ، وعلى هذين النوعين يبتني مـدح العشق الصوري وذمّه في كلام بعض العرفاء من الحكماء، انتهى[2] .

وفيه : أنّ العشق إن اريد به العشق المتعلّق بالأنبياء والأئمـّة والصلحـاء والعلماء ونحوهم ، فهو من الحقيقة وليس غيرها ، كما يأتي ، إلاّ أن يرادللرتبة البابيـّة والوصول بهم إلى الله .

وإن اريد تقسيم العشق بمثل النسوان والأمارد ، فمع تسليم تحقـّق النظافة فيه ، فيه : أنـّه من الدنيا كالمحبـّة الشهويـّة، فلو سلّمنا أنّ رؤية الحسان الوجوه والميل إليهم ومحبـّتهم كما يكون لاستيفاء اللذات بضمـّهم وتقبيلهم وجماعهم ، كذا يكون لمشاهدتهم كمشاهدة الجواهر واللئالي والخطّ الحسن ونحوهما من دون غرض آخر : من أكل ولبس و نحوهما ، فلاشبهة أنّ محبـّة هـذه كلّها لارجحان فيها ، بل هو حجاب والحجاب لبس ثياب للمحجوب المحبـوب ، بل مانع عنه وعائق ، وتعليله عليل وسنده ممنوع ،إذالحجاب الواحد الغليظ المستحكم

(١) في الانوار «منازل السائرين».

(٢) الانوار النعمانية : ج٣ ص١٦١ .

أقوى في الستر من حجب رقيقة عديدة ، وفي التعلّق القوي بواحد يصعب معه الوصول إلى المقصود ما ليس في التعلّق الضعيف بمتعدد، وكيف يستطيع المحبوس خلف سدّ ذي القرنين أن يرفعه ؟بخلاف المحجوب بحجب ضعيفة كنسج العنكبوت.

وبالجملة : فبعد الطبع على القلب لاخير في العبد، بخلاف قلب لم يتراكم الحجب الظلمانيّة فيه ، فغاية ماهنا عدم المنع في العشق الّذي يجعلونه نظيفاً بمثابة القسم المذموم فيه ، لأنّ الأول ممدوح وموصل إلى الحقيقة كذلك . فمحبّة الشخص لزوجته الحسناء على حدّ العشق كمحبّته للأجنبيّة الحسناء حجاب وأيّ حجاب ، وإن لم يكن المنع في الاولى على حدّ الثانية ، وقد كان النبي ﷺ يحدّث زوجاته ويحدّثنه، وإذا دخل وقت الصلاة قام كأنّه لايعرفهن ولا يعرفنه[1] فالممدوح عدم التعلّق بما سوى الله كثيراً، لاالتعلق المفرط الشاغل عن المحبوب الحقيقي ، بل لابدّ للعبد من أن يكون جسمه في الأجسام وروحه متعلّقة بالملأ الأعلى لاالركون إلى ما سوى الله .

وبالجملة : فعندي أنّ ماذكر من مكايد الشيطان ومصايده يغرّ به الانسان ويستحكم فيه الحجاب بحيلة أنّه يوصله إلى ربّ الأرباب ، ومتى لم يصل إلى المحبوب مع تعلّق الخاطر شديداً بشيء كيف يرجى الوصول مع التعلّق المفرط بواحد أو كثير ؟ بل في الأخبار نفي لما ذكره ، حيث حصرت المحبّة الممدوحة في حبّ الله والحبّ في الله ، وجعل ذلك من الثانية ممنوع ، لأنّه يتمّ مع قصد التوصّل به إلى الحقيقة ، وماذكروه أعمّ ، كما يرشد إليه السند الّذي منعناه، وماروي من أنّ «من عشق وكتم وعفّ غفره الله له وأدخله الجنّة»[2] لادلالة له على ذلك ، فإنّ الظاهر منه المحبّة لله وكتمانها ، وسيجيء في وصف المحبّين الكاتمين لها ما يدلّ على ذلك

(١) بحار الانوار : ج٨٤ ص٢٦٢ مع اختلاف في العبارة .
(٢) كنز العمال : ج٣ ص٣٧٣ ح٧٠٠٢ .

فصل

للمحبّة مراتب ودرجات ، وقدصحّح صاحب الأنوار النعمانيّة التعاريف المزبورة وحملها على تلك المراتب ، قال ـ رحمه الله ـ : وهذه التعاريف كلّها حقّ وتكثّرها إنّما جاء من جهة تعدد مراتبه ودرجاته ، وهي على تكثّرها قدحصرت في خمسة : أوّلها ـ الاستحسان ، وهو يتولّد من النظر والسماع ولايزال يقوى بطول التفكّر في محاسن المحبوب وصفاته الجميلة . وثانيها ـ المودة ، وهي الميل إليه والالفة بشخصه والائتلاف الروحاني معه . وثالثها ـ الخلّة ، وهي تمكّن محبة المحبوب من قلب المحبّ واستكشاف سرائره . ورابعها ـ العشق ، وهو الافراط في المحبّة حتّى لايخلو العاشق من تخيّل المعشوق وذكره لايغيب عن خاطره ، وعند ذلك تشتغل النفس عن استخدام القوى الشهوانيّة والنفسانيّة فتقطع عن الشراب و الطعام لعدم الشهوة و من النوم لاستقرار الدماغ . و خامسها ـ الوله ، وهو أن لايوجد في قلب العاشق غير صورة المعشوق ولاترضى نفسه إلّا به [1] انتهى .

وقد أطال بعد ذلك في تفصيل تلك الدرجات وتبيينها ولوازمها .

أقول : عدّ الاستحسان من مراتب الحبّ ليس بصحيح ، فإنّ مجرد استحسان الشيء لايسمّى حبّاً ما لم يحصل الميل إليه ، إلّا أن يقال بتلازمهما و التسامح في ذكر الملزوم مقام اللازم ، أو أنّه لاتسامح في التعريف الرسمي الّذي يحصل باللوازم ، وأنت خبير بمنع التلازم . أو يقال : المراد الاستحسان المورث للميل ، ويرد عليه : أنّه لايدفع الايراد مع عدم إشعار في الكلام بالمراد .

فالحقّ أنّ الحبّ بجميع مراتبه هو الميل والواسطة بين المحبّ وماأحبّه وبه نصّ قبيل كلامه المذكور ، قال : والحبّ هو ميل الطبع إلى الشيء الملتذّ ، فإن تأكّد ذلك الميل وقوي سمّي عشقاً ، والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم

(١) الانوار النعمانية : ج٣ ص١٦٢ .

المتعب ، فإذا قوي سمّي مقتاً ، انتهى .[١]

وقد وافقه في ذلك غيره ، وأنت خبير بأنّ الميل المعرف به الحبّ أعمّ من أن يكون طبيعيّاً ،[٢] كحبّ العبادات الثقيلة وحبّ المريض للدواء المرّ. وقد أحسن فيما تقدم في «الصافي» حيث أطلق[٣] ظاهره الشيخ ابن طلحة الشافعي. ويمكن الاعتذار بالجري على متعارف عامّة الناس، ويندفع بعموم ما عندهم أيضاً كالمثالين أو بالجري على الغالب عندهم ، وله وجه. أو بالجري على ادعاء أنّ الميل الحكمي والعقلائي ما لم يصر طبيعيّاً يرتفع معه كراهة الطبع لا يسمّى حبّاً ، وهو وجه لطيف ، فشارب الدواء المرّ لا يسمّى حبيباً له متى لم يرتفع عنه كراهة النفس لمرارته ، وكذا المصلّي متى لم يلتذّ بالصلاة ولقاء المصلّى له ، وكذا الصائم وغيره فصلاة المحبّين غير صلاة من يصلّي خوفاً من العقاب أو طمعاً في الجنّة ، وهكذا .

وأنت خبير بأنّ هذا مع جودته ينافي عده الاستحسان من مراتب الحبّ ، إلّا أن يحمل الاستحسان على هذا المعنى أيضاً ، ويراد من الحسن المأخوذ فيه ملائمة الطبع ، فيرتفع عنه البحثان : بحث عدّ الاستحسان منه ، وبحث تقيد الميل بالطبع ، ويتلائم أيضاً حينئذ التقييد بذلك مع الأقسام الآتية للحبّ والمحبوب من كونه محسوساً بالحواسّ الظاهرة أو مدركاً بالحواسّ الباطنة أو بالقوة العاقلة، وأيضاً مستحسناً شرعاً أو عقلاً، أو مذموماً عندهما محبوباً بحسب الطبيعة، فافهم .

تنبيهان :

الاول : أخذ الاستحسان في الدرجة الاولى المستلزم لأخذه في الدرجات الباقية تفيد أنّ الحبّ فرع الادراك ، وكذا أخذ الميل ونحوه ، ويتفرع عليه عدم الحبّ وضده في الجمادات ، لعدم الشعور فيها ، وبه نصّ في «معراج السعادة»

(١) الانوار النعمانيه : ج٣ ص١٦٠ .

(٢) لايخفى عليك سقوط بعض الكلمات من هنا .

(٣) والظاهر سقوط بعض العبارات من هنا أيضاً .

وليس بصحيح لانغماس كلّ المخلوقات في بحار المحبّة ، ولأنّ لجميعها طاعة وتسبيحاً لبارئها وتنزيهاً عن أن يكون شبيهاً بخلقه وإقرارها بعبوديّتها له وإطاعتها فيما أمر به بحسب شعورها ، ولكن لاتفقه تسبيحهم ، بل لكلّ شعور و إدراك ونحو عقل ، ولذا قال سبحانه : «وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده و لكن لاتفقهون تسبيحهم» [1] بضمير العقلاء .

الثاني : تخصيص تلك الدرجات بهذه الأسامي أمر اصطلاحي لايساعده العرف واللغة إلّا في بعضها ، كالعشق و الوله . ويظهر الحقّ بالتأمّل في مجاري العرف وفيما مرّ من كلام القاموس . نعم : لايبعد عدم الترادف و كونها باعتبارات متّحدة في الصدق، وأمّا التفاوت بالمراتب فلم يتّضح عندنا .

فصل

قد عرفت ثبوت المحبّة للعبد لربّه ولله لعبده وتغايرهما . وهنا قسمان آخران : محبّة العبد لغير ربّه ، ومحبّة الله لنفسه . وقد تخيّل البعض عدم وجه صحّة وحقيقة لمحبّة العبد لربّه سوى المواظبة على الطاعات ، أو حقيقة المحبّة يتوقّف على الاحساس المحال هنا . وهو باطل لانعقاد إجماع المسلمين على محبّة العبد لربّه وإثباتها بالنسبة إليه سبحانه تعالى وعلى وجوبها عيناً، ولقوله تعالى: «يحبّهم ويحبّونه» [2] «والّذين آمنوا أشدّ حبّاً لله» [3] وفي الأخبار والأدعية ثبوت محبّة العبد لله تعالى في غاية الكثرة ، فليرجع إلى «معراج السعادة» وغيرها ممّا ذكر فيه جملة من ذلك ، بل حقيقة المحبّة منحصرة فيه تعالى لرجوع كلّ كمال إليه ولطلب كلّ المحبّين ما هو أقرب إليه ، ثمّ بعد وصوله ما هو أقرب وأكمل إلى أن يصل إلى المحبوب الحقيقي الواحد الأحد ويجد بعينه ومقصوده .

---

(١) الاسراء : ٤٤ . (٢) المائدة : ٥٤ .
(٣) البقرة : ١٦٥ .

وأمّا حقيقة محبّة الله تعالى لعبده فقد تقدم الكلام فيها . وأمّا محبّة العبد لغير الله تعالى ففي غاية الوضوح لايسترب فيها أحد . وأمّا محبة الله تعالى لنفسه فمجمل القول فيه : أنّه نسب إلى صاحب الياقوت أبي إسحاق إبراهيم أبي نوبخت والمحقّق الطوسي ـ رحمه الله ـ القول بأنّه تعالى يلتذّ بصفات كماله . وشنّع عليهما بعض متأخري العامّة الهنديّة بأنّ الله تعالى لايتّصف باذة وغيرها ، قال : ومستندهما قياس الغائب على الشاهد ، مع أنّه باطل ومخالف للكتاب والسنّة . لقوله تعالى : «ليس كمثله شيء» (١) ولتظافر السنّة بنفي التشبيه .

وأجاب عنه بعض علمائنا بأنّهما لم يستندا في ذلك إلى القياس الباطل الّذي هو من مخترعات العامّة العمياء ولم يقولا بالتشبيه أيضاً المنفيّ بالكتاب والسنّة بل هذا القول قول الحكماء ولم ينفردا ، واستدلّوا عليه بأنّ معنى اللذة «إدراك الملائم والوصول إليه» والله سبحانه عالم بذاته بذاته و أنّه تعالى أشرف وأكمل الموجودات ، فهو ملائم لنفسه فقد أدرك الملائم .

وبالجملة : فالمنفيّ من المبادي إنّما هو حيث يستلزم التشبيه ، ولذا قيّدنا الاطلاق في هذا النفي ـ فيما تقدم ـ بالأكثر ، تبعاً لشيخنا البهائي ـ رحمه الله ـ في «الأربعين» فالواجب نفي التشبيه والتعطيل وتنزيهه سبحانه وتعالى عنهما وعن حلول الأعراض فيه تعالى، وما ذكراه وذكره الحكماء لايستلزم شيئاً من ذلك ، وإن كان الأليق والأحوط السكوت عن هذا الاطلاق وإن قلنا به . فحبّه لنفسه اللازم ممّا ذكر ليس باعتبار حدوث ميل فيه و كذا حبّه لغيره ، فالمرجع إلى عدم خفاء كمال ذاته وصفاته عليه تعالى و كذا عدم خفاء كمال عبده ، فيكمله ويقربه إليه ويرضى به ويرفع الحجاب عنه و يزلفه لديه .

---

(١) الشورى : ١١ .

فصل

تنقسم المحبّة إلى أقسام كثيرة غير ما ذكر من جهة اخرى ، إذ الشيء المحبوب إمّا من المحسوسات بالحواسّ الظاهرة أومن غيرها، وعلى الثاني إمّا أن يكون مدركاً بالحواسّ الباطنة أو مدركاً بالقوة العاقلة و بالنفس الناطقة ، وأضعفها الأول وأقواها الأخير .

فالأول : كالصور الجميلة والأصوات الحسنة و الأطعمة اللذيذة و الأبدان النعيمة وسائر الملموسات الناعمة والروائح الطيّبة والخطوط المستحسنة . والثاني: كالصور الجزئيّة الخياليّة، ومنها حبّ الرياسة والانتقام والشهرة و نحوها. والثالث: مثل حبّ المعقولات والعلوم والامور الكلّيّة ،ومنه حبّ العبد لله تعالى وللمعارف الحقّة و الصفات الحسنة والأخلاق الفاضلة . وأقواها الأخير ،ووسطها الوسط ، والأول يحصل سريعاً ويزول كذلك باستيفاء اللذة وهو أضعف الثلاثة . و من هنا أنّ العشاق تفطّنوا لهذا المعنى وشدوا باب استيفاء اللذات ليدوم الحبّ .

فعن «جامع ديوان المجنون» أنّه ذكر أنّه دخل المجنون يوماً على ليلى و كان يحاكيها، فأتى زوجها فعمدت إلى المجنون ، وأدخلته تحت ثيابها و جلست فلمّا خرج زوجها أخرجته من تحت الثياب ، فقالت : ما رأيت تحت الثياب ؟ قال : وحقّك دخلت أعمى وخرجت أعمى وقد كان غمض عينيه حتّى لاينظر إلى بدنها [١] .

وبالجملة : المحبوبة إذا نكحت فسد الحبّ ، كما نصّوا به وهو مشاهد مجرب . وهذا يدلّ على ما تقدمت الاشارة إليه : من أنّ محبّة ذوي الصور الحسان للتوصّل إلى استيفاء اللذات ، ولذا تزول المحبّة باستيفاء المتوصّل إليه. ونحن لاننكر أنّ حسن الصورة كمال ويحبّها الانسان لكمالها كسائر الامور

(١) الانوار النعمانية : ج ٣ ص ١٧٦ .

الكاملة، لكن لم نجد من أحبّ خطّاً حسناً أو صوتاً حسناً بحيث بلغت محبّته حدّ العشق و ذهبت بنوم المحبّ و بدينه و عقله و ملكته و أخذته عنه ، فلم ذلك ؟ ولم اختصّ الوجيه بهذا الوجه ؟ فليس ذلك إلّا لما ذكرناه ، ولذا يزول بحصول ما هو المقصود الأصيل من النكاح والتقبيل وحصول اللذة . ولاأدري ما هذه الجلالة لامرأة بدويّة اختصّت بمحاسن الصورة والبدن وتخطيط الأجزاء وليس لها كمال ديني أو لامرء كذلك ، حتّى يلزم أن يعطيها الانسان عقله و دينه ودنياه واخراه وإلهه ، فهل ذلك إلّا بغضب من الله لقلوب خلت من ذكر الله ، فألقى الله فيها محبّة من سواه ؟ كما في النصوص . وأولى بالذمّ واللوم وأخسر من العشّاق من يصرفون عمرهم في تصحيح صنائع هؤلاء الفسّاق بل المشركين بل الكافرين الّذين اتّخذوا إلههم هواهم ومحبوبهم ويسوّدون الصحائف والأوراق ويضيعون لعمرهم الشريف في ذلك وفي التشبيب بالأجانب . ونقل عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال : «من عشق فعفّ فمات دخل الجنّة» (١) وعن ابن عبّاس عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال : «من عشق وكتم وعفّ غفر الله له وأدخله الجنّة» (٢) .

أقول : حاول المصحّحون للجمع بحمل هاتين على العشق العفيف و الاولى على المحبّة لاستيفاء اللذة . وأنت خبير باتّحاد مضمون الجميع و اتّفاقها في ذمّ العشق الفاسد، فالغرض: أنّ من وقع نظره إلى حسن أو سمع بوصفه و نحوهما وعشقه فعفّ عن هذا العشق بالتأمّل في كمال المحبوب الحقيقي فرفض هذا الشرك وأزاله عن قلبه وجدد على نفسه التوحيد استحقّ الجنّة فلو مات دخلها ، و كذا من عشق وأحبّ محبّة مفرطة وخاف الله و كتم ذلك الأمر الفاسد وعفّ عنه ولم يرفض دينه ودنياه فيظهره ولايبالي غفره الله ، أي ماحصل في قلبه له . وقد تقدم معنى آخر .

---

(١) كنز العمال : ج٣ ص٣٧٢ ح٦٩٩٩ مع اختلاف في الالفاظ .

(٢) كنز العمال : ج٣ ص٣٧٢ ح٧٠٠٢ .

وبالجملة : فحبّ الصور الحسنة على نحو حبّ الخطّ الحسن لاحجر فيه ومع ذلك الأحوط التعفّف عنه، لأنّ الغالب حبّ صاحبه للشهوة البهيميّة ،فيظن به ذلك . وأمّا المحبّة البالغة والغفلة عن خالقها بالمرة ـ أعاذنا الله منها ومن سابقتها ـ فمن أعظم الحواجب وأكبر الموبقات ولو لم تكن شركاً جليّاً ، كما لايخفى على ذوي الالباب. ولاتتعجّبن من أنّه كيف يحبّ شخصاً جميلاً بهذه الشدة للشهوة البهيميّة مع أنّه ربما لايتعلّق بالمتوصّل إليه بهذه الشدة ؟ لأنّه من تسويلات النفس والشيطان ، فقدترى من يحبّ المال بحيث يفارق روحه بمفارقته ولايريدبه التوصّل إلى المصارف ، فحبّ المال للتوصّل إلى المصارف أو لنفسه حيث إنّه الوسيلة إليها ، فأخذه لذلك و ترك المقصود كلاهما مذمومان ، فكذا هنا ، فافهم .

ويعجبني هناذكرحكاية وهي:أنّي شاهدت يوماً من الأيّام في المشهد الغروي ذبابة كبيرة كأنّها قطعة ذهب أوفضّة مع جمع من الاخوان فأحاطت بها الأذبّة من كلّ جانب ترد عليها وتجامعها وهي منهزمة إلى أن انهزمت منها بالكلّيّة .

وهنا حكاية اخرى عجيبة سمعتها مراراً ثمّ شاهدتها عياناً و هي: أنّي في أوائل عمري كنت في إصفهان مشتغلاً بتحصيل العلوم في بعض مدارسها وكانت له بقرة يستقى بها الماء للحياض ، فنقل لي الثقات من الأحبّاء ـ والثقات طلّاب تلك المدرسة ـ أنّ تلك البقرة تؤذي الرجال وأرباب اللحى وتحبّ الأمارد وحتّى أنّهم يضربونها ولاتتعرض لهم فرأيت اذيّتها للرجال: حتّى أنّ أحداً لم يستطع القرار في موقفه قدامها وظنّي أنّي رأيت تحمّلها للأمارد وبضربهم أيضاً،ولكنّي الآن لاأجزم به لطول المدة، فالله أكبر، اللهأكبر، ماأكثر البقرة وأدخلهم في السقر! وهو بئس المقرّ ، عصمنا الله سبحانه و تعالى من التحيّر في تيه الضلالة و الاضلال وصرف العمر في تصحيح فسق الفسقة و كفر الكفرة بحقّ النبيّ والآل .

ونعم ما قال شيخنا البهائي :

كلّ من لم يعشق الوجه الحسن   قرب الجلّ إليه والرسن

وتفسّره في شعره الآخر بالفارسي :

يعني: هر كس را كه نبود عشق يار   بهر او پالان و افسارى بيار

فخسرت صفقة عبد لم يجعل الله له من حبّه نصيباً ، حتّى لم يميّز بين المحبوب وما يرجع إليه وبين الأغيار ، فزعم أنّ بالركون الى الأغيار يصل إلى المحبوب ودخل من غير باب فتحالله عليه فكذب وغوى ، وضلّ وافترى ، واتّخذ إلهه هواه ، فهل ذلك إلّا مثل عبدة الأصنام يريدون التقرب إلى الله تعالى بعبادتها ويرفضون الله سبحانه والدخول في باب عبادته وطاعته، ويتركون الأنبياء والأوصياء وأبواب الجنّة المفتّحة عليهم ، فما بينهم وبين وجدانهم لأنفسهم في أسفل الدركات وما نزلوا فيه إلّا برفع الحجاب و حلول الموت ، فوجدوا ما عملوا وماوعدهم ربّهم حاضراً مشاهداً وحقّاً معايناً ، والله وليّ التوفيق .

وأنت ـ رحمك الله ـ انظر إلى سادات الأنام عليهم السلام ومحبّتهم وعشقهم بربّهم ودعواتهم ومناجاتهم ومخاطباتهم مع محبوبهم. وكذا انظر إلى أحبّتهم وأصحابهم وإظهار حبّهم لهم حتّى أنّ منهم من لم يستطع المفارقة وتقريرهم لهم ، تجد الحقّ وأصحابه . ونحن لم نجد أحداً منهم ومن أصحابهم أحبّ امرأة أجنبيّة أو شابّاً حسن الوجه فاستقروا عليه أو قرروا عليه، بل ورد المنع الأكيد عن مقدمات ذلك الحبّ ـ وهو النظر ـ في غاية الكثرة، حتّى أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله صرف ابن عبّاس ووجهه وهو شابّ راكب خلفه عن النظر إلى امرأة حسناء أوزجره[1] وأنّه وفد عليه وفد وكان فيهم شابّ حسن الوجه فأجلسه خلفه[2] .

---

(١) مستدرك الوسائل : الباب ٨٠ من أبواب مقدمات النكاح ، الحديث ٧ .
(٢) لم نجده .

واعلم يا أخي ، أنّ كلّ أحد يحشر مع من أحبّه ، فإن أردت الحشر مع نبيّك وآله وأصحابه فمرحباً وبسم الله ، وإن أردت الحشر مع بدويّة أو أمرد يزني بها أو يلاط به ويشتغلان طول عمرهما في الزنا واللواط و الفسوق والعصيان و ربمّا كانا كافرين فتتّخذهما صنماً تعبدهما من دون الله و تدخل تحت حزب الشيطان وتقارن عبده الأوثان ، فلك وعليك ، ولاحول ولاقوة إلّا بالله .

فصل

ببالي أنّه أنكر العارف الربّاني والحكيم الالهي على المولى التقي المجلسي ــ رحمه الله ــ في بعض كلماته بأمرين ، فإنّه لمّا قال الثاني : بأنّ «أدنى محبّة العبد لله تعالى و لرسوله صلى الله عليه وآله و الأئمّة عليهم السلام أن يكونوا أحبّ إلى العبد ممّا سواهم وآخر مراتبها العشق» فاعترض الأول عليه بأنّ « ما جعله أدنى يستلزم لاخراج أكثر المحبّين عن حصن ولايتهم لعصيانهم لهم كثيراً ، و هو يستلزم إيثار أنفسهم والمعصية على ربّهم ورسولهم وإمامهم وعلى الطاعة ، و إلّا فكيف يعصون و يختارون للمعصية ؟ فيلزم عدم كونهم من المحبّين » و بأنّ « لفظ العشق لم يوجد في كلام الله و كلام الرسول والعترة وإنّما هو من مخترعات المتصوفة واستعمالاتهم» .

أقول : أمّا الأول : فسيجيء الكلام عليه وعلى الآيات وعلى الأخبار النافية للايمان عمّن لم يكن الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما أوالمفسّرة للايمان بتلك الأحبّيّة : من الحمل على الايمان الكامل ، وعلى وجود تلك الأحبّيّة في كلّ مؤمن ومعارضة الشقاء وغلبته حتّى عصى واختاره على الطاعة ، لأنّ الغير صار أحبّ . نعم ، روح الايمان فارقته حينئذٍ لتلك المعارضة والغلبة لاأصله .

وأمّا الثاني : ففيه أنّ لفظ «العشق» موجود في الأخبار مثل ما رواه ثقة الاسلام ــ في الكافي باب العبادة ــ عن عليّ بن إبراهيم، عن محمّدبن عيسى ، عن يونس

عن عمرو بن جميع ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها وأحبّها بقلبه وباشرها بجسده وتفرغ لها ، فهو لايبالي على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر» [1] ولعلّه يوجد في سائر الأخبار أيضاً.

وبالجملة: فلا أرى حجراً في إطلاق تلك اللفظة وإن صار من شعار الصوفيّة.

فصل

قد عرفت أنّ للمحبّة درجات ومراتب، فاعلم أنّها كلّها لاتنفي مجامعة محبّة الغير ، كالمرتبتين الاولين ، والمانعة عن المجامعة إنّما تنافي محبّة الغير المغاير محبّته لمحبّة المحبوب ، دون ما يرجع إليها .

وتفصيل ذلك : أنّ المراتب الثلاث المتأخّرة لايجامع محبّة الغير المغايرة لمحبّة المحبوب . وأمّا ما يرجع إلى محبّة المحبوب : فلابأس به ، لأنّه ليس هناك محبّة غير المحبوب ، لأنّ ذلك الغير من متعلّقاته .

وللناس من النظم والنثر إظهار المحبّة لقبيلة المحبوبة وكلبها ودارها وسائر ما يتعلّق بها. بل في الحقيقة ذلك من كمال محبّتها لأنّه من منافياتها ، لكن يكون كذلك حيث لم يتّخذه أصيلاً بل تبعاً ، وذلك كدخول سلطان في حصن وتخليته له وانفراده به، فيقال ذلك، مع أنّه معه جنده وخدامه . فكذا بيت القلب بالنسبة إلى سلطان المحبّة و المحبوب ، فلابدّ من كون المحبوب سلطان هؤلاء وأصلاً، لاالعكس ولاالمشاركة .

ومن هنا تعرف أنّ من غلا في الأئمّة أو الأنبياء فهو عدوّ لله ولهم، وكذا من عبد الأصنام مع الله ، ولذا في الأخبار « أحبّوني لحبّ الله » [2]. وكذا أمر بحبّ عليّ ، لأنّه من رسول الله صلى الله عليه وآله فهي نصّ في لزوم هذه التبعيّة ، فمن

(١) الكافي : ج٢ ص ٦٨ ح٣ .

(٢) بحار الانوار : ج٧٠ ص١٤ .

أخذهم آلهة يعبدون من دون الله أم شركاء لله، أو أخذ بالوصي ورفض النبي صلى الله عليه وآله فكل هؤلاء هالكون، وليسوا من المحبين.

هذا، وأمّا المرتبتان الاوليان من المحبّة فيجامعان لمحبّة الغير إن لم يكن بينهما مضادة، كمحبّة الدنيا والآخرة، ومحبّة الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام مع محبّة أعدائهم، ومحبّة الله مع محبّة الدنيا.

واعلم أنّ في المجاز والحقيقة معاً تنصيصات وحكايات بنفي المجامعة، مثل حكاية العصفورة:

روي أنّ سليمان بن داود رأى عصفوراً يقول لعصفورة: لم تمنعيني من نفسك؟ ولو شئت لأخذت قبّة سليمان بمنقاري وألقيتها في البحر، فتبسّم من كلامه، ثمّ دعا بهما وقال للعصفور: تطيق أن تفعل ذلك؟ فقال: لا يا نبيّ الله، ولكن المرء قد يزيّن نفسه ويعظّمها عند زوجته، والمحبّ لا يلام على ما يقول فقال سليمان للعصفورة: لم تمنعينه عن نفسك؟ فقالت: يا نبيّ الله، إنّه ليس محبّاً ولكنّه مدعٍ، لأنّه يحبّ معي غيري. فأثّر كلام العصفورة في قلب سليمان وبكى بكاءً شديداً، واحتجب عن الناس أربعين يوماً يدعو الله أن يفرغ قلبه لمحبّته وأن لا يخالطها بمحبّة غيره [1].

وفي أخبار كثيرة قدسيّة وغير قدسيّة أنّ محبّة الله تعالى لا يجامع محبّة الدنيا كما لا يجتمع الماء والنار، وقد سئل النبي صلى الله عليه وآله عن الايمان فقال: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليك ممّا سواهما [2].

وفي خبر آخر «لا يؤمن العبد حتّى أكون أحبّ إليه من أهله وماله والناس أجمعين» [3] وفي رواية اخرى «ومن نفسه» [4]. وفي العيسويّات «قال الله

(١) بحار الانوار: ج١٢ ص ٩٥.
(٢) كنز العمال: ج ١٥ ص٨٠٨ ح٤٣٢١٢.
(٣) بحار الانوار: ج ٧٠ ص٢٤ ح٢٥.
(٤) كنز العمال: ج١ ص٤١ ح٩٣.

تعالى: يا عيسى، إنّي إذا اطّلعت على قلب عبد فلم أجد فيه حبّ الدنيا والآخرة ملأته حبّي»[(١)] . وفي الداوديّات «قال : يا داود إنّي حرمت على القلوب أن يدخلها حبّي وحبّ غيري»[(٢)]. وقال الله تعالى : «قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم و أموال اقترفتموها و تجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربّصوا حتّى يأتي الله بأمره و الله لا يهدي القوم الفاسقين »[(٣)] . و الحقّ أنّ نفي المحبّة عن المجامعة لمحبّة الغير محمول على نفي الكمال لنقصانها بالاشتراك وبالضعف ، ولذا قبل الشركة . وأمّا لزوم كون الله ورسوله أحبّ ممّا سواهما : فمحمول على طلب المحبّة الكاملة وعلى الايمان الكامل ، أو على أنّه لامشاركة في المحبّة الحقيقية إلّا على سبيل التبعيّة ، إذ يلزم التوحيد و الاقرار بأنّ كلّ نعمة له وأنّه أكمل من كلّ شيء وأجمل ، وحينئذ يلزم التبعيّة ، وآية ذلك أن يكون الأصل أحبّ . أو نقول : الأحبّيّة غاية ما تنفيه كون الغير أحبّ ، ولايستلزم لعدم محبّة الغير ، واللازم هو الأول و هو حاصل ولايستلزم عدم المعصية أيضاً ، كما توهّم فيما تقدم . كما ترى أنّ المريض يأكل أو يشرب ما يضره لاختيار العاجل ، مع أنّ صحّة نفسه وبقاءها أحبّ إليه فيتناول ما يضره من غلبة ميل النفس على محبّته وضعف المحبّة لامن عدم محبّة نفسه وصحّته . نعم ، المحبّة الكاملة تستلزم الاطاعة وعدم العصيان وهو غير منكور ، بخلاف الأحبّيّة أومطلق المحبّة ، فإنّهما يجامعان للعصيان . والتعبير في الآية بأحبّيّة ما ذكر من الله و رسوله لعلمه تعالى بأنّ عصيانهم كذلك أو لضرب من التشبيه ، فإنّ فعلهم يشابه فعل من يكون ما ذكر في الآية أحبّ إليهم من الله ورسوله ، و كلّ

---

(١) و(٢) لم أجدهما في باب حب الدنيا من البحار .

(٣) التوبة : ٢٤ .

عصيان يوجب اللوم والتوبيخ لذلك إن كان بغلبة الشقاء ، وأمّا ما كان بعدم المحبّة والايمان فهو عصيان كافر . وإلى ما ذكرناه اشير إليه في قوله تعالى : «قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله »(١) فالغرض نقصان المحبّة مع العصيان وطلب كمالها ، ولذا جعل في الأخبار التقوى فوق الايمان بدرجة ، فكمال المحبّة يستلزم الطاعة ، وعصيان المحبوب موجب لنقص الايمان والمحبّة ومفارقة روحه . وحينئذٍ إيثار الغير في المحبّة كفر ،واشتراكهما شرك ، وفي العقل عصيان وكفر ، معصية يفارق معه روح الايمان . ويكفي أنّ اللازم أحبّيّة الله تعالى ولا ينافي حبّ الغير كالأموال والأبناء لالله ، غاية الأمر نقصان المحبّة حينئذٍ . وأمّا إيثار رضا الغير فلا يستلزم أحبّيّته ، غاية ذلك نقصان محبّة الله حينئذٍ وغلبة الشقاء ، فافهم . وهذا أجود إلّا في أعداء الله ، فاللازم بغضهم ولا يجامع محبّتهم بمقدار رأس ابرة لمحبّة الله ورسوله وأوصيائه صلوات الله عليه وعليهم أجمعين . و محبّتهم عليهم السلام للأبناء إمّا لله و هو الأوجه ، أو أنّها محبّة مضمحلّة وشفقة بمقتضى الطبيعة البشريّة لامحبّة حقيقة . وسؤال الحسين عليه السلام أو الحسن عليه السلام محمول على أحد الوجهين .

روي أنّه سأل الحسن عليه السلام يوماً ، فقال : أتجتمع محبّتان في قلب واحد ؟ فقال : لا يا بنيّ ، فقال : أتحبّ أبي؟ قال: نعم ، قال : أفتحبّ أمّي؟ قال: نعم ، قال: أفتحبّ أخي ؟ قال : نعم قال : أفتحبّني أنا ؟ قال : نعم ، قال : أفتحبّ الله تعالى ؟ قال: نعم، قال الحسن عليه السلام : فكيف اجتمعت هذه المحبّات كلّها وأنت قلت لاتجتمع محبّتان في قلب واحد؟ فقال صلّى الله عليه وآله : إنّ حبّكم يرجع إلى حبّ الله تعالى، فحبّ الله في قطب القلب وحبّكم كالخطوط الّتي هي حوله ، فهذا الحبّ كلّه واحد(٢) .

وهذه توابع لمحبّة الله ، كما أشار إليه صلّى الله عليه وآله بقوله : «فحبّ الله في قطب» ... إلخ .

---

(١) آل عمران : ٣١ . (٢) الانوار النعمانية : ج ٣ ص ١٨٠ .

وروي أنّه سأل الحسين عليه السلام أباه يوماً عن ذلك ، فقال : ما قولك فيه ؟ قال الحسين عليه السلام: لو خيّرت بين قتلي وترك الايمان ماذا تختار؟ فقال الأمير عليه السلام: أختار القتل ، فقال الحسين عليه السلام: تلك إذاً شفقة لا محبّة ، فحسّنه عليه السلام ودعا له [١].

وانظر إلى قوله عليه السلام : «لو خيّرت بين قتلي ... إلخ» وما أجابه عليه السلام.

ثمّ إنّه قيل: والعلامة أنّه لو خيّر بين المحبوب وبين الغير ترك الغير، وعلامة الشفقة إيثار الغير وعلامة المحبّة إيثار المحبوب .

أقول: ومن هنا أنّ الموالين لهم لو اعطوا جميع الدنيا وقتلوا لا يترك كونهم، وإن عصوهم بغلبة الشقاء. وقد تقدم في فضل محبّتهم بعض الأخبار في ذلك. وعلامة المحبّة الكاملة إيثار المحبوب ورضاه في القلب والعمل معاً والتسليم والاطاعة له، كما في قوله تعالى : «قل إن كنتم تحبّون الله» الآية. ثمّ من الشفقة بكاء النبيّ صلى الله عليه وآله على ولده إبراهيم شفقة عليه و رحمة و جعله عدم البكاء من القسوة . و كذا هو رحمة للعالمين بالرحمة العامّة والشفقة، ولا يحبّ إلّا المؤمنين، فنفي المحبّة قد يراد منه كون المنفيّ عنه ذلك شفقة ورحمة . وقد يراد نفي الكمال وإيثار المحبوب وأحبيّته من لوازم المحبّة مطلقاً إلى أن يبلغ المراتب العالية .

فتلخّص أنّ المحبّة تستلزم إيثار المحبوب على الغير، ويعلم من ذلك: أنّه لا يمكن جمع محبّتين في القلب، للزوم الايثارين المتضادين كتضادّ الماء والنار، ولذا ورد «أن حبّ الله وحبّ الدنيا لا يجتمعان في قلب» وكذا حبّ الدنيا والآخرة، فالشيئان المتضادان المتغايران متى اجتمعا أحدهما شفقة هو المؤثر عليه والآخر و هو المؤثر محبّة . نعم ، يجتمع التابع والأصيل ، و كلاهما محبّة ، و يرجع الأول إلى الثاني ، فلا تعدد ليتنافيا، و لذا اثبت في الأخبار حبّ الله و الحبّ في الله. هذا إذا لم يكن الغير مبغوضاً وعدوّاً للمحبوب، وإلّا فيلزم نقضه، وليس محلّاً للرحمة والشفقة . وأمّا إذا لم يكن الغير مبغوضاً فالشفقة والرحمة عليه لا بأس بهما وإن

(١) لم نعثر عليه.

لم تكونا لله ، و هما تجتمعان مع محبّة الله ، لكنّهما ليستا محبّة ولا ترجعان إلى محبّة الله أيضاً وإن كانتا تابعتين لها . وهي الأصيل المؤثّر عليهما .

وقد أذن الله سبحانه وتعالى فيهما لتوقّف النظام وتربية العباد عليهما، لكنّ البلوغ حدّ المحبّة مذموم حينئذٍ ويستلزم لنفي محبّة الله تعالى وإيثار الغير عليه، فالايثار لمحبّة الله تعالى لازم واجب وعصيانه لا ينافي محبّته، والمحبّة لله عين محبّته، كدخول سلطان في الحصن ، فيحتاج في بقائه إلى بقاء الحصن ، فحبّ الزوجة والمال و الولد والأقارب والأعوان لغرض ديني يرجع إلى حبّ الله تعالى و من اكتسب وأكل خير ممّن تخلّى للعبادة وأنفقه المكتسب ، كما في النصوص .

والرحمة والشفقة لا لله لا بأس بهما[1] لكن اللازم عدم أخذهما أصيلين، وبغض المبغوض واجب . والكمال في المحبّة وبغض ماليس لله والخلوص له تعالى، وهذه درجه الأصفياء إلى أن يبلغ أعلى مراتب المحبّة .

قال الصادق عليه السلام : حبّ الله إذا أضاء على سرّ عبد أخلاه عن كلّ شاغل وكلّ ذكر سوى الله، والمحبّ أخلص الناس سراً لله ، و أصدقهم قولاً ، و أوفاهم عهداً ، وأزكاهم عملاً ، وأصفاهم ذكراً ، و أعبدهم نفساً ، تتباهى الملائكة عند مناجاته وتفتخر برؤيته، وبه يعمر الله بلاده، وبكرامته يكرم الله عباده، يعطيهم إذا سألوه بحقّه، ويدفع عنهم البلايا برحمته ، فلو علم الخلق ما محلّه عند الله ومنزلته لديه ما تقربوا إلى الله إلّا بتراب قدميه[2] .

---

(١) ثم من الشفقة والرحمة فعل الانبياء مع الكفار لما ظنوا فيهم خيراً ، بل هما لله، قال الله تعالى: «وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم » . و قال رسول الله صلى الله عليه و آله : « اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون» . وظهر من مولانا الحسين عليه السلام فى كربلاء ما ظهر من الملاطفة. وكذا أميرالمؤمنين و الحسن و غيرهم صلوات الله عليهم أجمعين . فلما تبين عدم القابلية للرحمة هجروهم فى الله.ومن ذلك الدعاء على بعضهم ، فافهم . (منه رحمه الله) .

(٢) مصباح الشريعة: ص١٩٢ .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : حبّ الله نار لا يمرّ على شيء إلّا احترق ، و نور الله لا يطلع على شيء إلّا أضاء ، وسحاب سماء رحمته ماظهر من تحته شيء إلّا غطاه ، وريح الله ما تهبّ من شيء إلّا حركته ، و ماء الله يحيى به كلّ شيء ، وأرض الله ينبت منها كلّ شيء ، من الملك والملك [١] .

قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: إذا أحبّ الله عبداً من امّتي قذف في قلوب أصفيائه وأرواح ملائكته وسكّان عرشه محبّته ليحبّوه، فذلك المحبّ حقّاً طوبى له، ثمّ طوبى له ، و له عند الله شفاعة يوم القيامة[٢] . انتهى كلامه صلّى الله عليه وآله .

وقال عليه السلام أيضاً: المحبّ في الله والمحبوب في الله حبيب الله لأنّهما لا يتحابّان إلّا في الله [٣] .

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « المرء مع من أحبّ ، فمن أحبّ عبداً في الله فإنّما أحبّ الله ولا يحبّ الله إلّا من أحبّه الله [٤] .

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله :أفضل الناس بعد النبيّين في الدنيا والآخرة المحبّون لله المتحابّون فيه، و كلّ حبّ معلول يورث بعداً فيه عداوة إلّا هذين، وهما من عين واحدة يزيدان أبداً ولا ينقصان. قال الله عزّوجلّ: «الأخلّاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين » لأنّ أصل الحبّ التبري عن سوى المحبوب [٥] .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ أطيب شيء في الجنّة وألذه حبّ الله والحبّ في الله، والحمدلله [قال الله عزّوجلّ: وآخر دعواهم أن الحمدلله] ربّ العالمين، وذلك أنّهم إذا عاينوا في الجنّة من النعم هاجت المحبّة في قلوبهم فينا دون عند ذلك أن الحمدلله ربّ العالمين . انتهى كلامه صلوات الله عليه [٦] .

فانظر كيف حصر المحبّة الممدوحة في الأمرين وأوجب التبري عن سوى

(١)و(٢) مصباح الشريعة : ص ١٩٢و١٩٣ .

(٣) و(٤) و(٥) مصباح الشريعة: ص١٩٤ .

(٦) مصباح الشريعة: ص١٩٥ .

المحبوب وعدم محبّته، فالعشق المجازي الّذي ذكروه وابتدعوه باطل، كما تقدم، ويورث العداوة يوم الحسرة والندامة، وكذا سائر المحبّات لغير الله. وأمّا الشفقة: فقد عرفت أنّها ليست محبّة وإن بلغت حدّ المحبّة وخرجت عن حدّ الشفقة والرحمة فهي مذمومة أيضاً، كما ذكر. وقوله عليه السلام: «والحمدلله ربّ العالمين» عطف على الأمرين، فالأطيب والألذّ ثلاثة. ويحتمل الانشاء والاستئناف. وقوله: «وذلك» يكون علّة لانشائه الحمد عند ذكر الأمرين، كما يحمد أهل المحبّة. وعند هيجان المحبّة في قلوبهم وحصول الأمرين فيها، والحمدلله ربّ العالمين.

فصل

هل محبّة شخص يستلزم العكس ومحبّة المحبوب للمحبّ؟ يستفاد الأول من التجربة ومن النصوص والحكمة، فإنّ المرء مع من أحبّ ومحبّته لادراك ملاءمته له وتقاربهما طبعاً وخلقاً.

روى في الكافي ـ في كتاب العشرة ـ في باب نادر بسنده عن حمّاد بن عثمان، قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: انظر قلبك فإن أنكر صاحبك فإنّ أحدكما قد أحدث (١). ومثلها اخرى في الباب.

وروى في الباب مسنداً أيضاً عن صالح بن الحكم، قال: سمعت رجلاً يسأل أباعبدالله عليه السلام فقال: الرجل يقول: اودّك، فكيف أعلم أنّه يودّني؟ فقال: امتحن قلبك فإن كنت تودّه فإنّه يودّك (٢).

وروى في الباب مسنداً أيضاً عن مسعدة بن اليسع، قال: قلت لأبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام: إنّي والله لاحبّك، فأطرق ثمّ رفع رأسه، فقال: صدقت يا أبا بشر، سل قلبك عمّا لك في قلبي من حبّك، فقد أعلمني قلبي عمّا لي

(١) اصول الكافي: ج٢ ص٤٧٦ ح١.
(٢) اصول الكافي: ج٢ ص٤٧٧ ح٢.

في قلبك (١) .

وفي الباب مسنداً عن الحسن بن جهم، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام لا تنسني من الدعاء ، قال : وتعلم أنّي أنساك ؟ قال : وتفكّرت في نفسي و قلت : هو يدعو لشيعته وأنا من شيعته، قلت : لا ، لاتنساني ، قال : كيف علمت ذلك ؟ قلت : إنّي من شيعتك وإنّك تدعو لهم، قال : هل علمت بشيء غير هذا ؟ قال: قلت : لا ، قال: إذا أردت أن تعلم مالك عندي فانظر مالي عندك (٢) .

وتقريره عليه السلام لما قال يفيد صحّة إخبار الرجل لأخيه بدعائه له و بزيارته نيابة عنه وهكذا إذا فعل ذلك على العموم ، كما ورد في الزيارة أيضاً ، ويدلّ على صحّة التورية أيضاً و جوازها ، و فيها أخبار . و في كونها كذباً مجوزاً إلى غير ذلك وجهان، الظاهر الثاني، وقد حقّقناه في محلّه.

وفي « الحديقة » عن الباقر عليه السلام « اعرف المودّة لك في قلب أخيك بماله في قلبك» (٣) إلى غيرذلك. ولو أحبّ عدوّان أحداً فقضيّة التلازم يستلزم محبّة المحبوب لهما ، فيلزم محبّته لعدوّ المحبّ، وقدمرّ منافاتها للمحبّة .

وفيه : أنّ اللازم بغض عدوّ المحبوب ومبغوضه، كما يلزم حبّ محبوبه ومتعلّقاته، لا أنّ هناك ملازمة واقعيّة في الجميع، وإنّما يختصّ التلازم الواقعي بما بين المحبّ والمحبوب .

نعم، فيما كان مع المحبوب متّحداً يمكن ادعاء التلازم الواقعي، ومن ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله والوصيّ عليه السلام لأنّه نفسه، فإنّ عليّاً خيرالبشر من أبى فقد كفر، كما في الخبر (٤) . و الّذي أفهم من معناه أنّه نفس النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ إنّه نفسه ، لأنّهما

---

(١) و(٢) اصول الكافي : ج٢ ص٤٧٧ ح٣ و٤ .

(٣) حديقة الشيعة : ٥٣٩ .

(٤) بحار الانوار: ج٣٨ ص٦ ح٩ .

خلقا من نور واحد وروحهما واحدة وطينتهما واحدة، وهو بعضه وغذّاه من بدنه وربّاه في حجره، ولذا ورد في أخبار كثيرة أنّه «كذب من زعم أنّه يحبّني ويبغض عليّاً»[1] ووقع في بعضها التعليل بما ذكرناه. ففي البحار مرسلاً عنه «قال: خلقت أنا وعليّ بن أبي طالب من نور واحد، فمحبّي محبّ عليّ ومبغضي مبغض عليّ»[2] وكذا في أخبار كثيرة «أنّه آية الايمان و الكفر والنفاق، فمن أظهر بلسانه الايمان ويبغضه فهو في الواقع كافر ومنافق، في قلبه الكفر على خلاف ما أظهر بلسانه»[3] وهذا المعنى كان معهوداً بين الصحابة كانوا يميّزون بحبّه وببغضه المؤمن والمنافق، فلا يمكن محبّة الله ومحبّة النبيّ صلى الله عليه وآله والايمان بهما مع بغضه.

وهنا نكتة اخرى، هي أنّ محبّيهم خلقوا من طينتهم وأعداءهم من السجّين، فيحبّهم الأولون ويميلون إليهم بقلوبهم ولو ضربت أعناقهم لا يبغضونهم، ويبغضهم الآخرون ولا يؤمنون ولا يحبّونهم وإن ضربت أعناقهم، كما في الأخبار. وهذه النكت وإن جرت في فاطمة عليها السلام و سائر الأئمّة، إلّا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قاتل الكفّار، وقتل كثيراً من آباء الصحابة وأقاربهم وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ولم يخف في الله لومة لائم في حياة الرسول صلى الله عليه وآله و بعد موته، فمن كان مؤمناً رفض الكفّار وإن كانوا آبائهم ومن لم يكن من طينته دعاه ذلك إلى بغضه، فمن أحبّه كان مؤمناً وإن قتل أباه أو أنكر عليه منكراً وزجره، ومن لم يحبّه فهو كافر أبغضه بخبث طينته و لاجرائه المنكر والمعروف فيه أو في أقاربه. بخلاف فاطمة عليها السلام وبنيها عليهم السلام، فإنّ المؤمنين يحبّونهم لأنّهم فروعهم ومن طينتهم، وربّما يحبّهم بعض الفجّار بحسن معاشرتهم معهم وبلطخ بالمحبّين وعدم قتل وزجرلهم في زمنهم وعدم بسط يدهم، ولذا ورد أنّ هذا الاختصاص له عليه السلام وأمّا بنو فاطمة

---

(١) بحار الانوار: ج٣٩ ص٢٦١ ذيل حديث ٣٣.

(٢) بحار الانوار: ج٣٩ ص٢٦٦ ح٤٠.

(٣) بحار الانوار: ج٣٩ ص٢٩١ نقلا بالمعنى.

فيحبّهم البرّ والفاجر، فافهم .

ثمّ اعداؤه إمّا ولدزنا ـ ولومن الشيطان ـ أوحيض، والأخبار والحكايات في ذلك كثيرة ، وتحقّق صحّة ما ذكر بالتجربة فضلاً عن النصوص ، وهذا المعنى ثابت إلى يوم القيامة ، كما في الأخبار [١] ، ولا يختصّ بأهل زمانه عليه السلام بل هو عهد عهدالله تعالى إلى النبي ﷺ ويطّرد بحسب الأزمنة لأمثال النكت المزبورة والله العالم .

فصل

قد وردت [٢] ممّا ذكر عدم انفكاك محبّة النبي ﷺ عن محبّة الوصي عليه السلام وانفكاك محبّته عن محبّة فاطمة وبنيها عليهم السلام . لكنّ اللازم محبّتهم جميعاً ، لأنّهم فرع النبي ﷺ وذريّته وأحبّته ، كما أنّه يجب محبّة النبي ﷺ بحبّ الله تعالى إيّاه، ولذا ورد «أحبّوا الله لما يغذوكم من نعمه وأحبّوني لحبّ الله» [٣] فيجب محبّته لحبّ الله له ومحبّة آله وذريّته لمحبّة الله والرسول ﷺ لهم ولنعمتهم وحقّهم وحقّ النبي ﷺ لكن كلّ نعمة من الله تعالى فاضيفت إليه تعالى لذلك .

ثمّ من المقرر في العرف والعادة و عند الشعراء والعشّاق محبّة متعلّقات المحبوب حتّى كلبته وبلده وجيرانه وسائر متعلّقاته ، وهي ترجع إلى محبّته، كما تقدم .

وقال الشاعر :

أمرّ على الديار ديار ليلى	اقبّل ذا الجدار وذا الجدارا
و ما حُبّ الديار شغفن قلبي	ولكن حُبّ من سكن الديارا [٤]

---

(١) بحارالانوار: ج ٢٧ ص١٤٥ افردله باباً بعنوان «ان حبهم عليهم السلام علامة طيب الولادة وبغضهم علامة خبث الولادة» .

(٢) كذا في النسخة .

(٣) بحار الانوار: ج٢٧ ص٧٦ ح٥.

(٤) المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء: ج٣ ص ٣٠٠ .

فصل

قد ذكرنا أنّ الحبّ منه ما هو محبوب ومنه ما هو مبغوض، وليس كلّ حبّ محبوباً، و أنّ الأول حبّ الله وحبّ رسوله ﷺ والأئمّة والأنبياء وسائر أحبّاء الله، وأنّه ليس منه حبّ النسوة والأمارد، والتوصليّة إلى حبّ الله محة(١) مع أنّهم لم يقتصروا عليها.

وبالجملة: المحبوب منه ما يستحسن شرعاً أو عقلاً، وما ليس كذلك فهو مبغوض، كما في سائر الصفات، أو أنّ هنا محبّة مباحة هي محبّة الأولاد والأقارب للطبيعة البشريّة ـ على وجه تقدم ـ وفي جملها من المستحسنة على تقدير تحقّقها وجه يبتنى على تفسير الحسن والقبح.

ثمّ تفصيل هذا التقسيم وتحقيق الأقسام: أنّه من المتقرر في علم الأخلاق أنّ الأخلاق الفاضلة و الصفات المحمودة إنّما هي الصفات المعتدلة المتوسّطة والأخلاق المهذبة، وما هي في إفراط وتفريط كمّاً أو كيفاً فهي من المذمومة ومن الأخلاق الرديّة، و اصول الصفات الحسنة، أربعة: تحصل من تعديل و تهذيب القوة الشهويّة البهيميّة و القوة الغضبيّة السبعيّة و القوة العاملة الخياليّة الشيطانيّة والقوة العاقلة، فالشهوة المعتدلة المستحسنة عقلاً أو شرعاً عفّة، و الشهوة المفرطة الصادرة من دون قضاء أحدهما شرة، و ترك المقضيّ بها من أحدهما و التفريط في ذلك خمود، و الغضب المعدل المهذب شجاعة، والمفرط بالتخفيف تهور، و بالتشديد جبن، و العاملة المعتدلة عدل، و المفرطة ظلم، و المتفرطة عدم غيرة و ذلّ، و العاقلة المعدلة حكمة، و المفرطة جربزة، و المفرطة بلادة و بلاهة. فكلّ الصفات الحسنة مندرجة تحت هذه الأربعة وهي جنسها ومصدرها، كما أنّ الصفات الثمانية المذكورة أجناس للأخلاق

(١) كذا في النسخة، والظاهر أنها مصحف «والتوصل به الى حب الله محال».

السيّئة والصفات المذمومة .فالحكمة مصدر الفطنة والفراسة وحسن التدبير والتوحيد ونحوها،والشجاعة منشأ الصبر وعلوّ الهمّة والحلم والوقار ونحوها،والعفّة سبب النجابة والحياء والأمانة وطلاقة الوجه ونحوها ، والجربزة مصدر النكرى والمكر والحيلة ونحوها ، والبلاهة مصدر الحمق والجهل المركّب ونحوهما ، والتهور مصدر الكبر والعجب ونحوهما، والجبن مصدر سوء الظن والجزع والدناءة ونحوها ، والشرة مصدر الحرص وعدم الحياء والبخل والاسراف والرياء والحسد ونحوها، والخمود منشأ قطع النسل وترك المأكولات اللذيذة والرياضات الفاسدة والكسالة ونحوها .

وبالجملة : فالمستحسن من تلك الصفات استعمال تلك القوى فيما ينبغي عقلاً أو شرعاً ، والمذموم استعمالها فيما لاينبغي كذلك أو تعطيلها . فاستعمال القوة العاقلة الفكريّة في المعارف الحقّة بمقدار لايق ممدوح ومن الحكمة والزائد مذموم ، كذا عدم ثبات الفكر جربزة وتعطيلها بلادة وبلاهة ، واستعمال القوة الغضبيّة على وفق العقل أو الشرع كمّاً وكيفاً شجاعة ، وفيما حكم العقل أو الشرع بالاحتراز عنه تهور،وتعطيلها وعدم استعمالها فيما يجب عقلاً أو شرعاً ـ كالجهاد الواجب مع الكفّار والشيطان والنفس ـ جبن ، وهكذا .

وقد اشتهر الجبن في مقابل الشجاعة ، والشرة في قبال العفّة ، والجور في قبال العدالة ، والجهل في قبال الحكمة ، فأربع من الصفات المذمومة في قبال الصفات المستحسنة ، وهو كلام ظاهري . والتحقيق ماذكر : من أنّ المشي على الصراط المستقيم وفي سواء الصراط ووسط الطريق هو المستحسن والتجاوز عنه في طرفي الافراط والتفريط هو المذموم ، فثمانية في قبال أربع هي اصول الصفات المستحسنة وتندرج ما سواها منها تحتها ، وكذا الصفات المذمومة كلّها تندرج تحت هذه الثمانية .

نعم ، هنا كلام آخر لبعض المحقّقين ، مرجعه إلى إرجاع الأربع المستحسنة إلى الثلاث والثمانية المذمومة إلى الستّة ، إن العدالة هي انقياد القوة العاملة التي

شأنها الشيطنة للقوة العاقلة في جميع تصرفاتها ممّا يتعلّق بنفس العاقلة أو بالقوة الغضبيّة أو الشهويّة . فجميع الصفات الحسنة باعمال القوة العاملة القوى الثلاث الاخرى على وفق العاقلة . وحصول الفضيلة من تلك الثلاث بواسطة العاملة لا يوجب نسبة الفضيلة إلى العاملة مع أنّ مصدرها إحدى تلك الثلاث ، كما أنّ الرذائل مصدرها إحدى تلك الثلاث حين عدم انقياد العاملة للعاقلة ، ولا ينسب تلك الرذائل إلى العاملة حينئذٍ ، بل إلى القوى الثلاث الاخرى . فكلّ الفضائل مستندة إلى تلك الثلاث مع انقياد العاملة للعاقلة ويتعلّق بها بواسطة العاملة ، والرذائل كلّها تتعلّق بتلك الثلاث بواسطة العاملة عند عدم انقياد العاملة للعاقلة ، وهذا التوسّط لا يوجب الاستناد إلى الواسطة بل إلى متعلّقاتها ومصادرها .

فدائماً تتعارض العاقلة والعاملة في استعمال القوى الثلاث وما يندرج تحتها من القوى ، فإن غلبت العاقلة وتسلّطت ملائكة الرحمة حصلت الفضائل والخيرات ، وإن غلبت العاملة وجند الشيطان حصلت الرذائل والشرور وهذا أقرب إلى الحقّ .

فكلّ الفضائل تندرج تحت هذه الفضائل الثلاث ـ الحكمة والشجاعة والعفّة ـ المتعلّقة بالقوى الثلاث ، وكلّ الرذائل تندرج تحت أضدادها الستّة المتعلّقة بتلك القوى الثلاث أيضاً .

ثمّ التعلّق إمّا بواحدة منها أو اثنتين أو لجميع الثلاث ، وإن كان باعمال العاملة ، فالمتعلّق بالقوة العاقلة خاصّة مثل الجهل والعلم ، وبالقوة الغضبيّة كذلك مثل الغضب والذلّ ، وبالشهويّة كذلك مثل الحرص والقناعة ، والمتعلّق باثنتين من الثلاث أو بالثلاث كلّها إمّا بحسب التبعيض في الموارد أو على سبيل الاجتماع . فالأول : مثل حبّ الجاه ، فإن كان للعلوّ على الناس فهو متعلّق بالقوة الغضبيّة ، وإن كان لجمع المال وتنظيم أمر الأكل والشرب واللباس والجماع فهو متعلّق بالشهويّة . ومثل الحسد ، فإذا كان للعداوة فهو متعلّق بالقوة الغضبيّة ، وإن كان لاستجلاب نعمة المحسود إلى نفسه فبالشهويّة ، وهكذا . والثاني : كالحسد الناشيء

من العداوة مع رجاء حصول نعمة المحسود له بعد سلبها عنــه ، فهو متعلّق بالقوة الغضبيـّة والشهويـّة معاً. وكالغرور والميل إلى ما لاصلاح فيه وحسبه خيراً، لجهله، فإن كان ذلك الخير من مقتضيات القوة الشهويـّة فهــذه الرذيلة متعلّقة بالعاقلة والغضبيـّة معاً، وإن كان ذلك الخير من مقتضيات القوة الشهويـّة والغضبيـّة معاً فهذه الرذيلة متعلّقة بالثلاث : العاقلة و الغضبيـّة و الشهويـّة جميعاً. هذا مع تأثير كلّ من الصفات المجتمعة أثراً في حدوث الصفة ، و لــو أثـّرت قوة في صفـة على أن تحصل تلك الصفة من قــوة اخرى فليس من ذلك ، بل تستند تلــك الصفـة إلى الثـانية و إن كانت بواسطة القوة الاولى ، مثــل الغضب الحاصل بتلف شيء من الملائمات للقوة الشهويـّة فإنـّه متعلّق بالقوة الغضبيـّة حقيقة وإن كان الباعث على ايجاد القوة الغضبيـّة لهذا الغضب القوة الشهويـّة .

ثمّ إنّ الانسان لهقوى وجوارح كثيرة ، لكن كلّها خدام للأربعة المذكورة ولادخل لشيء منها في تغيير وتبديل أحوال مملكة النفس سوى هــذه الأربعــة الرؤساء ، وإنـّما تنشأ جميع الأخلاق الحسنة و السيـّئة من هذه الأربعة . و كلّ الخيرات الناشئة من القوة العاقلة إنـّما هي حال تسلّطها وغلبتهــا علــى الثلاث الاخرى . وجميع الشرور الناشئة منها في حال عجزها ومقهوريـّتها ومغلوبيـّتها عن الثلاث الاخرى ، فتصير خادمة لها مطيعة إيـّاها. حينئذٍ تأمر بالشرور وتنهى عن الخيرات . و القوى الثلاث الاخرى بالعكس ، فصدور الخير منها حال ذلّها وانكسارها ومقهوريـّتها تحت العقل ، وصدور الشرور منها إنـّما هي حال غلبتهــا على العاقلة. فهذه هي جنود العقل في حال وجنود الشيطان في اخرى، و كذا العقل.

كما أنّ الشيطان مطيع للأولياء ولاسبيل له عليهم ، ويغوي غير المخلصين من العباد ، ولذا قال النبيّ ﷺ : «ما منكم إلّا وله شيطان ، قالوا : وأنت يــا

رسول الله؟ قال : وأنا ، إلّا أنّ الله أعانني عليه فأسلم على يدي[1] .

ثمّ لكلّ من تلك القوى الأربع لذة وألم ، لذة كلّ في ما يوافق طبيعته ويناسب حيلته المخلوق لأجلها، وألمه في خلاف ذلك . فلذة العقل في العلم والمعرفة واليقين فخلقه لأجلها ، وألمه في الجهل والتحيّر. ومقتضى الغضبيّة القهر والانتقام فلذتها في الغلبة والتسلّط ، وألمها في المغلوبيّة . وخلق الشهويّة لتحصيل الغذاء وما يقوم به البدن ، فلذتها في الوصول إليها وألمها في حرمانها، وهكذا. فالقوى أربع وكلّ من اللذة والألم أيضاً أربعة : العقليّة والخياليّة والغضبيّة والشهويّة وأعلاها العقليّة ، والخياليّة وسطها، وأضعفها الحسّيّة ، كما تقدم .

ثمّ إنّه قد تقدم الكلام في الحبّ المستحسن الممدوح شرعاً وعقلاً وفي الحبّ المذموم ، وأنّ حبّ الأهل والعيال والمال لتقوية البدن واستفراغ البال والتخلّي للعبادة ممدوح ، ومنه تحصيل زيادة المادة على وجه حلال للتوسعة على العيال ولقضاء حوائج الاخوان وإعانتهم ،وتكثير الزوجة لكثرة النسل وامّة النبيّ صلّى الله عليه وآله والزيادة كمّاً وكيفاً وإفراطه مذموم ، كتكثير المال و العيال لاستلذاذ النفس . وأمّا محبّة النسوة والغلمان الأمارد لما يراد منهما على الوجه المذموم فقد عرفت حالها ، ولاسيّما مابلغت حدّ العشق ، ففيها إفراط كمّاً وكيفاً ، ولاحاجة بنا إلى الاعادة .

فصل

قد عرفت أنّ المحبّة لادراك الكمال وأنّها فرع الشعور والادراك .

قال مولانا الصادق عليه السلام : نجوى العارفين تدور على ثلاثة اصول : الخوف والرجاء والحبّ ، فالخوف فرع العلم ، والرجاء فرع اليقين ، والحبّ فرع المعرفة فدليل الخوف الهرب ، ودليل الرجاء الطلب ، ودليل الحبّ إيثار المحبوب على

(١) بحار الانوار: ج٦٣ ص٣١٩ و ٣٢٩ .

ما سواه ، فإذا تحقّق العلم في الصدر خاف، وإذا صحّ الخوف هرب ، وإذا هرب نجا، و إذا أشرق نورالیقین في القلب شاهد الفضل ، و إذا تمكّن منه رؤية الفضل زجى ، واذا وجد حلاوة الرجاء طلب، وإذا وفّق للطلب وجد، وإذا تجلّى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبّة ، و إذا هاج ريح المحبّة استأنس في ظلال المحبوب و آثر المحبوب على ما سواه وباشر أوامره واجتنب نواهيه واختارهما على كلّ شيء غيرهما ، فإذا استقام على بساط الانس بالمحبوب مع أداء أوامره و اجتناب نواهيه وصل إلى روح المناجاة و القرب ، و مثال هذه الاصول الثلاثة كالحرم و المسجد و الكعبة ، فمن دخل الحرم أمن من الخلق، ومن دخل المسجد أمنت جوارحه أن يستعملها في المعصية ، و من دخل الكعبة أمن قلبه من أن يشغله بغير ذكر الله ، فانظر أيّها المؤمن فإن كانت حالتك حالة ترضاها بحلول الموت فاشكر الله تعالى على توفيقه وعصمته ، وإن يكن الاخرى فانتقل عنها بصحّة العزيمة ، واندم على ما سلف من عمرك في الغفلة ، واستعن بالله تعالى على تطهير الظاهر من الذنوب وتنظيف الباطن من العيوب ، واقطع زيادة الغفلة عن قلبك ، واطف نار الشهوة من نفسك[1] . انتهى كلامه صلوات الله عليه وسلامه .

وقال الحسن عليه السلام : من عرف ربّه أحبّه ، ومن عرف الدنيا زهد فيها ، والمؤمن لا يلهو حتّى يغفل ، فإذا تفكّر حزن[2].

فقد تحقّق أنّ المحبّة ينوط بالعلم بحقيقة حال المحبوب و كماله و كلّما ازداد علماً ازداد حبّاً . و كذا العلم بإحسانه ونعمه ، فإنّ الانسان عبد الاحسان فعقد قلبه على حبّ المحسن فرع اعتقاد إحسانه ، يزيد بزيادته . و كذا العلم بتعلّقه بالمحبوب وانتسابه إليه ، فإنّ المحبّ يحبّ جميع ما ينتسب إلى المحبوب وهو فرع اعتقاد النسبة والرابطة. وهذه اصول أسباب المحبّة و كلّها فرع المعرفة.

---

(١) بحار الانوار : ج٧٠ ص٢٢ .

(٢) تنبية الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام) : ج١ ص٥٢ و٢٢٤ .

و كذا سائر الأسباب الّذي آتٍ في الفصول الآتية . وبالجملة: فكلّها فرع العلم والمعرفة ، كما هو واضح وأقمنا الدلالة عليه .

إنّما المهمّ بالبحث هنا أنّ محبّة الله الّتي غرضنا الأصلي البحث عنها بل يرجع إليها كلّ محبّة ـ كما اشير إليه و يأتي ـ فرع معرفته تعالى و الطريق إليه مسدود والطلب مردود إلّا بالتفكّر في صنعه و كماله و في دقايق العوالم والموجودات . وبدوام التفكّر والمراقبة والعبادة والطاعة يحصل زيادة المعرفة والمحبّة. قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: «الحمد لله الدالّ على وجوده بخلقه و بمحدث خلقه على أزليّته و بأشباههم على أن لا شبه له»[1] إلى آخر ما قال عليه السلام.

فالمعرفة فرع الاعتبار والنظر والتفكّر في المصنوعات المحدثات والتدبّر فيها والاستبصار بها ، ولاسبيل إليها بدونها ، ومن هنا امر بالتفكّر والنظر في غير آية من الكتاب وفي الأخبار وجعلا أفضل العبادة والطاعة . والتفكّر مفتاح المعرفة خصّت به النسخة الجامعة الانسانيّة، به يصل إلى الوطن الحقيقي ويحصل بعينه[2] ونور العلم والايقان ، قال الله تعالى : «أولم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلّا بالحق »[3] . و قال تعالى : « و في أنفسكم أفلاتبصرون »[4] و قال عزّ من قائل : « سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ أو لم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد »[5] وقال جلّ وعزّ: «أولم ينظروا في ملكوت السماوات و الأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأيّ حديث بعده يؤمنون»[6] و قال تعالى : «الّذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع

---

(١) نهج البلاغه : الخطبة ١٥٢ ص٢١١ .

(٢) فی العبارة سقط أو تصحيف . (٣) الروم : ٨ .

(٤) الذاريات : ٢١ . (٥) فصلت : ٥٣ .

(٦) الاعراف : ١٨٥ .

البصر هل ترى من فطور * ثمّ ارجع البصر كرّتين»[١] وقال الله تعالى: «فاعتبروا يا اولي الأبصار»[٢]. وقال تعالى: «إنّ في خلق السماوات والأرض و اختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الألباب»[٣]. وقال تعالى: «الّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرون في خلق السماوات والأرض ربّنا ماخلقت هذا باطلاً»[٤]. إلى غير ذلك ممّا دلّ على الأمر بالتدبّر والتفكّر في الآفاق والأنفس و الاستعانة بهما على تحصيل المعرفة ليثمر المحبّة والزهد في الدنيا والعمل بالطاعات.

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله «إنّ التفكّر حياة قلب البصير»[٥]. و عنه «إنّ فكرة ساعة خير من عبادة سنة»[٦]. ولاينال منزلة الفكر إلّا من خصّه الله بنور التوحيد والمعرفة. وعنه «خير العبادة صرف الفكر في الله وفي قدرته»[٧]. والمراد بالتفكّر فيه تعالى التفكّر في عجائب صنعه للنهي عن التفكّر في ذاته.

وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «نبّه بالتفكّر قلبك وجاف عن الليل جنبك واتّق الله ربّك»[٨]. وعنه عليه السلام «التفكّر يدعو إلى البرّ والعمل به»[٩].

وعن الباقر عليه السلام «إنّ بجولان الفكر يحصل الرأي النافع كثيراً»[١٠].

وعن الصادق عليه السلام: «إنّ الفكر مرآة الحسنات، و كفّارة السيّئات، وضياء

---

(١) الملك: ٣و٤. (٢) الحشر: ٢.

(٣) آل عمران: ١٩٠.

(٤) آل عمران: ١٩١.

(٥) بحار الانوار: ج٩٢ ص١٧.

(٦) بحار الانوار: ج ٧١ ص٣٢٦.

(٧) الكافي: ج٢ ص٤٥ ح٣ مروى عن الامام الصادق (ع) و بلفظ «أفضل» بدل «خير» و«ادمان» بدل «صرف».

(٨) بحار الانوار: ج٧١ ص٣١٨.

(٩) بحار الانوار: ج٧١ ص٣٢٢. (١٠) لم نعثر عليه في الكافي والبحار.

القلوب ، وفسحة للخلق ، وإصابة في إصلاح المعاد ، واطّلاع على العواقب ، واستزادة في العلم ، وهي خصلة لايعبدالله بمثلها»[(١)].

وعن الرضا عليه السلام «إنّ كثرة الصلاة والصوم ليست عبادة ، بل العبادة التفكّر في أمر الربّ تعالى»[(٢)] إلى غير ذلك .

واعلم: أنّ في كلّ ذرة من ذرات العالم من أنواع عجائب الحكم وغرائب عظمة الله تعالى مالايمكن لخلق الأولين والآخرين من العلماء والحكماء إدراك عشر من معشارها ولو جدّوا جهدهم ، فكيف بالاحاطة على دقايق الجميع ؟ واعلم أيضاً : أنّ الموجودات كثيرة لاندري أكثرها بوجه مجمل ولامفصّل ولا نهتدي إليها أصلاً وما سمعنابها وما دريناه إجمالاً، قسمان منها : غير المحسوسات، كعالم الملكوت بما فيه كعالم العقول والنفوس والملائكة والجنّ والشياطين ، وله أنواع متعددة وطبقات كثيرة .

ومنها: المحسوسات، كعالم الأفلاك بمافيهامن الكواكب الثابتة والسيّارات وعالم الهواء بمايشاهد فيه من الرعد والبرق والأمطار والثلوج والبرد والصواعق والرياح وغيرها، ولكلّ منها أيضاً أنواع وطبقات، وعالم الأرض بمافيهامن الارتفاع والانخفاض والجبال والبحار والفيافي والأنهار والمعادن والأشجار والنباتات والجمادات وغيرها.

وتلك العوالم مختلفة في العظمة والحقارة ، وأحقرها الأرض ، فهي بالنسبة إلى الهواء حقيرة جداً لاقدرلها ، بل هي كذلك بالنسبة إلى الماء . وكذلك عالم الهواء بالنسبة إلى الأفلاك. وكذلك الأفلاك بالقياس إلى عالم المثال، وهو بالقياس إلى عالم الملكوت ، وهو بالقياس إلى عالم الجبروت ، وجميع ذلك بالنسبة إلى العوالم التي لاسبيل لنا إليها أصلاً بوجه من الوجوه .

ونحن نتكلّم على أصغر ما في أصغر العوالم ، وهي الأرض ، فنقول : أصغر

---

(١) بحار الانوار : ج ٧١ ص ٣٢٦ .

(٢) بحار الانوار : ج ٧١ ص ٣٢٢ .

ما فيها البعوض والنمل وفيهما من العجائب والغرائب مالايحصيها إلّاالله تعالى .

فالبعوضة : مع صغر جثّتها خلقها الله على شكل الفيل الّذي هو أعظم الحيوانات ، إذ جعل لها خرطوماً مثل خرطومه وجعل لها مع شكلها الصغير مثل سائر أعضاء الفيل بزيادة جناحين ذابانيتين[1]، و قد قسّم الله أعضاءها الظاهرة مع صغر جثّتها والباطنة، فأنبت جناحها وأخرج يدهاورجلهاوشقّ سمعهاوبصرها و جعل لها رأساً و بطناً ، و في باطنها من أعضاء الغذاء و آلاته ما دبّرة في سائر الحيوانات و ركّب فيها جميع القوى اللازمة في حفظ البدن : من الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة والنامية ، مع صغر شكله ، وهداها إلى غذائهاوهو دماء الحيوانات ، وأنبت لها آلة الطيران لتطير في طلب الغذاء ، وخلق لهاالخرطوم الطويل المحدد الرأس المجوف مع دقّته لتمصّ به الدم الصافي ،وانظر كيف هداها إلى مسام بشرة الانسان وسائر الحيوانات حتّى تضع خرطومها فيه ، و كيف قوّاها على غرز الخرطوم فيه، و كيف علّمها المصّ والتجرع للدم ، و كيف عرفها عداوة الانسان وقصده لها بيديه فعلّمها حيلة الهرب ، وخلق لها السمع الّذي تسمع به خفيف حركة اليد ، تحتمل الاجفان وكانت الأجفان مصيقلة لمرآة الحدقة عن الغبار ، خلق لها و لسائر الحيوانات الصغيرة يدين لتبعد بهما الغبار ، ولذا ترى على الدوام تمسح الحيوانات الصغيرة حدقتها بيديها ، فهذه لمعة يسيرة من عجائب صنعه تعالى في أصغر الحيوانات ، وفيها من العجائب مالو اجتمع الأوّلون والآخرون على الاحاطة بكنهه عجزوا عن حقيقته ولم يطّلعوا على امور جليّة من ظاهر صورته ، فأمّا خفايا معاني ذلك فلا يطّلع عليه إلّا الله تعالى .

وأمّا **النملة** : ففيها مضافاً إلى عجائب خلقتها المعلومة ممّا ذكر في البعوضة عجائب وغرائب في جمع غذائها وتدبيرها فيه . ولنذكر فيها كلام مولانا الصادق عليه السلام في توحيد المفضّل .

(١) الظاهر أنها مصحفة «ذى زبانيتين» .

قال عليه السلام : انظر إلى النمل واحتشاده في جمع القوت وإعداده ، فإنّك ترى الجماعة منها إذا نقلت الحبّ إلى زبيتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام أو غيره ، بل للنمل في ذلك من الجدّ والتشمير ماليس للناس مثله ، أما تراهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل ثمّ يعمدون إلى الحبّ فيقطعونه قطعاً لكي لاتنبت فيفسد عليهم ؟ فإن أصابه ندى أخرجوه فنشروه حتّى يجفّ ، ثمّ لا يتّخذ النمل الزبية إلّا في نشر من الأرض كي لايفيض السيل فيغرقها، فكلّ هذا منه بلاعقل ولارويّة بل[خلقة] خلق عليها لمصلحة لطفاً من الله عزّ وجلّ»[1] .
انتهى كلامه صلوات الله وسلامه عليه .

ومن الحيوانات الصغيرة **النحل** : فانظر إلى ما فيها من عجائب التدبير والسياسة ، مضافاً إلى مافيها من عجائب الخلقة الّتي مرت في البعوضة ، فكيف أوحى الله تعالى إليها حتّى اتّخذت من الجبال بيوتاً ومن الشجر وممّا يعرشون؛[2] و كيف استخرج من لعابها الشمع و العسل وجعل أحدهما ضياءً والآخر شفاءً ؟ ثمّ لو تأمّلت عجائب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار واحترازها عن النجاسات والأقذار وطاعتها لواحد من جملتها هو أكبر منها شخصاً وهو أميرها، ثمّ ماسخّر الله له أميرها من العدل والانصاف بينها حتّى أنّه ليقتل على باب المنفذ كلّ ما وقع منها على نجاسة ، لقضيت منها العجب إن كنت بصيراً في نفسك .

ثمّ انظر إلى بنائها بيوتها من الشمع و اختيارها من جملة الأشكال الشكل المسدس فلا تبني بيتها مستديراً ولامربّعاً ولامخمّساً بل مسدساً ، لما في شكل المسدس من الخاصيّة الّتي يقصر عن إدراكها فهم المهندسين ، و هو أنّ أوسع الأشكال وأحواها المسدس وما يقرب منه ، فإنّ المربّع تخرج منه زوايا ضايعة في الباطن ، إذ شكل النحل مستدير ، فترك المربّع حتّى لاتضيع الزوايا فتبقى

---

(١) بحار الانوار : ج٣ ص١٠٢ .
(٢) اقتباس من سورة النحل : ٦٨ .

فارغة ، و لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضايعة ، فإنّ الأشكال المستديرة إذا جمعت لم تجمع متراصّة ، ولاشكل في الأشكال ذوات الزوايا يقرب في الوسعة والاحتواء من المستدير ، ثمّ تتراصّ الجملة منه بحيث لاتبقى بعد اجتماعها فرجة إلّا المسدس ، وهذا خاصيّة هذا الشكل ، فانظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صغر جرمها ماهي محتاجة إليه ليهنأ عيشها ، فسبحانه ما أعظم شأنه ! وأوسع لطفه و امتنانه ! وإلى هذه الجملة أشار مولانا الصادق عليه السلام في توحيد المفضّل .

قال عليه السلام : انظر إلى النحل واحتشاده في صنعة العسل و تهيئة البيوت المسدسة ومايرى في ذلك من دقائق الفطنة ، فإنّك إذا تأمّلت العمل رأيته عجيباً لطفياً وإذا رأيت المعمول وجدته عظيماً شريفاً موقعه من الناس ، وإذا رجعت إلى الفاعل ألفيته غبيّاً جاهلاً بنفسه ، فضلاً عمّا سوى ذلك ، ففي هذا أوضح الدلالة على أنّ الصواب و الحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل ، بل هي للّذي طبّعه عليها وسخّره فيها لمصلحة الناس [1] . انتهى كلامه صلوات الله عليه .

وبالجملة: فعجائب كلّ مخلوق في غاية الكثرة لايسع الانسان إدراك الجميع بالواحد منه وإنّما اهتدينا إلى قليل من الكثير ببركة الأئمّة عليهم السلام وما افيض منهم على علمائنا الكرام - رضوان الله عليهم - وأنت إذا أردت الاهتداء إلى بعض من تلك الجلمة فعليك بمطالعة توحيد المفضّل وخطب نهج البلاغة و سائر أخبار العترة الطاهرة و الحكماء الالهيّين صلوات الله عليهم أجمعين و كلمات العلماء الأطياب - رحمهم الله تعالى - وبالتدبّر في المخلوقات فلعلّك تظفر بجزء من ألف ألف ألف جزء ، فبالنظر فيما ذكر و أمثاله تزداد المعرفة وبزيادة المعرفة تزداد المحبّة

قال الشيخ السعيد «ابن الورام» في مجموعته بعد ذكر نحو ممّا ذكرناه :

(١) بحار الانوار: ج ٣ ص١٠٨ .

فإن كنت طالباً لقاءالله تعالى فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدائم والفكر اللازم ، فعساك تحظي منهابقدر يسير ، ولكن تنال بذلك اليسير ملكاً عظيماً لا آخر له ، فاولوا النظر والفكر إذا اطّلعوا على عجائب صنع الله في خلقه رأوا من عجائب صنعه ماتنبهر به عقولهم ويتحيّر به لبّهم فيزدادون لامحالة إجلالاً وإعظاماً ، وكلّ ما ازدادوا على جميع صنع الله اطّلاعاً استدلّوا بذلك على عظمة الصانع و جلاله وازدادوا بهمعرفةً وله حبّاً ، عاملين بكثيرمن الطاعات مجانبين كثيراًمن المذمومات . مثال ذلك : أنّ من كان عالماً بالفقه له مصنّفات كثيرة إذا نظر فقيه في مصنّفاته رأى منهامايعجبهفاستحسنه عرف به فضله أحبّه لامحالة ، فكلّ ما اطّلع في مصنّفاته ازداد له حبّاً . وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر أنّه جيّد الشعر فيحبّه . وإذا سمع من غرائب شعره ماعظم به حذقه وصنعته ازداد به معرفةً وازداد به حبّاً . وكذلك سائر الصناعات والفضائل . والعامّي قديسمع أنّ فلاناً مصنّف وأنّه حسن التصنيف ، و لكن لا يدرك ما في التصنيف، فيكون معرفته به ناقصة وحبّه لهقليل. والبصير إذا فتّش على التصانيف واطّلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبّه لامحالة ، لأنّ عجائب الصنعة من الشعر والتصنيف تدلّ على كمال صفات الفاعل، فتزداد القلوب له محبّة، وإذا رسخت المحبّة حصل منها الرضا بجميع ما يأتي من قبل الله تعالى من مرض وصحّة وفقر وغنى وشدة ورخاء وبؤس ونعماء . قيل : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله مرّ بقوم ، فقال لهم : ما أنتم ؟ فقالوا : مؤمنون ، فقال : ما علامة إيمانكم ؟ قالوا : نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء، فقال: مؤمنون وربّ الكعبة. وفي خبر آخر: أنّه قال: حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء. وفي الخبر : طوبى لمن هدي للاسلام وكان رزقه كفافاً ورضي به . وقال صلّى الله عليه وآله : من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل . وقال أيضاً: إذاكان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من امّتي أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان

يسرحون فيها ويتنعّمون كيف شاءوا، فيقول لهم الملائكة : هل رأيتم حساباً؟ فيقولون : ما رأينا حساباً،فيقولون : هل جزتم على الصراط ؟ فيقولون : ما رأينا صراطاً، فيقولون لهم: هل رأيتم جهنّم؟ فيقولون: ما رأينا شيئاً ، فتقول الملائكة: من امّة من أنتم ؟ فيقولون : من امّة محمّد صلى الله عليه وآله ، فيقولون : ما عملكم في الدنيا ؟ فيقولون : خصلتان كانتا فينا ، فبلغنا الله هذه المنزلة بفضل رحمته، فيقولون: و ما هما؟ فيقولون: كنّا إذا خلونا نستحيي أن نعصيه ونرضى باليسير ممّا قسم لنا ، فيقول الملائكة: يحقّ لكم هذا [1]. إلى آخر ما ذكره . و سيجيء تتمّة كلامه في الفصول الآتية إن شاء الله .

فصل

في ثمرات المحبة ودلائلها ولوازمها

اعلم: أنّ على كلّ حقّ حقيقة ولكلّ شيء علامة ـ كما مرّ في النبويّ صلى الله عليه وآله ـ ومن تلك الجملة المحبّة . فمن أراد اطمئنان قلبه فليستكشف ويستفتش حتّى ظهرت له الحقيقة. وقد كان الأنبياء و الأولياء في هذا المقام على اضطراب يسألون الله محبوبهم لاطمئنان قلبهم، كما سأل الخليل عليه السلام إحياء الموتى ليطمئنّ قلبه بالخلّة [2] وأنّه هو الخليل الوفيّ الصادق السليم المطلق الّذي يسأل عن ذلك وكما مرّ في قصّة شعيب [3] وهكذا .

فبالحريّ لاولي الألباب استكشاف حال سرائرهم بتلك العلامات . قال بعض العارفين :

لا تخدعنّ فللمحبّ دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل

واعلم أيضاً : أنّ غرض خالق العالم من خلق هذا العالم المعرفة و العبادة

---

(١) تنبيه الخواطر (المعروف بمجموعة ورام) : ج١ ص٢٢٩ .

(٢) بحار الانوار : ج١٢ ص٦٢ ح٧ .

(٣) بحار الانوار : ج١٢ ص٣٨٠ ح١ .

واستكمال المخلوقين والسلوك بهم في مسلك اليقين ومشاهدة ربّ العالمين، فقذف المحبّة في قلوب أصفيائه عوناً على هذا الغرض لطفاً منه وكرماً، فأمرهم بالفكر والذكر والنظر والتدبّر في مصنوعاته ومخلوقاته ليظهر لهم كمال قدرته وعموم نعمته، فعرفوه وأحبّوه، وطلبوه فوجدوه، وأنسوا به وتوجّهوا إلى مقصود ربّ الأرباب، وحصّلوا ما هو المقصود في هذا الباب: من إيثار المحبوب والاستئناس في ظلال رحمته ومباشرة طاعته والقيام بوظائف خدماته والدوام بذكره، فيستأهلوا لروح المناجاة والقرب وإقبال الربّ تبارك وتعالى واستأمنوا من بعده وقلاه، فدخلوا في كعبة القاصدين ولم يروا غير الله وسواه، فيأتيهم اليقين. والحمدلله ربّ العالمين. وأرشدهم إلى ذلك فيما خلق فيهم من المحبّات وما جعل لها من الدرجات، وذكر لهم في محكم كتابه قصص المحبّين تتميماً للغرض وتنبيهاً على ما هو الغرض ثمّ شرح لهم مقامات العابدين ولوازم محبّته في منشور ولايته وعلى ألسن أوليائه وأحبائه من المتابعة والموافقة والصبر والرضا والشكر والتسليم ومحبّة الموت والتجافي عن المضاجع للعبادات والدعاء خوفاً وطمعاً وغير ذلك، بل رفض الدنيا والآخرة فقال تعالى: «لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم»[1] فمن اللازم تفصيل بعض من تلك الجملة وشرح هذا المجمل وإبراز مرامه من هذا الأمر المقنّع المشتبه، طلباً للفوز بالثواب، والله الأحد وليّ السداد والصواب.

فصل

اعلم: أنّ جملة علائم الحبّ ودلائله السهر وترك النوم، والخلوة بالمحبوب والمحادثة معه بعرض الأماني والآمال، وذكر الضراعة والابتهال، والاعتذار من من التقصير والتفريط في خدمته، والالتذاذ بفيض صحبته ورؤيته ولقائه، وهذا فرع على فرعه الذي هو الايثار. قال الله تعالى: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً وممّا رزقناهم ينفقون * فلاتعلم نفس ما اخفي لهم

(١) الحديد : ٢٣.

من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون » [١] .

روى عليّ بن إبراهيم القمّي في تفسير الآية بسنده عن أبي‌عبدالله عليه‌السلام قال: ما من عمل حسن يعمله العبد إلّا وله ثواب في القرآن إلّا صلاة الليل فإنّ الله لم يبيّن ثوابها لعظيم خطره عنده ، فقال : تتجافى . . . الآية [٢] .

وفي القدسيّات الموسويّة : يا بن عمران ! كذب من زعم أنّه يحبّني فإذا جنّه الليل نام عنّي، أليس كلّ محبّ يحبّ خلوة حبيبه، ها أنا ذا يابن عمران مطّلع على أحبّائي إذا جنّهم الليل حوّلت أبصارهم في قلوبهم ومثّلت عقوبتي بين أعينهم يخاطبوني عن المشاهدة ويكلّموني عن الحضور، يابن عمران ! هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينيك الدموع، وادعني في ظلم الليل فإنّك تجدني قريباً مجيباً [٣] .

وفي آخر: كن خلق الثياب جديد القلب تخفى على أهل الأرض وتعرف في أهل السماء حلس البيوت مصباح الليل ، [٤] الحديث .

وفي آخر : ألا بشّر المشّائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة [٥] .

وفي أخبار : إنّ على المزور كرامة الزائر و أنّه حقّ المزور أن يكرم الزائر [٦] .

وفي الخبر عن عليّ بن الحسين عليهما‌السلام : ما بال المتهجّدين في الأسحار من أحسن الناس وجوهاً ؟ قال : لأنّهم خلوا بربّهم فكساهم من حلل أنواره [٧] .

---

(١) السجدة : ١٦ و١٧ .

(٢) تفسير القمي : ج٢ ص١٦٨ .

(٣) الجواهر السنية في الاحاديث القدسية : ص٥٧ .

(٤) الجواهر السنية : ص٣١ .

(٥)و(٦) الجواهر السنية : ص٦٢ . (٧) علل الشرائع : ص٣٦٦ .

وفي القدسيّات المحمّديّة ﷺ : إنّ العبد إذا تخلّى بسيّده في جوف الليل وناجاه أثبت الله النور في قلبه، فإذا قال: يارب يارب، ناداه الجليل جلّ جلاله: لبّيك عبدي، سلني اعطك وتوكّل عليّ اكفك، ثمّ يقول جلّ جلاله لملائكته: يا ملائكتي ! انظروا إلى عبدي فقد تخلّى بي في جوف الليل المظلم والبطّالون لاهون والغافلون نيام، اشهدوا أنّي قد غفرت له (١) .

وفي آخر : أنّ الله تبارك وتعالى ينزل ملكاً إلى السماء الدنيا كلّ ليلة في الثلث الأخير وليلة الجمعة من أول الليل فيأمره وينادي هل من سائل فاعطيه؟ وهل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ يا طالب الخير أقبل ويا طالب الشرّ اقصر ، فلا يزال ينادي بذلك حتّى يطلع الفجر ، فإذا طلع الفجر عاد إلى محلّه من ملكوت السماء (٢) .

وفي آخر : قال ﷺ : يارب دلّني على عمل أتقرب به إليك، قال: اجعل ليلك نهاراً واجعل نهارك ليلاً، قال: يارب، كيف ذاك؟ قال : اجعل نومك السهر وطعامك الجوع (٣) .

وفي آخر : يا أحمد ، ابغض الدنيا وأهلها وأحبّ الآخرة وأهلها ، قال : يارب! ومن أهل الدنيا وأهل الآخرة؟ قال: أهل الدنيا من كثر أكله وضحكه ونومه وغضبه، قليل الرضا، لايعتذر إلى من أساء إليه، ولايقبل معذرة من اعتذر إليه ، كسلان عند الطاعة ، شجاع عند المعصية (٤) الحديث .

وفي آخر : يا أحمد ، ليس كلّ من قال احبّ الله أحبّني حتّى يأخذ قوتاً، ويلبس دوناً، وينام سجوداً، ويطيل قياماً ، ويلزم صمتاً، ويتوكّل عليّ ، ويبكي كثيراً، ويقلّ ضحكاً، ويخالف هواه، ويتّخذ المسجد بيتاً، والعلم صاحباً، والزهد جليساً، والعلماء أحبّاء، والفقراء رفقاء، ويطلب رضاي، ويفرّ من العاصين فراراً،

---

(١) و(٢) الجواهر السنية ص١٤٠و١٤١ .

(٣) و (٤) الجواهر السنية : ص١٩٢و١٩٤ .

ويشغل بذكري اشتغالاً ، ويكثر التسبيح دائماً، ويكون بالوعد صادقاً، وبالعهد وافياً، ويكون قلبه طاهراً، وفي الصلاة زاكياً ، وفي الفرائض مجتهداً، وفيما عندي من الثواب راغباً، ومن عذابي راهباً مشفقاً، ولأحبّائي قريباً وجليساً [١] الحديث .

وقد ذكر ﷺ فيه جملة من صفات المحبّين، رزقنا الله الاتّصاف بها بحقّ أحبّائه ، آمين .

وفي النبويّ ﷺ يا أباذر، إنّ الله جلّ ثناؤه ليدخل قوماً الجنّة فيعطيهم حتى يملّوا وفوقهم [قوم] في الدرجات العلى، فاذا نظروا إليهم عرفوهم، فيقولون: ربّنا إخواننا كنّا معهم في الدنيا فلم فضّلتهم علينا؟ فيقال: هيهات! هيهات! إنّهم كانوا يجوعون حين تشبعون، ويظمأون حين تروون، ويقومون حين تنامون، ويشخصون حين تخفضون [٢] .

وفي آخر: يا أباذر، إنّ ربّك عزّ وجلّ يباهي الملائكة بثلاثة نفر: رجل في أرض قفر فيؤذّن ثمّ يقيم ثمّ يصلّي، فيقول ربّك للملائكة: انظروا إلى عبدي يصلّي ولا يراه أحد غيري ، فينزل سبعون ألف ملك يصلّون وراءه ويستغفرون له إلى الغد من ذلك اليوم، ورجل قام في الليل فصلّى وحده فسجد ونام وهو ساجد، فيقول الله تعالى: انظروا إلى عبدي روحه عندي وجسده ساجد، ورجل في زحف يفرّ أصحابه ويثبت هو يقاتل حتّى يقتل [٣] .

وفي آخر: أنّه أوصت إلى سليمان امّه أن لا تكثر في الليل النوم، فإنّ النوم الكثير يفقر الانسان في يوم القيامة [٤] .

وفي القدسيّات المسيحيّة: يا عيسى ! أحي ذكري بلسانك ، وليكن ودّي

---

(١) الجواهر السنية : ص٢٠١ .

(٢) تنبيه الخواطر (مجموعة ورام): ج٢ ص٥٤ .

(٣) تنبيه الخواطر : ص٦٠ .

(٤) بحار الانوار : ج٧٦ ص١٧٩ .

في قلبك ، تيقّظ في ساعات الغفلة ، واحكم لي لطيف الحكمة. يا عيسى! كن راهباً راغباً وأمت قلبك بالخشية. ياعيسى! راع الليل لتحري مسرتي واظمأ نهارك ليوم حاجتك عندي [(١)] الحديث .

وفي آخر : أطب لي قلبك وأكثر ذكري في الخلوات [(٢)] .

وفي آخر في الوصيّة لسيّد المرسلين : يسمّي عندالطعام، ويفشي السلام، ويصلّي والناس نيام .

وفي مسكّن الفؤاد : أوحى الله تعالى إلى بعض الصدّيقين : أنّ لي عباداً من عبيدي يحبّوني واحبّهم ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم ويذكروني وأذكرهم ، فإن أخذت طريقتهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتّك، قال: يارب ، ما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الشفيق غنمه ويحنّون إلى غروب الشمس كما تحنّ الطيور إلى أوكارها عند الغروب ، فإذا جنّهم الليل واختلط الظلام وفرشت المفارش ونصبت الأسترة وخلى كلّ حبيب بحبيبه نصبوا إلي أقدامهم وافترشوا إلي وجوههم وناجوني بكلامي وتملّقوني بأنعامي، مابين صارخ وباك، وبين متأوّه وشاك ، وبين قائم وقاعد ، وبين راكع وساجد ، بعيني ما يتحمّلون من أجلي ، وبسمعي ما يشكون من حبّي، أقلّ ما أعطيتهم ثلاث: [الأول] أقذف من نوري في قلبهم فيخبرون عنّي كما اخبر عنهم . والثاني : لو كانت السماوات والأرضون وما فيهما من مواريثهم [في موازينهم] لاستقللتها لهم . والثالث : أقبل بوجهي عليهم ، أفترى من أقبلت عليه بوجهي ؟ أيعلم أحد ما اريد أن اعطيه ؟ [(٣)] .

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام : لاراحة لمؤمن على الحقيقة إلّا عند لقاء الله ، وما سوى ذلك ففي أربعة أشياء : صمت تعرف [به] حال قلبك ونفسك

---

(١) الجواهر السنية : ص٩٨ .

(٢) الجواهر السنية ص١٠٩ .

(٣) مسكن الفؤاد : ص١٨ .

فيما يكون بينك وبين بارئك، وخلوة تنجو بها (وفي نسخة: حلم تنجو به) من آفات الزمان ظاهراً وباطناً، وجوع تميت به الشهوات والوساوس، وسهر تنوّر به قلبك وتصفي به طبعك وتزكّي به روحك [١] .

وفي الخبر: انّه اخّر عذاب قوم لوط لاحياء رجل كان ينحت الأصنام إلى أن نام ، فأذن الله تعالى في إنزال العذاب، إلى غير ذلك .

وبالجملة: الغفلة عن ذكر المحبوب والنوم من أعظم الحواجب وأدلّ دليل على النفاق والكذب في ادعاء المحبّة . ونعم ما قيل :

عجباً للمحبّ كيف ينـام   كلّ نوم على المحبّ حرام

وأنا أقول : كلّ شيء على المحبّ حرام .

تنبيه :

اعلم : أنّ النوم أخ الموت، قال الله تعالى : «الله يتوفّى الأنفس حين موتها والّتي لم تمت في منامها فيمسك الّتي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى » [٢] ثمّ إنّ الله سبحانه وتعالى جعله في الانسان للدلالة على الموت واستدلاله به عليه وبحصول الراحة به والقيام بوظائف العبادة، فإن أتى به بعد أداء الفرائض و السنن بمقدار الضرورة و بالقصد المزبور و بقصد تخفيف المؤونة على الملائكة الكرام الكاتبين واستخلاص النفس عن آفات اللسان و السمع والبصر وسائر المعاصي فهو نوم محمود وعبادة ، و بدون ذلك القصد الراجح مباح ، والمفوّت لفرض أو سنّة مذموم . و كثرة النوم والزائد على الضرورة مذموم على كلّ حال، لأنّ الانسان خلق للعبادة والذكر لا للنوم والغفلة . واستخلاص النفس معها عن المعاصي وإن كان حاصلاً ، لكن يفوت حينئذ العبادة في الأكثر ، فالراجح تركه والعبادة ،

(١) مصباح الشريعة : ص ١١٥ .   (٢) الزمر : ٤٢ .

ويحصل الاستخلاص بالاشتغال بها أيضاً . وإذا فرض توقّف الاستخلاص في مورد على النوم و كثرته ولايتيسّر بدونه فلينم، و ليجتهد في تحصيل حاله صرف العمر وأحوال الانتباه في الذكر والعبادة، وبعده بترك الكثرة ويقتصر بمقدار الضرورة.

قال الصادق عليه السلام : نم نوم المتعبّدين ولاتنم نوم الغافلين ، فإنّ المتعبّدين من الأكياس ينامون استرواحاً ، والغافلين ينامون استبطاراً ، قال النبي صلى الله عليه وآله : «تنام عيني ولاينام قلبي» وانو بنومك تخفيف مؤونتك على الملائكة واعزل النفس عن شهواتها ، واختبر بها نفسك معرفةً بأنّك عاجز ضعيف لاتقدر على شيء من حركاتك وسكونك إلّا بحكم الله وتقديره ، فإنّ النوم أخ الموت ، فاستدلل بها على الموت الّذي لاتجد السبيل إلى الانتباه فيه والرجوع إلى إصلاح مافات عنك ومن نام عن فريضة أو سنّة أو نافلة أوفاته بسببها شيء فذاك نوم الغافلين وسيرة الخاسرين ، و صاحبه مغبون ، ومن نام بعد فراغه من أداء الفرائض والسنن و الواجبات من الحقوق فذلك نوم محمود . وإنّي لاأعلم لأهل زماننا هذا شيئاً إذا أتوا بهذه الخصال أسلم من النوم ، لأنّ الخلق تركوا مراعاة دينهم ومراقبة أحوالهم وأخذوا شمال الطريق ، والعبد إن اجتهد أن لايتكلّم كيف يمكنه أن لايستمع إلى ما هو مانع له عن ذلك؟ وإنّ النوم من أحد تلك الآلات ، قال الله عزّوجلّ :«إنّ السمع والبصر والفؤاد كلّ اولئك كان عنه مسؤولا» [1] وإنّ في كثرته آفات وإن كان على سبيل ماذكرناه.و كثرة النوم تتولّد من كثرة الشرب، و كثرة الشرب يتولّد من كثرة الشبع وهما يثقلان النفس عن الطاعة و يقسيان القلب عن التفكّر والخشوع . واجعل كلّ نومك آخر عهدك من الدنيا واذكر الله بقلبك ولسانك وخف اطّلاعه على سرك ، واعتقد بقلبك مستغيثاً [مستعيناً] به في القيام إلى الصلاة اذا انتبهت ، فإنّ الشيطان يقول لك :نم فإنّ بعد طاعتك ليلاً طويلاً ، يريد تفويت مناجاتك وعرض حالك على ربّك . ولاتغفل عن الاستغفار بالأسحار ،

(١) الاسراء : ٣٦ .

فإنّ للقانتين فيه أشواقاً (١).

قوله عليه السلام: «قال النبي صلّى الله عليه وآله» لعلّه يريد الاستدلال به على أنّه إذا قصد بنومه الاسترواح ونام بتلك النيّة وذلك الاعتقاد فهو وإن فاته عبادة الأعضاء لكنّه مصحوب حينئذٍ لعبادة القلب ولم ينم قبله فكاً، فنوم المؤمن عبادة لاعتقاداته الحقّة وإيمانه وبالقصد المزبور مثل اشتغاله بعبادات الجوارح أيضاً، والله العالم.

فصل

ومن علائم المحبّة ودلائلها الرضا، وهو التسليم لقضاء المحبوب وحكمه وإيثار مراده على مراده وترك لاعتراض على الواردات من المحبوب في الظاهر والباطن قولاً وفعلاً والتسليم له ولأمره، قال الشاعر:

اريد وصاله ويريد هجري فأترك ما اريد لما يريد

بل والخلوّ عن مرادات النفس و مشتهياتها، فيكون المحبوب للنفس والمكروه لها عنده على حدّ سواء يحبّهما للرضا بقضاء المحبوب وحبّ ما أحبّه إلى أن يبلغ درجة لا يبقى نفس وما يشتهيه وإنّما يشتهي ويحبّ محبوب المحبوب قال الله تعالى: «لكي لا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم»(٢).

قال في مسكّن الفؤاد: اعلم أنّ الرضا بقضاء الله تعالى ثمرة المحبّة لله تعالى، من أحبّ شيئاً رضي بفعله، ورضا العبد عن الله دليل على رضا الله عن العبد «رضي الله عنهم ورضوا عنه»(٣) وصاحب هذه المرتبة مع رضا الله تعالى عنه ـ الّذي هو أكمل السعادات وأجلّ الكمالات ـ لا يزال مستريحاً لأنّه لم يوجد منه اريد ولا ما اريد. كلاهما عنده واحد، ورضوان الله تعالى أكبر «إنّ ذلك لمن عزم

---

(١) بحار الانوار: ج٧٦ ص١٨٩ مع تفاوت يسير في بعض الالفاظ.

(٢) الحديد: ٢٣. (٣) المائدة: ١١٩

الامور» [1] انتهى.

وقال بعض العارفين في أبيات تذكر فيها علائم المحبّة، وقد تقدم صدرها:

ومن الدلائل أن تراه راضياً بمليكه في كلّ حكم نازل

وقد تقدم في كلام الشيخ ابن الورام حصول الرضا من تأكّد المحبّة ورسوخها وبعض أخبار فضله، وسيجيء كلامه كبقيّة أدلّة فضله ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وقال في مسكّن الفؤاد في موضع آخر: اعلم أنّ الرضا ثمرة المحبّة لله تعالى، من أحبّ شيئاً أحبّ فعله، والمحبّة ثمرة المعرفة، فإنّ من أحبّ شخصاً إنسانيّاً لاشتماله على بعض صفات الكمال أو نعوت الجلال يزداد حبّه كلّ ما زاد به معرفته ولو تصوراً، فمن نظر بعين بصيرته إلى جلال الله وكماله ـ الّذي يطول شرح تفصيل بعضه ويخرج عن مقصود الرسالة ـ أحبّه «والّذين آمنوا أشدّ حبّاً لله» [2] ومتى أحبّه استحسن كلّ أثر صادر عنه وهو يقتضي الرضا، فالرضا ثمرة من ثمرات المحبّة بل كلّ كمال فهو ثمرتها، فإنّها لمّا كانت فرع المعرفة استلزم تصور رحمته رجاه، وتصور هيبته الخشية، ومع عدم الوصول إلى المطلب الشوق، ومع الوصول الانس، ومع إفراط الانس الانبساط، ومع مطالعة عنايته التوكّل، ومع استحسان ما يصدر عنه الرضا، ومع تصور قصور نفسه في جنب كماله وكمال إحاطة محبوبه به وقدرته عليه التسليم إليه [3] انتهى.

وكيف كان: فمن نصوص فضله مضافاً إلى ما مرّ ـ الخبر: إنّ نبيّاً قال له امّته: سل لنا ربّك أمراً إذا نحن فعلناه يرضى به عنّا، فأوحى الله تعالى إليه: قل لهم: يرضون عنّي حتى أرضى عنهم [4].

(١) مسكن الفؤاد ص١٢.
(٢) البقرة: ١٦٥.
(٣) مسكن الفؤاد: ص٨٢.
(٤) مسكن الفؤاد: ٨٤.

والخبر : إنّ موسى قال : يارب دلّني على أمر فيه رضاك حتّى أعمله ، فأوحى الله تعالى إليه : إنّ رضاي في كرهك وأنت ما تصبر على ما تكره ، قال : يا ربّ دلّني عليه ، قال : فإنّ رضائي في رضاك بقضائي (١) .

والنبوي ﷺ :من أحبّ أن يعلم ما له عند الله عزّ وجلّ فلينظر ما لله عزّ وجلّ عنده ، فإنّ الله تعالى ينزل العبد [منه] حيث أنزله العبد من نفسه(٢).

وآخر : اعطوا الله تعالى الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب الله تعالى يوم فقركم وفاقتكم والافلاس (٣).

وآخر : لايستكمل العبد الايمان حتّى يكون قلّة الشيء أحبّ إليه من كثرته ، وحتّى يكون أن لايعرف أحبّ إليه من أن يعرف (٤) .

وهذه درجة من الرضا هي كمال الايمان ورفض دواعي النفس وما هو أحبّ إليها وإيثار رضا المحبوب، لكنّها بعد ناقصة ،إذ فيها بقيّة لمراد النفس، والدرجة الكاملة أن يفني نفسه ويصير عبداً خالصاً تابعاً لرضا مولاه ولا يوجد له مراد ومطلوب أصلاً من هجران أو وصال وغيرهما .

روي أنّ جابر بن عبدالله الأنصاري ـ رحمه الله ـ لاقى أبا جعفر عليه السلام في آخر عمره ، فسأله عن حاله ، فقال : أنا في حالة احبّ فيها الشيخوخة على الشباب والمرض على الصحّة ، والموت على الحياة ، فقال عليه السلام : أمّا أنا ، فإن جعلني الله شيخاً احبّ الشيخوخة ، وإن جعلني شابّاً احبّ الشيبوبة ، وإن أمرضني احبّ المرض ، وإن شفاني احبّ الشفاء والصحّة ، وإن أماتني احبّ الموت ، و إن أبقاني احبّ البقاء ، فلمّا سمع جابر هذا الكلام منه عليه السلام قبّل وجهه وقال : صدق رسول الله ﷺ فإنّه قال :ستدرك لي ولداً اسمه اسمي يبقر العلم

(١)و(٢)مسكن الفؤاد :ص٨٥ .
(٣) مسكن الفؤاد ص٨٤ .
(٤) لم نجده .

بقراً كما يبقر الثور الأرض . و لذلك لقّب بباقر علم الأولين والآخرين ، أي شاقّه [١].

وآخر : ثلاث من كنّ فيه استكمل إيمانه : لايخاف في الله لومة لائم ، ولايرى بشيء من عمله ، وإذا عرض عليه أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر أمر الآخرة على أمر الدنيا[٢].

وآخر : لايكمل إيمان العبد حتّى يكون فيه ثلاث خصال : إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحقّ ، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ، وإذا قدر لم يتناول ماليس له [٣].

وفي الاسرائيليّات : أنّ عابداً عبدالله تعالى دهراً طويلاً فاري [فرأى] في المنام فلانة رفيقتك في الجنّة ، فسأل عنها فوجدها واستضافها ثلاثاً لينظر إلى عملها ، فكان يبيت قائماً وتبيت نائمة ويظلّ صائماً وتظلّ مفطرة ، فقال : أما لك عمل غير ما رأيت؟ فقالت : ماهو غير ما رأيت ولاأعرف غيره ، فلم يزل يقول تذكري حتّى قالت : خصيلة واحدة ، هي : إن كنت في شدة لم أتمنّ أن أكون في رخاء وإن كنت في مرض لم أتمنّ أن أكون في صحّة ، وإن كنت في ضراء لم أتمنّ أن أكون في سراء ، فوضع العابد يده على رأسه ، فقال : هذه خصيلة عظيمة ، هذه والله خصيلة عظيمة يعجز عنها العباد [٤] ويأتي غير ذلك ـ إن شاءالله تعالى ـ.

واعلم : أنّ للرضا ثلاث درجات :

الاولى :أن يحسّ بألم المكروه ويدرك موقعه ولكن يرتضيه بعقله طلباً لثواب الله تعالى كمن يلتمس الفصد والحجامة لصحّة البدن والعافية ، و كمن

---

(١) الانوار النعمانية : ج٣ ص ٢٢٣ .

(٢) كنز العمال : ج١٥ ص٨١٧ ح٤٣٢٤٧ .

(٣) الخصال : ص١٠٥ ، الكافي ج٢ ص١٨٧ مع تفاوت في بعض الالفاظ .

(٤) الانوار النعمانية : ج٣ ص٢٢٣ .

يتحمّل مشقّة السفر لربحه.

الثانية: أن يدرك الألم أيضاً ويرتضيه وأحبّه لكونه مراد محبوبه ورضاه، فإنّ من غلب عليه الحبّ يختار مراد المحبوب على مراده ويؤثر رضاه على رضاه بل كان مراده ومحبوبه هو رضا محبوبه، وهذا مشاهد في الحبّ الشاهد مع خسّة المتعلّق المحبوب، فبالاولى في حبّ الله تعالى الأصيل الباقي النافع وما يرجع إليه.

الثالثة: : أن لا يدرك الألم ولا يحسّ به، كما في كلّ مشغول القلب المستغرق قلبه بأمر، فإنّه لا يحسّ بغيره، وهذا مشاهد في الشاهد والحقيقة. وتقدم بعض أمثلته في العشّاق المستغرق قلوبهم بمشاهدة المحبوب في عالمي المجاز والحقيقة.

قال الصادق عليه السلام: صفة الرضا أن يرضي المحبوب والمكروه، والرضا شعاع نور المعرفة، والراضي فان عن جميع اختياره، والراضي حقيقة هو المرضيّ عنه، والرضا اسم يجتمع فيه معاني العبوديّة، وتفسير الرضا سرور القلب، سمعت أبي محمد الباقر عليه السلام يقول: تعلّق القلب بالموجود سواه شرك وبالمفقود كفر، وهما خارجان من سنّة الرضا، وأعجب ممّن يدعي العبوديّة لله كيف ينازعه في مقدوراته؟ حاشا الراضين العارفين عن ذلك [1].

قوله: «المحبوب والمكروه» أي هما عند غيره، وإلّا فصاحب الرضا يحبّهما. هذا إن حمل على المرتبة الثالثة كما يدلّ عليه بقيّة كلامه صلوات الله عليه، وإن حمل على الأعمّ فيريد المحبوب والمكروه عنده، ولا ينافيه الفناء عن اختياره، إذ هو يجامع الاحساس بالألم والكراهة، وكذا سرور القلب. نعم، قوله: «والراضي... إلخ» ينافي ذلك.

وروي عن امرأة أنّها عثرت فانقطع ظفرها، فضحكت، فقيل لها: أما تجدين الوجع؟ فقالت: إنّ لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه.

وكان بعضهم يعالج غيره من علّة فنزلت به فلم يعالج نفسه، فقيل له في ذلك

(١) بحار الانوار: ج٧١ ص١٤٩

فقال : ضرب الحبيب لا يوجع .

ولمّا اشتدّ البلاء على أيّوب قالت امرأته : ألا تدعو ربّك فيكشف ما بك ؟ فقال : يا امرأة ، إنّي عشت في الملك والرخاء سبعين سنة فأنا اريد أن أعيش مثلها في البلاء لعلّي كنت أديت شكر ما أنعم الله عليّ وأولى بالصبر على ما أبلى .

وروي أنّ يونس قال لجبرئيل : دلّني على أعبد أهل الأرض ، فدلّه على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه ، وهو يقول : إلهي ! متّعتني بهما ما شئت وسلبتني ما شئت وأبقيت لي فيك الأمل ما بر ئنا وصوله(١) .

وروي أنّ مولى لقمان كان من عادته أن يطعمه كلّ طعام محبوب قبل أن يطعم نفسه لما فيه من العلم والحكمة ، فاتي يوماً ببطّيخ فأطعمه شيئاً فشيئاً أكثره وكان يظهر منه الشوق في أكله ، ولمّا أكل مولاه شيئاً منه رآه أمرّ شيء ، فسأله عن شأنه وتحمّله ، فأجابه بأنّه أكل من يده الحلو سنين فلم يكن ينبغي إظهار الكراهة من إطعام المرّ مرة .

وروي أنّ عيسى مرّ برجل أعمى ، أبرص ، مقعد ، مضروب الجنبين بالفالج وقد تناثر لحمه من الجذام ، وهو يقول : الحمد لله الّذي عافاني ممّا ابتلى به كثيراً من خلقه ، فقال له عيسى : ياهذا ، وأيّ شيء من البلاء أراه مصروفاً عنك ؟ فقال : ياروح الله، أنا خير ممّن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته، فقال له : صدقت ، هات يدك ، فناوله يده فإذا هو أحسن الناس وجهاً وأفضلهم هيئةً قد أذهب الله عنه ما كان به ، فصحب عيسى وتعبّد معه (٢) .

وقال بعضهم : قصدت عبّادان في بدايتي ، فإذا أنا برجل أعمى ، مجذوم ، مجنون ، قد صرع والنمل تأكل من لحمه ، فرفعت رأسه ووضعته في حجري وأنا

---

(١) الانوار النعمانية : ج ٣ ص٢٢٥ وفيها«وأيقنت لى فيك الامل يا بر ياوصول».
(٢) الانوار النعمانية : ج٣ ص٢٢٥

اردد الكلام ، فلمّا أفاق قال : من هذا الفضولي الّذي يدخل بيني وبين ربّي؟ فوحقّه لو قطّعني إرباً إرباً ما ازددت له إلّا حبّاً [١] .

وقطعت رجل بعضهم من ركبته من اكلة خرجت بها ، فقال : الحمد لله الّذي أخذ منّي واحدة وترك ثلاثاً ، وعزتك ، لأن كنت أخذت لقد أبقيت ، ولأن كنت ابتليت لقد عافيت ، ثمّ لم يدع ورده تلك الليلة [٢].

وقال بعضهم نلت من كلّ مقام حالاً إلّا الرضا بالقضاء ، فمالي منه إلّا مشام الريح ، وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلّهم الجنّة وأدخلني النار كنت بذلك راضياً [٣] .

وقيل لبعض العارفين ؟ نلت غاية الرضا عنه ؟ فقال : أمّا الغاية فلا ، ولكن مقام من الرضا قد نلته لو جعلني جسراً على جهنّم تعبر الخلائق عليّ إلى الجنّة ثمّ ملأبي جهنّم ، لأحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه [٤] .

وعن بعضهم : أنّه كان قاسى المرض ستّين سنة ، فلما اشتدّ حاله دخل عليه بنوه ، فقالوا له : أتريد أن تموت حتّى تستريح ممّا أنت فيه ؟ قال : لا ، قالوا له : فما تريد ؟ قال : مالي إرادة، إنّما أنا عبد وللسيّد الارادة في عبده والحكم في أمره [٥] .

وقيل : اشتدّ المرض بفتح الموصلي وأصابه مع مرضه الفقر والجهد. فقال: إلهي و سيّدي ، ابتليتني بالمرض و الفقر فهذه فعالك بالأنبياء والرسل ، فكيف لي أن اؤدي شكر ما أنعمت عليّ [٦] ؟

وقيل للرابعة العدويّة: متى يكون العبد راضياً عن الله تعالى ؟ فقالت : إذا كان سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة . وقيل لها يوماً: كيف شوقك إلى الجنّة؟

---

(١) الانوار النعمانية : ج٣ ص٢٢٥ .

(٢) و(٣) و(٤) احياء علوم الدين:ج ١٤ ص١٣٢ .

(٥) و(٦) الانوار النعمانية : ج٣ ص٢٢٥ .

فقالت : الجار قبل الدار (١) .

والحكايات كثيرة يطول ذكرها، وإذاأردت الغاية في ذلك فعليك بملاحظة أحوال الأنبياء عليهم السلام وإذا قصدت إلى أقصى الغاية فالزم بنفسك مطالعة أحوال سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله وأوصيائه وعترته الطاهرين صلوات عليهم أجمعين، فإنّك تجد نفسك بقدر استطاعتك ،فقدترى تسليمه صلى الله عليه وآله للبلايا والأذايا الّتي حلّتا بهم وبهم من التكذيب في البعثة والنسبة إلى الجنون والسفه ،والقتل والسبي والغدر بأخيه ووصيّه وابتلائه ، وغصب بني اميّة لحقّهم بعد تيم وعدي والنزو على منبره كالقردة ، ثمّ من بعدهم بنو عبّاس ، وغير ذلك إلى يوم القيام ،وقد سلّموا الجميع ذلك وكلّه وقاموا على قدم الرضا في سبيل الله ربّ العالمين ، ولم يزد صلى الله عليه وآله على قوله: «اللّهمّ اهد قومي فإنّهم لايعلمون» (٢) ولاوصيّه على الصبر والحلم والتحمّل للحفظ لدين الله ومتابعة الوصيّة وقتل الناكثين والقاسطين والمارقين وما حلّ به عليه السلام منهم وكذا في حياته من الغزوات والمشاقّ والجراحات والثبات وحده حتّى عدّ على بدنه الشريف أثر ألف جراحة عند خروجه من الدنيا من قرنه إلى قدمه ، ولم يسمع منه عليه السلام أبداً شكاية ولم يتهاون قطّ ، وقد انصرف من احد وبه ثمانون جراحة يدخل الفتاويل من موضع ويخرج من موضع، فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله عايداً وهو مثل المضغة على نطع،فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله بكى وقال له :إنّ رجلاً يصيبه هذا في الله لحقّ على الله أن يفعل به ويفعل ، فقال مجيباً له وبكى : الحمدلله الّذي لم يرني ولّيت عنك ولافررت ، بأبي أنت وامّي ، كيف حرمت من الشهادة ؟ قال: إنّها من ورائك إن شاءالله ، فانظر تسليمهما وتمنّيهما للشهادة والشهود للمحبوب ورضاهما بها والبشارة والاستبشار بها، ولمّا صنع بخيبر من قتل مرحب وفرار من فرّ بها قال رسول الله صلى الله عليه وآله :ولأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله

(١) الانوار النعمانية : ج٣ ص٢٢٦ .

(٢) بحار الانوار :ج ٢٠ ص٢١.

ورسوله ليس بفرار [١] معرضاً القوم الّذين فرّوا قبله ، فافتتحها وقتل مرحباً وحمل بابها وحده ولم يطقه دون أربعين رجلاً، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فنهض مسروراً فلمّا بلغ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أقبل إليه انكفأ إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : بلغني بلاؤك ، فأنا عنك راضٍ ، فبكى عليّ عليه السلام عند ذلك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إمسك ، ما يبكيك ؟ فقال : ومالي لا أبكي ورسول الله عنّي راضٍ ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : فإنّ الله وملائكته ورسوله عنك راضون ، وقال له : «لولا أن تقول فيك الطوائف من امّتي ماقالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لاتمرّ بملأ من المسلمين قلّوا أو كثروا إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك يطلبون بذلك البركة» [٢] .

وبالجملة : فهو أحبّ الناس لله ولرسوله ، فهو أرضى الناس بهما وبقضاء الله ، لما عرفت من التلازم .

وانظر أيضاً كيف نصّ صلى الله عليه وآله برضا الله تعالى ورسوله وملائكته عنه ؟ وأيضاً لمّا أخبره صلى الله عليه وآله بقتله، فقال : ذلك في سلامة من ديني؟ فبشّره بذلك فرضي وسلّم [٣] وكذا في مبيته ليلة الغار لمّا علم بسلامة رسول الله صلى الله عليه وآله ورضاه بذلك وتسليمه [٤] حتّى افتخر به الله سبحانه أعاظم ملائكته ، إلى غير ذلك .

تنبيه :

اعلم أنّ مشاقّه وثباته وتحمّله للبلايا والجراحات وإصابتها به ممّا يكشف عن فنائه في الله ووقف نفسه الشريفة في سبيل الله ، فليس مجرد الشجاعة

---

(١) بحار الانوار: ج٢١ ص٥ و٣٠١٠ وج ٤١ ص٨٥ .

(٢) بحار الانوار : ج ٢١ ص٤ وج٤١ ص٩٣ مع اختلاف كثير .

(٣) بحار الانوار: ج ٩٦ ص٣٥٨ ذيل ح ٢٥ .

(٤) بحار الانوار: ج٣٦ ص٤٠ الباب ٣٢ .

وفقد الباقين له حتّى توهّم بعض العامّة العمياء أنّه كان شجاعاً قاتل وقتل ، بخلاف الأولين ، فافهم المناط والمعيار وحماقة هؤلاء الأشرار ، فلئن لم يكونوا شجاعاً أما قدروا أن لا يفروا ويثبتوا فرزقوا الشهادة ؟ كما كان عليه السلام يتمنّاها ، لا أن يفروا من الزحف ويكسروا العسكر ويشجّعوا جنود الكفر بحياة فانية . والله وليّ التوفيق والهداية .

وأمّا تسليم ولده الحسين عليه السلام ورضاه بما أصابه ممّا لم يصب أحداً من العالمين ولم يزد على قول «لا حول ولا قوة إلّا بالله» فالتأمّل فيه ممّا يقتضي العجب ويقطع الأكباد ، بأبي المظلوم الشهيد الوحيد السعيد الراضي عن ربّه والراضي عنه ربّه ، ولعن الله قتلته ومن رضي بفعلهم ، رضاً بقضاء الله وتسليماً لأمر الله ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله ، ياليتنا كنّا معه فنفوز فوزاً عظيماً ، اللّهمّ اجعلنا من الطالبين بثاره مع ولده الامام القائم ـ عجّل الله فرجه ـ وجعلنا فداه ، آمين بحقّهم يا أرحم الراحمين ، والحمد لله ربّ العالمين .

فصل

ومن علائمها الايثار ، وقد تقدم بعض الكلام فيه وبعض الحكايات ، مثل قصّة العصفورة ، ونقل أنّ زليخا لما آمنت تزوجها يوسف عليه السلام واعتزلت عنه واشتغلت بعبادة الله تعالى ، ولمّا دعاها إلى الخلوة في اليوم وعدته الليل ، ولمّا دخل الليل وعدته النهار ، فعاتبها وقال : أين محبّاتك وشوقك ؟ قالت : يانبيّ الله ، كنت احبّك حين لم أعرف ربّك ، فلمّا عرفته أخرجت كلّ محبّة من قلبي ولا اوثر غيره عليه [1].

أقول : وقد عرفت أنّ ارتكاب بعض المعاصي المشقاء لا ينافي المحبّة بل يجامعها ، لكن لا يجتمع مع كمالها ، وأيضاً الايثار واختيار رضا المحبوب على

(١) احياء علوم الدين : ج ١٤ ص ١٠٣ .

رضاه مندرج في الرضا، كمالا يخفى .

تنبيه :

يقرب هذه اللوازم بعضها من بعض ، فالايثار والتسليم يقربان من الرضا ويفترق بالاعتبار ، كما يظهر بالتدبّر ، ولا يسع المقام ابسط ذلك ، لكن لابدّ أن يعلم أن ضدّ الرضا هو السخط والانكار والاعتراض على واردات المحبوب ، ففي عالم الحقيقة الاعتراض على الواردات الالهيّة و التقديرات الربّانيّة ينافي الرضا والتوحيد و كمال الايمان بهسبحانهوتعالىوحكمته.ونعمماقيلبالفارسيّة:

بدرد صاف تراكار نيست دم در كش   كههرچه ساقىما كرد عينالطاف است

وقال العارف المتقدم العادّ لدلائل المحبّة :

منها تنعّمه بمرّ بلائه   و سروره في كلّ ما هو فاعل

ومنالدلائلأنتراهمسلّماً   كلّالامورإلى المليكالعادل (١)

وفي القدسيّاتالداوديّة : يا داود ، من أحبّ حبيباً صدّق قوله ، ومن رضي بحبيب رضي بفعله ، ومن وثق بحبيب اعتمد عليه ، ومن اشتاق إلى حبيب جدّ في السير إليه (٢) .

وفي القدسيّات الموسويّة : يا موسىبن عمران ، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من عبدي المؤمن ، و إنّي إنمّا ابتليته لماهو خير له وأزول [أزوي] عنه لما هو خير له ، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي ، فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي أكتبه في الصدّيقين عندي ، إذا عمل برضاي وأطاع أمري (٣) .

وفيها: أي ربّ ، أيّ خلقكأحبّإليك ؟ قال:من إذا أخذت حبيبهسالمني،

---

(١) احياء علوم الدين : ج١٤ ص١١٥ .

(٢) الجواهر السنية : ص٨٩ .

(٣) الجواهر السنية : ص٣٩ .

قال : فأيّ خلق أنت عليه ساخط ؟ قال : من يستخيرني في الأمر ، فإذا قضيت له سخط قضائي [١] .

وفيها : قال الله تعالى : أنا الله لا إله إلّا أنا ، من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي فليتّخذ ربّاً سوائي [٢] .

و عن المجلّد الثاني من الكشكول : قال في التوارة : من لم يؤمن بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتّخذ ربّاً سوائي . من أصبح حزيناً على الدنيا فقد أصبح ساخطاً عليّ [٣] الحديث .

وفي القدسيّات أيضاً ما معناه : الويل ثمّ الويل لمن قال : لم ذا و كيف ذا ؟ [٤]

وروي أنّ نبيّاً من الأنبياء شكا عشر سنين إلى الله تعالى من فقره وجوعه وعراه فلم يستجب له ، ثمّ أوحى الله تعالى إليه: إلى متى الشكوى ؟ ولست بأهل الشكوي ، ولا ينبغي له أن اذمّ ، وأنت أولى بالشكاية والذمّ ، وقدرت لك قبل خلق السماوات والأرضين ما بك ، وقضيت لك ذلك قبل خلق الدنيا ، أفتريد خلق الدنيا لأجلك اخرى ؟ أو تبديل التقدير لك ؟ وأن تكون إرادتك فوق إرادتي؟ وعزتي وجلالي ، لو خطر بقلبك ما سألت مرة اخرى محوت اسمك من ديوان الأنبياء [٥] .

و في الداوديّات : أوحى الله عزّ وجلّ إليه: ياداود، تريد واريد ولا يكون إلّا ما اريد ، فإن سلّمت لما اريد أعطيتك ما تريد ، وإن لم تسلّم لما اريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون إلّا ما اريد [٦] .

---

(١) الجواهر السنية : ٧٨ .
(٢) الجواهر السنية : ٧٨ .
(٣) الكشكول للشيخ البهائي : ج ٢ ص ٣١٨ .
(٤) جامع السعادات : ج٣ ص ٢٠٠ .
(٥) جامع السعادات : ج ٣ ص ٢٠٠ مع زيادة و نقيصة .
(٦) الجواهر السنية : ص ٩٢

وبالجملة : لابد من تكميل الايمان بالله واعتقاد حكمته وعدله وتوحيده وأنه يفعل ما هو خير بعباده وأن ماقدر لهم في خلقهم ونظمهم وتربيتهم وتكميلهم على أحسن ترتيب ونظام لو غير جزء منه اختل النظام، وتحصيل محبته ورضاه وتكميل الاذعان بربوبيته وبعبوديته نفسه،فمتى استقر في القلب ذلك اطمأن بالايمان و المحبة و سلم لمحبوبه الرب تبارك و تعالى في جميع اموره ، بل ترك هواه لهواه و لم يتخذ رباً سواه إيماناً به و بحمكته وتسليماً لذلك و لمحبته . و أن من سخط لأمر الله تبارك و تعالى واعترض على مولاه كالأعمى الذي يدخل مجلس الضيافة العظيمة المنضدة في كل ما يحتاج إليه أهله على أحسن ترتيب فلا يزال يكسر الظروف بوضع قدمه عليها لعماه و يعترض على سوء الوضع ، فإنما اللوم عليه، لاعلى هؤلاء . وأنت ـ وفقك الله ـ إذا عرفت الطريق والباب فاسلكهما ودع الغي و الجهالة وسلم لأولياء الله محمد و أهل بيته الطاهرين في إرشادهم و هديهم تجد الحق وتكون مصاحباً لهم ومن رفقائهم ، وتدارك جهلك واعتراضك بعماك بتجديد العهد لهم و التسليم لهديهم و الصلاة عليهم ، يرحمك الله ويتوب عليك، فإن الرحمة عليهم نازلة البتة المفياضية المطلقة للرب والاستعداد الكامل فيهم وعدم الحاجب، فتشملك تبعاً لهم، وقد وجدت الأنبياء وسائر الأولياء كذلك، متى صدر منهم ترك الأولى تداركوه بالاستغفار وبالصلاة عليهم والدعاء بحقهم،بنور إيمانهم و ولايتهم و بتعليم من ربهم ، فهم ـ صلوات الله عليهم ـ قد أكلموا جميع مقامات العبودية والايمان والمحبة اصولها و فروعها ، وخلوا امن مراداتهم ومن أنفسهم ، وفنوا في الله وفي رضاه ، فمن زلت له قدم في مقام من تلك المقامات فلا وسيلة له لتداركها ولتحصيل الثبات في طريق العبودية أولى ولا شفيع أنجح من التوسل و الاستشفاع بهم و الخضوع لهم وتجديد عهدهم و العزم على ولايتهم والاقرار بأفضليتهم والصلاة عليهم' يجد بغيته ويصل إلى امنيته ، فافهم راشداً مهدياً ، والحمدلله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وروي أنّ عيسى ابتلي يوماً في مفازة بمطر شديد والتمس ملجأ منه يميناً وشمالاً حتّى وصل إلى مكان أبصر فيه رجلاً يصلّي ولا يمطر عليه وعلى أطرافه ونواحيه فاستقرّ هناك ينتظره إلى أن فرغ من صلاته، فقال له: تعال ندعو الله في قطع المطر، فقال له العابد: يا هذا، كيف أدعو وأنا في هذا الموضع أعبد الله تعالى منذ أربعين سنة ليقبل توبتي ولم يحصل لي العلم بعد به، فإنّي سألته أنّه إن قبل توبتي يرسل إليّ نبيّاً من أنبيائه في هذا الموضع، فقال عليه السلام: قد قبل الله توبتك وأنا نبيّ الله عيسى بن مريم، ثمّ سأله عن ذنبه، قال: خرجت يوماً من أيّام الصيف في شدة الحرّ، فقلت: عجباً من شدة حرّ هذا اليوم.

فانظر ـ يرحمك الله ـ نور إيمان هذا العابد ودقايق فكره في هكذا البحر العظيم وسؤال باب من أبواب الله المفتّحة على عباده موصل إلى الباب الأعظم: رحمة الله على العالمين وخاتم النبيّين، لمّا علم أنّ في زمانه ليس يمكن دخول هذا الباب إلّا بدخول تلك الأبواب. وانظر إلى خضوع عيسى لربّه كيف حقّر نفسه والتمس بشركة دعاء هذا العابد واجتماعه معه في الدعاء.

وعن بعض أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله أنّي خدمته صلى الله عليه وآله عشر سنين ولم يقل لي قطّ: لم فعلت هذا ولم ما فعلت؟ ولم يقل أبداً: لعلّه لم يكن هذا هذا، ولمّا كان يؤاخذني أحد من أهل بيته عليهم السلام في أمر قال: دعوه لو قدر لكان[1].

وروي أنّ نبيّ الله آدم عليه السلام كان يضع أطفاله الصغار أقدامهم على أضلاعه يصعدون إلى رأسه ثمّ ينزلون كالسلّم وهو مطأطئ رأسه لا يتكلّم ولم يزل عينه إلى الأرض، فقال له واحد من كبار ولده في منعهم، فقال: يا بنيّ مارأيتم لم تروا، وما أعلم لا تعلمون، نزلت بحركة وضيعة من دار الكرامة والشرف إلى بيت الذلّة والمهانة ومن محلّ النعمة والسرور إلى منزل التعب والبلاء، فإنّي أخاف نزول بلاء آخر لو ارتكبت شيئاً آخر[2].

(١) جامع السعادات: ج٣ ص٢٠١ مع اختلاف يسير في العبارة.
(٢) جامع السعادات: ج٣ ص٢٠١.

فصــل

ومن العلائم : الشوق إلى لقاء المحبوب . ومنها: الانس به . ومنها : القلق والاضطراب . ومنها : الانبساط.

وقد تقدم عن مسكّن الفؤاد [١] أنّ الشوق مع عدم الوصول، والانس معه ، والانبساط مع إفراط الانس ، فلا معنى للشوق إلى الشيء الحاصل الحاضر .لكن لا بدّ من إدراكه بوجه مجمل ليحصله على التفصيل أو بوجه خفيّ ليحصله بوجه أوضح وحينئذٍ الشوق إلى الله تعالى حاصل على كلّ حال، إذ المعرفة الواضحة لا مطمع لها في هذه النشأة للامتزاج بالخيالات والأوهام الطبيعيّة المعتادة ، فكمال الوضوح إنّما يتيسّر في النشأة الاخرى . وأيضاً الامور الالهيّة لا تتناهى ، فكما حصلت المعرفة بها تبقى امور لا تتناهى غير معلومة عرفت إجمالاً ،فلا يزال العبد شائقاً إلى معرفتها ووضوحها .

ومن هذا يعلم أنّ هذا الشوق حاصل في الآخرة أيضاً، والله تعالى يمنحهم شيئاً فشيئاً ،لكنّهم لتنعّمهم باللذات لا يحسّون بألم شدة الشوق، فإنّهم مشغولون متلذذون فيعطيهم الله سبحانه وتعالى شيئاً لما شاهدوه ، و لم يكونوا ملتفتين إليه و إلى ماهو أحسن ممّا هم عليه قبل المشاهدة والاعطاء، كما يستفاد من الأخبار. فشوقهم موجب للذتهم لا لألمهم ، فإذا أرادوا شيئاً يقولون : سبحانك اللّهمّ ، فيعطونه ، ويحمدون الله تعالى عليه ، فدرجاتهم على الارتفاع على الاستمرار ، ونعمهم على التزايد كذلك ، لا مقطوعة ولا ممنوعة ولا ناقصة ، بل باقية مستمرة زائدة و« نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم يقولون ربّنا أتمم لنا نورنا » [٢] و « دعواهم فيها سبحانك اللّهمّ وتحيّتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمدلله ربّ العالمين» [٣] .

---

(١) مسكن الفؤاد : ص ٨٣ .

(٢) التحريم : ٨ .

(٣) يونس : ١٠.

ولا يزورون من هو أعلى منهم ، بخلاف العكس ، بمعنى أنّهم لا يمكن لهم العروج إلى درجة أعلى من درجتهم ، لأنّ لكلّ أحد مقاماً معلوماً، ولكنّهم بمالديهم فرحون ، إذ ذلك مشاهد في الدنيا مع التمنّي والتحاسد والسخط ، ففي الآخرة بالأولى مع حصول مرتبة الرضا في الكلّ . أو أنّهم يزورون من هو أعلى لكن لا يدركون مرتبتهم وإنّما يستأنسون بالجهة الجامعة ، و للعالمين مزيد درجتهم وعطيّتهم ، كما في الدنيا لا يدرك العوام مراتب الخواصّ ، أو أنّهم لا يدركون الاستئناس واختلاطهم، ولاشتغالهم بالنعم الكثيرة واشتغالهم النعم عنه. وأنت خبير بأنّه لا وقع لجميع الدنيا في مقابل قليل من الآخرة ، فكيف بالدنيا في مقابل الآخرة؛ فمن عرف ذلك وأيقن فهو شديد الشوق لا محالة في تحصيل الآخرة ويترك الدنيا لأجلها و يواظب على الطاعات وترك المعاصي ، كما أنّ أهل الدنيا عظمت في أعينهم والهوا بها وغفلوا عن الاخرى وخسروا خسراناً مبيناً . ولمّا علم أنّ الوصول إلى منتهى الجمال الالهي محال ، فصاحب الانس المسرور بما وصل إليه إذا غلب عليه شوق الاطّلاع على الأعلى والتفت إلى قصوره يتألّم ويتزلزل ويضطرب لخوف الطرد وعدم الوصول ، فإذا غلب الانس وغفل عن الطرد ابتهج والتذّ وطلب العزلة والخلوة . ففي الدنيا أهل المعرفة شائقون مضطربون مبتهجون على اختلاف أحوالهم على حسبما ذكر ، ولا يكون هذا في الآخرة للاطمئنان بالوصول وعدم الطرد والابعاد ولا خطأ (١) الله تعالى ماأدركوه حين ما أدركوه ، وقبله هم مشغولون بنعيمهم.

وبالجملة : لا ألم في الآخرة. وربّما يكون في الدنيا لبعض أهل المعرفة هذا المقام أيضاً ، فهم في مقام الانس أبداً ، وذلك للعاشق الذي لا يكون من الوصال في شكّ ومن الحبيب على حذر ، وليس له نحول وسقم وذبول .

كما روي أنّه قيل لسيّد المحبّين والعاشقين أمير المؤمنين عليه السلام : ما بال

(١) كذا في النسخة .

وجهك تعلوه الأنوار وأنت على هذا الحسن والجمال وغيرك من العباد وأهل الحبّ على حال عظيم من اصفرار الوجه ونحول البدن وضعف القوة؟ فقال عليه السلام: إنّ اولئك العباد والأحباب أحبّوا حبيباً و هم لا يعرفون حالهم عنده أراضٍ عنهم أم غير راضٍ؟ ولا يعلمون أنّه قبل خدمتهم أم لا؟ وأمّا أنا فقد عرفت حالي عنده وأنّي راضٍ عنه وهو راضٍ عنّي، فصار خاطري مطمئنّاً على محبّته فلا يصفرّ وجهي و لا ينحل بدني[1].

ومن ذلك القبيل سرور المؤمنين عند صدور طاعة منهم أو نزول مدح الله تعالى فيهم.

واعلم: أنّ صاحب مرتبة الانس والرضا له أن يتصرف ماشاء، و لذا أمر الأمير عليه السلام الحمّى بالخروج من بدن الرسول، وأمر الرسول بخروج الرمد من عينيه و عالجه، لعلمهما برضا المحبوب بفعلهما و عدم اقتراح النفس فيهما، ولذا لا يفعلون ذلك بأنفسهما تسليماً للمحبوب وانقياداً له.

واعلم أيضاً: أنّ من استديم انسه واستحكم ربّما كان له غنج ودلال مع المحبوب، ويستحسن منه صدور كلام وأفعال يقبح من غيره. ومن ذلك قول الرسول: «أيموت أهل بيتي جوعاً»؟[2].

وقال موسى عليه السلام: «إن لم تنتقم لي من قارون فلست نبيّك»[3] و قوله: «إن هي إلّا فتنتك»[4] وقوله: «أخاف أن يكذبون * ويضيق صدري ولا ينطلق لساني»[5] وقول برخ الأسود في استسقائه لبني إسرائيل حيث وثق بربّه وبرضاه عنه لمّا بشّر

---

(١) الانوار النعمانية: ج٣ ص١٨٦.

(٢) سفينة البحار: ج١ ص١٩٣ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٣) بحار الانوار: ج ١٣ ص ٢٤٩ ذيل ح١ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٤) الاعراف: ١٥٥.

(٥) الشعراء: ١٢ و١٣.

به موسى عليه السلام وبأمر ربّه بالاستسقاء لهم ، ويلخّص : أنّهم قطحوا سبع سنين ، فخرج موسى في سبعين ألفاً يستسقي لهم، فأوحى الله تعالى له: كيف أستجيب لهم وقد أظلّت عليهم ذنوبهم وسرائراهم خبيثة ؟ يدعونني على غير يقين ويأمنون مكري، ارجع إلى عبدمن عبادي يقال له: «برخ» يستسقي لهم حتّى أستجيب له ، فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف ، فبينا موسى عليه السلام ذات يوم يمشي في طريق،فإذاعبد أسود بين عينيه تراب من أثر السجود، فعرفه موسى عليه السلام بنور الله تعالى فسلّم عليه،فقال: ما اسمك؟فقال: برخ،فقال:أنت طلبتنامنذحين،اخرج استسق لنا،فخرج فقال في كلامه: «ما هذا من فعالك، وماهذا من حلمك، وما الّذي بدا لك. انقطعت عليك غيومك؟ أم عايدت الرياح عن طاعتك ؟ أم فقد ما عندك ؟ أم اشتدّ غضبك على المذنبين ؟ ألست غفّاراً قبل خلق الخطّائين ؟ خلقت الرحمة وأمرت بالعطف ، أم ترينا أنّك ممتنع؟ أم تخشى الفوت فتعجّل بالعقوبة ؟ فما برح «برخ» حتّى ابتلّت بنو إسرائيل بالقطر ، فلمّا رجع برخ استقبله موسى عليه السلام فقال : كيف رأيتني حين خاصمت ربّي ؟ كيف أنصفني؟[1] واوحي إلى موسى أنّه يضحكنا كلّ يوم مراراً[2].

وقول عيسى عليه السلام: «والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حيّاً»[3] ولمّا لم يصل يحيى إلى مقامه سكت إلى أن قال الله تعالى له ذلك، فقال: «وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً»[4] وقوله عليه السلام: يا ربّ ، جعلت لكلّ أحد مأوى وليس لي مأوى ، فاجيب بما اجيب[5] إلى غير ذلك .

وبالجملة : فهذا يستحسن ممّن استغرق في مقام الانس و صار محبوباً

---

(١) الانوار النعمانية : ج٣ ص٢١٩ .

(٢) هذه الزيادة في الحديث وردت في المحجة البيضاء: ج٨ ص٨٢ .

(٣) مريم : ٣٣ .

(٤) مريم : ١٥ .

(٥) مجموعة ورام : ج١ ص١٣٢ .

والمحبوب محبّاً له، والتجري من غيرهم والتشبّه بهم قبيح ، فدرجات الأنبياء والأولياء مختلفة ، كما قال تعالى : «ولقد فضّلنا بعض النبيّين على بعض»[1] ولذا عوتب بعض الأنبياء حيث سأل رفع الجوع . وإذا أردت من لم يعاتب أبداًفعليك بسيّد الأنبياءوأوصيائه ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وقدقيل لموسى: «يا ابن لاوي ، لاتزدني من كلامك ولم تغث فرعون [قارون] لأنّك لم تخلقه»[2] .

وقوله تعالى لنبيّه: «عفا الله عنك لم أذنت لهم»[3] ونحوه مأوّل، فهو لطف وشفقة وعتاب على غيره ، كمالايخفى على البصيرالمتتبّع في الأخبار .

وكيف كان : فمقام المشتاق متعال عال ومحلّه رفيع ، وفضل الشوق كثير .

قال مولانا الصادق عليه السلام : المشتاق لا يشتهي شيئاً طعاماً ، و لا يلتذّ شراباً ، ولا يستطيب رقاداً [وقاداً] ولا يأنس حميماً ، و لا يأوي داراً ، ولا يسكن عمراناً ، ولا يلبس ليّناً ، ولا يقرّ قراراً [ولا يقرّ قراراً] ، و يعبد الله ليلاً و نهاراً ، راجياً بأن يصل إلى مايشتاق إليه، ويناجيه بلسان شوقه، معبّراً عمّا في سريرته كما أخبرالله عن موسى بن عمران في ميعاد ربّه بقوله:«وعجلت إليك ربّ لترضى»[4]. وفسّر النبي صلى الله عليه وآله عن حاله: أنّه ماأكل ولاشرب ولانام ولااشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوماً شوقاً إلى ربّه . فاذا دخلت ميدان الشوق فكبّر على نفسك ومرادك من الدنيا ودع جميع المألوفات واصرفه عن سوء شوقك ولبّ بين حياتك و موتك ، لبّيك اللّهمّ لبّيك ـ وأعظم الله تعالى أجرك ـ و مثل المشتاق

---

(١) الاسراء : ٥٥ .

(٢) الجواهر السنية فى الاحاديث القدسية : ص٦٤، والعبارة فيها «ياموسى انكما أغثت فرعون لانك لم تخلقه» .

(٣) التوبة: ٤٣ .

(٤) طه: ٨٤.

مثل الغريق ليس له همّة إلّا خلاصه وقد نسي كلّ شيء دونه [1] . ونعم ما قيل بالفارسيّة :

سر كويش هوس داری هوا را پشت پائی زن
درين انديشه يكرو شو دو عالم را قفائی زن
بساط قرب میجوئی خرد راالوداعی كن
وصال دوست میخواهی بلا را مرحبائی زن

وعن وهب بن منبه ، قال : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : ياداود ، من أحبّ حبيباً صدّق قوله ، ومن رضي بحبيب رضي بفعله ، ومن وثق بحبيب اعتمد عليه ، ومن اشتاق إلى حبيب جدّ في السير إليه ، يا داود ذكري للذاكرين ، وجنّتي للمطيعين ، وحبّي للمشتاقين ، وأنا خاصّة المحبّين [2] .

وفي الأخبار الداوديّة : إنّي خلقت قلوب المشتاقين من نوري ، وأوحى إليه عليه السلام ما معناه : إلى متى لاتذكر جنّتي و لاتسأل شوقي ؟ فقال : يا ربّ من المشتاقون إليك ؟ فقال تعالى : من صفيتهم من كلّ كدورة وغبار ، وجعلت في قلوبهم فرحاً ينظرون بها ، وأنا آخذ قلوبهم بيدي وأضعها في السماء و أدعو ملائكتي، فلمّا اجتمعوا سجدوا لي، فأقول: ماجمعتكم لتسجدوا لي ، بل أردت أن اريكم قلوب المشتاقين إليّ واباهي بهم إليكم، ويضيء قلوبهم في السماء لملائكتي كما تضيء الشمس لأهل الأرض . يا داود خلقت قلوب المشتاقين من رضواني وربّيتهم من نور جمالي وأخذتهم لمحادثتي وجعلت أبدانهم في الأرض محلّ نظري، ولقلوبهم طرقاً إليّ ينظرون بها إليّ و يزيد شوقهم إليّ كلّ يوم [3] الحديث

---

(١) مصباح الشريعة : ص ١٩٦ مع اختلاف في بعض العبارات .

(٢) الجواهر السنية : ص٨٩ .

(٣) المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء: ج ٨ ص٥٩ .

تنبيهات :

الاول : اعلم أنّ قلق الأنبياء واضطراب قلوبهم من امور : خوف الهجر والطرد . والشوق إلى مالم يجدوه لعدم تناهي الامور الالهيّة . والتحديث بما مضى عليهم من الفراق والهجران، فيشكون إلى حبيبهم بعد حصول نعمةالوصول ما نزل بهم في مدة هجرانه استلذاذاً بمحادثته ومخاطبته ، واستعطافاً لئلّاينزل بهم بعده مثله . والجذب للمهجورين وجلبهم إلى خدمة المحبوب ، ومنه قول مؤمن آل ياسين : «ومالي لااعبد الّذي فطرني وإليه ترجعون»[1] فهو لتعليم الغير بوجه لطيف لطفي. وعدم الوصول التامّ في هذه النشأة، فالراحة على الحقيقة بالموت، ولذا يتمنّونه . وكونه كماء البحر يزيد شاربه عطشاً. وقوة محنة القرب وكونه أشدّ من محنةالبعد، فإنّ ملاحظة عظمة المحبوب وجلاله وكبريائه توجب للخوف والدهشة ، وهذا الأخير يعمّ كلّهم بلا استثناء . والخوف من مخالطة محبّته بمحبّة غيره . والخطر في القيام بأداء حقّه وعظيم أمره .

الثاني : قدأشرنا إلى أنّ المحبّة تستلزم حبّ لقاء المحبوب والشوق إليه، ولمّا لم يمكن اللقاء الخالص والوصول التامّ بدون الموت في المحبّة الحقيقيّة ويتوقّف عليه. فيلزم الاشتياق إلى الموت وهواه عليه وحبّه، ولذا عن بعض الأكابر: « لا يكره الموت إلّا مريب ، لأنّ الحبيب . . . إلّا لقاء الحبيب »[2] وقد مرّ في حديث الجابر : « أنّ الموت أحبّ إليّ من الحياة »[3] .

والتحقيق: أنّ الموت مكروه بالطبع لما فيه من آلام: ألم نفس الموت وانفصال الروح من البدن، وألم مفارقة الأحبّة والأهل والأولاد والأموال ، وغيرها. فمن أحبّ المحبوب الحقيقي وعرف أنّ كلّ محبوب سواه يفارقه ويفنى ولاينفع ،

---

(١) يس : ٢٢ .

(٢) احياء علوم الدين : ج ١٤ ص١٠١ .

(٣) مسكن الفؤاد : ص٨٧ .

فيؤثره و يحبّ لقاءه و يشتاق إليه ، فتكون الحياة مكروهة لديه تتحمّل على مرارتها صبراً ، كما في حديث جابر ، فهو في مقام الصبر . و من ترقّى عن ذلك فهو يشارك من تقدم في رفع كراهة الموت و الشوق إلى الموت، لكنّه يحبّ ما اختار له المحبوب من الحياة إيثاراً لمختاره على مراده ، وهذا مقام الرضا . ومن ترقّى عن ذلك فهو يشارك من تقدم في رفع كراهة الموت وحبّه وإيثاره، لكنّه لا إرادة له وفني عن مراداته، وإنّما المحبوب له ما اختاره المحبوب له: من موت أوحياة وسائر الامور، فهو كالميّت بين يدي الغسّال يقلّبه كيف يشاء، وهو أعلى مقام الرضا ، كما قاله الباقر عليه السلام لجابر .

وقال عليّ عليه السلام «إنّ ابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امّه» [١] و« لا يبالي وقع الموت عليه أو وقع على الموت » وقال عليه السلام لمّا ضرب ضربة بها قتله : « فزت وربّ الكعبة »[٢]. فانظر أنّه عليه السلام كيف أحبّ لقاء الحبيب ودفع عنه مرارة الموت؟ لكنّه لم يجعل لنفسه اختياراً ، ولمّا اختار المحبوب له لقاءه سلّم وفرح واستبشر وبشّر إخوانه بأنّه فازفوزاً عظيماً ، ولمّا اختار قبله حياته كان راضياً بالحياة .

وقال النبي صلى الله عليه وآله :من عرف الله وعظّمه منع فاه من الكلام وبطنه من الطعام وعفى نفسه بالصيام، قالوا: بآبائنا وامّهاتنا يارسول الله هؤلاء أولياءالله؟ قال : إنّ أولياءالله سكتوافكان سكوتهم فكراً،وتكلّموافكان كلامهم ذكراً،ونظروافكان نظرهم عبرة،ونطقوا فكان نطقهم حكمة،ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة،لولاالآجال التي قد كتبت عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب وشوقاً إلى الثواب[٣].

فانظر كيف بيّن صلى الله عليه وآله شوق الأولياء والمحبّين إلى لقاءالله وإلى ثوابه من

---

(١) نهج البلاغة : ص٥٢ .

(٢) بحار الانوار: ج٤٢ ص٢٣٩ .

(٣) الكافي : ج٢ ص٢٣٧ مع تفاوت وزيادة .

نعيم الآخرة ، و وصال المحبوب، وخوفهم من عذابه في غاية الشدة، فلولا آجالهم يموتون شوقاً ولولا آجالهم لماتوا خوفاً من عذابه في الآخرة، فهما فيهم في غاية الكمال. والشوق التام ربّما يفارق معه الروح. وكذا الخوف البالغ، ويعمّ الخوف من الطرد والهجران وارتكاب أمر في الدنيا يحصل به الحجب والعصيان، فإنّه العذاب الحقيقي ، كما أنّ الثواب يعمّ الوصال واللقاء ، كما مرّ .

فكلّ الأولياء لهم الشوق و الخوف المزبوران ، و هما من لوازم المحبّة ، كما تقدم .

لكن منهم : من سلّم لمرارة الموت صبراً. ومنهم : من سلّم لمرارة الحياة صبراً. ومنهم : من آثر الحياة لما فيها من العبادة للمحبوب وتحصيل رضاه ويكره الموت لمنافاته له، فيحبّ الحياة لتحصيل الاهبة التامّة للقاء المحبوب، كمن اخبر بمجيء المحبوب له وزيارته له ، فهو يحبّ تأخيره ساعة لتنظيف البيت و بسط الفرش وتطييبه ، فهو لا يكره اللقاء وإن أحبّ التأخير، وعلى ذلك يحمل استنكاف بعض الأنبياء للموت مثل الخليل عليه السلام ، فلمّا علم أنّ الحبيب يريد لقاءه سلّم ومات [1]. ومنهم : من أحبّ الحياة أو الموت لكن يختار ما أحبّه المحبوب إيثاراً لمراده على مراد نفسه . ومنهم : من فنى في المحبوب وخلّى من نفسه ومرادها، فينتظر اختيار المحبوب له ويحبّ إجمالاً ما يحبّه وتفصيلاً ماعيّن له، فمحبوبه المحبوب وما أحبّه ، وهو مراده، ولا مراد ولامحبوب سواه، وترك الدنيا والآخرة بمافيهما في الدنيا و الآخرة ، فمحبوبه هو جنّته و هو نعيمه و دنياه و آخرته . قال السجّاد عليه السلام : « يا نعيمي و جنّتي ويادنياي و آخرتي » [2] فحياة الأولياء بقضاء من الله ، وإلّا لفارقت أرواحهم من أجسادهم شوقاً وخوفاً، لكن درجاتهم مختلفة في الصبر و الرضا و خلوص العبوديّة و الفناء في الله و وجود البقيّة من الارادة

---

(١) بحار الانوار : ج٦ ص١٢٧ ح٨ .

(٢) مفاتيح الجنان: مناجات المريدين ص١٢٤ .

والاختيار فيهم ، وربما يكره أحد من أبناء الدنيا لعظيم ما حلّ به من بلاياه وهو كاره للقاء ربّه ، فكلّ من حبّ الدنيا والآخرة يتأتّى في أهل الدنيا والآخرة، وإنّما الأعمال وتميّزها بالنيّة، فالغالب أنّ أهل الدنيا يحبّون الدنيا ويبغضون الآخرة، لأنّ الدنيا عظمت في عيونهم وحقّروا الآخرة ولم يستيقنوا بها و بنعيمها، فعمروا الدنيا و خربوا الاخرى ، فيكرهون الانتقال من معمورة إلى مخروبة ، وربما يكرهون الدنيا لآلامها ، كما قلناه. وأهل الآخرة بالعكس، لأنّهم زهدوا في الدنيا وتركوها وأخربوها و عمروا الآخرة لما أدركوا بقاءها و كونه محبوبة لله تعالى و كون الدنيا غروراً حفرة فانية مبغوضة، وربما كرهوا الموت والانتقال إلى الآخرة لتحصيل الكمال والاستعداد في الدنيا. **ومنهم** : من عرف نقص الاختيار في مقام العبوديّة وعلم وجود رضا المحبوب في كلّ من الدنيا والآخرة ، فاختار رضا المحبوب لما شعر من ذلك به اختياراً. ودعته شدة محبّته إليه بلا شعور منه.

قال مولانا الصادق عليه السلام :لا راحة لمؤمن على الحقيقة إلاّ عند لقاء الله ، وما سوى ذلك ففي أربعة أشياء: صمت تعرف به حال قلبك ونفسك فيما يكون بينك وبين بارئك ، وخلوة تنجو بها [وحلم تنجو به] من آفات الزمان ظاهراً و باطناً، وجوع تميت به الشهوات والوساوس، وسهر تنور به قلبك وتصفى به طبيبك وتزكي به روحك [1] .

فانظر كيف أشار عليه السلام أولاً إلى أنّ الراحة الخالصة الحقيقيّة لا توجد في الدنيا لعدم اللقاء الخالص للأغلب فيها ، وإلى أنّ البقاء في الدنيا وحبّه لابدّ أن يكون في الأشياء المذكورة ، و أن الأولياء يحبّونه لذلك .

وقال عليه السلام : ذكر الموت يميت الشهوات في النفس ، ويقطع [يقلع] منابت الغفلة ، ويقوي القلب بمواعد الله ، ويرقّ الطبع ، ويكسر أعلام الهوى ، ويطفي نار الحرص ويخفّف [يحقّر] الدنيا، وهو معنى ما قال النبيّ صلى الله عليه وآله : تفكّر ساعة

(١) مصباح الشريعة : ص١٠٥ .

خير من عبادة سنة ، وذلك عند ما تحلّ أطناب خيام الدنيا ويشدها في الآخرة، ولا يسكن نزول الرحمة على ذاكر الرحمة الموت بهذه الصفة [١] ومن لا يعتبر بالموت وقلّة حيلته و كثرة عجزه وطول مقامه في القبر وتحيّره في القيامة فلا خير فيه. قال النبي صلى الله عليه وآله : اذكروا هادم اللذات، قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: الموت ، فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة إلّا ضاقت عليه الدنيا ولا في شدة إلّا اتّسعت عليه، و الموت أول منزل من منازل الآخرة وآخر منزل منازل الدنيا ، فطوبى لمن أكرمه عند النزول بأولها ، وطوبى لمن أحسن مشايعته في آخرها ، والموت أقرب الأشياء من بني آدم وهو يعدّه أبعد ، فما أجرأ الانسان على نفسه ! و ما أضعفه من خلق ! وفي الموت نجاة المخلصين و هلاك المجرمين ، لذلك اشتاق من اشتاق إلى الموت و كره من كره . قال النبي صلى الله عليه وآله : من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه[٢] .

انظر كيف عدّد عليه السلام فوائد ذكر الموت ؟ و كيف بيّن أنّ بالموت النجاة والفوز بلقاء المحبوب ؟ وأنّ سبب حبّ المخلصين له ما يحصل به من النجاة ولقاء المحبوب والانتقال من خراب إلى عمران ، و سبب كراهة المجرمين العكس ، إذ هو أول تعبهم و إهانتهم و الانتقال من عمران إلى خراب ، و كيف بيّن عليه السلام أنّ الحبيب لا يكره لقاء الحبيب .

و اعلم أنّ أكثر المؤمنين الغير الكاملين يكرهون الموت بضعف إيمانهم ومحبّتهم، لكن الكلّ يحبّونه عند الكشف لهم عن درجاتهم في الجنّة وما اعدّ لهم فيها ، فيختارون حينئذٍ الموت و يحبّونه ولقاء المحبوب ، وبه فسّر النبي صلى الله عليه وآله حديث حبّ اللقاء . وحينئذٍ فكلّ مؤمن يحبّ لقاء الله ويكره الدنيا في آخر عمره، لما اطمأنّ من خوف كون دار آخرته مخروبة و كشف له عن حبّ المحبوب و غمرانها ، و كلّ كافر يموت كارهاً للموت قبل موته لكون الدنيا

(١) في البحار « ولا يشك بنزول الرحمة على ذاكر الموت بهذه الصفة » .
(٢) بحار الانوار : ج ٦ ص ١٣٣ ح ٣٢ .

محبوبته، وحينه لما كشف له من بغض الله تعالى لـه . فحديث حب اللقاء وكرهه ينزل على ما يعم ذلك . و حب المخلصين في الدنيا للّقاء لشوقهم إلى محبوبهم وعدم مبالاتهم بجنّة ونار وثواب وعذاب أولاطمئنانهم برضا المحبوب عنهم، ولولا ذلك لهلك إلّا المخلصون .

فصـل

ومن ثمرات المحبّة وعلائمها الوفاء بالوعد، بل الاستقامة عند كل الامور، لأنّ الوعد مع المحبوب ذلك ـ أي الوفاء بالوعد ـ فمن ادعى الحبّ ادعى الوفاء بالعهد مع المحبوب، وبذلك يعلم أنّه يندرج كلّ الثمرات تحت هذه الثمرة فإن شئت قلت : الثمرة واحدة هي الوفاء بالوعد : من إيثار وتحمّل بلاء وطاعة، والوفاء بالوعد مع غير المحبوب إذا رجع إلى محبّته .

وقد حكي أنّ رجلاً كان يحبّ واحداً من أبناء السلاطين حبّاً شديداً مفرطاً منعه من اشتغاله ، فترك معاشه و جعل نفسه سقّاء في باب السلطان حتّى يراه كلّما خرج ، فبقي على هذا مدة . ثمّ إنّ بعض خواصّ ذلك الولد أخبره عن حال ذلك الرجل وإفراطه في عشقه، فقال : ذلك أظنّه كاذباً في دعواه، فقال : اختبره إن أردت تصديق مقاله، ثمّ إنّه ركب يوماً فخرج إلى الصيد وأمر ذلك الرجل أن يجيء معه إلى الصحراء ، فلمّا بلغ إلى محلّ الصيد رمى سهماً ، وقال لذلك الرجل : امض إلى هذا السهم و انظر أين وقع واجلس عنده ، فمضى الرجل إلى السهم فأخذه وقبّله وجلس منتظراً لولد السلطان ، فرجع مع خواصّه إلى البلد ولم يخرج بعد إلى تلك الصحراء حتّى مضى أربعون سنة، فاتّفق أنّه خرج يوماً إلى تلك الصحراء فرأى رجلاً قد أخذه العمر وهو جالس وبيده سهم ، فسأله عن حاله ، فقصّ قصّته فعرفه ابن السلطان ، فقال له : تعرفني ؟ فنظر الرجل إليه

فقال : أعرفك وأنا مقيم على ما أمرتني به و لا أحول عنه إلى الموت ، قضاءً لأمرك لما كنت حبيباً ، فطلب منه المجيء إلى البلد، فلم يقبل ، فبقي و كان هناك أمره.

قال في الأنوار النعمانيّة بعد ذكر الحكاية : و نظير هذا في عالم الحقيقة ماروا ه الصدوق بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال: إنّ إسماعيل الّذي قال الله عزّ وجلّ في كتابه : «واذكر في الكتاب إسماعيل إنّه كان صادق الوعد و كان رسولاً نبيّاً»[١] لم يكن إسماعيل بن إبراهيم بل كان نبيّاً بعثه الله عزّوجلّ إلى قومه ، فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك الموت ، فقال : إنّ الله عزّ وجلّ بعثني إليك ، فمرني بما شئت ، فقال : لي اسوة بما يصنع بالحسين عليه السلام وقد وعد رجلاً إلى صخرة ، قال: فاشتدت الشمس عليه ، فقال أصحابه: يا رسول الله ، لو أنّك تحولت إلى الظلّ ، قال : وعدت إلى هاهنا وإن لم يجيء كان منه المحشر . وفي خبر آخر : أنّه وعد رجلاً فجلس لـه حولاً ينتظره . فإنّ انتظاره عليه السلام له إنّما جاء من قبل الأمر به من جهة ذلك المحبوب الحقيقي ، فهو تعظيم له في الحقيقة، لا لذلك الرجل[٢] انتهى . وهو جيّد وصواب .

وأنا أقول: عمدة توصيفه بـ «صادق الوعد»لوفائه بالوعد للخضوع لأهل البيت عليهم السلام فتأسّى بالحسين عليه السلام وتبع لفعله الّذي سمع به وأقرّ بأفضليّته قولاً وفعلاً ووفّى به مثل «إبراهيم الّذي وفّى» و هو يحشر مع الحسين عليه السلام ويطلب بثاره ، فلمّا علم أفضليّته واعتقده وعزم عليه وتبعه في جميع فعله مدحه الله تعالى بذلك، و كذا إبراهيم . وأنت ـ رحمك الله تعالى ـ إذا أردت الفرد الكامل في الصدق والوفاء بالوعد مع الله تعالى فعليك بالصدّيقين و عباد الله المكرمين الّذين « لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون[٣] »محمّد وأهل بيته الطيّبين الطاهرين ـ صلوات عليهم

---

(١) مريم : ٥٤
(٢)الانوار النعمانية: ج ٣ ص ١٧٧ .
(٣)الانبياء : ٢٧ .

أجمعين ـ فقد أقروالله بالعبودية فتمكّنوا في سريرها . ولم يروا أنفسهم طرفة عين أبداً . ووفوا لله في جميع مواعيده ولم يخرجوا عن حدّ العبودية أبداً في أقوالهم و أفعالهم و حركاتهم وسكونهم ، فرضي الله عنهم ورضوا عنه ، ولم يفعلوا إلّا ما أمر به وأمرهم بما أحبّوه و رضوا به ، مع عظم ابتلائهم وجلالة مقامهم و كثرة معاشرتهم وأمرهم بها و بالجهاد و بالخلطة مع شرّ الناس من الأولين والآخرين ذكرانهم واناثهم، فصبروا بقدم ثابت وعزم راسخ حتّى باهى بهم ملائكته وأنبياؤه و رسله، فلاقوا ربّهم و محبوبهم على وجه و كيفيّة لم يلقه أحد من العباد من الملائكة و الأنبياء و الروح و غيرهم ، و العيان يغني عن البيان ، و الله المفضّل و المنّان .

فصل

و من علائم المحبّة : إطاعة المحبوب في جميع الامور و الدخول في باب العبوديّة والطاعة الّذي هو المأمور به ، ومنه إطاعة من أمر بطاعته ، قال الشاعر:

ومن الدلائل أن تري من عزمه طوع الحبيب و إن ألحّ العاذل

إلى أن قال .

ومن الدلائل أن تراه مسافراً نحو الجهاد و كلّ فعل فاضل

قال الله تعالى : «قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله» (١)

وقال تعالى: «من يطع الرسول فقد أطاع الله»(٢). فلابدّ للمحبّ أن لا يتوانى في طاعة المحبوب ولو في ماله بكلّه أو على ولده ، فانظر في تسليم النبيّ ﷺ والوصيّ عليه السلام وسائر العترة لله تعالى وطاعتهم له في نفسهم ومالهم وعيالهم .

وروي أنّ الله تعالى أعطى الخليل مالاً كثيراً حتّى أنّه كان مع مواشيه

---

(١) آل عمران : ٣١ .

(٢) النساء : ٨٠ .

أربعمائة كلب مع قلادة الذهب ، فقالت الملائكة : إنّ حبّ إبراهيم لله تعالى لأجل ما أعطاه من الأموال و أولاه من النعم ، فأراد الله تعالى بطلان ظنّهم ، فأمر جبرئيل أن يذكر ربّه ويسمعه إبراهيم، فذهب جبرئيل حين ما كان إبراهيم عند مواشيه وقام على مرتفع ونادى بصوت حسن وقال: «سبّوح قدوس ربّ الملائكة والروح» فلمّا سمع باسم حبيبه اضطربت أعضاؤه وصاح ونظر يمنةً ويسرة فرأى جبرئيل فعدى إليه ، فقال : أنت الذاكر لاسم حبيبي؟ قال:نعم ، قال : يا عبدالله اذكره مرة اخرى و لك ثلث غنمي ، فذكر ، فقال : اذكره اخرى و لك نصف غنمي ، ففعل ، فوله إبراهيم من شدة الشوق ، و قال : اذكره اخرى ولك جميع غنمي ، ففعل ، فقال : ليس لي بعد مال اذكره اخرى ولك نفسي ، ففعل ، فقال: خذني وغنمي ، فقال جبرئيل : لاحاجة لي إلى غنمك وأنا جبرئيل ويحقّ لك أن أخذك الله حبيباً له ، فإنّك كامل في الوفاء بالعهد وأنت صادق في دعوى المحبة وفي خلوص الطاعة .

وروي أنّ ابنه إسماعيل رجع يوماً عن التصيّد، فنظر إليه إبراهيم فرآه كالقمر البازغ والقامة كالشجرة ، فتحرك حبّه في قلبه فرأى في منامه في تلك الليلة أن أمر الله أن يذبحه ، فتردد أنّه أمر من الله أو وسوسة من الشيطان فرأى تلك الرؤيا ليلة اخرى فتيقّن وأقدم ـ والقصّة مذكورة في القرآن [1] ومعروفه ومشهورة ـ فلمّا ظهر صدقه و وفاؤه أرسل الله إليه الفداء (روحنا له الفداء) وقال بعض تلامذة الصادق عليه السلام في ضمن مسائل ثمانية تعلّمها منه :الاولى ـ رأيت كلّ محبوب يفارقه حبيبه عند الموت فصرفت همّتي إلى ما لا يفارقني بل يؤنسني في وحدتي ، وهو فعل الخير، ومن يعمل خيراً يجزبه، قال عليه السلام : أحسنت[2].

والأخبار في ذلك كثيرة والأدلّة متعددة .

---

(١) الصافات : ١٠٢ .

(٢) المواعظ العددية : ص٢٩٩ .

فصل

ومن العلائم: ترك الدعوى وكتمان الحبّ وعدم إظهار النشاط، لمنافاته كلّه لتعظيم المحبوب ولجلاله وكبريائه، فالمحبّة سرّ مستور بين المحبّ والمحبوب ولاينبغي إظهار السرّ، بل ربّما تقع الدعوى فوق الحدّ فيكون كذباً. وأيضاً قلّ من وفى بجميع لوازم المحبّة وثبت في كلّ مقامه، فلايصحّ لغالب المحبّين دعواها لكونها فرية. نعم: من أفرط في المحبّة وكان له قدم راسخ ويصير والهاً ومدهوشاً حيراناً يظهر منه آثارها بلااختيار منه، فهو معذور جداً لمقهوريّته تحت سلطان المحبّة.

قال الصادق عليه السلام: الدعوى بالحقيقة للأنبياء والصدّيقين والأئمّة عليهم السلام، وأمّا المدعي لغير واجب فهو كإبليس اللعين ادعى النسك وهو على الحقيقة منازع لربّه مخالف لأمره، فمن ادعى أظهر الكذب، والكاذب لايكون أميناً، ومن ادعى فيما لايحلّ له فتح عليه أبواب التلف، والمدعي يطالب بالبيّنة لامحالة، وهو مفلس فيفتضح، والصادق لايقال له: لم؟ قال أمير المؤمنين عليه السلام: الصادق لايراه أحدٌ إلّا هابه [1].

واعلم أنّ ثمرات المحبّة كثيرة وعلائمها لاتنحصر بماذكر، وقد علمت كثيراً منها ممّا تلوناه عليك من الأخبار النبويّة وغيرها، ولو عددناها واستوفيناها وشرحناها لطالت الرسالة بها، وفيما ذكرناه كفاية وغنية لأهل الاشارة، والله العالم.

---

(١) مصباح الشريعة: ص٢٠٠ مع تفاوت يسير.

فصل

في أسباب المحبة وبواعث استجلاب المودة

منها: الاحسان، وهو واضح مجرب، لأنّ الانسان عبد الاحسان ويستحسنه ويلائمه ويحبّه، فيحبّ مبديه ومسديه.

قال مولانا الرضا عليه السلام: «جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها»[1]. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أحبّوا الله لما يغذوكم من نعمة، وأحبّوني لحبّ الله»[2]. وفي القدسي: «ياموسى، أحبّني وحبّبني إلى خلقي، قال: يارب هذا حبّك، فكيف احبّبك إلى خلقك؟ قال: اذكر لهم الآئي ونعمائي وبلائي عندهم، فإنّهم لاينكرون إذ لايعرفون منّي إلّا كلّ خير»[3]. وفي آخر «حبّبني إلى خلقي وحبّب خلقي إليّ، قال: يارب، كيف أفعل؟ قال: ذكّرهم آلائي ونعمائي ليحبّوني»[4] وفيه إشارة إلى التلازم في المحبّة.

وعن الجزء الثالث من «كنز الفوائد» للكراجكي: أنّه وجد في حكمة داود «ذكّر عبادي إحساني إليهم، فإنّهم لايحبّون إلّا من أحسن إليهم»[5].

وفي القدسيّات الأحمديّة صلى الله عليه وآله «يابن آدم، ما تنصفني أتحبّب إليك بالنعم وتتمقّت إليّ بالمعاصي»[6] الحديث.

ثمّ المراد من حبّهم له صلى الله عليه وآله لحبّ الله: إمّا أنّه حبيب الله، ومن أحبّ أحداً يحبّ محبوبه وما يتعلّق به من ولد وأهل ودار سائر متعلّقاته، كما تقدم.

---

(١) بحار الانوار: ج٧٧ ص١٤٠.

(٢) بحار الانوار: ج٧٠ ص١٤.

(٣) بحار الانوار: ج٧٠ ص١٨.

(٤) مجموعة ورام: ج٢ ص١٠٨.

(٥) الجواهر السنية: ص٩٥ نقلا عن كنز الكراجكي.

(٦) بحار الانوار: ج٧٧ ص١٩ ح٢.

أو أنّه يحبّه الله ، فلابدّ من تبعيّة كلّ المخلوقات له تعالى كما في الصلاة عليه ، فمن صلّى عليه صلّى الله عليه وصلّى عليه جميع المخلوقات لصلاة الله عليه ، كما في الأخبار ، و بيّنا وجه ذلك و كيفيّة صلاة جميع المخلوقات في محلّ لايق به . و بالجملة : هذه قاعدة نفيسة عقليّة و منصوصة في أخبار الصلوات وغيرها .

أو أنّه صلى الله عليه وآله من أعظم النعم الّتي أعطاهم الله تعالى وقدمر أنّ النعم والاحسان محبوبان .

أو أنّ الله تعالى إنّما أعطى عباده النعم وأفاض عليهم بالجود والكرم بواسطته صلى الله عليه وآله وهو الحامل لها والجالب إليهم من الخلق والهداية وسائر النعم ، فكلّ النعم من الله تعالى إلى عباده نعمة منه صلى الله عليه وآله إليهم لأنّهم الواسطة في إيصالها . وهو المنعم إليهم بعد الله تعالى . و كذا الحال في عترته الطاهرين ، لأنّهم المبلّغون عنه صلى الله عليه وآله وهو عن الله تعالى ، ولذا في الأدعية «اللّهمّ صلّ على محمد وآله كما هديتنابه[1] وأكرمتنابه» وهكذا .

وبالجملة : فهم الوسائط في إنزال الفيوض ، وهذا الوجه قريب من سابقه.

أو أنّ الله تعالى محبوبهم أمر بمحبّته صلى الله عليه وآله ويحبّ طاعة المحبوب ، فمعنى قوله صلى الله عليه وآله : «أحبّوني لحبّ الله» أنّ حبّ الله يوجب لطاعته ، ومن جملة طاعته حبّي ، لأنّه أمر به . و كلّ هذه الوجوه وجيه ، وأقربها لفظاً هو الأول .

فهذا سبب المحبّة، وهو الاحسان الموجب لمحبّة المحسن ومولاه ولمحبة متعلّقاته ولطاعته وطاعتها .

ومنها: الكمال . ومنها : الجمال ، فإنّ كلّ ناقص أدرك نقصانه ومرتبة كمال وهو دونها يحبّ وصولها لامحالة والقرب إلى ذلك الكامل ، فإذا حصّلها وأدرك مرتبة أعلى يسعى في تحصيلها ويحبّها ، وهكذا إلى أن ينتهي إلى الكامل

(١) الصحيفة السجادية : الدعاء ٣١ في ذكر التوبة وطلبها .

المطلق الحقّ سبحانه وتعالى، و هذا سارٍ في جميع المخلوقات و الموجودات من السماء والأرض بما فيهما وفوقهما . لكنّ الّذي يتعلّق به العلم التفصيلي لعامّة الناس إنّما هو السبب الأوّل ، و هو الاحسان و الانعام ، و لـذا اقتصر عليه في النصوص . و أمّا غيره : فلايتفطّن به تفصيلاً و يختصّ به الخواصّ و الأحرار و المحبّون الّذين رفضوا الدنيا والآخرة و خلصوا لمبدعهم و محبوبهم،مع أنّ إفاضة تلك المرتبة عليهم من أعظم النعم و التفضّلات ، فيرجع الأسباب إلى واحد ، هو السبب الأول. نعم : ربّما تحصل المحبّة بسبب الانس والتعارف حيناً إمّا في عالم الذرّ أو في هذه النشأة ، فيحبّ المستأنس لمونسه إذا رآه بعد ذلك ، وربّما يحصل بسبب المشاركة في الدين أو الصنعةأو التقارب في السنّ ونحوها ، و كلّ ذلك سبب للاستئناس أيضاً . هذا مجمل الكلام ، وأمّا تفصيل تلكالأقسام فها نحن نذكرها فنقول :

إنّ الانسان يحبّ نفسه و وجوده وبقاءهوسببوجوده واصوله وفروعهوما به كمال وجوده،وحينئذٍ نقول :

من أقسام المحبّة :أنّ الانسان يحبّ وجوده وبقاءه ، وهو أشدّ أقسام المحبّة وأقواها ،فإنّ المحبّة لاتحصلإلّابملائمة المحبوب لطبع المحبّومعرفتها والاتّحاد والمناسبة بينهما، ولاشبهة في أنّ أوفق الأشياء وأشدها ملائمةللشخص نفسه ، و كذا معرفته بنفسه أقوى المعارف . و اتّحاده مع نفسه لا يشابهه اتّحاد، فلذا أحبّ الأشياء إلى الشخص نفسه ، و كما أنّ الشخص يحبّ وجوده و بقاءه ، فكذا يحبّ كمال وجوده ، و هويرجع إلى حبّ وجوده ، فإنّ فقد الكمال للشخص نوع نقص في وجوده، والنقص عدم ، ففقد الكمال نوع من عدم الوجود ، بل كلّ صفات الكمال راجعة إلى الوجود ، و كلّ صفات النقص راجعة إلى العدم . ثمّ إنّ هذا أحد أسباب محبّة الانسان لأولاده ، لأنّهم خلف له و قائمون مقامه ، فلمّا أيس من بقائه الدائم أحبّ من يقومون

مقامه و يكون بقاؤهم بمنزلة بقائه ، فهو يرجع إلى محبّة بقاء وجوده ، و كذا محبّة الأقارب و القبائل ، فإنّه يحبّ كماله وهم سبب كماله و قوته و عزته فإنّ العشائر بمنزلة الجناح .

ومنها : محبّة الغير لتحصيل اللذة الجسميّة الحيوانيّة ، كمحبّة كلّ من الزوجين للآخر للمباشرة ، ومحبّة الأطعمة اللذيذة والألبسة الفاخرة .

ومنها : محبّة الغير لتحصيل اللذة العقليّة كمحبّة المتعلّم للمعلّم لتحصيل العلم، والعكس لتحصيل منصب الشيخوخيّة والفضيلة والمثوبة وزيادة العلم بالانفاق والتعليم و حصول الكمال له والأجر عليه، وهما يرجعان إلى الأول ، لأنّه يحبّ كماله و هو يبعث على المحبّة للذاته ، لأنّه يتخيّلها كمالاً له ، ومحبّة اللذة سبب لمحبّة الاحسان، فيحبّ المحسن الموقوف عليه الاحسان ولذاته .

ومنها : محبّته لغيره لاحسان حاصل في السابق، وهذا أيضاً راجع إلى الأول ، فإنّه يحبّ كماله فيحبّ للذاته ، فيحبّ الاحسان لأنّه يوجب للوصول إلى لذاته ، فيحبّ المحسن، كما مرّ، فحبّ هذه لحبّ كماله، و هذه المحبّة تزيد وتنقص وتنتفي بزيادة الاحسان ونقصانه وانقطاعه ، والانسان عبد الاحسان و«جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها»[1] كما في النصّ والتجربة ، كما تقدم لتلك النكتة . ولذا قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «اللّهمّ لا تجعل لفاجر عليّ إحساناً ونعمة»[2] حذراً من حبّه له .

ومنها : محبّة شيء لذات ذلك الشيء لكونه كاملاً أو جميلاً من غير ملاحظة شيء سوى ذاته: من إحسان واستيفاء لذة، كمحبّة العلم وسائر الكمالات: من خطّ حسن و جمال و نحوهما ، فإنّ الكمال و الجمال محبوبان بنفسهما و إدراكهما لذّة . و قد تقدم أنّ محبّة الصور الحسنة لا تنحصر بقصد المباشرة

---

(١) بحارالانوار : ج ٧٧ ص ١٤٠.

(٢) المحجة البيضاء: ج٣ ص٢٨٨.

و بمقدماتها، و كذا محبّة الكمال لاتنحصر بتحصيل كمال وتسريته منه إليه ، بل الكمال والجمال محبوبان بنفسهما . لكن يمكن أن يقال : إدراكهما لذة و اللذة إحسان ممّن يستلذّ به ، فيحبّه لالتذاذه بنفسه ، فيرجع إلى ما تقدم ، و هو محبّة نفسه و وجوده و كماله و ملائماته . نعم : بعدالوصول إلى كمال المحبّة وفرطها يذرالمحبّ نفسه ويفنى في المحبوب ، فيحبّ الكامل من دون ملاحظة غيره : من نفس ولذة وغيرهما .

ومنها : محبّة اصوله وعلل وجوده ، و هي ترجع إلى الأول، لأنّه يحبّ وجوده فيحبّ من يتوقّف عليه وجوده ومن حصل به وجوده ، وهذا سبب محبّة الانسان لآبائه و امّهاته ، و أحد أسباب محبّة الله و النبيّ صلى الله عليه وآله و الأئمة عليهم السلام والمعلّم .

ومنها : محبّة المتشاركين في علّة ، كالاخوة و الأخوات و المتعلّمين وتلاميذ عالم و الأقارب ، ومن هنا يلزم أنّ من عرف الصانع تعالى يحبّ جميع مخلوقاته لتلك المشاركة من حيث إنّها مخلوقاته تعالى .

تنبيه :

قدذكرنا التلازم في المحبّة من الطرفين ، فاعلم أنّه قد يحصل بعض أسباب المحبّة من طرف دون الآخر، فتختصّ المحبّة بطرف، وبه نصّ في «معراج السعادة» معلّلاً بماذكر. وحينئذٍ كلّ أحد يحبّ ذا الصورة الحسنة فلايلزم محبّة صاحب الحسن لكلّهم، والرجل الصالح يحبّه الصالح والطالح ولايلزم حبّه لهما. وبالأولى لا يلزم التساوي في مقدار المحبّة ، وما تقدم من التلازم في محبّة الله وفي محبّة الأنبياء والأولياء والاخوان المؤمنين وأثبتنا التلازم من الطرفين فيها وأقمنا عليه الأدلّة من النصوص وغيرها إنّما هو في تلك الموارد. ولتلك النكتة ـ وهي أسباب المحبّة من الطرفين بعبوديّة و ربوبيّة و إطاعة وانقياد ومولويّة ـ لك أن تمنع

كلام صاحب « المعراج » وتلتزم بالملازمة الكلّيّة ، كما هي قضيّة بعض الأدلّة، ولكن تخصيص ذلك بتقدير العلم بما في الطرف الآخر ، فإنّه يبعث على المحبّة من الطرف الآخر ، ولك أن تعمّم ولا تبالي . فيتأتّى التلازم الواقعي بلا اختيار و لا شعور بحصول المحبّة من الطرف الآخر ، بل يستكشف بما في القلب عمّا في قلب الآخر، وهو غير بعيد، و إن اتّفق التخلّف فهو لمانع في طرف، لا لعدم اقتضاء المحبّة للتلازم . و يمكن إرجاع كلام صاحب « المعراج » إلى ما يعمّ ذلك ، لكنّه بعيد من ظاهر كلامه .

ويمكن أن يقال: إنّه مع إمكان ذلك وتحقّقه والتزامه فلم لا يمكن التخلّف بسبب تحقّق السبب من طرف دون آخر؟ وما الدليل على امتناعه؟ وإذعان تخلّف الأثر لمانع من طرف بعد تحقّق السبب فيه ليس بأولى من إذعان تحقّق السبب من طرف وعدمه من آخر (والله العالم) .

فصل

قد تقدم أنّ فرط المحبّة قد يبلغ مبلغاً يتخيّل المحبوب محسوساً ويرى غيره محبوباً ، أو يرى على نفسه صورة المحبوب، وأنّه ليس إلّا اتّحاداً خياليّاً لا حقيقيّاً، كما زعمه الصوفيّة. لكن لابدّ أنّ يعلم أن مرتبة الفناء والبقاء بالمحبوب و اكتساب صفات المحبوب و ظهورها في المحبّ ممّا لا ينبغي إنكارها في الشاهد والغائب و في عالم المجاز والحقيقة ، فإنّ المجاور يتّصف بصفة جاره في أحواله وأخلاقه وأطواره، كالحديدة المحماة في النار تحرق كما تحرق النار وتفعل فعلها. وقد أشار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا المعنى وهذا التشبيه فيما تقدم من كلامه في تفسير المحبّة بقوله: « حبّ الله نار لا يمرّ على شيء إلّا احترق ونور الله لا يطلع على

شيء إلّا أضاء » إلى آخر ما قاله عليه السلام [١] و مولانا الصادق عليه السلام بقوله : «حبّ الله إذا أضاء على سرّ عبد أخلاه عن كلّ شاغل» إلى آخره [٢]. فقد أشارا عليهما السلام إلى إلى مرتبة الفناء في الله والبقاء بالله. و قال الأمير عليه السلام : « ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانيّة و لا بحركة غذائيّة و لكنّي ايّدت بقوة ملكيّة و نفس بنور ربّها مضيئة» [٣]. وقال تعالى : « ومارميت إذ رميت ولكنّ الله رمى» [٤]. وقال سبحانه في حقّ عيسى : « و إذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني » [٥] و لم يقل : « ما تخلق فإنّ الله خلقه » إشارة إلى بقيّة فيه و عدم بلوغه درجة سيّد الأنام عليه الصلاة والسلام .

و بالجملة : فالعبد المحبّ يصير حينئذ كالحديد المحماة في النار تسلب أوصاف نفسها و يتّصف بصفات النار، و كالقصبة المجوفة يخرج منها من الأصوات والنغمات ما ينفخ فيها . فكذا العبد الخالص المجوف الخالي سره عن جميع المرادات سوى المحبوب الحقّ تعالى وتقدس .

وفي زيارة أمير المؤمنين عليه السلام : السلام عليك يا عين الله الناظرة ويده الباسطة واذنه الواعية [٦] .

وفي القدسيّات الأحمديّة المعراجيّة: ما يتقرب إليّ عبد من عبادي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضته عليه و أنّه ليتقرب إليّ بالنوافل حتّى احبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع به وبصره الّذي يبصر به و لسانه الّذي ينطق به ويده الّتي يبطش بها ، إن دعاني أجبته و إن سألني أعطيته [٧] .

---

(١)و(٢) مصباح الشريعة : ص : ١٩٢ .
(٣) سفينة البحار : ج١ ص٣٧٤ مع تفاوت .
(٤) الانفال : ١٧ .
(٥) المائدة : ١٠ .
(٦) مفاتيح الجنان : زيارة أمير المؤمنين يوم الميلاد ص٣٧٧ .
(٧) الجواهر السنية : ص١٢١ .

وفي مصباح الشريعة عن مولانا الصادق عليه السلام: العبودية جوهرة كنهها الربوبية، فما فقد من العبودية وجد في الربوبية وما فني عن الربوبية اصيب في العبودية، قال الله عزّ وجلّ: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد»[1] أي موجود في غيبتك وحضرتك، وتفسير العبودية بذل الكلّية، و سبب ذلك منع النفس عمّا تهوى وحملها على ما تكره في طاعة الله العليّ الأعلى، ومفتاح ذلك ترك الراحة وحبّ العزلة، وطريقه الافتقار إلى الله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك، وحروف العبد ثلاث «ع» و«ب» و«د» فالعين علمه بالله، والباء بونه عمّا سواه، والدال دنوه من الله بلا كيف ولا حجاب[2] الحديث.

ثمّ في هذا الحديث جعل كنه العبودية الربوبية، لا الالوهية كما ذهب إلى الأوهام، فالمراد أنّ من خضع لله خضع له كلّ شي، ومن أطاع الله وعبده حقّ عبادته يجعله الله مثله، إذا قال: كن، فيكون. فيصاب في العبودية آثار الربوبية، فيكون مظهراً لها وآلةً لها يفعل الله بها، كالحديدة المحماة تحرق.

وبالجملة: فمن أنفق قواه في طاعة الله أعطاه الله قوة ربّانيّة، ولأولياء الله القدرة التامّة، لهم التصرف في الأشياء بإذن الله تعالى يحيون ويميتون، ويجعلون الرجل انثى والانثى رجلاً، وصورة حيوان حيواناً، وغير ذلك، كما اتّفق كلّ ذلك للأنبياء والأئمّة، ومذكور في الروايات. وكذا ينظرون بنور الله إلى ما فوق السماوات والعرش ويعلمون الأسرار ومافي القلوب، لكنّهم في التكاليف الظاهريّة مثلنا، وكذا في سائر الأفعال الظاهريّة، فيمرضون ويصحّون ويجوعون ويأكلون ويشربون ويتوضّأون عند القدرة ويتيمّمون عند الاضطرار، إلى غير ذلك، فهذا كلّه غير الاتّحاد. وكذا ما في الخبر «إنّ لنا مع الله حالات نحن فيها هو وهو فيها

(١) فصلت: ٥٣.
(٢) مصباح الشريعة: ص٧ مع تفاوت يسير

نحن و نحن نحن و هو هو» لا يراد منه الاتّحاد المحال عقلاً، بل هو مؤوّل بنهاية القرب إلى الله في تلك الأحوال زائداً على ما لهم في القرب في سائر الأحوال الّتي امروا فيها بالمعاشرة مع الناس ، ففي مقام مناجاتهم و خلوتهم بربّهم و استغراقهم في مشاهدة المحبوب و توجّههم التامّ إلى نحو المبدىء لهم أحوال وراء سائر الأحوال

وفي القدسيّات : عبدي أطعني أجعلك مثلي ، أنا حيّ لا أموت أجعلك حيّاً لا تموت ، أنا غنيّ لا افتقر أجعلك غنيّاً لا تفتقر ، أنا مهما أشاء يكون أجعلك مهما تشاء يكون[1] .

وفيها: إنّ لله عباداً أطاعوه فيما أراد فأطاعهم فيما أرادوا ، يقولون للشيء: كن ، فيكون[2] .

وفيها : يابن آدم ، أنا غنيّ لا أفتقر ، أطعني فيما أمرتك أجعلك غنيّاً لا تفتقر ، يابن آدم ، أنا حيّ لا أموت أطعني فيما أمرتك أجعلك حيّاً لا تموت ، أنا أقول للشيء : كن، فيكون، أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء: كن فيكون [3] .

واعلم أنّه توهّم بعض المتصوفة الاتّحاد المحال من الحديث القدسيّ الأحمدي واختلف علماء الحقّ في توجيهه وتأويله ، و كذا اختلفوا في معنى حديث مصباح الشريعة .

أما الاول :

فنقول : أولاً: انّه غير دالّ على مقصودهم ، لاختصاص المعنى المذكور فيه بالمحبّين الكاملين المواظبين بالنوافل بعد أداء الفرائض حتّى يصير محبوب الله فيكون الله سمعهم و بصرهم وأيديهم، واتّحادهم المحال يعمّمونه بجميع الأشياء .

و ثانياً : قيل : معناه أنّ أعضاء كلّ أحد محبوب عنده و عزيز لديه ،

---

(١) و(٢) الجواهر السنية فى الاحاديث القدسية : ص٣٦١ .

(٣) الجواهر السنية فى الاحاديث القدسية : ص٣٦٣ .

والغرض الوصول في المحبّة الى مقام يؤثر الله سبحانه على نفسه وأعضائه ويفنيها وقواها في سبيل الله .

وأنت خبير بأنّه مع كونه كلاماً ظاهريّاً في غاية البُعد من الحديث الشريف، فمعنى كونه سمعه مثلاً : أنّه يؤثره عليه، وهو بعيد، على أنّ توصيف السمع بوصفه لغو حينئذٍ ، إلاّ أن يقال : إنّه لافناء قوته فيه تعالى.

وقيل : معناه أنّه يصل في المحبّة إلى مقام لايرى بحواسّه غير آثار صنع الله وما فيه رضاه ويرتفع عنه المرادات ويؤثر مراد المحبوب على مراده، وهذا العلاّمة المجلسي ـ رحمه الله ـ و أنت خبير ببعد ذلك أيضاً ، فمعنى كونه تعالى بصره مثلاً : أنّه لايرى غير رضاه و غير آثار صنعه كما تراه، وهكذا.

وقيل : معناه أنّه إذا وصل العبد في مقام المحبّة إلى أن يصرف قواه وأعضاءه في سبيل طاعته، وكذا ماله وعزه وجاهه واجتهد ببدنه وخلص لله ربّ العالمين ، فالله تعالى يعطيه نوراً في عينه وسمعه وبصره وقلبه وقوة في بدنه عوضاً عمّا نفقه لايشابه المعوض ، وهي فوق القوة البشريّة ، كما قال تعالى : « قل ما أنفقتم من شيء فهو يخلفه»[1] و هذه القوة لا يقاومها شيء وبها يقدر العبد أن ينزل السماء إلى الأرض بل لايحتاج إلى حركة الأعضاء والجوارح ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانيّة بل بقوة ربّانيّة ملكوتيّة »[2] و لايرتفع هذا النور وهذه القوة بالموت ، فإذا أراد العبد فعل شيء يخلق الله تلك القدرة في قلبه مقارنة لارادته ويفعل بها، لابقدرته وقوته ويشير إليه الحديث الشريف «إنّ قلب المؤمن بين اصبعي الرحمن»[3] وكذا يرى بهذا النور حقائق الأشياء والامور الغيبيّة ، كما قال عليه السلام : «اتّقوا فراسة المؤمن، فإنّه ينظر بنور الله»[4].

---

(١) سبأ : ٣٩ .

(٢) سفينة البحار : ج١ ص٣٧٤ .

(٣) تفسير القرآن لصدرالدين الشيرازى : ج٢ ص١٦٣ .

(٤) الوسائل : ج٨ ص٤٢٤ .

أقول : وهذا أيضاً ذكره العلاّمة المذكور . وهو الحقّ الواضح . ويتّضح لغير الكاملين بالمثال المتقدم ، وهي الحديدة المحماة في النار ، يزعمها الجاهل ناراً وليست بنار ، بل متأثّرة منها مظهراً لآثارها ، فالانسان الكامل الخالص في محبّة الله آية من آيات الله بدت قدرته تعالى فيه بما هو خارق للعادة ، و قد عقل العقلاء هذا المعنى ، ففهموا أنّه من عبادالله المكرمين الّذين «لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»(١) وليس بربّ وأنّ الربّ تبارك و تعالى لا يحلّ في مكان ولا يأكل و لايمشي و لاينام ، و الجهّال الغلاة قالوا : إنّه هو ، لما رأوا ظهور القدرة و عدم بدوّ الهيئة ، و عدم النظر و الادراك لما فيه من صفات المحدث كالجاهل الزاعم للحديدة المحماة ناراً .

قال مولانا الرضا عليه السلام : إلهي، قدبدت قدرتك ولم تبدهيئة فجهلوك وقدّروك، والتقدير على غير ما به وصفوك، وإنّي بريء يا إلهي من الّذين بالتشبيه طلبوك ، ليس كمثلك شيء ، إلهي و لن يدركوك ، فظاهر ما بهم من نعمك دليلهم عليك لوعرفوك ، و في خلقك يا إلهي مندوحة أن يتناولوك ، بل سووك بخلقك، فمن ثمّ لم يعرفوك واتّخذوا بعض آياتك ربّاً ، فبذلك وصفوك تعاليت ربّي عمّا به المشبّهون نعتوك (٢) .

ولنذكر بعض الروايات والحكايات فيما علموا بنورالله وهداه ، وفيماصدر من أولياء الله وأحبّائه من الأنبياء والأئمّة ومن أخلص ولايتهم وأكملها، وفيما فعل الله عند دعائهم أو فعلوا بقدرة الله تعالى الّتي خلق فيهم بقدرتهم عندإرادتهم ليطمئنّ قلب المؤمنين والمحبّين ، والحمدلله ربّ العالمين .

فمنها ـ مارواه في البحار : من أنّ تسعة إخوة أو عشرة في حيّ من أحياء العرب كانت لهم اخت واحدة ، فقالوا لها : كلّ مايرزقنا الله نطرحه بين يديك فلا ترغبي في التزويج فحميّتنالاتحمل ذلك، فوافقتهم في ذلك ورضيت به وقعدت

(١) الانبياء : ٢٧ .
(٢) التوحيد للصدوق : ص١٢٤ ح٢ .

في خدمتهم وهم يكرمونها ، فحاضت يوماً فلمّا طهرت أرادت الاغتسال وخرجت إلى عين ماء كان بقرب حيّهم، فخرجت من الماء علقة فدخلت في جوفها وقد جلست في الماء ، فمضت عليها الأيّام و العلقة تكبر حتّى عات بطنها ، و ظنّ الاخوة أنّها حبلى وقد خانت فأرادوا قتلها ، فقال بعضهم : نرفع أمرها إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فإنّه يتولّى ذلك ، فأخرجوها إلى حضرته و قالوا فيها ما ظنّوا بها ، فاستحضر طشتاً مملوءً بالحماة وأمرها أن تقعد عليه ، فلمّا أحسّت العلقة برائحة الحماة نزلت من جوفها ، فقالوا : ياعليّ أنت ربّنا الأعلى ، فإنّك تعلم الغيب ، فزبرهم وقال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرنا بذلك عن الله بأنّ هذه الحادثة تقع في هذا اليوم في هذا الشهر في هذه الساعة [١] .

ومنها ـ ما رواه فيه : من أنّ امرأة تركت طفلاً ابن ستّة أشهر على سطح فمشى الطفل يحبو حتّى خرج من السطح وجلس على رأس الميزاب ، فجاءت امّه على السطح فما قدرت عليه فجاءوا بسلّم ووضعوه على الجدار فما قدروا على الطفل من أجل طول الميزاب وبعده عن السطح ، و الامّ تصيح ، و أهل الصبيّ يبكون ، وكان في أيّام عمر بن الخطّاب فجاءوا إليه وحضر مع القوم فتحيّروا فيه فقالوا : مالهذا إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فحضر عليّ عليه السلام فصاحت امّ الصبيّ في وجهه ، فنظر أمير المؤمنين إلى الصبيّ فتكلّم الصبيّ بكلام لم يعرفه أحد ، فقال عليه السلام : أحضروا هاهنا طفلاً مثله ، فأحضروه ، فنظر بعضهما إلى بعض و تكلّم الطفلان بكلام الأطفال ، فخرج الطفل من الميزاب إلى السطح ، فوقع فرح في المدينة لم ير مثله ، ثمّ سألوا أمير المؤمنين : علمت كلامهما ؟ فقال : أمّا خطاب الطفل فإنّه سلّم عليّ بإمرة المؤمنين فرددت عليه وما أردت خطابه، لأنّه لم يبلغ حدّ الخطاب والتكليف، فأمرت بإحضار طفل مثله حتّى يقول له بلسان الأطفال: يا أخي ارجع إلى السطح ولا تحرق قلب امّك وعشيرتك بموتك ، فقال : دعني يا

(١) بحار الانوار : ج٤٠ ص٢٤٢ ح٢٠ .

أخي ، قبل أن أبلغ فيستولي عليّ الشيطان ، فقال : ارجع إلى السطح فعسى أن تبلغ ويجيء من صلبك ولد يحبّ الله ورسوله ويوالي هذا الرجل ، فرجع إلى السطح بكرامة الله تعالى على يد أمير المؤمنين عليه السلام [(١)].

أقول : وفي هذا الحديث أشياء : من علمه بلسان الأطفال قبل أن ينطقوا، ومن شعورهم ومعرفتهم بالولاية والشيطان وأعداء أهل البيت عليهم السلام وبالأعمال الخالصة والنيّات الصادقة، ومن عدم سبقهم ربّهم وعدم التعدي من حدوده ، ولذا لم يأمر الطفل بالرجوع ، لأنّه لم يبلغ حدّ الخطاب ، وغير ذلك .

وأنا أعلم أنّ عمدة السبب في تقدير هذا الأمر إتمام الحجّة على من حضر الواقعة لئلاّ يقولوا يوم القيامة «إنّا كنّا عن هذا غافلين» [(٢)] .

ومنها ـ ما فيه : من تنازع امرأة ورجل في جمل و نهيه عليه السلام الرجل من ظلامة الامرأة ورده عليه وأمره الجمل بالشهادة على الحقّ ، فسلّم بلسان فصيح عليه ثمّ شهد بأنّه للامرأة منذ تسعة عشر سنة ، فأقبضها الجمل وقتل الرجل[(٣)].

و منها ـ ما فيه : من إنكار امرأة لولدها بعد موت زوجها و إعطاء الرشوة سبع نفر كلاّ منهم عشرة دنانير ، فشهدوا لها بالبكارة و عدم التزويج ، و أنّهم لم يعرفوا لها بعلاً ، فتحيّر عمر فجاء بمن معه إلى عليّ عليه السلام فأنكر عليها إنكار الولد ، فادعت البكارة و عدم التزويج ، فأمر بإحضار قابلة فأعطتها رشوة فشهدت لها بالبكارة مثل الشهود ، فكذّب عليه السلام القابلة وأمر قنبر بإخراج الرشوة من كتف القابلة ، ثمّ أمر المرأة بتزويج نفسها من الولد فأبت وأقرت بأنّه ولدها وأنّ إنكارها لمنعه الارث ، فأمرها بالاستغفار والتوبة وأصلح بينهما [(٤)] .

---

(١) بحار الانوار : ج٤٠ ص٢٦٧ ح٣٦ .

(٢) الاعراف : ١٧٢ .

(٣) بحار الانوار : ج ٤٠ ص٢٦٧ ح٣٧ **نقلا** بالمعنى .

(٤) بحار الانوار : ج٤٠ ص ٢٦٨ ح٣٨ نقلا بالمعنى .

ومنها ـ ما فيه: من قصّة الشابّ الصالح المقدسي الحاجّ الّذي أوصى به عمر لزهده، وعشق امرأة من الأنصار حاجة به، و أمرها بالزنا وإبائه، فنسبته إلى السرقة، فوجد الحاجّ متاع المرأة الّذي دسّته في رحل الشابّ، فمالوا عليه بالضرب الموجع وقيّدوه وجاءوا به معهم إلى المدينة وقد حملت المرأة من الزنا من رجل راع في الطريق فنسبته إلى الشابّ أيضاً، فلمّا سألهم عمر عنه حكوا عليه القصّة وقالت له المرأة: إنّه سرق مالي وزنى بي، وشهدوا لها، فكذبها أمير المؤمنين وقال لعمر: إنّه مجبوب ليس معه إحليل، وإحليله في حقّ من عاج أودعه عندك فأحضر عمر الحقّ، ففتحوه فإذا فيه إحليله، ثمّ جرد عليه السلام الشابّ من ثيابه فإذا هو مجبوب، كما قال عليه السلام، ثمّ قصّ قصّة المرأة من عشقها وتكليفها الزنا وإباء الشابّ وزنا الراعي، ثمّ أمر عليه السلام برجمها بالحجارة في مقابر اليهود ثمّ لم يزل المقدسي يلازم مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله يعبد فيه إلى أن توفّي وفي تلك القضيّة قال عمر ثلاثاً: «لولا عليّ لهلك عمر»[1].

و منها ـ ما رواه في البحار عن ميثم التمّار، والقصّة طويلة، و ملخّصها: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان في جامع الكوفة في جمع من أصحابه وأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله إذ دخل من باب المسجد رجل طويل عليه قباء خزّ واعتمّ بعمامة صفراء و هو متقلّد بسيفين، فسأل الناس عنه عليه السلام فلمّا عرفه قال: أنا رسول إليك من من ستّين ألف رجل يقال لهم: العقيمة، وقد حمّلوني ميّتاً مات من مدة و هو بباب المسجد، فإن أحييته ليخبر بقاتله و رفع الاختلاف بينهم تحقّقنا أنّك خليفة رسول الله وإلّا علمنا أنّك تدعي غير الصواب، فأخبر عليه السلام أنّ القاتل عمّه لأنّه زوّجه ابنته. فتركها وتزوج بغيرها، فلم يقنع بذلك، فحمدالله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: مابقرة بني إسرائيل بأجلّ منّي عندالله، فاضرب هذا الميّت ببعضي لأنّ بعضي خير من البقرة كلّها، ثمّ هزه برجله و قال له: قم

(١) بحار الانوار: ج٤٠ ص٢٧٠ ح٣٩ نقلا بالمعنى.

بإذن الله يا مدرك بن حنظلة بن عنان [١] بن بحير بن فهر بن سلامة بن الطيّب ابن الأشعث، فها قد أحياك الله تعالى على يد عليّ بن أبي طالب ، قال ميثم التمّار فنهض غلام أضوء من الشمس أضعافاً ومن القمر أوصافاً ، فقال لبيّك ، لبّيك يا حجّة الله على الأنام المتفرد بالفضل والانعام ، فسأله عن قاتله ، فأخبره ، ولم يفارقه عليه السلام حتّى قتل بصفّين [٢].

ومنها ـ مارواه في البحار : مرفوعاً إلى عمّار بن ياسر وزيد بن أرقم ، قالا: كنّا بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الاثنين لسبع عشر خلت من صفر ، و إذا بزعقة عظيمة أملأت المسامع ، وكان على دكّة القضاء ، فقال: ياعمّار ، ائتني بذي الفقار ، و كان وزنه سبعة أمنان و ثلثي منّ مكّي ، فجئت به فانتضاه من غمده وتركه على فخذه، وقال: ياعمّار، هذا يوم أكشف فيه لأهل الكوفة الغمّة ليزداد المؤمن وفاقاً والمخالف نفاقاً ، ائت بمن على الباب، قال عمّار: فخرجت وإذا على الباب امرأة في قبّة على جمل وتشتكي وتصيح: ياغياث المستغيثين، ويا بغية الطالبين، ويا كنز الراغبين ، ويا ذا القوة المتين ، ويا مطعم اليتيم ، ويا رازق العديم ، ويا محيي كلّ عظم رميم، ويا قديم سبق قدمه كلّ قديم، يا عون من ليس له عون ولا معين، يا طود من لا طود له، يا كنز من لا كنز له، إليك توجّهت، وبوليّك توسّلت، وخليفة رسولك قصدت، فبيّض وجهي، وفرج عنّي كربتي ، وحولها ألف فارس بسيوف مسلولة ، قوم لها وقوم عليها ، فقلت : أجيبوا أمير المؤمنين ، أجيبوا عيبة علم النبوة، فنزلت المرأة من القبّة ودخلت مع القوم المسجد فوقفت بين يديه عليه السلام وشكت إليه حالها وطلبت الفرج. فقام عليه السلام وقال: سلوني مابدا لكم يا أهل الشام، فنهض من بينهم شيخ وسلّم عليه ، وقال: هذه الجارية ابنتي خطبها ملوك العرب و أنا موصوف بين العرب و قد نكست رأسي بين عشيرتي و فضحتني في أهلي

---

(١) في البحار : غسان .

(٢) بحار الانوار : ج٤٠ ص٢٧٤ ح٤٠ نقلا بالمعنى .

ورجالي ، لأنّها عاتق حامل، فاكشف هذهالغمـّة، فإنّ الامام خبير بالأمر، فقال: ما تقولين يا جارية ؟ فقالت: صدق أنّي عاتق ، وأمّا قوله : أنّي حامل، فوحقّك يا مولاي ما علمت من نفسي خيانة قطّ و أنّي أعلم أنّك أعلم بي منّي ، ففرج عنّي يا مولاي، فعندذلك أخذ الامام عليه السلام ذوالفقار وصعد المنبر، وقال: الله أكبر الله أكبر، جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً، ثمّ أمر بقابلة نساءأهل الكوفة امرأة تسمّى لبناء، فضرب بينها وبينها حجاب ونظرت فرأتها عاتقاً حاملاً فالتفت إلى أب الجارية، فقال: ألست من قرية كذا وكذا من أعمال دمشق تسمّى أسعار ؟ قال : بلى يا مولاي ، قال: ومن منكم يقدر على قطعة ثلج في هذه الساعة؟ قال : يا مولاي الثلج في بلادنا كثير و لكن لا نقدر عليه هاهنا ، فقال عليه السلام : بيننا وبينكم مائتان وخمسون فرسخاً ، قال: نعم ، قال: أيّها الناس انظروا إلى ما أعطاه الله عليّاً من العلم النبويّ، والّذي أودعه الله ورسوله من العلم الربّاني، فمدّ يده من أعلى منبر الكوفة وردّها وإذا فيها قطعة من الثلج يقطر الماء منها، فضجّ الناس وماج الجامع بأهله، فقال: اسكتوا، فلو شئت أتيت بجبالها، ثمّ قال : يا داية، خذي هذه القطعة من الثلج واخرجي بالجارية من المسجد واتركي تحتها طشتاً وضعي هذه القطعة بما يلي الفرج، فترى علقة وزنها سبع مائة و خمسون درهماً ودانقان ، ففعلت فرمت الجارية بعلقة كما قال عليه السلام بذلك الوزن ، فقال للشيخ : خذ ابنتك ، فوالله ، مازنت وإنّما دخلت الموضع الّذي فيه الماء فدخلت هذه العلقة في جوفها وهي بنت عشر سنين، وكبرت إلى الآن في بطنها ، فنهض أبوها وهو يقول: أشهد أنّك تعلم ما في الأرحام وما في الضمائر وأنت باب الدين وعموده، قال: فضجّ الناس عند ذلك وقالوا: يا أمير المؤمنين، لنا اليوم خمس سنين لم تمطر السماء علينا وقد أمسك عن الكوفة هذه المدة و قد مسّنا و أهلنا الضرّ فاستسق لنا يا وارث محمّد صلى الله عليه وآله فعند ذلك قام في الحال و أشار بيده قبل السماء ، فسأل الغيث حتّى بقيت الكوفة غدراناً ، فقالوا : يا أمير المؤمنين كفانا وروينا،

فتكلّم بكلام فمضى الغيث وانقطع المطر وطلعت الشمس .

وقد لخّصنا القصّة بعض التلخيص، قال في البحار بعد ذكر القضيّة : فلعن الله الشاكّ في فضل عليّ بن أبي طالب ، و أقول : آمين ، ثمّ قال: بيان، جارية عاتق: أي شابّة أول ما أدركت فخدرت في بيت أهلها ولم تبن إلى زوج[1] انتهى .

ومنها- مارواه في البحار: من قطعه يدأسود بالسرقة بعد إقراره بها مرتين فبالغ في الثناء عليه لمّا سأله ابن الكواء عمّن قطع يده، فبلغ الخبر إليه عليه السلام فأمر الحسن عليه السلام بإحضاره، فلمّا أحضره وأثنى عليه لأنّه قطع بحقّ ونجّاه من عذاب الآخرة ، أخذ يده و وضع في موضع قطعها فاتّصلت كما كانت [2] .

ومنها - ما في البحار وغيره: من قضيّة عمّار ودينه من يهودي ثلاث دنانير، فأمره عليه السلام بأخذ حجر وجعله في يده ذهباً، ثمّ أخذ عمّار منه مقدار الدين ، ثمّ جعل الباقي حجراً كما كان بعد سؤال الله تعالى بجاهه أن يفصل له مقدار الدين وأن يردّه حجراً خوف الطغيان [3] .

والأخيران يصلحان لمنقبة عمّار ، كما أنّهما له عليه السلام .

ومنها - خوارق كثيرة للعادة له عليه السلام في غزواته وحروبه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وبدونه وبعده ، وفي غير الغزوات لو عددناها لطال بها المقال ، مثل قضيّة بئر ذات العلم في غزوة الحديبيّة وما ظهر منه من العجائب [4] . وقضيّة مدينة عمّان في قتل الجلندي بن كركر وإرساله غلامه الكندي في ثلاثين فيلاً وإطاعة كلّ الأفيلة له عليه السلام إلّا الأبيض الكبير- مركب الكندي- وقتل التسعة والعشرين من الأفيلة عسكر المشركين، وقتله عليه السلام الأبيض، وأخذ الكندي من ظهره وإطلاقه

---

(١) بحار الانوار : ج٤٠ ص٢٧٧ الى ٢٨٠ ح٤٢ نقلا بالمعنى .

(٢) بحار الانوار : ج٤٠ ص٢٨١ ح٤٤ نقلا بالمعنى .

(٣) مشارق أنوار اليقين : ص١٧٣ ولم نجده فى البحار بهذه العبارات .

(٤) بحار الانوار : ج٤١ ص٧٠ .

بشفاعة النبيّ صلى الله عليه وآله فقال : يا أبا الحسن ، ما حملك على إطلاقي ؟ قال: يا ويلك مدّ نظرك ، فمدّ عينيه فكشف الله عن بصره ، فنظر إلى النبيّ صلى الله عليه وآله على سور المدينة و صحابته ، فقال : من هذا! يا أبا الحسن؟ فقال : سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: كم بيننا وبينه ياعليّ ؟ قال: مسيرة أربعين يوماً، فأسلم وقتل عليّ الجلندي وغرق في البحر خلقاً كثيراً و قتل منهم كذلك ، و أسلم الباقون ، وسلّم الحصن إلى الكندي و زوّجه بابنة الجلندي وأقعد عندهم قوماً من المسلمين يعلّمونهم الفرائض [1] .

و أمّا عجائب غزوة خيبر : من ضربه مرحب ضربة تكادتنشقّ الأرض إلى الحوت لو لا مدافعة الأملاك : جبرئيل وميكائيل وإسرافيل[2] و قلع باب خيبر والتترس به و عبور عسكر الاسلام عن الخندق عليه و رميه إلى آخر العسكر وغير ذلك من الأعاجيب .

و قضيّة ردّ الشمس لّما تكلّم عليه السلام مع جمجمة وكانت تقصّ خبرها وماكان في عصرها من خير وشرّ حتّى غابت الشمس أوفات وقت فضيلة العصر ،فكلّمها بثلاثة أحرف من الانجيل لأن لايفقه العرب كلامها ، قالت : لا أرجع وقد أفات ،فدعا الله عزّوجلّ فبعث إليها سبعين ألف ملك بسبعين ألف سلسلة حديد فجعلوها في رقبتها وسحبوها على وجهها حتّى عادت بيضاء نقيّة حتّى صلّى أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ هوت كهويّ الكوكب [3] .

ومرة اخرى في غزوة حنين لّمادعا صلى الله عليه وآله عليّاً فاستعان به في بعض حوائجه ثمّ جاءت العصر ، فصلّى النبيّ صلى الله عليه وآله بأصحابه ، فجاء عليّ عليه السلام فقعد إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله فأوحى الله إلى نبيّه ، فوضع رأسه في حجر عليّ حتّى غابت

---

(١) بحار الانوار : ج٤١ ص٧٨ .

(٢) مشارق انوار اليقين : ص١١٠ .

(٣) بحار الانوار : ج٤١ ص١٦٦ ح١ .

الشمس لايرى منها شيء على أرض ولاجبل. ثمّ جلس رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال لعلي عليه السلام: هل صلّيت العصر؟ فردّ له الشمس وصلّى [١].

وتكلّم الشمس معه مراراً: منها ـ بعد فتح مكّة لما انتهى المسلمون إلى هوازن، فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: ياعليّ، قم فانظر كرامتك على الله عزّ وجلّ، كلّم الشمس إذا طلعت، فلمّا طلعت الشمس قام علي عليه السلام فقال: السلام عليك أيّها العبد الصالح الدائب في طاعة الله ربّه، فأجابته الشمس وهي تقول: عليك السلام يا أخا رسول الله صلّى الله عليه وآله و وصيّه و حجّة الله على خلقه، فانكبّ عليّ عليه السلام ساجداً شكراً لله. فقام رسول الله صلّى الله عليه وآله فأخذ برأس علي عليه السلام يقيمه ويمسح وجهه ويقول: قم حبيبي، فقد أبكيت أهل السماء من بكائك، وباهى الله عزّ وجلّ بك حملة عرشه [٢].

ومنها ـ ماروى في البحار: عن أبي ذر ـ رحمه الله ـ قال: رأيت النبيّ صلّى الله عليه وآله و قد قال لأمير المؤمنين ذات ليلة: إذا كان غداً اقصد إلى جبال البقيع وقف على نشز من الأرض وإذا بزغت الشمس فسلّم عليها، فإنّ الله قد أمرها أن تجيبك بما فيك، فلمّا كان من الغد خرج أمير المؤمنين عليه السلام ومعه أبوبكر وعمر وجماعة من المهاجرين و الأنصار حتّى وفى البقيع ووقف على نشز من الأرض، فلمّا طلعت الشمس قال عليه السلام: السلام عليك ياخلق الله الجديد المطيع له، فسمعوا دويّاً من السماء وجواب قائل يقول: وعليك السلام يا أوّل يا آخر يا ظاهر يا باطن يامن هو بكلّ شيء عليم، فلمّا سمع أبوبكر وعمر والمهاجرون والأنصار كلام الشمس صعقوا، ثمّ أفاقوا بعد ساعاتهم، وقد انصرف أمير المؤمنين عن المكان، فوافوا رسول الله صلّى الله عليه وآله مع الجماعة، وقالوا: أنت تقول: إنّ عليّاً بشر مثلنا وقد خاطبته الشمس بماخاطب به الباري نفسه!! فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: وماسمعتموه منها؟ فقالوا: سمعنا

(١) بحار الانوار: ج٤١ ص١٧٩ ح١٥.

(٢) بحار الانوار: ج٤١ ص١٧٧ ح١٢.

منها تقول : السلام عليك يا أول ! قال صدقت هو أول من آمن بي ، فقالوا : سمعناها تقول: يا آخر! قال: صدقت هو آخر الناس عهداً بي يغسّلني ويكفّنني ويدخلني قبري ، فقالوا سمعناها تقول : يا ظاهر ! قال : صدقت ظهر علمي كلّه له ، قالوا : سمعناها تقول : يا باطن! قال عليه السلام : صدقت بطن سري كلّه ، قالوا : سمعناها تقول: يامن هو بكلّ شيء عليم! قال: صدقت هوالعلم بالحلال و الحرام والفرائض والسنن وما شا كل ذلك ، فقاموا كلّهم وقالوا : لقد أوقعنا محمّد في طخياء وخرجوا من باب المسجد . وقال في ذلك محمّد الصوفي .

إمامي كليم الشمس راجع نورها فهل لكليم الشمس في القوم من مثل[1]

والطخياء ـ بالمدّ ـ الليلة المظلمة ، و كلّم بكلمة طخياء ، لايفهم .

قد عرفت أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كتم أكثر فضائله خوفاً من الغلوّ فيه ، فانظر كيف لم يطيقوا لتحمّل كلام الشمس ، وفسّره صلى الله عليه وآله لهم ليطمئنّوا ، ولم يقنعوا وباطن تفسيره أيضاً ممّا لا تتحمّله العقول ، فافهم .

ومنها ـ ما رواه في البحار : مسنداً إلى جابر بن عبدالله ، قال : لقيت عماراً في بعض سكك المدينة ، فسألته عن النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبر أنّه في مسجده في ملأ من قومه وأنّه لمّا صلّى الغداة أقبل علينا ، فبينا نحن كذلك وقد بزغت الشمس إذ أقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقام إليه النبيّ صلى الله عليه وآله فقبّل بين عينيه وأجلسه على جنبه حتّى مسّت ركبتاه ركبتيه ، ثمّ قال: يا عليّ ، قم للشمس فكلّمها ، فإنّها تكلّمك . فقام أهل المسجد وقالوا : أترى عين الشمس تكلّم عليّاً ؟ وقال بعض : لايزال يرفع خسيسة ابن عمّه و ينوّه باسمه ، إذاً خرج عليّ عليه السلام فقال للشمس: كيف أصبحت يا خلق الله؟فقالت: بخير ياأخا رسول الله،ياأول يا آخر،ياظاهر ياباطن يامن هو بكلّ شيء عليم ، فرجع عليّ عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فتبسّم النبيّ صلى الله عليه وآله فقال : يا علي، تخبرني أو اخبرك ؟ فقال :منك أحسن يا رسول الله ، فقال النبيّ

(١) بحار الانوار : ج٤١ ص١٧٩ ح١٦ مع تفاوت يسير .

صلى الله عليه وآله : أمّا قولها لك : يا أول، فأنت أول من آمن بالله، و قولها: يا آخر، فأنت آخر من يعاينني على تغسيلي، و قولها : يا ظاهر، فأنت آخر من يظهر على مخزون سري، وقولها : يا باطن فأنت المستبطن لعلمي، وأمّاالعليم بكلّ شيء،فما أنزل الله علماً من الحلال والحرام والفرائض والأحكام والتنزيل والتأويل و الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والمشكل إلّا وأنت به عليم، ولولا أن تقول فيك طائفة من امّتي ماقالت النصارى في عيسى لقلت فيك مقالاً لاتمرّ بملأ إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك يستشفون به، قال جابر: فلمّا فرغ عمّار من حديثه أقبل سلمان، فقال عمّار : وهذا سلمان كان معنا، فحدّثني سلمان كما حدّثني عمّار [1].

و اعلم أنّ خوارق العادات والمعجزات للنبي صلى الله عليه وآله والوصيّ عليه السلام وأوصيائهما عليهم السلام كثيرة مثل شقّ القمر، وتسبيح الحصى، و نزول الكوكب، وتكلّم الحيوانات وإطاعة الأرض وسكون زلزالها بأمر عليّ وتكلّمها معه، ووقوف الشمس لأذان بلال، وركوب الغمام والسير في العوالم ،وقلب الأحجار والمدر والماء ذهباً وجواهر وقلب الدراهم دنانير، والرجال نساء وبالعكس ـ كما اتّفق للحسن بن عليّ عليه السلام ـ وقلب القوس ثعباناً، والعود سيفاً، والحكم على صورة الأسد وجعلها أسداً تأكل كما اتّفق لموسى بن جعفر عليه السلام وابنه عليّ بن موسى الرضا عليه السلام وإحياء الأموات من الانسان وسائر الحيوانات، والعروج إلى السماوات والسير على الماء في بعض الغزوات، وغور الماء بأمر عليّ عليه السلام عند مصاحبة اليهود الخيبري وإقلاله لمّا كثر فرات وطغى فأمره بالنقصان فأطاع، وغير ذلك من المعاجز وخوارق العادات ممّا اتّفق أكثرها لسائر الأنبياء وأوصيائهم، ولا يسع المقام لذكرها ولا يمكن استقصاؤها .

ولنذكر هنا بعض الشبه في ردّ الشمس بدفعها، ثمّ نذكر بعض خوارق العادة له ولأصحابه وأحبابهم وأوليائهم، وما أعطاهم الله سبحانه وتعالى من القدرة الربّانيّة والنور الالهي.

قال في البحار ـ نقلاً عن الطرائف ـ قال : روى ابن المغازلي في كتاب

(١) بحار الانوار : ج٤١ ص١٨١ ح١٧ .

المناقب بإسناده أنّ خبر ردّ الشمس أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يوحى إليه ورأسه في حجر عليّ عليه السلام فلم يصلّ العصر حتّى فاتت وقت الفضيلة و قيل: حتّى غربت الشمس، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يارب، إنّ علياً عليه السلام كان على طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، فرأيتها غربت ثمّ رأيتها قد طلعت بعد ما غابت. وفي حديث ابن المغازلي أيضاً عن أبي رافع، قال: فردت الشمس على عليّ عليه السلام بعد ما غابت حتّى وقعت صلاة العصر في الوقت، فقام عليّ عليه السلام فصلّى العصر، فلمّا قضى صلاة العصر غابت الشمس. وهذا ممكن من طرق كثيرة عندالله تعالى.

منها: أن يخلق مثل الشمس في الموضع الّذي أعادها الله إليه ابتداءً، أو يهبط بعض الأرض فتظهر الشمس، أو يخلق مثل الشمس في صورتها ويجعل حكمها في صلاة عليّ عليه السلام كحكم تلك الشمس. وغير ذلك من مقدورات يعلمها سبحانه.

وقد رووا أيضاً أنّ الشمس حبست لبعض الأنبياء في ماسلف.

قال صاحب البحار ـ بعد ما ذكر ـ أقول: قال السيّد المرتضى ـ رحمه‌الله ـ في شرح البائيّة للسيّد الحميري حيث قال:

ردت عليه الشمس لمافاته وقت الصلاة وقد دنت للمغرب

ويروى «حين تفوته» هذا خبر مشهور عن ردّ الشمس له في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله لأنّه روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان نائماً و رأسه في حجر أمير المؤمنين، فلمّا جاوز وقت صلاة العصر كره عليه أن ينهض لأدائها فيزعج النبيّ صلى الله عليه وآله من نومه فلمّا مضى وقتها وانتبه النبيّ صلى الله عليه وآله دعا الله بردها، فردها عليه، فصلّى الصلاة في وقتها.

فإن قال قائل: هذا يقتضي أن يكون عاصياً بترك الصلاة. قلنا عن هذا جوابان:

أحدهما: أنّه إنّما يكون عاصياً إذا ترك بغير عذر، وإزعاج النبيّ صلى الله عليه وآله لاينكر أن يكون عذراً في ترك الصلاة. فإن قيل: الأعذار في ترك جميع أفعال الصلاة لاتكون إلّا بفقد العقل والتمييز ـ كالنوم والاغماء وما شاكلهما ـ ولم يكن في

تلك الحال بهـذه الصفة ، فأمّا الأعذار الّتي يكون معها العقل و التميـيز ثابتين ـ كالزمانة و الرباط و القيد و المـرض الشديد و اشتباك القتال ـ فإنّما تكـون عذراً في استيفاء أفعال الصلاة وليس بعذر في تركها أصلاً ، فإنّ كلّ معذور ممّن ذكرناه يصلّيها على حسب طاقته ، ولو بالايماء . قلنا : غير منكر أن يكون عليه السلام صلّى مومياً و هو جالس لما تعذر عليه السلام القيام إشفاقاً من إزعاجه صلى الله عليه وآله وعلى هذا تكون فائدة ردّ الشمس ليصلّي مستوفياً لأفعال الصلاة ، وتكون فضيلة له ودلالة على عظم شأنه .

والجواب الآخر : أنّ الصلاة لم تفته بمضيّ جميع وقتها وإنّما فاته ما فيه الفضل والمزيّة في أول وقتها .

ويقوي هذا الوجه شيئان :

أحدهما : الرواية الاخرى ، لأنّ قوله : «حين تفوته» صريح في أنّ الفوات لم يقع وإنّما قارب وكاد الأمر .

والآخر : قوله : «وقد دنت للمغرب» يعني الشمس ، وهذا أيضاً يقتضي أنّها لم تغرب وإنّما دنت وقاربت الغروب .

فإن قيل : إذا كانت لم تفته ، فأيّ معنى للدعاء بردها حتّى يصلّي في الوقت وهو قد صلّى فيه ؟ قلنا : الفائدة في ردها ليدرك فضيلة الصلاة في أول وقتها ، ثمّ ليكون ذلك دلالة على سموّ محلّه وجلالة قدره في خرق العادة من أجله .

فإن قيل : إذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله هو الداعي بردها فالعادة إنّما خرقت للنبيّ صلى الله عليه وآله قلنا : إنّما دعا بردها لأجل أمير المؤمنين ليدرك ما فاته من فضل الصلاة ، فشرف انخراق العادة والفضيلة تنقسم بينهما .

فإن قيل : كيف يصح ردّ الشمس وأصحاب الهيئة والفلك يقولون : ذلك محال لا تناله قدرة . وهبه كان جائزاً على مذاهب أهل الاسلام ، أليس لو ردت الشمس من وقت الغروب إلى وقت الزوال لكان يجب أن يعلم أهل الشرق والغرب

بذلك ، لأنّها تبطيء بالطلوع على[بعض]أهل البلاد ،فيطول ليلهم على وجه خارق للعادة وتمتدّ من نهار قوم آخرين ما لم يكن ممتداً، ولايجوز أن يخفي على أهل البلاد غروبها ثمّ عودها طالعة بعد الغروب ، وكانت الأخبار تنتشر بذلك ويؤرخ هذا الحديث العظيم في التواريخ ويكون أبهر وأعظم من الطوفان . قلنا : قد دلّت الأدلّة الصحيحة الواضحة على أنّ الفلك وما فيه من شمس وقمر ونجوم غير متحرك بنفسه ولا بطبيعته على ما يهدي به القوم ، وأنّ الله تعالى هو المحرك له والمصرف باختياره ، وقد استقصينا الحجج على ذلك في كثير من كتبنا ، وليس هذا موضع ذكره . فأمّا علم أهل الشرق والغرب والسهل والجبل بذلك ـ على ما مضى في السؤال ـ فغير واجب ، لأنّا لانحتاج إلى القول بأنّها ردت من وقت الغروب إلى إلى وقت الزوال أو ما يقاربه ـ على ما مضى السؤال ـ بل نقول : إنّ وقت الفضل في صلاة العصر هو ما يلي بلا فصل زمان أداء المصلّي لفرض الظهر أربع ركعات عقيب الزوال ، وكلّ زمان وإن قصر وقلّ يجاوز هذا الوقت فذلك الفضل ثابت، وإذا ردت الشمس هذا القدر اليسير الّذي تفرض أنّه مقدار ما يؤدى فيه ركعة اخرى واحدة خفي على أهل الشرق والغرب ولم يشعروا به ، بل هو ممّا يجوز أن يخفى على من حضر الحال وشاهدها إن لم يمعن النظر فيها والتنقير عنها ، فبطل السؤال على جوابنا الثاني المبنيّ على فوت الفضيلة .

فأمّا الجواب الآخر المبنيّ على أنّها فاتت بغروبها للعذر الّذي ذكرناه فالسؤال أيضاً باطل عنه ، لأنّه ليس بين مغيب جميع قرص الشمس في الزمان وبين بعضها وظهور بعض إلّا زمان قصير يسير مخفيّ فيه رجوع الشمس بعد مغيب جميع قرصها إلى ظهور بعضه على كلّ قريب وبعيد ، ولايفطن إذا لم يعرف سبب ذلك بأنّه على وجه خارق للعادة ، ومن فطن بأنّ ضوء الشمس غاب ثمّ عاد بعضه جوز أن يكون ذلك بغيم أوحائل .

حتّى تبلّج نورها في وقتها للعصر ثمّ هوت هويّ الكوكب

التبلّج مأخوذ من قولهم: «بلج الصبح يبلج بلوجاً» إذا أضاء، والبلجة آخر الليل وجمعها بلج، وكذلك البلجة - بالفتح - أيضاً ما بين الحاجبين إذا كانا غير مقرونين، يقال منه: رجل أبلج وامرأة بلجاء. فأمّا هويّ الكوكب غيبوبته، يقال: «هويت أهوى هويّاً» إذا سقطت إلى أسفل. وكذلك الهويّ في السير وهو المضيّ [فيه]، ويقال: «هوى من السقوط فهو هاوٍ، وهوى من العشق فهو هوٍ» مثل عمي فهو عمٍ، وهوت الطعنة تهوى إذا فتحت فاها، ويقال: «مضى هويّ من الليل» أي ساعة منه

وعليه قد حبست ببابل مرة اخرى وما حبست لخلق معرب

هذا البيت يتضمّن الاخبار عن ردّ الشمس في بابل على أمير المؤمنين، والرواية بذلك مشهورة، وأنّه لما فاته وقت العصر ردت له الشمس حتّى صلّاها في وقتها. وخرق العادة هاهنا لا يمكن نسبته إلى غيره كما أمكن في أيّام النبيّ ﷺ والصحيح في فوت الصلاة هاهنا أحد الوجهين اللّذين تقدم ذكرهما في ردّ الشمس على عهد النبيّ ﷺ وهو أنّ فضيلة أول الوقت فاتته بضرب من الشغل فردت الشمس ليدرك الفضيلة بالصلاة في أول الوقت. وقد بيّنّا هذا الوجه في تفسير البيت الأول، وأبطلنا قول من يدعي أنّ ذلك كان يجب أن يعمّ الخلق في الآفاق معرفته حتّى يدونوه ويؤرخوه.

فأمّا من ادعى أنّ الصلاة فاتته بأن تقضّى جميع وقتها إمّا لتشاغله بتعبير العسكر أو لأن بابل أرض خسف لا يجوز الصلاة عليها فقد أبطل، لأن الشغل بتعبير العسكر لا يكون عذراً في فوت صلاة فريضة. وأمّا أرض الخسف فإنّما يكره الصلاة فيها مع الاختيار، فإذا لم يتمكّن المصلّي من الصلاة في غيرها وخاف فوت الوقت وجب أن يصلّي فيها وتزول الكراهيّة.

فأمّا قوله: «وحبست ببابل» فالمراد به «ردت» وإنّما كره لفظة «الرد» أن يعيدها، لأنّها قد تقدمت.

وإن قيل : «حبست» بمعنى «وقفت» ومعناها مخالف معنى «ردت» قلنا : المعنيان هاهنا واحد، فإنّ الشمس إذا ردت إلى الموضع الّذي تجاوزته فقد حبست عن المسير المعهود و قطع الأماكن المألوف قطعها إيّاها .

فأمّا «المعرب» فهو الناطق المفصح بحجّته ، يقال: «أعرب فلان هكذا» إذا أبان عنه .

ولحبسها تأويل أمر معجب إلّا لأحمد أو له ولردها

الّذي أعرفه وهو المشهور في الرواية «إلّا ليوشع أو له» فقد روي أنّ يوشع ردت عليه الشمس .

وفي الروايتين معاً سؤال، وهو أن يقال : لم قال: «أو له» والردّ عليهما جميعاً، وإذا ردت الشمس لكلّ واحد منهما لم يجز إدخال لفظة «أو» والواو أحقّ بالدخول لأنّه يوجب الاشتراك والاجتماع ، ألا ترى أنّه لايجوز أن يقال :جائني زيد أو عمرو» وقد جاءاه جميعاً ، و إنّما يقول ذلك إذا جاءه أحدهما ؟

والجواب عن ذلك : أنّ الرواية إذا كانت «إلّا لأحمد أو له» فإنّ دخول لفظة «أو» هاهنا صحيح ، لأنّ ردّ الشمس في أيّام النبيّ ﷺ يضيفه قوم إليه ، دون أمير المؤمنين ، وقد رأينا قوماً من المعتزلة الّذين يذهبون إلى أنّ العادات لاتنخرق إلّا للأنبياء دون غيرهم ينصرون ويصحّحون رجوع الشمس في أيّام النبيّ ﷺ ويضيفونه إلى النبوة ، فكأنّ الشاعر قال : «إنّ الشمس حبست عليه ببابل ، وما حبست لأحد إلّا لأحمد على ماقاله قوم ، أو له على ماقاله آخرون» لأنّ ردّ الشمس في أيّام النبيّ ﷺ مختلف في جهة إضافته ، فأدخل لفظة الشكّ لهذا السبب. فأمّا الرواية فإذا كانت يذكر يوشع ، فمعنى أو هاهنا معنى «الواو» فكأنّه قال : « إلّا ليوشع و له » كما قال الله تعالى : « فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة» [1] على أحد التأويلات في الآية ، انتهى .

(١) البقرة : ٧٤ .

أقول: لا يبعد أن يكون مأموراً بترك الصلاة في الموضعين لظهور كرامته، أو يقال: من يقدر على ردّ الشمس يجوز له ترك الصلاة إلى غروبها. لكنّ الوجوه الّتي ذكرها ـ رحمه الله ـ أوفق باصول أصحابنا.

وقال محمّد بن عليّ بن إبراهيم بن هاشم في كتاب العلل: علّة ردّ الشمس على أمير المؤمنين عليه السلام وما طلعت على أهل الأرض كلّهم، قال العالم: لأنّه جلّل الله السماء بالغمام إلّا الموضع الّذي كان فيه أمير المؤمنين وأصحابه، فإنّه جلاه حتّى طلعت عليهم.

أقول: قال العلّامة ـ رحمه الله ـ في كتاب كشف اليقين: كان بعض الزهّاد يعظ الناس، فوعظ في بعض الأيّام وأخذ يمدح عليّاً فقاربت [الشمس] الغروب وأظلم الافق، فقال مخاطباً للشمس:

لا تغربي يا شمس حتّى ينقضي ... مدحي لصنو المصطفى ولنجله

واثني عنانك إذ عرفتِ ثناءه ... انسيت يومك إذ رددت لأجله

إن كان للمولى وقوفك فليكن ... هذا الوقوف لخيله ولرجله

فوقفت الشمس وأضاء الافق حتّى انقضى المدح، وكان ذلك بمحضر جماعة كثيرة تبلغ حدّ التواتر، واشتهرت هذه القصّة عند الخواصّ والعوام، انتهى كلام البحار (١).

وروى في البحار: أنّه اختصم رجل وامرأة إلى أمير المؤمنين عليه السلام فعلا صوت الرجل على المرأة، فقال له: اخسأ، وكان خارجيّاً، فاذا رأسه رأس كلب، فقال: يا أمير المؤمنين، صحت بهذا الخارجي فصار رأسه رأس كلب فما يمنعك عن معاوية؟ قال: ويحك، لو أشاء أن آتي معاوية إلى هاهنا على سريره لدعوت الله حتّى فعل، ولكنّا لله خزّان، لا على ذهب ولا على فضّة، ولا إنكاراً على أسرار

(١) بحار الانوار: ج٤١ ص١٨٤ ـ ١٩١ ح٢٢.

تدبير الله ، أما تقرأ «بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»[1]
وفي رواية قال : إنّما أدعوهم لثبوت الحجّة وكمال المحنة، ولو اذن لي في الدعاء بهلاك معاوية لما تأخّر[2].

وفيه : عن الصادق عليه السلام قال : كان قوم من بني مخزوم لهم خؤلة من عليّ عليه السلام فأتاه شابٌّ منهم يوماً ، فقال : يا خال ، مات ترب لي ، فحزنت عليه حزناً شديداً، قال : فتحبّ أن تراه؟ قال: نعم، فانطلق بنا إلى قبره فدعا الله وقال : قم يا فلان بإذن الله ، فاذا الميّت جالس على رأس القبر ، وهو يقول : ونيه ونيه ، سألا معناه لبّيك لبّيك سيّدنا ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام ما هذا اللسان ؟ ألم تمت وأنت رجل من العرب ؟ قال : نعم ولكنّي متّ على ولاية فلان وفلان ، فانقلب لساني على ألسنة أهل النار[3].

وفيه: عن الباقر عليه السلام : إنّ عليّاً مرّ يوماً في أزقّة الكوفة فانتهى إلى رجل قد حمل جرّيثاً ، فقال : انظروا إلى هذا قد حمل إسرائيليّاً ، فأنكر الرجل وقال: متى صار الجريث إسرائيليّاً ؟ فقال عليّ عليه السلام: أما إنّه إذا كان يوم الخامس ارتفع لهذا الرجل من صدغه دخان فيموت مكانه ، فأصابه في اليوم الخامس ذلك فمات فحمل إلى قبره ، فلمّا دفن جاء أمير المؤمنين عليه السلام مع جماعة إلى قبره فدعا الله ثمّ رفسه برجله فإذا الرجل قائم بين يديه، يقول : الرادّ على عليّ عليه السلام كالرادّ على الله وعلى رسوله ، فقال : عد في قبرك ، فعاد فيه فانطبق القبر عليه[4] .

وروى فيه: أنّه كان ينادي: من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وآله عدة أو دين فليأتني، فكان من أتاه يطلب ديناً أو عدة يرفع مصلّاه فيجد ذلك كذلك تحته فيدفعه إليه، فقال الثاني للأول : ذهب هذا بشرف الدنيا في هذا دوننا، قال : فما الحيلة؟ فقال:

---

(١) الانبياء : ٢٦ و٢٧ .
(٢) بحار الانوار : ج٤١ ص١٩١ ح١ .
(٣و٤) بحار الانوار : ج٤١ ص١٩٢ ح٢و٣ .

لعلّك لو ناديت كما نادى هو كنت تجد ذلك كما يجد هو ، و إذا كان إنّما تقضي عن رسول الله صلى الله عليه وآله فنادى أبو بكر كذلك ، فعرف أميرالمؤمنين عليه السلام الحال فقال : أما إنّه سيندم على ما فعل ، فأتى في الغد أعرابيّ وهو جالس في جماعة من المهاجرين والأنصار فسأل عن وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله فاشير إلى أبي بكر ، فقال : أنت وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله و خليفته ؟ قال : نعم ، فماتشاء ؟ قال : فهلمّ الثمانين الناقة الّتي ضمن لي رسول الله صلى الله عليه وآله الحمرا ، كحل العيون ، فتحيّر و قال لعمر: كيف الحيلة؟ قال: إنّ الأعراب جهّال اطلب البيّنة ، فقال : ألك شهود ؟ قال: ومثلي يطلب الشهود على رسول الله صلى الله عليه وآله ؟والله ما أنت بوصيّه ولا خليفته، فقام إليه سلمان ودلّه على الوصيّ ، فسأله عن العدة ، فقال : أسلمت أنت وأهلك؟ فانكبّ الأعرابي وقبّل يديه، وقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا وقع الشرط بيني وبينه، فأمر الحسن وسلمان بالذهاب مع الأعرابي إلى وادي فلان فناد : يا صالح ، فإذ أجابك قل : إنّ أميرالمؤمنين يسلّم عليك و يقول لك : هلمّ الثمانين الناقة الّتي ضمنها رسول الله صلى الله عليه وآله لهذا الأعرابي ، ففعل ذلك ، فخرج زمام ناقة عن الأرض ، فناوله الأعرابي إلى تمام الثمانين على الصفة (١) .

وروى عن سعد الخفّاف عن زاذان، قلت له: يا زاذان، إنّك لتقرأ القرآن فتحسن فعلى من قرأت؟ فتبسّم و قال : إنّ أميرالمؤمنين مرّ بي وأنا انشد الشعر و كان لي خلق حسن فأعجبه صوتي ، فقال : يا زاذان، فهلّا بالقرآن ؟ قلت: يا أميرالمؤمنين ، والله ما أقرأمنه إلّا بقدر ما اصلّي به و لا أقدر على أكثر ، قال : فادن منّي ، فدنوت منه ، فتكلّم في اذني بكلام ما عرفته ؟ ثمّ قال : افتح فاك ، فتفل في فيّ ، فوالله ما زلت قدمي من عنده حتّى حفظت القرآن بإعرابه وهمزه، وما احتجت أنأسأل عنه أحداً، قال سعد: فقصصت قصّته على أبي جعفر عليه السلام قال:

---

(١) بحار الانوار : ج٤١ ص١٩٢ ح٤ .

صدق زاذان، إنّ أميرالمؤمنين دعا لزاذان بالاسم الأعظم الّذي لايردّ[١].

وفيه: عن عمر بن اذينة، عن أبيعبدالله عليه السلام قال: دخل الأشتر على عليّ فسلّم فأجابه، فقال: ما أدخلك عليّ في هذه الساعة؟ قال: حبّك يا أميرالمؤمنين قال: فهل رأيت ببابي أحداً؟ قال: نعم أربعة نفر، فخرج مع الأشتر فإذا بالباب أكمه ومكفوف و مقعد وأبرص، فسألهم، فقالوا: جئناك لمابنا، فرجع ففتح حقّاً له فأخرج رقّاً صفراء فقرأ عليهم، فقاموا كلّهم من غير علّة[٢].

و فيه: مسنداً عن أبيعبدالله عليه السلام يقول: إنّ أميرالمؤمنين كانت له خؤلة في بني مخزوم و أنّ شاباً منهم أتاه وقال: يا خالي، إنّ أخي و ابن امّي مات وقد حزنت عليه حزناً شديداً، قال: فتشتهي أن تراه؟ قال: نعم، فخرج ومعه برد رسول الله صلى الله عليه وآله السنجاب [السحاب] فلمّا انتهى إلى القبر تململت شفتاه ثمّ ركضه برجله، فخرج من قبره وهو يقول: رميكا، بلسان الفرس، فقال له عليّ عليه السلام: ألم تمت وأنت رجل من العرب؟ قال: بلى و لكنّا متنا على سنّة فلان وفلان فانقلبت ألسنتنا[٣].

وفيه: عن جميع بن عمير، قال: اتّهم عليّ عليه السلام رجلاً يقال له الغيرار برفع أخباره إلى معاوية، فأنكر ذلك، فقال: تحلف بالله أنّك ما فعلت ذلك؟ قال: نعم، وبدر فحلف، فقال عليه السلام: إن كنت كاذباً فأعمى الله بصرك، فما دارت الجمعة حتّى خرج أعمى يقاد قد أذهب الله بصره[٤].

و فيه: عن الأصبغ بن نباتة، قال: كنّا نمشي خلف أميرالمؤمنين عليّ ابن أبيطالب عليه السلام و معنا رجل من قريش، فقال له: قد قتلت الرجال و أيتمت

---

(١) و(٢) بحار الانوار: ج٤١ ص١٩٥ ح٦و٧ مع اختلاف فيهما.

(٣) بحار الانوار: ج٤١ ص١٩٥ ح٨.

(٤) بحار الانوار: ج٤١ ص١٩٨ ح١١.

الأولاد وفعلت ما فعلت، فالتفت عليه السلام إليه وقال: اخسأ، فإذا هو كلب أسود، فجعل يلوذ به و يتبصبص فوافاه ترحـّمه حتّى حرك شفتيه ، فإذا هو رجل كما كان فقال له رجل من القوم : يا أمير المؤمنين ، أنت [تقدر] على مثل هذا و يناويك معاوية ، فقال : نحن عباد الله المكرمون لا نسبقه بالقول و نحن بأمره عاملون[1] .

وفيه: عن سلمان الفارسي ، قال : إنّ امرأةً من الأنصار يقال لها امّ فروة، تحضّ على نكث بيعه أبي بكر وتحثّ على بيعة عليّ عليه السلام فبلغ أبابكر فأحضرها واستتابها، فأبت عليه، فقال: يا عدوّة الله، أتحضّين على فرقة جماعة اجتمع عليها المسلمون ؟ فما قولك في إمامتي ؟ قالت : ما أنت بإمام ، قال : فمن أنا ؟ قالت : أمير قومك ، ولوك فإذاً أكرموك ، فالامام المخصوص من الله لايجوز عليه الجور وعليّ عليه السلام الأمير والامام المخصوص يعلم[2] ما في الظاهر والباطن وما يحدث في المشرق والمغرب من الخير والشرّ، فإذا قام في شمس أو قمر فلا فيء له ، ولا يجوز الامامة لعابدوثن ولا لمن كفر ثمّ أسلم ، فمن أيّهما أنت يابن أبي قحافة ؟ قال : أنا من الأئمّة الّذين اختارهم الله لعباده، فقالت : كذبت على الله، لو كنت ممّن اختارك الله لذكرك في كتابه كما ذكر غيرك ، فقال عزّوجلّ : « وجعلنامنهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون» [3] ويلك، إن كنت إماماً حقّاً فما اسم سماء الدنيا والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة؟ فبقي أبوبكر لا يحير جواباً ، ثمّ قال : اسمها عند الله الّذي خلقها ، قالت : لو جاز للنساء أن يعلّمن لعلّمتك ، فقال : يا عدوة الله ، لتذكرن اسم سماء سماء و إلّا قتلتك، قالت: أبالقتل تهددني ؟ والله لا ابالي أن يجري قتلي على يد مثلك، ولكن اخبرك ، أمّا سماء الدنيا « ايلول » والثانية «ربعول» والثالثة « سحقوم » والرابعة

---

(١) بحار الانوار : ج٤١ ص١٩٩ ح١٢ .

(٢) في البحار : وعلى الامير والامام المخصوص أن يعلم . . . الخ .

(٣) السجدة : ٢٤ .

« ذيلول » والخامسة «ماين » والسادسة « ماجير » والسابعة « أيوث» فتحيّر هو ومن معه، فقالوا لها : ما تقولين في علي ؟ قالت: وما عسى أن أقول في إمام الأئمّة ووصيّ الأوصياء، من أشرق بنوره الأرض والسماء ومن لا يتمّ التوحيد إلّا بحقيقة معرفته ، و لكنّك نكثت واستبدلت و بعت دينك ، قال أبوبكر : اقتلوها ، فقد ارتدت ، فقتلت ، وكان علي عليه السلام في ضيعة له بوادي القرى ، فلمّا قدم وبلغه قتل امّ فروة وخرج إلى قبرها ، فإذا عند قبرها أربعة طيور بيض ، مناقيرها حمر في منقار كلّ واحد حبّة رمّان وهي تدخل في فرجة القبر، فلمّا نظر الطيور إلى علي عليه السلام [رفرفن] وقرقرن فأجابهنّ بكلام يشبه كلامهنّ ، و قال : أفعل إن شاء الله، ووقف على قبرها ومدّ يده إلى السماء وقال: « يا محيي النفوس بعد الموت، ويامنشيء العظام الدارسات ،أحي لنا امّ فروة واجعلها عبرة لمن عصاك» فإذا بهاتف امض لأمرك يا أمير المؤمنين، وخرجت امّ فروة متلحّفة بريطة خضراء من السندس الأخضر ، وقالت : يا مولاي، أراد ابن أبي قحافة أن يطفي نورك فأبى الله لنورك إلّا ضياء، وبلغ أبابكر وعمر ذلك فبقيا متعجّبين، فقال لهما سلمان: لو أقسم أبو الحسن على الله أن يحيي الأوّلين والآخرين لأحياهم، وردّها أمير المؤمنين إلى زوجها وولدت غلامين وعاشت بعد عليّ ستّة أشهر [1].

وفيه : عن الرضا بإسناده عن علي عليه السلام إنّه كان في مجلسه والناس حوله إذ وافى رجل من العرب فسلّم عليه وقال : لي على رسول الله صلى الله عليه وآله وعد ، وقد سألت عن منجز وعده فارشدت إليك أهو حاصل لي؟ قال عليه السلام : ما هو ؟ قال: إنّه مائة ناقة حمراء ، وقال لي : إن أنا قبضت فأت قاضي ديني و خليفتي من بعدي ، فإنّه يدفعها إليك وما كذّبني، فإن يكن ما ادعيته حقّاً فعجّل، فقال علي عليه السلام لابنه الحسن : قم يا حسن ، فنهض إليه ، فقال له : اذهب فخذ قضيب رسول الله

(١) بحار الانوار : ج٤١ ص١٩٩ ح١٣ مع اختلاف يسير .

الفلاني وصر إلى البقيع فاقرع به الصخرة الفلانيّة ثلاث قرعات وانظر ما يخرج منها ، فادفعه إلى الرجل وقل له يكتم ما يرى ، فصار الحسن عليه السلام إلى الموضع والقضيب معه ففعل ما امر به فطلع [من الصخرة] رأس ناقة بزمامها فجذب مائة ناقة، ثمّ انضمّت الصخرة ، فدفع النوق إلى الرجل وأمره بكتمان ما يرى ، فقال الأعرابي : صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وصدق أبوك [(١)] .

وفيه : أنّ أسوداً دخل على عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين ، إنّي سرقت فطهّرني، فقال: لعلّك سرقت من غير حرز؟ ونحّى رأسه عنه، فقال: يا أمير المؤمنين إنّي سرقت من حرز فطهّرني، فقال: لعلّك سرقت غير نصاب ؟ ونحّى رأسه عنه، فقال : يا أمير المؤمنين ، سرقت نصاباً ، فلمّا أقرّ ثلاث مرات قطعه أمير المؤمنين فذهب و جعل يقول في الطريق : قطعني أمير المؤمنين و إمام المتّقين و قائد الغرّ المحجّلين ويعسوب الدين وسيّد الوصيّين، وجعل يمدحه، فسمع ذلك منه الحسن والحسين عليهما السلام وقد استقبلاه، فدخلا على أمير المؤمنين وقالا: رأينا أسوداً يمدحك في الطريق، فبعث أمير المؤمنين من أعاده إلى عنده، فقال له: قطعتك وأنت تمدحني؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنّك طهّرتني وإنّ حبّك من قلبي قد خالط لحمي وعظمي، فلو قطّعتني إرباً إرباً لما ذهب حبّك من قلبي، فدعا له أمير المؤمنين ووضع المقطوع إلى موضعه، فصحّ وصلح كما كان [(٢)].

أقول : قد تقدم ذلك عنه ، والظاهر التكرر في الكتابة ، و يحتمل تكرر الواقعة . و كذا قصّة المخزومي ، و تكرر الواقعة هناك أظهر لاختلاف عبارة الميّت المحيي .

وفيه : عن سعد بن أبي خالد الباهلي أنّ رسول الله اشتكى وكان محموماً، فدخلنا عليه مع عليّ عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ألمّت بي امّ ملدم ، فحسر عليّ يده اليمنى وحسر رسول الله صلى الله عليه وآله يده اليمنى فوضعها عليّ على صدر رسول الله

---

(١) بحار الانوار : ج٤١ ص٢٠١ ح١٤ .

(٢) بحار الانوار : ج٤١ ص٢٠٢ ح١٥ .

صلى الله عليه وآله و قال : يا امّ ملدم اخرجي فإنّه عبدالله و رسوله ، قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله استوى جالساً ثمّ طرح عنه الازار ، وقال: يا عليّ إنّ الله فضّلك بخصال، وممّا فضّلك به أن جعل الأوجاع مطيعة لك ، فليس من شيء تزجره إلّا انزجر بإذن الله (١) .

وفيه : روي أنّ خارجيّاً اختصم مع آخر إلى عليّ عليه السلام فحكم بينهما ، فقال الخارجي : لاعدلت في القضيّة، فقال : اخسأ ياعدوّ الله. فاستحال كلباً وطار ثيابه في الهواء، فجعل يبصبص وقد دمعت عيناه، فرقّ له عليّ عليه السلام و دعا فأعاده الله إلى حال الانسانيّة وتراجعت ثيابه من الهواء إليه، فقال عليّ عليه السلام: إنّ آصف وصيّ سليمان قصّ الله عنه بقوله : « قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك» (٢) أيّهما أكرم على الله نبيّكم أم سليمان؟ فقيل: ما حاجتك في قتال معاوية إلى الأنصار؟ قال : إنّما أدعو هؤلاء بثبوت الحجّة وكمال المحنة ، ولو اذن لي في الدعاء بهلاكه لما تأخّر (٣) .

وفيه: أنّ قصّاباً كان يبيع اللحم من جارية إنسان وكان يحيف عليها ، فبكت وخرجت فرأت عليّاً فشكت إليه فمشى معها نحوه ودعاه إلى الانصاف في حقّها و يعظه و يقول له : ينبغي أن يكون الضعيف عندك بمنزلة القويّ ، فلا تظلم الجارية. ولم يكن القصّاب يعرف عليّاً عليه السلام ،فرفع يده وقال: اخرج أيّها الرجل، فانصرف عليه السلام ولم يتكلّم بشيء ، فقيل للقصّاب : هذا عليّ بن أبي طالب ، فقطع يده وأخذها وخرج إلى أمير المؤمنين عليه السلام معتذراً له ، فدعا له فصلحت يده (٤) .

وفيه : أنّه لما بلغه ما فعل بسر بن أرطاة باليمن، قال : اللّهمّ إنّ بسراً قد

---

(١) بحار الانوار : ج٤١ ص٢٠٢ ح١٦ .

(٢) النمل : ٤٠ .

(٣) بحار الانوار: ج٤١ ص٢٠٣ ح١٧.

(٤) بحار الانوار : ج٤١ ص ٢٠٣ ح١٨ .

باع دينه بالدنيا فاسلبه عقله ولا تبق له من دينه مايستوجب به عليك رحمتك، فبقي بسر حتّى اختلط وكان يدعو بالسيف، فاتّخذ له سيف من خشب وكان يضرب به حتّى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: السيف السيف، فيدفع إليه فيضرب به، فلم يزل كذلك حتّى مات [1].

وفيه: عن طلحة بن عميرة، قال: نشد عليّ عليه السلام في قول النبي صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فشهد اثنا عشر رجلاً من الأنصار وأنس بن مالك في القوم لم يشهد، فقال له أمير المؤمنين: يا أنس، قال: لبّيك، قال: ما يمنعك أن تشهد وقد سمعت ما سمعوا؟ قال: يا أمير المؤمنين، كبرت ونسيت، فقال أمير المؤمنين: اللّهمّ إن كان كاذباً فاضربه ببياض أو بوضح لا تواريه العمامة، قال طلحة: فاشهد بالله لقد رأيتها بيضاً بين عينيه [2].

وفيه: عن زيد بن أرقم أنّه عليه السلام نشد في ذلك فقام اثنا عشر بدريّاً ستّة من الجانب الأيمن وستّة من الجانب الأيسر فشهدوا بذلك، فقال زيد بن أرقم: وكنت أنا فيمن سمع ذلك، فكتمته فذهب الله ببصري، وكان يندم على مافاته من الشهادة ويستغفر الله [3].

وفيه: مسنداً عن حكيم بن جبير، قال: شهدنا عليّاً أمير المؤمنين على المنبر يقول: أنا عبدالله وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله وورثت نبيّ الرحمة ونكحت سيّدة نساء أهل الجنّة وأنا سيّد الوصيّين وآخر أوصياء النبيّين لا يدّعي ذلك غيري إلّا أصابه الله بسوء، فقال رجل من عبس كان جالساً بين القوم: من لا يحسن أن يقول هذا: أنا عبدالله وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فلم يبرح من مكانه حتّى تخبّطه الشيطان، فجرّ برجله إلى باب المسجد، فسألنا قومه: هل تعرفون به عارضاً قبل هذا؟ قالوا: اللّهمّ لا [4].

---

(١) بحار الانوار: ج٤١ ص٢٠٤ ح١٩.

(٢) بحار الانوار: ج٤١ ص٢٠٤ ح٢٠.

(٣) و(٤) بحار: ج٤١ ح٢٠٥ ح٢١ و٢٢ مع اختلاف يسير.

وفيه : عن عبدالله بن مسعود، قال : لاتتعرضوا لدعوة علي ّ فإنّها لاترد ّ[١].

وفيه أيضا: عن تاريخ البلاذري وحلية الأولياء: و كتب أصحابنا عن جابر الأنصاري استشهد أمير المؤمنين أنس بن مالك والبراء بن عازب والأشعث وخالد بن يزيد قول النبي ّ صلى الله عليه وآله : «من كنت مولاه فعلي ّ مولاه» فكتموا، فقال لأنس : لاأماتك الله حتّى يبتليك ببرص لاتغطّيه العمامة . وقال للأشعث : لاأماتك الله حتّى يذهب بكريمتك . وقال لخالد : لاأماتك الله إلّا ميتة ً جاهليّة .وقال للبراء : لاأماتك الله إلّا حيث هاجرت فقال جابر : والله لقد رأيت أنساًوقد ابتلي ببرص يغطّيه بالعمامة فما تستره . و رأيت الأشعث وقد ذهبت كريمتاه وهو يقول : الحمدلله الّذي جعل دعاء أمير المؤمنين علي ّ بالعمى في الدنيا ولم يدع علي ّ في الآخرة فاعذب. وأمّا خالد فإنّه لمّا مات دفنوه في منزله فسمعت بذلك كندة فجاءت بالخيل والابل فعقرتها على باب منزله ، فمات ميتة الجاهليّة . و أمّا البراء فإنّه ولّي من جهة معاوية باليمن فمات بها ، ومنها كان هاجر وهي السراة .

ودعا علي ّ عليه السلام على رجل في غزاة بني زبيد وكان في وجهه خال ،فتفشّى في وجهه حتّى اسود ّ لهاوجهه كلّه .

و قال لرجل : إن كنت كاذباً فسلّط الله عليك غلام ثقيف ، قالوا : و ما غلام ثقيف؟ قال: غلام لايدع لله حرمة إلّا انتهكها، وأدرك الرجل الحجّاج فقتله .

وحكم عليه السلام بحكم ، فقال المحكوم عليه:ظلمت والله ياعلي ّ ، فقال : إن كنت كاذباً فغيّر الله صورتك، فصار رأسه رأس خنزير .

وذكر الصاحب في «رسالة الفراء» عن أبي العيناء أنّه لقي جد ّ أبي العيناء الأكبر أمير المؤمنين عليه السلام فأساء مخاطبته ، فدعا عليه وعلى أولاده بالعمى ، فكل ّ من عمي من أولاده فهو صحيح النسب[٢].

(١) بحار الانوار: ج٤١ ص٢٠٦ ح٢٣ .

(٢) بحار الانوار : ج٤١ ص٢٠٦ ـ ٢٠٨ .

ويقال : إنّه دعا عليه السلام على وابصة بن معبد الجهني و كان من أهل الصفّة بالرقّة ـ لمّا قال له : فتنت أهل العراق وجئت تفتن أهل الشام ـ بالعمى والخرس والصمم وداء السوء ، فأصابه في الحال ، و الناس إلى اليوم يرجون المنارة الّتي كان يؤذّن عليها.

أبوهاشم عبدالله بن محمّد بن الحنفيّة ، أنّ عليّاً عليه السلام دعا على ولد العبّاس بالشتات فلم يروا بني‌ام أبعد قبوراً منهم ، فعبد الله بالمشرق ، ومعبد بالمغرب ، وقثم بمنفعة الرواح ، وثمامة بالأرجوان ، ومتمّم بالخازر ، وفي ذلك يقول كثير:

دعا دعوة ربّه مخلصاً ... فيالك عن قاسم ما أبرّا

دعا بالنوى فنناءت بهم ... معارفة الدار براً وبحرا

فمن مشرق ظلّ ثاو به ... ومن مغرب منهم ما أضرّا[1]

وابين إحدى يدي هشام بن عديّ الهمداني في حرب صفّين فأخذ عليّ عليه السلام يده وقرأ شيئاً وألصقها، فقال: ياأمير المؤمنين، ما قرأت؟ قال: فاتحة الكتاب، قال: فاتحة الكتاب؟ كأنّه استقلّها، فانفصلت يده نصفين فتركه عليّ عليه السلام ومضى[2].

وفيه : قب ، كتاب العلوي البصري : إنّ جماعة من اليمن أتوا النبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا : نحن من بقايا الملل المتقدمة من آل نوح، وكان لنبيّنا وصيّ اسمه «سام» وأخبر في كتابه : أنّ لكلّ نبيّ معجزاً وله وصيّ يقوم مقامه ، فمن وصيّك ؟ فأشار صلى الله عليه وآله بيده نحو عليّ ، فقالوا : يا محمّد ، إن سألناه أن يرينا «سام بن نوح» فيفعل؟ فقال : نعم بإذن الله تعالى ، وقال : ياعليّ ، قم معهم إلى داخل المسجد واضرب برجلك الأرض عند المحراب . فذهب عليّ عليه السلام وبأيديهم صحف إلى أن دخل إلى محراب رسول الله صلى الله عليه وآله داخل المسجد فصلّى ركعتين ثمّ قام وضرب برجله الأرض فانشقّت الأرض وظهر لحد وتابوت ، فقام عن التابوت شيخ يتلألأ

(١) بحار الانوار : ج٤١ ص٢٠٨ ذيل ح ٢٣ . (٢) بحار الانوار ج٤١ ص٢١١ .

وجهه مثل القمر ليلة البدر وينفض التراب من رأسه ، وله لحية إلى سرته ، وصلّى على عليّ عليه السلام وقال: أشهدأن لاإله إلّا الله ،وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله سيّد المرسلين ، و أنّك عليّ وصيّ محمّد سيّدالوصيّين ، و أنا سام بن نوح ، فنشروا اولئك صحفهم فوجدوه كما وصفوه في الصحف ، ثمّ قالوا : نريد أن يقرأ من صحفه سورة ، فأخذ في قراءته حتّى تمّم السورة ، ثمّ سلّم على عليّ عليه السلام ونام كما كان، فانضمّت الأرض ، وقالوا بأسرهم : إنّ الدين عندالله الاسلام ، وآمنوا وأنزل الله «أم اتّخذوا من دونه أولياء فالله هو الوليّ وهو يحيي الموتى ـ إلى قوله ـ انيب» (١) .

وفيه : عن عمّار الساباطي ، قال : قدم أمير المؤمنين عليه السلام المدائن ، فنزل بإيوان كسرى و كان معه دلف بن مجير ، فلما صلّى قام و قال لدلف : قم معي، و كان معه رجل [جماعة] من أهل الساباط ، فما يزال يطوف منازل كسرى و يقول لدلف : كان لكسرى في هذا المكان كذا و كذا ، و يقول دلف : هو والله كذلك . فما زال كذلك حتّى طاف المواضع بجميع من كان معه ودلف يقول : يا سيّدي و مولاي كأنّك وضعت هذه الأشياء في هذه المساكن ، ثمّ نظر إلى جمجمة نخرة ، فقال لبعض أصحابه : خذ هذه الجمجمة ، ثمّ جاء إلى الايوان وجلس فيه ودعا الطشت فيه ماء ، فقال للرجل : دع هذه الجمجمة في الطشت ثمّ قال : أقسمت عليك يا جمجمة لتخبريني من أنا ومن أنت؟ فقالت الجمجمة بلسان فصيح : أمّا أنت فأمير المؤمنين و سيّد الوصيّين و إمام المتّقين ، و أمّا أنا فعبدالله وابن أمة الله كسرى أنو شيروان ، فقال له أمير المؤمنين : كيف حالك ، فقال : ياأمير المؤمنين إنّي كنت ملكاً عادلاً شفيقاً على الرعايا رحيماً لاأرضى بظلم، ولكن كنت على دين المجوس، وقد ولد محمّد صلى الله عليه وآله في زمان ملكي، فسقط من شرفات قصري ثلاثة وعشرون شرفة ليلة ولد ، فهممت أن اؤمن به من كثرة ماسمعت من الزيادة من أنواع شرفه وفضله ومرتبته وعزه في السماوات والأرض ومن شرف أهل بيته ،

(١) بحار الانوار : ج ٤١ ص٢١٢ ح٢٥ مع اختلاف يسير .

و لكنّي تغافلت عن ذلك و تشاغلت عنه في الملك ، فيا لها من نعمة و منزلة ذهبت منّي حيث لم اؤمن! فأنا محروم من الجنّة بعدم إيماني به ولكنّي مع هذا الكفر خلّصني الله تعالى من عذاب النار ببركة عدلي وإنصافي بين الرعيّة ، وأنا في النار والنار محرمة عليّ ، فواحسرتا ! لو آمنت لكنت معك ياسيّد أهل بيت محمّد صلّى الله عليه وآله ويا أمير امّته ، قال : فبكى الناس وانصرف القوم الّذين كانوا من أهل ساباط إلى أهليهم وأخبروهم بما كان وبما جرى، فاضطربوا واختلفوا في معنى أمير المؤمنين فقال المخلصون منهم: إنّ أمير المؤمنين عبدالله ووليّه وصيّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وقال بعضهم : بل هو النبيّ ، و قال بعضهم : بل هو الربّ ، و هو مثل عبدالله بن سبا وأصحابه ، وقالوا : لولا أنّه الربّ كيف يحيي الموتى ؟ قال : فسمع بذلك أمير المؤمنين وضاق صدره وأحضرهم وقال : يا قوم ، غلب عليكم الشيطان ، إن أنا إلّا عبدالله ، أنعم عليّ بإمامته وولايته ووصيّة رسوله صلّى الله عليه وآله فارجعوا من الكفر، فأنا عبدالله وابن عبده، ومحمّد صلّى الله عليه وآله خير منّي وهو أيضاً عبدالله،وإن نحن إلّا بشر مثلكم، فخرج بعضهم من الكفر وبقي قوم على الكفر ما رجعوا، فألحّ عليهم أمير المؤمنين بالرجوع فما رجعوا ، فأحرقهم بالنار ، و تفرق منهم قوم في البلاد ، و قالوا : لولا أنّ فيه الربوبيّة ما كان أحرقنا في النار ، فنعوذ بالله من الخذلان .

ثمّ في البحار : أقول : روى في «عيون المعجزات» من كتاب «الأنوار» تأليف أبي عليّ الحسن بن همام ، عن العبّاس بن الفضل ، عن موسى بن عطيّة الأنصاري ، عن حسّان بن أحمد الأزرق ، عن أبي الأحوص ، عن أبيه ، عن عمّار مثله ، وزاد في آخره : إنّ الّذين احرقوا وسحقوا وذروا في الريح أحياهم الله بعد ثلاثة أيّام ، فرجعوا إلى منازلهم[1].

وفيه : عن أبي رواحة الأنصاري ، عن المغربي، قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام و قد أراد حرب معاوية ، فنظر إلى جمجمة في جانب الفرات و قد أتت عليها

(١) بحار الانوار : ج ٤١ ص ٢١٣ ح ٢٧ .

الأزمنة ، فمرّ عليها أميرالمؤمنين فدعاها، فأجابته بالتلبية وتدحرجت بين يديه و تكلّمت بكلام فصيح : فأمرها بالرجوع ، فرجعت إلى مكانها ، فلمّا فرغ من حرب النهروان أبصرنا جمجمة نخرة بالية ، فقال : هاتوها ، فحركها بسوطه ، فقال: أخبريني من أنت ، فقيرأم غنيّ ، شقيّ أم سعيد ، ملك أم رعيّة ؟ فقالت بلسان فصيح : السلام عليك يا أميرالمؤمنين، أنا كنت ملكاً ظالماً و أنا پرويز بن هرمز ملك الملوك، فملكت مشارقها ومغاربها سهلها وجبلها برها وبحرها، أناالّذي أخذت ألف مدينة في الدنيا وقتلت ألف ملك من ملوكها ، يا أميرالمؤمنين، أنا الّذي بنيت خمسين مدينة، وافتضضت خمس مائة ألف جارية بكراً ، واشتريت ألف عبدتركي وألف أرمني وألف رومي وألف زنجي، وتزوجت بسبعين من بنات الملوك ومامِلك في الأرض إلّا غلبته وظلمت أهله ، فلمّا جاءني ملك الموت قال لي : يا ظالم ، يا طاغي ، خالفت الحقّ ! فتزلزلت أعضائي وارتعدت فرائصي وعرض عليّ أهل حبسي ، فإذا هم سبعون ألف من أولاد الملوك قدشقّوا من حبسي . فلمّا رفع ملك الموت روحي سكن أهل الأرض من ظلمي ، فأنا معذب في النار أبدالآبدين فوكّل الله بي سبعين ألفاً من الزبانية في يد كلّ منهم مرزبة من نار ، لو ضربت بها جبال الأرض لاحترقت الجبال فتدكدكت ، وكلّما ضربني الملك بواحدةمن تلك المرازب اشتعل بي النار واحترق ، فيحييني الله تعالى ويعذبني بظلمي على عباده أبد الآبدين ، و كذلك وكّل الله تعالى بعدد كلّ شعرة في بدني حيّة يلسعني وعقرباً يلدغني ، فتقول لي الحيّات والعقارب : هذا جزاء ظلمك على عباده ، ثمّ سكتت الجمجمة ، فبكى جميع عسكر أمير المؤمنين عليه السلام وضربوا على رؤسهم وقالوا : يا أميرالمؤمنين ، جهلنا حقّك بعد ما أعلمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّما خسرنا حقّنا ونصيبنا فيك ، وإلّا أنت لاينقص منك شيء ، فاجعلنا في حلّ ممّا فرطنا فيك ورضينا بغيرك على مقامك فإنّا نادمون ، فأمر عليه السلام بتغطية الجمجمة ، فعند ذلك وقف ماء النهروان من الجري وصعدعلى وجه الماء كلّ سمك وحيوان كان في النهر ، فتكلّم كلّ واحد منهم مع أميرالمؤمنين ودعا له

وشهد بإمامته، وفي ذلك يقول بعضهم :

سلامي على زمزم و الصفا سلامي على سدرة المنتهى
لقد كلّمتك لدى النهروان نهاراً جماجم أهل الثرى
وقد بدأت لك حيتانها تناديك مذعنة بالولا (١)

وفيه : روي أنّه كان يطلب قوماً من الخوارج، فلمّا بلغ الموضع المعروف اليوم بساباط أتاه رجل من شيعته وقال: يا أمير المؤمنين، أنا من شيعتك وكان لي أخ وكنت شفيقاً عليه، فبعثه عمر في جنود سعد بن أبي وقّاص إلى قتال أهل المدائن فقتل هناك وأريد أن تحييه لي، قال: فأرني قبره ومقتله فأراه إيّاه، فمدّ الرمح وهو راكب بغلته الشهباء فركز القبر بأسفل الرمح، فخرج رجل أسمر طويل يتكلّم بالعجميّة، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لم تتكلّم بالعجميّة وأنت رجل من العرب؟ قال: إنّي كنت أبغضك وأوالي أعداءك فانقلب لساني في النار، فقال: يا أمير المؤمنين ردّه من حيث جاء فلا حاجة لنا فيه، فقال له أمير المؤمنين: ارجع، فرجع إلى القبر وانطبق عليه (٢).

وفيه: عن أبي جعدة، قال: حضرت مجلس أنس بن مالك بالبصرة وهو يحدّث فقام إليه رجل من القوم وقال : يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ما هذه الشيمة التي أراها بك؟ فأنا حدّثني أبي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: البرص والجذام لا يبلي الله به مؤمناً، قال : فعند ذلك أطرق أنس بن مالك إلى الأرض و عيناه تذرفان بالدموع ، ثمّ رفع رأسه وقال : دعوة العبد الصالح عليّ بن أبي طالب عليه السلام نفذت فيّ ، قال: فعند ذلك قام الناس حوله وقصدوه و قالوا : يا أنس ، حدّثنا ما كان السبب ؟ فقال لهم : انتهوا عن هذا ، فقالوا : لابدّ من أن تخبرنا بذلك ، فقال : اقعدوا على مواضعكم واسمعوا منّي حديثاً كان هو السبب لدعوة عليّ عليه السلام ،اعلموا

(١) بحار الانوار : ج٤١ ص٢١٥ ح٢٨ .
(٢) بحار الانوار : ج٤١ ص٢١٦ ح٢٩ .

أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان قد اهدي له بساط شعر من قرية كذا وكذا من قرى المشرق يقال له : « عندف » فأرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبدالرحمن بن عوف الزهري ، فأتيته بهم وعنده ابن عمّه عليّ بن أبي طالب ، فقال لي: يا أنس ، ابسط البساط وأجلسهم عليه ،ثمّ قال : يا أنس ، اجلس حتّى تخبرني بما يكون منهم ، ثمّ قال : قل يا عليّ : يا ريح احملينا ، فإذا نحن في الهواء ، فقال : سيروا على بركة الله ، قال : فسرنا ماشاء الله ، ثمّ قال : يا ريح ضعينا ، فوضعتنا ، فقال : أتدرون أين أنتم ؟ قلنا : الله ورسوله وعليّ أعلم، فقال: هؤلاء أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا [آيات الله] عجباً، قوموا يا أصحاب رسول الله حتّى تسلّموا عليهم، فعند ذلك قام أبو بكر وعمر وقالا: السلام عليكم يا أصحاب الكهف والرقيم، فلم يجبهما أحد، قال: فقمت أنا وعبدالرحمن بن عوف وقلنا: السلام عليكم يا أصحاب الكهف والرقيم ، أنا خادم رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يجبنا أحد، فعند ذلك قام الامام عليه السلام وقال: السلام عليكم يا أصحاب الكهف والرقيم الذين كانوا من آيات الله عجباً ، فقالوا : وعليك السلام يا وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله ورحمة الله وبركاته ، فقال : يا أصحاب الكهف ، ألاّ رددتم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله السلام ؟ قالوا: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله إنّا فتية آمنوا بربّهم وزادهم الله هدى، وليس معنا إذن ردّ السلام إلاّ بإذن نبيّ أو وصيّ نبيّ ، وأنت وصيّ خاتم النبيّين والمرسلين وأنت خاتم الأوصياء، ثمّ قال : أسمعتم يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فاقعدوا في مواضعكم، فقعدنا في مجالسنا، ثمّ قال: يا ريح احملينا، فسرنا ماشاء الله إلى أن غربت الشمس ، ثمّ قال: يا ريح ضعينا ، فإذا نحن على الأرض كأنّها الزعفران ليس فيها حسيس لا أنيس، نباتها الشيح وليس فيها ماء ، فقلنا : يا أمير المؤمنين، دنت الصلاة ليس معنا ماء نتوضّأ به ، فقام وجاء إلى موضع من تلك الأرض فرفسه [برجله] فنبعت عين ماء ، فقال: دونكم وما طلبتم، فلولا طلبتكم لجاءنا جبرئيل بماء من الجنّة،

قال: فتوضّأنا وصلّينا إلى أن انتصف الليل، ثمّ قال : خذوا مواضعكم ستدركون الصلاة مع رسول صلى الله عليه وآله أو في بعضها ، ثمّ قال: يا ريح احملينا ، فإذا نحن برسول الله صلى الله عليه وآله وقدصلّى صلى الله عليه وآله من الغداة ركعةواحدة فقضيناها. وكانقدسبقنابها رسول الله صلى الله عليه وآله فالتفت إلينا و قال: يا أنس ، تشهد لابن عمّي بها إذا استشهدك ، فقلت: نعم يارسول الله، فلمّا ولّى أبو بكر الخلافة أتى عليّ عليه السلام وكنت حاضراً عند أبي بكر والناس حوله ، وقال لي : يا أنس ، ألست تشهد لي بفضيلة البساط ويوم عين الماء ويوم الجب؟ فقلت له : يا عليّ، نسيت من كبري ، فعندها قال لي: يا أنس، إن كنت كتمته مداهنة بعد وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله فرماك الله ببياض في وجهك ولظى في جوفك وعمى في عينيك، فما قمت من مقامي حتّى برصت وعميت، والآن لا أقدر على الصيام في شهر رمضان ولا غيره من الأيّام لأنّ البرد لايبقى في جوفي. ولم يزل أنس على تلك الحال حتّى مات بالبصرة [١].

وفيه : من كتاب البصائر لسعدبن عبدالله مسنداً عن معاوية بن عمّار، قال: دخل أبو بكر على أمير المؤمنين ، فقال له: إنّ رسول الله لم يحدث إلينا فيأمرك شيئاً بعدأيّام الولاية في الغدير وأنا أشهد أنّك مولاي مقرّ بذلكوقدسلّمتعليك على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بإمرة المؤمنين، وأخبرنا رسولالله صلى الله عليه وآله أنّك وصيّه ووارثه وخليفته في أهله ونسائه وأنّك وارثه وميراثه قد صار إليك، ولم يخبرنا أنّك خليفته في امّته من بعده ولا جرم لي فيما بيني وبينك ولاذنب لنا فيما بيننا وبين الله تعالى، فقال له علي عليه السلام : إن أريتك رسولالله صلى الله عليه وآله حتّى يخبرك بأنّي أولى بالأمر الّذي أنت فيه منك ، وأنّك إن لم تعزل نفسك عنه فقد خالفت الله ورسوله، فقال: إن أريتنيه حتّى يخبرني ببعضهذا اكتفيت به، فقال عليه السلام :فتلقاني إذا صلّيت المغرب حتّىاريكه، قال: فرجع إليه بعدالمغرب فأخذ بيده وأخرجه إلى مسجد قبا ، فإذا هو برسول الله صلى الله عليه وآله جالس في القبلة ، فقال له : يا فلان ،

---

(١) بحار الانوار : ج٤١ ص٢١٧ ح٣١ .

أ وثبت على مولاك علي ّ و جلست مجلسه؟ وهو مجلس النبوة لا يستحقّه غيره ، لأنّه وصيّي وخليفتي ، فنبذت أمري و خالفت ما قلته لك وتعرضت لسخط الله وسخطي ، فانزع هذا السربال الّذي تسربلته بغير حقّ و لا أنت من أهله ، وإلّا فموعدك النار ، قال : فخرج مذعوراً ليسلّم الأمر إليه ، و انطلق أميرالمؤمنين عليه السلام فحدّث سلمان بماكان جرى، فقال له سلمان: ليبدينّ هذا الحديث لصاحبه و ليخبرنّه بالخبر ، فضحك أميرالمؤمنين ، فقال : أما أنّه سيخبره وليمنعنّه إن همّ بأن يفعل ، ثمّ قال : لا والله ، لا يذكران ذلك أبداً حتّى يموتا، قال: فلقي صاحبه فحدّثه بالحديث كلّه ، فقال له : ما أضعف رأيك وأخور قلبك! أما تعلم أنّ ذلك من بعض سحر ابن أبي كبشة ؟ أنسيت سحر بني هاشم ؟ فأقم على ما أنت عليه [١] .

وفيه : مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لمّا استخلف أبوبكر أقبل عمر على عليّ عليه السلام فقال له : أما علمت أنّ أبابكر قد استخلف؟ فقال له عليّ: فمن جعله كذلك ؟ قال: المسلمون رضوا بذلك، فقال له عليّ عليه السلام: والله، لأسرع ما خالفوا رسول الله صلى الله عليه وآله ونقضوا عهده ، ولقد سمّوه بغير اسمه ، والله ما استخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال عمر : ما تزال تكذب على رسول الله في حياته وبعد موته ، فقال له: انطلق بنا يا عمر، لتعلم أيّنا الكذاب على رسول الله في حياته وبعد موته؟ فانطلق معه حتّى أتى القبر إذا كفّ فيها مكتوب : أكفرت يا عمر بالّذي خلقك من تراب ثمّ من نطفة ثمّ سواك رجلاً؟ فقال له عليّ عليه السلام : أرضيت؟ والله لقد فضحك الله في حياته وبعد موته [٢] .

وفيه : عن جابر بن عبدالله ، قال : رأيت أميرالمؤمنين عليه السلام وهو خارج من الكوفة فتبعته من ورائه حتّى إذا صار إلى جبّانة اليهود، فوقف في وسطها ونادى:

---

(١) بحارالانوار : ج٤١ ص٢٢٨ ح٣٨ .
(٢) بحارالانوار : ج٤١ ص٢٢٩ ح٣٩ .

يا يهود! يايهود ! فأجابوه في جوف القبر : لبّيك لبّيك مطلايخ ـ يعنون بذلك يا سيّدنا ـ فقال : كيف ترون العذاب ؟ فقالوا : بعصياننا لك كهارون ، فنحن ومن عصاك في العذاب إلى يوم القيامة، ثمّ صاح صيحةً كادت السماوات ينقلبن، فوقعت مغشيّاً على وجهي من هول ما رأيته ، فلمّا أفقت رأيت أمير المؤمنين عليه السلام على سرير من ياقوتة حمراء و على رأسه إكليل من الجوهر و عليه حلل خضر و صفر و وجهه كدائرة القمر ، فقلت : يا سيّدي هذا ملك عظيم ! قال : نعم يا جابر، إنّ ملكنا أعظم من ملك سليمان بن داود و سلطاننا أعظم من سلطانه ، ثمّ رجع و دخلنا الكوفة ودخلت خلفه إلى المسجد ، فجعل يخطو خطوات و هو يقول : لا والله ، لاكان كذلك أبداً ، فقلت : يا مولاي ، لمن تكلّم و لمن تخاطب ؟ و ليس أرى أحداً ، فقال : يا جابر ، كشف لي برهوت فرأيت الأوّل و الثاني يعذبان في جوف تابوت في برهوت، فناديا : يا أباالحسن ، يا أمير المؤمنين، ردنا إلى الدنيا نقرّ بفضلك ونقرّ بالولاية لك ، فقلت : لاوالله لافعلت ،لاوالله ما كان ذلك أبداً ، ثمّ تلا هذه الآية «ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه و إنّهم لكاذبون» يا جابر ، و ما من أحد خالف وصيّ نبيّ إلّا حشره الله أعمى يتكبكب في عرصات القيامة [1] .

وفيه: مسنداً عن تميم بن جذيم ، قال : كنّا مع عليّ عليه السلام حيث توجّهنا إلى البصرة، قال : فبينما نحن نزول إذ اضطربت الأرض ، فضربها عليّ عليه السلام بيده ثمّ قال لها : مالك؟ ثمّ أقبل عليها بوجهه ، ثمّ قال لنا: أمّا أنّها لو كانت الزلزلة الّتي ذكرها الله عزّوجلّ في كتابه لأجابتني ولكنّها ليست بتلك . قال : بيان: أي لو كانت هذه زلزلة القيامة لأجابتني الأرض حين سألتها عن أخبارها ، كما ذكره الله في سورة الزلزال ، وسيأتي توضيحه في الخبر الآتي [2] .

(١) بحارالانوار : ج٤١ ص٢٢١ ح٣٣.

(٢) بحار الانوار : ج٤١ ص٢٥٣ ح١٣ .

ثمّ روى بسنده عن فاطمة عليها السلام قالت: أصاب الناس زلزلة على عهد أبي بكر و فزع الناس إلى أبي بكر و عمر فوجدوهما فزعين إلى علي عليه السلام فتبعهما الناس إلى أن انتهوا إلى باب علي عليه السلام فخرج إليهم علي عليه السلام غير مكترث لما هم فيه، فمضى وأتبعه الناس حتّى انتهى إلى تلعة فقعد عليها وقعدوا حوله وهم ينظرون إلى حيطان المدينة ترتجّ جائية و ذاهبة فقال لهم علي عليه السلام: كأنّكم قد هالكم ما ترون، قالوا: و كيف لايهولنا ولم نر مثلها قطّ! قالت: فحرك شفتيه ثمّ ضرب الأرض بيده ثمّ قال لها: مالك؟ اسكني، فسكنت، فعجبوا من ذلك أكثر من تعجّبهم أولاً حيث خرج إليهم، قال لهم: فإنّكم عجبتم من صنعي؟ قالوا: نعم، فقال: أنا الرجل الّذي قال الله: «إذا زلزلت الأرض زلزالها* و أخرجت الأرض أثقالها* و قال الانسان مالها» فأنا الانسان الّذي يقول لها: مالك؟ «يومئذٍ تحدّث أخبارها» إيّاي تحدّث (١).

وفيه: قال له عليه السلام رجل: بأبي أنت وامّي! إنّي لأتعجّب من هذه الدنيا الّتي في أيدي هؤلاء القوم وليست عندكم، فقال: يافلان، أترى إنّما نريدالدنيا فلانعطاها، ثمّ قبض قبضة من الحصى فإذا هي جواهر، فقال: ما هذا؟ فقلت: هذا من أجود الجواهر، فقال: لو أردناه لكان ولكن لانريده، ثمّ رمى بالحصى فعادت كما كانت (٢).

و فيه: عن سلمان ـ رحمه الله ـ أنّ عليّاً عليه السلام بلغه عن عمر ذكر شيعته، فاستقبله في بعض طرقات بساتين المدينة وفي يد علي عليه السلام قوس عربيّة، فقال: يا عمر، بلغني عنك ذكرك لشيعتي، فقال: اربع على ظلعك، فقال عليه السلام: إنّك لهاهنا؟ ثمّ رمى بالقوس على الأرض فإذا هي ثعبان كالبعير، فأغرفاه وقدأقبل نحو عمر ليبتلعه، فصاح عمر: الله الله ياأباالحسن، لاعدت بعدهافي شيء، وجعل يتضرع إليه، فضرب يده إلى الثعبان فعادت القوس كماكانت، فمرّ عمر إلى بيته مرعوباً، قال

(٢و١) بحار الانوار: ج٤١ ص٢٥٤ ح١٤ و١٥ .

سلمان: فلمّا كان في الليل دعاني عليّ عليه السلام فقال: صر إلى عمر، فإنّه حمل إليه مال من ناحية المشرق ولم يعلم به أحد وقد عزم أن يحتبسه، فقل له: يقول لك عليّ: خرج إليك مال من ناحية المشرق ففرقه على من جعل لهم ولا تحبسه فأفضحك، قال سلمان ـ رحمه الله ـ: فأديت إليه الرسالة، فقال: حيرني أمر صاحبك، من إين علم به؟ فقلت: وهل يخفى عليه شيء مثل هذا؟ فقال لسلمان: اقبل منّي ما أقول لك، ما عليّ إلّا ساحر وإنّي لمشفق عليك منه، والصواب أن تفارقه وتصير في جملتنا، قلت: بئس ما قلت، لكن عليّاً ورث من أسرار النبوة ما قد رأيت منه وما هو أكبر منه. قال: ارجع إليه فقل له: السمع والطاعة لأمرك، فرجعت إلى عليّ فقال: احدّثك بماجرى بينكما؟ فقلت: أنت أعلم به منّي، فتكلّم بكلّ ماجرى بيننا، ثمّ قال: إنّ رعب الثعبان في قلبه إلى أن يموت. قال في البحار: بيان: قوله عليه السلام «إنّك لها هنا» أي تحسبني عاجزاً عن مقاومتك فتقول لي مثل ذلك؟ أو إنّي في حضور الخلق اداريك، ففي الخلوة أيضاً هكذا تكلّمني مع معرفتك بمكاني وعلوّ شأني [(١)].

وفيه: عن الصادق عليه السلام: إنّ أمير المؤمنين بلغه عن عمر بن الخطّاب أمر فأرسل إليه سلمان وقال: قل له: قد بلغني عنك كيت وكيت وكرهت أن اعتب عليك في وجهك، فينبغي أن لا يقال فيّ إلّا الحقّ، فقد غصبت حقّي على القذى وصبرت حتّى يبلغ الكتاب أجله، فنهض سلمان ـ رحمه الله ـ وبلّغه ذلك وعاتبه وذكر مناقب أمير المؤمنين وذكر فضائله وبراهينه، فقال عمر: عندي الكثير من فضائل عليّ ولست بمنكر فضله، إلّا أنّه يتنفّس الصعداء ويظهر البغضاء، فقال له سلمان ـ رحمه الله ـ: حدّثني بشيء ممّا رأيته منه، فقال عمر: يا أباعبدالله، نعم خلوت به ذات يوم في شيء من أمر الجيش، فقطع حديثي وقام من عندي وقال: مكانك حتى أعود إليك فقد عرضت لي حاجة، فما كان أسرع أن رجع عليّ عليه السلام ثانية وعلى

(١) بحار الانوار: ج٤١ ص٢٥٦ ح١٧.

ثيابه وعمامته غبار كثير، فقلت له . ما شأنك؟ فقال : أقبل نفر من الملائكة وفيهم رسول الله صلى الله عليه وآله يريدون مدينة بالمشرق يريدون مدينة جيحون ، فخرجت لاسلّم عليه وهذه الغبرة ركبتني من سرعة المشي. فقال عمر: فضحكت متعجّباً حتّى استلقيت على قفاي وقلت له : النبيّ صلى الله عليه وآله قدمات وبلى، و تزعم أنّك لقيته الساعة وسلّمت عليه؟فهذا من العجائب وممّا لايكون. فغضب عليّ ونظر إليّ وقال: تكذبني يابن الخطّاب ، فقلت : لاتغضب وعد إلى ما كنّا فيه ،فإنّ هذا ممّا لايكون أبداً قال : فإن أنت رأيته حتّى لاتنكر منه شيئاً استغفرت الله ممّا قلت وأضمرت و أحدثت توبة ممّا أنت عليه وتركت حقّاً ؟ فقلت : نعم ، فقال : قم ، فقمت معه فخرجنا إلى طرف المدينة وقال لي : غمّض عينيك ، فغمضتهما ، فقال : افتحهما، ففعلت ذلك فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله معه نفر من الملائكة . فلمّا أطلت النظر ، فقال : هل رأيته ؟ فقلت: نعم ، قال: غمّض عينيك، فغمضتهما ، ثمّ قال :افتحهما فإذا لاعين ولاأثر . فقلت له : هل رأيت من عليّ عليه السلام غير ذلك؟ قال : نعم ، إنّه استقبلني يوماً وأخذ بيدي ومضى إلى الجبّانة و كنّا نتحدث في الطريق وكان بيده قوس ، فلمّا صرنا في الجبّانة رمى بقوسه من يده فصار ثعباناً عظيماً مثل ثعبان موسى عليه السلام وفتح فاه وأقبل ليبتلعني . فلمّا رأيت طار قلبي من الخوف وتنحّيت وضحكت في وجه عليّ عليه السلام وقلت : الأمان يا عليّ بن أبي طالب واذكر ما بيني وبينك من الجميل ، فلمّا سمع هذا القول افترّ ضاحكاً و قال : لطفت الكلام ونحن أهل بيت نشكر القليل ، فضرب بيده إلى الثعبان وأخذه بيده فإذا هو قوسه الّذي كان بيده . ثمّ قال عمر : يا سلمان، إنّي كتمت ذلك عن كلّ أحدوأخبرتك به يا أباعبدالله ، فإنّهم أهل بيت يتوارثون هذه الاعجوبة كابرعن كابر .ولقدكان إبراهيم يأتي بمثل ذلك ، وكان أبوطالب وعبدالله يأتيان بمثل ذلك في الجاهليّة ، وأنا لاانكر فضل عليّ عليه السلام وسابقته ونجدته و كثرة علمه ، فارجع إليه واعتذر

عنّي إليه واثن عنّي عليه بالجميل(١) .

وفيه : من كتاب الأربعين لمحمّد بن مسلم بن أبي الفوارس ، مسنداً عن عبدالله بن خالد بن سعيدبن العاص، قال: كنت مع أمير المؤمنين وقد خرج من الكوفة إذ عبر بالصعيد الّتي يقال لها : النخلة ، على فرسخين من الكوفة ، فخرج منهـا خمسون رجلاً من اليهود وقالوا : أنت عليّ بن أبي طالب الامام؟ فقال : أنا ذا ، فقالوا : لنا صخرة مذكورة في كتبنا عليها اسم ستّة من الأنبياء و هو ذا نطلب الصخرة ولا نجدها ، فإن كنت إماماً أوجدنا الصخرة ، فقال عليّ عليه السلام : اتبعوني قال عبدالله بن خالد : فسار القوم خلف أمير المؤمنين إلى أن استبطن فيهم البرّ وإذا الجبل من رمل عظيم ، فقال : أيّها الريح انسفي الرمل عن الصخرة بحقّ اسم الله الأعظم ، فما كان إلّا ساعة حتّى نسفت الرمل وظهرت الصخرة. فقال علي عليه السلام: هذه صخرتكم ، فقالوا : عليها اسم ستّة من الأنبياء على ما سمعناه وقرأنا في كتبنا ولسنا نرى عليها الأسماء، فقال عليه السلام: أمّا الأسماء الّتي عليها فهي في وجهها الّذي على الأرض فأقلبوها ، فاعصوصب عليها ألف رجل حضروا في هذا المكان فما قدروا على قلبها ، فقال : تنحّوا عنها ، فمدّ يده إليها فقلّبها فوجدوا عليها اسم ستّة من الأنبياء أصحاب الشرايع : آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، و موسى، و عيسى ، و محمّد صلّى الله عليه وآله وعليهم ، فقال النفر اليهود : نشهد أن لا إله إلّا الله و أنّ محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله و أنّك أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين وحجة الله في أرضه ، من عرفك سعد و نجا ، ومن خالفك ضلّ و غوى وإلى الجحيم هوى، جلّت مناقبك عن التحديد وكثرت آثار نعتك عن التعديد . قال : بيان: قال الفيروزآبادي: اعصوصبت الابل جدت في السير واجتمعت (٢) .

وفيه : أنّ أمير المؤمنين عليه السلام دخل يوماً إلى منزله فالتمس شيئاً من الطعام فأجابته الزهراء فاطمة عليها السلام فقالت : ما عندنا شيء وإنّني منذ يومين اعلّل الحسن

(١) بحار الانوار : ج٤٢ ص٤٢ ح١٥ .
(٢) بحار الانوار: ج ٤١ ص٢٥٧ ح١٨ .

والحسين عليهما السلام ، فقال : اعطونا مرطاً نضعه عند بعض الناس على شيء ، فاعطي فخرج به إلى يهودي كان في جيرانه ، فقال له : أخا تبّع اليهود ، اعطنا على هذا المرط صاعاً من شعير، فأخرج إليه اليهودي الشعير فطرحه في كمّه ومشى خطوات فناداه اليهودي أقسمت عليك ياأمير المؤمنين إلّا وقفت لاشافهك ، فجلس ولحقه اليهودي ، فقال له: ابن عمّك يزعم أنّه حبيب الله وخاصّته وخالصته وأنّه أشرف الرسل على الله تعالى فألاسأل الله تعالى أن يغنيكم عن هذه الفاقة الّتي أنتم عليها؟ فأمسك عليه السلام ساعة فنكت بإصبعه الأرض وقال له : يا أخا تبّع اليهود ، والله إنّ لله عباداً لو أقسموا عليه أن يحول هذا الجدار ذهباً لفعل ، قال : فاتّقد الجدار ذهباً . فقال عليه السلام : ما اعنيك إنّما ضربتك مثلاً ، فأسلم اليهودي [1] .

وفيه : عن أبي جعفر بن بابويه ، مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أصحاب عليّ : يا أميرالمؤمنين ، لو أريتنا مانطمئن إليه ممّا أنهى إليك رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : لو رأيتم عجيبة من عجائبي لكفرتم و قلتم : ساحر كذاب و كاهن ، و هو من أحسن قولكم ، قالوا : ما منّا أحد إلّا و هو يعلم أنّك ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله وصار إليك علمه ، قال: علم العالم شديد و لا يحتمله إلّا مؤمن امتحن الله قلبه للايمان و أيّده بروح منه ، ثمّ قال : أمّا إذا أبيتم الآن اريكم بعض عجائبي و ما آتاني الله من العلم ، فاتّبعه سبعون رجلاً في أنفسهم خيار الناس من شيعته، فقال لهم: إنّي لست اريكم شيئاً حتّى آخذ عليكم عهدالله وميثاقه أن لاتكفروا بي ولاترموني بمعضلة ، فوالله ما اريكم إلّا ما علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ عليهم العهد والميثاق أشدّ ما أخذه الله على رسله ، ثمّ قال :حولوا وجوهكم عنّي حتى أدعو بما اريد ، فسمعوه يدعو بدعوات لم يسمعوا بمثلها، ثمّ قال: حولوا وجوهكم فحولوها فإذا جنّات وأنهار وقصور من جانب، والسعير تتلظّى من جانب، حتّى أنّهم لم يشكّوا في معاينة الجنّة والنار ،فقال أحسنهم قولاً: إنّ هذا لسحر عظيم،

(١) بحار الانوار : ج٤١ ص٢٥٨ ح١٩ .

ورجعوا كفّاراً إلّا رجلين ، فلمّا رجع مع الرجلين قال لهما : قد سمعتما مقالتهم وأخذي عليهم العهود والمواثيق ورجوعهم يكفرون ، أما والله إنّها لحجّتي عليهم غداً عند الله. فإنّ الله ليعلم أنّي لست بكاهن ولا ساحر ولا يعرف ذلك لي ولا لآبائي ولكنّه عام الله وعلم رسوله صلى الله عليه وآله أنهاه الله إلى رسوله صلى الله عليه وآله وأنهاه رسوله صلى الله عليه وآله إليّ وأنهيته إليكم ، فإذا رددتم عليّ رددتم على الله ، حتّى إذا صار إلى مسجد الكوفة دعا بدعوات فإذا حصى المسجد درّ وياقوت، فقال لهما : ما الّذي تريان؟ قالا : هذا درّ وياقوت، فقال : لو أقسمت على ربّي فيما هو أعظم من هذا لأبرّ قسمي ، فرجع أحدهما كافراً وأمّا الآخر فثبت ، فقال له : إن أخذت شيئاً ندمت و إن تركت ندمت فلم يدعه حرصه حتّى أخذ درة فصيّرها في كمّه حتّى إذا أصبح نظر إليها فإذا هي درة بيضاء لم ينظر الناس إلى مثلها، فقال : يا أمير المؤمنين إنّي أخذت من ذلك الدرّ واحدة ، قال : وما دعاك إلى ذلك؟ قال : أحببت أن أعلم أحقّ هو أم باطل ، قال : إنّك إن رددتها إلى الموضع الّذي أخذتها منه عوضك الله الجنّة وإن أنت لم تردها عوضك الله النار ، فقام الرجل فردها إلى موضعها الّذي أخذها منه فحولها الله حصاة كما كان ، فبعضهم قال : كان هذا ميثم التمّار، وقال بعضهم : بل كان عمرو بن الحمق الخزاعي[1].

وفيه : روي أنّ رجلاً قدم إلى أمير المؤمنين فاستضافه ، فاستدعى قرصة من شعير يابسة وقعباً فيه ماء ثمّ كسر قطعة وألقاها في الماء ، ثمّ قال للرجل : تناولها وأخرجها وإذا هي قطعة من الحلوى. فقال الرجل: يامولاي، تضع لي كسراً يابسة فأجدها أنواع الطعام؟ فقال أمير المؤمنين : نعم هذا الظاهر وذاك الباطن وإنّ أمرنا هكذا والله .

وفيه أيضاً : لمّا جاءت فضّة إلى بيت الزهراء لم تجد هناك إلّا السيف والدرع و الرحى ، و كانت بنت ملك الهند، وكانت عندها ذخيرة من الاكسير ، فأخذت

(١) بحار الانوار : ج٤١ ص٢٥٩ ح٢٠ .

قطعة من النحاس وألانتها وجعلتها على هيئة سبيكة وألقت عليها الدواء وصنعتها ذهباً ، فلمّا جاء أمير المؤمنين وضعتها بين يديه ، فلمّا رآها قال : أحسنت يا فضّة ، لكن لو أذبت الجسد لكان الصبغ أعلى والقيمة أغلى ، فقالت : يا سيّدي تعرف هذا العلم ؟ قال : نعم ، و هذا الطفل يعرفه ـ و أشار إلى الحسين ـ فجاء و قال كما قال أمير المؤمنين، فقال أمير المؤمنين: نحن نعرف أعظم من هذا ، ثمّ أومى بيده فإذا عنق من ذهب و كنوز الأرض سائرة، ثمّ قال: ضعيها مع أخواتها، فوضعتها فسارت [١] .

ورأيت في «مشارق الأنوار» للبرسي : أنّه عليه السلام صحب يوماً يهودياً خيبرياً في طريق فمشيا، وكان اليهودي يقول له: إنّك لا تستطيع مصاحبتي ، ويكرر ذلك حتّى وصلا إلى ماء عظيم قرأ اليهودي شيئاً و مشى على الماء حتّى عبر و بقي عليّ واقفاً على شاطىء الماء، فالتفت إليه اليهودي وضحك ، وقال : ألم أقل لك إنّك لا تقدر على مصاحبتي، فأشار إلى الماء فغار في الأرض وجفّ فتحيّر اليهودي وقال : ماذا قرأت على الماء فغار ؟ فقال له : أنت ماذا قرأت ومشيت عليه ؟ قال : اسم وصيّ خاتم الأنبياء، قال: وأنا هو [٢].

إلى غير ذلك تركناها لعدم تحمّل الرسالة لها وإفضائها إلى نهاية الاطناب .

وفي مجموعة الشيخ ابن الورام ـ رحمه الله ـ أنّه صحب رجل عيسى بن مريم عليه السلام فقال : أكون معك وأصحبك، فانطلقا فانتهيا إلى شطّ نهر فجلسا يتغذيان ومعهما ثلاثة أرغفة، فأكلا رغيفين وبقي رغيف، فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب ماءً ثمّ رجع فلم يجد الرغيف ، فقال للرجل : من أخذ الرغيف؟ قال :لاأدري ، قال: فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية معها خشفان لها، فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل، ثمّ قال للخشف : قم بإذن الله، فقام فذهب

(١) بحار الانوار : ج ٣١ ص ٢٧٣ ح ٢٩ مع اختلاف يسير .
(٢) مشارق الانوار للبرسي : ص١٧٢ نقلا بالمعنى .

فقال للرجل : أسألك بالّذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف ؟ قال : لا أدري ، قال : فانتهيا إلى [وادي ماء فأخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فمشيا على الماء فلمّا جاوزاه قال: أسألك بالّذي أراك هذهالآية من أخذ الرغيف؟ قال: لاأدري] قال: فانتهيا إلى مفازة فجلسا فأخذ عيسى فجمع تراباً أو كثيباً ثمّ قال : كن ذهباً بإذن الله ، فصار ذهباً ، فقسّمه ثلاثة أثلاث ، فقال : ثلث لي و ثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف ، قال : فأنا أخذت الرغيف ، قال فكلّه لك ، وفارقه عيسى فانتهى إليه رجلان في مفازة ومعه المال ، فأرادا أن يأخذاه منه و يقتلاه، فقال: هو بيننا أثلاث قال : فابعثوا أحدكم إلى القرية حتّى يشتري طعاماً، فبعثوا أحدهم ، فقال الّذي بعث : لأيّ شيء اقاسم هؤلاء هذا المال ، لكن أضع في هذا الطعام سمّاً فأقتلهما، قال : ففعل ، وقال اولئك : لأيّ شيء نجعل لهذا ثلث المال ؟ و لكن إذا رجع قتلناه و أقتسمنا المال بيننا، قال : فلمّا رجع إليهما قتلاه، و أكلا الطعام فماتا، فبقي ذلك المال في المفازة و اولئك الثلاثة قتلى عنده ، فمرّ بهم عيسى وهم على تلك الحال ، فقال لأصحابه : هذه الدنيا فاحذروها [1] .

وروى في«العيون» بسنده عن عليّ بن يقطين، قال:استدعى الرشيدرجلاً يبطل به أمر أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ويقطعه ويخجله في المجلس ، فانتدب له رجل معزم ، فلمّا احضرت المائدة عمل ناموساً على الخبز ، فكان كلّ ما رام أبوالحسن تناول الرغيف من الخبز طار من بين يديه و استفزّ هارون الفرح و الضحك لذلك ، فلم يلبث أبوالحسن أن رفع رأسه إلى أسد مصور على بعض الستور ، فقال له: ياأسدالله خذ عدوّ الله،قال:فو ثبت تلكالصورة كأعظم مايكون من السباع فافترست ذلك المعزم،فخرّ هارون وندمائه على وجوههم مغشيّاً عليهم فطارت عقولهم خوفاً من هول مارأوا، فلمّا أفاقوا منذلك قال هارون لأبي الحسن عليه السلام: سألتك بحقّي عليك لمّا سألت الصورة أن تردّ الرجل : قال : إن كان عصا

(١) مجموعة ورام : ج١ ص ١٧٩ .

موسى ردّ ما ابتلعته من حبال القوم و عصيّهم فإنّ هذه الصورة ترد ما ابتلعته من هذا الرجل ، فكان ذلك أعمل الأشياء في إفاقة نفسه[(١)] .

وفيه أيضاً : (في باب استسقاء المأمون بالرضا ودعائه واستجابة الله له) وقد كان للمأمون من يريد أن يكون هو وليّ عهده من دون الرضا، وحسّاد كانوا بحضرة المأمون للرضا عليه السلام فقال المامون بعض اولئك : يا أمير المؤمنين ، اعيذك بالله أن تكون تاريخ الخلفاء في إخراج هذا الشرف العميم و الفخر العظيم من بيت ولد العبّاس إلى بيت ولد عليّ، ولقد أعنت على نفسك وأهلك جئت بهذا الساحر ولد السحرة ، وقد كان خاملاً فأظهرته، ومتّضعاً فرفعته، و منسيّاً فذكّرت به، ومستخفّاً فنوهت به، قد ملأ الدنيا مخرقة وتشوقاً بهذا المطر الوارد عند دعائه، ما أخوفني أن يخرج هذا الرجل هذا الأمر عن ولد العبّاس إلى ولد عليّ، بل ما أخوفني أن يتوصّل بسحره إلى إزالة نعمتك والتوثّب على مملكتك، هل جنى أحد على نفسه و ملكه مثل جنايتك؟ فقال المأمون : قد كان هذا الرجل مستتراً عنّا يدعو إلى نفسه فأردنا أن نجعله وليّ عهدنا ليكون دعاؤه إلينا، وليعترف بالملك والخلافة لنا، وليعتقد فيه المفتونون به أنّه ليس ممّا ادعى في قليل ولا كثير، وأنّ هذا الأمر لنا من دونه، وقد خشينا إن تركناه على تلك الحال أن ينفتق علينا منه ما لا نسده ويأتي علينا منه ما لا نطيقه ، والآن قد فعلنا به ما فعلنا ، وأخطأنا في أمرنا بما أخطأنا وأشرفنا من الهلاك بالتنويه على ما أشرفنا، فليس يجوز التهاون في أمره و لكنّا نحتاج أن نضع منه قليلاً قليلاً حتّى نصوره عند الرعيّة بصورة من لا يستحقّ لهذا الأمر ، ثمّ ندبّر فيه بما يحسم عنّا موادّ بلائه ، قال الرجل : يا أمير المؤمنين، فولّني مجادلته فإنّي افحمه وأصحابه وأضع من قدره، فلولا هيبتك في صدري لأنزلته منزلته وتبيّنت للناس قصوره عمّا رسخته له، قال المأمون: ما شيء أحبّ إليّ من هذا ، قال : فاجمع وجوه أهل مملكتك من القواد والقضاة وخيار

(١) عيون أخبار الرضا : ج١ ص٩٦ .

الفقهاء لابيّن نقصه بحضرتهم ، فيكون أخذاً له عن محلّه الّذي أحللته فيه على علم منهم بصواب فعلك ، قال : فجمع الخلق الفاضلين من رعيّته في مجلس واحد قعد فيه لهم وأقعد الرضا عليه السلام بين يديه في مرتبته الّتي جعلها له، فابتدأ هذا الحاجب المتضمّن للوضع من الرضا عليه السلام و قال له : إنّ الناس قد أكثروا عنك الحكايات و أسرفوا في و صفك بما أرى إنّك إن وقفت عليه برئت إليهم منه ، فأوّل ذلك [قال: وذلك] أنّك دعوت الله في المطر المعتاد مجيئه فجاء، فجعلوه آية لك معجزة أوجبوا لك بها أن لا نظير لك في الدنيا، وهذا أمير المؤمنين ـ أدام الله ملكه وبقاءه ـ لا يوازن بأحد إلّا رجح به ، و قد أحلّك المحلّ الّذي عرفت ، فليس من حقّه عليك أن تسوغ الكاذبين لك وعليه ما يتكذبونه ، فقال الرضا عليه السلام : ما أدفع عباد الله عن التحدث بنعم الله عليّ وإن كنت لا أبغي أشراً ولا بطراً . وأمّا ذكر صاحبك الّذي أحلّني ما أحلّني، فما أحلّني إلّا المحلّ الّذي أحلّه ملك مصر يوسف الصدّيق عليه السلام وكانت حالهما ما قد علمت ، فغضب الحاجب عند ذلك فقال : يابن موسى ، لقد عدوت طورك و تجاوزت قدرك ، أن بعث الله تعالى بمطر مقدر وقته لا يتقدم ولا يتأخّر جعلته آية تستطيل بها وصولة تصول بها كأنك جئت بمثل آية الخليل إبراهيم لمّا أخذ رؤوس الطير بيده ودعا أعضاءها الّتي كان فرقها على الجبال فأتينه سعياً وتركّبن على الرؤوس وخفقن وطرن بإذن الله عزّ وجلّ ، فإن كنت صادقاً فيما توهم فأحي هذين وسلّطهما عليّ ، فإنّ ذلك يكون حينئذ آية معجزة، فأمّا المطر المعتاد مجيئه فلست أنت أحقّ بأن يكون جاء بدعائك من غيرك الّذي دعا كما دعوت، وكان الحاجب قد أشار إلى أسدين مصورين على مسند المأمون الّذي كان مستنداً إليه و كانا متقابلين على المسند ، فغضب عليّ بن موسى الرضا عليه السلام و صاح بالصورتين : دونكما الفاجر فافترساه و لا تبقيا له عيناً و لا أثراً ، فوثبت الصورتان وقدعادتا أسدين فتناولا الحاجب ورضّاه وهشماه وأكلاه وألحسا

دمه والقوم ينظرون متحيّرين ممّا يبصرون، فلمّا فرغا منه أقبلا على الرضا عليه السلام وقالا : يا وليّ الله في أرضه ، ماذا تأمرنا نفعل بهذا ، أنفعل به كما فعلناه بهذا ، و يشيران إلى المأمون فغشي على المأمون ممّا سمع منهما ، فقال الرضا : قفا ، فوقفا، ثمّ قال الرضا عليه السلام : صبّوا عليه ماءورد وطيّبوه ، ففعل ذلك به ، و عاد الأسدان يقولان : أتأذن لنا أن نلحقه بصاحبه الّذي أفنيناه ، قال : لا فإنّ لله عزّوجلّ فيه تدبيراً هو ممضيه ، فقالا : ماذا تأمرنا ؟ فقال : عودا إلى مقرّ كما كما كنتما ، فعادا إلى المسند وصارا صورتين كماكانتا، فقال المأمون: الحمدلله الّذي كفاني شرّ حميد بن مهران ـ يعني الرجل المفترس ـ ثمّ قال للرضا عليه السلام: يابن رسول الله هذا الأمر لجدكم رسول الله صلّى الله عليه وآله ثمّ لكم ولوشئت لنزلت عنه لك ، فقال الرضا : لو شئت لما ناظرتك ولا أسألك، فإنّ الله عزّوجلّ قد أعطاني من طاعة سائر خلقه مثل مارأيت طاعه هاتين الصورتين إلّا جهّال بني آدم، فإنّهم و إن خسروا حظوظهم ، فللّه عزّوجلّ فيه تدبير ، وقد أمرني بترك الاعتراض عليك وإظهار ما أظهرته من العمل من تحت يدك كما أمر يوسف بالعمل من تحت يدفرعون مصر . قال : فما زال المأمون ضئيلاً [في نفسه] إلى أن قضى في عليّ ابن موسى الرضا عليهما السلام ما قضى (١).

وفي تفسير الامام عليه السلام : إنّ سلمان الفارسي ـ رحمه الله ـ مرّ بقوم من اليهود فسألوه أن يجلس إليهم ويحدّثهم بما سمع من محمّد صلّى الله عليه وآله في يومه هذا ، فجلس إليهم لحرصه على إسلامهم ، فقال : سمعت محمّداً صلّى الله عليه وآله يقول : إنّ الله عزّوجلّ يقول : ياعبادي ، أوليس من له إليكم حوائج كبار لاتجودون بها إلّا أن يتحمّل عليكم بأحبّ الخلق إليكم تقضونها كرامة لشفيعهم ؟ ألا فاعلموا أنّ أكرم الخلق عليّ وأفضلهم لديّ محمّد صلّى الله عليه وآله وأخوه عليّ عليه السلام ومن بعده من الأئمّة الّذين

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص١٦٩ باب ٤١ ذيل ح ١ .

هم الوسائل إليّ، ألا فليدعني من همّ بحاجة يريد نفعها أودهته داهية يريد كفّ ضررها بمحمّد صلى الله عليه وآله الأفضلين الطيّبين الطاهرين أقضها له أحسن ممّا يقضيها من تستشفعون إليه بأعز الخلق عليه. قالوا لسلمان ـ رحمه الله ـ وهم يستهزؤن: ياباعبدالله، فما بالك لاتقترح على الله وتتوسّل بهم أن يجعلك أغنى أهل المدينة؟ فقال سلمان: قد دعوت الله بهم وسألته ما هو أجلّ وأفضل وأنفع من ملك الدنيا بأسرها، سألته بهم أن يهب لي لساناً لتمجيده وثنائه ذاكراً وقلباً لآلائه شاكراً، وعلى الدواهي الداهية لي صابراً وهو عزّ وجلّ قد أجابني إلى ملتمسي من ذلك، وهو أفضل من ملك الدنيا بحذافيرها وما تشتمل عليه من خيراتها مائة ألف ألف مرة، قال: فجعلوا يهزأون به ويقولون: ياسلمان، لقد ادعيت مرتبة عظيمة شريفة تحتاج إلى أن نمتحن صدق ماقلت من كذبك فيها، وهانحن أولاً قائمون إليك بسياط فضاربوك بها، فاسأل ربّك أن يكفّ أيدينا عنك، فجعل سلمان يقول: اللّهمّ اجعلني على البلاء صابراً، وجعلوا يضربونه بسياطهم حتّى أعيوا وملّوا ، وجعل سلمان لايزيد على قوله : اللّهمّ اجعلني على البلاء صابراً، فلمّا ملّوا وأعيوا قالوا له: ياسلمان ، ماظننّا أنّ روحاً تثبت في مقرها مع مثل هذا العذاب الوارد عليك ، فما بالك لا تسأل ربّك أن يكفينا عنك ؟ فقال : لأنّ سؤالي ذلك بربّي خلاف الصبر ، بل سلّمت لامهال الله تعالى لكم و سألته الصبر ، فلمّا استراحوا قاموا بعد بسياطهم فقالوا: لانزال نضربك بسياطنا حتّى تزهق روحك أو تكفر بمحمّد صلى الله عليه وآله فقال: ما كنت لأفعل ذلك، فإنّ الله قد أنزل على محمّد صلى الله عليه وآله «الذين يؤمنون بالغيب» وإنّ احتمالي لمكارهكم لأدخل في جملة من مدحه الله بذلك سهل عليّ يسير ، فجعلوا يضربونه حتّى ملّوا ثمّ قعدوا وقالوا : ياسلمان ، لو كانت لك عند ربّك قدر لايمانك بمحمّد صلى الله عليه وآله لاستجاب دعاءك و كفّنا عنك ، فقال : ما أجهلكم ! كيف يكون مستجيباً دعائي إذا فعل بي خلاف ما اريد منه ؟ أنا أردت منه الصبر فقد استجاب لي وصبّرني ،

ولم أسأله كفّكم عنّي فيمنعني حتّى يكون ضدّ دعائي كما تظنّون ، فقاموا إليه ثالثة بسياطهم فجعلوا يضربونه وسلمان لايزيد على قوله : اللّهمّ صبّرني على البلاء في حبّ صفيّك وخليلك محمّد صلى الله عليه وآله فقالوا له : يا سلمان ويحك، أليس محمّد صلى الله عليه وآله قد رخّص لك أن تقول كلمة الكفر به بما تعتقد ضده للتقيّة ؟ فقال سلمان : إنّ الله قد رخّص لي في ذلك ولم يفرضه عليّ ، بل أجاز لي أن لا اطيعكم ما تريدون واحتمل مكارهكم وجعله أفضل المنزلتين ، وأنا لا أختار غيره ، ثمّ قاموا إليه بسياطهم وضربوه ضرباً كثيراً وسيّلوا دماءه وقالوا له وهم ساخرون: لاتسأل الله كفّنا عنك ولا تظهر لنا ما نريده منك لنكفّ به عنك ؟ فادع علينا بالهلاك إن كنت من الصادقين في دعواك أنّ الله لا يردّ دعاءك بمحمّد صلى الله عليه وآله الطيّبين فقال سلمان : إنّي لأكره أن أدعو الله بهلاككم مخافة أن يكون فيكم من قد علم الله أنّه سيؤمن بعد فأكون قد سألت الله اقتطاعه عن الايمان ، فقالوا : قل : اللّهمّ أهلك من كان في معلومك أنّه يبقى على كفره إلى الموت على تمرده ، فإنّك لاتصادف بهذا الدعاء ما خفته ، قال : فانفرج له حائط البيت الّذي هو فيه مع القوم وشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول : يا سلمان ادع عليهم بالهلاك فليس فيهم أحد أن يرشد كما دعا نوح على قومه لمّا عرف أنّه لن يؤمن من قومه إلّا من قد آمن ، فقال سلمان : كيف تريدون أن أدعو عليكم بالهلاك ؟ فقالوا : تدعو الله بأن يقلب سوط كلّ واحد أفعيّاً تعطف رأسها ثمّ تهشش عظام سائر بدنه وبلعته ، فدعا الله تعالى بذلك فما من سياطهم سوط إلّا قلّبه الله تعالى أفعيّاً لها رأسان تتناول برأس رأسه وبرأس آخر يمينه الّتي كان فيها سوطه ثمّ رضضتهم وهششتهم وهشمت عظامهم وبلعتهم والتقمتهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في مجلسه: معاشر المؤمنين، إنّ الله تعالى قد نصر أخاكم سلمان ساعتكم هذه على عشرين من مردة اليهود والمنافقين ، قلب سياطهم أفاعي رضضتهم و هششتهم و هشمت عظامهم

والتقمتهم ، فقوموا بنا ننظر إلى تلك الأفاعي المبعوثة إلى نصرة سلمان ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه إلى تلك الدار و قد اجتمع إليها جيرانها من اليهود والمنافقين لمّا سمعوا ضجيج القوم بالتقام الأفاعي لهم، وإذا هم خائفون منها نافرون من قربها ، فلمّا جاء رسول الله صلى الله عليه وآله خرجت كلّها إليه عن البيت إلى شارع المدينة وكان شارعاً ضيّقاً فوسّعه الله وجعله عشرة أضعافه ثمّ نادت الأفاعي: السلام عليك يا محمّد صلى الله عليه وآله يا سيّد الأولين و الآخرين ، السلام عليك يا عليّ يا سيّد الوصيّين، السلام على ذرّيّتك الطيّبين الطاهرين الّذين جعلوا على الخلق قوامين، ها نحن سياط هؤلاء المنافقين قلبنا الله تعالى أفاعي بدعاء هذا المؤمن سلمان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : الحمدلله الّذي جعل في امّتي من يضاهي بدعائه عند كفّه وعند انبساطه نوحاً نبيّه ، ثمّ نادت الأفاعي : يا رسول الله ، قد اشتدّ غضبنا على هؤلاء الكافرين ، و أحكامك وأحكام وصيّك علينا جائزة في ممالك ربّ العالمين ، و نحن نسألك أن تسأل الله تعالى أن يجعلنا من أفاعي جهنّم الّتي يكون فيها لهؤلاء معذبين كما كنّا لهم في الدنيا ملتقمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : قد أجبتكم إلى ذلك فالحقوا بالطبق الأسفل من جهنّم بعدأن تقذفوا ما في أجوافكم من أجزاء أجسام هؤلاء الكافرين فيكون أتمّ لخزيهم و أبقى للعار عليهم إذا كانوا بين أظهرهم مدفونين يعتبر بهم المؤمنون المارون بقبورهم ، يقولون : هولاء الملعونون المخزيّون بدعاء وليّ محمّد صلى الله عليه وآله سلمان الخير من المؤمنين ، فقذفت الأفاعي ما في بطونها من أجزاء أبدانهم فجاء أهلوهم فدفنوهم ، وأسلم كثير من الكافرين ، وأخلص كثير من المنافقين ، وغلب الشقاء على كثير من الكافرين والمنافقين ، فقالوا : هذا سحر مبين ، ثمّ أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على سلمان فقال : يا باعبدالله أنت من خواصّ إخواننا المؤمنين ومن أحباب قلوب ملائكة الله المقربين إنّك في ملكوت السموات والحجب والكرسيّ والعرش ومادون ذلك إلى الثرى أشهر في فضلك عندهم من الشمس الطالعة في يوم لاغيم فيه ولاقتر ولاغبار في

الجوانب ، ومن أفاضل الممدوحين بقوله: «الّذين يؤمنون بالغيب»[١].

تنبيه وجيه مهم :

لايخفى ما في هذه القضيّة من الشرف الأسنى والفضل الأتمّ الأعلى لوليّ الله سلمان الخير، فانظر إلي ذيل الحديث وقول رسول الله ﷺ أمين ربّ العالمين: «يا عبدالله ... إلخ» وقوله :«الحمدلله الّذي ...إلخ» وفيه نكتة ودقيقة نسمح ببعضها ونكشف عنها، وهو أنّ النبيّ ﷺ وعترته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فنوافي الله لايجترؤن في ملك الله و عباد الله المكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، فإنّما يصدر عنهم مايصدر فيما يأذن الله تعالى لهم ، فانظر إلى ما تقدم من قول عليّ عليه السلام بعد قول أصحابه ـ لمّا رأوا من جعل الرجل المحكوم عليه الرادّ عليه كلباً ـ : ما حاجتك في قتال معاوية إلى الأنصار؟ «إنّما أدعو على هؤلاء بثبوت الحجّة و كمال المحبّة ، ولو اذن لي في الدعاء بهلاكهلما تأخّر» فالكفّ عمّا لم يفعلوا هناك منهم تبعاً لأمر الله لا للعجز ، ووليّ الله سلمان تأدّب بأدبهم ، فلم يدع على هلاكهم إلّا بعد إذن الله وإذن رسوله .

وأيضاً هم في مقام الرحمة العامّة يراعون الذريّات، فلايدعون على من يؤمن بعداً ومن في صلبه مؤمن ، خوفاً من انقطاع الفيض على مؤمن ، و لا يقتلون إلّا من ليس في صلبه مؤمن ولا يؤمن بعد ، وسلمان تأدب بأدبهم في ذلك فخاف ذلك ولم يدع إلّا بعد ما علم العدم بقول الرسول ﷺ كما فعل نوح ، فلم يدع على قومه إلّا بعد أن علم أنّهم لا يؤمنون «و لا يلدوا إلّا فاجراً كفّاراً»[٢] كما أخبر الله سبحانه وتعالى به في كتابه .

---

(١) تفسير الامام العسكرى ص : ٣١ مع تفاوت فى بعض الكلمات .

(٢) نوح : ٢٧ .

وأيضاً تأدب سلمان بصبره هنا أدبهم، وأن كل نبي عمل ولم يصبر فقد عاتبه الله سبحانه بذلك، فكان ذلك منه ترك الأولى، كما في يونس. بخلاف نوح عليه السلام فقد قبل شفاعة ربه وملائكة السماوات وصبر ولم يدع إلا بعد إذن الله تعالى، وكذا كل نبي لم يراع الأصلاب فهذا ترك الأولى منه.

فانظر إلى الخليل ومقامه لما اري ملكوت السماوات والأرض ورأى الزانيين فدعا عليهما وهلكا، وكذا ثانية وثالثة، إلى أن أوحى الله إليه بالكف لعل منهم من يؤمن بعد أو في صلبه مؤمن وإن لم يكن فالله قادر على الانتقام منه في الآخرة ولا يفوته الانتقام من العصاة. وليس غرضي ترجيح سلمان على أنبياء الله تعالى والازراء بهم، بل تفضيل نبينا والأئمة حتى أن خيار أصحابه يعلمون ببركتهم من دقائق العبودية ما علمه الأنبياء بعد وقوع المحبة وتأديب الله تعالى لهم.

ومن هذا أن يوسف لما قال: « رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه » فسجن سأل ربه: لم اسجن؟ فأوحى الله إليه: أنت اخترته لنفسك. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: رحم الله أخي يوسف لو طلب خير الدنيا والآخرة. ونحن الآن نعلم ببركة النبي صلى الله عليه وآله وعترته أن ندعو بقولنا: « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، واعطنا خير الدنيا والآخرة، وادفع عنا بلاء الدنيا والآخرة» والصديق إنما علم ذلك بعد ما وقع منه ما وقع وعلمه ربه ذلك، فافهم الغرض ولا تقع في مهاوي الهلاك، والله ولي الصواب والنجاة وكل خير وهداية.

وأنت - يرحمك الله - انظر إلى صنيعة النبي صلى الله عليه وآله وصبره وشفقته على قومه لم يزد على قوله مع نهاية أذيتهم له «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» وكذا كان الكفار واليهود يطلبون منه المعاجز، فيقول: إن العبد لا يمتحن ربه، فلما أذن الله تعالى له في موضع أظهر المعجزة بإذن الله تعالى. وكذا حال الوصي وصبره بعد موت الرسول صلى الله عليه وآله لما أمره ربه بالصبر، وكذا مراعاة الأصلاب في

قتاله . و كذا الحال في الحسن والحسين وسائر الأئمّة عليهم السلام في صبرهم وشفقتهم. وفي واقعة كربلاء وإتمامه للحجّة وصبره ما لا يخفى على لبيب، من بيان نسبه وغير ذلك والاستسقاء للرضيع ، ولم يزد على قوله : « لاحول ولاقوة إلّا بالله » .

هذا ، واعلم أنّ مرتبة سلمان عليه السلام جليلة رفيعة ، فإنّه من العلماء الّذين لايحمل علمهم إلّا ملك مقرب أو نبيّ مرسل أو عبد مؤمن ممتحن داخل في زمرتهم، وقد علم علم الأولين والآخرين والاسم الأعظم، ومن أوصياء عيسى، وقد أكل رطب الجنّة في الدنيا وهو يختصّ بالمعصومين ، إلى غير ذلك .

فلنخض في ذكر أحوال سائر أولياء الله من هم دونه في الرتبة .

فمنهم : عمّار ـ رحمه‌الله ـ الّذي يظهر أنّه بعده وبعد أبي ذر ومقداد، وهو ـ رحمه الله ـ قد عمّر عمراً طويلاً ، ومعلوم أنّه في آخر عمره أكمل ونحن نذكر قصّته في أول عمره .

ففي تفسير الامام : إنّ المسلمين لمّا أصابهم يوم احد ما أصابهم من المحن لقي قوم من اليهود بعده بأيّام عمّار بن ياسر وحذيفة ، فقالوا لهما : أما تريا ما أصابكم يوم احد ؟ إنّما يحرب محمّد صلى الله عليه وآله كأحد طلاّب ملك الدنيا حربة سجاً فتارةً له و تارةً عليه ، فارجعوا عن دينه . أمّا حذيفة فقال : لعنكم الله لا اقاعدكم و لا أسمع كلامكم أخاف على نفسي و ديني فأفرّ بهما عنكم ، فقام عنهم يسعى . و أمّا عمّار بن ياسر : فلم يقم عنهم، و لكن قال لهم : معاشر اليهود ، إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وعد أصحابه الظفر يوم بدر إن صبروا ، فصبروا وظفروا ، ووعدهم بالظفر يوم احد أيضاً إن صبروا ، ففشلوا وخالفوا ، فلذلك أصابهم ما أصابهم، ولو أنّهم أطاعوا وصبروا ولم يخالفوا لما غُلبوا بل غلبوا ، فقالت اليهود : ياعمّار ، وإذا أطعت أنت غلب محمّد صلى الله عليه وآله سادات القريش مع دقّة ساقيك ؟ فقال عمّار : نعم والله الّذي لاإله إلّا هو باعثه بالحقّ نبيّاً ، لقد وعدني محمّد صلى الله عليه وآله من الفضل والحكمة ما عرفنيه من نبوته وفهّمنيه من فضل أخيه ووصيّه

وصفيّه وخير من يخلفه بعده والتسليم لذريّته الطيّبين المنتجبين، وأمرني بالدعاء بهم عند شدائدي ومهمّاتي وحاجاتي، ووعدني أنّه لا يأمرني بشيء فاعتقدت فيه طاعته إلّا بلغته، حتّى لو أمرني بحطّ السماء إلى الأرض أو رفع الأرضين إلى السماوات لقوى عليه ربّي بدني بساقيّ هاتين الدقيقتين، فقالت اليهود: كلّا والله ياعمّار، محمّد صلى الله عليه وآله أقلّ عندالله من ذلك، وأنت أوضع عندالله وعند محمّد صلى الله عليه وآله من ذلك ولا حجراً فيها أربعون منّاً، فقام عمّار عنهم وقال: لقد أبلغتكم حجّة ربّي ونصحت لكم ولكنّكم للنصيحة كارهون. وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: يا عمّار، قد وصل إليّ خبر كما، أمّا حذيفة فإنّه فرّ بدينه من الشيطان وأوليائه، فإنّه من عبادالله الصالحين، وأمّا أنت يا عمّار: فإنّك ناضلت عن دين الله ونصحت لمحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله فأنت من المجاهدين في سبيل الله الفاضلين، فبينا رسول الله صلى الله عليه وآله وعمّار يتحادثان إذا حضرت اليهود الّذين كانوا كلّموه، فقالوا: يا محمّد صلى الله عليه وآله ها صاحبك يزعم إن أمرته بحطّ السماء إلى الأرض أو رفع الأرض إلى السماء فاعتقد طاعتك وعزم على الائتمار لك لأعانه الله عليه، ونحن نقتصر منك ومنه على ما هو دون ذلك إن كنت نبيّاً، فقد قنعنا أن يحمل عمّار مع دقّة ساقيه هذا الحجر ــ وكان الحجر مطروحاً بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله بظاهر المدينة يجتمع عليه مائتا رجل ليحركوه فلا يمكنهم ــ فقالوا له: يا محمّد، إن رام احتماله لا يحركه ولو حمل في ذلك على نفسه لانكسرت ساقاه ويهدم جسمه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تحتقروا ساقيه فهما أثقل في ميزان حسناته من ثور وثبير وحراء وأبي قبيس بل من الأرض كلّها وما عليها، وأنّ الله قد خفّف بالصلاة على محمّد صلى الله عليه وآله وآله الطيّبين الطاهرين ما هو أثقل من هذه الصخرة، خفّف العرش على كواهل ثمانية من الملائكة بعد أن كان لا يطيقه معهم العدد الكثيرة والجمّ الغفير، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عمّار، اعتقد طاعتي وقل: اللّهمّ بجاه محمّد وآله الطيّبين قوّني، يسهّل الله لك ما آمرك به كما سهّل على كالب بن يوحنّا عبور البحر على متن الماء وهو

على فرسه يركض لسؤاله الله بجاهنا أهل البيت ، فقالها عمّار واعتقدها ، فاحتمل الصخرة فوق رأسه و قال : بأبي أنت و امّي، يارسول الله ﷺ والّذي بعثك بالحقّ نبيّاً لهو أخفّ في يدي من خلالة امسكها بها ، فقال رسول الله ﷺ : حلّق بها في الهواء فستبلغ بها قلّة ذلك الجبل ـ و أشار إلى جبل بعيد على قدر فرسخ ـ فرمى بها عمّار وتحلّقت في الهواء حتّى انحطّت على ذروة ذلك الجبل ، و قال رسول الله لليهود : أو رأيتم ؟ قالوا : بلى ،قال رسول الله ﷺ : قم إلى ذروة الجبل فستجد هناك صخرة أضعاف ما كانت ، فاحتملها وأعدها إلى حضرتي ، فخطا عمّار خطوة فطويت له الأرض و وضع قدمه في الخطوة الثانية على ذروة الجبل و تناول الصخرة المتضاعفة وعاد إلى رسول الله بالخطوة الثالثة ، ثمّ قال رسول الله ﷺ لعمّار : اضرب بها الأرض ضربة شديدة فتهاربت اليهود وخافوا ،فضرب بها عمّار على الأرض فتفتّت حتّى صارت كالهباء المنثور وتلاشت ، فقال رسول الله ﷺ : آمنوا أيّها اليهود ، فقد شاهدتم آيات الله ، فآمن بعضهم وغلب الشقاء على بعضهم ثمّ قال رسول الله ﷺ : أتدرون معاشر المسلمين ما مثل هذه الصخرة ؟ فقالوا : لا، فقال رسول الله ﷺ : والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّ رجلاً من شيعتنا تكون له ذنوب وخطايا أعظم من جبال احد ومن الأرض كلّها والسماء بأضعاف كثيرة فما هو إلّا أن يتوب ويجدد على نفسه ولايتنا أهل البيت إلّا كان قد ضرب بذنوبه الأرض أشدّ من ضرب عمّار هذه الصخرة بالأرض، وإنّ رجلاً تكون له طاعات كالسماوات والأرضين والجبال و البحار فماهو إلّا أن يكفر بولايتنا أهل البيت حتّى يكون ضرب بها الأرض أشدّ من ضرب عمّار هذه الصخرة بالأرض و تلاشت و تفتّت كتفتّت هذه ، فيرد الآخرة ولايجد حسنة و ذنوبه أضعاف الجبال والأرض والسماء فيشدد حسابه ويدوم عذابه.قال: فلمّا رأى عمّار بنفسه تلك القوة الّتي جلد بها على الأرض تلك الصخرة فتفتّت أخذ تهاريحة [الحمّية] وقال: أفيأذن لي رسول الله ﷺ أن اجالد هؤلاء فافنيهم أجمعين بما اعطيته من هذه القوة . فقال رسول الله ﷺ:

يا عمّار ، إنّ الله تعالى يقول : «فاعفوا واصفحوا حتّى يأتي الله بأمره» [١] بعذابه أو يأتي بفتح مكّة وسائر ما وعد، فكان المسلمون تضيق صدورهم ممّا يوسوس به إليهم اليهود والمنافقون من الشبه في الدين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أولا أعلّمكم ما يزيل ضيق صدوركم إذا وسوس هؤلاء الأعداء إليكم؟ قالوا : بلى يارسول الله صلى الله عليه وآله قال : ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله من كان معه في الشعب الّذي كان ألجأه إليه قريش ، فضاقت صدورهم واتّسخت ثيابهم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله : انفخوا على ثيابكم وامسحوها بأيديكم وهي على أبدانكم وأنتم تصلّون على محمّد وآله الطيّبين فإنّها تنقّي وتطهّر وتبيّض وتحسّن وتزيل عنكم ضيق صدوركم، ففعلوا ذلك فصارت ثيابهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقالوا : عجباً يارسول الله صلى الله عليه وآله بصلاتنا عليك وعلى آلك كيف طهرت ثيابنا ! فقال الرسول صلى الله عليه وآله: إنّ تطهير الصلاة على محمّد و آله لقلوبكم من الغلّ والضيق والدغل ولابدانكم من الآثام أشدّ من تطهيرها لثيابكم ، وإنّ غسلها للسيّئات عن صحايفكم أحسن من غسلها للدرن من ثيابكم وإنّ تنويرها لكتب حسناتكم بمضاعفة مافيها أحسن من تنويرها لثيابكم [٢].

فهذه جملة من صنايع أولياء الله و كراماتهم ممّا فعلوا بإذن الله وبالله «ولا حول ولاقوة إلّا بالله» ولو رمنا إحصاء عجائب ماصدر منهم لطال بنا الكلام غاية الاطالة. فكلّ هذه منهم صدرت بإذن الله وبقوة الله، فما رأت عينهم فكأنّه رأوه بعين الله ، بمعنى أنّ عينهم غير ناظرة إلى ما تشتهيه بل إلى مافيه رضا الله ، وهو نصب أعينهم لمشاهدة آثار جماله وجلاله وملكوته ، وأيضاً شاهدوا بنور من الله لا بنور أبصارهم، فكأنّهم عين الله و كأنّه عينهم، وهكذا،وليس لهم مراد سواه ولا رضا سوى رضاه ، فكلّ ما يفعلون كأنّه فعل الله ويستكشف من رضاهم لشيء أنّه فيه

---

(١) البقرة : ١٠٩ .

(٢) تفسير الامام الحسن العسكرى : ص٢٣٧ مع تفاوت .

رضا ربّهم، وهو أصل ثابت حقّ مستقرّ، وهو فعل ربّهم وهم كالآلة، لأنّ الله يخلق بآلة ويرزق بآلة ويميت بآلة. وكذا من أهانهم فكأنّه أهان الله ومن أكرمهم فقد أكرم الله، ومن زارهم فقد زار الله، هكذا، فهم قربوا إلى ربّهم وقرب إليهم ربّهم، وفنوا فيه وبقوا به كالميّت بين يدي الغسّال. ونعم ما قيل:

اين همه آوازها از شه بود گرچه از حلقوم عبدالله بود

ومن أطايب القضايا: أنّ الخان المرحوم أمين الدولة العليّة للسلطان المغفور المبرور «فتح علي شاه» سلك مع بعض أبناء السلطان سلوكاً فاعترضوا عليه فقرأ هذا البيت، مشيراً إلى أنّه بأمر السلطان.

وبالجملة: الوزير المطيع لسلطان المؤثر رضا السلطان ومصالحه ومصالح ملكه التابع له كلّما يفعله يعلم أنّه بأمر السلطان وفعله فعله، فافهم.

وبنحو ما ذكر يعلم الغرض من حديث مصباح الشريعة بأدنى عناية واستعانة ممّا ذكرناه من القدسيّات وغيرها الدالّة على حصول الربوبيّة والتصرف في الأشياء لمن فنى في الله، وإطاعة كلّ مخلوق لمن أطاع الله، فالعبوديّة جوهرة نفيسة ثمينة غالية، من أفنى قواه في عبادته، فهو الله تعالى جزاءه يقربه لديه ويعطيه من قوته ونوره ويمنحه الربوبيّة والتصرف في الأشياء، بإذنه يتصرف وبقوته ويظهر منه الأعاجيب وما لا يقدر عليه المخلوق الضعيف، فيحيي بإذن الله، ويميت بإذن الله، ويتحمّل العظام بقوة الله حتى أنّه يتحمّل للعرش بما فيه وللأرض و السماء، فكنهها الربوبيّة و التصرف في الأشياء وظهور قدرة الله عند العبد حتّى أنّه يقول: كن، فيكون. فالكنه بمعنى النهاية والغاية والثمرة، فثمرة العبوديّة إعطاء الله تعالى للعبد ملك السلطنة والتصرف في الاشياء وربوبيّتها وولايتها. وأيضاً هذا التصرف بقدرة الله وقوته ونوره، ببذل قوته وإفناء قدرته، فيمنحها الله تعالى إيّاه ويخلفه عوضاً عمّا أنفقه في الله، فبلغ كلّ قوة وصفة يتجلّى بمثله، كالحديدة

المحماة في النار كلّما سلخت صفة نفسها اتّصفت بصفة جارها إلى أن فنيت أوصافها بالمرة واتّصفت بصفة النار تحرق وتضيء. فالكامل كلّ مادفع نقصاً اكتسب كمالاً إلى أن يفني في الله ويبقى بالله، فيظهر على يديه أفعال الله، فلمّا خلّي من نفسه ومراداته ولاغرض له سوى ربّه ومراده فهو يفعل لله و بالله، ولا يلتفت إلى ما سوى الله،فهو عين الله ينظر إلى رضا ربّه بنور ربّه، فهو عين الله والله عينه، فنهاية العبوديّة و سلب أوصاف الممكن الاتّصاف بصفات الربّ و صيرورته ربّاً للأشياء بالربّ و بقدرته وبصفته، والمعنيان صحيحان و الحديث يحتملهما و يتحمّلهما.

وبما ذكر تعرف معنى بقيّة الحديث، فما فقد من العبوديّة وصفات العبد وقواه وقدرته وجدمثله في الربوبيّة الّتي هي حالة اخرى للعبد من قوةملكوتيّة ونور رحماني. وكذلك العبد في آلة فعل الله والحاكي عن صنع الله فهواسم الله الدالّ علي المسمّى، فما خفي من الربوبيّة وصفات الربّ تعالى وقدرته وقوته ولم يظهر اصيب فيالعبوديّة واشرق على العبد وظهربه، فما انتجى النبيّ صلى الله عليه وآله الوصيّ ولكنّ الله انتجاه، ومارمى النبيّ صلى الله عليه وآله إذ رمى ولكنّ الله رمى، وما قلع الوصيّ باب خيبر بل قلع الله، إن فعله بقوة ربّانيّة ملكوتيّة، كما أنّ الحديدة المحماة ما أحرقت ولكنّ النار هي المحرقة. ونعم ما قيل بالفارسيّة:

اگر دل دلبری دلبر كدامی وگر دلبر دلی دلرا چه نامی
دل ودلبر بهم آميته وينم نزانم دل كه ودلبر كدامی

فللعبد حالة كمال كحالة الحديدة يبدو فيه قدرة الله تعالى، ويقول العالم الّذي بدت هيئتها له وأنّه آية من الله محدثة وقعت فيها القدرة: كأنّه هو، والجاهل الّذي لم يتنبّه لهيئتها ولأنّه ليس كمثله شيء ولايشبه بخلقه يقول: هو هو ـ كما في الغلاة ـ على ما تقدم من كلام الرضا عليه السلام.

فالنبيّ صلى الله عليه وآله و أوصياؤه و عترته عباد الله المكرمون، يعملون بأمر الله

ولا يسبقونه بالقول ،أطاعوا الله وعبدوه في العوالم ولم يروا أنفسهم طرفة عين أبداً ولم يغفلوا عنه آناً ولم يلتفتوا إلى غيره ، فكساهم الله حلل أنواره، وفوض إليهم أمر عباده و بلاده و سياستهم و إرشادهم و هدايتهم ، يفيض الله عليهم الفيوض بواسطتهم ، فهم أولياء الله على الأشياء بسلطنة الملكيّة و التصرف و الربوبيّة . وسائر أولياء الله كلّ ما أفنوا منهم صفة من أنفسهم يفوضهم ربّهم من عنده صفة بواسطتهم هؤلاء، فكما أنّ أعداءهم أذهبوا طيّباتهم في حياتهم الدنيا فصاروا بهائم وأضلّ وطبع الله على قلوبهم ولا يلتفتون إلى المبدأ أبداً ولا يشعرون بخير، فكذا أولياء الله أفنوا أنفسهم وأعطاهم الله نوراً و نور الله قلوبهم يرون بنور الله و بعين الله ويفعلون بقدرة الله ولا يلتفتون إلى غير المبدأ أصلاً، ولا يحسّون بشرّ وليس لهم غرض فهم كالمرآة الصافية ينطبع في قلوبهم جميع الكونيّات وصور المحدثات، و كالحديدة المحماة يتصرفون في المخلوقات من السماوات إلى الأرضين بقدرة الله و قوته .

وغرضي ممّا ذكرته التحديث بنعمة الله وإظهار ما أنعم الله به عليّ من فضله في معنى الحديث الشريف، وإلّا فما قدري ؟ وما لهذا العبد وبيان أسرار العبوديّة والسير في شاهق مقام العالين ؟

نعل مى ريزد در اين وادى براق   ني سواران از كجا و استباق

و قوله عليه السلام في الاستشهاد بالآية الشريفة و هو قوله تعالى: « سنريهم آياتنا في الآفاق » [1] الآية لا ينافي ما ذكرناه ، بل يناسبه ويلائمه .

تذييل :

قال شيخنا البهائي ـ رحمه الله ـ في الأربعين في شرح الحديث القدسي «فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع . . . إلخ» : لأصحاب القلوب في هذا المقام كلمات

(١) فصلت : ٥٣ .

سنيـّة وإشارات سريـّة وتلويحات ذوقيـّة تعطّر مشام الأرواح وتحيي رميم الأشباح لا يهتدي إلى معناها ولا يطلّع على مغزاها إلّا من أتعب بدنه في الرياضيـّات وعنى نفسه بالمجاهدات حتّى ذاق مشربهم وعرف مطلبهم، وأمّا من لم يفهم تلك الرموز و لم يهتد إلى هاتيك الكنوز لعكوفه على الحظوظ الدنيـّة و انهماكه في اللذات البدنيـّة فهو عند سماع تلك الكلمات على خطر عظيم : مـن التردي في غياهب الالحاد والوقوع في مهاوي الحلول والاتـّحاد، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ونحن نتكلّم في هذا المقام بما يسهل تناوله على الأفهام ، فنقول : هذا مبالغة في القرب وبيان لاستيلاء سلطان المحبـّة على ظاهر العبد وباطنه وسره وعلانيتـّه ، فالمراد ـ والله أعلم ـ أنـّي إذا أحببت عبدي جذبته إلى محلّ الانس وصرفته إلى عالم القدس وصيـّرت فكره مستغرقاً في أسرار الملكوت وحواسـّه مقصورة على اجتلاء أنوار الجبروت ، فتثبت حينئذٍ في مقام القرب قدمه ويمتزج بالمحبـّة لحمه ودمه ، إلى أن يغيب عن نفسه ويذهل عن حسـّه فتتلاشى الأغيار في نظره حتـّى أكون له بمنزلة سمعه وبصره ، كما قال من قال :

جنوني فيك لا يخفى   و ناري منك لا يخبو

فأنت السمع والأبصار والأركان والقلب ، انتهى [١] .

وعن صاحب الشجرة الالهيـّة: كما أنّ النفس في حال التعلّق بالبدن تتوهـّم أنـّها من البدن وأنـّها فيه وإن لم يكن هو منه ولا فيه، فكذلك النفس الكاملة إذا فارقت البدن من شدة قوتها ونوريـّتها وعلاقتها العشقيـّة مع نور الأنوار والأنوار العقليـّة تتوهـّم أنـّها هي ، فتصير الأنوار مظاهره النفوس المفارقة كما كانت الأبدان أيضاً ، فهذا هو معنى الاتـّحاد ، لا بمعنى صيرورة الشيئين شيئاً واحداً، فإنـّه قد عرفت بطلانه، انتهـى .

(١) الاربعين للشيخ البهائي: ص٢٠٩ ذيل ح٣٥ .

فصـل
في مراتب فضل الاولياء والائمة

والمتحقّق عندنا أفضليّة نبيّنا من جميع المخلوقين وكذا بعده أئمّتنا أفضل من جميعهم من الملائكة والأنبياء، حتّى أنّ عيسى يصلّي خلف إمام العصر - عجّل الله فرجه - ويجاهد بين يديه. وكذا أفضليّة أمير المؤمنين صلوات الله عليه من سائر الأئمّة.

وقال السيّد - رحمه الله - في جواب المسائل المنافارقيّة حيث سئل: الأئمّة في الفضل سواء بعد مولانا أمير المؤمنين؟ أم يتفاضل بعضهم على بعض؟ الجواب: الفضل في الدين لا يقطع عليه إلّا بالسمع القاطع، وقد روي أنّ الأئمّة متساوون في الفضل، وروي أنّ كلّ إمام أفضل ممّن يليه سوى القائم عليه السلام فإنّه أفضل من المتقدمين عليه، فالأولى التوقّف في ذلك فلا دليل قاطعاً عليه [١].

ثمّ قال: مسألة عشرون: هل بين السيّدين الحسن والحسين عليهما السلام فرق في الفضل أم هما سواء؟ الجواب الصحيح: تساويهما في الفضل ولا يفضل أحدهما على الآخر بلا دليل عليه [٢] انتهى.

ثمّ قال: مسألة رابعة وعشرون: أيّهما أفضل الأنبياء أم الملائكة؟ الجواب: الأنبياء أفضل من الملائكة، والدليل على ذلك إجماع الشيعة الاماميّة عليه، وإجماعهم حجّة، لأنّه لا يخلو هذا الاجماع في كلّ زمان من إمام معصوم يكون فيه [٣] انتهى

وقال العلّامة المجلسي - رحمه الله -: أكثر الشيعة على أفضليّة عليّ وسائر الأئمّة من جميع الأنبياء، ورووا في ذلك أحاديث مستفيضة - بل متواترة - عن

---

(١) رسائل الشريف المرتضى: المجموعة الاولى ص٢٨١.
(٢) رسائل الشريف المرتضى: المجموعة الاولى ص٢٨٢.
(٣) رسائل الشريف المرتضى: المجموعة الاولى ص٢٨٤.

أئمتهم عليهم السلام [١] انتهى.

وقال أيضاً: اتفقت الامامية على أن نبينا والأئمة أفضل من جميع الملائكة، وعلى ذلك أخبار كثيرة، وذكروا عليه أدلة عقلية كثيرة، وعند المخالفين اختلاف كثير في ذلك [٢] انتهى.

وقال أيضاً: إن نبيناً أشرف من جميع المخلوقين من الملائكة والجن والانس، و أفضل من أمير المؤمنين و سائر الأئمة ، و ما قال بعض الغلاة : من أفضلية أمير المؤمنين منه فهو كفر [٣] انتهى.

وقال أيضاً: إن أفضلية نبينا صلى الله عليه وآله من سائر الأنبياء ضروري الدين [٤] انتهى.

وقال الشيخ أبو جعفر الصدوق ـ رحمه الله ـ في اعتقاداته: اعتقادنا في الأنبياء والرسل و الحجج عليهم السلام أنهم أفضل من الملائكة ، و قول الملائكة لله عز وجل لما قال لهم : « إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون » [٥] هو التمني منها لمنزلة آدم، ولم يتمنوا إلا منزلة فوق منزلتهم، والعلم يوجب الفضيلة قال الله عز وجل: «وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون» [٦] هذا كله يوجب تفضيل آدم على الملائكة وهو نبي لهم لقول الله : « أنبئهم بأسمائهم». ومما يثبت تفضيل

(١) لم نعثر على عين العبارة المنقولة لا في البحار ولا في حق اليقين .
(٢) حق اليقين (باللغة الفارسية) مباحث النبوة، ص٢٠، وفيه «أنبياء » بدل «نبينا».
(٣) حق اليقين : مباحث النبوه ، ص٢٩ .
(٤) لم نعثر على عين العبارة المنقولة ، نعم تستفاد من حق اليقين ص٣٢ .
(٥) البقرة : ٣٠ .
(٦) البقرة : ٣١ ـ ٣٣ .

آدم على الملائكة أمر الله الملائكة بالسجود لآدم وقوله : « فسجد الملائكة كلّهم أجمعون» ولم يأمرهم بالسجود إلّا لمن هو أفضل منهم، وكان سجودهم لله عزّ وجلّ وطاعة لآدم وإكراماً لما أودع الله تعالى في صلبه من أرواح النبي ّ صلى الله عليه وآله والأئمّة.
وقال النبي ّ صلى الله عليه وآله : « أنا أفضل من جبرئيل و ميكائيل ومن إسرافيل و من جميع الملائكة المقربين، وأنا خير البريّة وسيّد ولد آدم» وأمّا قول الله عزّ وجلّ : «لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون» [1] فليس ذلك بموجب أفضليّتهم على عيسى، فإنّما قال الله عزّ وجلّ ذلك لأنّ الناس منهم من كان يعتقد الربوبيّة لعيسى ويعتقد إلهيّته وهم صنف من النصارى، ومنهم من عبد الملائكة وهم الصابئون وغيرهم ، فقال الله عزّ وجلّ: «لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله» أي لن يستنكف المسيح و المعبودون دوني أن يكونوا عبيداً لي . و الملائكة الروحانيّون معصومون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يأكلون ولا يشربون ولا يألمون ولا يسقمون ولا يشيبون ولا يهرمون، طعامهم وشرابهم التسبيح والتقديس ، وعيشهم من نسيم العرش ، وتلذذهم بأنواع العلوم ، خلقهم الله عزّ وجلّ بقدرته أنواراً و أرواحاً كما شاء وأراد ، كلّ صنف منهم يحفظ نوعاً من أنواع ما خلق الله ، وإنّما قلنا بتفضيل من فضّلنا عليهم لأنّ الحال الّتي يصيرون إليها أفضل من حال الملائكة [2] انتهى .

وقال ـ رحمه الله ـ في باب الاعتقاد في عدد الأنبياء والأوصياء: اعتقادنا في عددهم أنّهم مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرون ألف نبيّ، ومائة ألف وصيّ وأربعة وعشرون ألف وصيّ ، لكلّ نبيّ منهم وصيّ أوصي إليهم بأمر الله تبارك وتعالى، و نعتقد فيهم أنّهم جاءوا بالحقّ من عند الله، وأنّ قولهم قول الله وأمرهم أمر الله وطاعتهم

(١) النساء:١٧٢.
(٢) الاعتقادات للصدوق:ص٩٥ باب الاعتقاد في عدد الانبياء والاوصياء المطبوع في ضمن كتاب شرح الباب الحادي عشر مع اختلاف يسير .

طاعة الله ومعصيتهم معصية الله، وأنّهم -صلّى الله عليهم- لم ينطقوا إلّا عن الله تعالى وعن وحيه، وأنّ سادة الأنبياء خمسة الّذين هم دائرة الوحي، وهم أصحاب الشرائع وهم اولوا العزم، فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله وعليهم. واعتقادنا أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله سيّدهم وأفضلهم، وأنّه جاء بالحقّ وصدّق المرسلين، وأنّ الذين كذبوه لذائقوا العذاب الأليم، وأنّ الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتّبعوا النور الّذي انزل معه اولئك هم المفلحون الفائزون. ويجب أن نعتقد أنّ الله تعالى لم يخلق خلقاً أفضل من محمّد صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام وأنّهم أحبّ الخلق إلى الله تبارك وتعالى وأكرمهم عليه وأولهم إقراراً به لمّا أخذ ميثاق النبيّين في الذرّ «وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى»[1] وأنّ الله بعث نبيّه محمّداً للأنبياء في الذرّ، وأنّ الله أعطى ما أعطى كلّ نبيّ على قدر معرفته ومعرفة نبيّنا وسبقه إلى الاقرار به. ونعتقد أنّ الله تبارك وتعالى خلق جميع ما خلق له ولأهل بيته وأنّه لولاهم ما خلق الله السماوات والأرض ولا الجنّة ولا النار ولا آدم ولا حواء ولا الملائكة ولا شيئاً ممّا خلق -صلى الله عليهم- إلى آخر ما قال[2]

واعلم أنّ فضلهم على الأنبياء والملائكة ليس من الامور الخفيّة على أحد من المسلمين بعد ماسمع من الآيات وتفسيرها والأخبار الواردة في فضلهم من طريق العامّة والخاصّة بما تكون أضعاف عدد التواتر وفوقه، فإنّها ناصّة بأنّهم إنّما نالوا مرتبة النبوة والخلّة والامامة والتكلّم والرسالة وعرفوا سائر معالم العبوديّة بالتوسّل بهم وبأنوارهم وبالوفاء لهم والخضوع لهم والعزم على ولايتهم وتكميلها وأنّ الملائكة اخدامهم وخدام محبيّهم في الجنّة ولايفعلون أمراً ولايتركون إلّا بأمرهم وإذنهم وبرضاهم ولايعصون ما يأمرون.

---

(١) الاعرف: ١٧٢.

(٢) الاعتقادات للصدوق: ص٩٦ باب في عدد الانبياء والاوصياء المطبوع في ضمن كتاب الباب الحادي عشر.

وأمّا أفضليّة نبيّنا صلى الله عليه وآله على سائر الأئمّة : فهي أيضاً غير خفيّة . وأمّا أفضليّة أمير المؤمنين على سائر الأئمّة عليهم السلام فهي نصّ الكتاب في آية المباهلة وغيرها ومفهومة من نصوص كثيرة تبلغ حدّ التواتر . و سؤال السائل عن السيّد ـ رحمه الله ـ أخذ ذلك مسلّماً حيث سأله عن تساوي الأئمّة بعد أمير المؤمنين أم تفاضل بعضهم على بعض. وظاهر السيّد ـ رحمه الله ـ أيضاً تسليم ذلك والتوقّف فيما سواه.

فمن النصوص : أنّه «خير البشر» [١] وهو يعمّ الأنبياء والملائكة والأئمّة و المتيقن من الخروج هو خير البشر للدليل القاطع عليه .

ومنها: أنّه عليه السلام «أحبّ خلق الله» في حديث الطائر المشوي [٢] .

ومنها : أنّ ضربته يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين [٣] .

ومنها : حديث اللواء وأنّه صاحب اللواء في الدنيا والآخرة [٤]

ومنها : حديث الاخوة [٥]

ومنها : الخبر الّذي اتّفق عليه أهل القبلة ، وهو «الحسن والحسين عليهما السلام سيّدا شباب أهل الجنّة من الأولين والآخرين وأبوهما خير منهما» [٦] وهو دالّ على أفضليّتهما من سائر الأئمّة أيضاً .

ومنها : النبويّ لّما خلق الله آدم ونفخ من روحه عطس آدم ، فقال: الحمد لله فقال الله عزّ وجلّ : حمدني عبدي ، وعزتي وجلالي ، لولا عبدان اريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك ، قال : يارب ، أيكونان منّي ؟ قال : يا آدم ارفع رأسك فانظر ، فرفع رأسه فإذا على العرش «لا إله إلّا الله ، محمّد صلى الله عليه وآله نبيّ الرحمة ، عليّ

(١) تاريخ ابن عساكر : ترجمة الامام على عليه السلام ج٢ ص٤٤٤ أفرد له باباً .
(٢) بحار الانوار : ج ٣٨ ص٣٤٨ أفرد له باباً .
(٣) بحار الانوار : ج٣٩ ص٢ وفيه «خير» بدل «افضل».
(٤) تاريخ ابن عساكر : ترجمة الامام على (ع) ج١ ص١٦٥ .
(٥) مناقب آل أبي طالب : ج٢ ص١٨٥ ، والبحار : ج٣٨ ص٣٣٠ أفرد لها باباً .
(٦) بحار الانوار : ج٤٣ ص٢٦٣ .

مقيم الحجّة، من عرف حقّ عليّ زكا وطاب ومن أنكر حقّه لعن وخاب، الحديث[١].

ومنها : أخبار كثيرة: أنّه سيّد المتّقين ، وأنّه راية الهدى، ومنار الايمان وإمام أولياء الله ، ونور جميع من أطاعه[٢] .

ومنها : ما في الأخبار : أنّ الله لمحّضه بشيء من البلاء لم يخصّ به أحداً من أوليائه ، ومن جملة ذلك البلاء قتل ولده الحسين والظلم على سائر الأئمّة عليهم السلام

ومنها : قول الحسن عليه السلام بعد شهادته : ذهب هذه الليلة من الدنيا من لم ير مثله ممّن تقدم ولا يرى مثله ممّن تأخّر[٣] .

ومنها: ماروا في روضة الكافي مسنداً إلى محمّد بن مسلم ، قال : دخلت على أبي جعفر عليه السلام ذات يوم وهو يأكل متّكئاً ، قال : وقد كان يبلغنا أنّ ذلك يكره فجعلت أنظر إليه، فدعاني إلى طعامه،فلمّا فرغ قال: يا محمّد، لعلّك ترى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله رأته عين وهو يأكل وهو متّكيء من أن بعثه الله إلى أن قبضه، ثمّ ردّ على نفسه فقال : لا والله ، ما رأته عين يأكل و هو متّكي من أن بعثه الله إلى أن قبضه. ثمّ قال: يا محمّد ، لعلّك ترى أنّه شبع من خبز البرّ ثلاثة أيّام متوالية من أن بعثه الله إلى أن قبضه . ثمّ ردّ على نفسه ثمّ قال : لا والله ، ماشبع من خبز البرّ ثلاثة أيّام متوالية منذ بعثه الله إلى أن قبضه ، أما إنّي لا أقول : إنّه كان لا يجد لقد كان يجيز الرجل الواحد بالمائة من الابل ، فلو أراد أن يأكل لأكل ، ولقد أتاه جبرائيل عليه السلام بمفاتيح خزائن الأرض ثلاث مرات يخيّره من غير أن ينقصه الله تعالى ممّا أعدّ له يوم القيامة شيئاً ، فيختار التواضع لربّه جلّ وعزّ وماسئل شيئاً قطّ فيقول : لا ، إن كان أعطى و إن لم يكن قال : يكون ، وما أعطى على الله شيئاً قطّ إلّا سلم ذلك إليه حتّى أن كان ليعطي الرجل الجنّة فيسلم الله ذلك له

(١) مشارق أنوار اليقين : ص ٢٩٢ .

(٢) نور الثقلين : ج٥ص٧٣ .

(٣) الارشاد للمفيد : ص ١٨٨ مع اختلاف في العبارة .

من يناوله بيده ، و قال : و إن كان صاحبكم ليجلس جلسة العبد و يأكل أكلة العبد ويطعم الناس خبز البرّ واللحم ويرجع إلى أهله فيأكل الخبز والزيت وإن كان ليشترى القميص السنبلاني ثمّ يخيّر غلامه خيرهما، ثمّ يلبس الباقي، فإذا جاز أصابعه قطعه وإذا جاز كعبه حذفه ، وما ورد عليه أمران قطّ كلاهما لله رضا إلّا أخذ بأشدهما على بدنه ، ولقد ولّى الناس خمس سنين فما وضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا أقطع قطيعة ولا أورث بيضاء ولا حمراء ، إلّا سبع مائة درهم فضلت من عطاياه أراد أن يبتاع لأهله بها خادماً ، ولا أطاق أحد عمله ، وإن كان عليّ بن الحسين عليهما السلام لينظر في الكتاب من كتب عليّ عليه السلام فيضرب به الأرض ويقول : من يطيق هذا ؟[1]

بيان : قوله : «وما أعطى على الله شيئاً قطّ ... إلخ» يعني أنّ كلّ ما أعطاه يجيزه الله تعالى له و يرضى به وإن كان هو الجنّة ، كما في خبر آخر «ولا أعطى على الله عزّوجلّ شيئاً قطّ إلّا أجازه الله ان كان ليعطي الجنّة فيجيز الله له ذلك».

وفي رواية اخرى في الروضة أيضاً : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا أخذ كتاب عليّ عليه السلام فنظر فيه ، قال : من يطيق هذا ؟ من يطيق ذا ؟ قال : ثمّ يعمل به ، وكان إذا قام إلى الصلاة تغيّر لونه حتّى يعرف ذلك على وجهه ، وما أطاق أحد عمل عليّ عليه السلام من ولده من بعده إلّا عليّ بن الحسين عليهما السلام[2].

أقول : عليّ عليه السلام كان يعمل مع ما فيه من الاشتغال بالجهاد وتدبير الحروب في حياة الرسول وبعد موته ، والسجّاد عليه السلام كان متخلّياً للعبادة .

ثمّ إنّه ذكر بعدها خبرين عن أبي عبدالله في أحدهما «ولا أطاق أحد من هذه الامّة عمل رسول الله صلى الله عليه وآله بعده غيره»[3] .

---

(١) الروضة من الكافي : ص١٢٩ ح١٠٠ مع اختلاف يسير .

(٢) الروضة من الكافي : ص١٦٣ ح١٧٢ .

(٣) الروضة من الكافي : ص١٦٣ ح١٧٣ .

وفي آخر «والله، ما أطاق عمل رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده أحد غيره» يعني علياً عليه السلام[1] إلى غير ذلك من الأخبار. وفي أخبار أنوارهم ما يستفاد منه المرام.

وفي خبر: أنّ الحسين عليه السلام قال لاخته زينب: «ذهب من الدنيا من هو خير منّي: جدي وأبي وامّي وأخي»[2] وقال عليه السلام لمعاوية وقت إرادة أخذ البيعة منه: «هذا إمامي اطيعه فيما يأمرني» مشيراً به إلى أخيه الحسن، فقال: دعوه إنّه لايبايع حتّى يقتل ولايقتل حتّى يقتل كثيراً، وكان عليه السلام يطيعه طاعة الرعيّة، وهكذا كلّ لاحق لسابق، و تلقّي الامامة منه.

وفي أخبار عرض أنوارهم على النبيّ صلى الله عليه وآله ليلة المعراج «إنّ القائم عليه السلام كان يتلألأ بينهم كالكوكب الدرّيّ»[3].

وفي خبر: انّ أفضلهم تاسعهم[4].

ونحن نتوقّف في ذلك كلّه ولانحكم بشيء، حيث لم نجد دليلاً قاطعاً، فنقرّ باشتراكهم في جميع الفضائل ونتوقّف عن الحكم بالتفضيل أو التساوي. وكلام السيّد ـ رحمه الله ـ في الحسنين يتدافع معلوله للعلّة إذ الحكم بالتساوي فيه لعدم دليل قاطع على التفصيل، إلّا أن يريد من التساوي المساواة في اشتراك الفضائل ـ كما قلناه ـ لا المساواة في الفضيلة، للأصل إذ لامسرح لها في المسائل القطعيّة.

فصل

به نختم الكلام ـ والله وليّ الفضل والانعام ـ وهو أنّ تمام العهد في ولايتهم إتيان قبورهم وزيارتهم من القرب والبعد، والثاني أفضل. ولكلّ إمام عهد في

---

(١) الروضة من الكافي ص ١٦٤ ح١٧٥.

(٢) بحار الانوار: ج ٤٥ ص٣.

(٣) الجواهر السنية: ص٢٨٤.

(٤) غيبة النعماني: ص٦٢.

عنق أوليائه بذلك ، وأنّهم أحياء لاتفاوت بين موتهم وحياتهم ويقظتهم ونومهم ، وهم يشاهدون زوارهم ويجيبون سلامهم ـ كما في النصوص ـ ولزيارتهم فضل كثير مذكور في كتب الأخبار والمزار .

والظاهر تبعيّة الفضل لزيارتهم لفضيلة المزور ، فزيارة أفضلهم أفضل ، بل لعلّه ظاهر واضح مستقرّ في الأذهان لا تسترِيب فيه العقول السليمة الخالية من الشبهات والتخييلات ، وارشد إليه في الآثار إرشاداً إلى ما في الأذهان لا توقيفاً وتعبّداً، فكل أحد يذعن ـ لولا الشبهة ـ بأنّ زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله حيّاً وميّتاً أفضل من زيارة غيره كذلك، و كذلك بعده زيارة أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من زيارة غيرهما ، وهكذا كلّ فاضل تحقّق فضله تحقّق في الأذهان فضل زيارته على المفضول، وهكذا كلّ إحسان تعلّق بالأفضل فهو أفضل ممّا يتعلّق بالمفضول، ولذا أنّ العقلاء يؤثرون الفاضل في الزيارة و الاقتداء ونحوهما عند التخيير ولا يتحيّرون ولا يتأمّلون في إيثاره ، و في التشبيهات بأنّ من زار الأمير كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله أو كمن زار الله في عرشه و نحوها إرشاد إلى ذلك ، أو الحسن أو الحسين [1] أو الرضا عليهم السلام أو الأخ الصالح .

و الغرض إيجاب ما ذكر الأفضليّة ، لا امتناع تحقّق جهات في المفضول القابل لذلك أو تترجّح على تلك الجهة ، على ما هو الحقّ والمختار: من تبعيّة الحسن والقبح للمصالح والمفاسد وتبعيّتهما للوجوه والاعتبارات وتأثيرها فيهما ، وإن كانا قد يكونان بالذات لا تعارضهما جهة من الجهات .

وعلى ماذكر فزيارة أبي عبدالله عليه السلام أفضل من زيارة مولانا الرضا عليه السلام بناءً على أفضليّة الأول كما هو الأظهر من النصوص واشير إلى بعضها. لكن في روايات أفضليّة زيارة الرضا عليه السلام وأفتى بها بعض أجلّة المعاصرين من أهل بلدنا ـ رحمه الله ـ وعندي أنّها مؤوّلة بماذكرناه: من انضمام جهات اخرى حين صدور تلك الروايات

(١) كامل الزيارات :ص١٤٧ .

أوجبت للفضيلة حينئذٍ ، و لا نعم .

فمن ذلك ماروراه الصدوق ـ رحمه‌الله ـ في العيون، عن محمّد بن موسى المتوكّل، قال : حدّثنا عليّ بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن العبّاس بن معروف ، عن عليّ بن مهزيار، قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام يعني محمّد بن علي الرضا عليهما السلام جعلت فداك ، زيارة الرضا عليه السلام أفضل أم زيارة أبي عبدالله الحسين عليه السلام ؟ قال: زيارة أبي أفضل ، و ذلك أنّ أباعبدالله يزوره كلّ الناس و أبي لا يزوره إلّا الخواصّ من الشيعة [1] .

فانظر إلى التعليل كيف أرشد إلى أنّ الأفضليّة لجهة عارضة موجبة لها؟ والمراد منه: إمّا أنّ زيارة الحسين قدشاعت وتداولت في زمانه عليه السلام بخلاف زيارة الرضا عليه السلام فإنّها لم يتداول في زمان الجواد عليه السلام ولا يفعلها إلّا الخواصّ العارفون، فمن زاره جمع بين الزيارة و تسنّن السنّة الحسنة يشارك كلّ من فعلها إلى يوم القيامة ـ كما في النصّ والعقل ـ وإمّا أنّ الموفّق لزيارة الرضا عليه السلام في علم الله هو الشيعة الخواصّ، فالفضل لفضل العامل لا لفضل العمل، وعلى هذا الحكم باقٍ إلى يوم القيامة . لكن زيارة الحسين عليه السلام في نفسها ومن جهة فضل المزور أفضل ، مثل قولك: «الرجل خير من المرأة» ففي الرجل المفضول لجهة فضل الرجوليّة محرزة . وعلى الأول يختصّ الفضل بمثل زمان الجواد عليه السلام وما يقاربه ، وهو ما قبل التداول ، والتعليل نصّ في ما ذكرناه .

و يحتمل « الخواصّ من الشيعة » بمعنى آخر : هو أنّ من يزور الرضا عليه السلام ويعتقد بإمامته هو من الشيعة ومن الخاصّة، إذ من قال بإمامته قائل بإمامة من بعده من الأئمّة، فيكون كلمة «من» بيانيّة، والفضل حينئذٍ يرجع إلى فضل العاملين أيضاً. لكن يردّ حينئذٍ أن لا فضل لزيارة غير الشيعة الاثني عشريّة ، إلّا أن يقال: لزيارة غيرهم فضل أيضاً لهم ويخفّف عنهم من عذابهم ، أو يعطى ثوابها

(١) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٢٦١ ح٢٦ .

لشيعتهم ، فلهم بها فضل و إن لم يكن أجر للعامل ، فهذا الفضل لا يبلغ درجة فضل زيارة الشيعة نفسهم .

ثمّ سؤال السائل لاينافي ما رمناه : من استقرار تبعيّة فضل الزيارة لفضل المزور في العقول ، إذ لعلّ السائل لم يتحقّق عنده أفضليّة الحسين عليه السلام أو أنّه سمع الكلام في فضل زيارة الرضا عليه السلام والحسين عليه السلام واحتمل عنده تعارض فدعاه ذلك إلى السؤال وتحقيق الحال .

ومنه : مارواه فيه ، عن محمّد بن عليّ ما جيلويه ، قال : حدّثنا محمّد بن يحيى العطّار عن أحمد بن سليمان النيسابوري، عن عليّ بن محمّد الحصيني ، عن عليّ بن محمّد بن مروان ، عن إبراهيم بن عقبة ، قال : كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن زيارة أبي عبدالله الحسين وعن زيارة أبي الحسن وأبي جعفر عليهما السلام فكتب إليّ : أبوعبدالله المقدم ، وهذا أجمع وأعظم أجراً (١).

قوله عليه السلام : «المقدم» أي في الفضل ، فزيارته أفضل .لكن هذا أي زيارتهما أجمع لتضمّنها زيارة أبي عبدالله و الاقرار به ، فمن زارهما كان أبوعبدالله و هما والأئمّة شفعاؤه ،وأعظم أجراً لذلك وللتسبيب للشيوع والاستنان لزيارتهما .ويحتمل قوله : «المقدم» أنّه مضى زمان وتداولت بخلافهما ، فزيارتهما أجمع وأعظم أجراً للاستنان المزبور .

ويرشد إلى ما احتمل ـ من اختصاص زيارة الرضا عليه السلام بالخواصّ ـ مارواه في العيون ، عن تميم بن عبدالله بن تميم القرشي ، قال: حدّثنا أبي قال: حدّثنا أحمد ابن عليّ الأنصاري، عن أبي الصلت الهروي ، قال : كنت عند الرضا عليه السلام فجاءه قوم من أهل قم فسلّموا عليه فردّ عليهم وقربهم ثمّ قال لهم : مرحباً بكم وأهلاً، فأنتم شيعتنا حقّاً ، وسيأتي عليكم يوم تزورون فيه تربتي بطوس ،ألا فمن زارني

(١) عيون أخبار الرضا : ج٢ ص٢٦١ح ٢٥ .

وهو على غسل خرج من ذنوبه كيوم ولدته امّه [١].

وما رواه فيه: عن محمّد بن أحمد الشيباني، قال: حدّثنا أبو الحسين محمّد بن جعفر الأسدي، قال: حدّثني سهل بن زياد الآدمي، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني، قال: سمعت عليّ بن محمّد العسكري عليهما السلام يقول: أهل قم و أهل آبة مغفور لهم لزيارتهم لجدي عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام بطوس، ألا فمن زاره فأصابه في طريقه [قطرة] من السماء حرم الله جسده على النار [٢].

وما رواه فيه، مرسلاً عن الصادق عليه السلام: يقتل لهذا - وأومى بيده إلى مولانا موسى عليه السلام - ولد بطوس لايزوره من شيعتنا إلّا الأندر فالأندر [٣].

والكلّ ولاسيّما الاولى والأخيرة يحتمل الاختصاص بالمعنى الآخر.

وأظهر في الاختصاص بهذا المعنى بل هو نصّ فيه مارواه فيه، عن محمّد بن عليّ ماجيلويه، قال: حدّثنا عليّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن عبدالعظيم ابن عبدالله الحسني، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قد تحيّرت بين زيارة قبر أبي عبدالله عليه السلام وبين زيارة قبر أبيك بطوس، فماترى؟ فقال لي: مكانك، ثمّ دخل وخرج ودموعه تسيل على خديه، فقال: زوّار قبر أبي عبدالله كثيرون وزوار قبر أبي بطوس قليل [٤].

ثمّ إنّك خبير بأنّه لاتنافي بين هذه الوجوه بوجه أصلاً، فزوار قبر مولانا الرضا عليه السلام بطوس قليلون وهم الخواصّ من الشيعة، ولم يتداول يومئذ ولايتداول وزيارته أجمع، فزيارته تتضمّن فضيلة الجمع وفضيلة الاستنان للسنّة الحسنة و فضيلة العاملين لكونهم من الخواصّ، فبهذه الوجوه فضّلت على زيارة الحسين عليه السلام، فلو زار أحد من الخواصّ ومن الشيعة أباعبدالله الحسين مع أنّه يزور الرضا

(١) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٢٦٠ ح٢١.
(٢) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٢٦٠ ح٢٢.
(٣) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٢٥٩ ذيل ح ١٨.
(٤) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٢٥٦ ح٨ وفيه اختلاف يسير.

عليه السلام أيضاً يبقى هناك فضيلة النشر والتشييع خاصّة وتتّفق الفضيلتان الأخيرتان فيهما ، وهو الّذي أشار إليه أبو جعفر عليه السلام لسيّدنا عبدالعظيم ، والظاهر اختصاص تلك الجهة بمثل زمانه ، فتكون زيارة الحسين عليه السلام أفضل في غير ذلك الزمان ، ولو سلّمنا عموم عدم الشيوع للأزمنة المتلاحقة، فغاية ذلك أفضليّة زيارة الرضا عليه السلام مطلقاً لتلك الجهة العارضة ، وإلّا فالفضل في نفسه لزيارة الحسين عليه السلام والله العالم .

و[يدلّ] إلى ما ذكرناه - من وجه الأجمعيّة - ما رواه فيه ، عن محمّد بن إبراهيم ابن إسحاق الطالقاني ، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني - مولى بني هاشم - قال حدّثنا عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن أبيه ، قال : سمعت أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام يقول : أنا مقتول ومسموم ومدفون بأرض غربة ، أعلم ذلك بعهد عهده إليّ أبي ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ألا فمن زارني في غربتي كنت أنا وآبائي شفعاءه يوم القيامة ومن كنّا شفعاءه نجا ولو كان عليه مثل وزر الثقلين [1] .

وروى فيه ، عن جعفر بن محمّد بن مسرور ، قال : حدّثنا الحسين بن محمّد بن عامر ، عن عمّه عبدالله بن عامر ، عن سليمان بن حفص المروزي ، قال : سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام يقول: من زار قبر ولدي عليّ كان له عند الله عزّ وجلّ سبعون حجّة مبرورة، قلت: سبعون حجّة؟ قال :نعم وسبعون ألف حجّة،فقال: ربّ حجّة لا تقبل ، ومن زاره أو بات عنده ليلة كان كمن زار الله في عرشه ، قلت: كمن زار الله في عرشه؟ قال : نعم إذا كان يوم القيامة كان على عرش الله عزّ وجلّ أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين ، فأمّا الأولون : فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وأمّا الأربعة الآخرون : فمحمّد صلّى الله عليه وآله وعليّ و الحسن والحسين عليهم السلام ثمّ يمدّ المطر [2] فيقعد معنا زوار قبور الأئمّة ، إلّا أنّ أعلاهم درجة وأقربهم حبوة

---

(١) عيون أخبار الرضا : ج ٢ ص٢٦٣ مع اختلاف يسير .

(٢) في الوسائل : ثم يمد الطعام . (منه قدس سره) .

زوار قبر ولدي عليّ عليه السلام .

قال الصدوق : قال مصنّف هذا الكتاب : معنى قوله : «كان كمن زار الله في عرشه» ليس بتشبيه ، لأنّ الملائكة تزور العرش وتلوذ به وتطوف حوله، تقول نزور الله في عرشه ، كما نقول : نحجّ بيت الله الحرام ونزور الله، لأنّ الله عزّ وجلّ ليس بموصوف بمكان « تعالى عن ذلك علواً كبيراً » [1] انتهى .

أقول : وهو جيّد . وقوله : «إذا كان يوم القيامة» يصدق ذلك و«كان» تفسير له ، والغرض أنّ زوار قبور الأئمّة كمن زار الله في عرشه ، فإذا كان يوم القيامة يزورونه في عرشه وكان لهم ثواب الزيارتين، وكان هذا من جملة إكرامهم فكلّهم وإن كان كذلك إلّا أنّ أعلاهم درجة .. إلخ . وهذا نصّ في أفضليّة زيارته عليه السلام عن زيارة الحسين عليه السلام بل عن زيارة الأمير عليه السلام وسائر الأئمّة ، لكنّه لا ينافي ما ذكرناه في وجه الجمع، إذ زوارهم الخواصّ من الشيعة ، والخواصّ كما يزورونه يزورون سائر الأئمّة ، فزيارته أجمع لتضمّنها لزيارة الباقين ، كما تقدم .

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف بريّته محمّد وعترته الطيّبين الطاهرين

جعلنا الله من المتمسّكين بولايتهم والمحبّين لهم ورزقنا شفاعتهم و زيارتهم

ولعنة الله على أعدائهم ومخالفيهم ومعانديهم ومبغضيهم

وغاصبي حقوقهم ومنكري فضائلهم

أجمعين أبد الآبدين

---

(١) عيون أخبار الرضا : ج٢ ص٢٥٩ ح٢٠ مع اختلاف يسير .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الواحد العليّ، والصلاة على النبيّ والوصيّ وأوصيائهما بالنصّ الخفي والجليّ .

وبعد ، فإنّي أحببت طرد الكلام على تحقيق حال الصراط على الاجمال ممّا ألهمني الله تعالى ببركات الأئمّة الأطهارعليهم صلوات الله الملك الغفّار ، فنقول و بالله الاعتصام عن الخطأ والزلل في الكلام :

اعلم يا أخي ـ هدانا الله وإيّاك إلى الطريق الحقّ القويم والصراط المستقيم ـ إنّ الله سبحانه إنّما خلقنا لأجل غرض و غاية لأنّه حكيم و هو لا يفعل العبث القبيح، وذلك الغرض إنّما يعود إلينا لغناه المطلق، وليس في هذه النشأة لكون لذّاتها منقطعة ومشوبة بالآلام المتزايدة عليها ، فلاجرم أن يكون ذلك الغرض في النشأة الاخرى . وأمّا أنّ ذلك الغرض ماذا؟ فسنبيّن إن شاء الله تحقيق الحال فيه. وما ورد من الكتاب في هذا الباب قوله عزّوجلّ «وما خلقت الجنّ والانس إلّا ليعبدون» [1] أي ليعرفون كما فسّره به المفسّرون ، ومن السنّة كثير .

منها: ماورد أنّ داود ـ على نبيّنا وآله وعليه السلام ـ سأل الله عزّوجلّ عن حكمة إيجاد الخلق، فقال الله تعالى : كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف [2] .

---

(١) الذاريات : ٥٦ .

(٢) مفاتيح الغيب : ص٢٩٣ .

وقد ورد في الأحاديث القدسيّة مخاطباً لخاتم الأنبياء ـ عليه التحيّة والثناء ـ لولاك لما خلقت الأفلاك [١]. وما ورد بمضمونه من الأحاديث عن أهل البيت الأطهار ممّا لا يحصى.

إذا عرفت هذا فنقول: إنّ هذا الغرض هو معرفة الربّ عزّ وجلّ، وهي التي توجب لاستلذاذ الخلائق بأعلى مراتب اللذة واستغراقهم في بحار الفضل والرضوان من الله المنّان، ومن تعلّق به هذا الغرض ونهض و صلح له إنّما هو خاتم النبيّين، فالغرض الأصيل من خلق الموجودات إنّما هو إيصاله ﷺ إلى مضيف معرفة الله سبحانه ومحلّ فيضه وجوده و كرمه. ثمّ لمّا كان دعوته ﷺ منفرداً غير وافية بتعظيمه ﷺ المقصود، فخلق الموجوات وأكرم عليه ﷺ وعليهم بخلقتهم ليظهر جلالته ﷺ ويبيّن نيله فيما بينهم. ثمّ لمّا لم يكن ذلك ـ أي اجتماعهم ـ في مرتبة المعرفة و إلحاقهم به ﷺ في تلك الدرجة الرفيعة إلّا باقتفائهم لآثاره واجتماعهم معه فيما به بلغ مابلغ واشتراكهم معه ﷺ في ذلك فلذلك أمدّ الله سبحانه لهم حبلاً ممدوداً و بسط لهم طريقاً مستقيماً و أرشده ﷺ إلى ذلك وجعله عارفاً به ومقراً بربوبيّته. ثمّ من تبعه في ذلك لحقه ومن خالفه خالفه، و تقرب إليه من أسبق على من لحق، ثمّ بعده من لحق، و هكذا «السابقون السابقون اولئك المقربون» [٢] ثمّ أطلع أباهم آدم عليه السلام على برهة من ذلك وعلى من يصدهم عن ذلك ويحرمهم ويبعدهم عنه، ثمّ أمره بالهبوط إلى الأرض و جعلها مقرهم إلى حين ومسكنهم المهياة لأن يكون معبدهم، و هداهم النجدين وأرشدهم إلى الطريقين والحبلين الموصلين إلى العلّيّين والسجّين ببعث النبيّين وإرسال الرسل المبشّرين والمنذرين بما هيّأ الله سبحانه لهم ودعاهم إليه وعمّا يمكر بهم عدوهم الرجيم من التبعيد والتنحّي عن هذه الكرامة العظمى، ثمّ أودع

(١) مفاتيح الغيب : ص١٤ .
(٢) الواقعة : ١٠ .

علم ذلك كلّه إلى خاتم النبيّين . ثمّ أطلع بعضهم على بعض من ذلك و أرسلهم إلى الخلق و أمرهم بتبشيرهم برسول آتٍ بلسان عربيّ مبين إلى الخلق كلّهم من الجنّ والانس أجمعين، فجاؤا وذهبوا وأخبروا وبشّروا وبيّنوا لهم ما استودعوا بحسب الحال والمقام فآمنوا و كفروا، ثمّ بعد مابلغ الأمر مبلغه جاء إليهم وأجاد عليهم وبيّن لهم طرق الشرايع ونصب لهم الأوصياء بعد ماصار إلى حبيبه واشتدّ عليه شوق لقائه ، و خلفهم من بعدهم القرآن المبين و المعجز المتين من عندالله الأجلّ، فمن تبعهم في عالم الاقرار حين كانوا ذراري تبعهم في هذه النشأة ولحقهم في طيّ طريق سلكوه والصعود إلى مقام قصدوه، فوجدوا ما عملوا وفازوا بما راموا و وصلوا إلى ما لأجله خلقوا ، و من خالفوهم هناك فخالفوهم هنا فذهبوا وتعدّوا واستعلوا ونزلوا واستقروا في علّيّين وهبطوا إلى سجّين ، وهم يروحون على الخلاف ويسلكون طريقاً يزيدهم بعداً عن الآخر ، فقد لحق كلّ بأوليائه في عالم الذرّ و في هذه النشأة ، و كذلك يجمعهم مرة اخرى و يحشرهم ، قال الله تعالى: «يوم ندعو كلّ اناس بإمامهم» [1] فيلحق كلّ بصاحبه ويرجعون إلى أصلهم ومن تبعوهم، فكلّ من الطائفتين يلحق بأوليائهم ويسلكون سبيلهم، فهم يدخلون الجنّة بغير حساب، وهم يردون إلى أسفل دركات عقاب ربّ الأرباب

فتحصّل : أنّ الصراط إنّما هو الجسر الممدود بين الجنّة و النار والحبل الموصول بين السجّين والعلّيّين ، وله مراتب يظهر في كلّ عالم بجلباب ، ولا بدّ من طيّ جميع تلك المراتب، فمن سلك الطريق المستقيم وتبع امناء الدين يوم ناداهم ربّهم وألطف بهم وأحسن إليهم فقال سبحانه : «ألست بربّكم» [2] فيلحق بهم يوم يحشر الناس بين يدي ربّ العالمين ، ومن تبعّد عنهم فيبعد عنهم، فالشقيّ شقيّ في بطن امّه والسعيد سعيد في بطن امّه . ثمّ إنّ بعد ماوصلوا إلى مقامهم واستقروا

(١) الاسراء : ٧١ .
(٢) الاعراف : ١٧٢ .

في مقرهم فيزيد لهم معرفة ربّ الأرباب وتشملهم رحمته و رضوانه، و يتغذون بأغذية لطيفة أعلاها العلم. و كذلك يبعد من رحمة الله المنكرون له، ويصيرون غير مستقلّين، ويظهرون في صورة المسوخات، و لم يكد يتجاوزون عن الصراط كما لم يكونوا متجاوزيه في تلك النشآت، بل يلحقون بأوليائهم و يردون إلى ما قادوهم إليه.

وتفصيل الكلام: أنّ الغرض من الخلقة إنّما هو الاستفاضة بفيض المعرفة والاستلذاذ بهذه النعمة السنيّة. ولمّا لم يمكن ذلك إلّا بعد تطهير القلوب فكلّفهم بامور في تلك النشأة ليصيروا بذلك قابلين له، ثمّ بعد ما انقضى أجلهم في هذه النشأة يذهبون إلى النشأة الآخرة ويسيرون ويخلفون العقاب إلى أن يصلوا المقصد فتحصل لهم المعرفة، ثمّ يتكمّلون في ذلك ويرتفعون به لا بالعبادة والرياضة بل بالأكل و الشرب و الغناء وسائر اللذات، إذ كما أنّ هذه الامور في هذه النشأة تبعد عن الله ففي تلك النشأة تقرب إليه، و كما أنّ العبادة هي التي اعدت في هذه النشأة للايصال إليه فقد ارتفعت في تلك النشأة الاخرى. فقد ضلّ الطريق من قصد القرب في هذه النشأة بالغناء ونحوه من سائر أسباب تلك النشأة، بل هي مبعدة هاهنا كما أنّها مقربة عنه، فلا تغترّ إذاً بمن يدعي لبلوغه مبلغاً من العلم و المعرفة ووصوله إلى المقصود وغناه عن عبادة المعبود، إذ ذلك ممّا لا يتأتّى في هذه النشأة. و كيف ورئيس الواصلين و إمام المتّقين عليه صلوات الله الملك الحقّ المبين كان يصلّي في كلّ ليلة ألفي ركعة، و كذلك النبيّ ﷺ صلّى إلى [أن] ورمت قدماه، و كذلك الأئمّة المعصومون، و كذلك تبعهم المقربون الصادقون. بل لو قضى أحد نحبه في تلك النشأة واستكمل بالعبادة في السعادة أو بتركها في الشقاوة لارتحل وانتقل إلى النشأة الاخرى. ولابدّ ولا مناص عن العبادة و الطاعة حتّى يأتي اليقين، ثمّ بعد ما أتاهم اليقين يزيد معرفتهم بربّهم، فالناس كلّهم نيام فإذا ماتوا انتبهوا[1] ثمّ

(١) شرح مائة كلمة من كلام أمير المؤمنين لابن ميثم البحراني: ص٥٤ لكن ليس فيها «كلهم».

إنّه كلّ ما يحصل لهم النقاء بعد النقاء تشتدّ لهم المعرفة وتتجدد بعدماوجدوها ويكشف عنهم الغطاء ، و هكذا حالهم إلى أن يحشروا للحساب ويقاموا عند ربّ الأرباب، فيقام كلّ مقامه .

و هكذا ، فـ «من عرف الحقّ لم يعبد الحقّ» فالحقّ أن لا يعبد إلّا الحقّ ، ونسأل الحقّ تعالى الهداية إلى معالي الحقّ ، والارشاد إلى سواء الصراط بحقّ الحقّ والنبيّ المطلق .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمّد و آله الطيّبين الطاهرين، و لعنة الله على أعدائهم وظالميهم وشانئيهم وغاصبي حقوقهم أجمعين أبد الآبدين.

و بعد، روى العلّامة المجلسي ـ رحمه الله ـ في المجلّد العاشر من كتاب «بحار الأنوار» نقلاً عن مناقب الثعلبي قال ـ رحمه الله ـ :ومن كتاب المناقب المذكور عن أبي الفرج محمّد بن أحمد المكّي، عن المظفّر بن أحمد بن عبدالواحد، عن محمّد بن عليّ الحلواني، عن كريمة بنت أحمد بن محمّد المروزي. و أخبرني أيضاً به عالياً قاضي القضاة محمّد بن الحسين البغدادي، عن الحسين بن محمّد بن عليّ الزينبي، عن الكريمة فاطمة بنت أحمد بن محمّد المروزيّة بمكّة ـ حرسها الله تعالى ـ عن أبي عليّ زاهر ابن أحمد، عن معاذ بن يوسف الجرجاني، عن أحمد بن محمّد بن غالب، عن عثمان بن أبي شيبة، عن نمير، عن مجالد، عن ابن عبّاس قال: خرج أعرابي من بني سليم يتبدى في البريّة فإذا هو بضبّ قد نفر من بين يديه فسعى وراءه حتّى اصطاده ثمّ جعله في كمّه وأقبل يزدلف نحو النبيّ صلّى الله عليه وآله فلمّا أن وقف بإزائه ناداه: يا محمّد، يا محمّد، وكان من أخلاق رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا قيل له: يا محمّد قال: يا محمّد، وإذا قيل له: يا أحمد قال: يا أحمد، وإذا قيل له: يا أبا القاسم قال: يا أبا القاسم، و إذا قيل: يا رسول الله قال: لبّيك و سعديك، و يتهلّل وجهه. فلمّا أن ناداه الأعرابي:

يا محمّد يا محمّد، قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا محمّد يا محمّد، قال له: أنت الساحر الكذاب الذي ما أظلّت الخضراء و لا أقلّت الغبراء من ذي لهجة هو أكذب منك، أنت الذي تزعم أنّ لك في هذه الخضراء إلهاً بعث بك إلى الأسود والأبيض. واللاّت و العزى لولا أنّي أخاف أنّ قومي يسمّونني العجول لضربتك بسيفي هذا ضربة أقتلك فيها فأسود بك الأولين والآخرين، فوثب إليه عمر بن الخطّاب ليبطش به، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اجلس يا أبا حفص فقد كاد الحليم أن يكون نبيّاً، ثمّ التفت النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأعرابي فقال له: يا أخا بني سليم، هكذا تفعل العرب! يتهجّمون علينا في مجالسنا، يجبهوننا بالكلام الغليظ؟ يا أعرابي، و الذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّ من ضرّبي في دار الدنيا هو غداً في النار يتلظّى. يا أعرابي، والذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّ أهل السماء السابعة يسمّونني أحمد الصادق. يا أعرابي، اسلم تسلم من النار، يكون لك ما لنا وعليك ما علينا، وتكون أخانا في الاسلام، قال: فغضب الأعرابي وقال: و اللاّت والعزى لا أؤمن بك يا محمّد أو يؤمن هذا الضبّ، ثمّ رمى بالضبّ عن كمّه فلمّا أن وقع الضبّ على الأرض ولّى هارباً فناداه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أيّها الضبّ أقبل إليّ، فأقبل الضبّ ينظر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أيّها الضبّ من أنا؟ فإذا هو ينطق بلسان فصيح ذرب غير قطع فقال: أنت محمّد بن عبد الله بن عبدالمطّلب بن هاشم بن عبد مناف، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من تعبد؟ قال: أعبدالله عزّ وجلّ الّذي فلق الحبّة وبرىء النسمة واتّخذ إبراهيم عليه السلام خليلاً واصطفاك يا محمّد حبيباً [1].

والحديث طويل ومضمونه: أنّه أسلم الأعرابي لمّا رأى ذلك وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بأن يعلّموه سوراً من القرآن، ثمّ التفت النبي صلى الله عليه وآله إلى أصحابه وطلب منهم أن يعطوا الأعرابي بالعطايا، فأعطاه سعد بن عبادة ناقة حمراء عشراء، وأعطاه أمير المؤمنين عليه السلام عمامته فنزعها و عمّم بها الأعرابي، و استقرضت فاطمة عليها السلام من شمعون

(١) بحار الانوار: ج٤٣ ص٦٩ ح٦١ مع تفاوت يسير.

اليهودي صاعاً من تمر وصاعاً من شعير فطحنته بيدها الشريفة وأخبزته خبزاً و أعطاها سلمان، أتى بها النبيّ صلّى الله عليه وآله فأعطاها الأعرابي، فأتى الأعرابي بني سليم وشرح لهم القصّة وأمرهم بالاسلام، فأسلم في ذلك اليوم أربعة آلاف رجل وهم أصحاب الرايات الخضر وهم حول رسول الله صلّى الله عليه وآله .

قال العلّامة المجلسي ـ رحمه الله ـ بعد ذكر الحديث الشريف بطوله: أقول: وجدت هذا الحديث في كتاب قديم من مؤلّفات العامّة ، قال : حدّثنا أبو بكر أحمد بن عليّ الطرشيشي ببغداد سنة أربع وثمانين وأربعمائة قال : حدّثتنا كريمة بنت أحمد بن محمّد بن حاتم المروزي بمكّة ـ حرسها الله تعالى ـ بقراءتها علينا في المسجد الحرام في ذي الحجّة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، قالت : أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه بسرخس قال : حدّثنا معاذ بن يوسف الجرجاني قال : حدّثنا أحمد بن محمّد بن غالب ، عن عثمان بن أبي شيبة ، عن ابن نمير، عن مجالد، عن ابن عبّاس مثله .

ثمّ قال : بيان: قال الجوهري: تبدّى الرجل أقام بالبادية ، وازدلف أي تقدم وقطع كفرح وكرم لم يقدر على الكلام، ونقه الحديث كفرح فهمه ، والعشراء من النوق ـ بضمّ العين وفتح الشين ـ الّتي مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية أو هي كالنفساء من النساء [1] إلى آخر ما ذكره ، ولم يتعرض لبيان سرّ ما ذكر من ردّ النبيّ صلّى الله عليه وآله على القائلين بقول يا محمّد وغيره على نحو ما قالوه ، مع أنّ من عادته في هذا الكتاب التعرض لبيان أمثال هذه الأسرار وحلّ المعضلات والكشف عنها . ونحن نخوض في ذلك المضمار بعون الله المتعال.

ولنقدم مقدمة فنقول : اعلم أنّ أول ما خلق الله سبحانه وتعالى نور محمّد النبيّ المختار ووصيّه وابنته وبنيهما الأطهار صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، فعبدوا الله وعظّموه ووحّدوه وسبّحوه ومجّدوه حيث لا ملك مقرب ولا نبيّ مرسل ولا سماء

(١) بحار الانوار: ج٤٣ ص٧٤ ذيل ح٦١ .

ولأرض ولاخلق ، وبذلوا أنفسهم في مرضاة الله و فنوا في الله فرفعوا الحواجب وخرقوا الحجب ، فأكرمهم وعظّمهم و أعلى شأنهم ورفع درجاتهم و خلق الخلق بهم واهم وأدبهم فجعلهم محالّ مشيئته وامناء سره وخزان علمه وولاة أمره واسترعاهم أمر خلقه وأمرهم بطاعتهم وفوض إليهم امورهم لما وجدهم امناء وعباده المكرمين ولهم الولاية والتصرف في خلقه كيف شاؤا وأرادوا بأمره ورضاه وإذنه، لكنّهم عباد مكرمون لايشاؤون إلّا ماشاءالله ولايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، وهم قدأحسنوا إلى المخلوقات والعباد غاية الاحسان وجاملوهم فقابلوا إساءتهم بالاحسان وتقصيرهم بالعفو والمغفرة والاستغفار وقوموا أعمالهم وأصلحوا مفاسد أمورهم وصرفوهم عن المساوي إلى المحاسن وأنقذوهم من شفاجرف الهلكات ومن النار ، وشأنهم الحقّ والصدق والرفق ، ولايكذبون بوجه أبداً ، ولكلامهم مخارج ومحامل ولأفعالهم لطائف ونكات،ولكن لانفقه أكثرها ولانعقله ولايظهر لنا سرها و وجهها .

وكما هم كذلك فلأسمائهم عليهم السلام أيضاً تأثيرات وفوائد وثمرات،وبهاقامت السماوات والعرش بلا عمد واستقام نظام العالم ، فهم أسماء الله الحسنى و آياته الكبرى ، بهم فتح الله وبهم يختم ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه ، وخضع لهم كلّ شيء وأشرقت الأرض والسماء بنورهم وارتفع الكلام بضوئهم .

وكذا لوجودهم فيما بين العباد ثمرات وفوائد لاتحصى وإن سكتوا ، فبهم يدفع العذاب وينزل الفيوض وأطاعتهم جميع المخلوقات إلّاعصاة بني آدم في مقام التكاليف وبدّلوا نعمة الله كفراً وبنعمته عصوه ، فهم الولاة و الأولياء على جميع المخلوقات ولهم القدرة والغلبة والقهر عليهم لكنّهم يكفّون عنهم كثيراًو يغمضون عنهم تبعاً لرضاء ربّهم ويتحمّلون عنهم المشاقّ والأذى ويصبرون على ما يصيبهم في جنب الله لأنّه شاء ذلك منهم ويحلمون كما حلم الله ولايفعلون إلّا ما أمر الله به، فليس الكفّ عن الظلمة والطواغيت لعجزهم بل لمتابعة أمر الله ووصيّة رسول

الله صلى الله عليه وآله كما قال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه لفرعون زمانه ثاني اثنين عليهما وعلى أتباعهما لعائن اللاعنين : لولا كتاب من الله سبق لعرفت أيّنا أضعف ناصراً وأقلّ عدداً[1]. وقد صرح عليه السلام بذلك في مواضع وكذا أولادهم المعصومون وأنّ صبرهم وتحمّلهم لما أصابهم من طواغيت زمانهم لرضا ربّ العالمين وتسليمهم لأمره وأمر رسوله ومتابعة وصيّته صلى الله عليه وآله ولعدم شقّ عصا الامّة وتضييع المؤمنين ومن يتوب ومن في أصلاب أعدائهم وأرحام نسائهم ، بل أعداؤهم سمعوا هذا المعنى منهم وعرفوه ، وهو الّذي أجرأهم عليهم عليهم السلام ولذا كفّوا عنهم عليهم السلام في مقام فهموا أنّهم أذن الله لهم في دفعهم وعرفوا آثار غضبهم وأنّهم يدعون عليهم حينئذٍ أو يدافعونهم .

وبالجملة : فخلقهم الله سبحانه وتعالى وصنعهم له وصنع سائر المخلوقات لهم وبهم ، ولولاهم عليهم السلام لما خلقوا ، ثمّ خلق الجميع للطاعة والعبادة والمعرفة وتوحيد الله وفروعه من العقائد والأخلاق والأعمال لكنّهم عليهم السلام كلّفوا بأن يعبدوا الله سبحانه وتعالى ويوحّدوه بلاواسطة أحد سواهم ، ومن سواهم كلّفوا بالعبادة والتوحيد بواسطة الأخذ منهم وإرشادهم ، كما أنّهم خلقوا تبعاً لهم ولأجلهم واهتدوا بهديهم واستفاضوا بهم فلا يسع لهم متابعة غيرهم ولا يجوز لغيرهم التقدم عليهم والاستغناء عنهم عليهم السلام إذ الحقّ معهم وفيهم وإليهم وهم الأئمّة الهداة والذادة الحماة ومن هنا جاءت الولاية في البين لجميع العالمين ، إذ بموالاتهم ومحبّتهم ومعرفتهم ومتابعتهم يعلّم الله معالم الدين فهم امام الجميع في جميع العوالم من الأنبياء والملائكة والناس والجنّ وغيرهم ، فبلغ الله بهم أشرف محلّ المكرمين وأرفع درجات المرسلين ، حيث لايلحقه لاحق ولا يسبقه سابق ولا يطمع في إدراكه طامع من نبيّ مرسل أو ملك مقرب أو غيرهم ، واللازم لهم لاحق بهم والمقصر في حقّهم زاهق ، فمن جملة إكرامهم أنّهم أقرب المخلوقين إلى الله سبحانه وتعالى وإمام الجميع الذي لابدّ من تقديمهم أمام الحوائج واستنزال الفيوض بهم وبواسطتهم .

---

(١) الاحتجاج : ج١ ص١٢٧ .

ومنها أن جعلهم الله أسماءه الحسنى وآياته الكبرى.

ومنها أنّه جعل لهم أسماء كما جعل لنفسه أسماء إمّا ألفاً كما عن ابن الأعرابي أو تسعة وتسعين كما في الأخبار[1] ولا تنافي بينهما.

ومنها اشتقاق أسمائهم من أسمائه. ثمّ إنّه كما لأسماء الله سبحانه وتعالى (ومنها هم عليهم السلام) تأثيرات فكذا لأسمائهم عليهم السلام. روى الشيخ رجب البرسي في كتاب «مشارق الأنوار» أنّ يهوديّاً استفاض بفيض صحبة أمير المؤمنين عليه السلام في بعض الأسفار، فكان يذكر له عليه السلام ويكرر: أنّك لا تستطيع لمصاحبتي، إلى أن وصلا الى ماء عظيم واسع عميق، فقرأ اليهودي شيئاً وعبر على الماء فلمّا وصل إلى شاطىء البحر التفت إليه عليه السلام وقال له: ألم أقل إنّك لا تستطيع لمصاحبتي؟ فقال عليه السلام: قف مكانك وأشار إلى الماء فغار في الأرض وأبلعته، فرجع اليهوديّ إليه عليه السلام وقال: ياسيّدي ماذا قرأت وفعلت مافعلت؟ فقال عليه السلام: وأنت ماذا قرأت فعبرت على الماء؟ فقال: قرأت اسم وصيّ خاتم الأنبياء عليه وعليه السلام فقال عليه السلام: وأنا هذا الوصي»[2].

فافهم وتدبّر واعرف قدر ساداتك ومواليك وكن من الشاكرين، والحمد لله ربّ العالمين.

وحاصل غرضنا في المقام: أنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وعترته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين أسماء الله الحسنى وكلمات الله التامّات العليا ولهم الولاية على جميع مخلوقات الله سبحانه وتعالى يتصرفون في ملكه ويدبّرون بإذنه مايشاؤون ولا يشاؤون إلّا ما شاء الله وإذا شاؤوا شيئاً شاء الله وهم عباده المكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، وكذا لأسمائهم تأثيرات وفوائد مثل أسماء الله سبحانه وتعالى في استنزال الفيوض وصيرورة الحمل ذكراً وفي إعطاء الولد بل في صيرورة الانثى ذكراً وفي إصابة الرأي والمغفرة ودخول الجنّة ولزوم الاكرام وغير ذلك. ثمّ أصدق الأسماء للانسان ما يدلّ على عبوديّة الله سبحانه وتعالى ولها فضل عظيم. ولا يبعد أنّ الأصدق

(١) التوحيد للصدوق: ص١٩٤ ح٨ و٩ وص٢١٩ ح١١.

(٢) مشارق أنوار اليقين للبرسي: ص١٧٢ مع اختلاف كثير.

بعدها ما يدلّ على عبوديّتهم عليهم السلام عبد طاعة مثل عبد العلي وعبد الحسين وعبد المحمّد وهكذا. ثمّ للتشبّه بأنبياء الله وبأسمائهم أيضاً فضائل وفوائد، وأفضل منه بل من جميع ما ذكر التسمية بأسماء النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وأوصيائه ولاسيّما محمّداً وعليّاً فإنّ فوائدها لا تحصى ممّا اشير إليه، وسنذكرها إن شاء الله المنّان على التفصيل ونذكر سندها من الأخبار ونقول قبل الشروع فيها: إنّه كثيراً ما تعطي الصور حكم الحقايق والمشابه للشيء حكم ذلك الشيء، أو أنّ المشابه للشيء يوثّر أثراً وإن لم يتحدا حكماً.

فمنها ما ورد في الآثار: أنّه كان لفرعون رجل يتشبّه بموسى عليه السلام في اللباس والأقوال والشمائل والأطوار ويضحك بذلك فرعون وحواشيه، فلمّا أن أغرق الله فرعون وجنوده وكان فيهم ذلك الرجل فلم يغرقه الله سبحانه، فقال موسى عليه السلام: يارب إنّ هذا الرجل أغاضني فلم ما أغرقته؟ فقال: ياموسى، إنّه تشبّه بك في الثياب والكلام فأنجيته لما تشبّه بأحبّائي[1].

وفيها أيضاً: أنّ كثير عزة كان رافضيّاً وكانت خلفاء بني اميّة لعنهم الله يعرفون ذلك منه، فدخل على عبد الملك بن مروان يوماً فقال: نشدتك بحقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام هل رأيت أعشق منك؟ فقال: نعم، بينما أسير في بعض الفلوات إذا أنا برجل قد نصب حبائله، فقلت: ما أجلسك هنا؟ فقال: أهلكني وأهلي الجوع فنصبت حبائلي لاصيب لهم ولنفسي ما يكفينا يومنا هذا، فقلت: أرأيت إن أقمت فأصبت صيداً تجعل لي جزءاً؟ قال: نعم. فبينما نحن كذلك إذ وقعت عليه ظبية فخرجنا مبتدرين فأسرع إليها فخلّها وأطلقها، فقلت له: ما حملك على هذا؟ قال: دخلتني عليها رقّة لشبهها بليلى، وأنشأ يقول شعراً.

أياشبه ليلى لاتراعي فإنّني	لك اليوم من وحشية لصديق
أقول وقد أطلقتها من وثاقها	لأنت لليلى لو عرفت عتيق

---

(١) الانوار النعمانية: ج٣ ص١٧٧.

فعينك عيناها وجيدك جيدها ولكن عظم الساق منك دقيق

ولما أسرعت في العدو جعل يقول :

اذهبي في كلائة الرحمن أنت منّي في ذمّة و أمان

لا تخافي من أن تحاجى بسوء ما تغنّى الحمام في الأغصان(١)

فإذا عرفت ذلك فلنذكر جملة من فوائد التشبيه ومصاديقه ، فمن ذلك ما اشير إليه وسيجيء سنده من الأخبار من فوائد التسمية بمحمّد أو علي والتشبّه بهما في الاسم في الدنيا والآخرة :

ومنها : التباكي في عزاء الحسين عليه السلام ، فقد شارك البكاء والابكاء في إيجابه لدخول الجنّة . وفي الآثار : أنّ امرأةً زانية من جيران أهل المصيبة وتعزية الحسين عليه السلام ذهبت تقتبس ناراً من مجلس العزاء فوجدتها قد خمدت فاشتعلتها وأوقدتها فدمعت عيناها من الدخان فغفر الله لها وتابت (٢) .

ومنها : ما في الأخبار أنّ المرائي يدخل جهنّم والنار لا تحرق مواضع وضوئه لمباشرة صورة الوضوء لها .

ومنها : الفوائد المترتّبة على أعمال موالي الأئمّة بل المستضعفين الذين يوالونهم ولا يبغضون أعداءهم بل الكفّار الذين يوالونهم عليهم السلام فإنّ النجاة على الحقيقة لهم عليهم السلام ولشيعتهم، وهؤلاء مشابهون للشيعة ويستفيضون بمقدار مشابهتهم لهم وارتباطهم مع سادات الأنام عليهم السلام .

ومنها : العدل الواقع من بعض السلاطين الأكاسرة وغيرهم .

ومنها : الفتوح الواقعة من الخلفاء الامويّين والعبّاسيين وغيرهم بل كلّ المسقطات عن المطلوبات والتجري على المعاصي مثل شرب الخمر باعتقاد الخمريّة ووطيء الزوجة مع زعم أنّها أجنبيّة وهكذا، وكذا كلّ الأعمال الاعتقاديّة مع

---

(١) الانوار النعمانية : ج٣ ص١٧٦ مع اختلاف يسير .

(٢) منتخب الطريحي : ص٢١١ .

مخالفة الواقع، فإنّها كلّها لمشابهتها للامور الواقعيّة .

ومنها : كراهة الصلاة مع المواجهة لانسان أو لنار مضرمة فإنّها للمشابهة بعابدي غير الله سبحانه وتعالى والنار .

ومنها : إدارة السبحة المصنوعة من طين قبر الحسين عليه السلام من دون ذكر فإنّها للتشبّه بمن يديرها للتسبيح و نحوه ، ولأكثر هذه الامور وجوه اخر .

ومنها : التشبّه بالله سبحانه و تعالى في الحلم والعفو و الصفح عمّا ملكت الأيمان وعتق الرقاب وإطلاق الاسارى والاحسان الى المسيئين والعدل والنجاة ونحو ذلك .

وبالجملة: التشبّه به تعالى في صفاته الّتي يحبّ المشاركة فيها، بخلاف ما يختصّ به سبحانه مثل العظمة والكبرياء والمعبوديّة ، فإنّ من أراد المشاركة والاتّصاف بها أذلّه الله وأخزاه .ولعلّ ممّا ذكر فضيلة الصوم وما ورد فيها لأنّ فيه تشبيهاً بالصمد سبحانه و تعالى في عدم الأكل و الشرب و خلاء الجوف من الطعام والشراب ، ولعلّ من ذلك أيضاً فضل إحياء الليل .

ومنها : ترك شرب الخمر لا لله تعالى ، فقد ورد أنّ الله تعالى يشربه من الرحيق المختوم .

ومنها : الجلوس مع العصاة وفي مجالس المعاصي وشرب الخمر وغيره و إن لم يباشر لتلك المعصية .

ومنها : الوقوع في مواضع التهمة .

ومنها: التشبّه بالنبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة بالقيام بوظائف العبادات وترك المعاصي والسرور يوم سرورهم والحزن أوقات حزنهم وفي سائر أعمالهم وأخلاقهم .

ومنها: إحياء ليالي القدر تشبّهاً بإمام العصر عليه السلام وتأسيّاً به عليه السلام .

ومنها : التشبّه بسائر الأنبياء في الخصال الحسنة .

ومنها : التشبّه بالصائمين بكفّ النفس عمّا يكفّ عنه الصائم في مواضع

ثبوته والتأدب به .

ومنها : التفريق بين الأولاد الرضيع وامّهاتها والحيوانات وأولادها لدفع العذاب وطلب المغفرة والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى في الاستسقاء وغيره .

ومنها : تشبّه الرجال بالنساء وبالعكس .

وبالجملة: فالأمثلة كثيرة والمصاديق لاتحصى وإن كان في أكثرها وجوه اخر أيضاً

تنبيه :

يعلم ممّا ذكر فضل عليّ بن الحسين عليهما السلام الشهيد المظلوم عليه السلام وأنّه عليه السلام بعد الأئمّة أفضل الخلائق لكونه أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقاً وخُلقاً ، فافهم . فإذا عرفت هذه الجملة فلنذكر بعض الأخبار المشار إليها .

فمنها : خبر أبي هارون قال : كنت جليساً لأبي عبدالله عليه السلام بالمدينة ففقدني أيّاماً ثمّ إنّي جئت إليه فقال : لم أرك منذ أيّام يا أباهارون ، فقلت : ولدلي غلام، فقال: بارك الله لك، فما سمّيته؟ قلت: سمّيته محمّداً ،فأقبل بخدّه نحو الأرض وهو يقول : محمّد محمّد محمّد حتّى كاد يلصق خده بالأرض ، ثمّ قال : بنفسي وبولدي وبأهلي وبأبويّ وبأهل الأرض كلّهم جميعاً الفداء لرسول الله ، لاتسبّه ولا تضربه ولاتسيء إليه ، واعلم أنّه ليس في الأرض دار فيها اسم محمّد إلّا وهي تقدس كلّ يوم [(١)] الحديث .

ومنها: خبر عاصم عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من ولد له ثلاث بنين ولم يسمّ أحدهم محمّداً فقد جفاني [(٢)] .

ومنها : في عدة الداعي قال : قال الرضا عليه السلام : البيت الّذي فيه محمّد يصبح أهله بخير ويمسون بخير [(٣)] .

(١) الوسائل : ج١٥ باب ٢٤ من أبواب أحكام الاولاد ص١٢٦ ح٤ .
(٢)و(٣) الوسائل : ج١٥ باب ٢٤ من أبواب أحكام الاولاد ص١٢٧ ح٥و٦ .

ومنها: ما رواه الفضل بن الحسن الطبرسي بإسناده في صحيفة الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إذا سمّيتم الولد محمّداً فأكرموه وأوسعوا له في المجلس ولا تقبّحوا له وجهاً [١].

و منها: ما بهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ما من قوم كانت لهم مشورة فحضر من اسمه محمّد أو أحمد فأدخلوه في مشورتهم إلّا كان خيراً لهم [٢].

ومنها: ما بهذا الاسناد أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله قال: مامن مائدة وضعت فقعد عليها من اسمه محمّد أو أحمد إلّا قدس ذلك المنزل في كلّ يوم مرتين [٣].

ومنها: ما عن كشف الغمّة نقلاً من كتاب اليواقيت لأبي عمرو الزاهد عن العطائي عن رجاله عن جعفر محمّد عن آبائه عن ابن عبّاس قال: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ ألا ليقم كلّ من اسمه محمّد فليدخل الجنة بكرامة سميّه محمّد صلى الله عليه وآله [٤].

و منها: ما رواه الكليني ـ رحمه الله ـ مسنداً أنّه استعمل معاوية لمروان ابن الحكم على المدينة وأمره أن يفرض لشباب قريش ففرض لهم، فقال عليّ بن الحسين عليهما السلام: فأتيته فقال: ما اسمك؟ فقلت: عليّ بن الحسين، فقال: ما اسم أخيك؟ فقلت: عليّ، فقال: عليّ وعليّ! ما يريد أبوك أن يدع أحداً من ولده إلّا سمّاه عليّاً، ثمّ فرض لي فرجعت إلى أبي فأخبرته، فقال... اوولد لي مائة لأحببت أن لا اسمّي أحداً منهم إلّا عليّاً [٥].

ومنها: مارواه سليمان الجعفري قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمّد أو أحمد أو عليّ أو الحسن أو الحسين أو جعفر أو طالب أو عبدالله أو فاطمة من النساء [٦].

ومنها: خبر أبي القداح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) و(٢) و(٣) و(٤) الوسائل: ج١٥ باب ٢٤ من أبواب أحكام الاولاد ص١٢٧ ح ٧و٨و٩و١٠.

(٥) و(٦) الكافي: ج٦ ص١٩ ح٧و٨.

فقال : ولدلي غلام فماذا اسمّيه ؟ قال : سمّه بأحبّ الأسماء إليّ حمزة [(١)] .

ومنها : الخبر عن أبي جعفر عليه السلام قال : أصدق الأسماء ما سمّي بالعبوديّة وأفضلها أسماء الأنبياء [(٢)] .

ومنها : خبر ابن حميد أنّه سأل أبا عبدالله عليه السلام وشاوره في اسم ولده فقال: سمّه اسماً من العبوديّة، فقال : أيّ الأسماء هو ؟ قال : عبدالرحمن [(٣)] .

ومنها : خبر الأصبغ عن عليّ عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما من هل أبيت فيهم اسم نبيّ إلّا بعث الله عزّ وجلّ إليهم ملكاً يقدسهم بالغداة والعشي [(٤)].

ومنها: خبر الحسين بن سعيد أنّه دخل علي أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال له ابن غيلان: بلغني أنّه من كان له حمل فنوى أن يسمّيه محمّداً ولد له غلام؟ فقال: من كان له حمل فنوى أن يسمّيه عليّاً ولد له غلام ثمّ قال: عليّ محمّد ومحمّد عليّ شيئاً واحداً [(٥)].

ومنها: المرسل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا كان بامرأة أحدكم حبل فأتى لها أربعة أشهر فليستقبل بها القبلة وليقرأ آية الكرسي وليضرب على جنبها وليقل: اللّهمّ إنّي قد سمّيته محمّداً. فإنّه يجعله غلاماً، فإن وفى بالاسم بارك الله فيه وإن رجع عن الاسم كان لله فيه الخيار إن شاء الله أخذه وإن شاء تركه [(٦)] أقول: من الوفاء التحويل إلى عليّ كما يظهر من الحديث المتقدم .

و منها : خبر إسحاق بن عمّار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من رجل يحبل له حبل فنوى أن يسمّيه محمّداً إلّا كان ذكراً إن شاء الله، وقال: هاهنا ثلاثة كلّهم محمّد محمّد محمّد. وقال : قال أبو عبدالله عليه السلام في حديث آخر : يأخذ بيدها و يستقبل

---

(١) الكافي : ج٦ ص١٩ ح٩ .

(٢) و(٣) الكافي : ج٦ ص١٨ ح١و٥ .

(٤) الوسائل : ج١٥ باب٢٣ من أبواب أحكام الاولاد ص١٢٥ ح٣.

(٥) الكافي : ج٦ ص١١ ح٢ .

(٦) الكافي : ج٦ ص١١ ح١ .

بها القبلة عند الأربعة الأشهر ويقول: اللّهمّ إنّي سمّيته محمّداً، ولد له غلام، فإن حول اسمه اخذ منه [١]

و منها : المرسل قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من كان له حمل فنوى أن يسمّيه محمّداً أو عليّاً ولد له غلام [٢] .

ومنها : خبر محمّد بن عمر في حديث أنّه قال لأبي الحسن عليه السلام : ولدلي غلام، فقال: سمّيته؟ قلت: لا، قال: سمّه عليّاً فإنّ أبي كان إذا أبطأت عليه جارية من جواريه قال لها : يا فلانة انوي عليّاً فلا تلبث أن تحمل فتلد غلاماً [٣] .

أقول : لعلّ المراد بيان الفضل بالتسمية عليّاً و أنّه يبقى له ، كما أنّه او لم يكن يكون ويحصل بنيّته أن يسمّيه عليّاً. ثمّ الظاهر من مجموع هذه الأخبار كفاية النيّة وأنّ الأوقع منها التلفّظ وأوقع منها رعاية الآداب القوليّة وغيرها .

و منها : المرسل عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه شكا إليه رجل أنّه لا يولد له فقال: إذا جامعت فقل: اللّهمّ إن رزقتني ولداً سمّيته محمّداً، قال ففعل ذلك فارزق[٤].

ومنها : خبر محمّد بن إسماعيل أو غيره قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : الرجل يدعو الله عزّ وجلّ للحبلى أن يجعل الله عزّ وجلّ ما في بطنها ذكراً سويّاً، فقال: يدعو ما بينه و بين أربعة أشهر فإنّه أربعين ليلة نطفة و أربعين ليلة علقة وأربعين ليلة مضغة فذلك تمام أربعة أشهر ثمّ يبعث الله إليه ملكين خلّاقين فيقولان: يا ربّ ما نخلق ذكراً أو انثى؟ شقيّاً أو سعيداً؟ فيقال ذلك[٥] الحديث .

---

(١) الكافي : ج٦ ص١١ ح٣ .

(٢) الكافي : ج٦ ص١٢ ح٤.

(٣) الكافي : ج٦ ص١٠ ح١١ .

(٤) الكافي : ج٦ ص٩ ح٧ مع تفاوت يسير .

(٥) الكافي : ج٦ ص١٦ ح٦ وفيه « لابي جعفر » ، الوسائل : ج ٤ باب ٦٤ من أبواب الدعاء ص١٧٢ ح١ وفيهما تفاوت يسير .

أقول: ويظهر منه وجه لقولهم عليهم السلام: الشقيّ شقيّ في بطن امّه و السعيد سعيد في بطن امّه [(١)] وله وجه آخر.

ومنها: خبر عمرو بن سعيد عن أبيه قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام حيث دخل عليه داود الرقي فقال: جعلت فداك إنّ الناس يقولون: إذا مضى للحامل ستّة أشهر فقد فرغ الله من خلقه، فقال أبو الحسن عليه السلام: يا داود، ادع ولو بشقّ الصفا، قلت: وأيّ شيء الصفا؟ قال: ما يخرج مع الولد فإنّ الله يفعل ما يشاء [(٢)].

ومنها: خبر عليّ بن عبدالله عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال: تحوّل النطفة في الرحم أربعين يوماً، فمن أراد أن يدعو الله عزّ وجلّ ففي تلك الأربعين قبل أن تخلق، ثمّ يبعث الله ملك الأرحام فيأخذها فيقول: إلهي أشقيّ أم سعيد؟ الحديث. قال في الوسائل: أقول: هذا و الأول محمولان على استحباب تعجيل الدعاء قبل الغاية المذكورة أو على كونه أقرب إلى الاجابة وإن جاز بعدها [(٣)] انتهى.

ومنها: خبر أحمد بن محمّد بن أبي نصر عن الرضا عليه السلام قال: سألته أن يدعو الله عزّ وجلّ لامرأة من أهلنا بها حمل، فقال: قال أبو جعفر عليه السلام: الدعاء للحامل ما لم تمض أربعة أشهر، فقلت له: إنّما لها أقلّ من هذا فدعا لها، ثمّ قال: النطفة تكون في الرحم ثلاثين يوماً وتكون علقة ثلاثين يوماً وتكون مضغة ثلاثين يوماً وتكون مخلّقة وغير مخلّقة ثلاثين يوماً فإذا تمّت الأربعة أشهر بعث الله إليها ملكين خلّاقين يصورانه ويكتبان رزقه وأجله وشقيّاً أو سعيداً. قال في الوسائل: أقول: يمكن حمل اختلاف التقديرين على اختلاف أحوال الأجنّة حيث إنّ مدة الحمل ما بين ستّة أشهر إلى تسعة، والله أعلم [(٤)] انتهى.

---

(١) بحار الانوار: ج٥ ص١٥٣ ح١.
(٢) الوسائل: ج٤ باب٦٤ من أبواب الدعاء ص١١٧٢ ح٢.
(٣) الوسائل: ج٤ باب ٦٤ من أبواب الدعاء ص١١٧٣ ح٣ وذيله.
(٤) الوسائل: ج٤ باب ٦٤ من أبواب الدعاء ص١١٧٣ ح٤.

ومنها : خبر الحسن بن جهم قال : قلت للرضا عليه السلام : يجوز أن يدعو الله عزّ وجلّ فيحوّل الانثى ذكراً أو الذكر انثى ؟ فقال: إنّ الله يفعل ما يشاء .قال في الوسائل : أقول : وتقدم ما يدلّ على ذلك [1] انتهى .

إذا تمهّدت تلك المقدمة فنقول:يمكن حلّ الحديث الشريف وبيان سرّ صنيعة النبي صلى الله عليه وآله بوجوه :

أحدها :وهو أولها وأحسنها ما سمعت من بعض أبناء الملوك ـ زاده الله مجده وعلاه ـ وكلام الملوك ملوك الكلام، وهو أن يكون ما فعله صلى الله عليه وآله رداً للتحيّة المأبور بها .

وبيانه : أنّ القائلين بأحد الثلاثة الاول لما نادوه بأحدها ردّ صلى الله عليه وآله عليهم بمثل ما قالوه قاصداً برده المعنى الوصفي بأنّ القائل محمود أو أحمد أو مرزوق ولذا يسمّى بالقاسم على حسب ما ذكره القائل من الوحدة والتعدد . وأمّا الرابع وهو قول : يا رسول الله صلى الله عليه وآله فلايجوز الردّ به لعدم كون القائل رسول الله صلى الله عليه وآله فردّ عليه مجيباً بقول: لبّيك وسعديك، و إن تهلّل وجهه صلى الله عليه وآله حينئذ لاتيان القائل بما أمر الله به وأحبّه من التوصيف بالرسالة والايمان به، فهي تحيّة محمودة مقصودة .

ويؤيّد هذا الوجه أنّ ذلك من أخلاقه الحسنة ،فإنّه حمل قولهم في الثلاثة الاول على التحيّة مع عدم قصدهم لها . ويرد على هذا الوجه أنّهم لم يقصدوا التحيّة كما اعترفت به بل كانوا منكرين له صلى الله عليه وآله و كفّاراً، والتحيّة لاتتحقّق بدون قصدها تفصيلاً أو إجمالاً ، فلا موقع لهذا الوجه، ويمكن الذبّ عنه بوجوه :

الأول:أنّه لو اريد توقّف دلالة اللفظ على معنى على قصده وإرادته فهو باطل كما حقّقناه في محلّه ، و إن اريد توقّف تحقّق المدلول على إرادته فيما هو من قبيل الانشاءات فهو باطل على سبيل العموم و الكلّيّة .

---

(١) الوسائل : ج٤ باب٦٤ من أبواب الدعاء ص١١٧٣ ح٥ .

وبيان ذلك: أنّ في الأقوال نصوصاً وظواهر ومجملات وكذا الأفعال. وتوهّم انحصار الثانية في الثالثة كبعض باطل بيّنّاه في محلّه. فمن الأقوال وكذا الأفعال ما هو نصّ لا يحتاج إلى ضمّ قرينة في الدلالة ولا يصرفان عن مدلولهما بها أيضاً ولا بنيّة الخلاف ولا يدخل التجوز في الأول. ومنها ما هو ظاهر يقبل الصرف عن ظاهره بالقرينة وبالنيّة. ومنها المجملات الّتي لا تتعيّن في شيء إلّا بالقرينة. مثلاً السبعة اسم للعدد المخصوص لا تقبل التجوز ولا الصرف عنه بالقرينة أو بالنيّة، و به صرح الشهيد السعيد ـ رحمه‌الله ـ في القواعد. وقبولها للاستثناء لا ينافي ذلك إذ ليس تجوزاً وإن زعمه بعض بل قصد معناها الحقيقي حينئذٍ للتوصّل إلى ما هو المقصود وهو الباقي بعد الاستثناء كما في أحد وجهي الكناية. وكذا وضع المصحف في القاذورات إهانة قصدت به أم لا أو قصد الخلاف، فلعلّ التحيّة من ذلك القبيل فما وضع له تحيّة وإن لم يقصدها به القائل، ويشهد له أنّ سلام الصبيّ مثلاً تحيّة وإن لم يقصدها به تفصيلاً أو إجمالاً وكذا آلات اللهو الموضوعة له وضعها له كقصده في ترتّب الأحكام من عدم صحّة الاكتساب ونحوه، بخلاف المشتركات بينه وبين غيره فيتبع القصد والنيّة.

وبالجملة فورد في النصوص أنّ اسمه صلى‌الله‌عليه‌وآله في القرآن محمّد وفي الانجيل أحمد وإنّما سمّاه جده عبد المطّلب بمحمّد تفأّلاً بما قدر الله له من المحمدة في الأرض والسماء بإلهام من الله سبحانه وتعالى فإنّه من الأوصياء، والأسماء تنزل من السماء ولا سيّما في أسماء الأنبياء والأوصياء.

واعلم أنّ الله تعالى وصفه بعبده ورسوله لتمكّنه على سرير العبوديّة وأمانته في مقام الرسالة، وقذف في قلوب عباده المؤمنين والكفّار أنّهم وصفوه بمحمّد الأمين لما وجدوا من الأمانة الظاهرة المسلّمة بين الكلّ وإن لم يعرفوا حقيقة ذلك المعنى ودرجته العليا، والله سبحانه إنّما وصفه بذلك لما وجده عبداً متمكّناً على سرير العبوديّة وأميناً في مقام الرسالة وإيصال الفيوض إلى القوابل من المخلوقات

بحيث لم تكن له خيانة وزلّة قدم وتجاوز عن حدّ العبوديّة وميل عن رضا ربّ العالمين ، فاللازم على العباد في مقام التكاليف الظاهر أن يصفوه بالرسالة وينادوه بها وهو مقصود ربّ العالمين. والله سبحانه وتعالى وصفه بالنبوة في مقام يناسبها وبالرسالة في مقام يناسبها وفي مقام الحقيقة بالعبوديّة والأمانة وبمحمّد وأحمد، فمن ناداه بأحد الاسمين فقد أدى حقّه وحيّاه بتحيّة، فلذا ردّه صلى الله عليه وآله وسلم بذلك بمقتضى خلقه الكريم العظيم، يعني أنّ القائل محمّد أو أحمد بسبب تلك التحيّة والتقول بها ، وكذا قول : يا أباالقاسم، فإنّه لا يخلو من محمدة، وأمّا قول: يا رسول الله، فهو تحقيق لمقصود الله سبحانه وتعالى .

الثاني : أن يكون مبنيّاً على القلب والالتفات وحمل كلام المخاطب على خلاف مراده وهو باب واسع في البلاغة كقول القبعثري للحجّاج بعد توعّده إيّاه بقوله : لأحملنّك على الأدهم ـ يعني القيد ـ مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب ، فحمل الأدهم في كلامه على الفرس الأدهم أي الّذي غلب سواده حتّى ذهب البياض الّذي فيه وضمّ إليه الأشهب وهو عكس الأدهم، وكذا بعد قول الحجّاج له ثانياً أنّه أي الأدهم حديد : لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً [(١)] فحمل الحديد أيضاً على خلاف مراده. فإن قلت: الحمل المزبور والصرف عن الظاهر لتنبيه المخاطب على أنّ المعنى المحمول عليه والمصروف إليه هو الأولى بالقصد والارادة وهو غير آتٍ هنا إذ المخاطبون لم يلتفتوا إلى ذلك الغرض ولم يتنبّهوا له. قلت: غير لازم انحصار النكتة في ذلك بل الأغراض للحمل المزبور كثيرة.

ومنها : في المقام صرف السوء عنهم وتقويم أعمالهم لأنّه صلى الله عليه وآله مبعوث لذلك كما عرفت في المقدمة، فحمل كلامهم على المعنى الوصفي بمقابلته بكلام منه صلى الله عليه وآله قاصداً به ذلك رحمة عليهم ورأفة بهم كي لا ينزل عليهم العذاب ونجوا من سخط ربّ الأرباب، فهو نوع استغفار لهم ودعاء لهم بالهداية وحسن الخاتمة مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

(١) الكشكول للبهائي: ج٢ ص٢٣٢ .

اللّهمّ اهد قومي فإنّهم لايعلمون [١] ومع تسليم انحصار الغرض من الالتفات فيما ذكر عدم تنبّههم له ممنوع ولو بواسطة مجاملته ﷺ لهم وحسن معاشرته ومكالمته معهم فيصير ذلك سبباً لايمانهم وإقرارهم له بالرسالة وتوصيفهم له بأنّه المستحقّ للمحمدة والثناء ، فافهم .

الثالث : إنّا نسلّم أنّ ماذكر ليس منهم بتحيّة ولكنّهم شابهوا بإيرادهم لماوضع للتحيّة المحبّين فأجابهم بالتحيّة وردّ عليهم بها بمقتضى أخلاقه الكريمة، وقد عرفت في المقدمة أنّه كثيراً ما تعطى الصور حكم الحقايق والمشابه للشيء حكمه أوأنّه يترتّب على المشابه آثار وفوائد وأغراض ونكات .

ثانيها : هو الوجه الثاني في دفع الايراد المذكور على الوجه المتقدم بأدنى عناية بإسقاط جهة ردّ التحيّة بأن يكون إيراده ﷺ بمثل ما قالوه ومقابلته بمثل مقالتهم مع قصد معنى صحيح يستحقّه لتقويم أعمالهم وصرف السوء عنهم بمقالتهم ترحّماً عليهم كي يعفو الله عنهم ويغفر لهم، فقرن سيّئهم بمعنى صحيح هو المعنى الوصفي كي لايؤثر صنعهم السيّيء وسوء الأدب، و هو مبنيّ على الالتفات والتورية وإن لم يفهم القائل، كما في إعطاء الزكاة برسم الهديّة والفرار من الكذب بقيد لم يلتفت إليه السامع ، و هو كثير في الأخبار و كلمات الفصحاء .

ثالثها : أن يكون ذلك منه ﷺ تواضعاً لربّه تبارك و تعالى وتقريراً لهم فيما قالوه واعترافاً بالعبوديّة والذلّ والصغار. فلمّا قالوا ماقالوا وأساؤا الأدب معه وبئس ما صنعوا ! قال ﷺ : نعم أنا يا ربّ عبيدك الحقير محمّد المسكين وأحمد المستكين كما قالوا، ولقد أكرمتني وحبوتني بالرسالة ، وإذا وصفه مؤمن بالله تعالى وبه ﷺ بالرسالة كما أمر الله سبحانه وتعالى به تهلّل وجهه استبشاراً بإيمانهم ونجاتهم وهدايتهم، ولقد كان هو ﷺ وأخوه وعترته المعصومون يحبّون المساكين و الجلوس معهم و يقولون : مسكين جالس مسكيناً ، و يتواضعون

(١) بحار الانوار : ج٢٠ ص٢١ .

لربّهم ، فافهم .

رابعها : أن يكون ذلك منه صلى الله عليه وآله تقريراً للقائلين فيما قالوه ومجاملة معهم وتواضعاً لهم واستعطافاً عليهم لتلين قلوبهم وتميل إلى الحقّ والايمان بالله تعالى وبه صلى الله عليه وآله كما فعل موسى عليه السلام لفرعون لمّا قال له : «ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين * وفعلت فعلتك الّتي فعلت وأنت من الكافرين * قال فعلتها إذاً وأنا من الضالّين * ففررت منكم لمّا خفتكم فوهب لي ربّي حكماً وجعلني من المرسلين» [1] امتثالاً لقوله تعالى : «فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشى» [2] ولقد أقام صلى الله عليه وآله وأوصياؤه صلوات الله عليهم أجمعين عمود الاسلام والايمان بأخلاقهم الحسنة كما لا يخفى على الخبير البصير المطّلع بالآثار والأخبار .

خامسها : أن تكون مقابلته صلى الله عليه وآله لما قالوه بمثله إنكاراً عليهم وتنبيهاً لهم على الأدب وإرشاداً إليه كي يرتدعوا ويخرجوا عن غيّهم وضلالتهم ويؤمنوا به ويصفوه بما أمره به ربّ العالمين من النبوة والرسالة رحمة عليهم ورأفة بهم لئلّا يصروا على مافعلوا فينزل عليهم العذاب واستحقّوا لسخط ربّ الأرباب، ويحمل ما ذكر من أنّه كان من أخلاقه حينئذٍ على أنّه كان من عادته ذلك، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمد وآله الطيّبين الطاهرين .

(١) الشعراء : ١٨-٢١ .

(٢) طه : ٤٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ربّ العالمين والعاقبة للمتّقين ، والصلاةوالسلام على سيّدالمرسلين وعلى آله الأئمّة الهداة المهديّين وأفضل الخلائق بعدالرسول الأمين وعلى أصحابه و أتباعه المهتدين بهديهم و المتمسّكين بهم ، و لعنة الله على أعدائهم أجمعين أبد الآبدين .

و بعد، فقد سألني من لايسعني إلّا إجابة مسؤوله وإسعافه بمأموله عن أنّ الامام عليه السلام حاضر ناظر أم لا ؟ وأنّ منكر ذلك هل هومنكرلضروري المذهب أم لا ؟ وسأل أن أكتب الجواب بيدي وخطّي ، وأنا الآن على حال لا أستطيع الكتابة فنقول ومن الله المعونة: إنّ الذي أعتقده واؤمن به أنّ نبيّنا محمّداً صلّى الله عليه وآله نبيّ مرسل وإمام يعلم كلّ شيء بتعليم الله ويقدر على كلّ شيء باقداره تعالى عليه وأنّ الأئمّة من عترته أئمّة كذلك يعلمون كلّ شيء بتعليم الله وتعليم رسوله ويقدرون على كلّ شيء، وإنّي مؤمن بسرهم و علانيتهم وشاهدهم وغائبهم وظاهرهم وباطنهم .

تو بتاريكى على راديده‌اى   زين سبب غيرى براو بگزيده‌اى

وسيجيء توضيح ذلك إن شاء الله تعالى. وقد ادعى العلّامة المجلسي ـ رحمه الله ـ في الأربعين تظافر الأخبار على إحاطة علمهم بجميع الأشياء . قال ـ رحمه الله ـ : قد تظافرت الأخبار بكون نبيّنا صلّى الله عليه وآله وأئمّتنا عليهم السلام عالمين بجميع العلوم، وأنّ عندهم علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، وأنّ كلّ ماعلم النبيّ صلّى الله عليه وآله علّمه

علياً وكذا كلّ إمام علّم الامام الّذي بعده كلّ ما علمه (١) انتهى .

وببالي أنّ القاضي سعيد القمّي حكى عن السيّد الأجلّ المرتضى علم الهدى ـ قدس سره ـ عن رسالة المحكم والمتشابه حديثاً

وفيه: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال : تفسير جميع العالم عندالامام مثل جوزة في يد أحدكم .

وأنت تعلم كلّ أحد يفوض أمراً على أحدويوكله فيه يجب أن يكون عالماً بمراشد هذا الأمر وقادراً عليه ، مثلاً أمر الله سبحانه وتعالى عزرائيل عليه السلام بقبض الأرواح بعد ما تبيّن أنّه أصلح لهذا الأمر من سائر الملائكة ، حيث أمره بقبض بعض الأرض فامتثل بخلاف غيره من الملائكة ،وكذلك أقدره على الاحاطة بجميع المخلوقين كما يفصح عنه حديث المعراج ، فالامام عليه السلام المفوض إليه أمر العوالم و النشآت والبرازخ والجنّة والنار لابدّ أن يحيط بها علماً لأنّه عليه السلام واسطة الفيوض جميعاً في مقام التكوين والتشريع والعلوم والهدايات ، فليس كلّ من لا يخبر بشيء لايعلمه ولا كلّ من لايفعل شيئاً يعجز عنه ،ولقد سلّط الله سبحانه وتعالى نبيّه المرسل موسى بن عمران عليه السلام عند إهلاك قارون على الأرض وعند إهلاك فرعون على نيل مصر ، ولقدسلّط نبيّناوعترته الطاهرين على جميع المخلوقات من الجبال والبحاروالبراري والسماوات والأرضين والملائكة وغيرهم وانقادهالهم وعرضوا الاطاعة والانقياد لهم عند إيذاء أعدائهم لكنّهم سلّموا لله ولم يأذنوا لها بإهلاك أعدائهم إلّا ما أمر الله به، وسائر الأنبياء يفعلون بإذن الله وهم لايفعلون إلّا بأمر الله ، فهم عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . والأمر يتقوم بالرجحان ، فلايفعلون أبداً إلّا ماهو الأولى والأفضل ، وغيرهم من الأنبياء والمعصومين ربما يتركون الأولى ويرتكبون خلاف الأولى وإن كان الكلّ لايفعلون إلّا الراجح لكن ربما يرتكبون راجحاً غيره أرجح منه ، وهذا معنى

(١) الاربعين للمجلسي : ص٥٦٢ ذيل ح٣٧ .

ترك الأولى ، و من جزئيّات ذلك الصوم المندوب عند دعوة أحد من المؤمنين الافطار ، فرده صوم وعبادة وإجابته لادخال السرور في قلب الداعي عبادة أرجح من الصوم والبقاء على الامساك ، فافهم .

وفي الآيات و الأخبار إشارات إلى ذلك ، قال الله سبحانه و تعالى «طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » [1] و أرسل جبرئيل عليه السلام في بعض الغزوات شاكراً لمجاهدة أمير المؤمنين عليه السلام ، فمثل هذا كيف يرى نفسه و يؤثر خلاف الأولى . وقال سبحانه وتعالى: « ولمّا جاء موسى لميقاتنا » [2] وقال في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «سبحان الّذي أسرى بعبده»[3] الآية. وقال الله تعالى: «وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى» [4] وقال في حقّ عيسى: « وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني» [5] الآية ، إلى غير ذلك .فجميع الأنبياء والمعصومين لايخالفون الله سبحانه وينتهون عند نهيه ويمتثلون لأمره ويقفون عند إذنه تعالى لكن لايستوي من يلازم المأذون الأرجح ومن قد يرتكب مأذوناً مفضولاً ، فافهم الاشارة والفرق .

و كيف كان ، نتكلّم على هذه المسألة تارةً بالدليل والبرهان الظاهر واخرى بالحكمة والعرفان، والله المفضّل المنّان. فنقول: قال الله سبحانه وتعالى: «وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين» [6] وقد ورد تفسيره في أخبار مستفيضة بعليّ عليه السلام [7] ولافرق بينه وبين النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأئمّة فحوىً وتنقيحاً وإجماعاً . وقال الله تعالى: «ولارطب ولايابس إلاّ في كتاب مبين»[8] فعلم كلّ شيء في القرآن وعلّم

---

(١) طه : ١و٢ .
(٢) الاعراف : ١٤٣ .
(٣) الاسراء : ١ .
(٤) الانفال : ١٧ .
(٥) المائدة : ١١٠ .
(٦) يس : ١٢ .
(٧) البرهان فى تفسير القرآن : ج٤ ص٥ .
(٨) الانعام : ٥٩ .

الله نبيّه و علّم النبي صلى الله عليه وآله الوصيّ و كذا كلّ إمام لامام بعده ، فمن علم جميع القرآن ظاهره وباطنه وتنزيله وتأويله كيف يجهل شيئاً ولايحيط علمه بجميع الأشياء؟ ومن جزئيّات ذلك حكاية لحية حسن بن علي عليهما السلام والعادي له واستدلاله عليه السلام بقوله تعالى: «والبلد الطيّب يخرج نباته بإذن ربّه والّذي خبث لايخرج إلّا نكداً»[1] فليس مراده له محض مطايبة بل الاستدلال الحقيقي . وقال الله تعالى لنبيّه: «وعلّمك مالم تكن تعلم»[2] و كلمة الموصول للعموم وضعاً أو لقرينة الامتنان. وقال أيضاً: «علّم الانسان مالم يعلم»[3] وقد أخبروا عليهم السلام بالغائبات والكائنات قبل وقوعها مراراً كثيرة .

وبالجملة : فالمطلوب من القطعيّات ، ولقد سئل في القديم السيّد الأجلّ المرتضى ـ رحمه الله ـ عن هذه المسألة فاختار ما اخترناه مع أنّ أصله من الاقتصار على المقطوعات مشهور . قال ـ رحمه الله ـ في أجوبة المسائل المنافارقيّة قال: سؤال ـ حيث سئل عن صاحب الزمان عليه السلام ـ هل يشاهدنا أم لا؟ فأجاب ـ رحمه الله ـ بأنّه مشاهدلنا ومحيط بنا وغير خافٍ عليه شيء من أحوالنا[4] انتهى .

وقال قبل ذلك بفاصلة قليلة : مسألة سابعة عشر: مولانا أمير المؤمنين حيّ يشاهدنا ويسمع كلامنا أم ميّت ؟

جواب: الأئمّة الماضون والمؤمنون ينعّمون ويرزقون فإذا زيرت قبورهم أو صلّي عليهم أبلغهم الله ذلك أو أعلمهم به ، فكانوا بالاجماع سامعين له مشاهدين[5] انتهى.

ولايخفى أنّ في الجواب عن المسألة الأخيرة قصوراً وفي العطف الواقع فيها

---

(١) الاعراف : ٥٨ .

(٢) النساء : ١١٣ .

(٣) العلق : ٥ .

(٤) رسائل الشريف المرتضى: ج١ ص٢٨٣ المسألة ٢٢ .

(٥) رسائل الشريف المرتضى : ج١ ص٢٨٠ المسأله ١٧ .

ما فيه، وأنّ المقام أعلى منه.

وقال ـ رحمه الله ـ أيضاً متّصلاً بما ذكر: مسألة ثامنة عشر: قد روي أن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام يحضران ـ إلى قوله ـ عند كلّ محتضر[٢] انتهى.

وفساده واضح، إذ في بعض الروايات رؤية المحتضر لهم عليهم السلام وهي تتحقّق للمحتضر من المتباعدين مع استقرارهم في مراكزهم، وما فيه حضورهم عليهم السلام عند المحتضرين أيضاً أمر ممكن بتعدد البدن المثالي لهم في تلك النشأة وغير ذلك

وحكى القاضي سعيد القمّي في الأربعين عنه ـ رحمه الله ـ في رسالة المحكم والمتشابه أنّه روى من أمير المؤمنين رواية وفيها: أنّ جميع العالم من السماء والأرض للامام عليه السلام مثل الجوزة في يد أحد. وقال العلّامة المجلسي ـ رحمه الله ـ في الأربعين.

وكيف كان، اعلم أنّ الشخص مرة جاهل بالشيء وليس له ملكة استخراجه واستنباطه ومرة له تلك الملكة ومرة علمه فتكون عنده معلومات محفوظة لكنّها غير حاضرة عنده ولا ملتفت إليها ومرة يكون حاضرة عنده وملتفت إليها، والظاهر أنّ علوم النبيّ والأئمّة من الأخيرة. نعم، قد لا يلتفتون إلى معلوماتهم لاستغراقهم في بحار العبوديّة، ومنه استغراق أمير المؤمنين عليه السلام بإخراج النبل من عقبه في صلاته، وأكل الرضا عليه السلام للعنب على وجه وفيه وجوه اخر، وعدم التفات السجّاد عليه السلام إلى احتراق بيته، ووقوع ابنه الباقر عليه السلام في البئر، ولذع الشيطان لاصبع رجله في صلاته على وجه وفيه وجه آخر هو الاحساس والتحمّل، ومنه غشيان النبيّ صلى الله عليه وآله عند الوحي. وقد اتّفق مثل عدم هذا الالتفات والاحساس لبعض العشّاق المجازات. وفيهم حكايات كثيرة كما في قطع نسوة مصر لأيديهنّ وعدم إحساس شهداء كربلاء لألم الحديد.

وبالجملة: عدم إحساس كلّ مشغول القلب المفرط لفرح مفرط أو دهشة

---

(١) رسائل الشريف المرتضى: ج١ ص٢٨٠ المسألة ١٨.

أو هم وهكذا كثير ، وفيه أحكام فقهيّة كما في المكره المدهوش . وهنا إشكال هو أنّه كيف أحسّ أمير المؤمنين عليه السلام بالسائل في صلاته وتصدّق عليه بخاتمه ، ويخطر بالبال وجوه في دفعه :

الأول: أنّ الاستغراق في الشيء لاينافي الشعور بمتعلّقاته وإنّما ينافي الالتفات إلى منافياته ومضاداته ، فأمير المؤمنين عليه السلام كان مستغرقاً في العبادة شخصاً ونوعاً فكما أنّه التفت إلى أجزاء صلاته فكذا إلى التصدق ،وكذا قطع النسوة لأيديهنّ إذ قد التفتن إلى قطع الاترج ، وكذا شهداء كربلاء التفتوا إلى الجهاد وإنّما لم يحسّوا بألمه.

الثاني : أنّ أعلى مراتب عدم الالتفات الغفلة التامّة ، لكن حضور القلب شيء آخر وهو الواجب في العبادة، وإن شئت قلت: اللازم هو الحضور للفعل ومتعلّقاته والغفلة التامّة لما ينافيه يضاده فتغفّل كذلك ، ومن هنا التفت إلى السائل وأشار إليه بالخاتم وغفل ولم يحسّ بألم إخراج النبل .

الثالث: هو أنّ الله سبحانه وتعالى يؤيّدهم في الراجحات ويصيّرهم ملتفتين إليها بخلاف الأجنبيّات، ومن هنا أشعره عليه السلام بالسائل دون ألم النبل ،وأشعر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بمواقيت الصلاة عند اشتغاله بمحادثة زوجاته ، وغير ذلك .

الرابع : أنّ الالتفات إلى أشياء متعددة يمكن في حاسّة واحدة ومتعددة كمن يبصر اموراً متعددة أو يبصر و يسمع بها ، ففي تعدد الأسباب الظاهريّة والباطنيّة بالأولى فلم يلتفت عليه السلام ظاهراً وأحسّ بالتأمّل بأسباب باطنيّة كما أنّهم يرون من خلفهم ومن قدامهم، فإذا لم يروا شيئاً بالبصر لاينافي الرؤية من خلفهم وكذا في سائر الظواهر والبواطن . والتحقيق : أنّ شعور أبدانهم أكمل وأتمّ من شعور أرواحنا، ومن هنا كان رأس الحسين عليه السلام على الرمح يقرأ سورة الكهف كما ظهر منه وغيرها من المعجزات . ولأبداننا أيضاً شعور لكنّا لا نعقله ، ولذا يشهدون عند الله يوم القيامة .

وبالجملة: يتساوى يقظتهم ونومهم وحياتهم وموتهم يرون من خلفهم كما عن قدامهم فيمكن الاحساس بشيء من جهة وصرف النظر وعدم الالتفات من جهة اخرى، فهم عين الله الناظرة لكن في ظاهر التكليف هم مثلنا، فافهم.

فإذا عرفت ماذكر فاعلم أنّ الحقّ علمهم بالفعل بجميع الأشياء وإن لم يلتفتوا ببعضها في بعض الأحوال ولو شاؤوا والتفتوا لحضر عندهم، وظاهر بعض أصحابنا أنّ علمهم ملكي لو شاؤوا وأرادوا لحصل العلم الفعلي لهم، والصواب ماذكرناه وتوقّف بعض المعاصرين الأتقياء في الأمرين ونحن قد وجدنا الحقّ حاضراً عندنا والله المشكور، وحكم الأحكام والموضوعات مساوٍ عندنا، وللمخالف فرق فصاروا إلى العلم الفعلي في الأحكام و الملكي في الموضوعات أو توقّفوا في الثاني، فافهم والله العالم والمشكور.

في عدة من الأخبار من طريق الطائفتين العامّة و الخاصّة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: أنا مدينة العلم وعليّ بابها [1] وفي بعضها الحكمة [2] بدل العلم، وفي التعبير بالمدينة إشارة إلى تعدد صنوف العلم و بيوتها، و في جعل نفسه نفس تلك المدينة تنبيه على كونه مجمع العلوم، و في عدم تقييدها بتلك الامة إرشاد إلى أنّ كلّ علم يفاض على كلّ أحد من نبيّ وملك وغيرهما فإنّما يؤخذ منه صلى الله عليه وآله وسلم وبواسطته و ببركته، و في جعل عليّ باب تلك المدينة تنصيص على أنّ علومه صلى الله عليه وآله وسلم أودعها عند الوصيّ عليه السلام ولا توجد عند غيره و كذا سائر الأوصياء، فكلّ من يرجع إلى الجبت والطاغوت ويأخذ العلم من غير الوصيّ وأوصيائه فهو ضلال وشبه وليس نوراً ينفع، فالوجود التكويني والتشريعي وجميع الفيوضات في جميع العوالم والنشآت فيما مضى ويأتي المفاض على كلّ أحد من الأنبياء والملائكة وغيرهم إنّما يفاض أولاً عليه صلى الله عليه وآله ثمّ على عترته الطاهرين ثمّ على غيرهم من القوابل

(١) كنز العمال: ج١١ ح٣٢٩٧٩.
(٢) كنز العمال: ج١١ ح٣٢٨٨٩.

بحسب استعداداتهم بواسطتهم وبركتهم عليهم السلام و علّمهم الله سبحانه وتعالى ذلك وعلموه وأيقنوا به وإن كان بعضهم مثل جبرئيل عليه السلام و الأنبياء مرسلاً إليه صلى الله عليه وآله وسلم ومبلّغاً عليه من الله تعالى في مقام تنزله صلى الله عليه وآله وسلم و رسالته كما اعترف به جبرئيل عليه السلام ليلة المعراج.

اگر یك سر موی برتر پرم فروغ تجلّي بسوزد پرم

وتوضيح المقام: أنّ له صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة مقامات ومراتب من التخلّي والتفرغ إلى الله سبحانه وتعالى والتمتّع بلذيذ مناجاته، وهذا المقام لا يسعه غيرهم صلوات الله عليهم وهو أشرف مقاماتهم، ثمّ بعده التنزل إلى مقام الرسالة والامامة ثمّ مقام المعاشرة وتعاطي المباحات الدنيوية وإن كان صدورها منهم صلوات الله عليهم بنيّة القربة وعبادة واستغفارهم عليهم السلام منزل على ذلك التنزل عن أشرف مقاماتهم المذكور على وجه. وفيه وجوه اخر أيضاً، فعلمهم عليهم السلام من الله تعالى بلا واسطة أحد لا ينافي أخذه من الرسل وبواسطته في مقام الرسالة وأخذ الملائكة منهم صلوات الله عليهم وبتعليمهم ولو بوسائط، وفي هذا الأخذ من الملائكة تتميم لمراتب الرسالة ونوع إكرام لهم عليهم السلام كما في إرسال الملائكة إلى وليّ الله في الجنّة ودخولهم عليه من كلّ باب وتبليغ سلام الله إليهم فلم يبق ملك مقرب ولا نبيّ مرسل إلّا أنّه عرفهم جلالة أمرهم وعظم خطرهم وكبر شأنهم وتمام نورهم وثبات مقامهم وصدق مقاعدهم وخاصّتهم لديه سبحانه وقرب منزلتهم منه وكونهم أفضل الخلائق و أقربهم منزلة من الله تعالى وإن ارسل بعضهم إليه في مقام الرسالة والامامة وتحمّل الوحي والتبليغ إليهم صلوات الله عليهم فلهم مقامات مقام التكليف الظاهري، فهم مثلنا في ذلك يزوجون من المنافقين ويتزوجون المنافقات ويتيمّمون عند العجز عن الطهارة المائيّة وهكذا إلّا نادراً كما في الخواصّ، ولا يستعملون علمهم الباطني ولا قدرتهم الملكوتيّة إلّا أحياناً فيما أمر الله تعالى به. ومقام التكوين وإيصال الفيوض إلى القوابل وفيه

كلّ المخلوقات لله سبحانه وتعالى ولهم خاضعون مطيعون لاعصيان لهم فيه وهو مقام الامامة والولاية المطلقة، حتّى أنّ أعداءهم إنّما ظلموهم وغصبوا حقّهم بما أقدرهم الله عليه بواسطتهم «يابن آدم بنعمتي قويت على معصيتي»[1] حتّى أنّ المنكر لله تعالى ولهم إنّما صدر منه الانكار بلسان خلقه تعالى فيه لطاعته وذكره وبقلب كذلك وهكذا. ولو منع الله تعالى فيضه عنهم ومنعوا كذلك لم يقدروا على الانكار ولم يحتاجوا في الصرف عنهم إلى جهاد وقتل، بل لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم الخبيثة بمجرد صرف نظرهم عنهم وكفّهم، فافهم.

وهنا امور كثيرة ينبغي التنبيه على بعضها:

الاول: ألحق بعض من لم يجعل الله له نوراً أو خرج من النور إلى الظلمات بهذا الحديث الشريف أنّ فلاناً سقفها وفلاناً محرابها. وأنت خبير بوضوح الكذب والاختلاق في هذا الالحاق إذ لا سقف للمدينة ولا محراب وإنّما الأول للبيت والثاني للمسجد. مع أنّ ما الحق لا ينفعهم، إذ قد أمر الله سبحانه وتعالى بإتيان البيوت من أبوابها لا من ظهورها أو سقفها أو محرابها، فافهم. فيردّ هذا الملحق كتاب الله تعالى ويبيّن كذبه، وأيضاً خلو النصوص من طريق الطائفتين عنه، وقد كثر الكذب في زمان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى أنّه صعد المنبر وأخبر بها وأشار إلى العلاج بعرض ما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكتاب والسنّة والأخذ بما وافقهما ورفض ما خالفهما فهذا منه، فالمخالفة يعمّ نفي الكتاب والسنّة وخلوهما منه وإن لم يشمل الساكت وهذا من الأول لا الثاني إذ يعلم من اقتصار ما ورد على الخالي منه على عدمه. ونظائر ما ذكر من الأحاديث المكذوبة كثيرة اعترف محقّقوهم بكذبها واختلاقها عن أصلها أو ما انتحلوا من تأويلها مثل قوله عليه السلام: لا تجتمع امّتي على الضلالة[2] فتشبّثوا به على حجّيّة نفس الاتّفاق والاجماع

(١) بحار الانوار: ج٧٣ص٣٦٥ وفيه «تستعين به» بدل «قويت».
(٢) كنز العمال: ج١٢ ص١٥٦ ح٣٤٤٦١ مع اختلاف يسير.

من حيث هو ، وقد بيّن بقوله : لا يزال طائفة من امّتي على الحق [١] أنّ المراد عدم اتّفاق جميع الامّة على الضلالة لوجود المعصوم عليه السلام فيهم في كلّ زمان كما قاله أمير المؤمنين عليه السلام فيما روى في نهج البلاغة أو لكون طائفة منهم على الحقّ كما أفصح عنه صلى الله عليه وآله فيما ذكر ، وكما قاله أمير المؤمنين عليه السلام للأول بعد ماعدّ عليه مناقبه ونصبه رسول الله و التنصيص بإمامته وخلافته واعترف به ثمّ اعتذر بأنّ الامّة اجتمعوا عليّ فعلمت أنّي وإيّاهم على الحقّ لقول رسول الله صلى الله عليه وآله لا تجتمع امّتي، الحديث. فردّ عليه السلام عليه: ألست من الامّة؟ أليس سلمان ومقداد وعمّار وحذيفة وعبّاس و بنو هاشم من الامّة؟ فاعترف بخطئه ووعده عزل نفسه بمجمع المهاجرين والأنصار ولم يف به بإغراء أخيه وخليله [٢] وفسّره العسكري عليه السلام بما مرّ من تميّز الأخبار الصدوقة والمزورة بالعرض على السنّة المتّفق عليها وهو يرجع إلى ما تقدم من البيان ولا ينافيه .

وبالجملة: الكذب يشمل كذب الأصل والتحريف وكلاهما يعلمان بالأمرين وبسائر القرائن بناءً على قصد التمثيل والارشاد منهما لا الحصر كما هو الأظهر، فأعداؤهم ومخالفوهم بين كذوب مفترٍ وراوٍ غير واعٍ وعامل بالآراء والمقائيس والكلّ ضلال وموجب للاضلال وخلاف الحقّ .

وأمّا ماروي عنه عليه السلام من قوله صلى الله عليه وآله : اختلاف امّتي رحمة [٣] فالمراد إمّا ماذكر من عدم الاجتماع على الضلالة وشمول رحمة الله تعالى بواسطة الطائفة المحقّة، أو الاختلاف إلى مجالس العلم والذكر والجماعات والمساجد ونحوها، أو الاختلاف وعدم الاجتماع على المعاصي وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمتى لم يجتمعوا على عصيان الله سبحانه و تعالى بعصيان بعضهم و المداهنة من آخرين

(١) كنز العمال : ج١٢ ص١٧٩ ح٣٤٥٦١ .
(٢) الاحتجاج : ج١ ص١٥٧ .
(٣) كنز العمال : ج١٠ ص١٣٦ ح٢٨٦٨٦ .

يرحمهم الله تعالى .

و يكشف عنه ما رواه في العيون عن الرضا عليه السلام : لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا فإذا استووا هلكوا [١] ويمكن الحمل على الاختلاف و التعب والاجتهاد ومغفرة خطائهم. وفي الكتاب «ولا يزالون مختلفين * إلّا من رحم ربّك و لذلك خلقهم» [٢] فالمراد أنّه خلقهم ليرحمهم بإيراد التكاليف عليهم وعملهم بالصالحات، وفي بعض تفاسير العامّة[٣] جعل المشار إليه الاختلاف، وهو مدفوع بضوابط المحاورات العرفيّة من رجوع الاشارات و الضمائر إلى الأقرب أو ما يعمّه و الأبعد لا إلى الأخير خاصّة .

الثاني : اعلم أنّ الله سبحانه و تعالى عالم بذاته المقدسة بذاته المقدسة ، فالعلم والعالم والمعلوم واحد، و كذا يعلم ماسواه بذاته من غير فرق بين الموجودات والمعدومات ، يعلم الأشياء قبل وجودها وبعدها ، و ليس علمه زائداً على ذاته أو صفة زائدة على ذاته قديمة أو حادثة و لا بحصول الصورة و لا بالأسباب بل يعلم الأسباب و المسبّبات على نحو واحد. وتخيّل بعض المعاصرين أنّ علمه بالأشياء بعد وجودها بعلم حادث ، و كذا الحال في السمع والبصر ، و أنّه قبل وجودها لا علم له بها إذ لاشيء يعلمه. و كلاهما باطلان وإن أوهمها بعض النصوص المتشابهة. وقالت الفلاسفة : لا علم له بالأشياء بعد وجودها أيضاً للزوم التغيّر فيه بتغيّرها وتبدلها . وفساده واضح ، إذ علمه بها بذاته لا بعلم زائد ليلزم ما ذكر، كما أنّ بتبدل علومنا والمعلومات لا يتغيّر معه ذواتنا. وأمّا ما ذكره المعاصر المشار إليه فهو فاسد أيضاً والنصوص الموهمة هي ...

الثالث : علم النبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام مثل علمنا بالأسباب وبصفة زائدة

---

(١) عيون أخبار الرضا : ج٢ ص٥٣ .

(٢) هود : ١١٨و١١٩ .

(٣) تفسير ابن كثير : ج٣ ص٥٨٦ .

على ذواتنا حادثة، لكن لهم عليهم السلام علمان فما بالأسباب الظاهرية مورد التكليف مثلنا وما بالأسباب الباطنية ليس من موارد التكليف إلّا نادراً إذا اقتضته مصلحة، وكذا الحال في قدرتهم في جميع ما ذكر على نحو سواء، ولا يعلمون كنه ذات الله المقدسة مثلنا، فهو من علم الغيب لا يعلمه إلّا الله سبحانه وتعالى. وكذا العلم بغير سبب يختصّ به الله سبحانه وتعالى فهو من علم الغيب أيضاً، وأمّا الغائب عن حواسّنا فهم يعلمونه بأسباب باطنيّة من وحي وإلهام وتوسّم وبالجفر والجامعة ونحوها، فهذا الغيب يعلمونه بتعليم الله. والعلم بكنه ذاته المقدسة وإن استحال في حقّ المخلوقات بأجمعهم لكن كلّ أحد له علم به سبحانه وتعالى بوجه، فالله سبحانه وتعالى احتجب عن العقول والأبصار لكن يعلمه كلّ أحد بوجه. والتوضيح في الأمر الآتي، فنقول وبالله التوفيق.

الرابع: اعلم أنّ الله سبحانه ضرب حجباً وسرادق بينه وبين خلقه، فلا يرى بالأبصار وهو يدرك الأبصار، وتخيّل بعض للرؤية باطل واضح، وكذا لا تدركه البصائر والعقول، وهذا الحجاب حجاب قديم نفس من ذاته المقدسة ويعمّ المخلوقات، وكلّ من خرق حجاباً يقع في حجاب أعظم حتّى يصل إلى معدن العظمة ويصير معلّقاً بعزّ قدسه، فغاية المعرفة التحيّر وتيقّن العجز وكذا الحال في العبادة اللائقة به سبحانه وتعالى والشكر.

وبالجملة: هذا مقام قاربي قوس «وقاب قوسين» الوجوب والامكان والقدم والحدوث وتعمّ الخلائق أجمعين، قال عليه السلام: سبحانك ماعرفناك حقّ معرفتك [١] وما عبدناك حقّ عبادتك [٢] وقال أمير المؤمنين عليه السلام: وأنر أبصار قلوبنا إلخ [٣] وقال بعض العرفاء:

---

(١) لم نعثر عليه وانما فى البحار : ج٣ ص١٣ ح ٣٢ «ما عرفوا الله حق معرفته».
(٢) الصحيفة السجادية :الدعاء الثالث ص٣٥ .
(٣) مفاتيح الجنان: المناجاة الشعبانية .

دل در طلب بزم توصد شمع بر افروخت
وين طرفه كه بر روى توصد گونه حجابست

لكنّه يعرفه كلّ أحد بحقائق الايمان كما قال لذعلب اليماني [١] وقال مولانا الباقر عليه السلام : كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه [٢].

آنچه پيش توغيراز آن ره نيست غايت فهم تست الله نيست [٣]

ديشب گله زلفش با بادصبا گفتم گفتا غلطى بگذر زين فكرت سودائى

وقال عليه السلام : توحيده ـ الخ إنما تحدّ الأدوات إلخ [٤].

الخامس : قد ذكرنا أنّهم عليهم السلام عالمون قادرون لكنّهم عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، وإذا امروا بشيء من الباطن يظهرونه كما قال السجّاد عليه السلام .

السادس : قد قلنا إنّهم عليهم السلام حاضرون ناظرون وهو يعمّ جميع الأحوال والموارد ، وأنكر السيّد حضور النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عند المحتضرين لاستحالة كون جسم واحد في أمكنة متعددة [٥] وفيه: أنّه يمكن كونهم عليهم السلام في مركزهم ومقامهم والانكشاف عند جميع المحتضرين كمافي رؤيةالشمس لأهل الأرض،فالمراد من الحضور الانكشاف كما في الأجنّة يظهرون لواحدمن أهل المجلس دون الباقين منهم ، مع أنّ الحضور لأجمهم يمكن بالجسد المثالي كماقاله بعض وتعدده لبعض، أو بالتمثيل كما قاله بعض آخر ،و ليسا من التناسخ في شيء ، لكن ما ذكره أولاً أصوب .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٧٩ ص٢٥٨ .
(٢) المحجة البيضاء : ج١ ص٢١٩ .
(٣) الكشكول البهائى : ج٢ ص٣٠٢ .
(٤) نهج البلاغة : الخطبة١ ص٣٩ والخطبة١٨٦ ص٢٧٣ .
(٥) رسائل الشريف المرتضى:ج١ ص ٢٨١ .

السابع : قد علم ممّا حكيناه عن السيّد و المجلسي ـ رحمهما الله ـ أنّ المسألة من القطعيّات بل علم أنّ من عرف حقيقة الامامة يقطع بما ذكر، لكن كونها من ضروريّات المذهب مشكل بل منتفٍ وإن لم يبعد بملاحظة نشر الأخبار وتكامل العلوم والشرايع، فإنّ ضروريات الدين والمذهب تختلف باختلاف الأشخاص والأزمنة.

الثامن : بعد ما عرفت جميع ما ذكر من كونهم عليهم السلام حاضرين ناظرين فاعلم أنّ عدم استعمالهم لعلمهم له أسباب من عدم تعلّق التكليف به و باختصاصه بالعلم الظاهري و من عدم الالتفات كما في كلّ مشغول القلب لهمٍّ مفرط أو فرح كذلك، ومن ذلك حكاية الأمير عليه السلام في غزوة حنين ، بل ذلك يجيء في الأسباب الظاهرة كما في شهداء كربلاء و كما في السجّاد عليه السلام في احتراق بيته ووقوع الباقر عليه السلام في البئر ونحو ذلك، وهذا مشاهد في العشّاق فلا يحسّون بالألم ولا يأكلون أيّاماً ومن هنا صوم الوصال له عليه السلام ولموسى في أيّام مناجاته.

وهنا إشكال، كيف أحسّ عليّ عليه السلام بالسائل وتصدق بخاتمه في صلاته؟ ويمكن التفصيل بجواز أن يشعره الله تعالى و يؤيّده في هذا الحال بما يرجع مآله إلى العبادة، كما في التصدق وكما روت امّ سلمة والعايشة أنّه كان يحدثهما و بين ما يرجع إلى النفس واستراحتها كما في غزوة حنين.

التاسع : من أسباب الأمر والاذن وعدمهما التعلّق بالنفس والغير كما في إخراج الحسين عليه السلام الحمّى من بدن بعض أحبّائه والأمير عليه السلام من بدن الرسول ودفع الرمد من عين عليّ عليه السلام . ومنها العقوبة والشماتة فبظلم من الّذين هادوا وكما فيما روي من السجّاد عليه السلام و كما في الأشجار وعدم الثمر . ومنها إتمام الحجّة كما في غزوة خيبر، وهكذا. وبالجملة المصالح للاظهار نشره، وكما في إظهار النبيّ صلى الله عليه وآله لأولاد الزنا وغيرهم عند غضبه ، وهكذا .

العاشر : لأسمائهم تأثيرات .

فهذه عشرة كاملة .

تنبيه :

قوله عليه السلام : لولا آية في كتاب الله «يمحوا الله ما يشاء» إلى آخره[1] يحتمل أنّه لا علم لهم بما في لوح محفوظ بل يختصّ علمهم بما كتب في لوح المحو والاثبات، والمكتوب فيه يحتمل امور كلّ سنة خاصّة أو كلّ الامور. ويدفع الأول العموم فيه إلى يوم القيامة، ويؤيّد الاحتمال المزبور قوله تعالى «وعنده ... إلخ» و حينئذٍ يكون ما في اللوح المحفوظ من علم الغيب الذي لا يعلمه غير الله . و يدفعه ما في الأخبار في كثير من الامور بأنّه من الأمر المحتوم مثل خروج دجال و الرجعة و نحوهما ، و الحقّ أنّهم عليهم السلام يعلمون ما في اللوحين ما يطرأه المحو ومايصون من المحو ، و العلم بذلك على التفصيل و هو يستلزم للعلم بما في امّ الكتاب و حينئذٍ عدم الاخبار لأنّ الاخبار موهم للكذب على الله وتكذيبه والكذب عليهم . و بيان ذلك أنّه لو أخبر بما في اللوح المحفوظ و هو مخالف لما في لوح المحو والاثبات ، فمن شاهد مافي لوح المحو والاثبات توهّم كذبه و كذب الله سبحانه فيما أظهره في لوح المحو والاثبات، ولو أخبر بما في لوح المحو والاثبات مع الاخبار باحتمال المحو يلزم عدم الثمر إذ المرجع إلى احتمال ما أخبر وعدمه وهو حاصل قبل الاخبار[2] توهّم كذبه فيمايظهر ويتبيّن مخالفاً له، ولو اخبر بما فيهما معاً يلزم التطويل بلا طائل إذ لا ثمر لهذا الاخبار ، بخلاف العلم المجمل بالمحو فإنّه يثمر هذا البداء في الشوق و الميل الى العبادة ، وهذا وإن كان حاصلاً في الاخبار التفصيلي أيضاً لكنّ الفرض عدم ثمر لهذا الاخبار التفصيلي لحصوله في العلم المجمل . فهذا سرّ عدم الاخبار لا أنّه لعدم علمه عليه السلام بمافي اللوح المحفوظ .

والتوضيح : أنّ الواجب المشروط المعلّق وجوبه على شيء ليس بواجب على

---

(١) الرعد : ٣٩ .

(٢) كذا ، و الظاهر سقوط بعض الكلمات من هنا .

الحقيقة قبل حصول المعلّق عليه وإن صحّ إطلاق الواجب عليه حقيقة بملاحظة حال التلبّس، وحينئذ لا وجوب قبله ولا يجب تحصيل شرط الوجوب ولا سائر المقدمات الوجوديّة، فلو علم تحقّق الشرط تحقّق الوجوب، ولو علم انتفاؤه انتفى الوجوب، و مع الشك لا وجوب بخلاف المانع، فينتفي الوجوب مع الشكّ بالشرط و يثبت الوجوب مع الشكّ في المانع عملاً بالأصل فيهما. هذا إذا أخذنا فيهما الوجوديّة، ومع التعميم ينعكس الأمر إذ مع الشكّ في أمر عدمي يثبت ذلك الأمر، ففي الشرط يحرز بالأصل فيجب المشروط ، و مع الشكّ في المانع يحرز المانع فلا يجب المشروط ، ومع الاختلاف بأن يكون أحدهما وجوديّاً والآخر عدميّاً يختلف الأمر. و كذا الواجب المعلّق، فمع العلم بالمعلّق عليه يجب الاقدام ومع العلم بعدمه وتبينه يرتفع التكليف ومع الجهل يجب الاقدام مراعى بتبيّن الحال، فإن تبيّن الوجود تبيّن استقرار التكليف ، و إن تبيّن العدم انكشف عدمه من الأول و حينئذ نقول: القدرة في الابتداء شرط و في الاستدامة أيضاً شرط لكنّه من شرائط التعلّق ابتدائة واستدامة، و كذا الحال في كلّ سائر الشرائط العقلية نظراً إلى ورود الخطاب، وغاية اقتضاء العقل شرطيّتها يجعلها مراعى لامشروط بخلاف الشرائط الضابطيّة. و من هنا تبيّن أنّ السرّ في وجوب الاقدام عند الجهل لكون الواجب معلّقاً لامشروطاً لا أنّه لما ذكره الاستاذ، وهو واضح.

ثمّ الأمر ينوط بالواقع لا الزعم، فلو زعم القدرة و تبيّن العدم لا أمر، ولو انعكس انعكس. ولو اختلف الآمر والمأمور في الاعتقاد، فإن اعتقد الآمر وجود الشرط وأمر واعتقد المأمور عدمه ففي وجوب الاقدام وعدمه وجهان والأقوى وجوب الاقدام، ولو انعكس الأمر بأن اعتقد الآمر انتفاء الشرط واعتقد المأمور وجوده وأنّه لو علم الآمر به لأمر فالحقّ حينئذ عدم الأمر إذ لا ينفع التكليف المقدر.

ثمّ إنّ الواجب المعلّق قد يعلّق بأمر غير اختياري للمكلّف كالقدرة وعدم النسخ ونحوهما، وقد يعلّق بأمر اختياري كعدم السفر ونحوه. وقد يعلّق بأمر متأخّر

وقد يعلّق بأمر مقارن، والكلّ صحيح . وقد جعل الاستاذ العلاّمة ـ قدس سره ـ صحّة المأمور به مع حرمة الضدّ من هذا القبيل فقال بحرمة الضدّ المتوقّف على ترك المأمور به الموسع وبصحّة المأمور به على تقدير ارتكاب الضدّ المحرم. والظاهر فساده لبقاء حرمة الضدّ حينئذٍ فلايعقل معه الأمر بالمأمور به. نعم، يصحّ ذلك، فيما لو سقطت الحرمة كما في الكفّارات فيقول الآمر : لاتزن و إن زنيت تجب عليك الكفّارة الكذائيّة. و كذا الحال فيما لو انحصرت المقدمة بالمحرمة وكانت حرمتها أهمّ من وجوب ذيها ، كما لو انحصر طريق الحجّ بالمغصوب فيسقط وجوب الحجّ حينئذٍ ، لكن لو ارتكب الغصب ومشى إلى المناسك يبقى وجوب الحج حينئذٍ ، إذ لادليل على رفع الوجوب كلّيّاً بل يصير نوعين فيسقط عند بقاء الحرمة ويثبت عند ارتكاب المحرم بخلاف المقام لثبوت الحرمة مطلقاً ، فلايعقل تكليف بالمأمور به باجتماع الضدين ، ولاينفع مجرد التقدير بنوعين ، إذلاتعدد في الواقع بل النوع واحد و مع ثبوت الحرمة لايعقل ثبوت الوجوب، فليتفطّن لذلك ، والله المشكور .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

روى الشيخ الصدوق ثقة الاسلام والمسلمين عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه سيد الشهداء عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من عرف الله وعظمه منع فاه من الكلام وبطنه من الطعام وعنّى نفسه بالصيام والقيام، قالوا: بآبائنا وامهاتنا يارسول الله هؤلاء أولياء الله ، قال : إن أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم فكراً وتكلموا فكان كلامهم ذكراً ونظروا فكان نظرهم عبرة ونطقوا فكان نطقهم حكمة ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة، لولا الآجال التي قد كتبت عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب وشوقاً إلى الثواب [1] .

بيان ما لعله يحتاج إلى البيان في هذا الحديث الشريف : «من عرف الله» قال الشارح الشيخ بهاء الدين العاملي ـ قدس سره ـ: قال بعض الأعلام: أكثر ما تطلق المعرفة على الأخيرة من الادراكين للشيء الواحد إذا تخلل بينهما عدم ، بأن أدركه أولاً ثم ذهل عنه ثم أدركه ثانياً فظهر له أنه هو الذي كان قد أدركه أولاً، ومن

---

(١) الاربعين للشيخ البهائي : ص١٣ ح٢.

هنا سمّي أهل الحقيقة بأصحاب العرفان لأنّ خلق الأرواح قبل خلق الأبدان كما ورد في الحديث وهي كانت مطّلعة على بعض الاشراقات الشهوديّة مقرة لمبدعها بالربوبيّة كما قال سبحانه: «ألست بربّكم قالوا بلى» [1] لكنّها لالفها بالأبدان الظلمانيّة و انغمارها في الغواشي الهيولانيّة ذهلت عن مولاها ومبدعها فإذا تخلّصت بالرياضة من أسر دار الغرور ترقت بالمجاهدة عن الالتفات إلى عالم الزور تجدد عهدها القديم الّذي كاد أن يندرس بتمادي الأعصار والدهور وحصل لها الادراك مره ثانية وهي المعرفة الّتي هي نور على نور [2] انتهى .

و قد صرح باستدعاء المعرفة لسبق الجهل جمع و جعلوه الفارق بينها وبين العلم، قالوا: ومن ذلك لا يقال لله تعالى عارف ويقال له عالم. وقد يفرق بينهما بفرق آخر أيضاً هو أنّ العلم يتعلّق بالنسب أي وضع لنسبة شيء إلى آخر ولهذا يتعدى إلى المفعولين بخلاف المعرفة فإنّها وضعت للمفردات ويتعدى إلى مفعول واحد، تقول : علمت زيداً قائماً وعرفت زيداً . وقد تطلق المعرفة على الادراك الجزئي والبسيط والعلم على الكلّي أو المركّب ولذا يقال : عرفت الله دون علمته .

وفي المقام قد اطلق كلّ من لفظي العلم والمعرفة في الآيات والأخبار كثيراً وإطلاق العلم لعلّه بالمعنى الثاني والمعرفة بالمعني الثالث ، وأمّا إطلاق المعرفة بالمعنى الأول فغير صحيح هنا و في أمثاله من المقامات العامّة للمعصومين عليهم السلام ولا سيّما نبيّنا والأئمّة عليهم السلام إذ القول بإدراك الذهول إيّاهم غاية الجسارة ، وإن أمكن توجيهه بارتكاب نحو تجوّز في الذهول أو القول بحصول الترقيات لهم أيضاً في هذه النشأة حتّى شاهدوا ماشاهدوها في عالم الأرواح وإن لم يكن ذهلوا عنها بالمرة، فتدبّر .

ثمّ إنّ ما ذكرنا من كون إطلاق العلم بالمعنى الثاني لأنّ المراد بمعرفة

(١) الاعراف : ١٧٢ .
(٢) الاربعين للشيخ البهائي: ص١٤ ذيل ح٢ .

الله تعالى الاطّلاع على نعوته وصفاته الجماليّة والجلاليّة بقدر الطاقة البشريّة لا الاطّلاع على حقيقة الذات المقدسة وكنهها ، إذ لا مطمع في ذلك للأنبياء المرسلين والملائكة المقربين فضلاً عن غيرهم ، وكفى في ذلك قول سيّد البشر : ما عرفناك حقّ معرفتك . ولا ينافيه قول أمير المؤمنين عليه السلام : لو كشف الغطاء لما ازددت يقيناً ، إذ النبيّ صلى الله عليه وآله ينفي البلوغ الى بلوغ مرتبة معرفة الذات المقدسة، والأمير عليه السلام لم يدعه وإنّما ادعى الوصول إلى نهاية ما هو قابل للوصول إليه بحيث لو رأى بالعين لم يزد عليه ، ومن هذا علم عدم الاحتياج في دفع التنافي الى الوجوه التي ارتكبها الأصحاب ـ رحمهم الله ـ وفي الحديث: إنّ الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وأنّ الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم. فلا تلتفت إلى من يزعم أنّه قد وصل الى كنه الحقيقة المقدسة بل احث التراب في فيه فقد ضلّ وغوى وكذب وافترى ، فإنّ الأمر أرفع وأطهر من أن يتلوث بخواطر البشر ، وكلّ ما تصوره العالم الراسخ فهو عن حرم الكبرياء بفراسخ ، وأقصى ما وصل اليه الفكر العميق فهو غاية مبلغه من التدقيق ، وما أحسن ماقال :

آنچه پيش توغير از آن ره نيست غايت فكر تو است الله نيست

وقال أمير المؤمنين عليه السلام حيث سأله رجل عن التوحيد والعدل بأخصر عبارة وأكمل بيان فقال عليه السلام : توحيده أن لا تتوهّمه وعدله أن لا تتّهمه . بل الصفات التي ثبتت له سبحانه إنّما هي على حسب أوهامنا وقدر أفهامنا ، فإنّا نعتقد اتّصافه سبحانه بأشرف طرفي النقيض بالنظر الى عقولنا وهو تعالى أرفع وأجلّ من جميع ما نصفه به .

وفي كلام الامام أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام إشارة إلى هذا المعنى حيث قال : كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ، و لعلّ النمل الصغار تتوهّم أنّ لله زبانيتين فإنّ ذلك كمالها ،

وتتوهّم أنّ عدمهما نقصان لمن لايتّصف بهما ، وهكذا حال العقلاء ممّا يصفون الله تعالى به ، انتهى كلامه صلوات الله عليه وسلامه .

قال بعض المحقّقين : هذا كلام دقيق رشيق أنيق صدر من مصدر التحقيق ومورد التدقيق ، والسرّ في ذلك أنّ التكليف إنّما يتوقّف على معرفة الله تعالى بحسب الوسع والطاقة ، وإنّما كلّفوا أن يعرفوه بالصفات التي ألفوها شاهدوها فيهم مع سلب النقائص الناشئة عن انتسابها إليهم. ولمّا كان الانسان واجباً لغيره عالماً قادراً مريداً حيّاً متكلّماً سميعاً بصيراً كلّف بأن يعتقد تلك الصفات في حقّه تعالى مع سلب النقائص الناشئة عن انتسابها إلى الانسان بأن يعتقد أنّه تعالى واجب لذاته لا لغيره عالم بجميع المعلومات قادر على جميع الممكنات ، وهكذا في سائر الصفات ، ولم يكلّف باعتقاد صفة له تعالى لايوجد فيه مثالها ومناسبها بوجه ، ولو كلّف به لما أمكنه تعقّله بالحقيقة، وهذا أحد معاني قوله عليه السلام: من عرف نفسه فقد عرف ربّه انتهى كلامه. وقد أشار الى أكثر هذه الجملة الّتي ذكرناها الشيخ الشارح رحمه الله.[1] أدرجناها في طيّ كلماتنا بألفاظها لئلاّ يطر بها نقصان بسبب تركها ، وليجمع بين فوائد ذكرها ومايزيد عليها.وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة لعنه الله: حفظت عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : وعاءين من العلم أمّا الواحد فبثثته فيكم و أمّا الآخر فلو بثثته قطع منّي هذا البلعوم [2] . وعن أمير المؤمنين عليه السلام مشيراً الى صدره : أنّ هاهنا لعلوماً جمّة لووجدت لها حملة [3] . وقال عليه السلام أيضاً ما معناه: إنّ في صدري علماً لوأبرزته لكم لاضطربتم كاضطراب الحبل الطويل في بئر الماء العميق [4] . وعنه عليه السلام أيضاً: لوفسّرت لكم قوله تعالى: «الله الذي خلق سبع سماوات ومن

(١) شرح الاربعين للشيخ البهائي: ص١٦ .

(٢) صحيح البخارى : ج١ ص٤١ باب ٤٢ حفظ العلم مع اختلاف يسير في العبارة

(٣) نهج البلاغة : قصار الحكم ١٤٧ ص٤٩٦ .

(٤) نهج البلاغة : ص٥٢ نقلا بالمعنى .

الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن»[1] لرجمتموني[2]. وقال سيّد الساجدين صلوات الله عليه:

إنّي لأكتم من علمي جواهره	كي لا يرى الحقّ ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا أبو حسن	إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا
يا ربّ جوهر علم لو أبوح به	لقيل لي أنت ممّن يعبد الوثنا
ولاستحلّ رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا[3]

و إنّما أطنبنا في المقام لتثبت المرام وهو أنّ كلّ أحد إنّما يوصف الله سبحانه بحسب فهمه، وهو تعالى أجلّ وأعلى من جميع مايصفه الواصفون، وهو غير ما تصل إليه طامحات أوهام الأنام.

فلو قيل: فيجب لكلّ من يصفه تعالى بصفة إطلاقه وتصويبه.

قلنا: هناك طريق واضح قرر لعامّة الناس من جاوزه لابدّ من الحكم بكفره وطريق واضح من الكفر من اتّبعه يلزم تكفيره، ومن وفّقه الله لبعض دقائق الاسرار يجب عليه كتمانه ولو أبرزها لوجب تكفيره وقتله ولو كان على الحقّ في الواقع، ويحصل بذلك لهم الترقّي وارتفاع الدرجة ولمفشي السرّ انحطاط الرتبة كما قال ﷺ: لو علم أبوذر ما في قلب سلمان لكفره[4]. وفي رواية اخرى لقتله[5] إذ لو أفشى وقتله أو كفره لا يثب وعصى وهلك سلمان.

وبالجملة: فيستفاد من الأحاديث المذكورة امورات:

أحدها: ما ذكرنا.

---

(١) الطلاق: ١٢.

(٢) المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء: ج١ ص٢٦٩.

(٣) تفسير روح المعاني: ج٦ ص١٩٠ مع تفاوت يسير.

(٤) الاختصاص: ص١٢.

(٥) بحار الانوار: ج٢٢ ص٣٤٣ ذيل ح٥٢.

وثانيها وجوب كتمان السرّ.

وثالثها: تكذيب من يبدي الأسرار ويكفرها إلّا عند أهلها. وفي الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ أمرنا مستور مقنّع بالميثاق فمن هتك علينا أذلّه الله [1]

وفيه: بسنده إلى عمّار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أخبرت بما أخبرتك به أحداً؟ قلت: لا إلّا سليمان بن خالد، قال: أحسنت، أما سمعت قول الشاعر:

فلا يعدون سري وسرك ثالثاً ألا كلّ سرّ جاوز اثنين شايع [2]

وفيه أيضاً بسنده الي معلّى بن خنيس عن أبي عبدالله عليه السلام: يا معلّى، اكتم أمرنا ولاتذعه، فإنّه من كتم أمرنا ولم يذعه أعزه الله به في الدنيا وجعله نوراً بين عينيه في الآخرة يقوده في الجنّة. يا معلّى، من أذاع أمرنا ولم يكتمه أذلّه الله به في الدنيا ونزع النور من بين عينيه في الآخرة وجعله ظلمة تقوده الى النار. يا معلّى، إنّ التقيّة من ديني ودين آبائي ولادين لمن لاتقيّة له. يامعلّى، إنّ الله يحبّ أن يعبد في السرّ كما يحبّ أن يعبد في العلانية. يا معلّى، إنّ المذيع لأمرنا كالجاحد له [3]. إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة الواردة عنهم عليهم السلام بهذا المضمون، وهو يعمّ بجميع أنواع مافي الدين من الاصول والفروع بالنسبة إلى الأئمّة وغيرهم.

ثمّ إنّه قال الشارح البهائي ـ رحمه الله ـ: واعلم أنّ تلك المعرفة الّتي يمكن أن تصل إليها أفهام البشر لها مراتب متخالفة ودرج متفاوتة، قال المحقّق الطوسي ـ طاب ثراه ـ في بعض مصنّفاته: إنّ مراتبها مثل مراتب معرفة النار مثلاً فإنّ أدناها من سمع أنّ في الوجود شيئاً يعدم كلّ شيء يلاقيه ويظهر أثره في كلّ شيء يحاذيه وأيّ شيء اخذ منه لم ينقص منه شيء ويسمّى هذا الموجود ناراً، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة المقلّدين الّذين صدقوا

(١) الكافي: ج٢ ص١٧٩ ح١٥.
(٢) الكافي: ج٢ ص١٧٧ ح٩.
(٣) الكافي: ج٢ ص١٧٧ ح٨.

بالدين من غير وقوف على الحجّة . و أعلى منها مرتبة من وصل إليه دخان النار و علم أنّه لابدّ له من مؤثر فحكم بذات لها أثر هو الدخان ، و نظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة أهل النظر والاستدلال الّذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الصانع. وأعلى منها مرتبة من أحسّ بحرارة النار بسبب مجاورتها وشاهد الموجودات بنورها وانتفع بذلك الأثر ، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله سبحانه معرفة المؤمنين الخلّص الّذين اطمأنّت قلوبهم بالله وتيقّنوا أنّ الله نور السماوات والأرض كما وصف به نفسه . وأعلى منها مرتبة من احترق بالنار بكلّيّته وتلاشى فيها بجملته ، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة أهل الشهود والفناء في الله وهي الدرجة العليا والمرتبة القصوى، رزقنا الله الوصول إليها و الوقوف عليها بمنّه و كرمه ، انتهى كلامه أعلى الله مقامه .

ولا يخفى أنّ المعرفة التي تضمّنها صدر هذا الحديث هي المرتبة الثالثة والرابعة من هذه المراتب، والله أعلم، انتهى[١] .

«و عظمه» إمّا بكسر المهملة وفتح المعجمة ثمّ المهملة بعده اسم بمعنى العظمة عطف على الله سبحانه ، أو بفتح المجموع وتشديد المعجمة فعل ماض من التعظيم معطوف على جملة «عرف» و المرجع إلى واحد ولكن الظاهر هو الثاني .

«منع فاه من الكلام» إلّا بذكر الله الملك العلّام وبإفشاء الحكم بين الناس وهي ما يوجب صلاح أمر النشأتين، وغرضه صلى الله عليه وآله من الشرطيّة بيان حقيقة المعرفة والايمان والعلم والاذعان بنعوت الله سبحانه وصفاته الجلاليّة والجماليّة ليختبر الناس بها قلوبهم شفقةً ورحمةً عليهم كما روى في الكافي عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ على كلّ حقّ حقيقة وعلى كلّ صواب نوراً[٢].

(١) الاربعين للشيخ البهائي : ص١٧ .
(٢) الكافي : ج٢ ص٤٥ ح٤ .

وفيه أيضاً: عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض أسفاره إذ لقاه ركب فقالوا: السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ما أنتم؟ فقالوا: نحن مؤمنون يا رسول الله، فقال: ما حقيقة إيمانكم؟ قالوا: الرضا بقضاء الله والتفويض إلى الله والتسليم لأمر الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء، فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون ولا تجمعوا ما لا تأكلون واتّقوا الله الّذي إليه ترجعون (١).

وفيه أيضاً: عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلّى بالناس الصبح فنظر إلى شابّ في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مصفراً لونه قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقناً، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله وقال: إنّ لكلّ يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟ فقال: إنّ يقيني يا رسول الله هو الّذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتّى كأنّي أنظر إلى عرش ربّي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتنعّمون في الجنّة ويتعارفون وعلى الأرائك متّكئون وكأنّي أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون وكأنّي الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: هذا عبد نوّر الله قلبه بالايمان، ثمّ قال له: ألزم ما أنت عليه، فقال الشابّ: ادع الله لي يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ارزق الشهادة معك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر (٢).

وفيه أيضاً: عن أبي بصير عن أبي عبدالله قال: استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حارثة ابن مالك بن النعمان الأنصاري فقال له: كيف أنت يا حارثة بن مالك؟ فقال: يا

---

(١) الكافي: ج٢ ص٤٣ ح١.
(٢) الكافي: ج٢ ص٤٤ ح٢.

رسول الله صلى الله عليه وآله مؤمن حقّاً ،فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لكلّ شيء حقيقة فما حقيقة قولك ؟ فقال :يارسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت هواجري وكأنّي أنظر إلى عرش ربّي قد وضع للحساب[1] الحديث .

وأيضاً قد ذكر قوله عليه السلام : لو كشف الغطاء لما ازددت يقيناً. إلى غير ذلك .

ثمّ إنّ بيان الشرطيّة أنّ من عرف الله وآمن به وأيقن وأذن بنعوت جماله وجلاله يخشاه ويرجوه ويتّقه ورضي بقضائه وتطمئنّ نفسه بقدره فيزهد عن الدنيا وجميع ما لايحبّه الله ويحبّ ما يحبّه ويرضى به فيخوفه فيزهد ويتورع عن جميع ما كرهه الله وبرجائه يعمل بالأعمال الصالحات الموجبة لرضوانه تعالى، قال الله تعالى «إنما يخشى الله من عباده العلماء»[2] .

وفي الكافي عن الحسين بن شارة قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : لايكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون خائفاً راجياً ولايكون راجياً خائفاً حتّى يكون عاملاً ولايكون عاملاً حتّى يخاف ويرجو ولايكون خائفاً راجياً حتّى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو[3] .

وفيه أيضاً: عن أبي عبدالله عليه السلام قيل له: قوم يعملون بالمعاصي ويقولون نرجو فلايزالون كذلك حتّى يأتيهم الموت ، فقال عليه السلام : هؤلاء قوم يترجّحون في الأماني كذبوا ليسوا براجين، من رجا شيئاً طلبه ومن خاف عن شيء هرب منه[4] .

وفيه أيضاً ما يقرب منه[5] .

وفيه أيضاً: عن أبي عبدالله عليه السلام: أنّ من العبادة شدة الخوف من الله عزّوجلّ يقول الله عزّوجلّ «إنّما يخشى الله من عباده العلماء» وقال جلّ ثناؤه «فلا تخشوا

(١) الكافي : ج ٢ ص٣٤ ح٣ .

(٢) فاطر : ٢٨ .

(٣) الكافي : ج٢ ص٥٧ ح١١ وفيه اختلاف كثير .

(٤) الكافي : ج٢ ص٥٥ ح٥ .

(٥) الكافي : ج٢ ص٥٦ ح٦ .

الناس واخشون» وقال تبارك وتعالى «ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً»[١] .

وفيه أيضاً: عن أبي عبدالله عليه السلام: من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا[٢] .

وفيه أيضاً: عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال لاسحاق بن عمّار : يا إسحاق، خف الله كأنّك تراه وإن كنت لاتراه فإنّه يراك ، وإن كنت ترى أنّه لايراك فقد كفرت ، وإن كنت تعلم أنّه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك[٣] .

وفيه أيضاً: عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ «ولمن خاف مقام ربّه جنّتان» قال: من علم أنّ الله يراه ويسمع مايقول ويعلم مايعمله من خير أو شرّ فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال فذلك الّذي خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى[٤] .

وفيه أيضاً: عن أبي عبدالله عليه السلام قيل له : ما كان في وصيّة لقمان؟ قال: كان فيها الأعاجيب ، وكان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه : خف الله عزّ وجلّ خيفة لو جئته ببرّ الثقلين لعذبك. وارجو الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك ، ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام : كان أبي يقول : إنّه ليس من عبد مؤمن إلّا في قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا[٥] . إلى غير ذلك من الأخبار المذكورة فيه وفي غيره .

وبالجملة: أنّ لكلّ من الحقّ والباطل حقيقةً ونوراً وظلمةً ولا يختصّ ذلك بالحقّ، وقد رأيت إطلاق بعض الأخبار الّتي ذكرناها في ذلك، فحقيقة الحقّ

---

(١) الكافي : ج٢ ص٥٦ ح٧ .

(٢)و(٣) الكافي: ج٢ ص٥٥ ح٢و٤.

(٤) الكافي : ج٢ ص٥٧ ح١٠ .

(٥) الكافي : ج٢ ص ٥٥ ح١ .

والايمان واليقين هي ما أشرنا إلى بعضها ، ثمّ ينشعب منها شعب ويتفرع منها فروع كالتوكّل على الله والسؤال منه لا من غيره والاخلاص والعمل له والتصدق ولاسيّما في حالة الفقر والفاقة والصدق وأداء الأمانة، وبالجملة كلّ ما يكشف عن الانقطاع عن الخلق والتوجّه إلى الحقّ ، ورأس تلك الامور هي الخوف والرجاء المنبعثين في قلب المؤمن بإيمانه و يقينه فينوران قلبه فيواظب على فعل الخيرات و ترك المكروهات ويشتدّ ويضعف بحسب شدتهما وضعفهما. وإن شئت تثبيت ذلك وتوضيحه فلامثل لك بمثال ، مثلاً لو رأيت من يسمع مرات عديدة بل آلاف مرة من تصدق ليلة الجمعة بكذا أعطاه الله من الجنّة كذا و كذا وكان قادراً على التصدق و لم يتصدق و كان بخيلاً في الغاية ، لو قال له المعصوم عليه السلام ذلك و أراه الجنّة الّتي أوعدها الله على التصدق لتصدق فوراً لما أيقن بالجنّة بإبصارها المستتبعة وعدالصدق فلو كان في حالة الرؤية متيقناً بالله و بصدق قوله بلسان رسوله صلى الله عليه وآله لفعل مثل ذلك، اللّهمّ ارزقنا اليقين بك وزدنا بمحمد وآله صلى الله عليه وآله .

وأما حقيقة الباطل فهو كلّ ما يكشف عن عدم اليقين ويورث اليأس والغرور، وبالجملة كلّ ما يكشف عن الايصال إلى الدنيا والاشتغال عن الحقّ وأعظمها فتنة أعظمها رتبة كالرياء مثلاً فإنّه شرك خفي وكالسؤال من غير الله سبحانه وقرع باب غيره، إلى غير ذلك ممّا بيّنه الله سبحانه بلسان امنائه وأوليائه. ثمّ إنّ نهاية مرتبة الوصول إلى الحقّ وحصول الفنية هو سلب الهويّة وتفويض الامور على الله والتسليم له والرضا بقضائه وتقابل كلّ مرتبة من الباطل مرتبة من الحقّ إلى نهاية الدرجات، والمواظبة على المعاصي يورث ضعف اليقين شيئاً فشيئاً بإعانة إغواء الشيطان إلى أن يصل درجة الكفر ــ نعوذ بالله الغفّار منه ــ وإن شئت تفصيل المقام وشرح هذا المرام فعليك بملازمة كلام الله المجيد وأخبار أهل البيت عليهم السلام والأحاديث القدسيّة و سور التوراة و التدبّر فيها ، فإنّ الفطن الّذي شرح الله قلبه للايمان يجد بملازمتها ما هو المناط والمعيار في هذا الباب ، و أنّ الشدة و الضعف في المقامين

بحسب ماذا و يتفهّم معنى قوله عليه السلام : أفضل الأعمال أحمزها [1] فكلّ ماهو يكشف عن اليقين و الايمان بالله فله الفضل و إن قلّ ، وما ليس كذلك فلا فضل له وإن كثر ، مثلاً العمل الخالص له فضل وعدم السؤال من غير الله له فضل و الصبر على المصائب له فضل والرضا بقضاء الله و التسليم لقدره أفضل وهكذا الأحمز من كلّ نوع وأشده إخلاصاً . ثمّ إنّ هناك سؤالاً وهو أنّه على ما ذكر ونطق به صريح بعض الأخبار المذكورة و فحوى بعضها يلزم أن يكون العاصون حين المعصية إمّا غير مؤمنين بالله ولاملتفتين له أو عاديه أهون الناظرين ولا يجمع شيء من الأمرين مع أدنى مرتبة الايمان ، وعليه فيشكل الأمر .

والجواب: أنّه قد سرى ذلك إلى بعض الأوهام حتّى قال بعضهم: إن سألت عن إيمانك فاسكت لأنّك إذا أنكرت كفرت وإذا أقررت كذبت، و كنت أنا أيضاً في حيرة من ذلك حتّى هداني الله ببركة الأئمّة السادات والقادة الهداة .

قال سيّدالساجدين عليه السلام في دعاءأبي حمزة الثمالي: فلواطّلع اليوم على ذنبي غيرك ما فعلته و لو خفت تعجيل العقوبة لاجتنبته لا لأنّك أهون الناظرين إليّ وأخفّ المطّلعين عليّ بل لأنّك يارب خير الساترين و أحكم الحاكمين وأحلم الأحلمين وأكرم الأكرمين ، ستّار العيوب غفّار الذنوب علّام الغيوب تستر الذنب بكرمك و تؤخّر العقوبة بحلمك [2] وفي غيرها من الأدعية ما مضمونها فقال : إلهي ما عصيتك حين عصيتك إنكاراً بربوبيّتك و لا لأنّك أهون الناظرين عليّ ثمّ ساق عليه السلام مثل ما ذكر إلى غير ذلك .

ثمّ إنّك إذاعرفت كيفيّة كون حقيقةالايمان هي الخوف والرجاء وانبعاث سائر الأعمال و انشعابها منهما فالعارف بالله بخوفه يمنع فاه من الكلام و بطنه من

---

(١) بحار الانوار : ج٧٠ ص١٩١ ذيل ح٢ .

(٢) مفاتيح الجنان : أعمال شهر رمضان .

الطعام ، و برجائه يتعب نفسه بقيام الأعمال الصالحة و يصوم عن تشريك الغير مع الله فيها، فبالفقرتين الاولیین أشار صلى الله عليه وآله إلى جملة ماينشعب من الخوف وبالاخريين إلى ما يحصل من الرجاء ، فالمراد من ذكرها سلوك سبيل المثل أو لأنّ معظم المفاسد يحصل من اللسان و شهوة البطن ، والصوم والصلاة أفضل الأعمال الصالحة ، فالغرض الاشارة بذكرها إلى ذلك.وكيف كان فالصمت الذي ذكره صلى الله عليه وآله أولاهو أهمّ الواجبات على المكلّفين. روى في الكافي قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أوصني ، قال صلى الله عليه وآله . احفظ لسانك، قال : يا رسول الله أوصني، قال صلى الله عليه وآله : احفظ لسانك ، فقال : يارسول الله أوصني ، قال صلى الله عليه وآله :احفظ لسانك ويحك وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلّا حصائد ألسنتهم[1] .

وفيه أيضاً: عن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّما شيعتنا الخرس[2].

و فيه أيضاً : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال لقمان لابنه : يا بنيّ إن كنت زعمت أنّ الكلام من فضّة فإنّ السكوت من ذهب[3] .

وفيه أيضاً : عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :نجاة المؤمن حفظ لسانه[4] .

و فيه أيضاً : عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ « ألم تر إلى الّذين قيل لهم كفّوا أيديكم » قال : يعني كفّوا ألسنتكم[5] و لعلّ في التعبير عن اللسان باليد إشارة إلى سرعة ترتّب مفاسدها وملازمته لها .

وفيه أيضاً : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما من يوم إلّا و كلّ عضو من أعضاء الجسد يكفر للّسان يقول: نشدتك الله أن نعذب فيك[6] والمراد بالتكفير هنا الخضوع إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة .

هذا ، ولكن لابدّ أن يستثنى من ذلك إكثار الكلام في ذكر الله و إلقاء

---

(١) و(٦) الكافي : ج٢ ص٩٤ ح١٤ و١٢ .

(٢) الكافي : ج٢ ص٩٢ ح٢ .

(٣)و(٤)و(٥) الكافي: ج٢ص٩٣ح٦و٩و٨ .

الحكم والعظات والنصايح وإفشاء شعار الاسلام والسؤال لتعلّم العلوم الدينيّة ونحوها، فإنّ إكثارها بشروطها ممدوح جداً.

فقد روى في الكافي في هذا الباب ـ أعني باب الصمت ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان المسيح عليه السلام يقول: لاتكثروا الكلام في غير ذكر الله فإنّ الّذين يكثرون الكلام قاسية قلوبهم و لكن لا يعلمون [1].

« و بطنه من الطعام » الظاهر من منع بطنه الطعام هو منعه لما يشتهيه، وأمّا ما ليس له كثير ميل إليه فليس فيه كثير مدح. ثمّ إنّي أقول على سبيل الاحتمال مستعيذاً بالله جلّ وتقدس من التفسير بالرأي: يمكن أن يكون المراد من الفقرتين من باب التأويل هو الاعراض باللسان و الجنان و الصمت عمّا سوى الله و عدم شرب البطن من عين محبّة ما سوى الله و لا إطعامه منه، والمراد من صدرها وذيلها إنّهما شديدة الانطباق على ما جرى بين طواغيت هذه الامّة وطالوتها ومن شرب الأكثر من عين محبّتهم وصبر طالوت والقليل من أتباعه والله مع الصابرين وسينتقم منهم داود هذه الامّة وسلطانهم ويقتل جالوتها وأحرقه بإذن الله عجّل الله فرجه ونوّر عيوننا برؤيته وجعلنا من أتباعه وشيعته بحقّه وبحقّ آبائه عليهم الصلاة والسلام.

« و عنّى نفسه بالصيام و القيام » أي أتعبها بصوم الأيّام و القيام بالصلاة في لياليها. و المراد بإتعاب النفس بهما إمّا لكثرتهما أو لتحصيل خلوصهما لله أو لهما معاً. و من الممكن كون تفريق النبيّ صلى الله عليه وآله بين الأيّام بالصوم و الافطار لحصول المشقّة والتعب له بذلك مع ما فيه من الرأفة على الامّة، ومن ذلك يعلم أفضليّة نبيّنا صلى الله عليه وآله من عيسى عليه السلام حيث إنّه صلى الله عليه وآله مع كثرة زوجاته و اشتغاله ببعض الامور لم يشتغل عن ربّه آناً من الآنات، وأمّا عيسى عليه السلام فكان زاهداً في الدنيا غير مبتلى بشيء من ذلك.

هذا على ما هو ظاهر الحديث الشريف، وأمّا على ما هو المحتمل من الباطن

(١) الكافي: ج٢ ص٩٤ ح١١.

في إتعاب النفس في الصيام والاعراض عن جميع ما سوى لله سبحانه والتوجّه إليه والقيام بخدمته، فإتعاب النفس فيه واضح إذ هي بميلها تميل إلى خلاف ذلك ويعينها الشيطان ويغويها، ففي كفّها عن ذلك مع شدة مايقودها إلى خلافه وكثرته تعب عظيم، كما قال ﷺ : أفضل الجهاد جهاد النفس الّتي بين جنبيك [١] وأفضل الأعمال أحمزها [٢] فكلّ ما كانت المجاهدة في إخلاص العمل أشدّ وإتعاب النفس في إيقاعه لله لا لغيره أكثر فهو أفضل، و قد أشرنا إلى أنّ هذا معنى قوله عليه السلام أفضل الأعمال أحمزها. ثمّ إنّ إرادة الأكثر من معنى كما احتملنا في بعض هذه الفقرات لا ينافي ماهوالمشهور من عدم تجويز استعمال اللفظ في أكثر من معنى إذ النزاع في ذلك الاستعمال على سبيل الظواهر دون البطون أوالظاهر والباطن فإنّ الكلّ أطبقوا على جوازه، و قد صرح بما ذكرنا الفاضل صاحب القوانين ـ رحمه الله ـ في حاشيته في مبحث استعمال المشترك في أكثر من معنى [٣].

« هؤلاء أولياء الله» قال الشيخ الشارح ـ رحمه الله ـ : هو استفهام محذوف الأداة و يمكن أن يكون خبراً قصد به لازم الحكم. والتأكيد في قوله: إنّ أولياء الله، إمّا لكون الخبر ملقى الى السائل المتردد على الأول أو لكون المخاطب حاكماً بخلافه على الثاني إن جعل قوله ﷺ إنّ أولياءالله رداً لقولهم هؤلاء أولياءالله أي أنّ أولياء الله اناس اخر صفاتهم فوق هذه الصفات. و إن جعل تصديقاً لقولهم ووصفاً للأولياء بصفات اخرى زيادة على صفاتهم الثلاث السابقة، فالتأكيد لكون الخبر ملقى إلى الخلّص الراسخين في الايمان فهو راسخ عندهم متقبّل لديهم صادر عنه ﷺ عن كمال الرغبة ووفور النشاط لأنّه في وصف أولياء الله بأعظم الصفات فكان مظنّة التأكيد كما ذكره صاحب الكشّاف عند قوله تعالى « وإذا

---

(١) و(٢) بحارالانوار : ج ٧٠ ص٦٥ مع تفاوت فى الالفاظ و١٩١ .

(٣) قوانين الاصول : ص٦٠ .

لقوا الّذين آمنوا قالوا آمنّا»[(١)] انتهى.

أقول: لايخفى أنّ الظاهر من الكلام كونه استفهاماً محذوف الأداة لاخبراً قصد به لازم الحكم. ثمّ على التقديرين لايخفى أنّ المناسب لما حمل عليه الشارح - قدس سره - المعرفة من المرتبتين الأخيرتين من المراتب الأربع أن يجعل قوله ﷺ إنّ أولياء الله . . . إلخ تصديقاً لقولهم هذا لارداً و إنكاراً. فإن قيل لهاتين المرتبتين مراتب والمراتب العليا منهما مراتب أولياء الله. قلنا قد حمل - رحمه الله - المعرفة على كلتا المرتبتين و أدنيهما للأخيرة منهما أعلى ما لأعلى أوليهما فكيف تكون أعلى الأدنى من مراتب أولياء الله دون أدنى الأعلى من الأدنى؟ و إن قيل بأعلى الأدنى و أعمّ الأعلى، قلنا: له وجه ولكنّ الوجه أنّ المراتب إنّما هو لأولياء الله فكلّ من المرتبتين بمراتبهما لاينفكّان عن ولاية الله وحصولهما معه، ويظهر صدق مقالتنا بالتتبّع في أخبار أهل البيت عليهم السلام.

«خوفاً من العذاب وشوقاً إلى الثواب» قال الشيخ الشارح - قدس سره - فيه إشارة إلى تساوي الخوف و الرجاء فيهم و كونهما معاً في الغاية القصوى والدرجة العليا كماورد[(٢)] ثمّ ذكر بعض ماذكرنا من الأحاديث في هذا الباب.

أقول: ولعلّ الاشارة إلى التساوي من حيث تحقّق الخوف والرجاء فيهم حيث إنّه لو زاد الرجاء فيصير غروراً أو الخوف فيأساً، فلا يمكن تحقّقهما في أحد إلّا متساويين. أو أنّ المراد الاستفادة من مجموع هذه الفقرات و الفقرات السابقة نظراً إلى دلالة بعضها على نهاية الخوف فيهم و بعضها على نهاية الرجاء فيهم و دلالة هذه على ثبوتهما فيهم، فيحصل من المجموع تساويهما فيهم. ولكنّ الظاهر هو الأول، مع أنّه على الثاني تستقلّ الفقرات السابقة بإفادة ذلك من دون حاجة إلى هذه، مضافاً إلى أنّه مبنيّ على كون قوله ﷺ: إنّ أولياء الله، تصديقاً وتقريراً لقولهم: هؤلاء أولياء الله، لاإنكاراً، وهوغيرمجزوم به

(١) و (٢) الاربعين للشيخ البهائي: ص١٥ ذيل ح٢.

والاستناد إلى الأمر المحتمل المتردد على نحوه بعيد ، فتدبّر .

ثمّ أقول : تساويهما ممّا تظافرت به الأخبار الّتي لا تحصى وقد ذكرنا بعضها ولم ينكر مضامينها أحد من العلماء، ولكنّي أقول مهتدياً بنور التوفيق ومستضيئاً من مصباح الشريعة: إنّ هناك جهتين جهة العبد نفسه وجهة ربّه، فمن ملاحظة الجهة الاولى لابدّ أن يكون اليأس أكثر بكثير نظراً إلى قلّة الحسنات بين السيّئات، ومن ملاحظة الجهة الثانية لابدّ من التساوي حيث إنّه سبحانه يتساهل في معاملة الناس ويأسهم ويعفو عن كثير جرمهم. قال سيّد الساجدين عليه وعلى آبائه السلام في الصحيفة الكاملة في دعاء التاسع والثلاثين في طلب العفو والرحمة : تفعل ذلك يا إلهي بمن خوفه منك أكثر من طمعه فيك وبمن يأسه من النجاة أوكد من رجائه للخلاص، لا أن يكون يأسه قنوطاً أو أن يكون طمعه اغتراراً بل لقلّة حسناته بين سيّئاته وضعف حججه في جميع تبعاته ، فأمّا أنت يا إلهي فأهل أن لا يغترّ بك الصديقون ولا ييأس منك المجرمون لأنّك الربّ العظيم الّذي لا يمنع أحداً فضله ولا يستقصي من أحد حقّه، تعالى ذكرك عن المذكورين وتقدست أسماؤك عن المنسوبين وفشت نعمتك في جميع المخلوقين، فلك الحمد على ذلك يا ربّ العالمين [(١)] .

ثمّ أقول: بعد ما لاحظ العبد هاتين الجهتين معاً من قلّة حسناته بين سيّئاته ومعصيته للربّ الكريم المنعم العظيم الشفيق ومن سعة رحمته الجسيمة وعدم الاستقصاء في أخذ حقّه من أحد، يتساوى فيه الخوف والرجاء أيضاً ، ونظر الأخبار والعلماء الأخيار إلى هذا الأمر الحاصل في كلّ مؤمن بعد الملاحظتين أو إلى جهة الربّ ، وربّما أن يكون التعليل في الدعاء الشريف وما ذكر من كلمات لقمان عليه‌السلام لابنه [(٢)] في هذا الباب يرشد إلى الثاني ، فتدبّر .

ثمّ إنّه ممّا بيّنّا ظهر أنّ منشأ صدور الأعمال الصالحات والزهد عن المحارم

---

(١) الصحيفة السجادية : الدعاء ٣٩ ص١٩٤ .

(٢) بحار الانوار: ج١٣ ص٤١٢ .

إنّما هما الرجاء والخوف، فالّذي يبعث عليهما إنّما هو هذان، ولو جعل قوله صلى الله عليه وآله: خوفاً . . . إلخ علّة لجميع فقرات الحديث و غير مخصوص بالأخيرة لأشعر بذلك ولكنّه في غاية البعد. و استفادة ماذكرناه [1] من كلمات مصابيح الهدى وإشاراتها إلى صحّة العمل لأجلهما ممّا يغنيان عن ارتكاب التكلّف هنا . و على ذلك ، فما صدر من بعضهم من فساد ما يصدر بقصدهما ممّا لا يصغى إليه، بل على ما أسّسنا و أشرنا إليه يلزم أن يكون عبادة جميع العابدين حتّى النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة لأجلهما ولطلب الجنّة والنار، وهو الحقّ الّذي لايجوز العدول عنه، ولكن واحد يعبد ربّه طلباً للجنّة لأنّ فيها أنواع المطاعم والمشروبات والمستلذات وهرباً من النار لأنّ فيها أصناف المؤلمات والمؤذيات المنافرة لطبعه، وواحد يعبده رجاء الفوز بجنّته والهرب من ناره ولكنّه إنّما يطلب الجنّة لأنّه محلّ رضوان الله تعالى وموصل العباد المخلصين الفائزين بقرب مولاهم و يهرب من النار لأنّها محلّ بغض المحبوب وسكنى العاصين له فلايرى من الجنّة والنار إلّاهذا المعنى، ولو تحقّق الأمران على سبيل التعاكس تعاكس خوفهم ورجاؤهم فيرجون النار و يستعيذون من الجنّة وقربها و يهربون منها. فواحد يعيش برجاء الوصال و يرتعش من خوف نار الفراق، وواحد يرجو للجنّة الّتي اكلها دائم وظلّها و يهرب من النار الآكلة لمن يردعليها، ولكن لمّا كان الكلّ إلّا أولياء الله المخلصين مابلغوا هذه المرتبة وصف الله تعالى جنّته بوصف النعم والنار بوصف النقم الظاهرة، مع أنّ وصف رضوانه وفراقه بلسانه ولسان امنائه أيضاً لايحصى . قال السيّد السجّاد عليه السلام في المناجات الثانية للمريدين: يا نعيمي وجنّتي ويادنياي وآخرتي وقال عليّ عليه السلام في دعاء كميل: فهبني ياإلهي وسيّدي ومولاي وربّي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك وهبني صبرت على حرّ نارك فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك، فكما

---

(١) من أن الباعث عليهما هذان . (منه رحمه الله) .

أنّهم عليهم السلام و خلّص أتباعهم لايرون ممايرون في الدنيا غير صانعها ولا يفعلون ولا يتركون إلّا لأجله فكذلك في الآخرة لايرون من الجنّة و النار غير قربه و بعده وليس مقصودهم غيره تقدس وتعالى ولايهمّهم أحد سواه. ثمّ إنّ نظير ما ذكرنا في السلاطين والرعايا موجودة، فلو أقبل سلطان قادر أعطى رجلاً كرديّاً أو بدويّاً مطعوماً لذيذاً فإنّما يأخذه ويسرّه غاية السرور لوصل الطعمة اللذيذة، ولو أعطى مثل ذلك واحداً من وزرائه لأدخله السرور وفوق ذلك بالنظر إلى أنّ السلطان الكذائي ألطف معه و قربه مع أنّه ربّما كان في بيته ما يفوق ذلك بآلاف لاينظر إليه أبداً بل لاينظر إليه عبيده وخدامه.

و بالجملة: فمن آمن بالله و خافه ورجاه و عمل له وترك له ولخوفه والرجاء منه لالغيره فعمله مقبول وسعيه مشكور إلّا أنّ في ذلك مراتب مرتّبة إلى ما لانهاية له بعضها فوق بعض.

رزقنا الله الوصول إلى هذه الدرجات العليّة والمراتب السنيّة وأعاذنا من حرمانها بحقّ من وجدها و وصل إليها. و الحمدلله، و صلّى الله على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى ابن عمّه وكاشف غمّه عليّ وأهل بيته وأصحابه الطيّبين الطاهرين أجمعين.

قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: لو اجتمع الناس على حبّ عليّ بن أبي طالب لما خلق الله النار [1]. [2]

بيان ما لعلّه يحتاج الى البيان: قوله «لو» إلى آخره، هي حرف شرط ويفيد أمرين: المضي والامتناع، والأول اتّفاقي وإنّما الخلاف في مجيئها بخلافه ـ أعني المستقبل ـ فقيل قد تأتي له واستشهد بقوله تعالى «وليخش الّذين لو تركوا من خلفهم ذريّة ضعافاً خافوا عليهم» [3] وبقول عمر: نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه [4]. وحكى الشهيد الثاني ـ رحمه الله ـ في تمهيد القواعد عن قوم منهم بدر ابن مالك إنكار مجيئها لذلك [5] هذا ولكنّ الاستشهاد بالمثال الثاني يجري في البطلان

---

(١) بحار الانوار: ج ٣٩ ص ٢٤٩ ح ١٠.

(٢) هذا الحديث متواتر معنى ومتأيد بالاعتبار وبه فحاوى الاخبار الكثيرة وقد تكرر مضمونه وتكثر بتفاوت يسير في أخبار كثيرة فلذا أعرضنا عن ذكر سنده والبحث عنه. (منه رحمه الله).

(٣) النساء: ٩.

(٤) المغني: ج ١ ص ٢٥٧.

(٥) تمهيد القواعد للشهيد الثاني الملحق بكتاب الذكرى: ص ٦٧.

مجراه لأنّه في أمثال هذه المواضع لا بقصد خصوصيّة زمان وكذا الامتناع بالامتناع بل إنّما تستعمل «لو» في أمثال هذه المواضع للدلالة على أنّ الجزاء لازم الوجود في جميع الأزمنة في قصد المتكلّم، والمعيار ما إذا كان نقيض الشرط أولى باستلزامه للجزاء منه ويستبعد استلزامه له، هكذا حقّقه العلاّمة التفتازاني في المطول [1] وهو وإن ساق هذا الكلام في مقام دفع النقيض بأمثال هذه الآيات والأخبار لعدم إفادة «لو» الامتناع للامتناع إلاّ أنّه كما يدفع ما رامه فكذا يدفع ما قصدناه.

وأمّا الثاني فاختلفوا فيه، وتحقيق الكلام يقتضي إبداء أقسام ورسم مقدمة وهي أنّ المضي هنا يحتمل احتمالات:

الأول: ماضويّة الشرط بالنسبة إلى الجزاء.

الثاني: ماضويّة الشرط بالنسبة إلى زمن الخطاب.

الثالث: ماضويّة الجزاء كذلك.

الرابع: ما ضويّتهما كذلك.

الخامس: ما ضويّتهما معاً ولكنّ الأول ـ أعني الشرط ـ بالنسبة إلى الجزاء وهو بالنسبة إلى زمن الخطاب.

السادس: ماضويّتهما معاً لكنّ الأول بالنسبة إلى الأمرين والثاني بالنسبة إلى الثاني، هذا هو الأقسام المتصورة بالاضافة إلى الأمر الأول.

وأمّا الثاني ـ أعني الامتناع ـ فيحتمل أن يراد منه ما هو المتبادر والظاهر منه، أعني الانتفاء مطلقاً الّذي هو نقيض الوجود، ويحتمل أن يراد منه مطلق الانتفاء، وعلى التقديرين فإمّا أن يكون ذلك بالنسبة إلى الشرط فقط أو الجزاء كذلك أو هما معاً.

إذا عرفت هذا، فاعلم أنّ الاحتمال الأول ـ أعني ماضويّة الشرط بالنسبة إلى الجزاء ـ ممّا لا خلاف فيه بل لا يعقل إذ ترتّب الشيء وتعليقه على شيء يستدعي تقدمه

---

(١) المطول للتفتازاني: ص١٦٦.

عليه مطلقاً[١] إذ المقتضي لذلك هو الأمر المشترك بين جميع أقسام الشرط أعني نفس التعليق بما هي .

وأمّا الاحتمال الثاني فلعلّه المراد هنا . وأمّا بواقي الأقسام فهي وإن كانت صحيحة في أنفسها إلّا أنّها كالأول في عدم الارادة من الأمر المختلف فيه .

لا يقال: ليكن المراد من الأمر الّذي اختلفوا فيه هو رابع الاحتمالات ـ أعني ماضويّة الأمرين بالنسبة إلى زمن الخطاب ـ وذلك لأنّه لو كان الشرط ماضياً بالنسبة إلى زمن الخطاب فكذا الجزاء إذ لا يتصور تعليق ما سيجيء على ما مضى. لأنّا نقول: المراد بالتعليق هنا إنّما هو مجرد الارتباط وإن لم يكن على وجه العلّيّة والمعلوليّة والسببيّة والمسبّبية. نعم لو كان منحصراً في ذلك لكان الأمر على ما ذكر إذ العلّة التامّة للشيء او اقتضته لاقتضته أينما وجدت بلا توسّط شيء ومن دون احتياج إليه ولو من قبيل مجرد وجود زمان خاصّ، إذ لو توقّف وجوده على أمر آخر لم يكن ما فرض علّة تامّة . ثمّ إنّه يرشد إلى ما ذكرنا قولهم : « لو للماضي وإن دخلت على المستقبل» فإنّه ظاهر فيما ذكرنا وإن كان يمكن جمعه مع الرابع من الاحتمالات أيضاً . هذا هو الكلام في الاحتمالات الناشئة من ملاحظة الأمر الأول وتعيين ما هو المراد منه منها .

وأمّا الأمر الثاني: فاعلم أنّ المراد منه هو مطلق الانتفاء كما سيجيء ما يسجّله ولكنّ المثبتين للدلالة على الانتفاء يريدون انتفاء الأمرين كما يشهد به قولهم: « لو لامتناع الشيء بامتناع شيء آخر »[٢] وأمّا المنكرون فينكرون إطلاق

---

(١) شرطاً كان الشرط أم سبباً أم غيرهما . (منه رحمه الله) .

(٢) لا يخفى أن بداهة افادة « لو » للامتناع كما ذكره فى المغنى مثل افادة «اذا» للوقوع كما صرحوا به و جعلوا أدوات الشرط على أقسام ثلاثة: ما ذكر وما يستعمل عند الشك فى الوقوع والعدم مثل كلمة «ان» ينافى ماذكره الاصوليون فى امتناع حقيقة الشرط والتعليق على العالم بالعواقب اذ هو فرع استلزامها للجهل والشك. والتقسيم المزبور يدل←

الدلالة لا الدلالة مطلقاً وعن الأصل و او بالنسبة إلى الشرط ، و من هذا أنّ من المنكرين ذهب الشهيدالثاني ـ رحمه‌الله ـ في تمهيد القواعد إلى دلالتها على امتناع الشرط فقط[1] بل نسب هذا إلى المحقّقين منهم ابن هشام في المغني[2] و العلّامة التفتازاني في المطول [3] و أمّا امتناع الجزاء لامتناع الشرط ففصلوا بين صورتي تساوي الشرط والجزاء فنعم أولا فلا. واستدلّ في المغني للجزء الأول ـ أعني الدلالة على امتناع الشرط ـ بأنّ إنكار ذلك كإنكار الضروريّات وأنّ فهم الامتناع منها كالبديهيّ فإنّ كلّ من سمع « لو فعل » فهم عدم وقوع الفعل من غير تردد ، ولهذا يصحّ في كلّ موضع استعملت فيه أن تعقبها بحرف الاستدراك داخلاً على فعل الشرط منفيّاً لفظاً أو معنىً تقول: لو جاءني أكرمته و لكنّه لم يجيء [4]

←على ذلك الاستلزام، والقول بالتجوز فى مثل «لو» و« اذا » أو فى تجوز اطلاق الشرط على مدلولهما وان كانتا حقيقيين خلاف الانصاف ، بل الحق أن حقيقة الشرطية هي الربطية وقد يؤتى بها لبيان الربط وقد يؤتى بها لترددالمتكلم وغيرها وفى الكل حقيقة الشرط موجودة وان اختلفت الدواعى ، وهذا كلام عام يجرى فى الاستفهام والبداء والاختبار. نعم، فى الكل ظهور فى كون الداعى ما لايجوز على الحكيم لكنه لس ظهوراً وضعياً على الظاهر ليتم ماراموه ، ولتحقيقة مقام آخر وقد حققناه فى محله. ثم نازعوا فى حجية المفهوم وهو أمر تعليقى أعنى الدلالة على الانتفاء عند الانتفاء وهو يحتمل فى الاقسام الثلاثة ، و أما الانتفاء هنا فتجرى كعدمه مافى«اذا» وكلاهما يجامع المفهوم و الانتفاء التعليقى . نعم ، الظاهر أن بعد افادة « لو » لامتناع الشرط، فالدلالة على امتناع الجزاء مبنى على المفهوم وأن لاجله، ومن انكره ينكره ومن يقول به يقول به ، فالملخص أن المتبادر من أدوات الشرط الانتفاء عند الانتفاء ويفيد «لو» الانتفاء ، فلابد من فهم انتفاء الجزاء أيضاً. وأما «اذا» فيفيدالانتفاء التعليقى لكنه يفيد وجود الشرط فلا انتفاء وهو لا ينافى الانتفاء التعليقى . نعم ، افادتهما لوجود الجزاء بعد فهم وجود الشرط ينبنى على الارتباط فى الوجود الذى هو منطوق الشرط كارتباط العدم بالعدم الذى هو المفهوم المبتنى عليه افادة « لو » لامتناع الجزاء ، فافهم .

(١) تمهيد القواعد للشهيد الثانى الملحق بكتاب الذكرى : ص٦٧ .

(٢) المغنى : ج١ ص٢٥٨ .

(٣) المطول : ص١٦٦ .

(٤) المغنى: ج١ ص٢٥٦ .

ثمّ استشهد لذلك ببعض الآيات والأشعار، و ظنّي أنّ التزام إفادتها التعليق في المضيّ وتسليم ذلك يأبي عن منع إفادتها للامتناع إذ الأمر المقرر المترتّب على ثبوته في الماضي حكم إمّا وقع فيه فلا يقبل التعليق فلا يقال بعد وقوع شيء: لو وقع لكان كذا، وإمّا لم يقع فيصحّ فلا يصحّ التعليق إلّا على التقدير الثاني، فهو يدلّ على امتناع مدخولها وانتفائه، فتأمّل.

وإنّما فسّرنا الامتناع في كلامهم بمطلق الانتفاء مع أنّ الظاهر منه الانتفاء مطلقاً كما أشرنا إليه بوجهين: الأول: وجود مواضع من كلماتهم يشهد بذلك ويلوح منها ذلك، و لعلّه فيما حكينا عن المغني تصريح بذلك. الثاني: تقابلها لـ«إن» و«إذا» وبيان الفرق بينها بأنّ «لو» للامتناع و«إن» للترديد و«إذا» للجزم بالوقوع، فتدبّر.

ثمّ إنّ الظاهر أنّ سرّ ما ادعاه في المغني- من كون إنكار إفادة «لو» لامتناع مدخولها إنكاراً للضروري- ما ذكرنا من الوجه من استلزام التعليق في المضي لذلك.

و للجزء الثاني أعني عدم دلالتها على امتناع الجزاء مطلقاً ـ بأنّ الجزاء قد يكون أعمّ من الشرط و اللازم الأعم لا ينتفي بانتفاء ملزومه الأخصّ بل الأمر بالعكس، و كذا الجزاء قد يكون مسبّباً والشرط سبباً والمسبّب لا ينتفي بانتفاء سببه الخاصّ بل انتفاؤه يدلّ على انتفاء كلّ الأسباب، ولهذا قال الميزانيّون في القياسات المتّصلة بإنتاج رفع التالي برفع المقدم دون العكس. نعم، لو كان الشرط والجزاء مساويين فانتفاء الشرط يستلزم انتفاء الجزاء لا أنّه يدلّ عليه «لو» فحاصل هذا المذهب عدم دلالة «لو» على امتناع الجزاء مطلقاً و إنّما يمتنع الجزاء و ينتفي او كان مساوياً للشرط وانتفى من دون دلالة «لو» على ذلك كما يظهر ذلك من التأمّل في كلماتهم، كيف ولو كانت كلمة «او» ممّا يدلّ على ذلك لكانت كذلك في الصورتين ولم يعقل التفصيل، فتأمّل.

ثمّ إنّ الحاجبي [1] خصّص ذلك التفصيل بالسبب من دون سبب، إذ قد عرفت أنّ الجزاء لو كان أعمّ حاله ذلك مطلقاً مسبّباً كان أو لازماً أعمّ أو معلولاً للشرط فالدليل او تمّ فيعمّ فلا وجه للتخصيص في التفصيل هذا و الحقّ عندي أنّها تدلّ على امتناع الجزاء لامتناع الشرط مطلقاً إذ المتبادر من تلك الكلمة في العرف ذلك وإن لم يكن صالحاً للاستناد إليها في مقام الاستدلال نظراً إلى الخدشة المذكورة . وقد صرح بذلك العلّامة التفتازاني [2] هذا وإنّما أتى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بهذه الكلمة دون سائر أدوات الشرط للاشارة على عدم اجتماع الناس على حبّه عليه السلام ووجه علمه صلّى الله عليه وآله وسلّم بذلك الامتناع والانتفاء امور :

منها: مشاهدته صلّى الله عليه وآله وسلّم إيّاهم متّصفين بضدّ صفات المحبّين، ومتابعة الأكثر بل الكلّ إلّا ما ندر للأهواء والشياطين .

ومنها : إخباره تعالى إيّاه بذلك وأنّ امّته سيغلبون عليّاً و يكادوا أن يقتلوه.

ومنها : العلم بذلك من نفس انتفاء الجزاء أعني عدم خلقه النار إذ بعد العلم بالملازمة بين شيئين والعلم بانتفاء اللازم يقطع بانتفاء الملزوم .

«اجتمع الناس» أي اتّفقوا ولو اتّفاقاً وإن كان الظاهر هو الاجتماع الارادي على سبيل إطلاع كلّ بفعل الآخر ، وذلك للقطع بأنّ المناط هو نفس الاتّفاق على المحبّة وأنّ العلم به والعدم لا يؤثّر فيه شيئاً . ثمّ المراد بالناس لو كان ما يشمل الجنّ أيضاً بناءً على إطلاقه على القدر المشترك بين الجنّ والانس بدليل قوله سبحانه «في صدور الناس * من الجنّة والناس» [3] .

وأمّا لو قلنا باختصاصه بالثاني فيشكل الأمر حينئذٍ ، إذ اجتماع الناس فقط على حبّه لا يوجب لعدم خلق النار ولو للجنّة. وأمّا سند القول الأول فيدفع باحتمال كون الناس في الآية الشريفة مخفّف الناسي مثل قوله تعالى «يوم يدع الداع» [4].

---

(١) الكافية فى النحو : ج٢ص٣٩٠ .

(٢) المطول : ص ١٦٦ .

(٣) الناس: ٥و٦ .

(٤) القمر : ٦ .

وأمّا الاشكال الآخر فيمكن دفعه بوجوه :

الأول : أنّ المراد هما معاً وبالناس خصوص الانسان إلّا أنّه اقتصر على ذكر أهمّ الأمرين .

الثاني : أنّ الانسان لكونه أهمّ هو المقصود الأصل من خلق الجنّة والنار فلا استبعاد في اقتضاء مجرد اتّفاقهم فقط لعدم خلق النار و اولم يوافقهم الجنّ فيه .

الثالث: أنّ المراد هو النار المخصوصة بهم إذ لا بُعد في القول بمغايرة نارهم ومحلّ عذابهم للنار المعذبة بها الجنّة كجنّتهم كما يدلّ على الثاني بعض الآثار المرويّة .

فإن قلت : اجتماع جميع الناس على حبّه عليه السلام ممّا لا يمكن إذ الامم السابقة كلّهم أو جلّهم لم يسمعوا بخبره عليه السلام ولا يمكن التخصيص بهذه الامّة أيضاً لكونه تخصيصاً بالأكثر ، و أيضاً لو سلّمنا تبعيّة الجنّة للانسان فلا نسلّم تبعيّة بعضهم لبعض ، فما المناص ومافائدة هذا الكلام؟

قلنا أولاً : إنّ تحقّق القضيّة الشرطيّة لاتستلزم إمكان المقدم ، والفائدة حينئذ بيان جلالة شأنه عليه السلام ورفعة مكانه عند الله الأجلّ ، أو أنّها بيان أنّ حبّه عليه السلام سبب للنجاة والفوز بالسعادات ، إذ لو كان حبّه عليه السلام على تقدير اتّفاق الكلّ عليه سبباً لعدم خلق النار و إيجابه له ، فإيجابه لرفع العذاب ممّن أحبّه على تقدير عدم الاجتماع بطريق أولى كما تدلّ عليه أحاديث كثيرة سنذكر بعضها[٢] .

و ثانياً : إنّ منع الأهميّة ممنوع إذ لا استبعاد في تبعيّة سائر الامم لهذه الامّة وأهميّتها بهذه المثابة كما لا يخفى فضلهم عليهم، وحينئذ فظهر الجواب عن لزوم تخصيص الأكثر أيضاً إذ نمنع عدم الجواز أولاً ونقول بالاتّفاق على وقوع

---

(٢) بل في بعض الاحاديث التي وردت بهذا المضمون تصريح بذلك ،فمنها ماروى عن ابن عباس ـ رحمه الله ـ قال: قال رسول الله «ص» لامير المؤمنين «ع»: ياعلي لو اجتمعت ←

هذا القسم ثانياً إذ هو حينئذٍ مثل «إنّا له لحافظون»[1] ولا خلاف في جواز مثله، فتدبّر.

«على حبّ عليّ بن أبي طالب» أي على تحصيل حبّهم إيّاه عليه السلام كما هو الظاهر، فالمجرور على حبّ بقاء الدين و نظم الشيعة إلى نحو الخليفة الجليلة مجبور بالكسر والتبعيّة وهو في الحقيقة منصوب للخلافة ومفعول به مالم يستحقّه بالظلم والسفه، أو على حبّه عليه السلام إيّاهم، فالمجرور بالاضافة إلى القوم فاعل ما فعل من حسن المواساة و الصبر على المتابعة و الانكسار لمتابعة الوصيّة، و إلّا فهو كان قادراً على أن يفعل بهم ما شاء بأول مرة.

ثمّ إنّ المعنيين متلازمان إذ حبّ مثله عليه السلام لاينفكّ عن حبّه عليه السلام محبّه كما قال أبو الحسن الرضا عليه السلام - حيث سأله الحسن بن جهم فقال: جعلت فداك أشتهي أن أعلم كيف أنا عندك؟ -: انظر كيف أنا عندك[2]. نعم ينعكس الوجهان بالتصريح و التضمين و يختلفان ثمرة قليلاً كما ستراه إن شاء الله. ثمّ التصريح باسم أبيه عليه السلام لأن لا يبقى مجال لمستحقّي النار ببغضه عليه السلام بل لموجبي النار و خلقتها به كما سنبيّن لأن[3] يؤوّلوه على وفق مقترحهم كما فعل صلى الله عليه وآله ذلك في حديث غدير خم بالتعيين بالاشارة. فلمّا لم يتمكّنوا من إنكار الموصوف لشدة تعيّنه فأنكروا الصفة المعيّنة و شيّعوها بين معانٍ خمسة وأبهموها بلاإمعان ورويّة.

تبصرة فيها تذكرة:

قد عرفت أنّ اجتماع الناس على حبّه عليه السلام لم يقع وأنّه حينئذٍ وإن خلق النار لكن لو أحبّه أحد لا يعذبه الله بالنار كما يدلّ عليه الحديث الشريف، وظاهر ذلك يوجب الاطلاق في ذلك، وانّ الأمر كذلك وإن عملوا بأعمال شنيعة

← أهل الدنيا بأسرها على ولايتك لما خلق الله النار ولكن أنت وشيعتك الفائزون يوم القيامة. أقول: يعني صلى الله عليه وآله بحبك، فتدبر. (منه طاب مضجعه).

(١) الحجر: ٩.

(٢) الكافي: ج٢ ص٢٧٧ ح٤.

(٣) متعلق على لا يبقى. (منه رحمه الله).

قبيحة، فكيف ذلك وما السرّ في ذلك؟

أقول ومن الله التوفيق ونسأله التحقيق والهداية إلى سواء الطريق: إن جعلنا عليّاً عليه السلام فاعلاً للحبّ كما هو الاحتمال الثاني فالأمر واضح، إذ من البيّن أنّه لو كان الناس جميعاً على وجه يحبّهم عليّ عليه السلام لما خلق الله النار و يحبّهم ويحبّونه وإن جعلناه مفعولاً فيشكل الأمر، وهذا إحدى ثمرات قلائل يترتّب على الاحتمالين كما أشرنا.

وكيف كان فنقول: المراد بالمحبّ هو التابع لا بمعنى اتّحادهما مفهوماً بل صدقاً بمعنى انتفاء المحبّة بانتفاء المتابعة وارتكاب المخالفة وكشفه عن عدمه وكونها لازماً لها. وقد نبّهوا عليهم السلام بذلك في أحاديث عديدة وسلبوا عمّن لم يتبعهم عليهم السلام لباس المحبّة ونفوهم عن الانتساب إليهم وأخرجوهم عن زمرة المحبّين، وعليه فلا إشكال أيضاً كالأول لأنّ كلا الوجهين مشتركان في عدم اجتماعه مع ما نشأ منه الاستبعاد ولكنّه يشكل الأمر نظراً إلى أحاديث كثيرة اخرى مثبتة للمذنب لمحبّته عليه السلام بل تعذيبهم بالنار ومكثهم فيها أحقاب فيتعارض حينئذٍ الطائفتان. والذي يخطر بالبال في دفع الاشكال هو أن يقال: إنّ المراد من المحبّة المنفيّة عمّن عصاهم و خالفهم عليهم السلام التي سلبوها عنهم هي المحبّة الكاملة، وأمّا المثبتة لهم فهي غير كاملها، والّتي ينافي التعذيب بالنار هو الاولى دون الثانية، وعليه فهل يلزم جعل المحبّة المانعة من خلق النار على تقدير اتّفاق الكلّ عليها هي المحبّة الكاملة فلو اتّفقوا على المحبّة الغير الكاملة خلق الله النار أيضاً؟ أم لا يلزم ذلك؟ الحقّ هو الثاني إذ لا استبعاد في منع الاتّفاق على مجرد المحبّة له عليه السلام وإن لم تكن كاملة عن خلق النار وإن لم يمنع المحبّة الغير الكاملة من التعذيب بالنار لمن حواها بعد خلقها، والفرق أنّ المقتضي لخلق الجنّة والنار الأصليّين إنّما يقتضيهما على وجه الخلود وليس يصلح لذلك إلّا الكفر المحض والايمان الخالص بالله واليوم الآخر، فالداعي الأصلي لخلق الجنّة والنار هو هذان. وأمّا الوسائط بين المرتبتين والملفقات فتطفّلات. وحينئذٍ نقول: لا ريب أنّ الكفر الخالص لا يجامع مرتبة

من مراتب محبّته عليه السلام فمحبّه عليه السلام ولو كان غير كامل في المحبّة غير كافر جداً، فلو اتّفق الناس جميعاً على محبّته عليه السلام فلم يبق كافر خالص فيه يوجب بكفره خلق أصل النار، وأمّا على تقدير عدم اتّفاقهم على حبّه عليه السلام وافتراقهم فرقتين فأوجب الكفّار خلق أصل النار وخلق أصلها لشؤمتهم و من ظلمة كفرهم، كما أنّ الباعث لخلق أصل الجنّة هم المؤمنون والخالصون المتمحّضون وخلقت من نور إيمانهم، ولكن بعد ذلك خلق لكلّ أحد حتّى المحبّ الواصل والمبغض الكامل مقام في الجنّة ومقام في النار أحدهما أصلي يخلد فيه والآخر عرضي، بمعنى أنّ كلا المقامين أصلهما من كاملي فردي الصنفين، إلّا أنّ المحبّ العاصي لما عصى الله تعالى يزيد بعض جزئيّات على مقام من مقامات الكافر وكذلك الكافر لو عمل خيراً يزيد بعض جزئيّات على بعض مقامات المؤمن ولو لم يفعلا بقيا على حالهما، ويزيد المؤمن بزيادة معرفته وحسن أعماله على مقاماته كما ورد في ثواب التسبيحات الأربع، وكذلك الكافر كلّما اشتدّ كفره ونفاقه يشيّد أركان مقامه ويزيد عليه، فهذان يدخلان مقامهما بغير حساب. وأمّا الأولان: فلو عصى المحبّ وزاد بعض الجزئيّات على بعض مقامات الكافر ثمّ لم يطفيء ما أسرجه ولم يخمد ناراً اشتعلها فيعذب فيه بقدر ما زاد عليه ثمّ يطهّر فيخرج ويدخل فيما هيّأه لنفسه وبنور إيمانه من الجنّة ونعيمها وحورها وقصورها ويورث مقامه في النار صاحبه وينتفي زيادة كان استحدثها وزادها عليه. وأمّا لو عمل الكافر بالخير وزاد في بعض مقامات المؤمن في الجنّة فيعوض بعمله الخير في الدنيا من أمتعتها القليلة الدنيّة الفانية ولذاتها المنقطعة والتهون عند الموت، ويؤتى المؤمن أصل مقامه الذي هيّأه لنفسه وما أضاف عليه الكافر بعمل خيره تفضّلاً من الله ذي الفضل العظيم فيرثان ويورثان و هما فيهما خالدان ولعلّه إلى هذا الاشارة، حيث قال عليه السلام: إنّ الله لا يبغض المؤمن العاصي وإنّما يبغض عمله ولا يحبّ الكافر لو عمل خيراً وإنّما يحبّ عمله[1].

(١) نهج البلاغة: ص٢١٦ مع اختلاف في الالفاظ.

وقد ظهر من هذا بفضل الله المنعام وجه لطيف دقيق يبيّن سرّ توريث كلّ من المؤمن و الكافر الآخر و توارثهما[١] ولما انجرّ الكلام إلى هذا المقام فلا علينا أن نشيد أركان ما ذكرناه ونجامع أركان تلك الكلم فنقول مهتدياً بنور التوفيق: إنّ لكلّ من الأصلين والمقامين الثابتين في الجنّة والنار للمؤمن و الكافر الّذين خلقا من نور إيمانهم وظلمة كفرهم أصلاً أيضاً، فأصل الجنّة من نور إيمان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والوصيّ وفاطمة وأولادهم المعصومين عليهم السلام و أصل النار من ظلمة كفر أواخر أصحاب التابوت وإن قدمهم في الزمان أوائلهم ، ثمّ نسخ كلّ مؤمن و كلّ كافر على أصله على حسب مؤونته وبمقدار ارتباطه و ائتلافه مع أصله ، وذلك الأصل في الجنّة شجرة طوبى وفي النار هو التابوت، وإلى المعنيين الاشارة حيث قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ شجرة طوبى أصلها في داري أو دار عليّ أو فاطمة عليها السلام[٢] ولكلّ شيعة منها غصن[٣] و كذا قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم في بيان التابوت وأصحابه : وإنّ أهل النار كلّهم يتأذون منه على حسب قربهم به ومقدار ارتباطهم[٤] .

فعلم أنّ لكلّ من الأصلين أصلاً أيضاً لو لم يكن ذلك الأصل لم يكونا، كما أنّ فرعهما لو لم يكونا لم يكونا. ثم إنّ ذلك الاصول يتفرع بعضها على بعض إلى أن ينتهي إلى الأصل الأصيل و يترتّب كذلك بمعنى أن الكلّ ينتهي إليه و الوسائط وسائط

---

(١) ويمكن أن يكون اعطاء كل منهما الاخر مقامه لتعاكسهما فى أن العصيان والطاعة منهما من لطخ الاخر ، فلو عذب الكافر بمعصية المؤمن فلا ظلم كالعكس لكونه من سنخه وطينته و عرض الاخر بالعرض كما يكشف عنه أحاديث الطينه . (منه رحمه الله) .

(٢) ولعله يمكن بمعونة المقام فهم سر الترديد فى مكان شجرة طوبى وأن الكل حق كما حكينا ، نظير ذلك فى الشجرة التى أكل منها آدم وحواء عن العسكرى عليه السلام فى تفسيره، وفى بعض الاخبار اشتمالها على جميع ما وردت فيه، بل يستفاد منه كون جميع شجرات الجنة كذلك وأنها ليست على حد ما فى الدنيا منها . (منه رحمه الله) .

(٣) البرهان للبحرانى : ج٢ ص٢٩٢ .

(٤) بحار الانوار : ج٨ ص٢٩٦ .

لايصاله إليه لا أنّ بعضها ينتهي إلى بعض وهو إلى الأصل الأصيل ، وفي حكاية شجرة طوبى شهادة على ذلك . فالكلّ وإن كان له ربط مع الأصل الأصيل وله غصن من الشجرة المباركة ، إلّا أنّ بعضهم مجاور للأئمّة عليهم السلام وبعضهم بعيد وبعضهم أبعد وهكذا على حسب مراتبهم ، وهكذا حال أصحاب النار .

وإن شئت توضيح الكلام على وجه يرتفع الحجاب عن وجه المرام فنقول: إنّ تلك الشجرة هي الشجرة الّتي أخبر عنها النبي صلّى الله عليه وآله وجعل صلّى الله عليه وآله نفسه أصلها وفروع الشجرة النبوة فرعها وشيعتهم أوراقها [١] فهذه الشجرة هي شجرة الايمان ومعرفة الله ذي الاحسان تبدو في كلّ نشأة بزي و تتجلبب في كلّ عالم بجلباب ، كما أنّ الحقّ أنّ الأعمال الفروعيّة يتجسّم في النشأة الاخرويّة وأنّ الحور والقصور نفس الأعمال كما تدلّ عليه أحاديث كثيرة. و كما عليه بعض أصحابنا ـ رحمهم الله ـ [٢] متعلّقاً على تلك الأحاديث دافعاً الاشكال في ذلك بأنّ الأعمال أعراض فكيف تصير أجساماً بما ذكرنا من اختلاف الأشياء في النشآت عرضاً و جوهراً وتجلببه في كلّ نشأة بجلباب كما في اللبن والعلم مع أنّ الأول جوهر والثاني من الاعراض .

و كيف كان: فلا ينبغي الريب في تعلّق بعض الناس على بعض و ترتيبهم واختلاف درجاتهم ومقاماتهم و شدة عذابهم وضعفه و قربهم و بعدهم من أصل الجنّة والنار ، فأقربهم إلى أصلهم أقربهم إليه ارتباطاً ثمّ الأقرب فالأقرب ، ويحشر كلّ مع من ولّاه وأحبّه ، قال الله سبحانه «يوم ندعو كلّ اناس بإمامهم» الآية [٣] وقال جلّ عظمته « فقال الضعفاء للّذين استكبروا إنّا كنا لكم تبعاً » الآية [٤] . ثمّ إنّ جميع

---

(١) بحار الانوار : ج٦٨ ص٢٦ ح٤٨ .

(٢) هو شيخنا البهائي وغيره (منه رحمه الله) .

(٣) الاسراء : ٧١ .

(٤) ابراهيم : ٢١ .

ما قلناه على تقدير الكفر أو الايمان الدائمين في تمام هذه النشأة مع القصد على بقائه عليه [١] لو عمّر أمد الدهر واضح . وأمّا على تقدير التبعيض فإن كان المقدم هو الكفر فطرأ عليه الاسلام فالاسلام يجب عنه أو بالعكس فيخلد في النار كالكافر في هذه النشأة تمام عمره إمّا بأن يعوضه الله سبحانه بأعماله الحسنة السابقة بالمتاع القليل في هذه النشأة أو بأن يحبطها الله بالكفر اللاحق و حبط العمل بعد رفع الايمان لا بأس بالقول به [٢] و إن لم يجز القول به في الأعمال الفرعيّة مع بقاء أصل الايمان، أو نقول: [٣] إنّ الكافر هو المنكر بالله وبما جاء النبيّ صلى الله عليه وآله وبه صلى الله عليه وآله على وجه العناد واللجاجة، والمؤمن هو المنقاد المطيع وإن لم يصادف الاسلام، فاليهودي مثلاً لو بذل جهده ورأى حقّيّة دينه وبطلان دين الاسلام وتصرم مدة عمره عليه فهو وإن كان بحسب الظاهر محكوماً بالكفر وجارياً عليه أحكام الكفّار إلاّ أنّه في الواقع مثاب على عمله، ولو أسلم والحال هذه لكان كافراً في الواقع وإن كان مسلماً في الظاهر، ولاينافي ذلك قوله تعالى «والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا » الآية [٤] إذ اليهودي حينئذ على سبيل حقّ ومن المحسنين وإن لم يرشد إلى السبيل الواقعي، والله تعالى هو العالم بحقائق الامور، ومنه الاستعانة والتوفيق والهداية إلى سواء الطريق ، و نعوذ به من شرّ الشيطان الرجيم و العدوّ العظيم

---

(١) قد أشرنا بذلك الى سبب خلود أصحاب الجنة والنار فيهما. وهذا مضمون رواية رواها فى الكافى عن الامام جعفر بن محمد عليهما السلام . (منه رحمه الله) .

(٢) اذ ذلك حينئذ يدخل فى مسألة جواز توقف الثواب على شرط لا فى مسألة الحبط وهو مما يجوز عند أكثر المعتزلة وأصحابنا، كيف و لولا ذلك لا ثيب العارف بالله خاصة دون النبى صلى الله عليه وآله ، وكذا فى المقام شرط صحة عباداته الموافاة بالايمان الى موته فهو شرط متاخر متوقف عليه الصحة السابقة كالفضولى، وأما الحبط فليس من مذهبنا. (منه رحمه الله) .

(٣) هذا الجواب انما يتم بالنسبة الى بعض اقسام التبعيض وهى كون كل حالة خاليا عن العناد،أرشدناالله الى الخير والسداد (منه رحمه الله).

(٤) العنكبوت: ٦٩ .

ونسأله الثبوت علي الدين القويم والمنهج المستقيم .

تكملة :

هل حبّ عليّ عليه السلام بدون حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله و الأئمّة عليهم السلام حكمه ذلك و يوجب ، ما ذكر و لو لم يصادف حبّهما ؟ نقول : إن قلنا بكون الحبّ مضافاً إلى الفاعل كما هو أحد الاحتمالين فلا يتصور هذه الصورة و لا يوجد موضوع هذه القضيّة إذ ليس عليه السلام يحبّ من لا يحبّهم صلوات الله عليهم أجمعين ولاهم يحبّونه ولا من لا يحبّه عليه السلام ، وكذا إن قلنا بإضافته إلى المفعول مع القول بعدم انفكاك حبّ بعضهم عن بعض آخر منهم، أو نخصّص عموم الحديث الشريف بالأخبار الواردة فيوجوب ولايتهم وحرمان من لم يوالهم جميعاً عن الجنّة وخلوده فيالنار، وهذا أيضاً إحدى ثمرات الاحتمالين . ومرادنا من هذا أنّ حبّ أحد منهم فقط لا يوجب الاجتماع عليه عدم خلق النار و دخول الجنّة لا أنّه لا ينفع أصلاً بل هو نافع جداً ، كما هو مروي في يهودي كان يحبّ الحسنين عليهما السلام من أنّه في النار في بيت من طين وتنادى النار بأن تخوفه و لاتحرقه و كذا بعض الأعمال الصالحة و الصفات الحسنة الاخرى كما قيل لحاتم بمثل ما لليهودي بواسطة سخاوته ، فأمثال هذه الروايات كما ترى تدلّ على انفكاك حبّهم بعض عن بعض ، فتأمّل .

بقي هنا إشكال و هو أنّه ورد أنّ حبّ عليّ عليه السلام حسنة لا تضرّ معها سيّئة[1] فإمّا أن يراد منه الحبّ الكامل فتعارض صدر الحديث ذيله أومطلق الحبّ فيعارض الحديث الشريف الأحاديث الدالّة على تعذيب عصاة الشيعة و المحبّين بسيّئاتهم؟ والجواب عنه اختيار الشقّ الأول و منع المنافاة بين طرفي الحديث إذ المحبّة الكاملة لاتستلزم العصمة والمتابعة في كلّ جزئي من الامور بحيث لو أخلّ بشيء انحطّ عن تلك الدرجة الرفيعة و هبط إلى الدرجة الغير الكاملة بل لكلّ من الدرجتين درجات أيضاً ، و المعيار في صدق الاولى هي المتابعة العرفيّة و هي

(١) عوالى اللئالى : ج٤ ص٨٦ ح١٠٣ .

تتحقّق مع المخالفة النادرة . فإن قلت : إن كان رفع ذلك النادر بالتوبة فلاذنب ومع المخالفة وعدم التوبة ولو نادراً لاتصدق المتابعة عرفاً. قلنا: يصدق ويكفرها نفس المحبّة ، ويمكن أن يجاب بجعل السالبة منتفية الموضوع حينئذٍ وحينئذٍ فهذا الكلام يبيّن معنى المحبّ وأنّ حبّه الكامل لا يجتمع مع سيّئة حتّى يضرّ ، ولكنّه خلاف الظاهر بل الظاهر هو إثبات الذنب و تكفيره بنفس المحبّة لا أنّ المحبّ هو من لا يعصي حتّى لو عصى سلب عنه هذه الصفة ، وحينئذٍ فينحصر الجواب في الأول . فإن قلت : السيّئة نكرة وقعت في سياق النفي فيعمّ فيفيد عدم إضرار سيّئة من السيّئات ، فالجواب الأول فاسد أيضاً . قلت : المراد سيّئة تبقى معها المحبّة [1] ولم تبلغ إلى حدّ الخروج عن زمرة المحبّين ، و أيضاً لا بأس بتكفير المحبّة الكاملة عن جميع الذنوب ماسوى الشرك بالله وهو خصّص بالآيات والأخبار، و حينئذٍ فتحمل المحبّة [2] الكاملة على الكاملة في نفس المحبّة من دون أخذ المتابعة فيها ، كما أنّ على تقدير الجواب بجعل السالبة منتفية الموضوع لابدّ من أخذ ذلك كلّيّة وفي كلّ جزئي جزئي، وأيضاً السيّئة وإن كانت نكرة في سياق النفي ومفيدة للعموم الاستغراقي إلّا أن السيّئات بحسب الوجود الخارجي تدريجي يحصل شيئاً فشيئاً ، فالمراد أن حبّ علي عليه السلام حسنة لا يضرّ معها شيء من السيّئات على سبيل البدل ، فكلّ من السيّئات ورد على محبّه عليه السلام فيكفره محبّته عليه السلام وذلك لا يستلزم بقاء المحبّة وتكفيرها عن جميع الذنوب ومجموع السيّئات لو وردت على الشخص واجتمعت ولم يتخلّل بينها التوبة المزيلة لها ، فتأمّل .

و أيضاً يمكن حمل عدم الاضرار على خصوص نفي الخلود في النار لا على عدم كلّ ضرر ونفيه .

---

(۱) اذ المراد أن حبه الكامل لاتضر معها سيئة من السيئات ، و لكن لو نفى موضوع السيئة فلا يقدح ذلك في ذلك الكلام لان الموضوع حينئذ منتف . (منه رحمه الله) .

(۲) والمحبة الغير الكاملة حينئذ بقرينة المقابلة هو المحبة الغير الشديدة وان كانت المتابعة معها أكثر منها مع المحبة الكاملة ، فتدبر . (منه رحمه الله).

ختام ينتهى اليه الكلام:

إنّ الحديث الشريف يدلّ على أنّ الجنّة و النار مخلوقتان الآن كما اتّفق عليه جمهور المسلمين خلافاً لأكثر المعتزلة فقالوا بخلقهما بعد يوم الجزاء، فيردّ قولهم الحديث الشريف، أمّا بالاضافة إلى النار فبنصّه، وأمّا بالنسبة إلى الجنّة فبالاجماع المركّب، كما أنّ الأمر في قضيّة آدم وحواء بالعكس. ثمّ إنّ المعاضد للحديث الشريف في ذلك من الآيات و الأخبار ممّا لا يحصى بل المسألة كانت إجماعيّة والمخالف حدث بعد انعقاد الاجماع، و للمخالف أيضاً وجوه عقليّة و نقليّة كلّها باطلة أو مؤوّلة من أراد تحقيق الحال فيها والاطّلاع عليها فعليه بمراجعة الكتب الكلاميّة لأصحابنا ـ رضوان الله عليهم ـ.

فإن قلت: دلالة الحديث الشريف على ما ادعيت إنّما يسلم لو أفادت «لو» المضي بالنسبة إلى الجزاء أيضاً، وقد صرحت آنفاً بأنّ المراد من إفادتها المضي هو الافادة بالنسبة إلى الشرط، وأمّا الجزاء فيمكن أن يكون ماضياً أيضاً و أن يكون مستقبلاً فهو أعمّ، فخلق النار كما يمكن أن يكون الآن فكذا يوم الجزاء. قلنا: لا نستدلّ على ذلك بمجرد «لو» بل لوقوع الجزاء فعلاً ماضياً، و ما ذكرنا من التعميم المراد منه أنّه قد يكون ماضياً وقد يكون مستقبلاً علم بهما وقد يشكّ فيحتملهما لا أنّه مع العلم بأحدهما الاحتمال باقٍ أيضاً.

فإن قلت: لعلّ التعبير بالماضي لأجل الجزم بالوقوع: قلنا: خلاف الظاهر لابدّ من دليل لارتكابه وليس. فله الحمد على فضله و مواهبه والشكر على ترادف أياديه و عوائده، والصلاة و السلام على رسوله خير بريّته الّذي اصطفاه و خلفه في خليقته وعلى عليّ رافع لوائه ومفديه بأهله ونفسه وماله، وعلى آله وأصحابه وامّته عاملهم الله خير معاملته، ونسأله بهم أن يجعلنا من خلّص محبّيه وشيعته وأصلح من استنّ بسنّته وطريقه، والحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لو لا أن هدانا الله.

قال المؤلّف: قد تمّ على يد مؤلّفه الفقير الجاني زين العابدين الگلپايگاني

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلموا يا إخواني في الدين هدانا الله وإيّاكم إلى اليقين إنّه قدمسّت حاجتنا إلى صرف النظر إلى تحقيق حال علم المعصومين عليهم السلام بالموضوعات هل هو إرادي وملكي أم فعلي ؟ فالّذي عليه الاستاذ الشريف ـ مدّ ظلّه ـ وادعى عليه إجماع الاماميّة هو الأول ، و لكن الحقّ هو الثاني كما عليه جماعة من ذوي البصائر و الألباب من الأصحاب ، و لنذكر في هذا الباب ما استهديت إليه ببركة سيّدي ومولاي أبي عبدالله الحسين روحي له الفداء، من دون تعرض لما قاله أصحاب القولين ، فنقول مهتدياً بنور التوفيق :

اعلم أنّ ما يستفاد من الأخبار الكثيرة والآثار المأثورة وعليه الفرقة الناجية هو أنّ نبيّنا صلّى الله عليه وآله أشرف المخلوقات والعلّة الغائيّة لايجاد الكائنات وبعده وصيّه وخليفته عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبعده أولادهما المعصومين (مون خ) صلوات الله عليهم أجمعين ، بل و رجحوا على الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين بتصريحات الآيات والأخبار القدسيّة وغيرها وتلويحاتها، وأنّهم لم يهتدوا إلّا بولايتهم العظمى ولم يستسعدوا إلّا بالتمسّك بعروتهم الوثقى ، ومنهم أخذوا آداب العبوديّة وبهم علموا ما علموا وبلغوا إلى ما بلغوا من المراتب السنيّة و الدرجات الرفيعة ، وقد كان اولوا العزم منهم يتمنّون كونهم من شيعتهم و امّته و المتّبعين لشريعته وطريقته ، وهم قد اودعوا أسرار الملك والملكوت واروا ملكوت الأرض والسماء فصاروا بهم من الموقنين و الأخلّاء لربّ العالمين و سفراء وحيه وحكمته

وقرناء علمه وآياته، رسلاً مبشّرين ومنذرين، صادعين بإيصال أحكام الله إلى العالمين بل وقد انكشف الغطاء عن أبصار بعض اولي البصائر من أصحابهم والمقتبسين من مشكاة أنوارهم و المستضيئين من مصباح ولايتهم فصاروا علماء هذه الأمّة وقاربوا مرتبة الأنبياء ودرجتهم الرفيعة وسلّطهم الله على الأبدان والنفوس وخطرات القلوب وسرائر العالم ومخفيّاتها وأشهدهم على محتجبات عالم الشهود ومخفيّاتها ، و حكاية زيد بن النبي صلّى الله عليه وآله[1] مشهورة معروفة ، بل وفي زماننا هذا نشاهد مثلهم من أهل زماننا ممّن وفّقهم الله تعالى وأرشدهم إلى ينابيع علمه وحكمته، بل و نشاهد من بعض المرتاضين من المتصوفة الضالّة المضلّة كشف بعض مستترات هذا العالم السفلي لهم بواسطة رياضتهم الفاسدة إذ هو الله سبحانه لا يضيع جزاء أحد ، فهم لمّا انقطعوا عن العالم العلوي و تركوا المقصد الأصلي وأتعبوا نفوسهم بالمشاق والرياضات الباطلة و لتحصيل الدنيا الدنيّة والاحاطة بمغيباتها فسلّطهم الله عليه وحرمهم جنّته ورضوانه، فاو كان هؤلاء بهذه المثابة فكيف حال النبي صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام ؟ أفترضى أن تنفى لهم العام بهذه الامور؟ مع أنّ العلم لا يوجد إلّا عندهم ولا يمكن الوصول إلى مرتبة من المراتب إلّا بالاقتداء بهم ، إذ هو صلّى الله عليه وآله مدينة العلم وهم أبوابها وقد قال الله تعالى «وأتو البيوت من أبوابها»[2] فهم صلوات الله عليهم حملة عام الله وأبواب حكمته ويعلمون كلّ شيء ويرون من خلفهم كما يرون من قدامهم ويساوى حياتهم وموتهم ويقظتهم ونومهم ، وقد أرشدوا بعض أصحابهم وأروهم عوالم غير هذا العالم بل وإلى الجنّة والنار ، وأخبروهم بضمائرهم على حدّ لا يقبل للانكار ، بل قال رئيس العارفين و أمير المؤمنين عليه السلام : لو كشف الغطاء لما ازددت يقيناً[3] ولا يناقضه قوله صلّى الله عليه وآله : ماعرفناك حقّ معرفتك، لا لما قاله بعض فضلاء الأصحاب

---

(١) المراد به «زيد بن حارثة» الذى تبناه النبى صلى الله عليه وآله .

(٢) البقرة : ١٨٩ .

(٣) شرح مائة كلمة لابن ميثم : ص٥٢ .

من التوجيهات الغير الوجيهة بل لأنّ مراد الرسول صلى الله عليه وآله بيان أنّه لا تمكن المعرفة بالله سبحانه حقّ معرفته ولا يمكن تحصيل العلم بكنه ذاته المقدسة إذ هو مخوص بذاته المقدسة ، والأمير عليه السلام إنّما ادّعى إحاطته بجميع ما هو قابل لتحمّله من معرفته وسائر الامور ولو على ماهي عليه بحيث او كشف الغطاء لا يزيد عليه شيئاً وهذا لا ينافي لعدم التمكّن من معرفة الربّ سبحانه حقّ المعرفة ولا لبلوغ النبيّ صلى الله عليه وآله رتبة فوق رتبته عليه السلام .

ولو قيل : إنّ قوله صلى الله عليه وآله يصير إذاً كإظهار البديهي.قلنا : يتصور فيه فوائد جليلة كقصده صلى الله عليه وآله بذلك لتقديسه سبحانه أو لتعليم الامّة، إلى غير ذلك .

وكيف ماكان: فلنوضح المرام بإيراد مجمل التحقيق في المقام بحيث نرجو أن يكتفي به المهتدي ونقتصر عليه لضيق المجال. ولئن وفّقنا الله سبحانه لنعطف عنان الكلام إلى نحو هذا المضمار ونحقّق هذا المرام على الوجه التام بحيث لا مزيد عليه ونوشّحه بذكر الآيات والأخبار الدالّة على أفضليّتهم عليهم السلام من جميع الملائكة والأنبياء وهدايتهم بهم ونتبعها ونردفها ببعض الحكايات والقصص الدالّة على علمهم بجميع الامور بل ومعرفة خلّص أصحابهم بها ونرصّعها بأمثال ذلك ممّا يشيّد أركان ذلك،فنقول :

اعلم أنّ الحقّ علمهم بالفعل بجميع الأشياء من الأحكام الشرعيّة وموضوعاتها وسائر الامور والأحكام الخارجة عنهما وأسرار الربوبيّة وأستارها،فربما أظهروها وربما رأوا استتارها ، وأمّا بعض الوقائع المبيّنة لجهلهم كحكاية التوضّؤ من الماء الذي وقع فيه الفارة ثمّ علمه عليه السلام بذلك وكندائه عليه السلام لغلامه من وراء الجدار ونحو ذلك ، وهي التي قادت أصحاب القول الأول إلى المصير إلى ماقالوا والجرأة على مابه لهجوا ، فإنّما هي كلّها من قبيل ما رأوا استتارها أصلح وإخفائها أرجح مع أنّهم حاكمون بالظاهر وعاملون بمقتضاه، فقد قالوا عليهم السلام: نحن نحكم بالظاهر وأمّا إخبارهم بالامورات المخفيّة فأكثر من أن تحصى وتعدّ كإخبار أمير المؤمنين

عليه السلام ليلة قتله به [١] و كذلك سيّدنا ومولانا أبو عبدالله الحسين عليه السلام [٢] به و كذلك سائر المعصومين عليهم السلام أخبروا بامورات شتّى في مواضع كثيرة .

فإن قلت : يكذّب الأولين ما يستلزمهما من الاقدام على إتلاف النفس القبيح وإلقاء النفس في ورطة الهلكة وهو قبيح نهاه عنه سبحانه. قلت : إنّ المصالح المتعلّقة بقتلهما ممّا لا يحصى، ومن مصالح الثاني ما لو جمع لصار كتاباً كثير الحجم جداً، ومنه انكسر ظهر الشيطان الرجيم وندم على ما فعله اللعين لمّا رأى من استيجابه لنجاة المذنبين طوائف طوائف وأقواماً، مع أنّا قد ذكرنا أن ليس مدار تكاليفهم في تلك الأحكام والامور إلّا بالأسباب الظاهريّة كغيرهم ، ولئن أبيت عن ذلك كلّه فنقول : إنّهم اودعوا علم الأولين والآخرين وأحاطوا بمشارق الأرض ومغاربها والسماوات العلى وما فوقها ولكن غضّوا أعينهم عن الامورات الدنيّة وصرفوا أنظارهم عن التوجّه إلى نحوها واشتغلوا بما أشغلهم عنها واستغرقوا في بحار معرفة الله سبحانه وغمسوا فيها ، فهم عالمون بكلّ الامور إلّا أنهم لا يلتفتون إلى بعضها وينسونها ومتى يوجب له مصلحة فيلتفتون إليها ويعلمونها من دون سبق جهل ولا إقامة برهان ودليل [٣] فإن أردت من العلم الملكي و الارادي هذا المعنى فنعم الوفاق ، أو غيره فهو جرأة عظيمة وجسارة جسيمة مخالف للآيات والأخبار وتخفيف للأئمّة الأخيار والله سبحانه مع الأبرار ولا يضيع أجر المحسنين ، ونرجو منه خير الدنيا والآخرة واتّباع النبيّ وأولاده المعصومين عليهم صلوات الله ربّ العالمين وسلامه أبد الآبدين ولعنة الله على أعدائهم والغالين فيهم ومخفّفيهم وغاصبي حقوقهم أجمعين آمين آمين.

وقد فرغ مؤلفه الحقير الفقير الجاني زين العابدين الگلپايگاني في أرض كربلاء المعلّى .

---

(١) الارشاد للمفيد : ص ١٦٨ .

(٢) الارشاد للمفيد : ص ٢٣٠ .

(٣) الغرض استواء الحالتين لأن علمهم قديم . (منه رحمه الله) :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ربّ العالمين ، والصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمّد وآله الطيّبين الطاهرين،ولعنةالله على أعدائهم وظالميهم وغاصبي حقوقهم أجمعين أبد الآبدين .

وبعد، لمّا وفّقني الله سبحانه وتعالى لتصنيف رسالتين عزيزتين جليلتين في فضائل النبيّ صلى الله عليه وآله و عترته الطاهرين عليهم السلام كتابنا «روح الايمان» و« الأنوار القدسيّة » و وقع الفراغ منهما ، فعززناهما بثالث بإلهام من الله سبحانه و تعالى في شرح أطول الخطب النبويّة صلى الله عليه وآله و أجمعها في فضائل شهر الله الأعظم المبارك « شهر رمضان » فشرعت فيه متوكّلاً على الله سبحانه و تعالى ،و مستعيناً به ومستمسكاً بحبله المتين، راجياً إلهام الصواب والاهتداء إلى الحقّ الحقيق في كلّ باب ، و هو وليّ الخيرات و المحمود والمشكور ووليّ الحسنات، و سمّيته بـ«إيضاح الجوامع» .

فأقول : روى الشيخ الجليل ثقة الاسلام و رئيس المحدّثين أبو جعفر محمّد ابن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي ، الصدوق ـ رحمه الله ـ في العيون عن محمّد بن بكران [1] النقّاش وأحمد بن الحسن القطّان ومحمّد بن أحمد بن إبراهيم

(١) في العيون « بكر بن نقاش » .

المعاذي ومحمّد بن إبراهيم بن إسحاق المكتب، قالوا : حدّثنا أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني[1] مولى بني هاشم، قال: حدّثنا علي بن الحسن بن علي بن فضّال، عن أبيه، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه الباقر محمّد بن علي، عن أبيه زين العابدين علي بن الحسين، عن أبيه سيّد الشهداء الحسين بن علي، عن أبيه سيّد الوصيّين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خطبنا ذات يوم، فقال :

أيّها الناس، إنّه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيّامه أفضل الأيّام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، فاسألوا الله ربّكم بنيّات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفّقكم لصيامه وتلاوة كتابه، فإنّ الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدّقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقّروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم، وغضّوا عمّا لا يحلّ النظر إليه أبصاركم وعمّا لا يحلّ الاستماع إليه أسماعكم، وتحنّنوا على أيتام الناس يتحنّن على أيتامكم، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم، فإنّها أفضل الساعات ينظر الله عزّ وجلّ فيها بالرحمة إلى عباده، يجيبهم إذا ناجوه، ويلبّيهم إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعوه.

أيّها الناس، إنّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخفّفوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أنّ الله تعالى ذكره أقسم بعزّته أن لا يعذّب المصلّين والساجدين وأن لا يروّعهم بالنار يوم يقوم الناس

---

(١) و في الوسائل رواه عن العيون بالسند المذكور و عن الامالى عن محمد بن ابراهيم بن اسحاق عن أحمد بن محمد بن سعيد . (منه أعلى الله مقامه) .

لرب العالمين .

أيّها الناس ، من فطّر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عندالله عزّ وجلّ عتق رقبة ومغفرة لما مضى من ذنوبه ، فقيل : يارسول الله وليس نقدر كلّنا على ذلك ، فقال ﷺ : اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة ، اتّقوا النار ولو بشربة من ماء .

أيّها الناس ، من حسن منكم خلقه كان له جواز على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام ، ومن خفّف منكم في هذا الشهر عمّا ملكت يمينه خفّف الله عليه حسابه ومن كفّ فيه شره كفّ الله عنه غضبه يوم يلقاه ، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه ، ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه ، ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه ، ومن تطوع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النار ، ومن أدى فيه فرضاً كان له ثواب من أدى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور ، ومن أكثر فيه من الصلاة عليّ ثقّل الله ميزانه يوم يخفّف الموازين ، ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور .

أيّها الناس ، إنّ أبواب الجنان في هذا الشهر مفتّحة فاسألوا ربّكم أن لا يغلقها عليكم ، وأبواب النيران مغلقة فاسألوا ربّكم أن لا يفتحها عليكم ، والشياطين مغلولة فاسألوا ربّكم أن لا يسلّطهم عليكم .

قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : فقمت و قلت : يا رسول الله ، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر ؟ فقال : يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عزّ وجلّ ، ثمّ بكى ، فقلت : يارسول الله ﷺ ما يبكيك ؟ فقال : يا عليّ أبكي لما يستحلّ منك في هذا الشهر ، كأنّي بك و أنت تصلّي لربّك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود فضربك ضربة على قرنك فخضب منها لحيتك ، قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : فقلت : يارسول الله ﷺ وذلك في سلامة من ديني ؟ فقال ﷺ : في سلامة من دينك .

ثمّ قال : يا عليّ من قتلك فقد قتلني ، ومن أبغضك فقد أبغضني ، ومن سبّك فقد سبّني ،لأنّك منّي كنفسي،روحك من روحي وطينتك من طينتي، إنّ الله تبارك وتعالى خلقني وإيّاك واصطفاني وإيّاك ،واختارني للنبوّة واختارك للامامة ومن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوتي .

يا عليّ أنت وصيّي وأبوولدي وزوج ابنتي وخليفتي على امّتي في حياتي وبعد موتي ، أمرك أمري ونهيك نهيي ، اقسم بالّذي بعثني بالنبوة وجعلني خير البريّة إنّك لحجّة الله على خلقه وأمينه على سره وخليفته على عباده (١) .

اعلم أنّ تتميم المرام في المقام يحتاج إلى رسم أبحاث :

البحث الاول

في تحقيق سند الحديث الشريف
والتعرض بحال رجاله ، وبيان اعتباره

فأما محمّد بن بكران النقّاش، ففي الوجيزة: محمّد بن بكر بن جناح الكوفي ثقة غير إمامي ، وابن بكران بن عمران الرازي حسن .

وفي الخلاصة في القسم الأول : محمّد بن بكر بن جناح أبوعبدالله كوفي مولى ثقة ، وفي القسم الثاني : محمّد بن بكران بن جناح من أصحاب الكاظم عليه السلام واقفي ، انتهى .

وفي منتهى المقال بعد ذكر محمّد بن بكر الأزدي ومحمّد بن بكر بن جناح الكوفي ومحمّد بن بكر ابن جناح من أصحاب الكاظم عليه السلام ذكر محمّد بن بكران بن عمران المعروف بالنقّاش من أهل القم ، روى عنه التلّعكبري وسمع منه سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وله منه إجازة، لم يرو عنهم عليهم السلام. وفي التعليقة يروي عنه الصدوق مترضّياً مترحّماً ، وهو من مشايخه ايضاً . والمعروف بالنقّاش هو جدّه حمدان

(١) عيون أخبار الرضا : ج١ ص٢٣٠ ح٥٣ .

القلانسي ، كمامرّ في ترجمته . والنجاشي ذكر هنا عمران وفي ترجمة محمّد بن أحمد بن خاقان حمران. والظاهر أنّهما سهو من قلمه .

أقول : ظاهر كلامه ـ سلّمه الله تعالى ـ اتّحاده مع الآتي بُعيده، ولم أعرف له وجهاً أصلاً .

ثمّ ذكر محمّد بن بكران بن عمران أبو جعفر الرازي ، سكن الكوفة وجاور بقيّة عمره عين مسكون إلى روايته ، له كتاب الكوفه وكتاب موضع قبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه وكتاب شرف التربة . النجاشي و ابن داود نقلا عنه إلى قوله : «عين من الأعيان مسكون إليه» وفيه أيضاً وفي الخلاصة «ابن بدران» إلى قوله «بقيّة عمره يسكن إلى روايته وهو عين» أقول :نقل في الحاوي أيضاً عن النجاشي «بدران» إلّا أنّ في نسختين عندي من النجاشي «بكران» انتهى كلام منتهى المقال .

ثمّ ذكر في باب الألقاب عن المجمع ـ تأليف الشيخ مولانا عناية الله ـ النقّاش محمّد بن بكران .

وأمّا أحمد بن الحسن القطّان، ففي منتهى المقال: كثيراً ما يروي عنه الصدوق ـ رحمه الله ـ مترضّياً ، وقال في كمال الدين: حدّثنا أحمد بن الحسن القطّان المعروف بأبي عليّ بن عبد ربّه الرازي ، وهو شيخ كبير لأصحاب الحديث . وفي نسخة منه ومن الخصال «ابن الحسين» وفي الأمالي : أحمد بن الحسن القطّان المعروف بأبي عليّ بن عبد ربّه ، المعدل . والظاهر أنّه من مشايخه ، (التعليقة) . قلت : الذي في نسخة من كمال الدين : حدّثنا أحمد بن محمّد بن الحسن القطّان ، وكان شيخاً لأصحاب الحديث ببلد الريّ ، ويعرف بأبي عليّ بن عبد ربّه، انتهى كلام منتهى المقال.

أقول : في النسخة الّتي رأيناها هكذا «أحمد بن الحسن القطّان وكان شيخاً» إلى آخر ما ذكره .

وأمّا محمّد بن أحمد بن إبراهيم المعاذي، ففي منتهى المقال: يروي عنه الصدوق

مترضّياً (التعليقة) انتهى .

وأمـا محمّد بن إبراهيم بن إسحاق المكتب، ففي منتهى المقال : أكثر الصدوق من الرواية عنه مترضّياً مترحّماً ، وكان من مشايخه ـ رحمه الله ـ والظاهر أنّ كنيته «أبو العبّاس» ولقبه «المكتّب» كما يظهر من غيبة الصدوق ـ رحمه الله ـ (التعليقة)

أقول : جزم جده ـ رحمه الله ـ في حواشي النقد أنّه من مشايخه ـ رحمه الله ـ انتهى.

أقول : روى الصدوق ـ رحمه الله ـ في العيون أخباراً اخر عنه وجعل لقبه المؤدب [1] و المرجع إلى واحد ، لأنّهما بالتشديد من باب التفعيل بمعنى معلّم الكتابة والأدب .

وأمـا أحمد بن محمّد بن سعيد: فهو ابن عقدة . وفي الوجيزة : ابن محمّد بن سعيد ابن عقدة الحافظ، ق ، انتهى .

و في منتهى المقال عن الفهرست: أحمد بن محمّد بن سعيد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبدالله بن زياد بن العجلان مولى عبد الرحمن، بن سعيد بن قيس السبيعي الهمداني المعروف بابن عقدة ، أخبرنا بكتبه أحمد بن عبدون عن محمّد بن أحمد الجنيد، وأمره في الثقة والجلالة وعظم الحفظ أشهر من أن يذكر، وكان زيديّاً جاروديّاً وعلى ذلك مات ، و إنّما ذكرناه في جملة أصحابنا لكثرة روايته عنهم و خلطته بهم و تصنيفه لهم ، وله كتب كثيرة ـ إلى أن قال : ـ أخبرنا بجميع كتبه أبو الحسن أحمد بن محمّد بن موسى الأهوازي عنه ، و مات بالكوفة سنة ثلاث و ثلاثين و ثلاث مائة ، انتهى .

وعن النجاشي بعد الهمداني : هذا رجل جليل في أصحاب الحديث، مشهور بالحفظ ، والحكايات تختلف عنه في الحفظ وعظمه، وكان كوفيّاً زيديّاً جاروديّاً و على ذلك مات ، و ذكره أصحابنا لاختلاطه بهم ومداخلته إيّاهم وعظم محلّه وثقته و أمانته ، ثمّ قال بعد ذكر كتبه : و قد لقيت جماعة ممّن لقيه و سمع

(١) عيون أخبار الرضا : ص١١٩ ح٤٧ وص٢٣٦ ح٦٢ .

منه ومات سنة ثلاث وثلاثين و ثلاث مائة .

و في الخلاصة إلى قوله : « بابن عقدة » وليس فيها « مولى عبد الرحمن » ثمّ قال : يكنّى أبا العبّاس ، جليل القدر عظيم المنزلة ، و كان زيديّاً ـ إلى قوله ـ : وتصنيفه لهم ، روى جميع كتب أصحابنا وصنّف لهم وذكر اصولهم وكان حفظة . قال الشيخ الطوسي ـ رحمه الله ـ : سمعت جماعة يحكون عنه أنّه قال : أحفظ مائة و عشرين ألف حديثاً بأسانيدها ، و اذاكر بثلاث مائة ألف حديث ، له كتب ذكرناها في كتابنا الكبير، منها : كتاب أسماء الرجال الّذين رووا عن الصادق عليه السلام أربعة الآف رجل ، و أخرج فيه لكلّ رجل الحديث الّذي رواه مات بالكوفة سنة ثلاث وثلاثين و ثلاث مائة ، انتهى .

وأما عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضّال : فقد ذكره في الخلاصة في القسم الأول ، وقال : كان فقيه أصحابنا بالكوفة ووجههم وثقتهم وعارفهم بالحديث والمسموع قوله فيه ، سمع منه شيئاً كثيراً . قال النجاشي : لم يعثر له على زلّة فيه و لا ما يشينه ، وقلّ ما روى عن ضعيف ، و لم يرو عن أبيه شيئاً ، وقال : كنت اقابله وسنّي ثماني عشرة سنه بكتبه ولا أفهم إذ ذاك ، ولا استحلّ أن أرويها عنه. وروى عن أخويه عن أبيهما ، وكان فطحيّ المذهب . وقد أثنى عليه محمّد بن مسعود أبو النضر كثيراً ، وقال : إنّه ثقة . وكذا شهد له بالثقة الشيخ الطوسي والنجاشي ، فأنا أعتمد على روايته وإن كان مذهبه فاسداً ، انتهى .

وعن التعليقة ، في العدة : إنّ الطائفة عملت بما رواه بنو فضّال ، و كثيراً ما يعتمدون على قوله في الرجال ويستندون إليه في معرفة حالهم من الجرح والتعديل بل غير خفيّ أنّه أعرف بهم من غيره ، بل من جميع علماء الرجال ، فإنّك إذا تتبّعت وجدت المشايخ في الأكثر بل كاد أن يكون الكلّ يستندون إلى قوله ويسألونه و يعتمدون عليه ، انتهى .

وما مرّ عن النجاشي من عدم روايته عن أبيه ، فعن الفوائد النجفيّة تخطئته

فيه ، وأنّ في كتاب عيون الأخبار رواية عليّ عن أبيه كثيرة جداً ، وكذا في كتاب الخصال والأمالي والعلل وغيرها ، وفي أكثرها سند الصدوق إليه هكذا : عن محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ، عن أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني - وهو ابن عقدة - ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن الرضا عليه‌السلام فما ذكره النجاشي - طاب ثراه - ممّا لا تعويل عليه ، انتهى .

أقول : لقد أصاب صاحب الفوائد ، ومن جملة ما رواه عن أبيه هذا الحديث الشريف والّذي قبله متّصلاً به وأخبار اخر قبله وبعده بفاصلة يسيرة .

وأمّا الحسن - أبوه - فهو زاهد جليل القدر عظيم المنزلة ثقة في حديثه ، بل ذكره بعض في أصحاب الاجماع ، وكان فطحيّاً يقول بعبدالله بن جعفر ، فعدل عنه عند موته ، بل ظهر منه عند موته أنّه عدل إلى الحقّ قبله بمدة فينفع في رواياته ، فتأمّل . ولو ثبت كون عليّ - ابنه - فطحيّاً فهو من شواهد عدم عدول أبيه . وكيف كان : فرواياته معتبرة مقبولة وإن لم تكن صحيحة باصطلاح المتأخّرين.

وينقدح من جميع ما مرّ أنّ الحديث الشريف موثّق معتبر يعتمد عليه ، وقد جزم باعتباره العلاّمة المجلسي - رحمه‌الله - في زاد المعاد[1] . مع أنّ فصاحة ألفاظه وبلاغتها وعلوّ معانيها ومضامينها ممّا يشهد بصدقه ويحصل منه الاطمئنان والوثوق ، ويكفي ذلك في مقام الثبوت بعد انسداد باب العلم - كما تقرر في محلّه - بل أكثر فقراته ممّا يقطع بخروجه عن حدّ الناس ، وأنّه لا يقدر على الاتيان به غير المعصوم عليه‌السلام مضافاً إلى ورود أكثر الفقرات بل كلّها في سائر النصوص ، فيتعاضد بها ، والله العالم والموفّق .

---

(١) زاد المعاد : ص ٨٦ .

البحث الثاني

في شرح أجزاء الحديث الشريف وبيانها

قوله ﷺ: «خطبنا ذات يوم» قال الشارح شيخنا البهائي ـ رحمه الله ـ في الأربعين: ضمن «خطبنا» معنى «وعظنا» فعدّاه تعديته، وإلّا فـ «خطب» هنا لازم بمعنى النطق بالخطبة. وكما يضمن المتعدي بنفسه معنى المتعدي بحرف فيتعدى به، كذلك قد تضمن اللازم معنى المتعدي فيتعدى بنفسه، كما نحن فيه. ومنه قوله تعالى: «ولا تعزموا عقدة النكاح» قالوا: إنّه ضمن معنى تبتّوا فعدى بنفسه وإلّا فهو يتعدى بـ «على». واليوم الّذي أبهمه ﷺ بقوله: «ذات يوم» في بعض الروايات أنّه كان آخر جمعة من شعبان [1] انتهى.

وبما ذكره صرح في مجمع البحرين أيضاً [2].

---

(١) كتاب الاربعين للشيخ البهائي: ص ٨٣.

(٢) ويحتمل أن يكون منصوباً بنزع الخافض، أي «خطب بنا» وقال الشارح بعد ما ذكر بفصل كثير هداية فيها دراية: ما ذكرناه في قوله عليه السلام: «خطبنا» من الحمل على التضمين أولى من الحمل على النصب بنزع الخافض، فان التضمين أكثر وروداً في اللغة وأدق مسلكاً، وأيضاً فهو على تقدير مجازيته أولى من الاضمار. والحق أنه حقيقة لا اضمار فيه، وليس اللفظ مستعملا في كلا المعنيين ولا المعنى الآخر مراداً بلفظ مقدر على حدة ليلزم ذلك، بل اللفظ مستعمل في معناه الحقيقي وهو المقصود منه أصالة، ولكن قصد بتبعية معنى آخر من غير أن يستعمل فيه ذلك اللفظ، أو يقدر لفظ آخر. فلفظ «خطب» مستعمل في معناه أصالة، وتعديته بنفسه يشعر بتبعية معنى الوعظ له. وكذلك لفظ «تكبروا» في قوله تعالى: «ولتكبروا الله على ما هداكم» مستعمل في معناه، وتعديته بـ «على» تشعر باستتباعه معنى الحمد من دون تجوز ولا اضمار فتأمل، انتهى. وفي الحاشية: وجه التأمل أن بعضهم ذهب الى أن دلالة اللفظ على المعنى بالتبعية أيضاً مجاز، انتهى.

أقول: قد يستعمل اللفظ في المعنى الحقيقي وهو المقصود بالحكم أصالة وان خطر المعنى المجازي بالبال في بعض الصور. وقد يستعمل في المعنى المجازي أصالة وان خطر المعنى الحقيقي بالبال في بعض الصور بمقتضى الوضع، لكن يصرف عنه القرينة. وقد يستعمل في المعنى الحقيقي ويراد لا بكونه مقصوداً بالاصالة بل للتوسل الى المعنى المجازي واللازم ←

وفي زاد المعاد ما ترجمته «رووا عن الرضا عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خطب في آخر شعبان» ثمّ ذكر الخطبة .

أقول: الّذي يظهر من الأخبار والآثار: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يواظب على الخطبة والموعظة وبيان فضل شهر رمضان ، ويفعل ذلك كلّ سنة لطفاً له صلى الله عليه وآله بأصحابه وكرماً ، ليستعدوا ويأخذوا أهليّتهم للقائه ولم يحرموا مافي هذا الشهر العظيم من الفيوض و البركات . و كان ذلك في أواخر شعبان ـ آخر جمعة منه أو غيره ـ أو في أوائل شهر رمضان .

فروى في الفقيه خطبة في آخر جمعة من شعبان ، و اخرى لمّا حضر شهر رمضان وفسّر بثلاث بقين من شعبان ، وثالثة لمّا حضر شهر رمضان[1] ولم يفسّر ، فظاهره بعد دخوله ، و المناسب أواخر شعبان ، والتفسير في المتقدم قرينة ذلك و التفسير بثلاث يجامع كونه آخر جمعة من شعبان .

و أمّا هذه الخطبة الشريفة فلم يذكرها في الفقيه ، و ظاهر الاقبال كونها قبل دخول رمضان [2] كما هو المناسب أيضاً والمطابق لسائر الخطب ، وبعد ورود

← كما في الكناية ، وكما في الاستثناء في قولك : «له علي عشرة الا ثلاثة» مثلاً ، فالمقصود سبعة ، واستعمل لفظ «عشرة» في معناه الحقيقي المتوسل اليه ، لا لكونه مقصوداً بالاصالة ، وقد يستعمل في معناه بالقصد أصالةً وتوسلا معاً ، كما في الكناية في بعض الصور ، مثل قولك : «فلان كثير الرماد» اذا قصد كثرة رماده والحكم عليه وكذا لازمه من السخاوة ، فاستعمل اللفظ واريد المعنى الحقيقي لمقصوديته بالاصالة وللتوسل الى اللازم ، وليس من استعمال اللفظ في المعنيين ـ الحقيقي والمجازي ـ بل في المعنى الحقيقي لقصده بالاصالة وللانتقال الى المجازي، والتضمين يحتمل ذلك، فاستعمل اللفظ في معناه الحقيقي وقصد به ، والتعدية قرينة على أنه توصل به الى المجازي أيضاً من دون تجوز ولا اضمار . ويحتمل أن اللفظ مستعمل في معناه الحقيقي والدال على ارادة المجازي التعدية من دون تجوز ولا اضمار أيضاً ـ كما ذكره ـ لكنه تبعي ، فاشرب معنى لفظ آخر ، ولعله كذلك، فيفترق عن الكناية ، فتدبر ، (منه أعلى الله مقامه الشريف) .

(١) من لايحضره الفقيه : ج ٢ ص٩٤ ح١٨٣١ و١٨٣٢ ، و١٨٣٧ .

(٢) اقبال الاعمال : ص٢ .

الرواية بكونه آخر جمعة من شعبان يمكن الاتّكال عليها في ذلك، بل الّذي يظهر ممّا مرّ أنّ أكثر الخطب أو كلّها كان في آخر جمعة من شعبان، فتدبّر.

قوله عليه السلام: «ذات يوم» قال في مجمع البحرين: «وهو عليم بذات الصدور» أي عليم بنفس الصدور أي ببواطنها وخفيّاتها. قوله «وأصلحوا ذات بينكم» أي حقيقة أحوال بينكم، والمعنى: أصلحوا ما بينكم من الأحوال حتّى تكون أحوال الفة ومحبّة واتّفاق ومودة، ومثله «أصلح ذات بيننا وبينهم من الأحوال». وذات الشيء نفسه وحقيقته، وإذا استعمل في «ذات يوم» و«ذات ليلة» و«ذات غداة» ونحوها فإنّها إشارة إلى حقيقة المشار إليه نفسه. وحكي عن الأخفش أنّه قال في قوله تعالى: «وأصلحوا ذات بينكم» إنّما أنّثوا «ذات» لأنّ بعض الأشياء قد يوضع له اسم مؤنّث ولبعضها اسم مذكّر، كما قالوا: «دار» و«حائط» أنّثوا الدار وذكّروا الحائط، انتهى. وقولهم: «فلمّا كان ذات يوم» يقال بالرفع والنصب، بمعنى: كان الزمان ذات يوم أو يوم من الأيام، انتهى.

قوله عليه السلام: «فقال» قال الشارح ـ رحمه الله ـ بعد ما مرّ بلا فصل: وعطف «فقال» على «خطبنا» بالفاء التعقيبيّة، مع أنّه لا تعقيب بين الخطبة والقول، إمّا على تأويل «أراد أن يخطبنا» كما قالوه في قوله تعالى: «كم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون» (١) من أنّه بتأويل أردنا إهلاكها، أو على ما ذكره بعض المحقّقين من النحاة من أنّ التعقيب في الفاء على نوعين: حقيقي معنوي نحو «جاء زيد فعمرو» ومجازي ذكري وهو عطف مفصّل على مجمل، كقوله تعالى: «ونادى نوح ربّه فقال ربّ إنّ ابني من أهلي» (٢) ونحو ذلك «توضّأت فغسلت وجهي ويدي ومسحت رأسي ورجلي» فإنّ التفصيل حقّه أن يتعقّب الاجمال (٣) انتهى.

---

(١) الاعراف: ٤.
(٢) هود: ٤٥.
(٣) كتاب الاربعين للشيخ البهائي: ص٨٤.

أقول: الاتيان بالفاء التعقيبيّة ـ كما يحتمل الوجهين المذكورين ـ يحتمل وجهاً ثالثاً هو أظهر ويظهر من الأخبار، وهو أن يراد من «الخطبة»: الحمدلله والثناء عليه، قبل الشروع في المقصود ليحصل الابتداء بالاسم وبالحمد ويتمّ الأمر.

وأمّا الظهور من الأخبار: ففي الخطب المذكورة في الفقيه في أولها «خطب رسول الله صلى الله عليه وآله الناس في آخر جمعة من شعبان، فحمد الله و أثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس... إلخ». وفي الثانية «ثمّ صعد المنبر فحمدالله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس... إلخ» وفي الثالثة «قال عليّ عليه السلام: لمّا حضر شهر رمضان قام رسول الله صلى الله عليه وآله فحمدالله و أثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس... إلخ»[1] وكلّها كالنصّ فيما ذكرناه من أنّ المراد بالخطبة ما ذكر.

لكن حينئذٍ يفوت مامرّ من التضمين، إذ لا وعظ في «الحمدلله» فما ذكرنا يتّجه لو كان هكذا خطب... إلخ. و «الحمدلله» في الخطب وقعت جزءً من الخطبة لا تفسيراً لها، فلا شهادة لها على ماذكر. فأحسن الوجوه في الكلّ الوسط، وأنّه من عطف المفصّل على المجمل.

قوله صلى الله عليه وآله: «أيّها الناس» أي من الجنّة والناس، بناءً على العموم لهما وحضورهما، أو الناس والاولى تابعة بناءً على الخصوص أو عدم الحضور.

قوله صلى الله عليه وآله: «إنّه قد أقبل إليكم شهر الله» قال الشيخ البهائي ـ رحمه الله ـ: تأكيد الحكم بـ «إنّ» مع أنّ قرب شهر رمضان ممّا لا ينكره المخاطب و لا يتردد فيه لعلّه من إخراج على خلاف مقتضى الظاهر بجعل غير المنكر كالمنكر إذا لاح عليه شيء من أمارات الانكار، كقوله: «إنّ بني عمّك فيهم رماح» فالمخاطبون كأنّهم لما لم يستعدوا و لم يتهيّؤا لدخوله بالخروج من المظالم والتبعات وتهيّة الأقوات لتفطير الصائمين والصدقات ولم يحصل لهم الفرح والاستبشار بإقبال هذا الشهر العظيم الّذي تغفر فيها الخطيئات وتستجاب فيها الدعوات، جعلوا

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص ٩٤ و٩٦ و٩٨.

كأنّهم منكرون لاقباله عليهم ، فخوطبوا خطاب المنكر مع المبالغة في التأكيد بالابهام بضمير الشأن ثمّ التفسير و« قد » التحقيقيّة .

و لا يبعد كون التأكيد جارياً على مقتضى الظاهر نظراً إلى أنّ الحكم ليس مجرد إقبال الشهر ، بل هو إقباله مصاحباً للبركة والرحمة والمغفرة ، ولعلّ هذا الحكم المقيّد ممّا يشكّ فيه بعض الحاضرين أو ينكره بعض المنافقين ، فخاطبهم جميعاً بالحكم المؤكّد من قبيل تغليب المتّصف بأمر على غير المتّصف به. و إسناد الاقبال إلى الشهر مجاز عقليّ . ولك أن تجعل التجوز في الطرف لا في النسبة، إمّا في المسند بجعل الاقبال مجازاً عن القرب، أو في المسند إليه على طريقة الاستعارة بالكناية . و يمكن طيّ الكشح عن التجوز في المفرد بأن يعتبر تشبيه التلبّس الغير الفاعلي بالتلبّس الفاعلي ويستعمل فيه اللفظ الموضوع لافادة التلبّس الفاعلي، فيصير الكلام استعارة تمثيليّة ، كما في«أراك تقدم رجلاً و تؤخّر اخرى».

و إضافة الشهر إلى الله تعالى لعلّه لمزيد الاختصاص المفهوم ممّا نطق به الحديث القدسي الّذي رواه العامّة والخاصّة « إنّ الله تعالى يقول : إنّ الصوم لي وأنا اجزي عليه» وإمّا إشعاراً بأنّ رمضان من أسمائه تعالى كما رواه الشيخ الجليل قدوة المحدّثين محمّد بن يعقوب الكليني ــ طاب ثراه ــ في كتاب الكافي عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ، عن هشام بن سالم ، عن سعد بن سالم، قال : كنّا عند أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه‌السلام ثمانية رجال، فذكرنا رمضان ، فقال عليه‌السلام : لا تقولوا : هذا رمضان و لا ذهب رمضان و لا جاء رمضان فإنّ رمضان اسم من أسماء الله تعالى و هو عزّوجلّ لا يجيء و لا يذهب وإنّما يجيء ويذهب الزائل . و لكن قولوا : شهر رمضان ، الحديث (١) انتهى .

أقول : الظاهر أنّ المؤكّد هو الشهر المضاف إليه تعالى ، فلعلّه يجهله بعض أو يشكّ فيه أو ينكره بعض المنافقين ، والاضافة للتشريف والتعظيم بالنسبة إلى

(١) كتاب الاربعين للشيخ البهائي : ص٨٤ .

الشهر نفسه ليقع موقع القبول ويعظّم محلّه ويجتهد المخاطبون في تحصيل الاستعداد والتهيّة للقاء هذا الشهر المبارك العظيم الفخيم والوخيم ، ويتبعه تشريف الامّة المرحومة المختصّة به من بين الامم. ووجه الاضافة بيّن بما ذكره ﷺ بعدها ، ويرجع إلى خصال بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى ، وخصال بالنسبة إلى العبد .

فمن الاولى : بسط بساط الرحمة والبركة والمغفرة ،والعتق من النار في أيّامه ولياليه جميعاً ، واستجابة الدعاء فيه كذلك ، وتضعيف الحسنات من الفرائض و النوافل ، و فتح أبواب الجنان ، و إغلاق أبواب النيران ، و غلّ الشياطين بكسر القوى والشهوات بالصوم فيه الموجب لها ، وبغير ذلك من التأثير الثابت لمطلق الطاعات والحسنات المقربة إلى الله والمحصّلة للقرب إليه تعالى والزلفى لديه والمذهبة للسيّئات والماحية لآثارها والمكفّرة لها، بخلاف غيره من الشهور فيختصّ ببعضها في بعض أوقاتها .

ومن الثانية : الصوم لجميع أعضائه وجوارحه وظاهره وباطنه ، والامساك عن المحارم بأسرها ، بل المكروهات ، بل بعض المباحات والمستلذات ، بل رفض جميع ما سوى الله والأغيار، والمواظبة على العبادات الفعليّة والقوليّة فيه من الصلاة والصدقة وتلاوة القرآن والصلاة على النبيّ ﷺ والاستغفار وتفطير الصائمين وغيرها والخروج من التبعات والمظالم المتقدمة .

وإلى ذلك كلّه أشار ﷺ بعبارة وجيزة فصيحة بليغة بأنّه «شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله» بأن يدوم العبد فيه بخدمة ربّه تعالى ولا يغفل عنه وعن ذكره ، وبأن يطعمه ربّه و يسقيه ويشفيه من الأمراض والمهلكات والحواجب ويحرسه ويحفظه، فيقوم عند ربّه في مجلس قربه وحضوره ويكرمه مولاه ويعظّم أجره كالضيف عند المضيف . وذلك إنّما هو المطمع من الأوساط ، وأمّا المقربون فصومهم أن يقولوا : الله ثمّ يذرون ما سواه ، وهو بعينه صلاتهم والتغاير بالاعتبار فما ذكر معنى «شهر الله » سبحانه وتعالى، فهو شهر أفضل الشهور وسيّدها، وكيوم يقرره السلاطين ويجعلونه مخصوصاً من بين الأوقات بإطعام الأضياف والداخلين

ويرخّصون لدخول كلّ أحد عليهم والأكل من موائد إنعامهم ولايحجبون فيه أحداً ، فكذلك هو الله سبحانه وتعالى بسط بساط الرحمة والمغفرة والكرامة ، وفتح أبواب الرحمة والجنّة ، وأغلق أبواب النيران في تمام هذا الشهر ، ومنع الحواجب عن دخول الداخلين : من الشهوات والشياطين والقوى ، وحبسهم بالصوم المضعف لها والمكسّر لشوكتها وقوتها . فالعباد أضيافه تعالى فيه ، فهو شهر الله الذي ينبغي للعباد الاشتغال بخدمته سبحانه و الاعراض عن غيره و غير طاعته ، و ينبغي لله سبحانه وتعالى إكرامهم وإعطاءهم .

فقوله ﷺ : «بالبركة ... إلخ» بيان لوجه الاضافة ، و «الباء» للملابسة والمصاحبة ، مثل «دخلت عليه بثياب السفر» ويصحّ جعلها سببيّة أيضاً .

ثمّ التهيئة والاستعداد يحصلان بثلاثة أيّام ، ولذا خطب ﷺ قبل دخول شهر رمضان بثلاثة أيّام وآخر جمعة من شعبان ، ومن صام ثلاثة أيّام من آخره وأوصله إلى صوم شهر رمضان فكأنّما صام شهرين قبله . فجعل الله تعالى شهر رجب للوصيّ كما جعل رمضان لله تعالى وشعبان للنبيّ ﷺ ، فرجب وشعبان وسيلتان جعلا أصلين ، ورسول الله ﷺ استعدّ وتهيّأ له بشهر فجعل شعبان له ، ولمّا جعل الله تعالى رمضان له وشعبان لرسوله تهيّأ الوصيّ واستعدّ لهما بشهر ، فالأفضل ذلك ، ثمّ صوم شعبان خاصّة ، ثمّ صوم ثلاثة من آخر شعبان ، والأقلّ والأكثر يختلفان في الفضيلة .

وبالجملة : فأكرم الله سبحانه وتعالى هذه الامّة المرحومة ، فجعل صوم شهر رمضان لهم وخصّهم بتلك الكرامة وجعلهم على مضاهاة الأنبياء وفضّلهم على سائر الامم بذلك ، فهم أضياف الله سبحانه وتعالى في هذا الشهر مثل الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، ومن حقّ الضيف أن يكرم ، وأمر الله سبحانه بإكرامه وهو أولى بذلك .

فاللازم على العباد أن يغتنموا تلك العطيّة و يجتهدوا في دخول المضيف

ويكون قرى ، واللازم على الله سبحانه وتعالى المضيف له أن لايؤاخذ ضيفه وقريبه ويغفر له وأن يدخله جنّته ، فمن عرف ذلك ودخل في زمرة الأضياف وحضر مجلس قرب ربّ الأرباب فقد فاز لجوائز الله سبحانه وتعالى ، ومن لم يوفّق له ولم يدخل مع الداخلين من الأضياف ولم يفعل مايخرج به عن الذنوب من العبادات صلاة وصوم وصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله فقد أبعده الله سبحانه وتعالى ، فالشقيّ من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم ولم يتدارك الحواجب السالفة ولم يخرج منها وقد خرج الشهر وترك المكفّرات « إنّ الله لايظلم الناس شيئاً ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون » [1] .

فقد علم ما هو اللازم على الله المضيف لعباده المكرمين : من الافاضة والقرب والزلفى والعفو عنهم والشفقة عليهم بحبس الحواجب والشياطين بكسر القوى وتضاعف الاجور وثواب الأعمال والعفو والمغفرة والعتق من النار ، وما هو اللازم على الأضياف : من الحضور ودوام الذكر وتدارك الذنوب ومباشرة الطاعات والمكفّرات وسلب الحواجب السالفة والمقارنة والخلوص ورفض الشهوات وشعب الشرك والبراءة من الرياء والشرك .

ثمّ من أعظم مايستجلب به الفيوض والأرزاق في هذا الشهر العظيم التشبّه بالله سبحانه : من التخفيف على المماليك والعفو عن جرائمهم وإعطاء المستحقّين وإطلاق الاسارى وعتق الرقاب ،ولذا واظب عليها النبيّ صلى الله عليه وآله وأوصياؤه المعصومون كما في النصوص .

فالضابط للعباد أمران: الطاعة و الخدمة و الاجتهاد فيهما و فيما يرضون به ربّهم وبارئهم، والتشبّه به سبحانه في الصفات والأفعال التي يحبّ الله تعالى الاشتراك فيها ومن ذلك الصوم لأنّ فيه تشبّهاً بالصمد تعالى، ورفض مايبغض الشركة فيه: من الكبر و التقديس لأنفسهم ، و الشرك و الشهوات . و قد أشار النبيّ ـ الرحمة

(١) يونس : ٤٤ .

للعالمين- إلي جميع ذلك بعبارات بليغة فصيحة وإلى الضابطة فيما هو وظيفة الربّ سبحانه وتعالى الرؤوف الرحيم العطوف الكريم.

ثمّ اعلم أنّ فضل هذا الشهر المبارك وأفضليّته على سائر الشهور أمر واضح غير منكور، ويدلّ عليه ضروب من الأدلّة بتعبيرات لطيفة بليغة.

الاول : ما ذكر من إضافته إلى الله سبحانه و تعالى، و كفى ذلك فضلاً وشرفاً و كرامة، فقد آثره الله سبحانه وتعالى واصطفاه واختاره لنفسه من بين الشهور.

و التحقيق أنّ كلّ الشهور له تعالى، و خالق الزمان والزمانيّات و جميع المخلوقات للتوحيد والمعرفة والايمان والعبادة والطاعة، لافرق في ذلك بين الأزمنة والأمكنة وبين المخلوقات، و كلّهم مسخّرون له ومطيعون وساجدون خاضعون في مقام التكوين «وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم»[1] وأمّا في مقام التكليف، فالتكليف الكلّي مخصوص بالثقلين و الملائكة، وفي هذا المقام بعض المكلّفين مطيعون وبعضهم عاصون. و الّذي يظهر من الأخبار والآثار أنّ جميع المخلوقات لهم تكليف بالولاية وفروعها والجزاء عليها، وإن لم يكن تكليف من سوى الثلاثة المذكورة، وأجرهم على حدّ تكاليفهم وأجرهم. مثلاً من قبل الولاية من الأراضي والمياه وصارت من الشيعة الاثني عشريّة تصير حلواً أو نصيب مؤمن أن يشربه، وهكذا. ومن أنكره يصير سخناً مالحاً، ونحوهما.

وبالجملة : إيجاد المخلوقات وترتيب المسبّبات على الأسباب وجعل الطبائع والطعوم في الأشياء كلّها للطاعة، فقد جعل الله سبحانه وتعالى في الأرض طبيعة توجب لانبات الحبّة، وفي المنيّ طبيعة توجب لتكوين النطفة، وهكذا، و كلّها للطاعة، لكن إن عصى العباد وصرفوها إلى غير جهة أرادها الله سبحانه وتعالى لم يسلب الله تعالى التأثير عنها، قضاءً للابتلاء و لحكمة التكليف والاختيار. فيتولّد من الزنا وينبت من الحبّة المغصوبة أو منها في الأرض المغصوبة، وهكذا. لكنّ الله سبحانه

(١) الاسراء : ٤٤ .

وتعالى لم يرده ولا يرضى إلّا المجوز الذي أباحه ، لاغير .

ثمّ من العباد من فهم لغرض الله سبحانه وتعالى من خلقه وخلق ما يتعلّق به وسائر الموجودات فلم يشتغل بآن بغير العبادة سواء كانت عبادة موظّفة مجعولة كالصلاة والصوم وغيرهما ، أو بقصد جهة راجحة يصيّرها كذلك بالعرض ، مثل قصد الاستراحة والتقوي على العبادة وتحصيل النشاط فيها بالأكل والنوم ، وكذا الحال في سائر الامور وسواء كان ذلك بسهولة أو بمشقّة شديدة ، والأول مثل الملائكة الّذين هم يسبّحون بالليل والنهار وهم لا يفترون ويعبدون الله تعالى بالشهوة و ميل و شوق و لم يركّب فيهم الشهوات و المعارضات الصارفة عن الطاعات ، والثاني مثل الأنبياء والأوصياء والأولياء . وهذه درجة لاتختصّ بالمعصومين من الأنبياء والأوصياء والملائكة المقربين بل تعمّهم وسائر الأولياء ، فقد أمر النبيّ صلى الله عليه وآله أباذرّ بذلك ، فقال صلى الله عليه وآله : «وليكن لك في كلّ شيء نيّة حتّى في النوم والأكل» [١] وحكاية اشتغال النبيّ صلى الله عليه وآله وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين والأئمّة عليهم السلام في تمام عمرهم بالطاعات واشتهارها يغني عن التطويل بذكرها .

فانظر إلى صلاته صلى الله عليه وآله إلى أن ورمت قدماه وإلى جهاده و مجاهداته ، وإلى عبادة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وصلاته في كلّ ليلة ألف ركعة أو ألفي ركعة ، و إلى عبادة الأئمّة عليهم السلام مثل الرضا عليه السلام و زين العابدين وموسى بن جعفر عليهما السلام في مدة حبسه و غيرها ، و عبادة الصادق عليه السلام وسائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام . هذا كلّه في هذه النشأة و إلّا فقيامهم عند حضرت ربّ الأرباب في النشآت والعوالم والحجب ورفعها وعبادته سبحانه وتعالى مالا يحصيه ولا يعرفه إلّا هو ، هذا حال هؤلاء .

و أمّا عامّة الناس : فقد علم الله سبحانه أنّهم لا يستديمون على العبادة على أحد الوجهين في تمام عمرهم ويغفلون عن أمر الله ويتهاونون في تحصيل غرض الله

---

(١) مجموعة ورام : ج٢ ص٥٨ .

فاختار لهم أزمنة خاصّة وأمكنة معيّنة وأدعية مخصوصة ونحوها، وفضّلها على سائر ما يجانسها بمقتضى الحكمة وضاعف اجور الأعمال فيها وبها وأرشدهم إليها ليتداركوا بالعبادة والطاعة فيها أجر مثل المستديم على العبادة في تمام عمره، مثل صوم ثلاثة أيّام في كلّ شهر وضمّه إلى صوم شهر رمضان، ومثل ليلة القدر، ومثل المشاهد والروضات وسائر الأمكنة الشريفة والأدعية، ومن ذلك هذا الشهر المبارك، فافهم.

الثاني: التصريح بالأفضليّة، كما نبّه صلى الله عليه وآله عليه بقوله: «شهر هو عند الله أفضل الشهور ... إلخ».

الثالث: التصريح بكونه سيّد الشهور، كما في النصوص، وسيأتي.

الرابع: المنع وتحريم امور فيه أباحها في سائر الشهور أوجعل المنع فيه أشدّ: من أكل وشرب وجماع وغيبة وكذب وغير ذلك، فإنّ ذلك وأمثاله من قرائن الاحترام والتعظيم. فأنت ـ وفّقك الله ـ إذا ورد عليك صبيّ تفعل بحضوره أشياء تحبس عنها نفسك عند حضور شيخ كبير أورجل جليل أوعالم أو سلطان أو أمير، فمن شاهد صنعك بالصنيعتين واختلاف الحالين يعلم ويستدلّ به على تعظيم الثاني بمالايليق به الأول، وهو واضح. وقد صرح به سيّد العابدين وزين الساجدين صلوات الله عليه في الصحيفة السجّادية في دعائه عند دخول شهر رمضان قال عليه السلام: «والحمدلله الذي حبانا بدينه واختصّنا بملّته وسبّلنا في سبل إحسانه لنسلكها بمنّه إلى رضوانه، حمداً يتقبّله منّا ويرضى به عنّا، والحمدلله الذي جعل من تلك السبل شهره شهر رمضان شهر الصيام وشهر الاسلام وشهر الطهور وشهر التمحيص وشهر القيام الّذي انزل فيه القرآن هدىً للناس وبيّنات من الهدى والفرقان، فأبان فضيلته على سائر الشهور بما جعل له من الحرمات الموفورة والفضائل المشهورة، فحرّم فيه ما أحلّ في غيره إعظاماً وحجر فيه المطاعم والمشارب إكراماً. وجعل له وقتاً بيّناً لايجيز جلّ وعزّ أن يقدم قبله

ولا يقبل أن يؤخّر عنه»[1] الدعاء.

فتدبّر في مواضع من كلماته عليه السلام حيث أشار بها إلى نعم الله سبحانه وتعالى وتفضّله علينا بأن حبانا بدينه واختصّنا بملّته ولم يذرنا مهملين كسائر الحيوانات ثمّ فضّل علينا بأن جعلنا من امّة خير المرسلين صلى الله عليه وآله ثمّ تفضّل بتسبيل سبل لاحسانه لنسلكها بمنّه إلى رضوانه. ثمّ حمدالله تعالى على أن جعل من تلك السبل شهره شهر رمضان وأكّد في ذلك في تعظيمه بالاضافة إليه بالضمير أولاً ثمّ بالظاهر، ففيه مزيد فضل لهذا الشهر ولنا، بأن جعله من سبل رضوانه لنا كالأنبياء، فإنّه مخصوص بهم من دون الامم الماضين.

وفي قوله عليه السلام: «شهر الصيام. إلخ» إشارة إلى ما ذكرناه من الخصال للربّ تعالى وللعباد في وجه الاضافة ومعنى الضيافة.

ثمّ أشار بقوله عليه السلام: «وجعل له وقتاً ... إلخ» إلى أنّه لا يقوم مقام شهر رمضان غيره من الشهور في الفضل والفوائد المذكورة وغيرها.

ثمّ نبّه بقوله عليه السلام: «بما جعل له من الحرمات ... إلخ» وقوله عليه السلام: «فحرم فيه ... إلخ» على ما ذكرناه من جهة فضله.

الخامس من وجوه فضله: تضاعف ثواب الأعمال فيها، فإنّه لا معنى لفضيلة زمان على زمان أو مكان على مكان إلّا مزيد الأجر والمثوبة على عمل في الفاضل منهما على العمل في المفضول، وبه صرح الشهيد ـ قدس سره ـ في القواعد[2].

السادس من وجوه فضله و أفضليّته: زيادة الترغيب والطلب بالاشتغال بالعبادات والطاعات فيه ليفوز العباد بمزيد الأجر على الأعمال فيه، ونبّه عليه السلام على ذلك بقوله: «شهر الصيام» إلى قوله: «وشهر القيام» بل يحتمل إرادة الامساك من الاشتغال بغير طاعته سبحانه فيه من الصيام والتفريغ لعبادته فيه من القيام،

(١) الصحيفة السجادية: ص٢١٢ الدعاء ٤٤.

(٢) القواعد والفوائد: ج٢ ص١٠٨ وص١٢٣.

فيصير الطلب آكد، كما لا يخفى .

وفي الخطبة الشريفة أيضاً إشارات إلى ذلك بل تصريحات ، وكذا في سائر الخطب وأدعية هذا الشهر، مثل قوله صلى الله عليه وآله : « شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله . . . إلخ » وقوله صلى الله عليه وآله : « أنفاسكم . . . إلخ » وغيرهما .

السابع من وجوه فضله وأفضليّته على سائر الشهور: اشتماله على ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ليس فيه ليلة القدر، وفي الدعاء المأثور « وجعلت فيه ليلة القدر وجعلتها خيراً من ألف شهر » الدعاء، ولم يقل عليه السلام : « وجعلتها كألف شهر» فإنّه سبحانه وتعالى هو العالم بمقدار خيريّتها وما تعادله من الأجر والثواب، هل هو ألف سنة أو آلاف أو أزيد أو أنقص؟ ولعلّ الحكمة في إبهام مقدار الخيريّة ما في نظائرها من ضلالة بعض بالانكار وعدم قبول عقولهم وعدم طاقتهم وتحمّلهم له ، مثل حبّ الوصيّ صلوات الله عليه و أكثر فضائله التي لم يذكرها رسول الله صلى الله عليه وآله خوفاً من الغلوّ وضلالة بعض باعتقاد الالوهيّة أو بالمقابلة بالانكار وعطبهم به ونحوهما ، وزيارة الحسين عليه السلام وأمثالهما .

وقال سيّد الساجدين عليه السلام في الصحفية السجّادية بعد ماذكر بالافضل: «ثمّ فضّل ليلة واحدة من لياليه على ألف شهر وسمّاها ليلة القدر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر سلام دائم البركة إلى طلوع الفجر على من يشاء من عباده بما أحكم من قضائه»[1] الدعاء

الثامن : نزول القرآن الّذي هو أفضل الكتب السماويّة وأعظمها قدراً فيه دفعة إلى سماء الدنيا أو إلى بيت المعمور ، ثمّ نزوله ثانياً منجّماً في مدة بعثته صلى الله عليه وآله أو تكامل نزوله فيه ، كما قاله الصدوق ـ رحمه الله ـ [2] ولا يخفى ما في ذلك من الفضيلة .

(١) الصحيفه السجادية : ص٢١٣ الدعاء٤٤ .

(٢) أمالي الصدوق: ص ٦٠ ح٥ مع اختلاف يسير في العبارة .

و في شرح الصحيفة للمحقّق الفاساني ـ رحمه الله ـ حبانا بدينه : اختصّنا بإعطائه إيّانا ، فما بعده عطف بيان له . و المراد بالدين والملّة الاسلام ، قال الله تعالى : « إنّ الدين عند الله الاسلام » شهر الاسلام : أي الانقياد و الطاعة، وشهر الطهور : أي من دنس الآثام ، و شهر التمحيص : أي الابتلاء و الاختبار ، وشهر القيام : في لياله إلى العبادة ، انزل فيه القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ثمّ نزل في نحوعشرين سنة إلى الأرض ، فأبان : أظهر ، الموفورة : المتكثّرة ، وحجر : منع ، انتهى .

التاسع : صعود كلام الله الناطق عليه السلام فيه الّذي شرفت الكعبة بولادته فيها واخضرت الأشجار بمصاحبته لها وأشرقت الأرض بنور ربّها وشهادته والفوز بلقاء ربّه تبارك وتعالى ، وهذا عندي أعلى وجوه الفضل وأعظمها لهذا الشهر .

العاشر : اختصاصه بالصوم الّذي هو لله سبحانه وتعالى من بين الطاعات واصطفاه وجعله لنفسه وجزاؤه عليه أو جعل نفسه جزاءه .وسيجيء بيانه وشرحه ـ إن شاء الله المنّان ـ. إلى غيرذلك من وجوه الفضل المختصّ بها، وقد أشرنا إلى شرح هذه الوجوه وبيانها على سبيل الاجمال ، وسنذكر تفاصيلها بعون الله المتعال و لنذكر أولاً كلاماً يتعلّق بهذه الاضافة ، ثمّ نتعرض لمعنى الاضافة و الوجوه المذكورة فيها و في أفضليّة هذا الشهر .

فنقول : قد عرفت فيما مرّ من كلام الشارح البهائي ـ رحمه الله ـ النهي عن إطلاق «رمضان» على هذا الشهر وقول : «هذا رمضان وذهب رمضان وجاء رمضان » و تعليله بأنّ رمضان اسم من أسماء الله تعالى و هو عزّ وجلّ لايجيء ولايذهب(١). فاعلم أنّه ورد النهي عن نحوماذكر في أخبار اخر أيضاً .

منها : رواية غياث بن إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين

(١) أربعين الشيخ البهائي : ص٨٥ .

عليه‌السلام : لاتقولوا رمضان ولكن قولوا شهر رمضان ، فإنّكم لاتدرون مارمضان [١].

ومنها : ما في الوسائل، قال عليّ بن موسى بن طاووس في كتاب الاقبال نقلاً من كتاب الجعفريّات ـ وهي ألف حديث ـ بإسناد واحد عظيم الشأن إلى مولانا موسى بن جعفر عن آبائه عليهم‌السلام عن عليّ عليه‌السلام قال: لاتقولوا رمضان فإنّكم لاتدرون ما رمضان ، فمن قاله فليتصدق وليصم كفّارة لقوله ، ولكن قولوا كما قال الله عزّ وجلّ : شهر رمضان [٢] .

وظاهر هذين الخبرين يوهم النهي عن إطلاق رمضان مطلقاً، وكذا الصحيح المتقدم ، لكن بالتدبّر يظهر أنّ المراد إطلاق رمضان على هذا الشهر وإجراء أحكامه من المجيء والذهاب ونحوهما عليه .

ثمّ التعليل في هذين الخبرين يغاير بظاهره للتعليل المذكور في الصحيح لكن بالتدبّر يظهر اتّحاد التعليلين وإن اختلفا بالاجمال و التفصيل ، فإنّ الظاهر أنّ المراد به في هذين أيضاً أنّ رمضان اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى ، وقد عرفت أنّ ذلك هو المستفاد من الاضافة في هذه الخطبة الشريفة . وأظهر منها الصحيفة السجّاديّة ، بقرينة البيان والتفسير والاضافة إلى نفسه تعالى أوّلاً بالضمير ثمّ بالمظهر والبيان ، حسبما عرفت .

ثمّ قد ظهر ممّا ذكر أنّ وجه المنع أنّ رمضان اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى قد استعمله الشارع تعالى وأراد نفسه في القرآن ، وعند أهل العرف يستعمل في هذا الشهر و يترتّب عليه أحكامه ممّا لايليق بجنابه سبحانه مثل المجيء والذهاب ونحوهما ، فجهة المنع توهّم أحكام الزائلات عليه تعالى . ومنه يستنبط اللبيب أنّ المنع على سبيل الكراهة ، لمكان التوهّم المزبور ، ولو اريد به الله سبحانه ورتّب عليه تلك الأحكام فهو محرم قطعاً بل كفر ، ومن هنا حملوا النهي

---

(١) الوسائل : ج٧ ص٢٣١ ح١ .
(٢) الوسائل : ج٧ ص٢٣٢ ح٣ .

على الكراهة .

قال في الوسائل بعد ذكر الأخبار المذكورة : و يدل على نفي التحريم مع عدم التصريح به وعدم التشديد في النهي وجود لفظ «رمضان» من غير إضافة إلى الشهر في عدة أحاديث ، كما مضى ويأتي . والكفّارة محمولة على الاستحباب ، لما ذكرنا [١] انتهى وهو جيّد .

و قال الشهيد ـ رحمه الله ـ في القواعد : روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله « من صام رمضان و أتبعه بستّ من شوال فكأنّما صام الدهر » و فيه مباحث : الأول ، لم قال : رمضان ؟ و قد قال تعالى : شهر رمضان ، وفي الحديث : لا تقولوا رمضان . و جوابه : إنّما قيل للتنبيه على جواز ذلك اللفظ و إن كان غيره أولى منه [٢] انتهى وهو حسن .

وماذكرناه من كون رمضان اسماً من أسماء الله تعالى ودلّت عليه النصوص المذكورة قول بعض . و قيل : إنّه علم للشهر كرجب و شعبان ، ومنع الصرف للعلميّة والألف والنون. وقد عرفت أنّه التحقيق وأنّ السبب في المنع التنزيهي لمكان التوهّم المزبور ، وإلّا فعند أهل العرف يستعمل في الشهر ، مثل رجب وشعبان .

و حينئذٍ ففي كون إطلاقه على الله سبحانه بوضع الشارع على خلاف العرف واللغة وجهان، وعلى تقدير ثبوته لابدّ من حمله على اصطلاحه في كلماته. لكن عرفت ثبوت إطلاقه على الشهر في الأخبار أيضاً .

وقال في مجمع البحرين: قوله تعالى: «شهر رمضان الّذي انزل فيه القرآن» فرمضان اسم للشهر [٣] قيل : سمّي بذلك لأنّ وضعه وافق الرمض ـ بالتحريك ـ

---

(١) الوسائل : ج ٧ ص٢٣٣ .

(٢) القواعد للشهيد : ج٢ ص١١٠ .

(٣) لايخفى ما في هذا التفريع ، والصواب أن يقول : فرمضان اسم من أسماء الله تعالى، اللهم الا ان يجعل الاضافة بيانية، وهو خلاف الظاهر، والله العالم. (منه أعلى الله مقامه).

وهو شدة وقع الشمس على الرمل وغيره، وجمعه رمضانات وأرمضاء . وفي المصباح: قال بعض العلماء : يكره أن يقال : جاء رمضان و شبهه إذا اريد به الشهر وليس معه قرينة تدلّ عليه ، و إنّما يقال : جاء شهر رمضان ، و استدلّ بحديث « لا تقولوا : رمضان ، فإنّ رمضان اسم من أسماء الله تعالى، ولكن قولوا: شهر رمضان» قال : وهذا الحديث ضعّفه البيهقي ، وضعفه ظاهر [(١)] لأنّه لم ينقل عن أحد من العلماء أنّ رمضان من أسماء الله تعالى فلا يعمل به، والظاهر جوازه من غير كراهة، كما ذهب إليه البخاري وجماعة من المحقّقين . و قد ثبت في الأحاديث الصحيحة ما يدلّ على الجواز مطلقاً، كقوله: « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنّة وغلقت أبواب النيران و صفّدت الشياطين » قال : و قال القاضي عياض : و في قوله: « إذا دخل رمضان » دليل على جواز استعماله من غير لفظ «الشهر» خلافاً لمن كرهه. انتهى كلامه . وهو مرغوب عنه، فإنّ في كثير من أحاديث أهل الحقّ النهي عن التلفّظ برمضان من دون إضافة الشهر ، تعليلاً بأنّه اسم من أسماء الله تعالى ، ووقوعه في بعض الأحاديث مجرداً عنه غير ضائر ، لامكان قصد بيان الاباحة وهي لاتنافي الكراهة . قال الشهيد الأول في كتاب نكت الارشاد ما هذا لفظه: فائدة ، نهي عن التلفّظ برمضان بل يقال شهر رمضان في أحاديث من أجودها ما أسنده بعض الأفاضل إلى الكاظم عليه السلام عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام ، قال: « لا تقولوا رمضان، فإنّكم لا تدرون ما رمضان ! من قاله فليتصدق وليصم كفّارة لقوله، ولكن قولوا كما قال الله تعالى : شهر رمضان » وعن الأزهري : العرب تذكر الشهور كلّها

---

(١) أي ضعف الحديث لاضعف التضعيف، فهو بيان لوجه الضعف ويدفعه ما ذكره بقوله : « وهو مرغوب عنه» فان عدم النقل عن أحد من العلماء لا يضر . ويكفى التصريح بالنهى عنه فى الاخبار و التعليل بأنه اسم .. الخ، كما أنه يكفى فى الكراهة النهى ولاينافيها وقوعه مجرداً فى بعض الاخبار لامكان قصد بيان الجواز وعدم الحرمة وهو يجامع الكراهة.

(منه أعلى الله مقامه)

مجردة من لفظ «شهر» إلّا شهري ربيع ورمضان، ويحكى أنّ العرب حين وضعت الشهور وافق الوضع الأزمنة ثمّ كثر حتّى استعملوها في الأهلّة وإن لم يوافق ذلك الزمان، فقالوا: شهر رمضان لما ارمضت الأرض من شدة الحرّ، و شوال لما شالت الابل بأذنابها للطروق، وذوالقعدة لما ذلّلوا القعدان للركوب، وذوالحجّة لما حجّوا، و المحرم لما حرموا القتال أو التجارة، والصفر لما غزوا و تركوا دار القوم صفرا، وشهر ربيع لما أربعت الأرض وأمرعت، وجمادى لما جمدالماء، ورجب لما أرجبوا الشجر، و شعبان لما أشعبوا العود، وفي حديث السجود «أخاف الرمضاء على وجهي كيف أصنع؟» يعني الحجارة الحامية من حرّ الشمس، قال: «تسجد على ثوبك» ومثله «شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله الرمضاء في جباهنا فلم يشكنا» أي لم يزل شكايتنا. و رمض يومنا رمضاً ـ من باب تعب ـ اشتدّ حره. ورمضت قدمه بالحرّ: احترقت، وأرمضتني الرمضاء: أحرقتني. ولعلّ منه قوله عليه السلام: «أرمضتني اختلاف الشيعة» والرميض: الحديد الماضي، ومنه الخبر «إذا مدحت الرجل في وجهه فكأنّما أمررت على حلقه موسى رميضا»[1] انتهى كلام مجمع البحرين.

أقول: صريح كلام الأزهري أنّ العرب لم تذكر شهري ربيع و رمضان مجردين من لفظ «الشهر» وعلى هذا يتعيّن المنع الوارد في الأخبار في إطلاق «رمضان» مجرداً على هذا الشهر، ويتأيّد ما فيها: من أنّه اسم من أسماء الله تعالى. لكن يدفعه الورود في الأخبار و في كلام أفصح الفصحاء. فالحقّ صحّة الاطلاق على هذا الشهر مجرداً ومع إضافة الشهر، فيتحصّل منه جواز الاطلاقين وصحّتهما.

لكنّ الأولى ترك إطلاق المجرد وإرادة الشهر بلاقرينة عليها، لمكان الابهام المتقدم. وأمّا إطلاقه وإرادة الله سبحانه وتعالي وترتيب أحكام الزائل عليه فهو محرم و كفر، حسب ماعرفت، بل الأولى الترك مع القرينة على إرادة الشهر

(١) مجمع البحرين: ج٤ ص٢٠٨.

و ينص بماذكرناه -من الحرمة والكفر في الصورة المزبورة مع وضوحه- ماحكي عن بعض العلماء وقوله: «إذا اريد به الشهر وليس معه قرينة» إذهو صريح في أنّ الكراهة إنّما هي مع إرادة الشهر و عدم القرينة عليها ، فمع إرادة الله به محرم و كفر ، ومع نصب القرينة لاحرمة و لا كراهة .

والحقّ ماذكرناه: من الكراهة مع القرينة وبدونها ، لكن في الثاني أشدّ ، فنفي الكراهة مطلقاً - كما عن البخاري وجماعة - فاسد ، و كذا في صورة نصب القرينة على إرادة الشهر . كما أنّ الحرمة مطلقاً لادليل عليه ، والنهي الواردفي الأخبار لايصلح لها . و كذا منع أنّ رمضان اسم من أسماء الله تعالى فاسد ، بل ظهر ممّا مرّ ثبوت الاطلاق عليه تعالى وعلى نفس الشهر وأنّ الأول أكثر،ولذا أنكر الأزهري ذكر العرب إطلاق «رمضان» على هذا الشهر مجرداً من لفظ «الشهر» وإن كان هو فاسداً أيضاً ، حسب ما عرفت ، والله العالم .

تنبيه :

قد عرفت فضل شهر رمضان وأفضليته على سائر الشهور ووجوه فضله وحرمته وعظمته وأنّ الفضل يوجب لوفور ثواب العاملين فيه و قبول أعمالهم ومضاعفة اجورهم وشفاعته لهم ، وهذا معنى فضل الزمان وأفضليّته على زمان آخر ، بمعنى أنّ ثواب العامل فيه أكثر ، و كذا الحال في المكان ، بل و كذا الحال في العامل ، فالفضيلة معنى واحد في الجميع ، و حقيقتها أنّها شيء يوجب لاستجلاب الغيوض ولكثرة الأجر والمثوبة وقبول الشفاعة و المقرب إلى الله سبحانه و تعالى و للاحترام والاكرام له ولما يتعلّق به الراجع إلى إكرامه وحسبما تقدمت الاشارة إليه .

فاعلم أنّ السرّ واللمّ الحقيقي في ذلك : أنّ الله سبحانه وتعالى أحبّ معرفته وتوحيده، فخلق الخلق لذلك وأخذعليهم الميثاق بذلك، فمن سبق إلى ذلك وعزم عليه صار من المقربين ، حيث سبق إلى مراد الله وحقّق لغرض الله تعالى

فأجاب دعوتـه و سبق إليها و امتثل لأمر مولاه ، فأول من سبق إليه محمّد و آله الطاهرون صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، فخضعوا له ورفضوا التكبّر عليه ، و ظهرت فيهم حقيقة العبوديّة ، وعبدوه وأطاعوه ، وأحكموا عقد طاعته ، وبذلوا أنفسهم في مرضاته، وصبروا على ماأصابهم في جنبه، فرفعوا الحواجب والحجب ، وغمسوا في بحار أنوار عظمته، وعلّمهم ماكان ومايكون ، وأدبهم وأكملهم ،ووجدهم امناء عرفاء فانين في الله . ثمّ من تبعهم في ذلك وشابههم في التوحيد والمعرفة ، جعلهم أتباعاً لهم كما تبعوهم ، فبعد التأديب والتكميل والأمانة وبذل نفوسهم جعلهم أولياء له و على مخلوقاته ، و أناط طاعته بطاعتهم و عبادته بمتابعتهم و محبّته بمحبّتهم ، و وسائط بينه وبين خلقه. فلمّا سبقوا إلى قبول أمره بالأصالة وأكملوا العبوديّة والاقرار بالتوحيد بلاواسطة أحد شاء أن يعبدوه بلاواسطة أحد ، كما كانوا ممتثلين لأمره وميثاقه كذلك. ولما كان غيرهم إنّما هدي بهديهم وقبل أمر الله تبعاً لهم شاء منهم أن يعبدوه بواسطتهم كما كانوا كذلك .

فشأنهم عليهم السلام الهداية و الارشاد و الولاية على الأشياء و الأمانة في مقام التربية وتكميل العباد، وشأن من سواهم الخضوع لهم والقبول منهم وقبول ولايتهم والاقرار بأفضليّتهم ومتابعتهم والاهتداء بهديهم .

فمن هنا جاءت ولايتهم في البين ولها جهتان :جهة الأولى بالتصرف والتربية والارشاد في حقّهم عليهم السلام ، وجهة الانفعال و قبول الاطاعة و التبعيّة لهم في حقّ سائر العباد .

فوظيفتهم عليهم السلام توحيد الله وتكميله ومعرفته وتربية عباد الله والأمانة فيه و وظيفة من سواهم توحيد الله و معرفته بالأخذ منهم و موالاتهم و الاقرار بإمامتهم وتقديمهم لدى الحوائج والخضوع لهم ، فمن سبق إلى ذلك وعزم عليه صار من المقربين ومن اولي العزم. ومن توقّف فيه أوأنكر له أو جحد لفضلهم قولاً أو اعتقاداً أو عملاً صار من الهالكين ، فهذا هو المناط والمعيار في السعادة والشقاوة

والنجاة والهلاك في جميع الموجودات وذرات العالم بصنوفها وأجزائها وأنواعها من إنسان نبيّ وغيره وملك وحيوان وجماد ونبات وزمان ومكان وجبال ومعادن ومياه وأراضي وغيرها ومن جملة ذلك الأمكنة، مثل الكربلاء والكعبة والمساجد وغيرها، ومنها الأزمنة من شهر رمضان وأيّام الجمعة ولياليها وسائر الأزمنة، فالكلّ فيهم مطيعون وعاصون والموالي والمبغضون.

فأفضل الشهور وأسبقها إلى قبول الولاية وإطاعة أحبّاء الله وأوليائه ـ الأئمّة عليهم السلام ـ شهر رمضان، فقد عظّمه الله سبحانه وتعالى لسبقه إلى قبول الولاية وامتثال أمر الله سبحانه و تعالى فيها. وأيضاً إنّ الله سبحانه و تعالى أحبّهم ولابدّ من متابعة الله سبحانه وتعالى ومحبّة حبيبه و التشبّه به تعالى فيه و الصلاة على من صلّى عليه، فمدار الفضل في جميع الموجودات المعرفة والخدمة والطاعة والتوحيد.

و هم عليهم السلام قد أكملوا العبوديّة بوجه لايدانيهم فيه أحد، لا ملك مقرب، ولا نبيّ مرسل، فصاروا لذلك أقرب الموجوادت وأفضل المخلوقين والوسائط للفيوض إلى العباد، لكن لكلّ صنف توحيد ومعرفة وطاعة. فمن جحدهم أو حاربهم أوردّ عليهم عليهم السلام كافر مشرك، لاطاعته للشيطان وللنفس و الهوى، ومن خضع لهم وأحبّهم فهو الموحّد الّذي قبل عنهم عليهم السلام.

وللتوحيد درجات ومراتب، فصحّ أنّ المدار على التهليل والتوحيد بشرطه وهو الولاية، وصحّ أنّ معيار النجاة هو الولاية أو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وصحّ أنّ المناط هو الايمان.

وبالجملة: فالمقصود توحيد ربّ العالمين والاقرار به وقبوله والاتّصاف به اعتقاداً وقولاً و عملاً على نحوٍ أرشد إليه الأئمّة الهداة و الدخول من باب فتح الله عليهم. وقد بان بما ذكرناه إلى هنا امور:

الاول: معنى فضيلة الأشخاص والأشياء وأفضليّة بعضها على بعض، وأنّه شيء واحد في الجميع من العاملين وغيرهم والجمادات والحيوانات والجبال والأراضي والمياه

والأزمنة والأمكنة والأحوال وغيرها، وأنّها كيفيّة في الشيء توجب لكثرة الثواب والأجر أو الفوائد بالعمل أو بالعمل فيه أو بالعمل متلبّساً به، ونحو ذلك.

الثاني: مدار الفضيلة و الأفضليّة في الكلّ و اللمّ فيها على قبول ولاية النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة الطاهرين عليهم السلام و الكمال فيها والسبق إليها، وأنّه مطّرد في جميع الأشياء من ذوي العقول وغيرها، وأنّ جميعها لها شعور وإدراك وتكليف بالتوحيد والولاية وتوابعهما، و أنّ الجميع مطيعون منقادون لذلك التكليف ولاعاصي فيه في مقام التكوين ويختلفون في مقام التشريع والتكليف بمعناه الظاهر، وأنّ التكليف التشريعي والاختلاف فيه عامّ بجميع الأشياء، وإن كان التكاليف الكلّي الخاص مخصوصاً بالانسان والملائكة والجنّ

الثالث: في وجوه يستكشف بها حرمة الشيء و فضله وعظمته، والاشارة إلى فوائد يترتّب على ذلك

الرابع: في سرّ توسّط الولاية ولزوم الاقرار بها في حقّ من سوى النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام في توحيدهم ومعرفتهم بالله تعالى دونهم عليهم السلام، بل الحقّ أنّهم عليهم السلام أيضاً مكلّفون بالاقرار واعتقاد ولاية أنفسهم بعضهم بعضهم بالنسبة إلى بعض، بل كلّ لنفسه أيضاً وبالولاية بالجهة الفاعليّة بمعنى التربية و التكميل للمخلوقات والتصرف فيهم بالوجه الأحسن. وفيه الاشارة إلى أنّ موالاتهم عليهم السلام واجبة لوجهين: امتثاله لأمره سبحانه وتعالى بها وأخذ الميثاق عليها وتبعاً لمحبّة الله تعالى لهم، حيث إنّه أحبّهم للسبق إلى الايمان به واجتهادهم في خدمته ويجب محبّة حبيب الله وأحبّائه والتشبّه بالمبدء سبحانه وتعالى.

الخامس: أنّ أفعال الله سبحانه وتعالى معلّلة بالأغراض و يتبع الحكمة والمصالح، ومن ذلك تفضيل الفاضلين على المفضولين، وأنّه لعلمه بسبقهم إلى التوحيد وتحقيق مراد الله وامتثال أمر الله فيه وفي توابعه وفروعه وبكمالهم فيه، فخلقهم ممّا يليق بهم وأكرمهم بذلك، ثمّ ظهر منهم ما علمه الله تعالى في الأزل

فاجتهدوا في الخدمة ، وأكّدوا التوحيد والمعرفة ، و بذلوا أنفسهم في مرضاة الله وفي تعليم العباد وإرشادهم ، فلذلك صاروا أقرب ممّن سواهم وواسطة الفيوض بينه وبين المخلوقات .

وبقي الكلام في أدلّة فضيلة هذا الشهر والنصوص الدالّة عليها وسنذكرها ـ إن شاء الله تعالى ـ في ضمن شرح أجزاء الخطبة الشريفة .

وكذا بقي الكلام في أنّ للجوع فضلاً ، وللصوم فضلاً ، ولصوم ثلاثين في شهر رمضان فضلاً وحكمة ، وأنّ صوم شهر رمضان مخصوص بالأنبياء وهذه الامّة المرحومة ، وغير ذلك . و سنذكر ـ إن شاء الله تعالى ـ جميع ذلك بعون الله تعالى. والحمد لله ربّ العالمين .

واعلم أنّ فضيلة الأمكنة والأزمنة بل غيرهما قسمان : ذاتيّ وعارضيّ ، والأول لما ذكرناه من قبول الولاية والسبق إليها ، والثاني للتعلّق بالأئمّة الفاضلين بتوطّن فيه أودفن أو كونه يوم نصب بالامامة ، ونحوها . ولله درّ العلّامة الطباطبائي حيث قال في المنظومة في مكان المصلّي في بيان فضل المشاهد المشرفة :

أكثر من الصلاة في المشاهد	خير البقاع أفضل المعابد
لفضلها اختيرت لمن بهنّ حل	ثمّ بمن قد حلّها سمى المحل
والسرّ في فضل صلاة المسجد	قبر لمعصوم به مستشهد
ورشّة من دمه مطهّرة	طهّره الله لعبد ذكره [1]

إلى آخر ما قال ـ قدس الله تعالى سره وطيّب رمسه ـ ولعلّ فيه إشارة إلى طهارة دم المعصوم عليه السلام وبوله وغائطه ، وفيه اختلاف . والحقّ ما ذكره ـ رحمه الله ـ فكما أنّ المسلمين تطهر ظواهرهم ورطوباتهم بالاسلام و يغفر لهم كفرهم بالتوبة عنه وكذا معاصيهم ، فكذا المعصوم يطهر ظاهره وباطنه وسائر رطوباته ، من غير

(١) الدرة النجفية (منظومة فى الفقة) للسيد بحر العلوم : ص ١٠٠ .

فرق بين البول والغائط والمني وغيرها، وكذا أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً وعصمهم من السوء والخطأ والنسيان، فليس في بول المعصومين ودمائهم وأبوالهم وغائطهم استخباث وقذارة يوجب الاجتناب في الصلاة ونحوها ـ كما هو معنى النجاسة ولا نتن في بولهم وغائطهم بل هما كالمسك الأذفر، بل من شرب بولهم وغائطهم ودمهم يحرم الله عليه النار واستوجب دخول الجنّة.

لكن ورد النهي عنه انتظاماً للأمر. وكذا يجب الاجتناب ويلزم الغسل عنه في مثل الصلاة طرداً للباب ولعموم الحكمة في تشريع الأحكام الظاهريّة.

وفي «ك»: معنى النجاسة لزوم الاجتناب ومعنى الطهارة عدم لزومه. ويظهر فساده ممّا ذكرناه، وكم من شيء يجب الاجتناب عنه وليس بنجس، ومنه المذكورات والسموم ومال الغير وفي حال المرض والتضرر وغيرها بل النجاسة استخباث وقذارة يوجب الاجتناب في مثل الصلاة ونحوها، كما ذكرناه وصرح به الشهيد السعيد ـ قدس سره ـ في القواعد [1].

وإذا عرفت ما ذكرناه وتحقّقت ما قلناه تعرف أنّ شرافة الكعبة بالذات للسبق إلى الاقرار بالتوحيد والولاية وقبولهما وزادت شرافته بتولّد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فيها، وشرافة المشاهد بالأصالة بما ذكرناه من قبول الولاية والتوحيد والسبق إليهما وأبهمه العلّامة الطباطبائي ـ قدس سره ـ وشرافتها بالعارض بشرافة من حلّ فيها، وكذا الحال في المساجد كما بيّنها، فهي بالأصالة فيها لما ذكرناه وبالعارض لدفن معصوم شهيد فيها، ورشّة من دمه الطاهر المطهّر أوجب فتح باب رحمة الله فيها من حين شهادته ولم يسدها بعد، فقذف الله تعالى في قلوب عباده بناء مسجد هناك لطفاً بهم وكرامةً عليهم لتقع عباداتهم في محالّ نظر رحمة الله، وتقع به موقع القبول، والله المشكور.

وتتفطّن ممّا ذكرناه أفضليّة مشاهد الأئمّة عليهم السلام من المساجد، ولاسيّما مشهد مولانا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وحائر الحسين عليه السلام كما يظهر

---

(١) القواعد والفوائد: ج٢ ص٨٥.

الاكثار من الصلاة وسائر العبادات في المشاهد والمساجد من أمكنة الفيض، وكذا في سائر أمكنته، فكذا في أزمنة الفيض والشرف، ومن أفضلها شهر رمضان، كما في النصوص ومنها فقرات الخطبة الشريفة، والنكتة واضحة.

ثمّ بناءً على ماذكر نقول: قد عظّم الله حرمة شهر رمضان و فضّله على سائر الشهور بالأصالة، لما ذكرناه من قبول التوحيد و الولاية و السبق إليهما والاقرار بهما، وبالعارض لنزول القرآن فيه وصعود كلام الله الناطق عليه السلام فيه وتضمّنه لليلة القدر الّتي هي ليلة الاستعداد للقاء ربّه تبارك وتعالى وليلة الصعود وتوابعه. وإن شئت جعلت الأخير من وجوه استكشاف فضله والأولين من وجوه تحقّق فضله العارضي. و الحقّ الأمران في الجميع، ففضله لنزول القرآن فيه و استكشاف به أيضاً، ففضله لنزول القرآن مثلاً فيه و زيادة اجور الأعمال فيه لذلك فضل له عارضاً ولفضل القرآن، ويستكشف به فضله أيضاً حيث اختير لنزول القرآن فيه، وكذا الحال في غيره.

ثمّ بما ذكرناه تندفع شبهتان:

الاولى: شبهة اختلجت ببال بعض العلماء وأنكربها فضل زيارة مولانا أبي‌عبدالله الحسين عليه السلام بالمقدار الوارد في النصوص وبأضعاف الحجّ والعمرة.

و وجه الدفع: أنّ الكثرة بهذا المقدار لفضل المزور عليه السلام ولعمله الأحمز، فلااستبعاد ولاشبهة ولامنافات لقاعدة تبعيّة فضيلة الأعمال وأفضليّتها لأحمزيّتها.

وكذا الحال في صوم يوم الغدير وسائر مايتعلّق بالأئمّة عليهم السلام من زمان ومكان وموالي وغيرهم، ففضل هذه المتعلّقات والأعمال المتعلّقة بها الفضل من تعلّت هي به. واختلاف مقادير ثواب الأعمال فيها الواردة في النصوص لاختلاف العاملين ودرجاتهم في الايمان والتوحيد والولاية، أوبحذف بعض المقدار في الناقص لرعاية حال السائل وأهليّته للمقدار المذكور له وعدم أهليّته للزيادة و هلاكته بسماعها، إمّا للغلوّ بها أو للانكار ونحو ذلك من الوجوه والمصالح، وقد بسطنا المقال في ذلك في مفتتح

«الغرة الدرية» شرح «الدرة الغروية» من تأليفاتنا .

والحاصل : أنّ الفضل الحقيقي والفضيلة المطلقة إنّما هي للنبي ﷺ وعترته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . ويتشعّب منها فضيلة متعلّقاتهم عليهم السلام من الأشخاص والأزمنة والأمكنة والأحوال وسائر المتعلّقات ومتعلّقات المتعلّقات تبعاً لهم عليهم السلام بمقدار ارتباطها بهم عليهم السلام ويتفاوتون في الفضيلة ومقاماتها على حسب درجاتهم واختلافهم في درجات قبول التوحيد والولاية والسبق إليهما والعزم عليهما وفي مقدار الارتباط والتعلّق ودرجاتهم فيهما وحسب متابعتهم لهم عليهم السلام واختلافهم فيها واختلاف درجاتهم وتفاوتها في التشبّه بهم عليهم السلام واقتدائهم بهم عليهم السلام ، فمن كان ارتباطه بهم عليهم السلام في المعرفة والتوحيد لربّ العالمين وفروعه من الأعمال والخصال أشدّ فهو أفضل وأكرم وأقرب إلى الله تعالى . وكذا الحال في أعدائهم في البعد عن الله سبحانه وتعالى ، فالأشدّ مخالفة لهم عليهم السلام والانكار لفضلهم عليهم السلام في الاعتقاد والأعمال أبعد من الله تعالى وأشدّ عذاباً ، وهكذا.

فقد تحصّل وتبيّن أنّ الفضل بالأصالة لمحمّد ﷺ وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ولمن سواهم تبعاً لهم لارتباطهم بهم عليهم السلام ولا فضل ولا كرامة لمن لم يرتبط بهم عليهم السلام بوجه .

ثمّ الفضل للمرتبطين قسمان : ذاتيّ لقبول التوحيد والولاية والسبق إليهما والتكميل لهما ، وعارضيّ ولو من دون اختيار لهم ، وإن كان تفضّل عليهم باستحقاقهم أيضاً أو تفضّلاً محضاً ، كدفن وولادة وكونه محلّ نصب للخلافة من مكان أو زمان ونحو ذلك ، وهذا أيضاً يحصل به الارتباط ، لكن الارتباط مرة بقبول الولاية اختيار أو إن كان بإنعام من الله سبحانه وتعالى وإحسان منه ، ومرة بالعوارض وإن كان بنوع استحقاق وأهليّة لها أيضاً . وفي قوله تعالى لنبيّه المختار ﷺ : «بشّر أخاك عليّاً عليه السلام بأنّي لا اعذب من تولّاه وإن عصاني ولا أرحم من عاداه وإن أطاعني»[1] إشارة

(١) الجواهر السنية فى الاحاديث القدسية : ص ٢٧٠ مع تفاوت .

إلى ذلك وبشارة ، فافهم واستقم كما امرت وكن من الشاكرين ، والحمدلله ربّ العالمين ، وصلّى الله على محمد وآله الطيّبين الطاهرين ، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين أبد الآبدين .

الثانية : شبهة رسخت في ذهن بعض العلماء المعاصرين من أهل بلدنا ـ رحمهم‌الله تعالى ـ فأنكر تبعيّة فضل زيارة المزور لفضله ، فعلى تقدير أفضليّة مولانا أبي عبدالله الحسين عليه‌السلام من مولانا الرضا عليه‌السلام لا يلزم أفضليّة زيارة الحسين عليه‌السلام من زيارة الرضا عليه‌السلام ، وتعلّق في ذلك بشبهات حسبها أدلّة وبراهين .

منها : ما ورد من الفضل الكثير للصلاة خلف العامّة والاقتداء بهم وأنّها كالصلاة خلف رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله .

فبما حقّقناه من معنى الفضيلة ومناطها تعرف ضعف هذا التخييل ، وهذا أمر مركوز في الأذهان الّتي لم تسبق الشبهة ، فإنّه لو دار أمرهم بين تقليد الأفضل و المفضول يختارون الأول ، و لو ترددوا في إحسان و خدمة للفاضل و المفضول يؤثرون الأول ، سواء الأحياء منهم والأموات ، وهكذا ، إلاّ إذا عارضت جهة الفضيلة جهة اخرى راجحة عليها . وما في الأخبار من أنّ من زار فلاناً كمن زار رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله و نحوه صريح فيما ذكرناه و إرشاد إلى ماهو مركوز في العقول السليمة والأذهان الصافية . والصلاة خلف المخالفين لافضل فيها ولا كرامة ولاقتداء على سبيل الحقيقة ، إنّما الفضل فيها وفي إظهار التحبّب لهم وعيادة مرضاهم وتشييع جنائزهم في الاتّقاء منهم ومن شرهم عن أنفسنا وعن سائر إخواننا المؤمنين ودفعه، تأسّياً بالأئمّة الهداة المهتدين. وهذه مصلحة عالية وجهة راجحة عارضيّة أوجبت لتلك الفضيلة الراجحة على الاقتداء بالعدول المؤمنين والصلاة خلفهم، وهي لا تنافي تبعيّة فضيلة الاقتداء لفضيلة الامام الّذي يقتدى به ولاتنفيها ، كما هو واضح .

ولقد ذكرنا كلمات هذا الفاضل ـ رحمه الله ـ وشبهاته في رسالتنا الأنوار

القدسيّة في الفضايل الأحمديّه» وبيّنّا هناك وجوه فسادها، من أراده فليراجعه.

وإذا عرفت ذلك فلنذكر جملة من النصوص في فضل هذا الشهر وفوائده ثمّ نتعرّض لشرح أجزاء الخطبة الشريفة والتطبيق والتوضيح.

فمنها: ما ورد في استحباب التهيّؤ عند دخول شهر رمضان على وفق ما أمر من الخطبة الشريفة. فروى الصدوق ـ رحمه الله ـ في العيون مسنداً عن عبدالسلام ابن صالح الهروي، قال: دخلت على أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في آخر جمعة من شعبان، فقال لي: يا أبا الصلت: إنّ شعبان قد مضى أكثره وهذه آخر جمعة منه، فتداركفيما بقي منه تقصيرك في ما مضى منه، وعليك بالاقبال على ما يعنيك وترك ما لا يعنيك، وأكثر من الدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن، وتب إلى الله من ذنوبك ليقبل شهر الله عليك وأنت مخلص لله عزّ وجلّ، ولا تدعنّ أمانة في عنقك إلّا أديتها، ولا في قلبك حقداً على مؤمن إلّا نزعته، ولا ذنباً أنت ترتكبه إلّا اقلعت عنه، واتّق الله وتوكّل عليه في سرائرك وعلانيتك «ومن يتوكّل على الله فهو حسبه إنّ الله بالغ أمره قد جعل الله لكلّ شيء قدراً» وأكثر من أن تقول فيما بقي من هذا الشهر «اللّهمّ إن لم تكن غفرت لنا فيما مضى من شعبان فاغفر لنا فيما بقي منه» فإنّ الله تبارك وتعالى يعتق في هذا الشهر رقاباً من النار لحرمة شهر رمضان [1].

أقول: به يتبيّن معنى التهيّؤ الّذي أمر به جده صلّى الله عليه وآله ونبّه عليه على وجه التأكيد والتشديد، وتبيّن أيضاً به حرمة شهر رمضان قبل دخوله وفائدة من فوائده.

وعن الكليني مسنداً عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لكلّ شيء ربيع وربيع القرآن شهر رمضان [2].

(١) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٥١ ح١٩٨.

(٢) الكافي: ج٢ ص ٤٦١ ح ١٠.

وعن الصدوق ـ رحمه الله ـ أنّه رواه في معاني الأخبار [1] والأمالي [2].

ومنها: ما رواه في الفقيه بإسناده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله سئل عن ليلة القدر، فقام خطيباً، فقال بعد الثناء على الله عزّ وجلّ: أمّا بعد، فإنّكم سألتموني عن ليلة القدر ولم أطوها عنكم لأنّي لم أكن بها عالماً. اعلموا أيّها الناس، أنّه من ورد عليه شهر رمضان وهو صحيح [سويّ] فصام نهاره وقام ورداً من ليله وواظب على صلاته وهجر إلى جمعته وغدا إلى عيده فقد أدرك ليلة القدر وفاز بجائزة الربّ عزّ وجلّ. قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: فازوا والله بجوائز ليست كجوائز العباد [3].

قال في الوسائل: ورواه في ثواب الأعمال عن محمّد بن عليّ ماجيلويه، عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن أحمد، عن أحمد بن هلال، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن أبان، عن زرارة، ورواه المفيد في المقنعة مرسلاً [4].

ثمّ قال: وبإسناده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال له: ياجابر من دخل عليه شهر رمضان فصام نهاره وقام ورداً من ليلة وحفظ فرجه ولسانه وغضّ بصره وكفّ أذاه خرج من الذنوب كيوم ولدته امّه، قال جابر: قلت له: جعلت فداك ما أحسن هذا من حديث! قال: وما أشدّ هذا من شرط!. قال: ورواه في ثواب الأعمال عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر مثله [5] انتهى.

وفي الفقيه: وقال عليّ عليه السلام: لمّا حضر شهر رمضان قام رسول الله صلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس، كفاكم الله عدوكم من الجنّ والانس

---

(١) معاني الاخبار للصدوق: ص٢٢٨.

(٢) الامالي للصدوق: ص ٥٧ ح٥.

(٣) من لايحضره الفقيه: ج٢ ص٩٧ ح١٨٣٤ و١٨٣٥.

(٤) الوسائل: ج٧ ص٢١٩ باب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان في ذيل ح١.

(٥) الوسائل: ج٧ ص٢٢٠ باب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ح٢.

وقال : «ادعوني أستجب لكم» ووعدكم الاجابة ، ألا وقد وكّل الله عزّ وجلّ بكلّ شيطان مريد سبعين [سبعة خل] من ملائكته، فليس بمحلول حتّى ينقضي شهركم هذا ، ألا وأبواب السماء مفتّحة من أول ليلة منه ، ألا والدعاء فيه مقبول (١) .

قال في الوسائل : ورواه في ثواب الأعمال ، عن أبيه ، عن سعد ، عن أحمد ابن محمّد، عن الحسين بن سعيد ،عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن شمر، عن عمرو بن خالد ، عن زيد بن عليّ ، عن أبيه عليه السلام قال : وقال أمير المؤمنين عليه السلام : عليكم في شهر رمضان بكثرة الاستغفار والدعاء، فأمّا الدعاء فيدفع البلاء عنكم ، وأمّا الاستغفار فتمحى به ذنوبكم. ورواه في كتاب فضائل شهر رمضان مسنداً (٢) .

وقال : وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا دخل شهر رمضان أطلق كلّ أسير وأعطى كلّ سائل (٣) .

وروى هشام بن الحكم عن أبي عبدالله عليه السلام قال :من لم يغفر له في شهر رمضان لم يغفر له إلى قابل ، إلّا أن يشهد عرفة (٤) .

وفي الوسائل : محمّد بن يعقوب ، عن محمّد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم مثله (٥) انتهى .

قال : وكان الصادق عليه السلام يوصي ولده ويقول: إذا دخل شهر رمضان فاجهدوا أنفسكم ، فإنّ فيه تقسم الأرزاق وتكتب الآجال ، وفيه يكتب وفد الله الّذين يفدون إليه ، وفيه ليلة العمل فيها خير من ألف شهر (٦) .

أقول : وهو يحقّق ما ذكرناه من معنى الفضل .

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ج٢ ص٩٨ ح١٨٣٧ .
(٢) الوسائل : ج٧ ص٢٢٠ باب١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ح٤ .
(٣) من لا يحضره الفقيه : ج٢ ص٩٩ ح١٨٤٠ .
(٤) من لا يحضره الفقيه : ج٢ ص٩٩ ح١٨٤١ .
(٥) الوسائل : ج٧ ص٢٢١ باب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ح٦ .
(٦) من لا يحضره الفقيه : ج٢ ص٩٩ ح١٨٤٢ .

وفي الوسائل رواه عن الكليني، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن عبدالجبار عن صفوان، عن إسحاق بن عمّار، عن المسمعي أنّه سمع أباعبدالله عليه السلام يوصي ولده [١].

وفي الوسائل، عن الكليني، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبدالله بن المغيرة، عن عمرو الشامي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الشهور عندالله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السماوات والأرض، فغرة الشهور شهر الله عزّ ذكره وهو شهر رمضان، وقلب شهر رمضان ليلة القدر ونزل القرآن في أول ليلة من شهر رمضان، فاستقبل الشهر بالقرآن [٢].

ورواه في الفقيه مرسلاً، ثمّ قال: تكامل نزول القرآن ليلة القدر [٣].

وفي الوسائل: ورواه في المجالس عن أحمد بن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه مثله [٤].

وروى في الوسائل عن الكليني، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير عن جميل بن صالح، عن محمّد بن مروان، قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إنّ لله عزّ وجلّ في كلّ ليلة من شهر رمضان عتقاء وطلقاء من النار، إلّا من أفطر على مسكر، فإذا كان في آخر ليلة منه أعتق فيها مثل ما اعتق في جميعه [٥].

ورواه الصدوق ـ رحمه الله ـ في الفقيه عن محمّد بن مروان، عنه عليه السلام [٦].

وفي الوسائل: ورواه في المجالس عن محمّد بن الحسن، عن الحسين بن الحسن ابن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير. ورواه الطوسي في الأمالي، عن

---

(١) الوسائل: ج٧ ص٢٢١ باب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ح٧.
(٢) الوسائل: ج٧ ص٢٢١ باب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ح٨.
(٣) من لايحضره الفقيه: ج٢ ص٩٩ ح١٨٤٣.
(٤) الوسائل: ج٧ ص٢٢١ باب ١٨ من أبواب أحكام شهررمضان ذيل ح٨.
(٥) الوسائل: ج٧ ص٢٢١ باب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ح٩.
(٦) من لايحضره الفقيه: ج ٢ ص٩٨ ح١٨٣٨.

أبيه، عن جماعة، عن أبي المفضّل، عن رجاء بن يحيى، عن أحمد بن هلال، عن ابن أبي عمير [١].

ورواه في الفقيه أيضاً مثله بإسناده عن عمر بن يزيد، وفيه: إلّا من أفطر على مسكر أو مشاجز [مشاحن] أو صاحب شاهين وهو الشطرنج [٢].

وفي الوسائل: ورواه الشيخ بإسناده عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن الحكم أخي هشام، عن عمرو بن يزيد. ورواه الصدوق في ثواب الأعمال عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد ومحمّد بن الحكم أخي هشام، عن عمر بن يزيد عن ابن أبي عمير [٣]

وروى الصدوق ـ رحمه الله ـ في الفقيه عن الحسن بن محبوب، عن أبي أيّوب، عن أبي الورد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله الناس في آخر جمعة من شعبان، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس، إنّه قد أظلّكم شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، وهو شهر رمضان، فرض الله صيامه، وجعل قيام ليلة فيه كمن تطوع بصلاة سبعين ليلة فيما سواه من الشهور، وجعل لمن تطوع فيه بخصلة من خصال الخير والبرّ كأجر من أدّى فريضة من فرائض الله عزّ وجلّ [٤] ومن أدّى فريضة من فرائض الله كان كمن أدّى سبعين فريضة من فرائض الله فيما سواه من الشهور، وهو شهر الصبر، وأنّ الصبر ثوابه الجنّة، وهو شهر المواساة، وهو شهر يزيد الله فيه رزق المؤمن، من فطّر فيه مؤمناً صائماً كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لذنوبه فيما مضى، فقيل له: يا رسول الله صلى الله عليه وآله ليس

(١) الوسائل: ج٧ ص٢٢٢ باب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ذيل ح٩.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٩٨ ح١٨٣٩.
(٣) الوسائل: ج٧ ص٢٢٢ باب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ذيل ح٩.
(٤) فيه تصريح بأفضلية الفريضة من النافلة وأن الثانية لا تساوي الاولى في المصلحة.
(منه أعلى الله مقامه)

كلّنا يقدر على أن يفطّر صائماً ، فقال : إنّ الله تبارك و تعالى كريم يعطي هذا الثواب منكم لمن لم يقدر إلّا على مذقة من لبن يـفطّر بها صائماً أو شربة من ماء عذب أو تميرات لا يقدر على أكثر من ذلك، ومن خفّف فيه عن مملوكه خفّف الله عزّ وجلّ عليه حسابه ، و هو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة و آخره إجابة والعتق من النار ، ولا غنى بكم فيه عن أربع خصال : خصلتين ترضون الله بهما ، وخصلتين لا غنى بكم عنهما ، فأمّا اللتان ترضون الله بهما فشهادة أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله، وأمّا اللّتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله فيه حوائجكم والجنّة وتسألون الله فيه العافية وتتعوذون فيه به من النار [1] .

ورواه في الوسائل عن الكليني ، عن محمّد بن يحيى وغيره، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن أبي أيّوب ، عن أبي الورد ، عن أبي جعفر عليه السلام. ثمّ قال : ورواه الشيخ بإسناده عن الحسين بن سعيد ، عن الحسن بن محبوب وبإسناده عن عليّ بن الحسن، عن عمرو بن عثمان، عن الحسن بن محبوب . ورواه الصدوق ـ رحمه الله ـ في المجالس عن أبيه، عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب. ورواه في ثواب الاعمال عن محمّد بن موسى بن المتوكّل، عن عبدالله بن جعفر الحميري ، عن الحسن بن محبوب . و رواه في الخصال عن أبيه ، عن سعد ، عن أحمد بن محمّد ورواه المفيد في المقنعة مرسلاً [2] انتهى .

و روى عن عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّه كان إذا كان شهر رمضان لم يتكلّم إلّا بالدعاء والتسبيح والاستغفار والتكبير، فإذا أفطر قال: اللّهمّ إن شئت أن تفعل فعلت [3] .

أقول: و هو يؤيّد ما سنذكر في شرح قوله صلى الله عليه وآله : « أنفاسكم فيه تسبيح

(١) من لا يحضره الفقيه : ج٢ ص٩٤ ح١٨٣١ مع اختلاف يسير .
(٢) الوسائل : ج٧ ص٢٢٢ باب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ح١٠ .
(٣) الوسائل : ج٧ ص٢٢٣ باب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ح١٢ .

و نومكم فيه عبادة » من احتمال إرادة عدم النفس ـ بفتح الفاء ـ إلّا بالتسبيح و الدعاء . كما يحتمل إضمار ثواب التسبيح للنفس و ثواب العبادة لنوم الصائم في يوم صوم شهر رمضان مع الصوم أو مطلقاً ، أو مطلقاً ولو في الليالي .

وفي الوسائل : عن الكليني ـ رحمه الله ـ عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد ، عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة بن أيّوب ، عن سيف بن عميرة ، عن عبدالله ابن عبدالله [عيينة خ ل] عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول صلى الله عليه وآله ـ لمّا حضر شهر رمضان وذلك في ثلاث بقين من شعبان ـ قال لبلال: نادفي الناس، فجمع الناس، ثمّ صعد المنبر فحمدالله و أثنى عليه ، ثمّ قال : أيّها الناس ، إنّ هذا الشهر قد خصّكم الله به وحضركم ، وهو سيّد الشهور ، ليلة فيه خير من ألف شهر، تغلق فيه أبواب النار ، وتفتح فيه أبواب الجنان ، فمن أدركه ولم يغفر له فأبعده الله، و من أدرك والديه ولم يغفر له فأبعده الله، ومن ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ فلم يغفرالله له فأبعده الله . وفي ثواب الأعمال وفي المجالس: عن أبيه، عن سعد، عن أحمد ابن محمّد ، عن عبدالله بن عبدالله ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام . ورواه الشيخ عن محمّد بن يعقوب، و كذا كلّ ما قبله(۱) انتهى .

أقول:سيجيء أنّ صوم شهر رمضان من خواصّ الأنبياء وهذه الامّة المرحومة و لم يكن لاممهم ، و أنّ ليلة القدر في شهر رمضان ، فهي مخصوصة أيضاً بهذه الامّة .

و يستفاد من هذا الحديث الشريف و غيره أنّ فوائد هذا الشهر ـ من مضاعفة الحسنات وغفران السيّئات وإغلاق أبواب النار وفتح أبواب الجنّة وغلّ الشياطين و غيرها ـ أيضاً مخصوصة بهذه الامّة . فهذا معنى « إنّ هذا الشهر قد خصّكم الله به » بل لا يبعد عموم أكثر تلك الفوائد لمن فاته صومه بعرض أو مرض . نعم ما يترتّب على صومه لعلّه يختصّ بالصائمين ، و يحتمل أنّه من

(۱) الوسائل : ج۷ ص۲۲۳ باب ۱۸ من أبواب أحكام شهر رمضان ح۱۳ .

ذلك فتح أبواب الجنّة وإغلاق أبواب النار، وغلّ الشياطين من ذلك إن قلنا بأنّها كناية عن ضعف القوى و الشهوات و حصول الانكسار الموجب للاقبال على الله سبحانه وتعالى وسدّ مسالك الشيطان، ولعلّ العدم أقوى، والله العالم.

و في الوسائل: عن الكليني، عن الحسين بن سعيد، عن الحسين بن علوان عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقبل بوجهه إلى الناس فيقول: معاشر الناس، إذا طلع هلال شهر رمضان غلّت مردة الشياطين، و فتحت أبواب السماء وأبواب الجنان وأبواب الرحمة، وغلقت أبواب النار، واستجيب الدعاء، وكان لله فيه عند كلّ فطر عتقاء يعتقهم الله من النار، وينادي مناد كلّ ليلة «هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ اللّهمّ أعط كلّ منفق خلفاً و أعط كلّ ممسك تلفاً» حتّى إذ طلع هلال شوال نودي المؤمنون أن اغدوا إلى جوائزكم، فهو يوم الجائزة. ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: أما والّذي نفسي بيده، ما هي جائزة الدنانير والدراهم.

محمّد بن الحسن بإسناده، عن محمّد بن يعقوب، عن أحمد بن إدريس، عن أحمد ابن محمّد مثله.

و رواه الصدوق بإسناده عن جابر. و رواه في الأمالي وثواب الأعمال عن محمّد ابن الحسن بن الوليد، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد مثله[1] انتهى.

أقول: في الفقيه صدر الحديث هكذا «وروى جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نظر إلى هلال شهر رمضان استقبل القبلة بوجهه، ثمّ قال: اللّهمّ أهلّه علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام والعافية المجلّلة والرزق الواسع و دفع الأسقام وتلاوة القرآن والعون على الصلاة والصيام، اللّهمّ سلّمنا لشهر رمضان وسلّمه لنا و تسلّمه منّا حتّى ينقضي شهر رمضان وقد غفرت لنا،

(١) الوسائل: ج٧ ص٢٢٤ باب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ح١٤.

ثمّ يقبل بوجهه على الناس»[١] إلى آخر ما تقدم .

ثمّ أقول . يحتمل دخول غير الصائمين في العتقاء عند كلّ فطر و كذا يحتمل عموم قول المنادي : «اللّهمّ أعط كلّ منفق . . . إلخ» لانفاق المال وغيره. فالمراد الاجتهاد في الأعمال الحسنة والخيرات مطلقاً، و كذا المراد بإعطاء الممسك التلف، فمن بخل بماله وبدنه وأعضائه وجوارحه وجاهه وعمره ينقص عمره ويأخذ الله منه ماله وجاهه وسمعه وبصره وسائر ما أنعم به ممّا بخل باستعماله في الطاعة فيه . و« مردة الشياطين » يحتمل كبراؤهم، و يحتمل كفّارهم الغاوين المغوين ، ويحتمل حينئذٍ العموم على جعل الاضافة من إضافة الصفة إلى الموصوف ، يعني الشياطين الماردة ، والله العالم .

وروى هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذاسلم شهر رمضان سلمت السنة ، قال : ورأس السنة شهر رمضان[٢].

وروى أبو بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: نزلت التوراة في ستّ مضين من شهر رمضان ، ونزل إنجيل في اثنتي عشرة مضت من شهر رمضان ، و نزل الزبور في ثماني عشرة مضت من شهر رمضان ، و نزل الفرقان في ليلة القدر [٣] .

أقول: قد تقدم نزول القرآن في أول ليلة من شهر رمضان والجمع بينهما عن الصدوق ـ رحمه الله ـ ويحتمل الفرق بينهما بين القرآن والفرقان، كما في النصوص. ثمّ يظهر من الحديث الشريف نزول أكثر الكتب السماويّة في شهر رمضان و عدم اختصاص ذلك، فاختصاص القرآن بالذكر في بعض النصوص والأدعية لاختصاص الأهمّ بالذكر ، كما أنّ صعود الأوصياء فيه يعمّهم و لا يختصّ بسيّد الأوصياء عليه السلام .

و روى أبو بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل

(١) من لايحضره الفقيه : ج٢ ص٩٦ ح١٨٣٣ .
(٢) الوسائل : ج٧ ص٢٢٥ باب١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ح١٥ .
(٣) الوسائل : ج٧ ص ٢٢٥ باب١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ح١٦ .

العشر ـ شهر رمضان ـ الأواخر شدّ المأزر واجتنب النساء وأحيى الليل وتفرغ للعبادة [(١)].

أقول : قد تقدم مطلوبيّة الاجتهاد في العبادة في شهر رمضان كلّه بالصيام و القيام و غيرهما، ففي العشر الأواخر آكد حتّى أنّه ينبغي إحياء تمام لياليها والتفرغ للعبادة واجتناب النساء والمستلذات ، بخلاف ما قبلها ، فيكفي قيام ورد من الليل وليس إحياء التمام بهذا التأكيد .

و روى عبّادبن صهيب ، قال : قلت للصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام : أخبرني عن أبي ذرّ أهو أفضل أم أنتم أهل البيت ؟ فقال : يا بن صهيب ، كم شهورالسنة؟ فقلت : اثنى عشر شهراً ، فقال : و كم الحرم منها ؟ قلت : أربعة أشهر ، قال : فشهر رمضان منها ؟ قلت : لا ، قال : فشهر رمضان أفضل أم أشهر الحرم؟فقلت : بل شهر رمضان، قال: فكذلك نحن أهل البيت لايقاس بنا أحد [(٢)] الحديث .

وروى عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضّال ، عن أبيه ، عن عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام عن آبائه عليهم السلام قال:قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ شهر رمضان شهر عظيم يضاعف‌الله فيه الحسنات ويمحو فيه السيّئات ويرفع فيه الدرجات، من تصدّق في هذا الشهر بصدقة غفر الله له ، و من أحسن فيه إلى ما ملكت يمينه غفر الله له ، ومن أحسن فيه خلقه غفر الله له، ومن كظم فيه غيظه غفر الله له، ومن وصل فيه رحمه غفر الله له ، ثمّ قال عليه السلام : إنّ شهركم هذا ليس كالشهور ، إنّه إذا أقبل إليكم أقبل بالبركة و الرحمة ، وإذا أدبرعنكم أدبر بغفران الذنوب ، هذا شهر الحسنات فيه مضاعفة ، و أعمال الخير فيه مقبوله ، من صلّى منكم في هذا الشهر لله عزّوجلّ ركعتين يتطوع بهما غفرالله له، ثمّ قال عليه السلام :إنّ الشقيّ حقّ الشقاء من خرج عنه هذا الشهر ولم يغفر ذنوبه ، فحينئذٍ فيخسرحين يفوز المحسنون

(١) الوسائل : ج٧ ص٢٥٧ باب٣١ من أبواب أحكام شهر رمضان ح٥ .
(٢) الوسائل : ج٧ ص٢٢٥ باب١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ح١٨ .

بجوائز الرب ّ الكريم [١] .

أقول : قد تقدّم عموم البركة والرحمة والمغفرة في تمام هذا الشهر، فالمراد المغفرة العامّة التامّة عند إدبار الشهر، ومن أدبر عنه هذا الشهر وخرج ولم يرحمه الله ولم يخرج من ذنوبه ولم يقبل أعماله مع بركة هذا الشهر وتضاعف الحسنات فيه ومحو السيّئات فيه فهو شقي ّ حق ّ الشقاوة وتمام الشقاء، ومن غفر له يختلف درجاتهم ، فيغفر للمحسنين أولاً ثم ّ للمسيئين ثم ّ لمن هوأسوأ، و أشدهم إساءة من يشمله الرحمة و المغفرة أخيراً و في آخر الشهر، و من لم يغفر له لا خير فيه و هو أشقى الأشقياء حيث لم يغفر له مع بسط بساط الرحمة وفتح بابها ، فافهم .

و روى في عيون الأخبار عن محمّد بن أحمد بن الحسين بن يوسف البغدادي ، عن علي ّ بن محمّد بن عنبسة ، عن دارم بن قبيصة ، عن علي ّ بن موسى الرضا عليهما السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : رجب شهر الله الأصب ّ يصب ّ الله فيه الرحمة على عباده ، و شهر شعبان يتشعّب فيه الخيرات ، و في أول يوم من شهر رمضان تغل ّ المردة من الشياطين ، ويغفر في كل ّ ليلة لسبعين ألفاً ، فإذا كان ليلة القدر غفر الله لمثل ما غفر في رجب وشعبان وشهر رمضان إلى ذلك اليوم إلّا رجل بينه و بين أخيه شحناء فيقول الله عز ّوجل ّ : انظروا هؤلاء حتّى يصطلحوا [٢] .

وبهذا الاسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يوحي الله عز ّوجل ّ إلى الحفظة الكرام البررة : لا تكتبوا على عبدي وأمتي ضجرهم و عثراتهم بعد العصر [٣] .

أقول : لأن ّ الصائم يتأثّر و يضيق خلقه في آخر النهار ، فيعامل الله معه حينئذ بلطفه أسهل ممّا يعامله قبل العصر .

وروى جابر بن عبدالله، قال:قال رسول الله صلى الله عليه وآله:اعطيت امّتي في شهر رمضان خمساً لم يعطها امّة نبي ّ قبلي ، إذا كان أول يوم منه نظر الله إليهم، فإذا نظر الله

---

(١) الوسائل : ج٧ ص٢٢٦ باب١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ح١٩ .

(٢) و(٣) الوسائل: ج ٧ ص٢٢٨ باب١٨ من أبواب أحكام شهررمضان ح٢١و٢٢.

عزّوجلّ إلى شيء لم يعذبه بعدها، وخلوف أفواههم حين يمسون أطيب عندالله عزّوجلّ من ريح المسك تستغفر لهم الملائكة في كلّ يوم وليلة منه، ويأمرالله عزّوجلّ جنّته فيقول: تزيّني لعبادي المؤمنين يوشك أن يستريحوا من نصب الدنيا وأذاها إلى جنّتي وكرامتي، فإذا كان آخر ليلة منه غفرالله عزّوجلّ لهم جميعاً [١].

وروى محمّد بن عجلان، قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: كان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذ دخل شهر رمضان لايضرب عبداً له ولا أمة. والحديث طويل. وفيه: إنّه كان يكتب جناياتهم في كلّ وقت ويعفو عنهم في آخر ليلة من الشهر ثمّ يقول: اذهبوا فقد عفوت عنكم وأعتقت رقابكم. قال: وما من سنة إلّا كان يعتق فيها في آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رأساً إلى أقلّ أو أكثر، وكان يقول: إنّ لله عزّوجلّ في كلّ ليلة من شهر رمضان عند الافطار سبعين ألف ألف عتيق من النار كلّ قد استوجب النار، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه، ولأنّي لاحبّ أن يراني الله وقد أعتقت رقاباً في ملكي في دار الدنيا رجاء أن يعتق رقبتي من النار. وما استخدم خادماً فوق حول، كان إذا ملك عبداً في أول السنة وفي وسط السنة إذا كان ليلة الفطر أعتق واستبدل سواهم في الحول الثاني ثمّ أعتق، كذلك كان يفعل حتّى لحق بالله، ولقد كان يشتري السودان وما به إليهم من حاجة يأتي بهم عرفات فيسدّ بهم تلك الفرج والخلال، فإذا أفاض أمر بعتق رقابهم وجوائز لهم من المال [٢].

وروى إسماعيل بن أبي زياد عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث قال: رمضان شهر الله، استكثروا فيه من التهليل والتكبير والتحميد والتسبيح، وهو ربيع الفقراء، وإنّما جعل الأضحى ليشبع المساكين من اللحم، فأطعموا من فضل ما أنعم الله به

(١) الوسائل ج٧ ص٢٢٩ باب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ح٢٧.
(٢) الوسائل: ج٧ ص٢٣٠ باب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ح٢٨.

عليكم على عيالاتكم وجيرانكم ،وأحسنوا جوار نعم الله عليكم ، وواصلوا إخوانكم وأطعموا الفقراء والمساكين من إخوانكم ، فإنّه من فطّر صائماً فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيئاً، وسمّي شهر رمضان شهر العتق، لأنّ لله فيه كلّ يوم وليلة ستّمائة عتيق ، وفي آخره مثل ما أعتق فيما مضى[1] .

إلى غير ذلك ، وربما تأتي جملة اخرى إن شاء الله المتعال .

قوله صلى الله عليه وآله : «بالبركة والرحمة والمغفرة» .

أقول : قد عرفت جملة من الأخبار بهذا المضمون والكيفيّة في الثلاثة ،والباء للملابسة ، مثل «دخلت عليه بثياب السفر» فيعمّ الجميع جميع الشهر وإن اختصّ آخر ليلة منه بعموم المغفرة وأول ليلة منه بابتداء نظر الله سبحانه على الامّة المرحومة نظر رحمة وشفقة .

وبالجملة : هذا الشهر العظيم المبارك محفوف بالبركة والرحمة والمغفرة من أوله إلى آخره ، فهو كثير الخير نفّاع كما هو معنى البركة ، ويضاعف فيه الحسنات ويغفر السيّئات ويعتق الرقاب من النار ويكسر الشهوات ويضعّف المعارضات ، لكن الرحمة مقدمة في الرتبة وتشتدّ في الوسط وتشتدّ المغفرة ويعمّ في الليلة الأخيرة ، فلذا ورد مع عموم الثلاثة لجميع الشهر أنّ «أوّله بركة ووسطه مغفرة وآخره الاجابة والعتق من النار»[2] ويحتمل العتق في الآخر الخروج من مظالم العباد أيضاً بالاستيهاب وإعطاء العوض إلى أربابه ورفع التبعات بالمرّة ودخول الجنّة ، فهو معنى العتق ، وهو أخصّ من المغفرة .

وبالجملة : هذا الشهر فيه تماميّة البركة لما فيه من التطهير والتكريم وتضاعف الثواب وغيرها والرحمة ، فينظر الله تعالى فيه كلّه بالرحمة إلى عباده ، فيقبل أعمالهم ويستجيب دعاءهم ويجيب نداءهم ، وإن كان ذلك آكد في بعض

(١) الوسائل: ج٧ ص٢٣٠ باب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ح٢٩ .
(٢) بحار الانوار : ج٩٦ ص ٣٤١ ح٦ مع زيادة في ألفاظ البحار .

الأوقات هنا ويحيى[١] في سائر الشهور مثل أوقات الصلوات، وكذا المغفرة عامّة لكلّه وإن كانت آكد وأكثر في الثلث الأخير منه.

قوله ﷺ: «شهر هو عندالله أفضل الشهور».

أقول: هو سيّد الشهور، فإنّ لكلّ شيء سيّداً وشهر رمضان سيّد الشهور كما ورد الأمران في النصوص، وتقدم الأخير. وفي بعض الخطب المتقدمة «هو سيّد الشهور فيه ليلة خير من ألف شهر تغلق فيه أبواب النار وتفتح فيه أبواب الجنان» وأشار إلى الأخيرين في هذه الخطبة وأضاف إليهما أنّ الشياطين مغلولة، كما في نصوص اخر تقدمت فلفضل هذا الشهر وكرامته جعلت فيه أفضل الليالي وهي ليلة القدر، فزادته فضلاً على فضل. وكذا افضله فتحت فيه أبواب الجنان، واغلقت فيه أبواب النيران، وجعلت الشياطين فيه مغلولة، وتضاعفت فيه الأعمال الواجبة والمندوبة، وفتحت فيه أبواب الرحمة فتستجاب الدعوات، وتغفر فيه السيّئات فيه والسيّئات السابقة بل اللاحقة، ولاغرو في تأثير السابق في اللاحق ونظيره كثير في الشرعيّات.

وبالجملة: ففضل هذا الشهر على سائر الشهور غير منكور بسبب ما ذكر وما سيذكر وغيرهما ممّا لم يذكر ويجيء بعضها - إن شاءالله تعالى - وقد تقدمت الاشارة إلى معنى فتح أبواب الجنان وإغلاق النيران وجعل الشياطين مغلولة. وفي بعض الخطب «أيّها الناس، كفاكم الله عدوكم من الجنّ والانس» فيكفي الله سبحانه شرّ الأشرار ويهدي عباده ببركة هذا الشهر. وقد تقدم وجه آخر يختصّ عليه تلك الفوائد بالصائمين ويعمّ سائر أيّام الصوم في غير هذا الشهر.

والحاصل: أنّه يمكن أن هذه الامور لفضل هذا الشهر، فيعمّ غير الصائمين ويختصّ بهذا الشهر.

والفتح والاغلاق والغلّ تراد بظاهرها، ويمكن أنّها بواسطة الصوم، فيختصّ بالصائمين ويعمّ الصائم في غيره. والامور الثلاثة المذكورة حينئذ يؤول بما تقدم. ويحتمل أنّها لفضله ولصومه معاً أو لصومه بعدد أيّامه مع فضله وبدونه.

(١) كذا.

ويختلف الحال بسبب تلك الامور من العمومين والخصوصين المذكورات وبحسب إبقاء الثلاثة المذكورة على ظواهرها أو التأويل بما مرّ .

ثمّ إنّه يختصّ فتح أبواب الرحمة في سائر الشهور في أيّامه ولياليه ببعض الأوقات ، ويعمّ في هذا الشهر من أول ليلة منه إلى آخره ، فيستجاب فيه الدعاء بتمامه ، لأنّه يستجاب البتّة عند انفتاح باب الرحمة في الأمكنة والأزمنة ، كما في المشاهد الشريفة ، ولا سيّما تحت قبّة سيّد الشهداء عليه السلام لأنّه لمّا فتح باب الرحمة في هذا الموضع الشريف عند شهادته عليه السلام لم يغلق بعده أبداً ، فلهذا يختصّ باستجابة الدعاء . وكما في ليالي الجمعة وعرفة وعرفات وعند هبوب الرياح وعند التقاء الصفّين للجهاد والأسحار وعقيب الطاعات والخدمات وترك المعاصي واقشعرار البدن وحصول الدمعة في العين وغيرها ، والجامع انفتاح باب الرحمة بحسب تلك الأمكنة والأزمنة والأحوال . وهذه هي النكتة في استجابة الدعاء في هذه الأزمنة والأمكنة والأحوال ، وتلك العلّة موجودة في تمام هذا الشهر . وفي بعض الخطب «ألا وأبواب السماء مفتّحة من أول ليلة منه ، ألا والدعاء فيه مقبول» وتقدم حديث جابر عن الباقر عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نظر إلى هلال شهر رمضان استقبل القبلة بوجهه ... إلخ[1] .

وفي هذه الخطبة الشريفة «ودعاؤكم فيه مستجاب ، فأسألوا الله ربّكم ... إلخ» . فقد علم انفتاح باب الرحمة في تمام هذا الشهر ، فيستجاب فيه الدعاء في تمام أوقاته وإن كانت آكد في بعضه ، وأنّ أيّامه بتمامها وجميعها أفضل الأيّام ، ولياليه كذلك أفضل الليالي حتّى من ساعات الفضل فيهما في غيره ، وساعاته بأسرها أفضل الساعات في غيره بأسرها .

قوله صلى الله عليه وآله : «هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله» قد أشرنا إلى معنى الدعوة إلى الضيافة . وهنا نكتة لطيفة في قوله صلى الله عليه وآله : «دعيتم . . . إلخ» على حدّ قوله

(١) الوسائل : ج ٧ ص٢٣٣ باب ٢٠ من أبواب أحكام شهر رمضان ح١ .

سبحانه وتعالى : «سبحان الّذي أسرى بعبده» الآية [١] .ولم يقل : «جاء» كماقال تعالى : «ولمّا جاء موسى لميقاتنا» الآية [٢] .

وبالجملة : هذه الامّة المرحومة مدعوة في هذا الشهر المبارك إلى ضيافة الله ، لأنّهم جاؤوا أضيافاً . فهم مطلوبون ومكرمون حيث اختصّوا من بين الامم ـ كالأنبياء ـ بصوم هذا الشهر العظيم وأضافهم الله فيه مثلهم ، بخلاف سائر الامم وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله : «وجعلتم فيه من أهل كرامة الله» لما أشرنا إليه من اختصاص تلك الضيافة في هذا الشهر العظيم بالأنبياء وبهذه الامّة المرحومة دون سائر الامم ، فأكرمهم بذلك حيث جعلهم كالأنبياء وخصّهم بتلك الفضيلة .

وفي الفقيه: روى سليمان بن داود المنقري، عن حفص بن غياث النخعي، قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إنّ شهر رمضان لم يفرض الله صيامه على أحد من الامم قبلنا ،فقلت له:فقول الله عزّ وجلّ : «يا أيّها الّذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم» ؟ قال : إنّما فرض الله صيام شهر رمضان على أنبيائه دون الامم ، ففضّل به هذه الامّة و جعل صيامه فرضاً على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى امّته [٣] .

تنبيه :

اعلم أنّ كلّ الأنبياء صلوات الله عليه أجمعين من امّته صلى الله عليه وآله و من شيعتة عليّ عليه السلام وأولاده المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، فهذه الامّة المرحومة مضاهية لأنبياء الله سبحانه و تعالى في هذه العطيّة العظمى ، فهذه فضيلة باهرة عظيمة لتلك الامّة غير خفيّة . ووجوه فضلها على سائر الامم كثيرة ، بعضها عامّة وبعضها خاصّة بالخواصّ والكاملين وبشيعتهم في آخر الزمان ، كالصلوات الخمس

(١) الاسراء : ١ .
(٢) الاعراف : ١٤٣ .
(٣) من لايحضره الفقيه : ج٢ ص٩٩ ح ١٨٤٢ .

وصيام شهر رمضان ، والبكاء على سيّد الشهداء وإقامة رسم العزاء في العاشوراء . فقد اختصّ الأنبياء بذلك ، كلّ لمّا و ردوا الأرض المقدسة تهيّأت لهم أسباب المعرفة بشهادته عليه السلام وما ورد عليه من الظلم الفاحش ، فبكوا عليه ولعنوا على قاتله . مثل الخليل عليه السلام سقط من فرسه أو تمنى ذبح ولده وعدم الفداء ، فقال سبحانه : بكاؤه على الحسين عليه السلام أفضل من ذلك ، وفداه بذبح عظيم هو ذلك كما في الأثر[1] . و نوح عليه السلام كاد أن يغرق في الماء بسفينته[2]. وعيسى عليه السلام قطع عليه وعلى الحواريّين طريقهم أسد[3] . و آدم عليه السلام بعثه عليه همّه عند ذكر اسمه عليه السلام[4] .

فلاسمه عليه السلام تأثير في باطن الأولياء و المؤمنين ، ما يذكر عند مؤمن إلّا اهتمّ وبكى عليه ، فهو عليه السلام كما قال : قتيل العبرة[5] ـ بفتح العين ـ والبكاء ، أي بغاية الظلم والجور الموجبين للتأثّر والتحزن والبكاء وسبك العبرات لمن آمن به وتولّاه ، أو خصوص الكاملين عند ذكره وسماع اسمه الشريف ، أو خطوره عليه السلام بالبال مطلقاً وبأيّ وجه كان ، بل ربما يؤثّر سماع اسمه الشريف للعبرة و البكاء لمن لم يسمع بقضيّته الهائلة ، كما اتّفق لآدم صفيّ الله عليه السلام ونظير هذا موجود في الأئمّة عليهم السلام مطلقاً ، فربما يفرح مواليهم من غير سبب ظاهر أو يحزنون كذلك ، فسألوهم عليهم السلام عنهما ، فأجابوا بأنّ الأول في وقت فرحهم عليهم السلام والثاني في وقت حزنهم عليهم السلام . وفيه وجه آخر هو وارد في الأخبار أيضاً وحقّقت المقام في كتاب «روح الايمان» بعون الله المنّان .

---

(١) بحار الانوار : ج٤٤ ص٢٢٥ ح٦ وص٢٤٣ ح٣٩ .

(٢) بحار الانوار : ج٤٤ ص٢٤٢ ح٣٨ .

(٣) بحار الانوار : ج٤٤ ص٢٤٤ ح٤٣ .

(٤) بحار الانوار : ج٤٤ ص٢٤٢ ح٣٧ .

(٥) بحارالانوار: ج٤٤ ص٢٧٩ ح٥ و٦ .

ثمّ يحتمل العبرة ـ بكسر العين ـ يعني أنّ قتله في موقع العبرة من حيث شدة الظلم والجور مع كونه عليه السلام إمامهم وابن نبيّهم وسماع فضائله الموفورة ومحبّة نبيّهم صلى الله عليه وآله له عليه السلام غاية المحبّة وكذا أمير المؤمنين عليه السلام وكذا الزهراء عليها السلام مع طلبهم له للاهتداء به وإرسال الرسل والرسائل إليه عليه السلام ومع ادعاء كونهم ـ عليهم اللعنة والعذاب الشديد ـ من امّة جده صلى الله عليه وآله بل من شيعة أبيه عليه السلام ومع ارتكاب ذلك للفاسق الملعون بن الملعون بن الملعون يزيد بن معاوية ـ ضاعف الله عذابهما في الهاوية ـ ثمّ أسر بنات رسول الله صلى الله عليه وآله والسير بهنّ في البراري والأمصار مكشّفات بل السير بإمامهم عليّ بن الحسين عليهما السلام مغلولاً مخذولاً مذللاً وتهاوي رؤوس الشهداء عليهم السلام وغير ذلك . أليس هذا بعجب العجاب ! وعبرة لاولي الألباب ؟ وهذه كلّها من فروع شنايع أعمال الأولين ومن أخذوهم خلفاء راشدين فاعتبروا يا اولي الأبصار ، فسبحانك اللّهمّ ضاعف عليهم العذاب ، وانتقم منهم لنبيّك ووصيّه وابنته وأبنائه عليهم السلام ولنا بحقّ محمّد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين آمين آمين يا ربّ العالمين ، والعن اللّهمّ أول ظالم ظلم حقّ محمّد وآل محمّد وآخر تابع له على ذلك ، اللّهمّ العن العصابة الّتي جاهدت الحسين عليه السلام وشايعت وبايعت وتابعت على قتله . اللّهمّ العنهم جميعاً ومن رضي بفعالهم أو توقّف في كفرهم إلى يوم القيامة .

ثمّ إنّه على قراءة العبرة ـ بالفتح ـ يحتمل وجه آخر يرجع إلى شدة الظلم وغاية الجور أيضاً ، وهو أنّهم ـ لعنهم الله ـ إنّما قتلوه بعد أصحابه الكاملين المؤمنين وأولاده المحبوبين عند الله وأخيه وسائر أقاربه وأحزنوا بذلك إيّاه عليه السلام وأوجبوا لبكائه وحزنه ، بل لبكاء النبيّ صلى الله عليه وآله والوصيّ والأنبياء والأوصياء والملائكة وجميع الموالين إلى يوم القيامة ، بل لبكاء الأرض والسماء ومن فيهما سوى بعض الكفّار ، بل لبكائهم أيضاً ، فهو عليه السلام قتيل العبرة ، أي مصحوباً لها بنفسه عليه السلام وبجده وسائر ما ذكر .

وبالجملة : فلشدة الظلم الوارد عليه الموجبة للعبرة والعبرة على العالمين على وجه

لم يقع ولا يقع على أحد ، لابدّ أن يحزن المؤمن والمؤمنة عند ذكره عليه السلام ويبكي.

ثمّ إنّه قد خصّ من بين تلك الامّة الفاضلة أكاملهم و أواخرهم ببعض تلك الفضائل ، فلم يكن للأوائل معرفة بتمام الأئمّة عليهم السلام وحبّهم إلّا الخواصّ ، وأعطى الله سبحانه وتعالى ذلك للأواخر . وكذا معرفة شهادة الحسين عليه السلام والبكاء عليه وإقامة عزائه واللعن على قتلته عليه السلام يختصّ بها الكاملين وعامّة الأواخر . وقد أشار النبيّ صلى الله عليه وآله إلى فضل الأواخر بقوله صلى الله عليه وآله : «مثل الاسلام كالشجر ربما يثمر في الآخر أحسن من الأول» [1] قاله صلى الله عليه وآله عند قتل أكابر الصحابة في غزوة موتة لمّا قتل جعفر الطيّار عليه السلام وزيد بن حارثة وسائر أكابرهم -رضي الله عنهم- فأعلم الله سبحانه وتعالى النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك وأراه في مقامه مسجد المدينة ، وكان صلى الله عليه وآله يخبر أصحابه - رحمهم الله - بقتل هؤلاء واحداً بعد واحد ، فجزعوا تمام الجزع وبكوا فسألهم عن شأنهم ، فقالوا : قتل كبراؤنا وعظماؤنا ، فقال صلى الله عليه وآله ما ذكر تسلية لهم وإبانة عن فضل الشيعة في آخر الزمان .

واختصّوا أيضاً بزيارته عليه السلام وزيارة سائر الأئمّة عليهم السلام ، و إن كان لبعض الأوائل فضل المصاحبة والزيارة لبعض أحبّائهم ، والحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

قوله صلى الله عليه وآله : «أنفاسكم فيه تسبيح ، ونومكم فيه عبادة ... إلخ» المراد إمّا أنّ لهما ثواب هذه ، أو على الحقيقة كنظائره ، مثل إدارة السبحة من طين قبر الحسين عليه السلام فيسبّح له أو يكتب للمدير ثواب التسبيح . فهذه الامور من جملة فضائل هذا الشهر أيضاً ، جعله الله سبحانه وتعالى له وفعلها .

ويحتمل جعلها إشارة إلى ضابط فعل العباد في هذا الشهر في الجميع أو أكثرها ، فيراد مجانبة التكلّم بما لا يعني وقلّة النوم والتبديل بالتسبيح والاحياء وتخليص العمل ليقبل ، وهكذا . ويحتمل الحمل على الضابطين ، فيفعل الله سبحانه

(١) بحار الانوار: ج٢١ ص٥٠ ح١ مع تغيير في ألفاظ الحديث .

وتعالى ذلك .

وينبغي للعباد أيضاً مباشرة ذلك فلا يكون يوم صومهم كيوم فطرهم مصاحباً بالحواجب ، ولا يكون شهر رمضان عندهم كسائر الشهور ، بل هم فيه أضياف الله سبحانه وتعالى ، فينبغي حضورهم عنده تعالى في أيّامه ولياليه واشتغالهم بالخدمة والطاعة وعدم الغفلة والجدّ والجهد في استجلاب الفيوض ، وكلا المعنيين مأثوران.

وقد تقدم أنّ الصادق عليه‌السلام كان يوصي ولده ويقول: «إذا دخل شهر رمضان فاجهدوا أنفسكم ، فإنّ فيه تقسم الأرزاق وتكتب الآجال» [(١)] وورد في أدعية طلب التوفيق لصيامه والاخلاص فيه وقبول الأعمال فيه ، وقد تقدم أنّ «الشقيّ من حرم غفران الله ... إلخ» وغير ذلك .

وعن كتاب الاقبال ، قال: رأيت في أصل من كتب أصحابنا، قال: وسمعت أبا جعفر عليه‌السلام يقول: «إنّ الكذبة لتفطّر الصائم والنظرة بعد النظرة والظلم قليله وكثيره» [(٢)] وفي حديث عن أبي عبدالله عليه‌السلام «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك وبطنك وفرجك ، وأكثر السكوت إلّا من خير ، وارفق بخادمك» [(٣)] . وعن مجالس الصدوق مسنداً «إنّ عليّ بن الحسين عليهما‌السلام إذا كان شهر رمضان لم يتكلّم إلّا بالدعاء والتسبيح والاستغفار والتكبير ، فإذا أفطر قال :اللّهمّ إن شئت أن تفعل فعلت» [(٤)] وفي الخطبة المرتضويّة الرمضانيّة الطويلة «إنّك في هذا الشهر ضيف ربّك فانظر وتأمّل كيف أنت في ليلك ويومك، كيف تحفظ أعضاءك وجوارحك عن المعاصي فانظر أن لاتكون نائماً في الليالي ولم تكن غافلاً عن ذكر الله في الأيّام ، فخرج الشهر والذنوب باقية عليك» [(٥)] الحديث .

---

(١) الوسائل : ج٧ ص٢٢١ باب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ح٧ .

(٢) و(٣) اقبال الاعمال : ص٨٧ .

(٤) الوسائل : ج٧ ص٢٢٣ باب١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ح١٢ .

(٥) فضائل الاشهر الثلاثة : ص١٨ .

وعن أبي‌عبدالله قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل العشر ـ شهر رمضان ـ الأواخر شدّ المئزر واجتنب النساء وأحيى الليل وتفرغ للعبادة»(١).

قال في مجمع البحرين: والنفس ـ بالتحريك ـ واحد الأنفاس، وفيه الحديث «يجزي بين الأذان والاقامة نفس» والجمع أنفاس، كسبب وأسباب، والنفس أيضاً الجرعة من الماء، يقال: «أكرع من الماء نفساً أو نفسين» أي جرعة أو جرعتين، و «أنت في نفس من أمرك» أي في سعة منه، وفي الخبر «لا تسبّوا الريح فإنّها من نفس الرحمان» أي تفرج الكرب وتنشيء السحاب وتنشر الغيث وتذهب الحزن، وفيه «بعثت أنا من نفس الساعة» أي حين قيامها وقربها، إلّا أنّها اخّرت قليلاً قليلاً، فاطلق النفس على القرب، وفيه «نهى عن الشرب بنفس واحد» وحمل على الكراهة، لأنّه يكابس الماء في موارد حلقه فتثقل معدته. وروي «أنّ الكباد من العبّ» و «أنّه شرب للشيطان» انتهى.

ثمّ قال: ونفّست عنه تنفيساً، أي رفّهت، يقال: «نفّس الله عنه كربتها» أي فرجها. والأصل في التنفّس: التفريج، كأنّه مأخوذ من قولهم: «أنت في نفس من أمرك» أي في سعة، والّذي يفرج عنه كأنّه في سعة من أمره بحذف الكروب عنه، ومنه «أحبّ الأعمال إلى الله إشباع جوعة المؤمن وتنفيس كربته» ومنه «من أعان مؤمناً نفّس الله عنه ثلاثاً وسبعين كربة» وقوله: «نفّسوا له في أجله» أي وسّعوا له. والتنفّس: ذهاب الهمّ والغمّ. و «تنفّس الصعداء» مرّ القول فيه. وشيء نفيس: يتنافس فيه ويرغب. وهذا شيء نفيس: أي جيّد في نوعه. ومنه «جارية نفيسه» ونفس الشيء ـ بالضمّ ـ نفاسةً: أي صار مرغوباً فيه، ونافست في الشيء منافسةً ونفاساً: إذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم. ومثله التنافس في الشيء، ومنه «تنافسوا في زيارة الحسين عليه السلام»(٢) انتهى.

(١) الوسائل: ج٧ ص٢٢٥ باب ١٨ من أبواب أحكام شهر رمضان ح ١٧.
(٢) مجمع البحرين: ج٤ ص١١٧و١١٨.

وقال في « سبّح » : قوله : « يسبّحون الليل والنهار لايفترون » [1] يعني الملائكة ، جعل التسبيح لهم كمجرى النفس من بني آدم لا يشغلهم عنه شيء .

ثمّ قال : وفي الحديث : أتى رجل إلى أبي عبدالله عليه السلام قال : جعلت فداك، أخبرني عن قول الله سبحانه وما وصف من الملائكة: « يسبّحون الليل والنهار لا يفترون » ثمّ قال : « إنّ الله و ملائكته يصلّون على النبيّ يا أيّها الّذين آمنوا صلّوا عليه و سلّموا تسليماً » [2] كيف لا يفترون وهم يصلّون على النبيّ ؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام : إنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق محمّداً أمر الملائكة فقال : نقّصوا من ذكري بمقدار الصلاة على محمّد،فقول الرجل : « صلّى الله على محمّد » في الصلاة مثل قوله : « سبحانه الله والحمدلله ولا إله إلّا الله والله أكبر » .

إلى أن قال : قوله : « يسبّح له ما في السماوات وما في الأرض» [3] قيل : التسبيح إمّا بلسان الحال فإنّ كلّ ذرة من الموجودات تنادي بلسان حالها على وجود صانع حكيم واجب لذاته، وإمّا بلسان المقال ، وهو في ذوي العقول ظاهر. و أمّا غيرهم من الحيوانات فذهب فرقة عظيمة إلى أنّ كلّ طائفة منها تسبّح ربّها بلغتها وأصواتها ، وحملوا عليه قوله تعالى : « و ما من دابّة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلّا امم أمثالكم» [4] وأمّا غير الحيوانات من الجمادات: فذهب جمّ غفير إلى أنّ لها تسبيحاً لسانيّاً أيضاً واعتضدوا بقوله : « وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده » و قالوا : لو اريد التسبيح بلسان الحال لما احتاج قوله: « و لكن لاتفقهون تسبيحهم» [5] إلى تأويل. وذكروا أنّ الاعجاز في تسبيح الحصى في كفّ

---

(١) الانبياء : ٢٠ .

(٢) الاحزاب : ٥٦ .

(٣) الصف : ١ .

(٤) الانعام : ٣٨ .

(٥) الاسراء : ٤٤ .

نبيّناً صلى الله عليه وآله ليس من حيث نفس التسبيح ، بل من حيث سماعه الصحابة ، وإلّا فهو في التسبيح دائماً . قوله : « يسبّحون الله بكرةً وأصيلاً »[1] قيل : أي دائماً، أو مقدارهما، إذ لا طلوع ولا غروب هناك، وهو للاستلذاذ به، إذ لا تكليف[2] انتهى.

أقول: والحقّ أنّ لجميع الأشياء شعوراً وإدراكاً وتكليفاً بالتوحيد والولاية وفروعهما ومجازاة على أعمالهم، وخاصّة الانسان والجنّ و الملائكة، لكن [ليس] لغير الثلاثة شعور وإدراك مثلها ولا لهم تكليف كلّي، بل شعورهم جزئي وتكليفهم جزئيّ وجزاؤهم جزئي، مثل أنّ الأرض الّتي قبلت الولاية تصير نقيّاً و الّتي لم تقبل صارت سبخة، والماء الّذي قبلها صار حلواً والّذي لم يقبلها صار مالحاً اجاجاً والحال في الحيوانات أظهر . بل ربما يدخل بعض الحيوانات في الجنّة . و لقد بكى بعض الجبال من خوف أن يكون حصب جهنم فسلّاه النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّه ليس منه.

فالكلّ مسبّحون بلسان الحال، ولا عصيان في هذا المقام، بل الكلّ مطيعون حتّى أبدان الكفّار وأرواحهم. و كذا الكلّ مسبّحون بلسان المقال وأصواتهم، بل مكلّفون ، ولهم حينئذٍ إطاعة وعصيان، و موال للأئمّة عليهم السلام وعدو لهم . و ربما يحشر بعض أعدائهم بصورة الوزغة و بعض حيوانات اخر .

فإذا عرفت هذا ـ حسب ما تقدمت الاشارة إليه ـ فنقول : الانفاس شيء ، و كلّ شيء يسبّح الله سبحانه وتعالى دائماً بلسان الحال والتكوين و كذا بلسان المقال ، فأنفاس الناس في شهر رمضان تسبّح الله تعالى و كذا في غيره ، لكن فيه أشدّ وأبلغ لتشبّه الصائم فيه بالصمد تعالى في الخلأ عن الأكل والشرب و سائر المفطرات ، بل المحرمات ، بل المكروهات ، بل المباحات ، بل كلّ ما سوى الله سبحانه وتعالى. فكلّ نفس من أنفاسه يقول : «سبحان ربّي الأحد الصمد الّذي لم يلد ولم يولد وليس كمثله شيء غنيّ لا يأكل ولا يشرب» وكذا يسبّح في مقام التكليف بلسان ملكوتي وبالمقال زائداً على ما فيه من سائر الشهور، إذ لا يحصل

---

(١) في القرآن هكذا « وسبحوه بكرة وأصيلا» الاحزاب : ٤٢ .

(٢) مجمع البحرين : ج٢ ص٣٦٧ و٣٦٨ .

له الانكسار و الاقبال و الخضوع ليسبّح له تعالى ، أو أنّه يعم الصائم و غيره . فبشفاعة هذا الشهر و بركته يحصل لهذه الامّة المرحومة إقبال على الله سبحانه و تعالى و مزيد تسبيح و ذكر لله تعالى ، فلهذه الخصوصيّة خصّ تسبيحه به واتي بلفظ الجمع لتعدد الأنفاس و كونها أفعالاً متعددة متماثلة ، بخلاف النوم ، فإنّه حالة واحدة وفعل واحد مستمرّ ، بل يشبه الاعدام ، فلاتعدد له ولا حقائق متعددة فاتي فيه باسم الجنس.

ثمّ الحال في النوم مثلها في الأنفاس ، فله في هذا الشهر خصوصيّة ، و إلّا فنوم المؤمن مطلقاً عبادة لايمانه ونيّة الطاعة والعبادة بعد الانتباه. وهنا النائم في اليوم صائم وفي العبادة وفي الليل من نيّته الصوم في الأيّام الباقية . وإنّما قال : «تسبيح وعبادة» ولم يقل : «تسبيح وتعبّد» للمبالغة مثل زيد عدل .

ثمّ تحقيق المقام أنّ المخبر الصادق أخبر بأنّ الأنفاس مسبّحة فيه بل تسبيح، و كذا النوم في هذا الشهر عبادة ، إمّا مطلقاً ، أو في خصوص نوم اليوم لخصوص الصائم . والأظهر الأول ، والأصل في الاستعمال الحقيقة ، فلاداعي إلى التأويل بأنّ المراد الثواب أوغيره مع إمكان الحمل على الظاهر والحقيقة ، بل قد عرفت أنّ خبره[1] ظهر بما ذكرناه أنّه مطابق بظاهره للواقع من تسبيح الأنفاس وكون النوم عبادة . و كذا الحال في نظائر المقام مثل تسبيح السبحة المصنوعة من طين قبر الحسين عليه السلام في يد المدير لها و كذا تسبيح بعض الخواتيم وغيرها، واحتمل الوجهين في كشف الغطاء[2] من دون ترجيح في البين في كلّ ذلك .

والحقّ عندنا ماذكرناه ، لما ذكرناه من أنّ الأصل الحمل على الحقيقة مع إمكانه ، بل وقد ظهر من النصوص أنّ ظاهره مطابق للواقع ،فلاوجه للتأويل وارتكاب خلاف الظاهر، فبمقتضى هذه القاعدة الوضعيّة والمسألة الحقيقيّة المعنويّة يلزم المصير إلى ما اخترناه ، ولله درّ العلّامة الطباطبائي ـ قدس سره ـ حيث إنّه

---

(١) كذا في النسخة ، و الظاهر سقوط كلمات من هنا .

(٢) كشف الغطاء : ص .

قال في الفوائد : بأنّ ظاهر الحمل قاض بفرديّة المبتدأ للخبر وأنّه يجب المصير إليه مع إمكانه ، ولنذكر كلامه ـ رحمه‌الله ـ لما فيه من الفوائد والتحقيق ، كي لا يحرم الناظرون في كتابنا هذا من فوائده .

قال ـ رحمه الله ـ : فائدة ، ظاهر الحكم على شيء يقتضي كون المحكوم عليه من أفراد المحكوم به حقيقة حتّى يصرف عن الحكم الظاهر صارف يصرفه عنه . ولذا لم يصحّ قولنا : «زيد أسد» و«المنيّة سبع» إلّا بالارجاع إلى التشبيه البليغ وكان معناه : زيد كالأسد والمنيّة كالسبع . وبالجملة : فأهل اللغة والعرف والمحاورة لا يرتابون في التفرقة بين مقام الحمل ومقام التشبيه ، فمقام الحمل هو ما كان الموضوع فيه من جزئيّات المحمول ومن أفراده الحقيقيّة ، ولو حمل المهيّة على بعض أفراده المجازيّة كان استعمالاً للمهيّة الموضوعة لافادة الحمل في التشبيه لافادة أنّه قد بلغ من المشابهة بالأفراد الحقيقيّة حتّى كأنّه فرد منه حقيقة ولذا حمل عليه حمل المواطاة ، وهذا هو المسمّى بالتشبيه البليغ ، ومن البيّن أنّه لو صحّ الحمل على الأفراد المشابهة للأفراد الحقيقيّة حقيقة من غير تجوّز ولا ارتكاب لخلاف الظاهر من اللغة ، لزم أن لا يفرق بين قولنا : «زيد إنسان» و«زيد أسد» وأن لا يكون قولنا: «زيد أسد» تشبيهاً بليغاً ، وقد صرحوا بذلك وفرقوا بين الأمرين .

فإذا حكم الشارع بحكم على شيء أمكن فرديّة الموضوع للمحمول كما إذا كان مفهوم المحمول من العبادات المتوقّفة على بيان الشارع ولم يعلم البيان من قوله على وجه التحديد ، فالواجب فيه البناء على الظاهر ، أي الظاهر من الحمل كما عرفت ، وهو كون الموضوع من أفراد المحمول حقيقة وفي نفس الأمر ، عملاً بالظاهر من دون معارض وذلك كقوله : «الارتماس في الماء دفعة غسل» و«نيّة الامساك مع الأكل سهواً صوم» إلى غير ذلك ، و«إيماء الأخرس وإشارته صلاة» وإن لم يمكن الحمل على حقيقته فهنا صور . إلى آخر ما قال وأفاد ، جزاه الله خير الجزاء .

وقد جزم العلاّمة المجلسي ـ رحمه الله ـ في زاد المعاد على الحمل على إرادة الثواب[1] وبما ذكرت عرفت فساده من حيث القاعدة والدليل الخارجي .

وهنا احتمال ثالث ، هو الترغيب في الجدّ و الاجتهاد في الصيام والقيام والتسبيح والتحميد والذكر وغيرها من العبادة و الاستعداد و أهليّة قبول الأعمال واستجابة الدعاء، فيراد أنّه ينبغي أن يفرغ في هذا الشهر للعبادة ولا يتكلّم إلّا بالتسبيح، وهو مثال ، فالمراد مطلق الذكر ، و كذا ينبغي إحياء الليالي بالعبادة و هكذا ، ويدلّ عليه أيضاً نصوص مثل السابقين . وحينئذٍ يمكن الحمل على الأمرين أو الامور ، وليس من استعمال اللفظ في أكثر من معنى .

ولنشر إلى بعض النصوص مضافاً إلى ما مرّ من النصوص الكثيرة في فضل هذا الشهر وعظمته ـ وأنّه شهر الله ، وشهر ضيافة الله ، والصيام والقيام والعبادة ، ومضاعفة ثواب الأعمال ، وغفران السيّئات،ورفع الدرجات ـ وفي الترغيب في كثرة العبادة والجدّ والاجتهاد ، وأنّ زين العابدين وسيّد الساجدين عليه السلام لم يتكلّم في شهر رمضان إلّا بالدعاء والتسبيح والاستغفار والتكبير إلى الافطار .

فمنها : الخطبة الطويلة المرتضويّة الرمضانيّة ، وفيها «فانظر أن لا تكون نائماً في الليالي و لم تكن غافلاً عن ذكر اسمه في الأيّام فخرج الشهر والذنوب باقية عليك» [2] الخطبة .

وبالجملة : فالأنفاس فيه تسبيح وذكر ولها ثواب التسبيح ، وينبغي للعبد الاستدامة على العبادة وتخليص النيّة والاجتهاد في العمل و الاخلاص و رفض المحرمات والمكروهات ، فإنّه سبحانه وتعالى قد ألطف وأكرم لعظمة هذا الشهر بالألطاف الموفورة ، وينبغي للعباد أيضاً التفريغ فيه للعبادة والاخلاص ورفض الحواجب ، فالضابطان صحيحان مرادان ، وليس شهر رمضان كسائر الشهور عند

---

(١) زاد المعاد :ص ٨٦

(٢) فضائل الاشهر الثلاثة : ص١٨ .

الله تعالى . و ينبغي أن يكون العباد كذلك يعرفون قدره و يخلصون لله تعالى فيه و يفرغون لعبادته و طاعته و يستديمون عليهما ، و ليصم فيه سمعهم و بصرهم و لسانهم و بطنهم و فرجهم وسائر أعضائهم وأجزائهم ، و يتشبّهون به تعالى أيضاً في العفو و المغفرة و الارفاق بما ملكته أيمانهم ، فلا يكون يوم صومهم كيوم فطرهم ، ولاشهر رمضان عندهم كسائر الشهور ، و الله العالم .

و هنا وجهان آخران : هما أنّ المراد أنّه ينبغي للصائم في شهر رمضان أو من كان فيه مطلقاً في يومه و ليله كفّ نفسه عن المفطرات والمحرمات ـ كالغيبة وغيرها ـ وعن المكروهات، بل المباحات، والخلوص والاخلاص لربّه تعالى ليسبّح نفسه وليكون نومه عبادة ، أو ليكتب له ثواب التسبيح في اليوم أو مطلقاً وثواب العبادة في نومه ليلاً أو في يومه و ليله . فهذه وجوه خمسة ـ و الله المشكور ـ و تجيء بعض هذه الوجوه في قوله ﷺ : « و عملكم فيه مقبول و دعاؤكم فيه مستجاب . . . إلخ » فيراد قبول الأعمال بالصحّة و الاجزاء أو زيادة عليهما بعدم ردها و تضاعف اجورها ببركة هذا الشهر و شفاعته وشفاعة من شرف هذا الشهر بانتسابه إليهم عليهم السلام ، أو أنّه ينبغي السلوك على نحو يقبل فيه الأعمال و يستجاب الدعوات بالجدّ والجهد والخلوص والاخلاص مع بسط بساط الرحمة وسدّ أبواب الموانع ، فلا يكون شقيّاً محروماً من غفران الله تعالى و قد خرج الشهر و لم يخرج من ذنوبه . والمراد جميع تلك الوجوه وعلى الكلّ شواهد من النصوص و الاعتبار ، وهذا واضح .

إنّما المهمّ تحقيق معنى الدعاء و أصنافه و أفراده بحسب الموارد و الآلات والداعين وأغراضهم ، ومعنى إجابته واستجابته ، وصدق النيّة ، وطهارة القلوب، والتوفيق، والصيام ، و تلاوة الكتاب ، وسائر ما يتعلّق بذلك الباب ، فنقول :

قال الشيخ الجليل الزاهد العالم العارف الربّاني ابن فهد الحلّي ـ قدّس سره ـ في عدة الداعي : الدعاء لغة النداء و الاستدعاء ، تقول : « دعوت فلاناً » إذا ناديته وصحت به، واصطلاحاً طلب الأدنى للفعل من الأعلى على جهة الخضوع

والاستكانة [١] إنتهى .

وقال العلّامة الطباطبائي ـ قدس سره ـ في المصابيح: الدعاء في الأصل مطلق الطلب ، تقول:«دعوت زيداً» إذا ناديته و«دعوت به» إذا استحضرته و«دعوته إلى الوليمة» سألته حضورها، و«إلى المبارزة» أردتها منه، و«دعا النبيّ ﷺ الخلق إلى التوحيد» و «دعا المؤذن الناس إلى الصلاة» أي أراد ذلك منهم، و« هم دعاة للحقّ أو الباطل» أي الآمرون بهما ، و « أدعيت الشيء » أي طلبته لنفسي، ومنه المدعي والمدعى عليه والدعوى والدعاوي. وخصّ في العرف الشرعي بسؤال العبد ربّه على وجه الابتهال . وقد يطلق على التقديس و التحميد ونحوهما ، لكونه سؤالاً بلطف و معروضاً للطلب بطريق خفيّ ، و منه « خير الدعاء دعائي و دعاء الأنبياء من قبلي ، و هو: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حيّ لا يموت ، بيده الخير ، و هو على كلّ شيء قدير » .

قيل : سئل عطاء عن ذلك ، كيف سمّاه دعاء وإنّما هو تمجيد وتقديس ؟ فقال : هذا اميّة بن الصلت يقول في عبدالله بن جذعان :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني	حباؤك إنّ شيمتك الحباء
إذ أثنى عليك المرء يوماً	كفاه من تعرضه الثناء

أفيعلم ابن جذعان ما يراد منه بالثناء ما لا يعلم ربّ العالمين ذلك ، انتهى .

وفي مجمع البحرين: و«الدعاء» واحد الأدعية، وأصله «دعاو» لأنّه من دعوة ، و«دعا المؤذن إلى الله فهو داع» والجمع دعاة ، مثل قاضٍ وقضاة وقاضون . والنبيّ ﷺ داع الخلق إلى التوحيد . و«ادعيت الشيء» طلبته لنفسي ، ومنه «الدعوة في الطعام ، اسم من «دعوت الناس» إذا طلبتهم ليأكلوا عندك ، و الاسم الدعوى . و «دعوى فلان كذا» أي قوله، والجمع الدعاوى ـ بكسر الواو وفتحها ـ وقال بعضهم:

(١) عدة الداعي لا بن فهد الحلي : ص٩ .

و الفتح أولى ، لأنّ العرب آثرت التخفيف و حافظت على ألف التأنيث الّتي بنيت عليها المفرد . وفي الحديث «البيّنة على المدعي و اليمين على المدعى عليه» والمراد بـ «المدعي» على مايفهم من الحديث من يكون في إثبات قضيّة على غيره ، ومن «المدعى عليه» المانع من ذلك ، وهو المعبّر عنه بالمنكر [1] إلى آخر ما قال .

وقال أيضاً: وفي الحديث «لا يردّ القضاء إلّا الدعاء» قيل: أراد بالقضاء ما تخافه من نزول مكروه وتتوقّاه ، وتسميته قضاءً مجاز ، أو يراد به حقيقة القضاء . ومعنى ردّه تسهيله وتيسيره حتّى كأنّ القضاء النازل لم ينزل . و يؤيّده ماروي من أنّ الدعاء ينفع ممّا نزل وممّا لم ينزل ، أمّا ممّا نزل فصبره عليه وتحمّله له ورضاه به ، وأمّا نفعه ممّا لم ينزل فيصرفه عنه .وفي حديث عليّ بن الحسين عليهما السلام و قد سئل : كيف الدعوة إلى الدين؟ فقال : « يقول : أدعوك إلى الله وإلى دينه » ثمّ قال : « وجماعه أمران».وفيه «أعوذ بك من الذنوب الّتي تردّ الدعاء » وهي كما جاءت به الرواية عن الصادق عليه السلام سوء النيّة والسريرة ، وترك التصديق بالاجابة ، والنفاق مع الاخوان ، وتأخير الصلاة عن وقتها . وفيه «الدعاء هو العبادة» أي يستحقّ أن يسمّى عبادة ، لدلالته على الاقبال عليه تعالى والاعراض عمّا سواه . و «دعوت الله أدعوه دعاءً» ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير. ويقال: «دعا» أي استغاث.وفي الحديث «ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة » أي كونوا وقت الدعاء على شرائط الاجابة من الاتيان بالمعروف واجتناب المنهي ورعاية الآداب . وفيه «لاتدعوا على أنفسكم» أي لاتقولوا شراً وويلاً . وفيه «أفضل الدعاء الحمد لله» قيل : لأنّه سؤال لطيف يدقّ مسلكه ، ومنه قول الشاعر :

إذا أثنى عليك المرء يوماً — كفاه من تعرضه الثناء

(١) مجمع البحرين : ج١ ص١٤٢ .

ولأنّ [كلّ مصلّ يدعو لك . وفي حديث عرفة «أكثر دعائي ودعاء الأنبياء قبلي لا إله إلّا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير» قيل: إنّما سمّي][١] التهليل والتحميد والتمجيد دعاء ، لأنّه بمنزلته في استيجاب الله وجزائه [٢] إلى آخر ما قال .

أقول ــ ومن الله المعرفة والتوفيق والهداية إلى الحقّ والصواب في كلّ باب ــ : النداء والاستدعاء دعاء لغة ، وطلب الأدنى للأعلى شيئاً على جهة الخضوع والاستكانة دعاء اصطلاحاً ، كما قاله في عدة الداعي [٣] والأخير أيضاً دعاء لغة ، لأنّه فرد من المعنى اللغوي . و في العرف الشرعي يختصّ بما ذكره في المصابيح ، فيختصّ بكون الدعاء من العبد لربّه على وجه الابتهال ، فدعاء الشخص غيره تعالى من دون خضوع دعاء لغة ومعه اصطلاحاً ، وليس دعاء في العرف الشرعي . ثمّ المعنى الشرعي يعمّ الدعاء بلسان المقال و بلسان الحال وبلسان الاستعداد .

فذكر الله تعالى مع الطلب دعاء والعبادات مطلقاً دعاء ، كما أنّ الدعاء عبادة ومطلق ذكر الله تعالى دعاء ، لأنّه سؤال لطيف يدقّ مسلكه ــ كما قاله في المجمع في الحمد ونقله عن الشاعر ونقله في المصابيح عن عطاء مطلقاً ــ و لأنّ مقصود الربّ تعالى من الأذكار تذكّر العباد له ، وهو مقصوده من تشريع الدعاء أيضاً ومن العبادات جميعاً ، وهو مقصود الأولياء من دعائهم وعباداتهم أيضاً. فمقصود أهل الله من الجميع هو الله تعالى وذكره ونداؤه ومحادثته ومناجاته وإقباله و إجابته والحوائج وسائل ، على عكس سائر الناس .

فمطلق الأذكار دعاء ملحوظ للربّ ولأهل الله تعالى ويتّحد مرادهم مع مراده وغرضهم مع غرضه و«رضي الله عنهم ورضوا عنه» لامراد لهم سواه ولا يعنون

---

(١) ما بين المعقوفتين لا يوجد في مجمع البحرين ، المطبوع .

(٢) مجمع البحرين : ج١ ص١٤١ .

(٣) عدة الداعي : ص٩ .

إلّا الله ، فهو مسؤولهم ومناهم ، مع ما عرفته من كون الأذكار كلّاً أو بعضاً سؤالاً بلطف وعلى سبيل الكناية أو غيرها . فبعضها دعاء بلسان المقال صريحاً و ظاهراً أو كناية وعلى وجه اللطف، وبعضها بلسان الحال كجميع العبادات والخدمات.

وتوضيح المقام : أنّ السؤال والدعاء إمّا بلسان الاستعداد كسؤال الأخيار للملكات الحسنة والأشرار للملكات الخبيثة . كما قال تعالى: «وآتاكم من كلّ ما سألتموه» [1] وسيجيء توضيح معنى ذلك وبيانه . وإمّا بلسان الحال ، مثل جميع العبادات المتعلّقة بالأعضاء والجوارح وبالجوانح . كما في القدسيّات وسور التوارة «يابن آدم تفرغ لعبادتي أكفك مهمّك وعليّ أن أسدّ فاقتك ، وإلّا تفرغ لعبادتي أكلك إلى نفسك ولا ابالى بأيّ وادٍ هلكت» [2] ومن الواضح : أنّ خدمة الخادم للمخدوم تنادي بلسان حالها وبأعلى صوتها وتستدعي قضاء حوائجه ، وهذا يجيء في الأذكار أيضاً ، لأنّها أيضاً عبادة ، وفيها وجه آخر أيضاً .

ويؤيّد ذلك تشريع صلاة الحاجة واستجابة الدعوات في أعقاب الصلوات ، بل بعد مطلق الخدمات من ترك المحرمات وفعل الطاعات ، إمّا بلسان المقال ظاهراً واضحاً كالدعاء الظاهر ، أو بلطف ودقّة مثل بعض الأذكار ، وبعضها من قبيل الدعاء بلسان الحال مثل التسبيح .

واعلم أنّ الدعاء الكامل المستجاب البتّة ما صدر بجميع الألسن ، وأفضلها الأذكار والتمجيد والتحميد والتهليل من دون سؤال شيء، فمن شغله ذكر الله عن سؤاله أعطاه الله مسؤوله و خيراً منه ، كما في النصوص ، ولأنّ فيه الاشعار بأنّه لامطلب له سواه ، فهو خير الدعاء ، وينبغي أن يكون صادقاً في ذلك الدعاء .

ثمّ الأفضل التقوى والخدمة واجتناب المنهيّات والاتيان بالطاعات ، وبعد ذلك كلّه السؤال بلسان المقال حوائجه إظهاراً بأنّه عبد مفتقر إلى مولاه لا يستغني

---

(١) ابراهيم : ٣٤ .

(٢) بحار الانوار: ج ٧٠ ص ٢٥٢ ح٨ مع تغيير وزيادة في الالفاظ .

ولا يتكبّر ، فاللازم الجمع بين الأدعية بصنوفها لكنّ الأفضل ما ذكر ،ولذا قال سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله : « يا أباذر ، يكفي من الدعاء مع البرّ مثل الملح في الطعام والدعاء بلاعمل كالقوس بلاوتر» وورد أيضاً في آداب الأدعية وجهة الدعاء ـ كما يأتي ـ تقديم الثناء على الله سبحانه وتعالى وتمجيده وتحميده .

فقد علم أنّ اللازم الجمع وعدم الاقتصار على الدعاء بلسان المقال ،بل وعدم الاكتفاء بالأعمال والأذكار ، فإنّ الجمع بين الجميع أكمل و أفضل من الاقتصار على الأفضل ، ولابدّ للعبد من مزاولة جميع الطاعات لا الاقتصار على أفضلها والاشتغال به أبداً . نعم ، ينبغي إيثاره عند المزاحمة والاكثار منه، لا رفض المفضول بالمرة . فالطعام اللازم التقوى والطاعات والدعاء بلسان المقال ، والسؤال بقدر الملح ، وبدونه طعام بلاملح ، والاقتصار بالملح لا ينفع أيضاً ،فافهم .

فمطلق الأذكار دعاء ، لأنّها من العبادات ، وقدعرفت أن كلّ عبادةدعاء بلسان الحال ، وأيضاً هي دعاء ، لأنّ الدعاء الحقيقي وما هو مقصود الربّ تبارك وتعالى أن يكون العبد في ذكره فيكون في ذكر عبده الذاكر ، وأيضاً هي دعاء بلسان المقال بوجه لطيف أوبلسان الحال كذلك .

واعلم أنّ للدعاء أقساماً أيضاً بحسب الداعين ، كما أشرنا إليه . فأهل الله مقصودهم الربّ تعالى ويجعلون الحوائج وسائل ، وغيرهم بالعكس . فدعاء أهل الله مستجاب بكلّ حال ، سواء اعطوا ما سألوه بظاهر المقال أم لا .

وأهل الآخرة مقصودهم الامور الاخرويّة الباقية، وهم خير ممّن مقصودهم الدنيا الفانية ، وإلّا فقد ركنوا إلى مخلوق وتركوا الخالق ، فالجنّة و نعيمها و الهرب من النار وألمها مخلوقه ، و اللائق ترك الجميع . لكن الحقّ صحّة عبادات هؤلاء ودعائهم إن قصدوا بها الله سبحانه وتعالى وامتثال أمره وإن كان الغرض الجنّة ونعيمها، وإن أرادوا المعاوضة الصرفة فهي باطل، وعلى ذلك لابدّ من حمل كلام من ادعى الاجماع على فساد العبادات بهذا القصد . وأمّا لوعمّم

بحيث يريد الوجه الأول لزم فساد عبادات جلّ الناس وخلودهم في الجنّة [١] وهو كما ترى ، وتنافيه الترغيبات والترهيبات في الكتاب والسنّة .

وأمّا أهل الدنيا : فهم ومقاصدهم مبغوضون وإن اعطوا مقاصدهم فهو إعطاء مبغوض لمبغوض .

و أهل الله : قد عرفت أنّ مقصودهم هو الله الواحد الأحد لا غير ، وهو نعيمهم وجنّتهم دنياهم واخراهم ، وإنّما شاؤوا الجنّة وسألوها لأنّها دار السلام المحفوفة برضوان الله ، واستعاذوا من النار لأنّها دار أعداء الله .

واعلم أيضاً أنّ دعاء أهل الله وأهل الآخرة مستجاب بكلّ حال بوجه آخر هو التعليق بمشيّة الله أو الخيريّة ، فدعاؤهم المنجزّ ينحلّ إلى دعاءين معلّقين فسواء اعطوا ما سألوا أم لا ، وآتوا بالمشيّة والحكمة والمصلحة في ظاهر المقال أم لا ، قد استجيب دعاؤهم واعطوا سؤلهم . والألطف الوجه الأول ، والثاني أجمع لشموله لأهل الله وأهل الآخرة معاً .

قال في مجمع البحرين : قوله تعالى : «اجيب دعوة الداع إذا دعان» قيل: هي الاجابة المتعارفة ، والسؤال الوارد مدفوع بتقدير «إن شئت» فتكون الاجابة مخصوصة بالمشيئة ، مثل قوله : «فيكشف ماتدعون إليه إن شاء» . وقيل :مشروطة بكونها خيراً . وقيل : أراد بالاجابة لازمها وهو السماع ، فإنّه من لوازم الاجابة فإنّه يجيب دعوة المؤمن في الحال ويؤخّر إعطاءه ليدعوه ويسمع صوته ، فإنّه يحبّه [٢] انتهى و هو حسن . وله تتمّة سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ في الاستجابة .

وقال في عدة الداعي: فإن قلت : نرى كثيراً من الناس يدعون الله فلا يجيبهم فما معنى قوله : «اجيب دعوة الداع» ؟ فالجواب : سبب منع الاجابة الاخلال بشروطها من طرف السائل، إمّا بأن يكون قد سأل الله عزّ وجلّ غير متقيّد بآداب

(١) كذا في النسخة ، والظاهر أنها مصحف «جهنم» .

(٢) مجمع البحرين : ج١ ص١٣٨ .

الدعاء ولاجامع لشرائطه . وللدعاء آداب وشروط لابدّ منها تأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ روى عثمان بن عيسى ، عمّن حدّثه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت : آيتين في كتاب الله أطلبهما ولا أجدهما ، قال عليه السلام : ما هما ؟ قلت : قول الله تعالى «ادعوني أستجب لكم» فندعوه فلا نرى إجابة؟ قال عليه السلام : أفترى الله أخلف وعده؟ قلت : لا ، قال عليه السلام : فلم ذلك ؟ قلت: لاأدري ، فقال عليه السلام : ولكنّي اخبرك ، من أطاع الله فيما أمره ثمّ دعاه من جهة الدعاء أجابه ، قلت : وما جهة الدعاء؟ قال عليه السلام: تبدأ فتحمدالله وتذكر نعمه عندك ، ثمّ تشكره ، ثمّ تصلّي على النبيّ وآله صلى الله عليه وآله ثمّ تذكر ذنوبك فتقرّ بها، ثمّ تستغفر الله منها،فهذه جهة الدعاء. وإمّا أن يكون قد سأل مالاصلاح له فيه ويكون مفسدة له أو لغيره، إذ ليس أحد يدعو الله سبحانه وتعالى على ماتوجبه الحكمة ممّا فيه صلاحه إلّا أجابه . وعلى الداعي أن يشترط ذلك بلسانه أو يكون منوياً في قلبه، فالله يجيبه البتّة إن اقتضت المصلحة إجابتها وتؤخّراه إن اقتضت المصلحة التأخير [1] إلى آخر ماقال .

وقوله : «وإمّا أن يكون ... إلخ» عطف على قوله : «إمّا بأن يكون قدسأل الله عزّ وجلّ غير متقيّد» وسؤاله هو السؤال الوارد المدفوع في كلام المجمع. والمرجع إلى ماذكرناه: من لزوم اجتماع الدعاء بلسان الحال والمقال، ليكون قلبه ولسانه وجميع أعضائه وأجزائه داعياً له سبحانه، فيمجّد الله ويحمده ويسبّحه ويعترف له بالعبوديّة والذنوب والتقصير ويتّق الله في ترك المحرمات وفعل الطاعات ويدعو الله ويسأله حوائجه، فيستجيب الله تعالى له البتّة ويعطيه سؤاله. لكن للاستجابة أقسام كما أشار ـ رحمه الله ـ إليه ، ويأتي تفصيله . وكذا مقاصد الداعين متعددة مختلفة ولكلّ أهل ، كماسيأتي تفصيله عند بيان الاستجابة وأشرنا إليه .

فتحصّل من جميع ماذكر أنّ دعاء العبد للربّ مستجاب لكلّ حال.وأنّ الآداب ضمّ دعاء إلى دعاء ، وفي الحقيقة هي شروط تحقّق الدعاء الجامع ، فصحّ

(١) عدة الداعي : ص١٥ .

قوله تعالى : «أستجب لكم» و«اجيب دعوة الداع» .

بل أقول : لاتنفكّ دعاء أحد عن الاستجابة أبداً . حتّى أنّ دعاء الكفّار مستجاب، واستجابته اللعن عليهم، وهو قضيّة الحكمة، كسائر عباداتهم المبتدعة ، فتركها خيرمنها ازيادة عبادتهم ودعائهم بالاتيان ببدعة افترى في تسميتها عبادة فيلحقه عقاب ترك العبادة وعقاب البدعة . وسنذكر تفصيل هذه الامور و سندهـا بعون الله الوهّاب .

هذا مجمل الكلام في معنى الدعاء ومصاديقه بحسب الداعين واختلاف أغراضهم بحسب اختلاف مراتبهم وبحسب الالآت والمصادر والموارد. وأمّا الاستجابة والاجابة فقد علم ضمناً بعض البيان لهما ، وأمّا التفصيل والتوضيح ، فنقول :

قال في مجمع البحرين: قال تعالى :«أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه» والمجيب الّذي يقابل الدعاء والسؤال بالقبول والعطاء ، هواسم فاعل من أجاب يجيب ـ إلى أن قال ـ : وفي حديث إبراهيم عليه السلام في الأذان للحجّ « فأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء : لبّيك اللّهمّ لبّيك» يقال : أجابه بجواب إجابة. وجواب الكلام رديده ، والجمع أجوبة وجوابات . قيل : وفي الحديث إشارة لطيفة ، هي أنّ إجابة من كان في الأصلاب والأرحام إشارة إلى ما كتب بقلم القضاء في اللوح المحفوظ : من طاعة المطيع لهذه الدعوة على لسان إبراهيم عليه السلام ومن بعده من الأنبياء عليهم السلام . وجاوبه : من الجواب . والمجاوبة : التجاوب . واستجاب لـه واستجابه : أي أجابه . ومنه الحديث «ما من مسلم يدعو بدعاء إلّا استجيب له ، فإمّا أن يعجّل له في الدنيا، أو يدخر له في الآخرة، وإمّا أن يكفّر من ذنوبه » (١) انتهى ، وقد تقدم كلام آخر منه عن قريب .

وفي دعاء أيّام شعبان «اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد ، واسمع دعائي إذا

(١) مجمع البحرين : ج٢ ص٢٨ في جوب و جيب .

دعوتك ، واسمع ندائي إذا ناديتك ، وأقبل عليّ إذا ناجيتك»[1] الدعاء . وفي دعاء السحر ـ الطويل ـ في ليالي شهر رمضان «الحمدلله الذي أدعوه فيجيبني وإن كنت بطيئاً حين يدعوني، والحمد لله الذي أسأله فيعطيني وإن كنت بخيلاً حين يستقرضني» وفيه «اللّهمّ أنت القائل وقولك حقّ و وعدك صدق : واسألوا الله من فضله إنّ الله كان بكم رحيماً، وليس من صفاتك ياسيّدي أن تأمر بالسؤال وتمنع العطيّة ، وأنت المنّان على أهل مملكتك والعائد عليهم بتحنّن رأفتك»[2] .

واعلم أنّ الدعاء والسؤال لاينفكّان عن الاستجابة ، وأنّ الله لا يخلف وعده وليس من صفاته ذلك ، لكن الدعاء مرة بلسان الاستعداد الذاتي

وفي هذا المقام كلّ الأشياء داعون خاضعون ساجدون ، آتاهم الله من كلّ ما سألوه بلسان الاستعداد من خيرٍ أو شرّ ، فدعوتهم مستجابة قضيّة الحكمة وسبق الرحمة . فأنعم الله على الكلّ ماسأله بلسان الاستعداد، ووهب كلّ شيء ما سأله وأعطاه ماهو قابل له برحمته العامّة وبمقتضى الرحمانيّة العامّة، بمعنى أنّه أوجد كلّ شيء ومنهم المكلّفون المطيعون، وتفضّل على الجميع بالايجاد ووهبه مايليق به وبمهيّته وما يتبعها من الملكات الحسنة أو الخبيثة ومن العلّيّين أو السجّين ،وهو حكيم وضع الأشياء مواضعها «ولا يظلم ربّك أحداً» .

فالدعاء التكويني لايتخلّف عن الاستجابة ، لأنّ المبدأ فيّاض حكيم تفضّل بالجود والايجاد وأعطى كلاّ ما يعلم أنّه يليق به . ثمّ أعطى كلّ مكلّف ما سأله بلسان استعداده الثانوي الكسبي بواسطة الرياضات والمجاهدات المحصّلة للملكات الحسنة والأخلاق الحميدة أو بواسطة الانهماك في المعاصي والسيّئات الموجب لظلمة القلب والطبع والرين عليه . ومرجع هذا الاستعداد إلى الاستعداد الأول وينتهي سلسلته إليه. وفي هذا المقام يختصّ الرحمة الّتي هي تختصّ بالمؤمنين ومن

---

(١) مفاتيح الجنان : أعمال شهر شعبان .

(٢) مفاتيح الجنان : أعمال شهر رمضان .

مظاهر الرحيميّة[١]، ويختصّ الأشرار والكفّار بالخذلان و الاستدراج، و هما على ضروب :

منها : حبس الدعاء عن الصدور ، فلايقبل إلى ربّه ، فـ«نسوا الله فنسيهم»[٢] وسأل لسان استعدادهم لذلك والغفلة عن ربّه والاشتغال بما سواه الشرور ـ وألهاهم الأمل ـ وأعطاه الرحمان .

ومنها : الخذلان ببغض صوته وسماعه ، فربما يستدرجه بالتعجيل لمسؤوله لينقطع صوته و يشغل عنه و نحو ذلك من زيادة في المال و الأولاد . وفي المقابل توفيق المطيع لصدور الدعاء منه ، وإنزال البلاء عليه والأمراض والأعراض والفقر ونحوها الموجبات للاقبال ، وربما ينعم عليه بتأخير الاعطاء بعد صدور الدعاء واستجابته ليداوم عليه مدة ، أو يحبّ سماع صوته ، أو يدخر لآخرته ، وإن كان هناك حواجب وذنوب يعارضها دعاؤه ويكفّرها . فعباداته مقبولة ودعاؤه مستجاب ويعطى سؤله إمّا معجّلاً أو مؤخّراً في الدنيا أو في الآخرة . والكفّار لاخلاق لهم ولانصيب لهم في الآخرة ولسان استعدادهم يسأل زيادة البعد والسخط، فيعطيهم الله تعالى ويضاعف عذابهم بدعائهم المنفكّ عن الولاية وبدعاء منهيّ عنه صريحاً في الأخبار وبإتيانه بدعاء مبتدع وعمل مستحدث غير مشروع ، فقد ترك الطاعة الواجبة أو المندوبة وشرّع في الدين، ودعاؤه بلسان استعداده قاض بمقتضى الحكمة والتشريع بزياده اللعن ، فهو مستجاب أيضاً ، لكن استجابته زيادة اللعن والبعد ، كما في القدسيّات العيسويّة :

ياعيسى ، ارفق بالضعيف وارفع طرفك الكليل إلى السماء وادعني ، فإنّي منك قريب ، ولاتدعني إلاّ متضرعاً إليّ وهمّك همّ واحد ، فإنّك متى تدعني كذلك اجبك [اجيبك خ‌ل] يا عيسى ، إنّي لم أرض بالدنيا ثواباً لمن قبلك ولا

---

(١) كذا فى النسخة ، ولايخفى الخلط الواقع فى العبارة .

(٢) التوبة : ٦٧ .

عقاباً لمن انتقمت منه . ياعيسى ، إنّك تفنى وأنا أبقى ومنّي رزقك وعندي ميقات أجلك وإليّ إيابك وعليّ حسابك ، فاسألني ولا تسأل غيري فيحسن منك الدعاء ومنّي الاجابة . ياعيسى ، ما أكثر البشر وأقلّ عدد من صبر ، الأشجار كثيرة وطيبها قليل ، فلايغرّنّك حسن شجرة حتّى تذوق ثمرتها . يا عيسى ، لايغرنّك المتمرد عليّ بالعصيان يأكل من رزقي و يعبد غيري ثمّ يدعوني عند الكرب فاجيبه ثمّ يرجع إلى ما كان عليه ، فعليّ يتمرد ؟ أم لسخطي يتعرض ؟ فبي حلفت لآخذنّه أخذة ليس له منها منجي ولادوني ملجأ . ياعيسى ، قل لظلمة بني إسرائيل : لاتدعوني والسحت تحت أحضانكم والأصنام في بيوتكم فإنّي آليت (وفي المجالس وأيت) أن اجيب من دعاني وأن أجعل إجابتي لعناً عليهم حتّى يتفرقوا [1] الحديث .

والمراد[2] إمّا التفرّق عن مجلس دعائهم ويحتمل الكناية عن النفاق، أو عدم اجتماع قلوبهم على شيء واحد .

وبالجملة : فالله سبحانه وتعالى تفضّل بإيجاد جميع المخلوقين سواء الأخيار والأشرار ، وأعطى كلّ مخلوق ماهو أهله ، وساق إلى كلّ رزقه ، ثمّ الأخيار أهل لأن يخلقوا من العلّيين والأشرار أهل للسجّين ، فأعطى كلاًّ ما استأهل له وسأله بلسان استعداده .

هذا في الاستعداد الذاتي ، وكذا الحال في الاستعداد الثانوي الكسبى من المجاهدين والمرتاضين والقاعدين ، و«فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاًّ وعدالله الحسنى»[3] بانعام ما أعطاه وسأله بلسان استعداده

---

(١) الجواهر السنية : ص ٩٩ .

(٢) اشتبه الامر على المؤلف ــ قدس سره ــ وزعم أن جملة «فى المجالس :وأيت» جزء من الحديث فاهتم ببيان المراد. (المصحح) .

(٣) النساء : ٩٥ .

ومن ذلك إلهام السعداء الدعاء وقبوله وهدايته وحرمان الأشقياء من الدعاء ومن إجابته، لكن دعاء كلّ بلسان الاستعداد لا يردّ قضاءً للحكمة، فإنّ المبدء فيّاض فمن استأهل لشيء ينعم عليه البتّة، فالمدار على لسان الاستعداد والدعاء به. ولسان المقال قد يردّ بل يوجب مزيد البعد واللعن والطرد ولو بتعجيل إعطاء سؤله لينقطع نفسه، لأنّه الّذي يوجبه الحكمة بسؤال النعمة والسخط بماهيّته ولسان استعداده.

فهذا معنى استجابة الدعاء مطلقاً، وردّ دعاء المحجوب وتخييبه أحياناً، والاناطة بالآداب، وإطلاق الاستجابة مرة وتخصيصها بالمسلم أو المؤمن في موضع آخر، فيشترط اجتماع الأدعية بالألسنة الثلاثة. ولكن دعاء المحجوب أيضاً مستجاب على وفق لسان الاستعداد، وهو المناط و المدار والعمدة و الشرط في قبول الدعاء بلسان المقال الّذي هو بمنزلة الملح في الطعام. فالاستجابة في حقّ الظلمة و أعداء الأئمّة عليهم السلام بالطرد واللعن ولو بتعجيل إعطاء سؤلهم، وفي حقّ المؤمن الموحّد الّذي همّه همّ واحد بالقرب والزلفى إلى ربّ الأرباب مع تعجيل إعطاء سؤله ورفع درجته بدعائه الّذي هو عبادة مقبولة منه، أو تأخيره ولو إلى الآخرة، أو بتكفير ذنوبه ورفع الحواجب.

ثمّ تأخير عطاء المؤمن في الدعاء إمّا للمحبّة أو للحواجب، وكذا اجور سائر أعماله في الدنيا أو في الآخرة. والدعاء وسائر العبادات تؤثّر في التكفير و رفع الذنوب والحواجب، فلابدّ من التطهير والتكفير، والتأخير لأجلهما. وربما يكون التأخير للتربية والاستدامة على الطاعة، أو لمحبّة سماع الصوت، أو لضرب آخر من المصالح. مضافاً إلى ما عرفت: من أنّ مقصود أهل الله من الدعاء هو الله و هم قد حصّلوا مقاصدهم بكلّ حال بل ذلك هو المقصود الأصيل لله سبحانه وتعالى من الدعاء من العباد، وإلى أنّ دعاء أولياء الله ينحلّ إلى دعاءين، فكلّ من طرفي العطاء والمنع حصل غرضهم فيه.

وأمّا الكافر: فهمّه هواه ويستدرج باستغراقه فيه ولا نصيب له من الامور

الباقية ، و إذا لم يكن المسؤول من المؤمن صلاحاً بل كانت فيه مفسدة فيستمع صوته ويؤثّر دعاؤه في التكفير ويترتّب عليه الأجر وإن لم يعط مسؤوله لما فيه من المفسدة. فعلم استجابة الدعاء مطلقاً ومن المؤمن خاصّة ، وكلّ بمعنى يغاير الآخر.

وأيضاً الاستجابة شيء له أفراد و تتحقّق في ضمن كلّ . ثمّ ورد في بعض الأزمنة والأمكنة والأحوال وغيرها استجابة الدعاء ، فلها دخل في التأثير والشفاعة في قبول الدعاء. و علم ممّا ذكر أنّ عدم إعطاء ماسئل بلسان المقال أو تأخيره لاينافي الاستجابة، فيمكن الاعطاء و عدمها والعدم وتحقّقها ، فيكون الاستجابة حينئذ بالأجر على الدعاء، تكفيره للذنوب ونحوهما وإن تأخّر إعطاء المسؤول أو تبدل بخير منه أو لم يعط أصلاً ، لكونه فيه مفسدة ، فتفطّن و تدبّر والله المنعم والمشكور .

ولنذكر هنا كلام الاستاذ في الفصول ، وكلاماً آخر للشيخ ابن فهد الحلّي في عدة الداعي، وثالثاً للشيخ العارف شارح الزيارة الجامعة ـ قدس الله أسرارهم ـ.

قال الأخير في بعض رسائله في أجوبة المسائل ، قال ـ أيّده الله ـ : العاشر ، بيان استجابة الدعاء وإغاثة الملهوفين عند الالحاح والالتماس أقول : إنّ الله سبحانه قال : «ادعوني استجب لكم» [1] وهذا مجمل، وبيّنه في قوله : «وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون) [2] ومن معنى بيانه أنّه قال: «فليستجيبوا لي » يعني أنّي دعوتهم إلى أن يدعوني فيدعوني « وليؤمنوا بي » أي يصدقون بأنّي أقرب إليهم من حبل الوريد وأنّي اجيب الداع، فإذا دعا الداعي وهو شاكّ في أنّه يجيب الدعاء لا يستجيب له، وإن دعا وهو لا يعرف من دعاه لا يستجيب له ، كما قال جعفر بن محمّد عليهما السلام لمّا قيل له : ما بالنا ندعو ولا يستجاب لنا؟ قال عليه السلام : «لأنّكم تدعون من لا تعرفونه» فإذا أردت استجابة الدعاء فادعه وحده ، لأنّك إذا لم تعرفه فإنّما تدعو غيره .وطريق

---

(١) غافر : ٦٠ .

(٢) البقرة : ١٨٦ .

معرفة موجب الاستجابة أن تعزم عليه تعالى بما دعاك فتوجّه إليه غير ناظر إلى حاجتك ولا إلى نفسك، على نحو ما إذا قلت لزيد: « ياقاعد » فإنّك غير لاحظ القعود وإنّما أنت متوجّه إلى زيد فكذلك إذا قلت : «اللّهمّ اغفر لي» فلاتلتفت إلى كونك ولا إلى كونك سائلاً ولا إلى المغفرة، تتوجّه إليه تعالى لا إلى جهة بلا كيف، فإنّك إذا فعلت كذلك استجاب لك في مكانك. ولقد جربت ذلك خمس أوستّ مرات فلاينقطع كلامي إلّا بالاجابة. وطريق آخر أن تتّقي الله بأن تطيعه في كلّ مايريد منك ،فإذا كنت كذلك فهو أكرم منك وأولى بالفضل، فإذادعوته استجاب لك كلّ ما تريد، وهو تعالى نبّهك على ذلك بقوله تعالى: «إنّما يتقبّل الله من المتّقين »[1] إنتهى.

أقول: الطريق الأول صريح مامرّ من القدسيّات العيسويّة في مواضع منها، بل و كذلك الطريق الثاني، و كذا الآية الشريفة يحتمل الطريقين، بل يجمع بينهما، فيعمّ التقوى من الترك ومن المحرمات. و كون الأصنام في القدسيّات يحتمل لمعناه الظاهر ويحتمل الشرك الخفيّ ووجود المعبودات سوى الله سبحانه وتعالى في بيت القلب، والله العالم.

وبالجملة : فالاستجابة للدعاء تتحقّق في المؤمن والكافر ومن يأتي بالدعاء متقيّداً بالآداب وغير متقيّد بها، لكن استجابة دعاء الكافر عدم استجابة في الحقيقة، و تسميتها استجابة على ضرب من المجاز و التشبيه، فإنّها استجابة طرد و رجم وإبعاد، كإخراج السارق من البيت. و يزيد به عذابه ولعنه للوجوه الثلاثة من سؤال لسان استعداده ذلك وإتيانه بالتشريع وبالمنهيّ عنه، وهو يوجب الحرمة والفساد. كما أنّ استجابة دعاء المؤمن بكلّ حال وفي كلّ الصور حقيقي وإن لم يعط ما سأله. و يحتمل أنّ الاستجابة في الأول حقيقي أيضاً، لاعطائه سؤله بلسان استعداده، لكنّها الفرد الغير الظاهر من الاستجابة، والظاهر ما للمؤمن.

(١) المائدة : ٢٧ .

وعلى الوجهين ينصرف الاستجابة إلى ما يأتي به المؤمن بالآداب، وهو استجابة حقيقة بكلّ صور، وبذلك يجتمع الآيات والأخبار وحصول الاستجابة مطلقاً في مطلق الدعاء وتخصيصها بالآداب ونفيها عن غير ما يؤتى بها، والله العالم.

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: احفظ آداب الدعاء، وانظر من تدعو؟ وكيف تدعو؟ ولما تدعو؟ وحقّق عظمة الله و كبرياءه، وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك واطّلاعه على سرك و ما يكن فيه من الحقّ و الباطل، واعرف طرق نجاتك و هلاكك كي لا تدعو الله شيئاً عسى فيه هلاكك و أنت تظن أنّ فيه نجاتك، كما قال الله عزّ وجلّ: «ويدع الانسان بالشرّ دعاءه بالخير و كان الانسان عجولاً»[1] وتفكّر ماذا تسأل؟ وكم تسأل؟ ولماذا تسأل؟ والدعاء استجابة الكلّ منك للحقّ، وتذويب المهجة في مشاهدة الربّ، وترك الاختيار جميعاً، وتسليم الامور كلّها ظاهرها وباطنها إلى الله. فإن لم تأت بشرط الدعاء فلاتنتظر الاجابة، فإنّه يعلم السرّ و أخفى، فلعلّك تدعوه لشيء قد علم من نيّتك خلاف ذلك. قال بعض الصحابة لبعضهم: «أنتم تنتظرون المطر بالدعاء وأنا انتظر الحجر» و اعلم أنّه لو لم يكن أمرنا الله بالدعاء لكنّا إذا خلّصنا الدعاء تفضّل علينا بالاجابة، فكيف! و قد ضمن ذلك لمن أتى بشرائط الدعاء. سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن اسم الله الأعظم، قال: «كلّ من أسماء الله لعظيم» ففرّغ قلبك عن كلّ ما سواه وادعه بأيّ اسم شئت فليس في الحقيقة لله اسم دون اسم بل هو الله الواحد القهّار. و قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «لا يستجيب الدعاء من قلب لاه» فإذا أتيت بما ذكرت لك من شرائط الدعاء و أخلصت سرك لوجهه فابشر بإحدى ثلاثة: إمّا أن يتعجّل لك بما سألت، أو يدخر لك ما هو أعظم منه، وإمّا أن يصرف عنك من البلاء ما إن لو أرسله عليك لهلكت. قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما اعطي السائلين». قال الصادق عليه السلام: لقد دعوت تارةً فاستجاب لي

(١) الاسراء: ١١.

ونسيت الحاجة، لأنّ استجابته بإقباله على عبده عند دعوته أعظم وأجلّ ممّا يريد منه العبد ولو كانت الجنّة ونعيمها الأبد، ولكن لا يعقل ذلك إلّا العالمون المحبّون العابدون العارفون صفوة الله وخواصّه [١] انتهى .

و قال في عدة الداعي بعد ما مرّ : قال الله تعالى : « ولو يعجّل الله للناس الشرّ استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم» [٢] وفي دعائهم عليهم السلام « يامن لا يغيّر حكمته الوسائل » ولمّا كان علم الغيب منطوياً عن العبد ربما تعارض عقله القوى الشهويّة وتخالطه الخيالات النفسانيّة فيتوهّم أمراً ممّا فيه فساده صلاحاً له، فيطلبه من الله سبحانه ويلحّ في السؤال عليه، ولو يعجّل الله إجابته ويفعله به لهلك البتّة. وهذا أمر ظاهر العيان غنيّ عن البيان كثير الوقوع ، فكم نطلب أمراً ثمّ نستعيذ منه ؟ وكم نستعيذ من أمر ثمّ نطلبه ؟ وعلى هذا خرّج قول عليّ عليه السلام : « ربّ أمر حرص الانسان عليه فلمّا أدركه ودّ أن لم يكن أدركه» وكفاك قوله تعالى: « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبّوا شيئاً وهو شرّ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » [٣] فإنّ الله سبحانه وتعالى من وفور كرمه وجزيل نعمه لا يجيبه . وذلك : إمّا لسابق رحمته به ، فإنّه هو الذي سبقت رحمته غضبه، وإنّما أنشأه رحمةً به وتعريضاً لاثابته ، وهو الغنيّ عن خلقه ومعاقبته . أو لعلمه سبحانه بأنّ المقصود للعبد من دعائه هو إصلاح حاله ، فكان ما طلبه ظاهراً غير مقصود له مطلقاً ، بل بشرط نفعه له ، فالشرط المذكور حاصل في نيّته وإن لم يذكره بلسانه ، بل و إن لم يخطر بقلبه حالة الدعاء هذا الشرط ، فهو كالأعجميّ الذي لقّن لفظاً لا يعرف معناه أو سمع لفظاً توهّمه علماً على شيء ثمّ يطلبه من عارف بقصده ، فإنّه يعطيه ما علم قصده إليه، لا ما دلّ ظاهر لفظه عليه. وهذا هو معنى

---

(١) مصباح الشريعة : ص١٣٢ .

(٢) يونس : ١١ .

(٣) البقرة : ٢١٦ .

الدعاء الملحون الّذي لا يقبله الله ، على ما ورد في بعض الأخبار .

فإن قلت : قد ورد عن أبي جعفر الجواد عليه السلام أنّه قال : ما استوى رجلان في حسب ودين قطّ إلّا كان أفضلهما عند الله عزّ وجلّ أدبهما، قال: قلت: جعلت فداك ، قد علمت فضله عند الناس في النادي والمجالس فما فضله عندالله عزّ وجلّ؟ قال عليه السلام : بقراءة القرآن كما انزل و دعائه الله عزّ وجلّ من حيث لا يلحن ، وذلك: أنّ الدعاء الملحون لا يصعد إلى الله عزّ وجلّ. ويقرب منه قول الصادق عليه السلام : « نحن قوم فصحاء إذا رويتم عنّا فأعربوها » .

فإذا كان المراد من هذين الحديثين ما دلّ عليه ظاهرهما ، فكثيراً ما نرى من إجابة الدعوات غير المعربات، وكثيراً ما نشاهد من أهل الصلاح والورع ومن يرجى إجابة دعائهم لا يعرفون شيئاً من النحو. وأيضاً إذا لم يكن دعاؤه مسموعاً فلا فائدة فيه ، فلا يكون مأموراً به ، لانتفاء فائدته حينئذٍ ، ولا يتوجّه الأمر بالدعاء إلّا إلى حذّاق النحو ، بل النحويّ أيضاً ربما يلحن في بعض الأدعية لافتقارها إلى الاضمار والتقدير والحذف، واشتغاله حالة الدعاء بالخشوع والتوجّه إلى الله عن استحضار أدلّة النحو وقوانينه. وكلّ هذه الامور باطلة خلاف المشاهد من العالم وضدّ المعلوم من أخبارهم عليهم السلام ووصاياهم، فإنّهم دلّوا على كلّ شيء يتعلّق بمصالح العباد . وقد ذكروا في آداب الدعاء وشروطه اموراً كثيرة ستقف عليها في هذا الكتاب ولم يذكروا الاعراب ولا معرفة النحو فيها . وإذا لم يكن المراد منهما ذلك فما معناهما ؟

فاعلم ـ أيّدك الله ـ أنّه لمّا كان الواقع خلاف مادلّ عليه ظاهر الخبرين عدل الناس إلى تأويلهما .

فبعضهم قال: الدعاء الملحون دعاء الانسان على نفسه في حال ضجره بما فيه ضررها ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى: «ولو يعجّل الله للناس الشرّ استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم » قال المفسّرون : أي « ولو يعجّل الله الناس الشرّ »

أي إجابة دعائهم في الشرّ إذا دعوا به على أنفسهم و أهليهم عند الغيظ و الضجر واستعجلوه ، مثل قول الانسان : رفعني الله من بينكم . « استعجالهم بالخير» أي كمايعجّل لهم إجابة الدعوة بالخير إذا استعجلوه « لقضي إليهم أجلهم » لفرغ من إهلاكهم، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يعجّل لهم الهلاك، بل يمهلهم حتّى يتوبوا.

و قال بعضهم : الدعاء الملحون دعاء الوالد على ولده في حال ضجره منه ، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سأل الله عزّ وجلّ أن لا يستجيب دعاء محبّ على حبيبه .

وبعضهم قال : الّذي لا يكون جامعاً لشرائطه .

و الكلّ بمعزل عن التحقيق ، لأنّ مقدمة الخبر لا تدلّ على ذلك ، لأنّ الكلام قد ورد في معرض مدح النحو ، بل التحقيق أن نقول :

أمّا الخبر الأول : فالمراد من قوله عليه السلام : «إنّ الله لا يسمع الدعاء الملحون» أي لا يسمعه ملحوناً ويجازي عليه جارياً على لحنه مقابلاً له بما دلّ ظاهر لفظه عليه ، بل يجازي على قصد الانسان من دعائه ، كما سمع من بعضهم يقول عند زيارته المعصوم عليه السلام : وأشهد أنّك قتلت وظلمت وغصبت ـ بفتح أول الكلمة ـ ومن المعلوم بالضرورة أنّ هذا الدعاء لو سمع منه جارياً على لحنه لحكمنا بارتداده ووجوب تعزيره، ولم يقل به أحد. فدلّ ذلك على أنّ الدعاء لا يجزي على ظاهر لفظه إذا كان المقصود منه غير ذلك. ويدلّ عليه أيضاً إجماع الفقهاء ـ أعلى الله تعالى درجاتهم ـ على أنّ الانسان لو قذف آخر بلفظ لا يفيد القذف في عرف القائل لم يكن قاذفاً ولا يتوجّه عليه عقوبة وإن كان ذلك اللفظ مفيداً للقذف في عرف غيره.

فعلم أنّ إعراب الألفاظ في الدعاء ليس شرطاً في إجابته و الاثابة عليه ، بل هو شرط في تماميّة فضيلته و كمال منزلته وعلوّ رتبته.

وخرّج قول الجواد عليه السلام : « ودعائه الله من حيث لا يلحن » مخرج المدح و ذلك : أنّ الدعاء إذا لم يكن ملحوناً كان ظاهر الدلالة في معناه ، و الألفاظ الظاهرة الدلالة في معانيها أفضل من الألفاظ المتأولة ، ولهذا كانت الحقيقة أفضل

من المجاز والمبيّن أولى من المجمل وأيضاً فإنّه أفصح والفصاحة مرادة في الدعاء وخصوصاً إذا كان منقولاً عن الأئمّة عليهم السلام ليدلّ على فصاحة المنقول عنه، وفيه إظهار لفضيلة المعصوم. وأيضاً فإنّ اللفظ إذا كان معرباً لم ينفر عنه طبع السامع إذا كان نحويّاً، وإذا سمعه ملحوناً نفر طبعه عنه وربما تألّم منه.

قيل: سمع الأعمش رجلاً يتكلّم ويلحن في كلامه، فقال: من هذا الّذي يتكلّم وقلبي منه يتألّم؟

وروي أنّ رجلاً قال لرجل: أتبيع هذا الثواب؟ فقال: «لاعافاك الله» فقال: لقد علمتم لو تعلمون قبح كلامكم، قل: «لا وعافاك الله».

وروي أنّ رجلاً قال لبعض الأكابر وقد سأله عن شيء، فقال: «لا وأطال الله بقاك» فقال: ما رأيت «واواً» أحسن موقعاً من هذه.

وقوله عليه السلام: «إنّ الدعاء الملحون لا يصعد إلى الله» أي لا يصعد ملحوناً إليه يشهد عليه الحفظة بما يوجبه اللحن إذا كان مغيّراً للمعنى ويجازى عليه كذلك، بل يجازيه على قدر قصده ومراده عن دعائه.

ويؤيّد ذلك ما رواه محمّد بن يعقوب عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «إنّ الرجل الأعجميّ من امّتي ليقرأ القرآن بعجميّة فترفعه الملائكة على عربيّته».

مع أنّا نجد في أدعية أهل البيت عليهم السلام ألفاظاً لا نعرف معانيها، وذلك كثير، فمنه أسماء وإقسامات، ومنه أغراض وحاجات وفوائد وطلبات، فنسأل عن الله بالأسماء ونطلب منه تلك الأشياء ونحن غير عارفين بالجميع. ولم يقل أحد: إنّ مثل هذا الدعاء إذا لم يكن معرباً يكون مردوداً. مع أنّ فهم العامي لمعاني الألفاظ الملحونة أكثر من فهم النحوي لمعاني دعوات غريبة لم يقف على تفسيرها ولغاتها بل عرف مجرد إعرابها، بل الله سبحانه يجازيه على قدر قصده ويثيبه على نيّته، لقوله صلّى الله عليه وآله: «إنّما الأعمال بالنيّات» وقوله صلّى الله عليه وآله: «نيّة المؤمن

خير من عمله» وهذا نصّ في هذا الباب ، لأنّ الجزاء وقع على النيّة فانتفع به الداعي ، و لو وقع على العمل الظاهر لهلك . و لقوله صلى الله عليه وآله : « إنّ سين بلال عندالله شين».

وجاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ بلالاً كان يناظر اليوم فلاناً فجعل يلحن في كلامه و فلاناً يعرب و يضحك من بلال ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا عبدالله ، إنّما يراد إعراب الكلام و تقويمه لتقويم الأعمال و تهذيبها،ما ينفع فلاناً إعرابه و تقويمه لكلامه إذا كانت أفعاله ملحونة أقبح لحن؟ و ماذا يضرّ بلالاً لحنه في كلامه إذا كانت أفعاله مقومةً أحسن تقويم و مهذبةً أحسن تهذيب ؟

فقد ثبت بهذا الحديث أنّ اللحن قديدخل في العمل كما يدخل في اللفظ وأنّ الضرر فيه (لحن) عائد إلى وقوعه في العمل دون اللفظ .

وأمّا الخبر الثاني : فالمراد به في الأحكام ، ومثل هذا قول النبيّ صلى الله عليه وآله : «رحم الله من سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها ، فربّ حامل علم ليس بفقيه» وهو قول الصادق عليه السلام : « إذا رويتم عنّا فأعربوها » لأنّ الأحكام الشرعيّة تتغيّر بتغيّر الاعراب في الكلام . ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وآله حين سئل : إنّا نذبح الناقة والبقرة والشاة وفي بطنها الجنين أنلقيه أم نأكله؟ قال صلى الله عليه وآله : « كلوه إن شئتم ، فإنّ ذكاة الجنين ذكاة امّه » فبعض الناس يروي ذكاة الثاني بالرفع ،فيكون معناه : أنّ ذكاة امّه تبيحه وهي كافية عن تذكيته . وبعض رواها بالنصب فيكون معناه: أنّ ذكاة الجنين مثل ذكاة امّه ، فلا بدّ فيه من تذكية له بانفراده ولا تبيحه ذكاة امّه ، فافهم ذلك ، فإنّه من مغاص الفهم و رقيق العلم [1] انتهى .

أقول : النيّة معتبرة في الأعمال واللفظ معتبر أيضاً والمقامات مختلفة.

والآثار المترتّبة على الأعمال ، منها: ماهومن قبيل الأحكام الشرعيّة يترتب

(١) عدة الداعي لابن فهد الحلي : ص١٦ ـ ٢٢ .

قهراً ، سواء قصدها أم لا ، وعلم بها و بترتّبها أم لا ، بل منها ما يترتّب ولو زعم الخلاف أو قصدها مالم يرجع إلى الشرط المعتبر شرعاً ، فمثل الجواز واللزوم والخيارات امور شرعيّة ،وكذا النفقات . فالنكاح الدائم موجب اوجوب النفقة و الكسوة بخلاف المنقطع و إن زعمت الخلاف في الموضعين ، و كذا عقد البيع يوجب للخيارات و إن لم يعلما بها أو زعما العدم . نعم مع العلم بالسبب والبناء على العقد ربما تسقط . فخيار المجلس والغبن مثلاً يترتّبان شرعاً وكذا خيار الاشتراط وإن زعما العدم ، و خيار الشرط يتبع القصد ، و كذا إسقاط الخيارات ، والعلم بالغبن والاقدام عليه تسقط خياره .

ولابدّ في البيع مطلقاً أو البيع اللازم من الصيغ المخصوصة وقصد الانشائيّة والبيعيّة . ولو قصد بها الاجارة مثلاً أو أوقعها متعلّقة بالمنفعة أو قيّد الوقف بمدة أو لم يذكر الأجل في النكاح المنقطع ،ففي انقلاب الأول حبساً والثاني دائماً شرعاً أو مع قصد ذلك أو البطلان كلام .

ولابدّ في عبادات الأقوال ومعاملاتها المؤثّرة من قصد القول ومعناه وتأثيره إجمالاً وأثره ، فتصحّ من العجميّ والهنديّ وإن لم يعرفا حقيقة المعنى . ولابدّ في أفعالهما من قصدها وقصد تأثيرها وأثرها ، فتقع لغواً لو وقعت من غير قصد .

والعبادات القوليّة الخالية عن التأثير يعتبر فيها قصد اللفظ وقصد المعنى مجملاً في وجه والتعيين مع الاشتراك ، فمع قصد شيء في المشتركات وإيقاع غيره يبطل ، مثل تعيين البسملة أو آية مشتركة بقصد سورة وأتى بغيرها ، ومع الاطلاق الظاهر الاحتساب ، كما في غيره من المطلقات. ففي الأذكار والدعوات يكفي قصد اللفظ وقصد المعنى إجمالاً ، ولابدّ من التعيين مع الاشتراك بين دعاءين أو الاطلاق وسيجيء أنّ من أقسامهما حديث النفس وأنّه الأفضل ، ففي الملحون يكفي بالأولى لغير القادر في حقّ نفسه وغيره ، كالاستيجار مع علم المستأجر به ، وبدونه محلّ نظر. ومع القدرة لا يكفي فيهما وخصوصاً في الثاني . فالاجتزاء بالملحون لغير

القادر أو القادر مع زعم الصحّة حكم شرعي وتفضّل .

وأمّا الملحون بالمعنى الآخر ـ أي سؤال ما ليست فيه مصلحة ـ فيحتمل أنّه لقصد التعليق، ويحتمل التفضّل شرعاً .

وقد تبيّن ممّا ذكر معنى الدعاء ومصاديقه وبعض الآداب ومعنى الاستجابة و بعض ما يتعلّق بها . ولنذكر جملة من فضل الدعاء وآدابه على التفصيل .

قال في عدة الداعي في بيان الترغيب في الدعاء والحثّ عليه و حسن الظنّ بالله و طلب ما لديه : اعلم أنّه قد ورد في الأخبار عن الأئمّة الأطهار ما يؤكّد ذلك ويدلّ عليه و يرغّب فيه و يهدي عليه .

روى الصدوق عن محمّد بن يعقوب بطرقه إلى الأئمّة عليهم السلام أنّ «من بلغه شيء من الخير فعمل به كان له من الثواب ما بلغه و إن لم يكن الأمر كما نقل إليه» .

و روى أيضاً باسناده إلى صفوان عن أبي عبدالله عليه السلام أنّ «من بلغه شيء من الخير فعمل به كان له أجر ذلك وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقله».

و روى محمّد بن يعقوب عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام ابن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «من سمع شيئاً من الثواب على شيء فصنعه كان له أجره وإن لم يكن على ما بلغه».

و من طريق العامّة مارواه عبدالرحمن الحلواني مرفوعاً إلى جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «من بلغه عن الله فضيلة فأخذ بها وعمل بما فيها إيماناً بالله ورجاء ثوابه أعطاه الله تعالى ذلك وإن لم يكن كذلك» فصار هذا المعنى مجمعاً عليه عند الفريقين.

ثمّ قال : الباب الأول في الحثّ على الدعاء ، و يبعث عليه العقل و النقل :

أمّا العقل : فلأنّ دفع الضرر عن النفس مع القدرة عليه و التمكّن منه واجب وحصول الضرر ضروري الوقوع لكلّ إنسان في دار الدنيا، إذ كلّ إنسان لا ينفكّ عمّا يشوش نفسه ويشغل عقله ويضرّ به، إمّا من داخل كحصول عارض يغشي

مزاجه، أو من خارج كأذيّة ظالم أومكروه يناله من خليط أوجار. ولو خلى من الكلّ فالعقل يجوز وقوعه فيها واعتلاقه بها، كيف لا؟ وهو في دارالحوادث الّتي لاتستقرّ على حال وفجائعها لاينفكّ عنها آدميّ، إمّا بالفعل أو بالقوة، فضررها إمّا حاصل واقع او متوقّع الحصول، وكلاهما يجب إزالته مع القدرة عليه، والدعاءمحصّل لذلك وهو مقدور، فيجب المصير إليه. وقد نبّهأميرالمؤمنين وسيّد الوصيّين صلوات الله وسلامه عليه وآله علىهذاالمعنى، حيث قال: «ما من أحد ابتلي وإنعظمت بلواه بأحقّ بالدعاء من المعافى الّذي لايأمن منالبلاء» فقد ظهر من هذا الحديث احتياج كلّ أحد إلى الدعاء معافى ومبتلى، وفائدته رفع البلاء الحاصل و دفع السوء النازل أوجلب نفع مقصود أو تقرير خيرموجود ودوامه ومنعه من الزوال، لأنّهم عليهم السلام وصفوه بكونه سلاحاً، و السلاح ممّا يستجلب به النفع ويستدفع به الضرر، وسمّوه أيضاً تُرساً والترس جنّةيتوقّى بها من المكاره.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أدلّكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويدرّ أرزاقكم؟ قالوا: بلى يارسول‌الله، قال: تدعون ربّكم بالخير بالليل و النهار، فإنّ سلاح المؤمن الدعاء.

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: الدعاء ترس المؤمن و متى تكثر قرع الباب يفتح لك.

قال الصادق عليه السلام: الدعاء أنفذ من السنان الحديد.

وقال الكاظم عليه السلام: إنّ الدعاء يردّ ماقدر ومالم يقدر، قال: قلت: ماقدر فقد عرفته، فمالم يقدر؟ قال عليه السلام: حتّى لا يكون. وقال عليه السلام: عليكم بالدعاء فإنّ الدعاء والطلب إلى الله تعالى يردّ البلاء وقد قدر وقضي فلم يبق إلّا إمضاؤه، فإذا دعي الله وسئل صرفه صرفه.

وروى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : ألا أدلكم على شيء لم يستثن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قلت : بلى ، قال : الدعاء يرد القضاء وقد ابرم إبراماً ، وضم أصابعه .

وعن سيد العابدين عليه السلام : إن الدعاء والبلاء ليتوافقان إلى يوم القيامة ، إن الدعاء ليرد البلاء وقد ابرم إبراماً . وعنه صلوات الله عليه: الدعاء يدفع البلاء النازل وما لم ينزل .

فقد صح بهذه الأحاديث وما في معناها ـ وهو كثير لم نورده حذر الاطالة ـ ظن دفع الضرر بل علمه للقطع ، بصحة خبر الصادق عليه السلام [(١)] انتهى .

أقول : ومن النصوص ما رواه محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام : قال: هل تعرفون طول البلاء من قصره ؟ قلنا: لا،قال : إذا الهم أحد الدعاء عند البلاء فاعلموا أن البلاء قصير [(٢)].

وروى عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن أبي ولاد ، قال : قال أبو الحسن عليه السلام : ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله عز وجل الدعاء إلا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً ، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلا كان ذلك البلاء طويلاً ، فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرع إلى الله عز وجل [(٣)] .

فعلم أن الدعاء يدفع استمرار البلاء النازل أيضاً كما يدفع نزول ما قدر ولم ينزل .

ثم قال ـ رحمه الله ـ و أما النقل : فمن الكتاب و السنة ، أما الكتاب فآيات . منها : قوله تعالى: «قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم » وقوله تعالى :

---

(١) عدة الداعي لابن فهد الحلي : ص٩ ـ ١٣.

(٢) و(٣) الكافي : ج٢ ص٣٤٢ .

« وقال ربّكم ادعوني أستجب لكم إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين» فجعل الدعاء عبادة والمستكبر عنها بمنزلة الكافر. وقوله تعالى: «ادعوه خوفاً وطمعاً (١) انتهى .

أقول : قد عرفت أنّ الدعاء بلسان الاستعداد والحال والمقال ، وأنّ كلّ الأذكار بل الطاعات دعاء، وترك المعاصي دعاء ، والله سبحانه وتعالى خلق الخلق للايمان والتوحيد والاقرار به وبالنبوة والولاية للأئمّة الطاهرين عليهم السلام وفروع التوحيد، وهي الاقرار بجميع العقائد الحقّة والأعمال الصالحة، بل لابدّ في الايمان من الاعتقاد بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالأركان . فمن لم يؤمن و لم يوحّد الله ولم يوال أولياءه ولم يقرّ بأنبيائه وأوصيائهم صلوات الله عليهم أجمعين ولم يأت بالطاعات والخدمات ولم يترك المعاصي ولم يتّق الله تعالى لا يعبأ به ولا يكلّمه ولا ينظر إليه أبداً ، لا في الدنيا ولا في يوم القيامة ، ويكله إلى نفسه ولا يبالي بأيّ واد هلك فيستولي عليه الشياطين ويضلّونه و يغوونه و تهلكه البلايا والذنوب . ومن أتى بجميع ما ذكر يكون منظر نظر رحمته ويكفيه مهمّاته وعليه سدّ فاقته ، فيرفع عنه البلايا ويكفّر ذنوبه و يجازيه بأعماله وبالبلايا ويعبأ به و يذكره . و قد تقدم ما ذكر في القدسيّات و غيرها . و تقدم عن مصباح الشريعة أنّ الدعاء استجابة العبد بكلّه لله تعالى و بجميع أجزائه و أعضائه و جوارحه و جوانحه ، فتذكّروافهم موفّقاً .

وترك الدعاء بجميع ذلك استكبار و كفر وفي اللسان خاصّة أبداً عصيان وبمنزلة الاستكبار ، وعلى وجه الاستكبار والانكار كفر أيضاً ، وأحياناً نسيان و خذلان بحسبه ، والله العالم .

(١) عدة الداعي لابن فهد الحلي : ص١٣ .

ثمّ قال ـ رحمه الله ـ :وقوله تبارك وتعالى : «وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون» واعلم أنّ هذه الآية دلّت على امور :

الأول : تعريضه تعالى لعباده بالسؤال بقوله : «وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب» .

الثاني: غاية عنايته بمسارعة إجابته ولم يجعل الجواب موقوفاً على تبليغ الرسول ، بل قال . « فإنّي قريب» و لم يقل : «قل لهم إنّي قريب» .

الثالث : خروج هذا الجواب بالفاء المقتضي للتعقيب بلافصل .

الرابع : تشريفه تعالى لهم بردّ الجواب بنفسه لينبّه بذلك على كمال منزلة الدعاء وشرفه عنده تعالى ومكانه منه . قال الباقر عليه السلام : «لاتملّ من الدعاء فإنّه من الله بمكان» وقال عليه السلام لبريدبن معاوية بن وهب ، وقد سأله كثرةالقراءة أفضل أم كثرة الدعاء ؟ فقال عليه السلام : « كثرة الدعاء أفضل»ثمّ قرأ «قل مايعبأبكم ربّي لولادعاؤكم» ٠

الخامس : دلّت هذه الآية علىأنّه تعالى لامكان له ، إذلو كان لهمكان لميكن قريباً من كلّ من يناجيه .

السادس : أمره تعالىلهم بالدعاء في قوله : «فليستجيبوا لي» أيفليدعوني .

السابع : قوله : «وليؤمنوا بي» و قال الصادق عليه السلام : «أي و ليتحقّقوا أنّي قادر علىإعطائهم ما سألوه» فأمرهم باعتقادهم قدرته علىإجابتهم، وفيهفائدتان: إعلامهم بإثبات صفة القدرة له ، وبسط رجائهم في وصولهم إلى مقترحاتهموبلوغ مراداتهم ونيل سؤالاتهم، فإنّ الانسان إذ علم قدرة معامله ومعاوضه علىدفع عوضه كان ذلك داعياً له إلى معاملته ومرغّباً له في معاوضته . كما أنّ علمه بعجزه عنه على الضدّ من ذلك، ولهذا تراهم يجتنبون معاملة المفلس .

الثامن : تبشيره تعالىلهم بالرشاد الذيهوطريق الهداية المؤديإلىالمطلوب

فكأنّه بشّرهم بإجابة الدعاء. ومثله قول الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام: «من تمنّى شيئاً وهو لله رضاً لم يخرج من الدنيا حتى يعطاه» ويروى هذا الحديث أيضاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله. وقال عليه السلام: «إذا دعوت فظنّ حاجتك بالباب»[1] انتهى.

أقول: وفي قوله تعالى: «عبادي» تشريف عظيم لايخفى. وأيضاً توقيت إجابة الدعاء بالدعاء تدلّ على الاجابة بلامهلة، وأنّ تأخّر الاعطاء لبعض المصالح المتقدمة سابقاً.

وأمّا قوله ـ رحمه الله ـ «الثالث ... إلخ» فإن أراد ذلك فلايفيده، وإن أراد الجواب لسؤال عباده عنه لاجواب دعائهم فكذلك.

قوله صلى الله عليه وآله: «وعملكم فيه مقبول» أي صحيح مجزي يسقط لعقاب تاركه ويثاب عليه أيضاً.

قوله صلى الله عليه وآله: «ودعاؤكم فيه مستجاب» إعلم أنّ الّذي ظهر لي من الأخبار والأدعية ومعاملة الموالي والعبيد أنّ استجابة الدعاء يغاير إعطاء المسؤول فربما يجتمعان. وربما يحصل أحدهما مفارقاً عن الآخر. واستجابة الدعاء عبارة عن التلبية والتوجّه والاقبال على العبد، سواء كان المسؤول صلاحاً وأعطاه أو قال له: «ليس صلاحك فيه» وزواه عنه. ومقابله التخيّب وعدم الاعتناء وإن أعطى سؤله كراهة لسماع صوته، فالكريم الّذي وعد الاجابة للسائلين إذا سأله أحد وأجابه وأعطاه سؤله على الوجه المخصوص المسؤول فهذا أظهر أنواع الاستجابة وأكملها لجمعه بين الاجابة والاقبال وإعطاء المسؤول. ولو أعطاه شيئاً أحسن ممّا سأله أو في زمان متأخّر لكونه فيه أحوج أو يحبّ سماعه لصوته والتذاذه بندائه ونحو ذلك أو جعله ذخر منزل آخر ودار اخرى، فهذه أيضاً استجابة وإن لم يكن المعطى على الوجه المخصوص في السؤال. ولو أجابه وأقبل عليه وقال: «ما سألت فيه ضررك في دنياك أو اخراك» ولم يعطه فهذا أيضاً استجابة. ولو لم يعتن به ولم

---

(١) عدة الدعى لابن فهد الحلي: ص١٤.

يقبل بوجهه عليه لتقصيره في طاعة مولاه فسواء أعطى سؤله عاجلاً لبغض صوته أو لم يعطه أصلاً فهو تخيّب الاستجابة فيه .

وإن شئت قلت: هو استجابة والدعاء مطلقاً يستجاب، لكن هذا يزيده لعناً، والدعاء مستجاب مطلقاً، لكن كلّ أحد يعطي ما سأله بلسان استعداده، كما في إفاضته الوجود ، فهو خير محض والمهيّات يتفاوت فيه .

وفي القدسيّات : يا عيسى ، قل لظلمة بني إسرائيل : لا تدعوني و السحت تحت أحضانكم والأصنام في بيوتكم، فإنّي آليت أن اجيب من دعاني وأن أجعل إجابتي لعناً عليهم حتّى يتفرقوا [١] .

واعلم أيضاً أنّ المقصود الأصيل لأولياء الله المقربين من الدعاء هو المدعوّ ، والحوائج وسائل ، والقاصرون بالعكس يدعون الله تعالى لأجل حوائجهم الناقصة، فغرض الأولياء حاصل من الدعاء بكلّ حال . وعلى هذا يتلازم الاستجابة وإعطاء المسؤول ، و هذا وجه عرفانيّ لطيف .

وبوجه آخر ظاهري، المؤمن يسأل شيئاً إن كان صلاحاً له و إن لم يكن صلاحاً له لا يريده، فإذا أعطاه مولاه استجاب له وإذا منعه لعدم مصلحته استجاب له أيضاً ، فيتلازمان على هذا الوجه أيضاً . وفي الأدعية والأخبار ذكر سماع النداء والاقبال بالوجه وإعطاء المسؤول عاطفاً بعضها على بعض ، فتدلّ على ما قلناه من عدم التلازم . و ما ذكرناه من و جهي التلازم فهو أمر آخر ، و الكلام في إعطاء السؤل الظاهري ، الظاهري [٢] والوجهان أحدهما لمعنوي سري و الآخر ظاهري باطني. وإذا تحفّظت على ماذكر ينكشف لك حقائق جملة من المفصّلات، فتفطّن.

قوله ﷺ : « فاسألوا الله ربّكم . . إلخ » الفاء للفصيحة، يعني إذا علمتم أنّ دعاءكم فيه مستجاب فاسألوا الله ربّكم الذي هو مربّيكم ومدبّر امور كم

---

(١) الجواهر السنية : ص ١٠٠ .

(٢) العبارة هنا مغشوشة جداً ويحتمل فيها السقط أو التصحيف .

ولا ربّ لكم سواه لتدعوه .

قوله ﷺ : «بنيّات صادقة» خالصة مقترنة بالصدق والاخلاص والتوحيد «وقلوب طاهرة» نقيّة عن النيّات الفاسدة و العريّة عن الشرك و الرياء و الغير المقترنة بالحواجب ، فإنّها مكذبة لها و للدعاء، لأنّه يستجاب مع البرّ وموافقة العمل المقول في الدعاء والسؤال بلسان الحال و المقال ، فمن اشتغل بخدمة مولاه فهذا سؤال بأعضائه ولسان حاله من عطاياه. فإذا أضاف إليه السؤال باللسان تمّت الدعوة . والعمدة في السؤال هو الأول، وإلّا فهو كاذب بأفعاله وأعضائه سائل بلسانه ومنافق ، ولذا قال ﷺ لأبي ذرّ : يا أباذرّ يكفي من الدعاء مع البرّ ما يكفي الطعام من الملح ، يا أباذرّ ، مثل الّذي يدعو بغير عمل كمثل الّذي يرمي بغير وتر [١] .

قوله ﷺ : «أن يوفّقكم لصيامه وتلاوة كتابه» أي صيام هذا الشهر أو صيامه تعالى فيه ، وتلاوة القرآن فيه ــ كتاب الله ــ أو كتاب هذا الشهر المنزل فيه . ويحتمل في الباطن التجنّب عن الجبت و الطاغوت وطاعة طالوت هذه الآمة كتاب الله الناطق صلوات الله وسلامه عليه [٢] و خبر الدعاء لهذه المقاصد وغيرها هي المأثورة في هذه الأيّام عن أئمّة الأنام صلوات الله عليهم ، فإنّها تشتمل على ما ندب إليه جدهم ﷺ .

(١) مجموعة ورام : ج٢ ص٥٩ و ٦٠ .

(٢) يحتمل فى هذه الفقرة الشريفة أن يكون المراد فى تلاوة الكتاب تلاوة الوصى للنبى صلى الله عليه وآله بمعنى جعله خليفة له والاعتقاد بخلافته . وهذا يتم بناء على كون المراد من الصيام التجنب عن الجبت والطاغوت ، كما هو المحتمل فى الصوم فى موارد استعماله فى مقام الباطن ، فالصوم الظاهرى صورى و ما ذكر معنى له ، ولعل من ذلك تأكد استحباب صوم يوم الغدير ، فافهم . وكذا يحتمل أن يكون المراد من الصيام رسول الله صلى الله عليه وآله كما فسر الصبر فى قوله تعالى «واستعينوا بالصبر والصلاة» به صلى الله عليه وآله مرة وبالصوم اخرى ، وعلى هذا أيضاً يتم المطلوب فى الجملة ، فهذه الفقرة على ما ذكر على حد قوله تعالى «والشمس وضحيها * والقمر اذا تليها» بناء على ما فسر الشمس بالنبى صلى الله عليه وآله والقمر بالوصى عليه السلام، فافهم وتدبر .

قوله ﷺ «فإنّ الشقي . . إلخ» أي لاشقيّ سواه ، إذ من لم يغفر له في هذا الشهر المبارك العظيم البركة ولم يفعل ما به يغفر له مع حبس الشياطين و كسر الشهوات وتضعيف الأعمال ونداء المنادي باستجابة الدعوات طول الليالي و انفتاح أبواب الرحمة فيه طوله ، معلوم أنّه أبعده الله في غاية الشقاوة وعرى عن السعادات كلّها ، فهو أشقى الناس .

قال الشارح ـ رحمه الله ـ : قصر اسم «إنّ» على خبرها المبالغة في شقاوة المحروم من الغفران في هذا الشهر ، كأنّه لاشقيّ غيره ، على ما قالوه في نحو « الأمير زيد » و « الشجاع عمرو » من أنّ «اللام» إن حمل في المقام الخطابي على الاستغراق كان بمنزلة « كلّ أمير زيد» و« كلّ شجاع عمرو» وإن حمل على الجنس أفاد أنّ زيداً وجنس الأمير وعمرواً وجنس الشجاع متّحدان في الخارج .وكيف كان فالقصر الادعائي حاصل [1] انتهى .

وبالجملة : فالكلام خارج مخرج القصر الادعائي ، ووجهه بحسب المعنى ما مرّ وبحسب الافادة ماذكره ـ رحمه الله ـ .

قوله ﷺ «واذكروا بجوعكم ... إلخ» .

قد تقرر في محلّه أنّ أفعال الله سبحانه و تعالى معلّلة بالأغراض كسائر أفعال العقلاء الاختياريّة ، فتشريعه تعالى للصوم يستدعي حكمة ، ولصوم رمضان كذلك ، ولهذا العدد المخصوص كذلك ، وتخصيص هذه الامّة المرحومة من بين الامم لصوم شهر رمضان لخصوصيّة أيضاً فضّلتهم على سائر الامم فاستحقّوا لذلك .فحكمة الصوم أمران أشار إليهما في الخطبة الشريفة ، وهما : أن يمسّ الأغنياء مرارة الجوع فيرقّون على الضعفاء ، و أن يكون ذلك دليلاً للأغنياء و الفقراء جميعاً على شدائد الآخرة و جوعها و عطشها ، مع ما فيه من سائر الفوائد من التسوية بين العباد من حصول الرقّة فيهم ، والتوجّه والاقبال إليه تعالى ، والابعاد

(١) الاربعين للشيخ البهائي : ص٨٦ .

عن المعاصي بانكسار الشهوات ، وخلاء القلب وصفائه ، والتشبّه بالله الصمد .

قال الصدوق ـ رحمه الله ـ في الفقيه : سأل هشام بن الحكم أباعبدالله عليه السلام عن علّة الصيام ، فقال : إنّما فرض الله عزّوجلّ الصيام ليستوي به الغنيّ والفقير وذلك أنّ الغنيّ لم يكن ليجد مسّ الجوع فيرحم الفقير ، لأنّ الغنيّ كلّ ما أراد شيئاً قدر عليه فأراد الله عزّوجلّ أن يسوّي بين خلقه وأن يذيق الغنيّ مسّ الجوع والألم ليرقّ على الضعيف ويرحم الجائع .

وكتب أبو الحسن عليّ بن موسى بن جعفر الرضا عليهما السلام إلى محمّد بن سنان فيما كتب من جواب مسائله : علّة الصوم لعرفان مسّ الجوع والعطش ليكون ذليلاً مسكيناً مأجوراً محتسباً صابراً ، ويكون دليلاً له على شدائد الآخرة ، مع مع ما فيه من الانكسار له عن الشهوات ، واعظاً له في العاجل ، دليلاً على الآجل ليعلم شدة مبلغ ذلك من أهل الفقر والمسكنة في الدنيا والآخرة .

وكتب حمزة بن محمّد إلى أبي محمّد عليه السلام : لم فرض الله الصوم ؟ فورد في الجواب ليجد الغنيّ مسّ الجوع ، فيحنّ على الفقير [1] انتهى .

وبالجملة : فحكمة الأحكام الشرعيّة ـ مضافاً إلى مافيها من المثوبة بفعل متعلّقاتها أو تركها ـ كثيرة : من تكميل النفوس ، واللطف المقرب إلى الطاعات وإلى المعبود الحقّ الأحد ، وسائر الفوائد . والحقّ سبحانه وتعالى يكمّل عباده ويعالج أمراضهم ويربّيهم ، ثمّ يعطيهم ويناولهم الأشياء بعد تربيتهم وتكميلهم و حصول القوة و الاستعداد فيهم ، فأمر أنبياءه كلّهم بالرعي ثمّ بعثهم وهكذا . و كذا الحكماء المعلّمون المكمّلون للناس يراعون هذه الامور . كما أنّ معلّم مأمون منعه اسبوعاً عن الأكل والشرب ليرحم الرعيّة بعد ما يصير خليفة . هذا علّة تشريع الصيام .

وأمّا علّه تشريع صيام ثلاثين على هذه الامّة في خصوص النهاردون الليل :

(١) من لايحضره الفقيه : ج٢ ص٧٣ ح١٧٦٦ و١٧٦٧ و١٧٦٨ .

فقال في الفقيه : روي عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام أنّه قال :جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله أعلمهم عن مسائل، فكان فيما سأله أنّه قال له: لأيّ شيء فرض الله عزّ وجلّ الصوم على امّتك بالنهار ثلاثين وفرض الله على الامم أكثر من ذلك ؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : إنّ آدم عليه السلام لمّا أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً، ففرض الله على ذرّيّته ثلاثين يوماً الجوع والعطش ،والّذين يأكلونه بالليل تفضّل من الله عزّ وجلّ ، وكذلك كان على آدم عليه السلام ففرض الله على امّتي ، ثمّ تلا هذه الآية « كتب عليكم الصيام كما كتب على الّذين من قبلكم لعلّكم تتّقون أيّاماً معدودات» قال اليهودي: صدقت يا محمّد، فما جزاء من صامها؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : ما من مؤمن يصوم شهر رمضان احتساباً إلّا أوجب الله تبارك وتعالى له سبع خصال : أولها يذوب الحرام في جسده ، والثانية يقرب من رحمة الله عزّ وجلّ ، و الثالثة يكون قد كفّر خطيئة آدم أبيه، و الرابعة يهوّن الله عليه سكرات الموت، والخامسة أمان من الجوع والعطش يوم القيامة ، السادسة يعطيه الله براءة من النار، والسابعة يطعمه الله من طيّبات الجنّة، قال: صدقت يا محمّد [1] .

وأمّا حكمة اختصاص شهر رمضان : فهي ما فيه من الفضيلة .

روى في العيون ومحكيّ العلل ، عن الفضل بن شاذان، عن الرضا عليه السلام قال: إنّما جعل الصوم في شهر رمضان خاصّة دون سائر الشهور لأنّ شهر رمضان هو الشهر الّذي أنزل الله فيه القرآن ـ إلى أن قال : ـ وفيه نبّئ محمّد صلى الله عليه وآله ، وفيه ليلة القدر [2] الحديث .

تنبيه :

ما ذكر صلى الله عليه وآله في الخطبة الشريفة من جوع يوم القيامة وعطشه وما في هذا الحديث الأخير من أنّ فوائد صوم شهر رمضان احتساباً أنّه أمان من الجوع

(١) من لايحضره الفقيه : ج٢ ص٧٣ ح١٨٦٩ .
(٢) عيون أخبار الرضا : ج٢ ص١١٦ .

والعطش يوم القيامة وكذا غيرهما من الأخبار تدلّ أنّ أهل الموقف يبتلون ذلك اليوم بالجوع والعطش وأنّ منهم من يأمن من ذلك إمّا برفعهما أو بالأكل والشرب، والثاني صريح بعض الأخبار.

فعن مولانا الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «يوم تبدل الأرض غير الأرض» أنّها تبدل خبزاً نقيّاً يأكل منه أهل المحشر حتّى يفرغوا عن الحساب. فوجد أبو حنيفة مجالاً وقال: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ الناس في عرصات القيامة في شغل عن الأكل، فقال عليه السلام: إنّ شغل أهل النار بالعذاب أشدّ منهم وهم يقولون لأهل الجنّة: أفيضوا علينا ممّا أفاض الله عليكم، فيقولون لهم: إنّ طعام الجنّة محرم على أهل النار فيسقون حميماً وحديداً، كما قال تعالى: «وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا»[١] وفي بعض الأخبار أنّ أرض القيامة جمر يتوقّد فتقف عليه الخلائق وحرارة الشمس من فوق رؤوسهم[٢].

وفي حديث الصادق عليه السلام لابن أبي ليلى: ما تقول إذا جيء بأرض من فضّة والسماوات من فضّة ثمّ أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدك فأوقفك بين يدي ربّك وقال: إنّ هذا قضى بغير ما قضيت؟ فاصفرّ وجه ابن أبي ليلي[٣].

وفي أخبار اخرى أنّها تبدل بأرض اخرى لم يكتسب عليها ذنوب[٤].

وجمع بين هذه الأخبار بوجوه:

الأول: تنزيل اختلافها على اختلاف أهل الموقف فالمؤمنون أرض محشرهم خبزة بيضاء، والكفّار الجمر والنار، والقضاة والفسّاق يحشرون على أرض من فضّة

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج٢ ص٥٥٥، وتفسير البرهان: ج٢ص٣٢٢.

(٢) الترغيب والترهيب: ج٤ ص٣٩٠ فيها أحاديث حول المعنى المقصود.

(٣) بحار الانوار: ج١٠٤ص٢٦٣ح٢ مع اختلاف في الالفاظ.

(٤) بحار الانوار: ج٧ ص١١٠ ح٣٩.

محمية بالنار ، وغير هؤلاء يحشرون على أرض كهذه الأرض ، إلّا أنّها غيرها ، والكلّ يحتاجون إلى الخبز في عرصات القيامة ، لكن بعضهم أهله وبعضهم أهل السؤال منهم .

الثاني : تنزيله على أراضي القيامة و قطعاتها ، فمنها خبز ، و منها جمر ، و منها فضّة ، و كلّ الخلائق ترد على هذه القطعات ، لكنّها على المؤمنين تكون برداً وسلاماً .

الثالث : حمل اختلافها على اختلاف أحوالهم في الموقف ، فتكون أرضهم قبل سؤالهم وظهور فضائحهم وقبائحهم أرضاً بيضاء من الخبز وبعد ظهور أعمالهم وقبائحهم يدفعونهم إلى تلك الأرض الاخرى ، والله العالم .

واعلم أنّه كما أنّ للصوم تأثيراً ولتشريعه حكمة تقدمت ، وكذا لصيام ثلاثين ولخصوص صوم شهر رمضان ، فكذا لمطلق الجوع وإن لم يكن بقصد الصوم واحتساباً ، بل وإن كان بقصد الرياء .

ففي القدسيّات الأحمديّة : يا أحمد لو ذقت حلاوة الجوع والصمت والخلوة وما ورثوا منها ، فقال : يارب ما ميراث الجوع ؟ قال : الحكمة وحفظ القلب والتقرب إليّ والحزن الدائم وخفّة المؤونة بين الناس وقول الحقّ ولايبالي عاش موسراً أم معسراً ، يا أحمد هل تدري بأيّ وقت يتقرب العبد إليّ؟ قال :لايارب قال : إذا كان جائعاً أو ساجداً (١) .

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام : لاراحة لمؤمن على الحقيقة إلّا عند لقاء الله ، وما سوى ذلك ففي أربعة أشياء: صمت تعرف به حال قلبك ونفسك فيما يكون بينك وبين بارئك، وصلاة تنجو بها ، وحلم تنجو به من آفات الزمان ظاهراً وباطناً.وجوع تميت به الشهوات و الوساوس، وسهر تنور به قلبك وتصفي به طبعك

---

(١) الجواهر السنية : ص١٩٢ .

وتزكّي به روحك [١] .

وفيه أيضاً في باب الأكل قال الصادق عليه السلام : قلّة الأكل محمود في كلّ حال وعند كلّ قوم ، لأنّ فيه المصلحة للباطن و الظاهر . و المحمود من المأكولات أربعة: ضرورة ، وعدة، وفتوح، وقوت. فالضرورة للأصفياء ، والعدة لقوام الأتقياء، والفتوح للمتوكّلين، والقوت للمؤمنين. وليس شيء أضرّ لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مورثة لشيئين : قساوة القلب وهيجان الشهوة . والجوع إدام للمؤمن و غذاء للروح وطعام للقلب وصحّة للبدن. قال النبيّ صلّى الله عليه وآله : ما ملأ ابن آدم وعاءً أشرّ من بطنه . و قال داود عليه السلام : ترك اللقمة مع غير الضرورة إليها أحبّ إليّ من قيام عشرين ليلة. قال صلّى الله عليه وآله :المؤمن يأكل بمعاء واحدة والمنافق يأكل بسبعة أمعاء. وقال النبيّ صلّى الله عليه وآله : ويل للناس من القبقبين ، فقيل : وما هما يا رسول الله؟ قال: الحلق والفرج . وقال عيسى بن مريم ما أمرض القلب بأشدّ من القسوة وما اعتلّت نفس بأصعب من نقص الجوع ، وهما زمامان للطرد والخذلان [٢] انتهى .

قوله صلّى الله عليه وآله «وتصدّقوا . . . إلخ» هذه إشارة إلى العلّة الثانية لتشريع الصوم، و ما تقدم من قوله صلّى الله عليه وآله : «واذكروا . . . إلخ » إشارة إلى الاولى ، فبالحريّ لعباد الله الاهتمام في تحصيل غرض الله سبحانه وتعالى، وهو التصدق . وهذا يكفي في رجحانه ، مضافا إلى التصريح به و برجحانه عموماً و في أيّام الصوم من رجب وشعبان وشهر رمضان خصوصاً ، كما في الخطبة الشريفة. بل ورد التصدق للعاجز عن الصوم لينال ثوابه .

وعن المجازات النبويّة للسيّد الرضي عنه صلّى الله عليه وآله قال: الصوم جنّة والصدقة تطفيء الخطيئة .

وعن الكافي بسنده عن عليّ بن سويد عن أبي الحسن موسى عليه السلام في حديث

---

(١) مصباح الشريعة : ص١١٥ .

(٢) مصباح الشريعة : ص٧٨ .

قال : شكوت إليه ضيق يدي ، فقال : صم وتصدّق [١] .

وبالجملة: ففضل الصدقة وفوائدها كثير، وقد تبيّن بماذكر جملة من فوائد الصوم وفضائله وفضائل شهر رمضان وصومه .

ومنها: مارواه معمّر بن يحيى، قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول ، لا يسأل الله عبداً عن صلاة بعد الفريضة و لا عن صدقة بعد الزكاة و لا عن صوم بعد شهر رمضان [٢] . ولعلّه عليه السلام يعني أنّها هي المفروضات ولو بالاضافة ، فهي أهمّها . أو يريد ظاهرها، فلو أتمّها العبد يعفو عمّا نقص في سائر المفروضات منها، كصلاة العيدين مثلاً، أو لايسأل عنها في القبر لا مطلقاً، نحوماورد فيالصلاة أو فيالولاية، ولعلّه يرجع إلى المتقدم .

ومنها: ما روي عنه عليه السلام قال : قال أبو جعفر عليه السلام: من صلّى الخمس وصام شهر رمضان وحجّ البيت و نسك واهتدى إلينا قبل الله تعالى منه كما يقبل من الملائكة [٣] .

ومنها: ما عن أبيجعفر عليه السلام أنّه قال: لايسأل الله العبد عن صلاة بعدالخمس ولا عن صوم بعد رمضان [٤] .

و منها : ما عن أبي أيّوب الخزاز عن أبي عبدالله عليه السلام (في حديث) قال : إنّ شهر رمضان فريضة من فرائض الله عزّوجلّ [٥] . يعني فضله ، فلابدّ من الاذعان به أو صومه .

و منها : ما عن عبدالرحمن بن عوف ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : شهر رمضان شهر فرضالله عليكم صيامه ، فمن صامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه

(١) الكافي : ج٤ ص١٨ ح٢ .
(٢) التهذيب: ج٤ ص١٥٣ باب ٤٠ ح٧ .
(٣)و(٤) التهذيب : ج٤ ص١٥٤ باب ٤٠ ح١٠ و١١ .
(٥) الوسائل : ج٧ ص٢٠٩ ح١٠ .

كيوم ولدته امّه [١]. يعني يغفر جميع ذنوبه و لم يبق آثارها أيضاً أصلاً ، فإنّ الصبيّ وإن لم يكن عليه معصية إلى الحلم إلّا أنّه ربما يحصل فيه استعداد للبعد عن الرحمن بما قارف من بعض الأعمال يؤثّر فيه بعد التكليف و خصوصاً مع التمييز التامّ و العقل الكامل المساوي لبعض من كلّف ، بل يحسن عقابه عقلاً وإن اقتضت المصلحة الاناطة بميزان التكليف ، فهي كناية عن التمحيص التامّ و التطهير الكامل .

و منها : ما عن ثواب الأعمال مسنداً عن بشّار بن بشّار ، قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام :لأيّ شيء يصام يوم الأربعاء؟ قال: لأنّ النار خلقت يوم الأربعاء[٢].

وعن الخصال مسنداً نحوه، يعني عليه السلام أنّه جنّة من النار و يوجب الخلاص منها.

ومنها : ما عن عليّ عليه السلام (في حديث الأربع مائة) قال: وصوم ثلاثة أيّام من كلّ شهر أربعاء بين خميسين وصوم شعبان يذهب بوسوسة الصدر وبلا بل القلب[٣] ـ إلى أن قال: ـ صوموا ثلاثة أيّام من كلّ شهر وهي تعدل صوم الدهر ، ونحن نصوم خميسين بينهما أربعاء ، لأنّ الله خلق جهنّم في يوم الأربعاء [٤] .

ولعلّ المراد أنّ الصوم يوجب البراءة من النار ، والأنسب والأشدّ تأثيراً في ذلك صوم يوم خلقها، والأوفق بذلك تقديم صوم خميس و تعقيبه بمثله لينسدّ طريق النار عليه من كلّ جانب ، أو أنّه كناية عن غفران ما تقدم من الذنوب و ما تأخّر ، أو ما تقدم من الذنوب فيؤثّر صوم الخميس المتأخّر في منع نار يوم الأربعاء المتقدم عليه ، كما يؤثّر الخميس المتقدم في منع نار خلقت في الأربعاء المتأخّر ، فافهم .

---

(١) التهذيب : ج٤ ص١٥٢ باب ٤٠ ح٤ .

(٢) ثواب الاعمال : ص١٠٦ ح٧ .

(٣) الخصال للصدوق : ص٦١٢ .

(٤) الخصال للصدوق : ص٦٢٣ .

و منها : ما روي عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « و استعينوا بالصبر » قال : الصبر الصيام ، و قال : إذا نزلت بالرجل النازلة والشديدة فليصم ، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : « واستعينوا بالصبر » يعني الصيام [1] .

و لا يخفى أنّ عموم الآية الشريفة قاضٍ بأنّ الاستعانة متحقّقة في مطلق العبادة وجميع الصبر ـ من الصبر عند الطاعات على ثقلها وعلى مرارة المعاصي وتركها وعلى البلايا وغيرها ـ لكن تفسيره بالصوم لأنّه أكمل أفراد الصبر وهو فيه أشدّ منه في سائر العبادات ، ولذا ورد في الصدقة كتاباً وسنّة أنّها تجلب الرزق [2] ، وفي الصلاة وغيرها أنّها توجب الاطعام [3] . ويدلّ عليه عطف الصلاة على الصبر في الآية المذكورة ، و لولا التفسير والتعليل لاحتملنا في الحديث الحمل على المعنى اللغوي للصوم ، أي الصبر عند النازلة و ترك الشكوى ليفرّج الله عنه ، بل ذلك محتمل مع التعليل والتفسير أيضاً ، لكنّه بعيد ، و ممّا يبعده عطف الصلاة و إن لم ينافيه .

ومنها: ما ورد في عدة روايات أنّ للصائم فرحتين: فرحة عند إفطاره فيطعم ويشرب ، وفرحة يوم يلقى ربّه فأدخله الجنّة [4] .

و منها : ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله من طرقنا: إنّ على كلّ شيء زكاة وزكاة الأجساد الصيام [5] . و لعلّه صلى الله عليه وآله عنى أن يطهّرها من الأمراض والذنوب، كما في روايات .

ومنها : ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله بطرقنا ، قال صلى الله عليه وآله : إنّ للجنّة باباً يدعى

(١) الوسائل : ج٧ ص٢٩٨ ح١ .

(٢) الوسائل : ج٦ ص٢٥٨ ح١٣و١٦ .

(٣) الوسائل : ج٥ ص٢٥٣ ح١ .

(٤) بحار الانوار : ج٩٦ ص٢٤٦ ح٧و١١و١٤و١٦ .

(٥) بحار الانوار : ج٩٦ ص٢٥٤ ح٢٧ .

الريّان لا يدخل منه إلّا الصائمون. و أنّه جنّة من النار ، أي حجاب. و أنّ الصائم منكم ليرتع في رياض الجنّة و تدعوا له الملائكة حتّى يفطر ، يعني أنّه يبنى له الرياض في الجنّة إلى إفطاره ، أو يفيض الله سبحانه و تعالى عليه النور والعلم والحكمة . وأنّه يحبّ خلوف فمه ، وأطيب عنده تعالى من ريح المسك. إلى غير ذلك ، وهي كثيرة لا تحصى [١] . ففوائده في الدنيا والآخرة لا تستقصى .

لكن هنا أعظم شيء وأكرمه لابدّ أن يذكر ويشرح ولايطوى على عزّه، وهو أنّ الصائم في عبادة نائماً كان أو مستيقظاً ما لم يغتب أولم يباشر عصياناً، وأنّ المضاعفة فيه أكثر منها في سائر الأعمال وأن ثوابه مخزون عندالله سبحانه وتعالى لا يعلم مقداره إلّا هو، وأنّ كلّ الأعمال لبني آدم نفسه إلّا الصوم، فإنّه له تعالى ويجزي به .

فروى ابن عبّاس عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قال الله عزّوجلّ : كلّ عمل ابن آدم هو له إلّا الصيام فهو لي وأنا أجزي به [٢] الحديث .

وعن معاني الأخبار مسنداً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من صام يوماً تطوعاً فلو اعطي ملؤ الأرض ذهباً ماوفي أجره دون يوم الحساب [٣] .

و عنه أيضاً بسنده المتقدم ، قال رسول صلى الله عليه وآله : كلّ أعمال ابن آدم بعشرة أضعافها إلى سبعمائة ضعف إلّا الصبر، فإنّه لي وأنا أجزي به، فثواب الصبر مخزون في علم الله والصبر الصوم [٤] .

وللعلماء الأعلام ـ قدس الله تعالى أسرارهم ـ تحقيقات في بيانها وشرحها. وتحقيق المقام : أنّ فوائد الصيام متعددة كثيرة دنيويّة واخرويّة. قدمناها .

---

(١) راجع البحار : ج٩٦ باب فضل الصيام .

(٢) بحار الانوار : ج٩٦ ص٢٤٩ ح١٤ .

(٣) معانى الاخبار للصدوق : ص٤٠٩ ح٩١ .

(٤) معانى الاخبار للصدوق : ص٤٠٩ ذيل ح٩١ .

منها: ما يشترك بينه وبين سائر العبادات.

و منها: مايمتاز بها عن باقي العبادات: من قطعه المشهوات، المضعّف للقوة الحيوانيّة عن طلب الملاذّ المحظورات، و للقوة الشيطانيّة عن طلب الكبر و الرياسات، المقرونة بخلاء المعدة الّذي هو من أعظم الرياضات، الموصل إلى العلوم والحكم، الباعث على إعطاء الصدقات، والتحنّن ورقّة القلب على الفقراء والمساكين، و المذكّر لجوع الآخرة وعطشها، المعرف لقدر النعم، الباعث على الشكر، المجرد للعبادة بترك ملاذّ الحيوانات و التفرغ منها، المصحّح للمزاج المغني عن الأدوية و العلاج، المانع عن الامتلاء المهيّج للأبخرة الباعثة على النوم والكسل عن العبادات الرافع لتكليف الخدام من الخدمات، الباعث على المشقّة الكليّة التي بها يتضاعف ثواب الطاعة، والموجب لتصفية النفس من جهتين (كونه عبادة موجبة لها كسائر العبادات، وما فيه من الجوع والعطش وخلاء المعدة وقطع البلغم والرطوبة كمطلق الجوع) والسواك القالع للرطوبة والبلغم كسائر الأدوية الدافعة لهما (وفي السواك جهتان أيضاً، ففضله لايخفى) والبعيد عن الرياء لخفائه عن الحسّ.

وباعتبار الثلاثة الأخيرة وأنّه من الامور المتعلّقة بالنفس المقصور سلطانها على ربّ البريّة ما في تلك الأحاديث القدسيّة: من إضافته إليه تعالى، ومزيد المضاعفة فيه، و كون جزائه بيده و مخزوناً عنده. كذا في كشف الغطاء.

و قال أيضاً: و لكونه مانعاً من الشهوة الرديّة قال فيه سيّد البريّة: من لم يستطع النكاح فليصم، الصوم خصاء امّتي، يا معاشر الشباب عليكم بالصيام. و لأنّه يكمل للنفس فلا تكون مغلوبة للهوى قال فيه سيّد الأنام: إنّه يبعد الشيطان كما بين المشرق والمغرب ويسود وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحبّ في الله والمداومة على العمل الصالح يقطع دابره، والاستغفار يقطع وتينه، ولكلّ شيء زكاة وزكاة الايمان الصيام، لأنّ ما عداه من زكاة تنمي المال. وممّا يدلّ على

أنّه من أعظم العبادات خلطه مع الولاية في بعض الروايات [1] إلى آخر ما قال ـ قدّس سره ـ .

وقال الشهيد الثاني في مسكّن الفؤاد : واعلم أنّ الله سبحانه قد وصف الصابرين بأوصاف وذكر الصابرين في القرآن في نيّف وسبعين موضعاً، وأضاف أكثر الخيرات والدرجات إلى الصبر وجعلها ثمرة له ، فقال عزّ من قائل : «وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا»[2] ـ إلى أن قال : ـ وقال : «إنّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب» فما من قربة إلّا وأجرها بتقدير وحساب إلّا الصبر . ولأجل كون الصوم من الصبر فإنّه نصف الصبر ـ كما ورد في الأثر ـ قال تعالى: «الصوم لي وأنا أجزي به» فأضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات [3] إلى آخر ما قال ، وهو جيّد .

وتفسير الصبر في آية الاستعانة بالصوم ، لعلّه لكون الصبر فيه أكثر من سائر العبادات ، فليستعن بالصبر وبسائر العبادات ، ودلّت عليه الآثار .

وقال الشهيد ـ رحمه الله ـ في القواعد : كلّ الأعمال الصالحة لله ، فلم جاء في الخبر «كلّ عمل ابن آدم له إلّا الصوم ، فإنّه لي وأنا أجزي به» مع قوله ﷺ أفضل أعمالكم الصلاة » وكتب عمر إلى عمّاله أنّ أهم اموركم عندي الصلاة ؟ واجيب بوجوه :

منها : أنّه اختصّ بترك الشهوات والملاذ في الفرج والبطن ، وذلك أمر عظيم يوجب التشريف . واجيب بالمعارضة بالجهاد فإنّ فيه ترك الحياة فضلاً عن الشهوات ، وبالحجّ إذ فيه الاحرام ومتروكاته كثيرة .

ومنها : أنّه أمر خفيّ لا يمكن الاطّلاع عليه فلذلك شرّف ، بخلاف الصلاة والجهاد وغيرهما . واجيب بأنّ الايمان والاخلاص وأفعال القلب الحسنة خفيّة مع تناول الحديث إيّاها .

(١) كشف الغطاء : ص ٣٠٥ مع اختلاف في العبارة .

(٢) السجدة : ٢٤ .

(٣) مسكن الفؤاد: ص ٤٠ .

ومنها : أنّ خلاء الجوف تشبيه بصفة الصمديّة . واجيب بأنّ طلب العلم فيه تشبيه بأجلّ صفات الربوبيّة وهي العلم الذاتي ، وكذلك الاحسان إلى المؤمنين وتعظيم الأولياء والصالحين ، كلّ ذلك فيه التخلّق تشبيهاً بصفات الله تعالى.

ومنها : أنّ جميع العبادات وقع التقرب بها الى غير الله تعالى إلّا الصوم ، فانّه لم يتقرب به إلّا إليه وحده . واجيب بأنّ الصوم يفعله أصحاب استخدام الكواكب .

ومنها:أنّ الصوم يوجب صفاء العقل والفكر بواسطة ضعف القوى الشهويّة بسبب الجوع ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : «لايدخل الحكمة جوفاً ملىء طعاماً» وصفاء العقل والفكر يوجبان حصول المعارف الربّانيّة الّتي هي أشرف أحوال النفس الانسانية . واجيب بأنّ سائر العبادات إذا واظب عليها أورثت ذلك وخصوصاً الصلاة ، قال الله تعالى : «والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا»[1] وقال تعالى : «اتّقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به»[2] . وقال بعضهم لم أر فيه فرقاً تقرّ به العين ويسكن إليه القلب . ولقائل أن يقول : هب إنّ كلّ واحد من هذه الأجوبة مدخول بما ذكر ، فلم لايكون مجموعها هو الفارق ؟ فإنّه لاتجمتع هذه الامور المذكورة لغير الصوم وهذا واضح[3] انتهى كلامه أعلى الله تعالى في الخلد مقامه .

أقول : قد ذكرنا بعض الكلام في ذلك في تعليقاتنا على الارشاد في كتاب الصوم وفي كتابنا روح الايمان في الفضائل ، والله المتفضّل والمشكور .

ثمّ مرجع ماذكره أخيراً واختاره بقوله : «ولقائل ... إلخ» إلى ما حكيناه عن كشف الغطاء ، وهو المختار والحقّ الصافي . والملخّص : أنّ غرض خالق

(١) العنكبوت : ٦٩ .

(٢) الحديد : ٢٨ .

(٣) القواعد والفوائد : ج٢ ص٣٧ .

الأرض والسماء من إيجاد هذا العالم بالأصالة تكميل النسخة الجامعة الانسانيّة وسائر الخلق تبع لهم، ومرجع ذلك إلى إهباط النفس القادسة الانسانيّة من عالم الروحانيّين وتركّبه مع البدن والحواسّ و متعلّقاته وحسنها[1] في عالم الطبايع والواسطة بينهما، لتتّجر وتربح وتجاهد و تصفوا وتطهر وتكمل، فترجع إلى ربّها راضية مرضيّة نقيّة صافية طاهرة مطهّرة.

وذلك إنّما يتحقّق بصحّة البدن والروح معاً في هذه النشأة ودفع أمراضهما[2] والمنجيات والمهلكات ومعرفة الداء و الدواء، باستعمال علمي الطبّ و الأخلاق الّذي هو طبّ روحاني، وإعمال المعالجات المذكورة فيهما والمواظبة على الأعمال الصالحة الّتي هي الدواء النافع و الترياق الكامل لتصحيح النفس ودفع أمراضها في لأغلب. و قد يتعلّق ببعض تلك الأعمال ما يرتبط بتصحيح البدن نادراً، مثل أكل الميتة افساد البدن وترك التشنّج[3] بالماء المشمّس، والأكل في الجنابة و نحوها.

و أمّا الصوم فهو مصحّح للبدن و الروح معاً بوجه متأكّد بالغ، مع ما فيه من الخفاء على الحسّ و البعد عن الرياء و الدخل التامّ في التصفية و الانكسار والبعد عن الشيطان واستيلاء الميول والأهواء وسائر جنده وغير ذلك، فبذلك كلّه ونحوه يظهر ما فيه من فوائد الدنيا والآخرة والمزايا الكاملة وفضله.

بقي الكلام في معنى «الفقير» و «المسكين» وما يراد منهما عند الاجتماع ـ كما هنا وفي آية الصدقات ـ وعند الانفراد.

ومحصّل القول في ذلك: أنّ العلماء اختلفوا في ترادفهما وتغايرهما. وعلى الثاني في وجه المغايرة وكون أيّهما أسوأ حالاً.

قال شيخنا الشارح البهائي: ربما استدلّ بعطف أحدهما على الآخر على تخالفهما، ولا خلاف في اشتراكهما في وصف عدمي، هو عدم وفاء الكسب والمال

(١) كذا في النسخة.

(٢) و(٣) الظاهر سقوط بعض الكلمات من هنا.

بمؤونته ومؤونة العيال ، إنّما الخلاف في أنّ أيّهما هو الّذي لامال له ولا كسب بالكلّيّة ، وهذا معنى الخلاف في أنّ أيّهما أسوأ حالاً .

فقال الفراء وتغلب وابن السكيت : هو المسكين ، وبه قال أبو حنيفة، ووافقهم من علماء الشيعة الاماميّة ابن الجنيد وسلّار والشيخ الطوسي في النهاية ، لقوله تعالى : «أو مسكيناً ذا متربة »[1] وهو المطروح على التراب لشدة الاحتياج. ولأنّ الشاعر قد أثبت للفقير مالاً في قوله :

أمّا الفقير الّذي كانت حلوبته   وفق العيال فلم يترك له سبد

وقال الأصمعي : الفقير أسوأ حالاً . وبه قال الشافعي ووافقه من الاماميّة المحقّق محمّد بن إدريس الحلّي والشيخ أبو جعفر الطوسي في المبسوط والخلاف ، لأنّ الله تعالى بدأ به في آية الزكاة وهو يدلّ على الاهتمام بشأنه في الحاجة ، ولاستعاذة النبيّ صلّى الله عليه وآله من الفقير ، مع قوله صلّى الله عليه وآله : «اللّهمّ أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني مع المساكين» ولأنّ الفقر مأخوذ من كسر الفقار من شدة الحاجة وإثبات الشاعر المال للفقر لا يوجب كونه أحسن حالاً من المسكين ، فقد أثبت تعالى للمساكين مالاً في آية السفينة .

والحقّ أنّ المسكين أسوأ حالاً من الفقير لا لما ذكر ، بل لما رواه شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسي ـ رحمه الله ـ في كتاب التهذيب عن محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن إبراهيم ، عن أحمد بن محمّد ، عن أحمد بن خالد ، عن عبدالله بن يحيى ، عن عبدالله بن مسكان ، عن أبي بصير ،قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام : قول الله عزّ وجلّ : «إنّما الصدقات للفقراء والمساكين»؟[2] قال : الفقير الّذي لا يسأل الناس ، والمسكين أجهد منه ، والبائس أجهدهم ، الحديث . وهذا الحديث صحيح .

---

(١) البلد : ١٦ .
(٢) التوبة : ٦٠ .

وقوله عليه السلام : «الفقير الّذي لايسأل الناس» الظاهر أنّه كناية عن أنّ له مالاً أو كسباً في الجملة وهو يقنع به وكان قاصراً عن مؤونته ولايسأل الناس .

وقوله عليه السلام: «والمسكين أجهد منه» أي أسوأ حالاً .والجهد ـ بالفتح ـ المشقّة بمعنى أنّه لامال ولا كسب له أصلاً ، وعلى هذا فيشكل جعل «البائس» أجهدمنه اللّهمّ إلّا أن يعتبر فيه الضعف البدني كالزمانة ونحوها، كما اعتبره قتادة في الفقير .

وتظهر فائدة الخلاف في الترادف والتخالف فيما لو اريد بسط الزكاة على الأصناف الثمانية ، أونذر أو أوصى للفريقين معاً . قيل : وتظهر أيضاً في الكفّارة فإنّه مخصوصة بالمساكين . وردّ بأنّه لاخلاف في أنّه إذا ذكرأحدهما وحده دخل الآخر ، إنّما الخلاف فيما إذا ذكرا معاً ،وقد نصّ الشيخ وغيره على ذلك وفيه ما فيه . انتهى كلامه ، أعلى الله تعالى في الخلد مقامه .

وكتب في الحاشية على قوله : «وهذا معنى الخلاف ... إلخ» وممّن صرح بأنّ المعنى هو هذا فخر المحقّقين في الايضاح ، ويدلّ عليه أيضاً كلام الصحاح ، ولوكان الخلاف إنّما هو في أنّ أيّهما أقلّ مالاً من الآخر ؟ لما صحّ الاستدلال بالبيت ولا بآية السفينة ، انتهى .

وعلى قوله : «بمعنى أنّه لامال له ولا كسب له» إنّما حملناعلى هذا المعنى لما مرّ من أنّ الخلاف في أنّ أيّهما أسوأ حالاً ، معناه : أنّ أيّهما هو الّذي لا مال له ولا كسب ، انتهى .

وعلى قوله : «وتظهر فائدة الخلاف في الترادف والتخالف .. إلخ» القائل بالترادف هو ابن الأعرابي ، فإنّه قال: كلّ من الفقير والمسكين هو الّذي لاشيء له ، نصّ عليه في الصحاح ، انتهى .

وعلى قوله : « وردّ بأنّه لاخلاف ... إلخ » هذا الردّ مذكور في كلام أصحابنا المتأخّرين ، كالشيخ أحمد بن فهدومن تأخّر عنه ، انتهى .

وعلى قوله : «وفيه ما فيه» لأنّ دخول أحدهما في الآخر لانسلّم أنّه

حقيقة ، وقد منع شيخنا الشهيد ـ رحمه‌الله ـ في البيان كونه حقيقة ، سلّمناه لكنه عرف جديد لم يثبت كونه في زمن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ليحمل عليه آية الكفّارة ، بل هو متأخّر عن زمانه البتّة ، وإلّا لما وقع الاختلاف في جواز دفع الكفّارة إلى الفقراء ، لكنّ الخلاف في ذلك مشهور وقد توقّف فيه العلّامة في القواعد. وأيضاً لو لم يكن هذا الاتفّاق طارئاً لما صحّ الاستدلال ببيت الحلوبة وآية المتربة و السفينة، لأنّ لفظ «الفقير» في البيت مذكور وحده، وكذا لفظ « المسكين » في الآية وبالجملة : فهذا من عجيب ما وقع من متأخّري علمائنا ـ رحمهم الله ـ [1] انتهى.

أقول : اختلاف العلماء في ذلك لاختلاف أهل اللغة في الترادف والتغاير وفي وجه المغايرة على الثاني ، فالقول بالترادف لجمع منهم المحقّق ـ رحمه‌الله ـ في الشرائع ومن أهل اللغة لابن الأعرابي ، كمامرّ . والمشهور هو المغايرة ، بل في الرياض عن المنتهى الاجماع عليه . وفيه نظر .

فقيل : إنّ الفقير هو المتعفّف الّذي لايسأل والمسكين هو الّذي يسأل ، وهو المنقول عن ابن عبّاس [2] والمرويّ في أخبار أهل البيت عليهم‌السلام ، كماعرفت وتعرف.

وقيل بالعكس ، فالفقير من يسأل والمسكين من يتعفّف عن السؤال . وعن الطبرسي ـ رحمه‌الله ـ قدجاء في الحديث ما يدلّ على ذلك ، فقد روي عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله أنّه قال : ليس المسكين الّذي ترده الأكلة والأكلتان والتمرة والتمرتان ، لكنّ المسكين الّذي لايجد غنيّاً فيغنيه ولايسأل الناس شيئاً ولايفطن به فيتصدق عليه [3] .

وفيه : أنّ الظاهر من الخبرين كون السؤال وعدم السؤال والتعفّف لمكان الجهد وعدمه ، فهما كنايتان عنهما ، كما تقدمت الارشارة إلى ذلك من شيخنا البهائي ـ رحمه الله ـ وظاهر هذين القولين أخذ التعفّف وعدم السؤال وعدمه

(١) الاربعين للشيخ البهائي : ص٨٦ .

(٢) و(٣) مجمع البيان : ج٥ص٤١ .

والسؤال ، وهما غيران ، إذ قد يتعفّف الأجهد عن السؤال لعلوّ النفس . فظاهر هذين القولين لايدلّ عليه ظاهر الخبرين ، ومع التأويل في القولين فهذان القولان يرجعان إلى القول الآتي الّذي اختاره الشيخ في المبسوط و محكيّ الجمل وبنو البراج وحمزة وإدريس وعكسه وهو للشيخ في النهاية والمفيد في المقنعة وابن الجنيد وسلّار . والأول أنّ الفقير الّذي لاشيء له و المسكين الّذي له بلغة من العيش ، والثاني عكسه .

وقال الصدوق ـ رحمه الله ـ في من لا يحضره الفقيه : الفقير هو الزمن المحتاج والمسكين هو الصحيح المحتاج [1] . وفي المدارك حكى الأقوال ونسب الأول إلى الأخبار . وقد عرفت أنّ المرويّ في الأخبار إنّما هو الوسط ، لا الأولان وإن ارجعا إليهما فلاوجه لجعلهما قولين متقابلين وجعلهما مع مقابليهما أربعة ،فتدبّر . هذا كلام الفقهاء .

وأمّا أهل اللغة : فقال في المدارك : إنّ منشأ اختلاف كلمات الفقهاء اختلاف كلام أهل اللغة ، ثمّ قال : قال في القاموس : الفقر ، و يضمّ ، ضدّ الغنى، وقدره أن يكون له ما يكفي عياله ، أو الفقير من يجد القوت والمسكين من لاشيء له ، أو الفقير المحتاج والمسكين من أذلّه الفقر أو غيره من الأحوال ، أو الفقير من له بلغة والمسكين لاشيء له، أو هو أحسن أحوالاً من الفقير ، أوهما سواء . وقال الجوهري : رجل فقير من المال ، قال ابن السكيت : الفقير الّذي له بلغة من العيش المسكين الّذي لاشيء له ، وقال الأصمعي : المسكين أحسن حالاً من الفقير ، وقال يونس : الفقير أحسن حالاً من المسكين ، قال : وقلت لأعرابي : أفقير أنت؟ فقال : بل والله مسكين . وقال الهروي في الغريبين قوله تعالى: « إنّما الصدقات للفقراء و المكساكين » قال ابن عرفة : أخبرني أحمد بن يحيى ، عن محمّد بن سلام، قال قلت: ليونس : أفرق لي بين المسكين والفقير ؟ فقال : الفقير الّذي يجد القوت والمساكين

(١) الفقيه : ج٢ ص٦ أبواب كتاب الزكاة .

الّذي لا شيء له، وقال ابن عرفة: الفقير عند العرب المحتاج. قال الله عزّ وجل: «أنتم الفقراء إلى الله» أي المحتاجون إليه، فأمّا المسكين فالّذي قد أذلّه الفقر أو غيره، فإذا كان هذا إنّما كان مسكنته من جهة الفقر حلّت له الصدقة. وإذا كان مسكيناً قد أذلّه شيء سوى الفقر فالصدقة لا تحلّ له، إذا كان شائعاً في اللغة أن يقال: ضرب فلان المسكين وظلم المسكين، وهو من أهل الثروة واليسار، وإنّما لحقه اسم المسكين من جهة الذلّة. وقد ذكر لكل من هذه الأقوال حجج واهية وتوجيهات قاصرة ليس للتعرض لها كثير فائدة، و الأصحّ أنّ المسكين أسوأ حالاً من الفقير وأنّه المحتاج الّذي يسأل والفقير المحتاج الّذي لا يسأل. انتهى كلام المدارك.

قلت: الأصحّ ما استصحّه لصحّة أكثر أدلّته ووهن أدلّة المقابل في نفسها و بمعارضتها بها، كما لا يخفى. و أقوى ما يعوّل عليه في ذلك رواية أبي بصير المتقدمة.

وفي المدارك: رواية أبي بصير ضعيفة السند باشتراك راويها بين الثقة والضعيف وبأنّ من جملة رجالها عبدالله بن يحيى والظاهر أنّه الكاهلي وهو غير موثّق، و الأجود الاستدلال على ذلك برواية محمّد بن مسلم، فإنّها صحيحة السند واضحة الدلالة، ولم يحتجّ بها أحد من الأصحاب فيما علم، انتهى.

ومراده بصحيحة محمّد بن مسلم ما رواه عن أحدهما عليهما السلام أنّه سأله عن الفقير والمسكين، فقال: الفقير الّذي لا يسأل والمسكين الّذي هو أجهد منه الّذي يسأل[1].

أقول: الاستدلال بها حسن لا غبار عليه، وأمّا تضعيف رواية أبي بصير فسبقه عليه استاذه في الشرح، ويزيد على ما ذكره الاشكال المتقدم في كلام شيخنا البهائي بجوابه ودفعه. ولكنّ الحقّ أنّ الرواية صحيحة معتبرة بنفسها، كما صرح به شيخنا البهائي ـ رحمه الله ـ أو حسنة كما في الرياض، وأبو بصير مشترك بين الثقات،

(١) الوسائل: ج٦ ص١٤٤ ح٢.

أو المراد منه عند الاطلاق الثقة ، وعبدالله بن يحيى ثقة أو حسن ، وعلى التقديرين معتبر ، مضافاً إلى الانجبار هنا بالعمل ومعاضدتها بالرواية الاخرى الصحيحة .

وأهل اللغة وإن اختلفوا إلّا أنّ أكثرهم وأضبطهم على المختار، وهو كاف في الترجيح والاعتبار ، فلاغبار على القول المختار أصلاً . هذا هو الكلام في أقوال الفقهاء وأهل اللغة في معناهما وفي الترادف والتغاير ووجه المغايرة وأسوئيّة أيّهما.

وأمّا تحقيق الوفاق والخلاف في الاجتماع والافتراق فها نذكره ، فنقول:

قد شاع وذاع أنّ الفقير والمسكين كالجارّ و المجرور متى اجتمعا افترقا ومتى افترقا اجتمعا، يعنون به أنّه مع الاجتماع ـ كما في آية الصدقات ـ لكلّ معنى مغاير للآخر، ومع الانفراد يراد من كلّ ما يعمّ الآخر ـ كما في آية الكفّارة وغيرها ـ نظير الجارّ و المجرور ، كما في « مررت بزيد » لوقالوا : « الجارّ و المجرور متعلّق بمررت » يراد من الجارّ لفظة « الباء » ومن المجرور لفظ « زيد » ولو قالوا: « الجار متعلّق بمررت » أو « المجرور يتعلّق به » يراد به الجارّ والمجرور جميعاً . و هذا بعينه ما نقله شيخنا البهائي ـ رحمه الله ـ فيما تقدم عن الشيخ ـ رحمه الله ـ وأصحابنا المتأخّرين .

وصرح جمع منهم بعدم الخلاف عن دخول كلّ تحت الآخر مع الانفراد ، وأنّ الخلاف في صورة الاجتماع وذكرهما معاً. وهو على القول بالترادف مستقيم، إلّا أنّه لا فرق بين الاجتماع والانفراد ، ولامعنى لهذا الوفاق والخلاف .

و على التغاير سواء قلنا بأسوئيّة هذا أو ذاك يتغايران . و الوضع بشرط الانفراد لشيء وبشرط الاجتماع لشيء منفيّ بالاستقراء، مع أنّ الأصل عدم تعدد الوضع، وطريان الوضع الثانوي في بعض الأحوال كالابتدائي في ذلك، ومع التسليم الأصل تأخّر الحادث فلا يحمل عليه ألفاظ الكتاب و السنّة . و لو اريد المعنى المجازي فكذلك ينفي بالاستقراء، ولا يحمل عليه ألفاظ الكتاب والسنّة عند الاطلاق و عدم القرينة ، بل على المعنى الحقيقي .

وبالجملة : هذا الوفاق على ما لا يعقل، فلا يسمع. وقد تقدم بعضه في كلام الشارح البهائي ـ رحمه الله ـ ويأتي أيضاً في كلام المدارك .

لكن في الرياض: أنّ القول بالتغاير هو المشهور لغةً وفتوى، حتّى أنّ في المنتهى ادّعى الاجماع عليه ولو التزاماً، حيث قال بعد جعلهم ثمانية بالنصّ و الاجماع ـ إلى أن قال ـ : و لا خلاف بين المسلمين في ذلك، الصنف الأول و الثاني الفقراء والمساكين ، و لا تمييز بينهما مع الانفراد ، بل العرب قد استعملت كلّ واحد من اللفظين في معنى الآخر ، أمّا مع الجمع بينهما فلابدّ من المايز . وقد اختلف العلماء في أنّ أيّهما أسوأ حالاً من الآخر ، وهو كالصريح في الاجماع على التغاير وعلى دخول كلّ منهما في الآخر إن انفرد، كما يستفاد أيضاً من ظاهر السرائر والمختلف وغيرهما ، وبه صرح في الروضة ، فقال بعد الاشارة إلى محلّ الخلاف: ولا ثمرة مهمّة في تحقيقه ، للاجماع على إرادة كلّ منهما من الآخر حيث يفرد وعلى استحقاقهما من الزكاة ولم يقعا مجتمعين إلّا فيها ، و إنّما تظهر الفائدة في امور نادرة . أقول : كما إذا نذر أو وقف أو أوصى لأسوئهما حالاً ، وقريب منه في المسالك. فلا إشكال في التغاير سيّما مع تصريح الغنية بالاجماع على أنّ المسكين أسوأ حالاً ، قال : وقد نصّ على ذلك الأكثر من أهل اللغة. ونحوه في نسبته إلى أهل اللغة ـ لكن من غير تقييد بالأكثر ـ الفاضل المقداد في التنقيح و شيخنا في المسالك، ويدلّ عليه الصحيح أيضاً «الفقير الّذي لا يسأل والمسكين الّذي هو أجهد منه الّذي يسأل » ونحوه الحسن وفيه « إنّ البائس أجهدهم » و كما أنّ في هذه الأدلّة دلالة على التغاير ، كذا فيها دلالة على أنّ المسكين أسوأ حالاً ، كما هو الأقوى، وفاقاً لجمهور متأخّري أصحابنا، وفاقاً للنهاية والمفيد والاسكافي والديلمي من القدماء ، خلافاً للمبسوط والخلاف . وعن الجمل والقاضي و ابن حمزة والحلّي فالعكس ، لوجوه مدخولة معارضة بمثلها وأقوى ، وهو ما قدمناه . انتهى .

أقول : جعله القول بالتغاير هو المشهور لغةً و فتوىً صحيح . و أمّا ادعاء

الاجماع ونفي الخلاف بين المسلمين عليه عن المنتهى وعن المائن الاجماع عليه وكذا عن الغنية وكذا استفادته من التنقيح والمسالك ، وكذا استفادة الاجماع على أنّ المسكين أسو أحالاً من الفقير من بعض هؤلاء ، فلا يخلو بعضها من نظر ومناقشة ، إذ إجماع المنتهى غير مفهوم منه ، فإنّ غاية ما يفهم منه ثبوت الاجماع في الجملة على الثمانية ونفي الأزيد .

وأمّا كون الأصناف ثمانية أو سبعة فمحلّ خلاف جداً. حتّى أنّ المحقّق ـ رحمه الله ـ في الشرايع جعلهم سبعة .

والقول بالترادف بين علماء الطائفتين ولغويّيهم قول معروف لا ينكر، فالاجماع من المسلمين ونفي الخلاف بينهم على التغاير كما ترى ! وأمّا استفادة الاجماع من النافع على التغاير فكسابقه في وضوح الفساد ، إذ الاختلاف بين العلماء في أنّ أيّهما أسوأ حالاً لا يستلزم نفي القول بالترادف، بل يجامعه، ولذا اختاره في الشرايع. ويكفي في تحقّق الخلاف في أسوئيّة أيّهما تحقّق القول بالمغايرة واختلاف القائلين بها في أسوئيّة أيّهما سواء ذكر القول بالترادف في المقابل وعدم أسوئيّة شيء منهما أم لا، والسكوت عنه لا يستلزم الاجماع على القولين، وهو إنّما يستلزم الاجماع على التغاير من القائل بأسوئيّة هذا أو ذاك ، لا من جميع العلماء ، مع أنّه ليس لفظ « العلماء » في المتن . فالأمر أوضح و هو واضح ، فلا صراحة فيما ذكر على الاجماع على التغاير ولا ظهور . نعم لا يخلو من إشعار ، ولا عبرة به .

وأوضح فساداً من جميع ما ذكر صراحته في الاجماع على دخول كلّ منهما في الآخر إذا انفرد ، فإنّ الاختلاف في أسوئيّة أيّهما يجامع حالتي اجتماعهما في الذكر وانفرادهما فيه ، ويعقل في الحالتين ، بل ظاهر إطلاق العبارة التعميم للحالين، حتّى أنّ التخصيص بإحدى الحالتين يحتاج إلى التقييد المنفيّ لولا التقيّد.

فإن قيل: إذا انفردا لا يعقل أسوئيّة أيّهما. قلت : يكفي تحقّق الخلاف واقعاً و لا يستلزم ذكرهما معاً مجتمعين ، بل يعقل مع ذكرهما معاً منفردين ،

بل وإن لم يذكرا أصلاً ، فإنّ البحث عن معنى اللفظ معقول مطلقاً .

فإن قيل : لا ثمر حينئذٍ ولا مع الاجتماع . قلت : نفي الثمر ممنوع ولا سيّما على الثاني ـ و سيجيء الكلام فيه ـ مع أنّ عدم الثمر لا يستلزم نفي تحقيق الواقع .

وبالجملة: إذا انفرد أيّهما فالبحث عن أسوئهما بحث عن معنى اللفظين ليحمل عليه لفظ هذا أو ذاك حيثما ذكر ، و كذا مع ذكرهما معاً. و حصول البراءة بالأسوأ على الانفراد أو مطلقاً لو سلّم لا يستلزم ما ذكر، مع أنّه مشترك بين الاجتماع والانفراد ، على أنّه ممنوع ، فقد يتعلّق نذراً ونحوه بأحدهما على التعيين بحيث لا يكفي الأسوأ حالاً والأزيد حاجةً ، وهذا آت في الاجتماع والانفراد. وبالجملة: لا وجه لهذا التفكيك ليكون صريحاً فيما ذكر .

وفي كشف الغطاء: الأول والثاني الفقراء والمساكين، وهما كالظرف والجارّ والمجرور إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، فلمّا ذكرا معاً في مصرف الزكاة صارا متغايرين في المعنى ، انتهى .

وبنحو ذلك صرح بعد ذلك، فقال باتّحادهما في المعنى مع انفراد أحدهما عن الآخر ، فيقوم كلّ واحد مقام صاحبه مع الانفراد ، و مع الاقتران ـ كما في آية الزكاة ـ يتغايران، والفقير أحسن حالاً يتعفّف عن السؤال ، والمسكين أشدّ منه ويحتاج إلى السؤال ، كما أنّ البائس أشدّ حالاً منهما .

أقول : ومرجع ما ذكروه إلى الترادف مع الانفراد والتغاير مع الاجتماع. وقد تقدم ما في ذلك من الاشكال والاعضال، فالمهمّ تحقيق ذلك، والّذي أفهم أنّهم لا يريدون بذلك اختلاف الوضع في الحالين وتعدده، فإنّه منفيّ بالاستقراء ، وبه صرح الفحول في مواضع :

منها : أنّ القائلين بوضع الأمر ـ أي صيغة افعل ـ للوجوب اختلفوا فيما إذا وقع عقيب الحظر على أقوال، فصرح الاستاذ العلّامة ـ أعلى الله تعالى في الخلد

مقامه ـ [1] في الهداية بأن ليس المراد بذلك اختلاف وضع الأمر فيما إذا وقع عقيب الحظر شيء وفيما إذا لم يقع عقيبه شيء، فإنّه لامعنى لذلك وينفيه الاستقراء، بل بعد القول بالوضع للوجوب وقع الخلاف في أنّ وقوعه عقيب الحظر هل هو قرينة صارفة عن مقتضى وضعه فيصرف إلى غيره من إباحة أو غيرها؟ أو أنّه ليس قرينة صارفة فيحمل على معناها الموضوع له ؟ ولا بأس بنقل كلامه .

قال ـ قدس سره ـ : إنّ الكلام في المقام إنّما هو في مفاد الأمر عرفاً من جهة الوقوع عقيب الحظر ، لا فيما وضع اللفظ بإزائه بحسب اللغة أو العرف ، إذ لا وجه لاختلاف الموضوع له بحسب اختلاف المقامات ، كما يظهر من ملاحظة أوضاع سائر الألفاظ، إذ لا تعدد في أوضاعها في الغالب على حسب اختلاف مواردها، بل لا يكاد يوجد لفظ يكون الحال فيه على الوجه المذكور ، فالملحوظ بالبحث في المقام أنّ الوقوع بعد الحظر هل هو قرينة صارفة له عن الظاهر ؟ أو أنّه لا دلالة فيه على ذلك؟ أو أنّه قاضٍ بالوقف؟ وربما يتوهّم من عناوينهم كون البحث في المقام في موضوع الصيغة و ليس الحال كذلك ، إذ عنوانهم للبحث بما ذكروه وتعبيرهم للأقوال بأنّه للاباحة أوغيرها أعمّ من كونه موضوعاً لذلك، فإنّ اختصاص اللفظ بالمعنى كما يكون من جهة الوضع له، كذا قد يكون من جهة الظهور الحاصل بملاحظة المقام نظراً إلى القرائن العامّة القائمة عليه ، مضافاً إلى أنّ ما ذكرناه من وضوح فساد دعوى الوضع في المقام أقوى شاهد على عدم إرادته هنا . نعم يظهر من السيّد العميدي ـ رحمه الله ـ منعه كون الأمر مطلقاً موضوعاً للوجوب ، بل الموضوع له هو الأمر المقيّد دون الوارد عقيب الحظر. وهو إن حمل على ظاهره موهون جداً ، كما عرفت . و ربما ينزّل عبارته أيضاً على ما ذكرناه . انتهى كلامه ، أعلى الله تعالى في الخلد مقامه .

---

(١) هو العلامة المحقق الشيخ محمدتقي الاصفهاني ـ قدس سره ـ صاحب الحاشية على المعالم .

ومنها : ما ذكره ـ قدس سره ـ أيضاً في الهداية (في مبحث الأمر أيضاً) في جواب استدلال القائل بأنّ الأمر للندب باتّفاق أهل اللغة على أنّه لا فارق بين السؤال والأمر إلّا الرتبة ، فإنّ رتبة الآمر أعلى من رتبة السائل والسؤال إنّما يدلّ على الندب فكذلك الأمر ، إذ لو دلّ الأمر على الايجاب لكان بينهما فرق آخر وهو خلاف ما نقلوه، فاجيب بوجوه: منها، أنّ القائل بكون الأمر للايجاب بمعنى الحتم والالزام ـ يقول: بأنّ السؤال يدلّ عليه أيضاً وإن لم يلزم منه الوجوب ـ بمعنى استحقاق تاركه للذمّ والعقاب، فإنّ الثاني ليس لازماً للأول مطلقاً بل في بعض صوره، وهو ما إذا كان الموجب ممّن يجب إطاعته عقلاً أو شرعاً كأوامر الله سبحانه وتعالى وأوليائه والموالي بالنسبة إلى العبيد .

فاستصح ـ رحمه الله ـ هذا الجواب و بيّنه بأنّ المراد بالوجوب المدلول عليه بالأمر ليس هو الوجوب المصطلح الّذي هو أحد الأحكام الخمسة الشرعيّة، بل المقصود منه هو طلب الفعل مع المنع من الترك وعدم الرضا به من أيّ طالب صدر ، فكما يتبادر الالزام من الأمر كذا يتبادر من السؤال والالتماس من غير فرق ، فالمنساق من إطلاق الجميع ليس إلّا الطلب الحتميّ الّذي لا يرضى ذلك الطالب بتركه . و أيّد ذلك بملاحظة استقراء سائر الألفاظ ، إذ لا يعرف لفظ يختلف معناه الموضوع له بحسب اختلاف المتكلّمين به مع عدم اختلاف العرف ، بل لا يعرف ذلك في سائر اللغات أيضاً ، وعلى فرض وقوعه في اللغة فهو نادر جداً، وذلك كاف في إثبات اتّحاد معنى الصيغة في المقامين .

والأمران اللذان ذكرهما في المقام موافقان للتحقيق ، فإنّ القائل بوضع الأمر للوجوب يقول بوضع مطلق الصيغة ـ ولو صدرت من سافل أو مساو أو عال أو مجهول الحال ـ للحتم والالزام ، فإن كان الطالب آمراً أي عالياً شرعاً وعرفاً ويكون طلبه أمراً يفيد الوجوب المصطلح أيضاً ، وإلّا فلا . وممّا يدلّ على ذلك مضافاً إلى التأمّل في مجاري العرف أنّه عند طلب السافل أو المساوي ربما يعتذر

الطالب عندطلبه بأنّه سوء الأدب ويقول بالفارسي: « گستاخی است » أو « بی ادبی است » وربما يقول المطلوب منه: أتأمرني؟ فلولاالظهور والفهم للحتم والالزام مطلقاً لما توجّه هذا الاعتذار وذاك الاعتراض ، وهو واضح .

وأمّا الثاني: فلتحقّق هذا الاستقراء ، وقد صرح ـ رحمه الله ـ في مواضع اخر من مبحث الأوامر عند تتميم أدلّة القائلين بالوضع للوجوب أو دفع أدلّة المخالفين له بهذا الاستقراء أيضاً ، و ليس تحت التطويل بذكرها كثير طائل .

وتقييده بالغالب وجعل مخالفه نادراً للتنبيه على أنّه قد يختلف الأوضاع بحسب الموارد والمقامات في لفظ «الكأس» الموضوع للاناء حين كون الخمر فيه وكلفظ « الصلاة » من الله بمعنى الرحمة ومن غيره بمعنى طلبها. ويمكن جعل هذا من قبيل القرينة الصارفة وغيرذلك ، ولتحقيق ذلك وضبطه مقام آخر ، وقدحقّقنا بعض التحقيق في مفتتح كتابنا « الغرة الدريّة » في شرح « الدرة الغرويّة » و الله المشكور .

و منها : ما قالوا في لفظ « البيع » من استدلالهم على أنّه النقل لأنّه المتبادر من باع ويبيع وسائر مشتقّاته فكذا لنفي وضع البيع الصريح لمعنى وفي ضمن المشتقّات لغيره بالاستقراء، إلى غيرذلك .

فإذا اندفع تعدد الوضع بما ذكر في حالتي الاجتماع والانفراد ، فالمراد اختلاف المراد مطلقاً . والّذي يصلح لاثبات هذا المرام أن يقال : الكلام في المراد لافي الموضوع له ، ويطلق كلّ منهما على ما يعمّ المجتهد وغيره عرفاً شايعاً إذا ذكرا منفردين ، وأمّا مع الاجتماع فالجمع قاضٍ بالمغايرة ، سواء كان بعطف أو بغيره . وتفصيل المقام وتوضيح المرام أنّ هنا احتمالات :

الاول : اختلاف وضعهما في حالتي الانفراد والاجتماع ومغايرة الموضوع لكلّ حال الأول له حال الثاني ، وفيه ماعرفت .

الثاني : أن يكونا مترادفين وضع كلّ منهما لما يقابل الغنيّ وهومطلق

المحتاج بمراتبه، لكن الظاهر من « الفقير » من له شيء فيتعفّف عن السؤال، ومن « المسكين » من لاشيء له فيسأل ، فيحملان حال الانفراد على مقتضى الوضع ، وأمّا حال الاجتماع فلظهوره في المغايرة يحمل كلّ على ماهو الأظهر فيه، حملاً على التأسيس . فهذا الظهور و الانصراف ليس على حدّ انصراف سائر المطلقات إلى ماهو الشايع الظاهر الغالب الاستعمال من أفرادها ليعتبر مطلقاً ، بل يحمل على مطلقه حيث لاباعث على الصرف عنه وهو في حالة الانفراد ، وأمّا مع الاجتماع وظهوره في المغايرة يصرف عن [على خلا] الموضوع له . وحينئذٍ يحمل كلّ على الفرد الظاهر ويعتبر ذلك الظهور مرجّحاً حينئذٍ لتعيين المراد من كلّ ، وبه يمكن أن يتّحد القول بالترادف والمغايرة . لكن الظاهر من القائل بالترادف اتّحاد المراد منهما في الحالين .

الثالث : ماذكر بلاظهور ،لكن حينئذٍ لامرجّح لحمل الفقير على الأسوأ أوالمسكين عليه حال اجتماعهما ، ولاوجه له . ثمّ على هذين الاحتمالين يمكن جعل « البائس » مرادفاً لهما أيضاً . وظهوره في من ليس له شيء أصلاً وظهور المسكين في من له شيء لايعتنى به والفقير في من له شيء يعتدّ به لكنّه لم يبلغ حدّ الغنى ، أو عدم ظهوره ، أوجعله مغايراً لهما وكون أسوئيّته بحسب العوارض ـ كالزمانة ونحوها ـ حسب ما تقدم .

الرابع :أن نجعل الفقير لمطلق غير الغنيّ المحتاج سواء كان له شيء يعتدّ به أولا يعتدّ به أولم يكن له شيء أصلاً وطرأته المسكنة والذلّة بحسب الاحتياج أوسائر العوارض أم لا ، والمسكين لبعض أفراد ذلك المطلق وهو من اشتدت به الحاجة و لاشيء له ، والبائس لبعض أفراد الثاني وهو من طرأته الذلّة بسبب العوارض غير الحاجة ـ كزمانة ونحوها ـ فالفقير أعمّ مطلقاً منهما، والمسكين أخصّ منه ، والبائس أخصّ من المسكين ، ولاترادف بل يتغاير ، لكنّ التغاير ليس على حسب التباين ، بل العموم والخصوص المطلقين . وهذا خلاف ظاهر القول بالتغاير

إذ ظاهره المباينة ، و ينافي ما ادعي من الاجماع على دخول كلّ في الآخر مع الانفراد ، وأيضاً ينافي ما ذكروا من أنّه عند الاجتماع أيّهما أسوأ .

و المتّجة من هذه الوجوه هو الوجه الثاني ، والموجه الأول وجه .

وهنا وجه آخر : هو اختلاف وضعهما ، فالفقير وضع لمن له بلغة لكنّها لايكفيه ويتعفّف ، والمسكين لمن هو أجهد منه فيسأل ، فهما متغايران وضعاً ، لكن شيوع استعمالهما فيما يقابل الغنيّ مطلقاً وتبادر ذلك منهما في حالة الانفراد على خلاف وضعهما. فمع الانفراد يتبادر ذلك منهما لهذا العرف الشايع ، وأمّا مع الاجتماع فيرتفع ذلك الظهور العرفي لمكان الاجتماع والاقتران الدالّين على التغاير . وحينئذ يرتفع ذلك الظهور في المسكين ويرجع إلى أصله، إذ ليس شيوع استعماله في مطلق ما يقابل الغنيّ على الغاية وعلى حده في الفقير فيحمل على الفقير المجهد السائل. وأمّا الفقير فيحمل على العرف الشايع الجامع العام للفردين. وهنا وجه ثالث وهو وضع الفقير للمعنى العامّ الجامع، فيحمل عليه في حالتي الانفراد و الاجتماع بمقتضى الوضع له . وأمّا المسكين: فوضعه للمجهد، فيحمل عليه حالة الاجتماع، وأمّا عند الانفراد فيحمل على الجامع لذلك الشيوع. وإنّما حمل حالة الاجتماع على المجهد لارتفاع ظهور الشيوع وصرف قرينة الاجتماع عنه، كسائر القرائن الرافعة للتشكيك.

لكنّ فيه : أنّ ما قالوا هو أنّ المراد من الفقير عند الاجتماع إنّما هو خصوص غير المجهد ، لا الأعمّ منه ومن المجهد وهو الجامع .

وإيراد أنّ الاطلاق على الجامع عند الانفراد عرف جديد لا يرد على الوجه الأول ، مع أنّه يمكن دفعه مطلقاً ، إذ ذلك إيراد يرد على قاطبة التشكيكات و وانصراف المطلقات إلى الأفراد الشايعة وسائر الظواهر . وفيه تفصيل حقّقناه في الاصول وذكرناه هناك، على أنّ الاستقراء وأصالة تشابه الأزمان يدفعان ذلك الايراد . وإن كان الأصل تأخّر الحادث .

لكنّ الحقّ أنّ الاتّفاق على حمل المطلقات على الشايعات ليس لمكان الاستقراء وأصل التشابة، بل له خصوصيّة بيّناها في محلّه، وإلّا لاتّجه الخلاف فيه من أصالة التأخّر ومن الاستقراء ، كما في نظائره من الحقيقة الشرعيّة وتعارض العرف واللغة ونحوهما ، مع أنّهم اتّفقوا في حمل المطلق على الفرد الشايع الغالب خلافاً لنادر نفى التشكيك ، كالسيّد المرتضى ـ رحمه الله ـ وغيره ، بل خلافه لا يرجع إلى نفي اعتبار التشكيك ، بل إلى ادعاء الصارف عن اعتبار العادة كسائر روافع التشكيك ، كما بيّنّاه في محلّه أيضاً .

ثمّ التكلّم على الثمرات المذكورة النادرة وسائر ما يتعلّق بالفقير والمسكين يطول به الكلام . وقد ذكرنا بعض ذلك في شرحنا على الارشاد في كتاب الزكاة ، من أراده فليطلبه هناك ، والله المنعم والمشكور .

قوله ﷺ : « وقّروا كباركم وارحموا صغاركم . . . إلخ » .

قال الشارح ـ رحمه الله ـ التوقير : التعظيم و الاحترام . والمراد بالكبار مايشمل الكبار سنّاً أو شأناً كالمعلّمين، انتهى .

وفي زاد المعاد في الترجمة هكذا «وتعظيم نمائيد پيران خود را ورحم كنيد كودكان خود را » انتهى .

وليس بجيّد ، بل الصواب ما فعله الشارح .

ثمّ أقول : قد رحمنا سيّدنا ونبيّنا الرحمة للعالمين ومنّ على صغيرنا وكبيرنا بالترحّم والوصيّة بتوقير صغارنا لكبارنا وترحّم كبارنا على صغارنا، فجزاه الله عنّا خير الجزاء، وصلّى الله عليه وآله الطيّبين الطاهرين أفضل ما صلّى على أحد من العالمين .

واعلم أنّ في توقير الكبار و الترحّم على الصغار تشبّهاً بالله ربّ العباد ، ويكفي ذلك فيهما فضلاً وشرفاً . وكذا توقير الكبار وإجلالهم من إجلال الله تعالى، كما قال ﷺ : « يا أباذرّ إنّ من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم و إكرام

حملة القرآن العاملين به وإكرام السلطان العادل »[١]. ومن تتبّع الأخبار وتصفّح الآثار وجال حول تلك الديار يجد أنّ كلّ من نال نيلاً وحصلت له رفعة ـ من نبوة وإمامة وسلطنة ـ أو اوتي علماً فإنّما كان لهاتين الخصلتين على تفاوت مراتبهم، وأنّ جلّ من عوقب أو عوتب أو ادّب فإنمّا هي لتركهما . والمؤمن عظيم عند الله سبحانه ، بل و أعظم من القرآن ، فليعظّم المؤمنون بعضهم بعضاً و يعرفون قدرهم ويخصّون بالمزيد من له مزيد من علم وصلاح وشرف وسلطنة مع العدالة كما مرّ ، بل مطلقاً كما نهي الخليل عليه السلام عن التقدم في المشي على السلطان الّذي ابتلي به وكان يتأخّر عنه تعظيماً له وامر بالتبديل والتأخّر عنه .

وبالجملة : يجب التعظيم بأنواعه بلسان وفعل ومال وإحسان وغيرها وأداء الحقوق ، ويحرم التحقير والأذى . ولنذكر نبذاً من ذلك للتنبيه و التنبّه وكي يرحمني ربّي ويدخلني في الأبرار ويرزقني التخلّق بأخلاقهم و التطور بأطوارهم في صفاتهم وفعالهم. وقد تقدم في السابق أنّ من حكمة الصوم وتشريعه لمس الغنيّ ألم الجوع والعطش ليرحم الفقراء . ويعجبني أن أذكر في هذا الباب أحوال الأنبياء والأوصياء والأولياء والملائكة وسيرهم ، فإنّ فيها كفاية لاولي الألباب .

ففي القدسيّات: أنّ آدم أبا البشر لمّا اخرج ذريّته من صلبه ورأى اختلافهم، فبعض الذرّ أعظم من بعض وبعضهم له نور كثير وبعضهم له نور قليل وبعضهم ليس له نور ، فاستأذن في الكلام ، فأذن الله تعالى له ، فقال له ترحّماً عليهم : فلو كنت خلقتهم على مثال واحد وقدر واحد وطبيعة واحدة، جبلّة واحدة و أرزاق واحدة وأعمار سواء لم يبغ بعضهم على بعض و لم يكن بينهم تحاسد و لا تباغض و لا اختلاف في شيء من الأشياء[٢] .

وأيضاً أوحى الله عزّ وجلّ إليه أنّي سأجمع لك الخير كلّه في أربع كلمات،

---

(١) مجموعة ورام : ج٢ ص٦١ .

(٢) الجواهر السنية : ص٧ وللحديث ذيل .

قال : يارب ّ وماهن ّ ؟ قال : واحدة لي، وواحدة لك ، وواحدة فيما بيني وبينك، وواحدة فيما بينك وبين الناس ، قال : يا رب ّ بيّنهن ّ لي حتّى أعلمهن ّ ، قال : أمّا الّتي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئاً ، و أمّا الّتي لك فاجزيك بعملك أحوج ما تكون إليه ، وأمّا الّتي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي ّ الاجابة، وأمّا الّتي بينك وبين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك [1].

وأيضاً في خبر عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه سئل عن أول كتاب كتب في الأرض ؟ فقال : إن ّ الله عز ّ وجل ّ عرض على آدم ذريّته عرض العين في صورة الذر ّ ، نبيّاً فنبيّاً وملكاً فملكاً و مؤمناً فمؤمناً و كافراً فكافراً حتّى انتهى إلى داود، فقال عليه السلام: من هذا الّذي نبّأته و كرمته وقصّرت عمره؟ فأوحى الله إليه يا آدم هذا ابنك داود، عمره أربعون سنة، وإني قد كتبت الآجال وقسمت الأرزاق ، وإنّي أمحو ما أشاء واثبت وعندي ام ّ الكتاب ، فإن جعلت له شيئاً من عمرك ألحقته له ، قال آدم : يارب ّ فإنّي قد جعلت له من عمري ستّين سنة تمام المائة سنة [2] الحديث .

وأيضاً روى علي ّ بن إبراهيم في تفسيره عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا أعطى الله إبليس ما أعطاه من القوة ، قال آدم : يارب ّ قد سلّطت إبليس على ولدي وأجريته منهم مجرى الدم في العروق وأعطيته ما أعطيته فمالي ولولدي؟ فقال: لك ولولدك السيّئة بواحدة والحسنة بعشر أمثالها،قال: يارب ّ زدني. قال:التوبة مبسوطة حتّى تبلغ النفس الحلقوم ، قال : يارب ّ زدني ، قال : أغفر ولا ابالي [3] .

وعن الصدوق ـ رحمه الله ـ في المجالس ومن لا يحضره الفقيه ، مسنداً عن مقاتل بن سليمان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن ّ آدم سأل

---

(١) الجواهر السنية : ص٩ مع تفاوت .

(٢) الجواهرالسنية : ص١٠ .

(٣) تفسير القمي : ج١ ص٤٢ .

ربّه أن يجعل له وصيّاً صالحاً ، فأوحى الله إليه : أنّي أكرمت الأنبياء بالنبوة ثمّ اخترت خلقي فجعلت خيارهم الأوصياء ، ثمّ أوحى الله إليه : يا آدم أوص إلى شيث ، فأوصى آدم إلى ابنه شيث ، وهو هبة الله (١) الحديث .

وفي إكمال الدين وتمام النعمة ، مسنداً عن سدير الصيرفي عن أبي عبدالله عليه السلام وذكر حديثاً طويلاً في الاخبار عن المهدي عليه السلام وغيبته وما يتضمّن الجفر من ذكره ، وأنّ فيه شبهاً عن جماعة من الأنبياء ـ كإبطاء نوح وغير ذلك ـ يقول فيه أبو عبدالله : وأمّا إبطاء نوح فإنّه لمّا استنزل العقوبة على قومه من السماء بعث الله عزّ وجلّ إليه الروح الأمين جبرئيل ومعه سبع نويات فقال: يا نبيّ الله إنّ الله تبارك وتعالى يقول لك : هؤلاء خلائقي وعبادي ولست أبيدهم بصاعقة من صواعقي إلّا بعد تأكيد الدعوة وإلزام الحجّة ، فعاود اجتهادك في الدعوة لقومك فإنّي مثيبك عليه ، واغرس هذه النوى ، فإنّ لك في نباتها وبلوغها وإدراكها إذا أثمرت الفرج والخلاص ، فبشّر بذلك من معك من المؤمنين ،فلمّا نبتت الأشجار وتأزّرت وتسوقت [وتغصّنت وأثمرت] وزها التمر عليها بعد زمان طويل استنجز من الله تعالى العدة ، فأمره أن يغرس من نوى تلك الأشجار ويعاود الصبر والاجتهاد ويوكّد الحجّة على قومه، وأخبر به الطوائف الّتي آمنت به فارتدّ منهم ثلاثمائة رجل وقالوا: لو كان ما يقول نوح حقّاً لما وقع في وعد ربّه خلف. ثمّ إنّه [تبارك وتعالى] لم يزل يأمره كلّ مرة أن يغرس تارة بعد اخرى إلى أن غرسها سبع مرات ، فما زالت تلك الطوائف من المؤمنين يرتدّ منهم طائفة بعد اخرى إلى أن عادوا إلى نيّف وسبعين رجلاً ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه وقال : يا نوح الآن أسفر الصبح من الليل لعينك وصرح الحقّ عن محضه وصفا الكدر بارتداد كلّ من كانت طينته خبيثة، فلو إنّي أهلكت الكفّار وأبقيت من ارتدّ من الطوائف الّتي قد كانت آمنت بك، فما كنت صدقت وعدي السابق للمؤمنين الّذين أخلصوا التوحيد من

(١) من لا يحضره الفقيه : ج٤ ص١٧٤ ح٥٤٠٢ مع تفاوت .

قومك واعتصموا بحبل نبوتك بأن أستخلفهم في الأرض وامكّن لهم دينهم وابدل خوفهم بالأمن لكي تخلص العبادة لي بذهاب الشرك من قلوبهم ، فكيف يمكن الاستخلاف والتمكين وبدل الأمن لهم ؟ مع ما كنت أعلم من ضعف يقين الّذين ارتدوا وخبث قلوبهم وسوء سرائرهم الّتي كانت نتائج النفاق وسنوح الضلالة ،فلو أنّهم[1] يئسوا من الملك الّذي اوتي المؤمنين وقت الاستخلاف إذا أهلكت أعداءهم روائح صفاته لاستحكمت سرائر نفاقهم وتأيّدت حبال ضلالة قلوبهم و لكاشفوا إخوانهم بالعداوة وحاربوهم على طلب الرياسة و التفرد بالأمر والنهي ، وكيف يكون التمكين في الدين وانتشار الأمر في المؤمنين مع إثارة الفتن وإيقاع الحروب كلّا ! « فاصنع الفلك بأعيننا ووحينا » [2] .

وروى الكليني عن عدة مسنداً عن موسى بن العلا عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لمّا حسر الماء من عظام الموتى فرأى ذلك نوح عليه السلام جزع جزعاً شديداً واغتمّ لذلك ، فأوحى الله إليه : هذا عملك بنفسك وأنت دعوت عليهم ، فقال : يا ربّ فإنّي أستغفرك وأتوب إليك ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه أن كل العنب الأسود ليذهب بغمّك [3] .

فانظر رحمك الله سبحانه وتعالى إلى ما في هذين الحديثين من حلم الله عزّ وجلّ والترحّم على عباده وأمره لنوح بهما والابطاء وامتثاله عليه السلام لأمر الله في ذلك وقيامه بطاعته في الصبر والاجتهاد والحلم والتعطّف والترحّم والترأف ،ومع ذلك لم يدع عليهم إلّا بعد الاذن من الله سبحانه وتعالى واليأس من إيمانهم والعلم بعدمه و بتفريغ أصلابهم ممّن يؤمن ممّن يلدوا ، كما تنصّ به الآية الشريفة في محكم كتاب الله . ومع ذلك جزع ورقّ عليهم لمّا رأى عظامهم واغتمّ وترحّم ، ومع

---

(١) لا يخفى عليك صعوبة فهم المراد من هنا الى آخر الحديث ، قابلته مع النسخة المطبوعة من اكمال الدين فوجدت اختلاف بعض الكلمات بين المتن والمصدر، وحيث لم يحصل لي الاطمئنان بصحة ما في المصدر لم اغير الكلمات ، فراجع. (المصحح) .

(٢) كمال الدين : ج ١-٢ ص ٣٥٥ . (٣) الكافي : ج ٦ ص ٣٥٠ .

ذلك كلّه أوحى الله عزّوجلّ إليه : هذا عملك بنفسك أنت دعوت عليهم ، وبادر عليه السلام إلى الاستغفار وتاب إلى ربّه . ففيه نوع عتاب بأنّه ينبغي ترك الدعوة عليهم مع ذلك كلّه وأنّه أحبّ إلى الله عزّوجلّ .

قال الله سبحانه وتعالى : إنّا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم * قال ياقوم إنّي لكم نذير مبين * أن اعبدوا الله واتّقوه وأطيعون * يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخّركم إلى أجل مسمّى إنّ أجل الله إذا جاء لايؤخّر لو كنتم تعلمون * قال ربّ إنّي دعوت قومي ليلاً ونهاراً * فلم يزدهم دعائي إلّا فراراً * وإنّي كلّما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً * ثمّ إنّي دعوتهم جهاراً * ثمّ إنّي أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً * فقلت استغفروا ربّكم إنّه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنّات و يجعل لكم أنهاراً * ـ إلى أن قال تعالى ـ : وقال نوح ربّ لاتذر على الأرض من الكافرين ديّاراً * إنّك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولايلدوا إلّا فاجراً كفّاراً * ربّ اغفر لي و لوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات[1] الآية .

اعلم أنّ الله سبحانه وتعالى وعزّوجلّ وأرحم الراحمين أرسله إلى قومه لينذرهم ويدفع عنهم عذاب الله الأليم ويغفر لهم ، فعلم عليه السلام أنّ الله تعالى يريد بتلك الدعوة والارسال الترحّم عليهم وعدم نزول العذاب والمغفرة لهم ، فاستقام كما امر واجتهد وصبر تابعاً لمراد الله تعالى ومطيعاً لأمر مولاه فأتمّ الدعوة وأبلغ الحجّة وأكّد وشدد ، فأخبرهم أنّه نذير مبين من عند ربّ العالمين و كرر ذلك مرة بعد اخرى ما استطاع إليه سبيلاً في الليل والنهار ومع الاجهار والاعلان والاسرار ، وكرر عليهم طلب الاستغفار والانذار من عذاب الله . وأخبرهم بأنّه هو الله الغفّار لكي لا يغرهم الشيطان وآيسهم من رحمة الله وأنّ بعد مقامهم على

(١) نوح : ١ـ١٢ و٢٦ ـ ٢٨ .

الكفر والعصيان دهراً طويلاً لايغفر الله لهم .

ثمّ ألطف لهم فيما صنع بذكر فوائد الدنيا والآخرة على إيمانهم وتوبتهم واستغفارهم: من إرسال السماء أمطار الرحمة مدراراً، والامداد بالأموال والبنين ، ودفع العذاب في الدارين ، ودخول الجنّة الخلدفي الآخرة . فأقام على تلك الدعوة دهراً طويلاً وما رجا فيهم خيراً .

فلمّا آيس منهم و رأى أنّهم يعلّمون أطفالهم الكفر و الضلالة وعلم أنّه لاخير فيهم ولافيمن يلدونهم وشاهدأنّ دعاءه لاأثر له بل يزيدهم فراراً عن الحقّ و ونفوراً وأنّ إبقاءهم لايوجب إلّا الضلال والاضلال فلايرجى إيمانهم ولا إيلاد مؤمن بل يشتدون في الضلالة ويشتدّ عذابهم باشتداد الكفر فيهم وإضلال سائر عباد الله المؤمنين ، فترحّم عليهم أولاً بالدعوة، وثانياً بالاهلاك إشفاقاً عليهم من اشتداد العذاب بزيادة الاقامة على الكفر وترحّماً على المؤمنين بأن يضلّوا وأضلّهم الكافرون والمنافقون .

فالدعوة بالايمان لامتثال أمر الله والترحّم على قومه،وفي التأكيدات بذكر لوازم الكفر وفوائد الايمان والاستغفار زيادة الترحّم ، وفي التكرار للدعوة في الأوقات كلّها زيادة على زيادة، وفي إتيانها إجهاراً في المجامع وإسراراً و إخفاءً واحداً واحداً زيادة الترحّم . ثمّ الدعوة عليهم بالهلاك أيضاً للترحّم عليهم من مزيد العذاب وعلى المؤمنين من أن يفتتنوا بهم ويضلّونهم .

ومع ذلك فهم أنّ الأحبّ إلى الله سبحانه وتعالى مزيد الرقّة والرحمة و ترك الدعوة ، فجزع واهتمّ واستغفر ربّه ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات ترحّماً عليهم .

فتدبّر في هذه الجملة وفي تلك النكات المطويّة ، والله الغافر والمشكور .

وروى أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي في محكيّ الاحتجاج مسنداً ، عن مولانا الامام أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري عليه‌السلام عن أبيه ، عن آبائه ،

عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في جملة كلام طويل مع أبي جهل : يا أباجهل أما علمت قصّة إبراهيم الخليل عليه السلام لمّا رفع في الملكوت قوى الله بصره لمّا رفعه دون السماء حتّى أبصر الأرض ومن عليها ظاهرين ومستترين، فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة فدعا عليهما فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما فهلكا، ثمّ رأى آخرين فدعا عليهما فهلكا ، فأوحى الله إليه: يا إبراهيم اكفف دعوتك من عبيدي وإمائي ، فإنّي أنا الله الغفور الرحيم ، لا تضرني ذنوب عبادي كما لاتنفعني طاعتهم ، ولست أسوسهم بشفاء الغيظ كسياستك، فاكفف دعوتك عن عبيدي وإمائي، فإنّما أنت عبد نذير لاشريك في المملكة ولامهيمن عليّ ولاعلى عبادي. وعبادي بين خلال ثلاث: إمّاتابوا إليّ فتبت عليهم فغفرت ذنوبهم وسترت عيوبهم ، أو كففت عنهم عذابي لعلمي بأنّه سيخرج من أصلابهم ذريّات مؤمنون فأرفق بالآباء الكافرين وأتأنّى بالأمّهات الكافرات وأرفع عنهم عذابي ليخرج ذلك المؤمن من أصلابهم ، فإذا تزايلوا حلّ بهم عذابي وحاق بهم بلائي ، وإن لم يكن هذا ولاهذا فإنّ الّذي أعددته من عذابي أعظم ممّا تريده بهم، فإنّ عذابي لعبادي على حسب جلالي و كبريائي. يا إبراهيم فخلّ بيني وبين عبادي فإنّي أرحم بهم منك، وخلّ بيني وبين عبادي فإنّي أنا الله الجبّار الحليم العلاّم الحكيم ، ادبّرهم بعلمي وانفذ فيهم قضائي وقدري[1] .

وروى الكليني مسنداً ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لمّا رأى إبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات الأرض التفت فرأى رجلاً يزني فدعا عليه فمات ثمّ رأى آخر فدعا عليه فمات ، حتّى رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا ، فأوحى الله عزّوجلّ إليه : يا إبراهيم إنّ دعوتك مجابة فلاتدع على عبادي فإنّي لو شئت لم أخلقهم ، إنّي خلقت خلقي على ثلاثة أصناف : عبداً يعبدني لا يشرك بي شيئاً فاثيبه ، وعبداً يعبد غيري فلن يفوتني ، وعبداً يعبد غيري فاخرج من صلبه من يعبدني[2] .

---

(١) الاحتجاج للطبرسي : ج١ص٣٦ .
(٢) الجواهر السنية: ص٢٢ .

اعلم أنّ دعوة إبراهيم بالهلاك إنّما كان للترحّم ، كما تقدم في قصّة نوح ويشير إليه قوله تعالى : « فإنّي أرحم بهم منك » [1] لكن كان الأولى الحلم و ترك الدعوة بالهلاك ترحّماً عليهم كي يتوبوا ، أو على من يرجى من خروج مؤمن من أصلابهم من المؤمنين . فدعوة إبراهيم إنّما كان للترحّم وعبادة ربّه وتقرباً إليه ، لكن كان الأولى اختيار الاولى ورعاية الحكمة والمصلحة من رجاء توبتهم أو تولّد مؤمن منهم، فترك الاولى لله وكان الأولى اختيار الاولى لله ، وهذا معنى ترك الأولى من الأنبياء. نظيره أنّ من صام ندباً فطلب أخوه المؤمن إفطاره فهو الأولى والأفضل، وإن لم يفعل فصومه أيضاً عبادة لكنّها مفضولة بالنسبة إلى الافطار .

ثمّ الأولى الحلم والابطاء وإن علم عدم التوبة وعدم خروج مؤمن من صلبه ويشير إليه قوله تعالى: «فإنّي أنا الله الجبّار الحليم العلاّم الحكيم . . . إلخ» و ترك الأولى في نوح كان لهذا الأخير وللخليل كان للامور الثلاثة جميعاً، كما ترشد إليه التعليلات في الخبر، لكنّهما كانا في طاعة الله تعالى في الأحوال كلّها ، فافهم ذلك، و سيجيء مزيد توضيح إن شاء الله تعالى .

وروى الصدوق في محكيّ العلل عن أبيه بسنده، عن الحسين بن خالد الصيرفي، عن الرضا عليه السلام قال : إنّ إبراهيم لمّا وضع في كفّة المنجنيق غضب جبرئيل فأوحى الله إليه : مايغضبك يا جبرئيل ؟ قال : ياربّ خليلك ليس من يعبدك على وجه الأرض غيره سلّطت عليه عدوك و عدوه ؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه : اسكت إنّما يعجّل العبد الّذي يخاف الفوت مثلك، فأمّا أنا فإنّي آخذه إذا شئت [2] الحديث .

وفي روايه قدسيّة إبراهيميّة : قال : ياربّ فما جزاء من يصبّر الحزين ابتغاء وجهك ؟ قال : أكسوه ثياباً من الايمان يكسب بها الجنّة ويتّقي بها النار ،

(١) الجواهر السنية : ص٢١ .
(٢) الجواهر السنية : ص٢٢ .

قال : فما جزاء من سدّالأرملة ابتغاء وجهك؟ قال: اقيمه في ظلّي وادخله الجنّة[1] الحديث، رواها في مسكّن الفواد .

و في بعض الآثار : أنّ إبراهيم لمّا أخرجه نمرود عن ملكه ووصل إلى مصر وتعلّم منه العلماء وأولاد الأنبياء ، فلمّا خرج شايعوه مسافة طويلة ماشين في ركابه ، فلمّا ودعهم وفارقهم لم ينزل لتعظيمهم فابتلي بجعل ولد منه رقّاً وعبداً لترك تعظيم العلماء والحكماء . وقد أخرج الله تعالى نور النبوة من صلب يوسف وجعله في صلب أخيه «لاوي» لأنّه لم يترجّل لأبيه لمّا ترحّل له ، أو لم يقم له لمّا دخل عليه [2] وأخوه نهى إخوته عن قتله ، ولأنّه قال : «لن أبرح الأرض» الآية ، فكان أنبياءبني إسرائيل من ولده ثمّ ترك ترجّل يوسف كان لله لمصلحة الملك ، كما في بعض الأخبار ، ولكنّ الأولى الترجّل لنبيّ الله ، والله العالم .

تنبيه :

اعلم أنّ الأسباب والعلل الشرعيّتين يجامع بعضها بعضاً وليستا كالعقليّتين، فلاتنافي بين ما ذكر من أنّ علّة استرقاق ولد من ولدالخليل ما ذكر و بين ما سيجيء من قصّة يعقوب أنّه ابتلي بولده يوسف لترك إطعام السائل ، و ما روي أنّه للتفريق بين جارية و ولدها ولم يصل إلى يوسف حتّى و صلت الجارية إلى ابنها. مع أنّ المسبّبات هنا أيضاً مختلفة، فعلّة الاسترقاق ما مرّ ، وعلّة الابتلاء لكلّي ذلك البلاء الثاني ، وعلّة التفريق الثالث.

ثمّ ما ذكر هنا يمكن أنّه من ترك توقير الكبار أو ترحّم الصغار ، لأنّه سيجيء ـ إن شاءالله تعالى ـ أنّ الكبار والصغار يعمّ الاضافيّين والنفسيّين، فقد ترك توقير العلماء والكبراء والحكماء ولم يرحمهم وهم صغراء بالنسبة إليه ، والأول هو الظاهر ، بل الصريح هنا ، بل مطلق تعظيم المؤمن وتوقيره كذلك

(١) الجواهر السنية : ص٢٦ .

(٢) علل الشرايع : ص٥٥ وليس فى الحديث اسم أخيه « لاوى » .

فإنّ المؤمن عظيم عندالله سبحانه وتعالى، بل أعظم من القرآن كما في الآثار [١] ولاغرو فيه، فإنّه قرآن بمعان كثيرة، فلو كان جلد أو قرطاس أو شيء آخر نقش فيه نقوش ألفاظ القرآن له شرافة عظيمة معلومة، فالمؤمن الّذي انتقش في لوح صدره شيء من القرآن بل جملة مهمّة وانتقش عليه معاني ألفاظ تلك النقوش وعمل به أيضاً فهو قرآن بجميع تلك المعاني و بجمع لتلك المراتب، فهو أولى بذلك الاطلاق عند التحقيق وفي مقام الحقيقة و بذلك التعظيم والتوقير ثمّ أولى، كمالايخفى.

فتعظيم المؤمن من توقير الكبار وإن كان من أعظم منه ممّن رحم الصغار أيضاً [١]. ولاتنافي أيضاً، فإنّ أكثر تلك الموارد ممّا يجمع الأمرين و يجتمعان ـعلى ما حقّقناه ـ من دون تناف كما بيّنّاه، كما في سائر العلل والأسباب في الشرعيّات من الأحكام وغيرها.

وروى إبراهيم بن أبي زياد الكرخي عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث يذكر فيه قصّة إبراهيم، وأنّه لمّا خرج سائراً لجميع ما معه خرج ملك القبطي يمشي خلف إبراهيم إعظاماً له وهيبة، فأوحى الله تبارك و تعالى إلى إبراهيم أن قف ولاتمش قدام الجبّار المتسلّط ويمشي هو خلفك، ولكن اجعله أمامك وامش خلفه، وعظّمة وارهبه، فإنّه مسلّط ولابدّ من امرة في الأرض برة أو فاجرة [٣].

وروى الصدوق ـ رحمه الله ـ في محكيّ العلل مسنداً، عن الثمالي، عن عليّ ابن الحسين عليهما السلام أنّه قال لمولاة له يقال لها سكينة يوم جمعة: لا يعبر على بابي سائل إلّا أطعمتموه فإنّ اليوم يوم الجمعة، فقلت له: ليس كلّ من يأكل محقّاً [يسأل مستحقّاً] فقال: يا ثابت أخاف أن يكون بعض من يسألنا محقّاً فلا نطعمه،

(١) في البحار عن أبي‌عبدالله عليه‌السلام قال: «المؤمن أعظم حرمة من الكعبة» ولم نعثر على أنه «أعظم من القرآن» غص في البحار: ج٦٨ باب فضائل الشيعة لعلك تجد.
(٢) كذا في النسخة. (٣) الجواهر السنية: ص٢٢.

فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب عليه السلام و آله، أطعموهم أطعموهم، إنّ يعقوب كان يذبح كلّ يوم كبشاً فيتصدق منه ويأكل هو و عياله ، و إنّ سائلاً صواماً محقّاً له عند الله منزلة و كان غريباً مجتازاً عبر على باب يعقوب عشيّة جمعة عند أوان إفطاره يهتف على بابه : أطعموا السائل المجتاز الغريب الجائع من فضل طعامكم، يهتف بذلك على بابه مراراً وهم يسمعونه قد جهلوا حقّه ولم يصدقوا قوله، فلمّا يئس أن يطعموه و غشيه الليل استعبر واسترجع وشكا جوعه إلى الله عزّ وجلّ وبات طاوياً وأصبح صائماً جائعاً وصابراً حامداً لله عزّ وجلّ ، وبات يعقوب وآل يعقوب شباعاً بطاناً وأصبحوا وعندهم فضل من طعامهم، قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إلى يعقوب في صبيحة تلك الليلة : لقد أذللت يا يعقوب عبدي ذلّة استجررت بها غضبي واستوجبت بها أدبي ونزول عقوبتي عليك وعلى ولدك، يا يعقوب إنّ أحبّ أنبيائي إليّ وأكرمهم عليّ من رحم مساكين عبادي وقربهم إليه وأطعمهم وكان لهم مأوى و ملجأ ، يا يعقوب أما رحمت ذميال عبدي المجتهد في عبادته القانع باليسير من ظاهر الدنيا عشاء أمس لما اعترّ ببابك عند أوان إفطاره؟ وهتف بكم: أطعموا السائل المجتاز القانع ، فلم تطعموه شيئاً فاسترجع و استعبر و شكا ما به إليّ وبات طاوياً حامداً لي، وأنت يا يعقوب وولدك شباع وأصبحت عندكم فضلة من طعامكم، أو ما علمت يا يعقوب أنّ العقوبة والبلوى إلى أوليائي أسرع منهما إلى أعدائي ؟ و ذلك حسن النظر منّي لأوليائي و استدراج منّي لأعدائي ، أما وعزتي لانزلنّ بك بلوائي ولأجعلنّك وولدك غرضاً لمصائبي ولأؤدبنّك بعقوبتي، فاستعدوا لبلواي وارضوا بقضائي واصبروا للمصائب [1] الحديث.

قال في الجواهر السنيّة بعد ذكر الحديث الشريف: أقول: لاريب أنّ الذي صدر من يعقوب إنّما هو ترك الأولى ، أعني إطعام ذلك السائل ، و كذلك جميع ما يوهم صدور الذنب من المعصومين، فيجب تأويل «الغضب» بغايته هنا وهي منع

---

(١) علل الشرايع للصدوق : ص٤٥ مع تفاوت في بعض الالفاظ .

ثواب ذلك المندوب الّذي تركه يعقوب، و لو فعله لأثابه الله بصرف البلاء عنه. ويجب تأويل «العقوبة» بالبلوى وإن لم يتقدمها ذنب [1] انتهى.

أقول: قد أحسن في مقام الظاهر، وقد تقدم تحقيق ترك الأولى وأنّه وإن كان ترك مندوب، لكن ما فعله مندوب أيضاً، إلّا أن الأولى والأحبّ ماتركه، فالأولى إيثاره لا العكس، فلم يفعل مبغوضاً بل راجحاً استلزم مبغوضاً هو ترك الأحبّ. فبتلك الملاحظة ارتكب مبغوضاً هو ترك الأولى، لاأنّ المفعول مبغوض، بل هو خارج عن حقيقته، فلا يبتني ما ذكرناه على اجتماع الأحكام الشرعيّة من جهتين مطلقاً كما هو قول بعض المحقّقين، أو في غير الالزاميّين كما هو قول آخرين، إذهما فاسدان بيّنّاه في محلّه، بل هنا المفعول محبوب والمتروك أحبّ، وترك الأولى والعدول إلى المفضول لا يحبّه الله سبحانه و تعالى.

ثمّ إنّ إطلاق الذنب والعصيان على ترك الأولى من المعصومين الّذين طهّرهم الله سبحانه وغمرهم في نعمه وأغرقهم في بحار لطفه و كرمه إطلاق حقيقي في مقام الحقيقة، و كذلك العقوبة والغضب و نحوهما، و كذلك توبتهم مسبوق بذنبهم، و إن لم يكن ذنبهم ذنباً ظاهريّاً بل طاعة فاضلة لو فعلها غيرهم، بل وهم أيضاً أتوا بعبادة لكنّها عبادة مفضولة، كما تقدم. ومن لاحظ حال المقربين من عبيد السلاطين والموالي واختلافهما مع حال باقي العبيد باختلافهم ودرجاتهم وأخذهم كلّاً بحسب معرفتهم بحال السلطان و كثرة إنعامه و إفضاله إليه وقلّتها وتقريبه إليه وعدمه وغير ذلك يجدها هو الحقيقة في المقام، فعصيان الوزير شيء والوالي شيء وهكذا. مع أنّه لو فعل كرديّ أو بدويّ من الرعيّة مافعله الوزير لكان نهاية أدب منه بل و إن كان ما فعله الوزير من مصالح ملك السلطان و خدمته له إلّا أنّه استلزم ترك الأصلح.

---

(١) الجواهر السنية: ص٢٧.

وبالجملة: الأمر واضح وطريق فهم ذلك التدبّر فيما ذكر والمقايسة ليظهر ذلك الأمر الواضح ويجعل الطالب ممّن فاز بوجدانه.

ثمّ إسراع نزول البلاء بالأولياء إنّما هو لكثرة رحمة الله تعالى ومزيد لطفه عليهم بحسب مراتبهم، كما هو نصّ الحديث الشريف ونظيره في السياسات العرفيّة ظاهر، فإنّ الانسان يؤدّب أعزّ أهله بالآداب أكثر من غيره، وكذلك السلاطين وخدمه، فالأقرب أشدّ خطراً وأعظم أجراً وأسرع تأديباً. وهذا سرّ سرعة البلاء على المقربين، إذ لا يخذلهم مولاهم بالاستدراج ليشتدّ العصيان ودائموا على الطغيان ويستحقّوا الحرمان من فيض خدمتهم والاخراج من زمرة خدمه، بخلاف غيرهم فينساهم ويخذلهم ولا يبالي بأيّ واد هلك. وينصّ على ذلك قوله تعالى: «وذلك حسن النظر منّي لأوليائي واستدراج منّي لأعدائي» فتدبّر تدرب وتفهم.

ثمّ ما ذكرناه من إيجاب ما ذكر لسرعة نزول البلاء والعقوبة على المقربين لا يستلزم انحصار السبب فيه، بل قد ينزل البلاء عليهم من دون ترك الأولى وغيره اختياراً ليجازي بأعظم الثواب وليقربه ويدنيه عنده، فإنزال البلاء على المعصومين قد يكون عقوبة لتركهم الأولى وقد يكون إحساناً ابتدائياً لرفع الدرجة وحصول زيادة في الرتبة. ونظير الأمرين موجود أيضاً في السلاطين والخدم والرعيّة، فيختبرون عبيدهم وخدمهم لانكشاف حقيقة الأمر أو لاظهار حالهم على الغير وان كانوا عالمين بحقيقة أحوالهم. وابتلاء الله سبحانه كلّها من الثاني. فابتلاؤه إبلاء واستخباره إخبار.

ثمّ يدلّ الحديث الشريف على حسن الاحتياط وعلى تصديق مدعي الفقر.

ثمّ سبب البلاء عمّ يعقوب وولده، لكنّه تعالى خصّ بالبلاء يعقوب ويوسف عليهما السلام من بينهم وترك سائر ولده لما مرّ، أو أنّه تعالى عمّ الجميع بذلك، كما هو الواقع ويصرح به آخر الحديث في مواضع. إلّا أنّ بلاءهما أشدّ لمزيد قربهم أو ولائهم أو كثرة نعم الله عليهما، وعلى سائر ولده وأهل بيته أقلّ لانحطاط

درجتهم ، فابتلوا بحسب استعدادهم وقابليّتهم ، فابتلوا بالكذب والعصيان لله تعالى وبأذيّة اثنين من أنبياء الله وبالخذلان ففعلوا أنواع العصيان ، وبالمجاعة والاستخفاف في مصر وغير ذلك . وأمّا هما عليهما السلام فابتليا بأنواع من جليل البلاء ، كما لا يخفى .

ثمّ ترك الأولى في هذه القضيّة كان عظيماً جداً لاتّصاف السائل بصفات حسنة كثيرة معدودة في الحديث الشريف مع تكرار السؤال وكثرة الطعام فأصبحوا وعندهم فضل من الطعام ، فلم يكن مقام إيثار بل مقام المواساة .

وتأمّل في ذلك وفيما صدر من النبيّين عليهما السلام وفيما وقع من أمير المؤمنين عليه السلام والزهراء عليها السلام والحسنين عليهما السلام وجاريتهما فضّة من الايثار وإطعام المسكين واليتيم والأسير مع جوعهم واشتداد حاجتهم إلى الطعام وقلّته ، تجد ما بينهم من التفاوت والفضل، وفيما قاله السجّاد عليه السلام فتجد من هذا أشياء .

و أيضاً يدلّ الحديث الشريف على فضل يوم الجمعة و ليلتها و أفضليّة القربات فيهما وفي سائر الأوقات الشريفة والأمكنة والأحوال وأعظميّة السيئّات والمعاصي وترك الأولى فيها. ومن ذلك شهر رمضان ، فلذا بالغ النبيّ صلى الله عليه وآله في ذكر هذه الأشياء فيه وخصّها بالذكر فيه، فأكثر ما ذكره لا يختصّ بشهر رمضان - كقراءة القرآن والصلاة عليه ونحوهما - لكن له خصوصيّة وهي فيها موجب نهاية القرب والزلفى و تركها للشقاوة و الحرمان من السعادات .

وتأمّل أيضاً في الحديث الشريف وأنّ أحبّ الأنبياء وأكرمهم من هو كذا في حال النبيّ صلى الله عليه وآله وآله من رحمهم للمساكين وقربهم إليهم وإطعامهم و كونهم ملجأً ومأوىً لهم ولليتامى والأرامل وصدقاتهم في الليالي المظلمة والممطرة وغير ذلك تصل إلى الحقيقة وإلى فضل قضاء الحوائج وسائر أنواع الترحّم والتعطّف وسيجيء تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى .

وعن الكليني - رحمه الله - أنّه روى مسنداً عن الكابلي، قال :سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إنّ يعقوب لمّا ذهب منه بنيامين نادى ياربّ أما ترحمني ؟ أذهبت

عيني وأذهبت ابني! فأوحى الله تبارك وتعالى إليه لو أمتّهما لأحييتهما لك حتّى أجمع بينك وبينهما، ولكن تذكر الشاة الّتي ذبحتها وشويتها وأكلتها وفلان إلى جانبك صائم لم تنله منها شيئاً. وعنه أنّه قال في رواية اخرى: فكان يعقوب عليه السلام ينادي مناديه كلّ غداة من منزله على فرسخ: ألا من أراد الغذاء فليأت إلى يعقوب، وإذا أمسى نادى ألا من أراد العشاء فليأت إلى يعقوب (١).

أقول: انظر إلى سعة رحمة الله وإلى أنّه كيف يرحم عباده ويؤدبهم ويكملهم ويقربهم إليه تعالى؟ والحمد لله ربّ العالمين.

ومن جملة ابتلاء الله تعالى ليعقوب تلقين الكذب الّذي هو بمنزلة الكذب بقوله: «وأخاف أن يأكله الذئب» فعن المجمع عن النبي صلى الله عليه وآله لا تلقّنوا الكذب فتكذبوا، فإنّ بني يعقوب لم يعلموا أنّ الذئب يأكل الانسان حتّى لقّنهم أبوهم وصدرت من بنيه كذبات ثلاثة «قالوا يا أبانا إنّا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب» بل ورابع بقولهم: «وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين» فادعوا صدقهم، بل وخامس لأنّهم جاؤوا على قميصه بدم كذب وقالوا: إنّه دم يوسف بل وسادس هو إخبارهم للسيّارة بأنّه عبدنا، وسابع هو نسبة السرقة إلى يوسف بقولهم: «إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل»، وثامن هو إخبارهم بأنّ الذئب قد أكل يوسف عند يوسف حيث سألهم عن أخيهم من أب (٢).

وروي في محكيّ الكافي عن الصادق عليه السلام أنّه لمّا قدم على يوسف الشيخ يعقوب دخله عزّ الملك فلم ينزل إليه، فهبط عليه جبرئيل، فقال: يا يوسف ابسط راحتك، فخرج منها نور ساطع فصار في جوّ السماء، فسأل جبرئيل ماهذا النور الساطع الّذي خرج من راحتي؟ فقال: نزعت النبوة من عقبك عقوبة لما لم تنزل إلى الشيخ يعقوب، فلا يكون في عقبك نبيّ (٣).

---

(١) الكافي: ج٢ ص٤٨٩ ح٥٩٤.
(٢) مجمع البيان: ج٥-٦ ص٢١٦.
(٣) الكافي: ج٢ ص٢٣٥ ح١٥.

وقريب منها عن العلل[1] .

و روى عليّ بن إبراهيم في تفسيره أنّه لمّا دخل عليه أبوه لم يقم له ، فأخرج جبرئيل نور النبوة من بين أصابعه و محاها من صلبه و جعلها في ولد «لاوي» أخيه ، لأنّه نهى إخوته عن قتله و لأنّه قال : « لن أبرح الأرض » الآية فشكر الله لهذلك وكان أنبياء بني إسرائيل من ولده[2] .

واعلم أنّ من الكبار ـ اللازم توقيرهم ـ المحبّون لله سبحانه وتعالى والعلماء والصلحاء ، كما سيجيء إن شاء الله تعالى .

روى الصدوق في محكيّ العلل مسنداً عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ: بكى شعيب من حبّ الله عزّ وجلّ حتّى عمي فردّ الله عليه بصره ، ثمّ بكى حتّى عمي فردّ الله عليه بصره، ثمّ بكى حتّى عمي فردّ الله عليه بصره، فلمّا كانت الرابعة أوحى الله عزّ وجلّ إليه : إلى متى يكون هذا أبداً منك ؟ إن يكن هذا خوفاً منك من النار فقد أجرتك ، وإن يكن شوقاً إلى الجنّة فقد أبحتك ، فقال : إلهي وسيّدي أنت تعلم أنّي ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً إلى جنّتك ولكن عقد حبّك على قلبي فلست اصبر أو أراك ، فأوحى الله جلّ جلاله إليه : أنّه إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا ساخدمك كليمي[3] .

وفي القدسيّات الموسويّة : يا موسى ارحم من هو أسفل منك[4] .

و فيها أيضاً : في رواية إبراهيم بن محمّد الهمداني ، قال : قلت لأبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام : لأنّي علّة غرق الله فرعون و قد آمن به ؟ قال : لأنّه آمن عند رؤية البأس و هو غير مقبول ـ إلى أن قال ـ : و لعلّة اخرى

---

(١) علل الشرايع للصدوق : ص٥٥ .

(٢) تفسير على بن ابراهيم : ج١ ص٣٥٦ مع اختلاف فى العبارة .

(٣) علل الشرائع للصدوق : ص٥٧ .

(٤) الجواهر السنية : ص٣٥ .

غرق الله فرعون ، وهي أنّه استغاث بموسى حين أدركه الغرق ولم يستغث بالله، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى: ياموسى إنّك ما أغثت فرعون لأنّك لم تخلقه ولو استغاث بي لأغثته[١].

وفيها أيضاً : فيما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا كلّم الله موسى وأنزل عليه الألواح رجع إلى بني إسرائيل، فصعد المنبر فأخبرهم أنّ الله كلّمه وأنزل عليه التوراة ، ثمّ قال في نفسه: ما خلق الله خلقاً أعلم منّي، فأوحى الله إلى جبرئيل: أدرك موسى فقد هلك، وأعلمه أنّ عند ملتقى البحرين عند الصخرة الكبيرة رجلاً أعلم منك ، فصر إليه وتعلّم من علمه ، فنزل جبرئيل على موسى ، فأخبره بذلك[٢] الحديث .

وفيها أيضاً : قال الله عزّ وجلّ لموسى : يا موسى أتدري ما بلغت من رحمتي إيّاك ؟ فقال موسى : أنت أرحم بي من امّي ، قال الله عزّ وجلّ: يا موسى إنّما رحمتك امّك لفضل رحمتي، أنا الذي رققتها عليك وطيّبت قلبها لتترك طيب وسنها لتربيتك ، ولو لم أفعل ذلك بها إذاً لكانت و سائر النساء سواء . يا موسى أتدري أنّ عبداً من عبادي تكون له ذنوب وخطايا حتّى تبلغ أعنان السماء فأغفرها له ولا ابالي ،قال: يارب كيف لا تبالي ؟ قال: لخصلة شريفة تكون في عبدي احبّها لحبّ الفقراء المؤمنين يتعاهدهم و يساوي نفسه بهم ولا يتكبّر عليهم ، فإذا فعل ذلك غفرت له ذنوبه و لا ابالي . يا موسى إنّ الفخر ردائي و الكبرياء إزاري من نازعني في شيء منهما عذبته بناري . يا موسى إنّ من إعظام جلالي إكرام العبد الذي أنلته حظّاً من الدنيا عبداً من عبادي مؤمناً قصرت يده في الدنيا ، فإن تكبّر عليه فقد استخفّ بجلالي[٣] .

وفيها عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال موسى: يارب أيّ الأعمال أفضل عندك ؟

---

(١) الجواهر السنية : ص٦٤ .

(٢) و(٣) الجواهر السنية : ص٦٨ و ٦٩ .

قال : حبّ الأطفال ، فإنّي فطرتهم على توحيدي فإن أمتّهم أدخلتهم برحمتي جنّتي [١] .

أقول : ويستفاد من التعليل أنّ حبّ الموحّدين أفضل وأفضل. ثمّ يستفاد دخول الأطفال مطلقاً الجنّة، فيلحق أطفال المؤمنين بآبائهم ويكون أطفال الكفّار خدماً لأهل [٢] ولداناً مخلّدون فيها ، فكما أنّهم تبع لآبائهم في الدنيا في الأحكام فهم تبع للمؤمنين في الآخرة يدخلون الجنّة لا بالأصالة بل بتبعيّة المؤمنين ليخدمونهم . وفي بعض الأخبار تتميم الحجّة عليهم في الآخرة والتكليف بدخول النار، فمن أطاع يكون عليه برداً وسلاماً ويعلم أنّه من المطيعين، ومن أبى واستكبر يعلم أنّه من العاصين، فيكون لهم حكم بالأصالة. ويمكن الجمع بوجود القسمين وتحقّق الأمرين يفعل الله ما يشاء ولا يسئل عمّا يفعل ، والله العالم .

وفيها : أنّ الله سبحانه حين أرسل موسى إلى فرعون فقال له : توعّده وأخبره أنّي إلى العفو والمغفرة أسرع منّي إلى الغضب والعقوبة [٣] .

وفيها : أنّه لمّا بعث الله موسى وهارون إلى فرعون قال لهما: لا يروعكما لباسه فإنّ ناصيته بيدي، ولا يعجبنّكما ما متّع به من زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت زيّنتكما بزينة يعرف فرعون حين يراها أنّ مقداره يعجز عنها، ولكنّي أرغب بكما عن ذلك فأزوي الدنيا عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي لازودهم عن نعيمها كما يزود الراعي غنمه عن موارد الهلكة ، وإنّي لا جنّبهم سلوكها كما يجنّب الراعي الشفيق غنمه عن موارد الغرة وما ذلك لهوانهم عليّ ولكن ليستكملوا نصيبهم سالماً موفّراً [٤] الحديث .

واعلم أنّي أرى أنّ ترك الاستقصاء في هذا المقام أنسب وأولى ، إذ يطول

(١) الجواهر السنية : ص٧١ .

(٢) كذا ، والظاهر سقوط كلمة « الجنة » .

(٣) و(٤) الجواهر السنية: ص٧٢ و ٧٣ .

به زمام الكلام ولا يسع لذلك الدفاتر و لايحيط به الأقلام ويشغل عن سائر المهام، ولكن تأمّل وتدبّر فيما ورد من أمر الله سبحانه وتعالى جميع الأنبياء بالرعي للأغنام ليستكملوا ويستحلموا و يصلحوا لسياسة العباد ، حتّى أنّ موسى عليه‌السلام انهزمت شاة من قطيعة غنم كان يرعاه فأتعبته كثيراً حتّى ظفر بها لأنّه كان في يوم حار، فلمّا أخذها ركبها على ظهره و ألطف بها فافيضت عليه النبوة حينئذ . وبيالي أنّه نظر يوماً إلى رجل من أصحابه ورقّ له ورحمه فرحمهما الله .وهذا واضح ، لأنّه إذا رحم عبد ضعيف من هو مثله فالله أرحم الراحمين أولى بذلك ، إذ ليس دون خلقه الضعيف . و كذا إذا رحم العبد الضعيف فالله يرحمه البتّة ، و من رحم يرحمه الله .

ولمّا استغاث قارون لموسى و سأله بالرحم عند إهلاكه و لم يغثه بل ردّ عليه بقوله : « يا بن لا وي لا تزدني من كلامك ، يا أرض خذيه » فعيّره الله عزّ وجلّ بما قاله لقارون ، فعلم موسى أنّ الله تبارك وتعالى قد عيّره بذلك ، فقال: يارب إنّ قارون دعاني بغيرك ولودعاني بك لأجبته، فقال الله عزّ وجلّ: «يا ابن لا وي لاتزدني من كلامك» فقال موسى : يارب لو علمت أنّ ذلك لك رضاً لأجبته، فقال الله: يا موسى وعزتي وجلالي وجودي ومجدي و علوّ مكاني لو أنّ قارون كما دعاك دعاني لأجبته ، ولكنّه لمّا دعاك وكلته إليك [1] .

ولما رقّ قارون وجزع على هلاك موسى وهارون و كلثوم اختهما حيث سأل يونس في بطن الحوت عنهم فأخبره بموتهم رفع الله تعالى عنه عذاب أيّام الدنيا للرقّة على قرابته [2] .

ولقدجادل إبراهيم في قوم لوط ، فمدحه الله تعالى بذلك ، وعاتب يونس بالعجلة في الدعاء على قومه وأدّبه وعاتبه .

---

(١) بحار الانوار: ج١٣ص٢٥١ .
(٢) بحار الانوار: ج١٣ص٢٥٣ .

وإن شئت من تبع في ذلك لرضا ربّ العالمين فعليك بالنبيّ الاُمّي الرحمة للعالمين وآله الطيّبين الطاهرين، فمع شدة أذيّة قومه له لم يزد على قوله صلى الله عليه وآله: «اللّهم اهد قومي فإنّهم لايعلمون» وكذا آمن به جمع من اليهود وأهل الكتاب لحسن خلقه لما رأوه من صفته في التوراة ، بل من تأمّل وجد أنّه أقام عمود الاسلام من حسن خلقه واستقام التشيّع من حسن خلق أوصيائه صلوات الله عليه وعليهم أجمعين فصارت أعداؤهم أحبّاءهم بحلمهم ومداراتهم وكفّ غضبهم عليهم السلام عنهم عند سبّهم وشتمهم ، ولم يزد سيّدنا الشهيد المظلوم أبوعبدالله الحسين عليه السلام بقوله : «لاحول ولاقوة إلّا بالله العليّ العظيم» في واقعة الطفّ ، وألطف جنود الكفر وعسكر الضلالة بأنواع الملاطفة ورحمهم تمام الرحمة بإشرابهم الماء بيده الشريفة وذكر النسب الشريف لهم والاتيان بطفله الرضيع وبرائته من الذنوب في كلّ مذهب وذكره لهم أنّه يريد هدايتهم ولم يحلّل حراماً ولم يحرم حلالاً. وغير ذلك، فلم ينفعهم.

ثمّ النظر في صنيعة أوليائهم وأصحابهم وأتباعهم ، مثل سلمان وأبي ذرّ والأشتر ويونس بن عبدالرحمن وعبدالله بن جندب وغيرهم ، وفيما صدر عنهم من الترحّمات والتعطّفات على عبادالله سبحانه وتعالى ومتابعة ربّهم تعالى وتقدس وساداتهم صلوات الله عليهم أجمعين في ذلك . وسيجيء جملة من ذلك عن قريب إن شاء الرحمن . وفّقنا الله سبحانه للسلوك في مسالك نبيّ الرحمة للعالمين والأئمّة الراشدين وأولياء الله المقربين بحقّهم آمين آمين آمين يا ربّ العالمين ، والحمد لله ربّ العالمين .

ختام :

اعلم أنّ للتوقير أقساماً وله أصناف ، وكذا الترحّم والتعطّف ، وكذا الصغار والكبار. فالصغر والكبر قد يكونان إضافيّين، وقد يكونان نفسيّين، والمراد هنا القسمان ، كما تقدمت الاشارة إلى ذلك . فالخطّان مثلاً قد يكونان حسنين وأحدهما أحسن ، وكذا الاشتهار والأشهريّة ، وكذا حسن الوجه في الانسان

وغيره . فالأطفال صغار مطلقاً و بينهم أصغر وأكبر .

والوضيع والشريف صنفان في الناس نفسيّان ، و يجب إكرام شريف القوم و توقيرهم ولو على من هوأشرف منه وأكرم، فإكرام الأشرف للشريف توقيرله بملاحظةوترحيم له من جهة، وترحيم الأطفال الصغار ترحيم من كلّ أحد، وتعظيم النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام من التوقير من كلّ أحد، لأنّهم أشرف وأكبر من كلّ أحد، و تعظيم الأعلم العالم توقير له و ترحيم ، و توقير العالم للأعلم توقير له ، و هكذا .

ثمّ المؤمن مطلقاً عظيم عندالله سبحانه و تعالى ، يجب تعظيمه بماجرت العادة به والشفقة عليه وترحيمه ممّن هوأعظم منه من قيام له وغيره، للعمومات ومنها هذه الخطبة الشريفة ، وللأخبار الخاصّة في المواضع المخصوصة بالتعظيمات الخاصّة.

قال الشهيد ـ رحمه‌الله ـ في القواعد : يجوز تعظيم المؤمن بماجرت به عادة الزمان وإن لم يكن منقولاً عن السلف ، لدلالة العمومات عليه ، قال الله تعالى : «ذلك ومن يعظّم شعائر الله فإنّها من تقوى القلوب»(١) وقال تعالى: « ذلك ومن يعظّم حرمات الله فهو خير له عند ربّه»(٢) ولقول النبي صلى الله عليه وآله: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا و كونوا عباد الله إخواناً» فعلى هذا يجوز القيام والتعظيم بانحناء وشبهه ، وربما وجب إذا أدى تركه إلى التباغض والتقاطع أو إهانة المؤمن وقد صحّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قام إلى فاطمة الزهراء عليها السلام وقام إلى جعفر عليه السلام لمّا قدم من الحبشة و قال للأنصار : قوموا إلى سيّدكم ، و نقل أنّه صلى الله عليه وآله قام لعكرمة بن أبي جهل لمّا قدم من اليمن فرحاً بقدومه .

فإن قلت : قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من أحبّ أن يتمثّل له النساء و الرجال قياماً فليتبوّأ مقعده من النار» ونقل أنّه صلى الله عليه وآله كان يكره أن يقام له ، فكان إذا قدم لايقومون له لعلمهم كراهته ذلك ، فإذا فارقهم قاموا حتّى يدخل

---

(١) و(٢) الحج : ٣٢ و٣٠ .

منزلة ، لما يلزمهم من تعظيمه .

قلت : تمثّل الرجال قياماً هو ما يصنعه الجبابرة من إلزامهم الناس بالقيام في حال قعودهم إلى أن ينقضي مجلسهم ، لا هذا القيام المخصوص القصير زمانه ، سلّمنا لكن يحمل على من أراد ذلك تجبّراً وعلواً على الناس فيؤاخذ من لا يقوم له بالعقوبة ، أمّا من يريده لدفع الاهانة عنه والنقيصة به فلا حرج عليه ، لأنّ دفع الضرر عن النفس واجب . وأمّا كراهيّته ﷺ فتواضع لله وتخفيف على أصحابه.

وكذا نقول : ينبغي للمؤمن أن لا يحبّ ذلك، وأن يواخذ نفسه بمحبّته بتركه إذا مالت إليه ، ولأنّ الصحابة كانوا يقومون ـ كما في الحديث ـ ويبعد عدم علمه بهم ، مع أنّ فعلهم يدلّ على تسويغ ذلك .

وأمّا المصافحة فثابتة من السنّة ، وكذا تقبيل موضع السجود . وأمّا تقبيل اليد فقد ورد أيضاً في الخبر عن رسول الله « إذا تلاقى الرجلان فتصافحا تحاطت ذنوبهما وكان أقربهما إلى الله أكثرهما بشراً » وفي الكافي للكليني في هذه المقامات أخبار متكثّرة . وأمّا المعانقة : فجائزة أيضاً ، لما ثبت من معانقة النبيّ ﷺ جعفراً ، واختصاصه به غير معلوم . وفي الحديث أنّه قبّل بين عيني جعفر مع المعانقة . وأمّا تقبيل المحارم على الوجه: فجائز مالم يكن لريبة او تلذّذ.[1] انتهى كلامه أعلى الله تعالى في الخلد مقامه .

إذا عرفت هذا ، فاعلم أنّك إذا تأمّلت وجدت رجوع سائر الأخلاق الحسنة والصنائع الممدوحة أو اكثرها إلى التوقير للكبار والترحيم للصغار . وربما يضاف إليهما جهات اخرى مجتمعة معهما ومقترنة بهما أو مؤكّده لهما ، وربما يعتريهما ما يعارضهما . مثل التحنّن على أيتام الناس فرحمة وزيادة ، وكفّ الأذى عنهم ، والتخفيف عن المماليك . والمعارض مثل عروض كفر أو فسق وتكبّر ومنع زكاة ونحو ذلك ممّا يوجب المصاغرة، مع أنّها يمكن إدخالها تحت الرحمة ، فمصاغرة الكفّار وأرباب المعاصي وهجرانهم المترحّم كي يرجعوا إلى الحقّ . فيمكن

(١) القواعد والفوائد للشهيد : ج٢ص١٥٩ .

التوقير لو كانوا مسلمين، فلمّا لم يؤمنوا حلّ ترك توقيرهم لكن... بدله من الرحمة لكونهم صغاراً، ويمكن سقوط الأمرين حينئذٍ. وربما حلّ بعض أقسام التوقير لبعض أقسام الكفّار، فلا يترجّح جهة الكفر على التوقير، بل يترجّح عليها.

وعلى هذا فسائر الفقرات الآتية إمّا من ذكر الخاصّ بعد العامّ للاهتمام أو من قبيل جهة زائدة مجامعة مثل التحنّن على أيتام الناس وكفّ الأذى عنهم.

وكيف كان: فمن توقير الكبار إجلال الأنبياء والأوصياء وأئمّة الهدى والعلماء والصلحاء والمؤمنين والمعلّمين وشرائف القوم. ولنذكر بعض الأخبار المبيّنة لهذه الأحكام ولأصل حكم المرام.

روى الكليني ـ رحمه الله ـ في الكافي (في باب حقّ المؤمن على أخيه وأداء حقّه) عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن العلاء ابن الفضيل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: عظّموا أصحابكم ووقّروهم، ولا يتجهّم بعضكم بعضاً، ولا تضاروا ولا تحاسدوا، وإيّاكم والبخل، كونوا عباد الله المخلصين[1].

وروى في الباب عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن أبي المغرا، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه، ويحقّ على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاقد [التعاون] على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض، حتّى تكونوا كما أمركم الله عزّ وجلّ رحماء بينكم، متراحمين مغتمّين لما غاب عنكم من أمرهم، على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله[2].

وروى (في باب التراحم والتعاطف) عن عدة، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن الحسن ابن محبوب، عن شعيب العقرقوفي، قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول لأصحابه:

---

(١) و(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٣٩ ح ١٢ و١٥.

اتّقوا الله وكونوا إخوة بررة، متحابّين في الله متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه[١].

و في الباب بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: تواصلوا وتباروا وتراحموا وكونوا إخوة بررة كما أمركم الله عزّ وجلّ[٢].

وفي الباب بسنده عنه، يقول: تواصلوا وتباروا وتراحموا وتعاطفوا[٣].

وفي الباب عنه، قال: يحقّ على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف و المواساة لأهل الحاجة و تعاطف بعضهم على بعض، حتّى تكونوا كما أمركم الله عزّ وجلّ «رحماء بينهم» متراحمين مغتمّين لما غاب عنكم من أمرهم، على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٤].

وروى (في باب إجلال الكبير) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم[٥].

وروى في الباب عنه أيضاً: ليس منّا من لم يوقّر كبيرنا ويرحم صغيرنا[٦]

وروى في الباب عنه أيضاً: عظّموا كباركم وصلوا أرحامكم وليس تصلونهم بشيء أفضل من كفّ الأذى عنهم[٧].

و روى (في باب البرّ بالوالدين) مسنداً عن معمّر بن خلّاد، قال: قلت لأبي الحسن الرضا: أدعو لوالديّ إذا كانا لا يعرفان الحقّ؟ قال: ادع لهما و تصدّق عنهما، وإن كانا حيّين لا يعرفان الحقّ فدارهما، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق[٨].

وفي وصيّة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ـ عند وفاته إلى ابنه الحسن عليه السلام

---

(١) و(٢) و(٣) الكافي: ج٢ ص١٤٠ ح١و٢و٣.

(٤) الكافي: ج٢ ص١٤٠ ح٤.

(٥) و(٦) و(٧) الكافي: ج٢ ص١٣٢ ح١و٢و٣.

(٨) الكافي: ج٢ ص ١٢٧ ح ٨.

و ارحم من أهلك الصغير ووقّر منهم الكبير [۱] .

و فيه صراحة بعدم انحصارهما في الاضافيّين .

و بالجملة : الترحّم على النفس و على البدن و أجزائه صغارها و كبارها بأنواع الترحّم و أفرادها ممّا يوجب النجاة في الدنيا والآخرة ، وإعطاء كلّ جزء جزء حقّه في الدارين و التوقّي عن الهلاك فيهما، و كذا الترحّم على الغير من ملك و إنسان و جنّ و سائر أفراد الحيوانات و النباتات والجمادات و ما في السماوات والأرضين والبحار هو المناط ، وإلى ذلك ترجع جميع الخيرات ويجتمع عنده فعل الحسنات وترك السّيئات ومسالك المعاش والمعاد ، كما لا يخفى على من وفّق للتدبّر والنظر ، وربّما تجتمع الجهات و تتضاعف وتتعارض و تستزيد وتتناقص ، والله وليّ الخيرات .

قوله صلى الله عليه وآله : «وصلوا أرحامكم » .

أقول : هذا من أفراد تلك الجملة المذكورة ، فممّا يوجب مزيد الرحمة الرحميّة ، فلذا خصّت بالذكر بعد تلك الجملة .

قال الشارح البهائي ـ رحمه الله ـ : قصّر بعض العلماء « الرحم » على من يحرم نكاحه ، والظاهر أنّه كلّ من عرف بنسبه وإن بعد. ويؤيّده مارواه عليّ ابن إبراهيم في تفسير قوله تعالى : « فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم» [۲] أنّها نزلت في بني اميّة وما صدر منهم بالنسبة إلى أئمّة أهل البيت . و الظاهر حصول الصلة بأقلّ ما يسمّى برّاً و إحساناً . وعن النبيّ صلى الله عليه وآله : صلوا أرحامكم ولو بالسلام [۳] انتهى.

وقال الشهيد ـ رحمه الله ـ في القواعد : كلّ رحم يوصل ، للكتاب والسنّة

---

(۱) بحارالانوار : ج ۷۸ ص ۹۹.

(۲) محمد: ۲۳.

(۳) الاربعين للشيخ البهائي : ص۸۸ .

والاجماع على الترغيب في صلة الأرحام. و الكلام فيها في مواضع :

الاول : ما الرحم ؟ والظاهر أنّه المعروف بنسبه وإن بعُد وإن كان بعضه آكد من بعض ذكراً كان أو انثى . وقصّره بعض العامّة على المحارم الّذين يحرم التناكح بينهم إن كانوا ذكوراً واناثاً، وإن كانوا من قبيل يقدّر أحدهما ذكراً والآخر انثى ، فإن حرم التناكح فهم الرحم . و احتجّ بأنّ تحريم الاختين إنّما كان لما يتضمّن من قطيعة الرحم ، و كذا تحريم اتّخاذ الجمع بين العمّة والخالة وابنة الأخ والاخت مع عدم الرضا عندنا ومطلقاً عندهم. و هذا بالاعراض عنه حقيق ، فإنّ الوضع اللغوي يقتضي ماقلناه، والعرف أيضاً، والأخبار دلّت عليه و فيها تباعد بآباء كثيرة . و قوله تعالى : « فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم» وعن عليّ عليه السلام أنّها نزلت في بني اميّة ،أورده علي ابن إبراهيم في تفسيره، وهو يدلّ على تسمية القرابة المتباعدة رحماً .

الثاني : ما الصلة الّتي يخرج بها عن القطيعة ؟ والجواب : المرجع في ذلك إلى العرف ، لأنّه ليس له حقيقة شرعيّة ولا لغويّة وهو يختلف باختلاف العادات وبُعد المنازل وقربها .

الثالث : بما الصلة ؟ فالجواب: قال صلى الله عليه وآله : «صلوا [1] أرحامكم ولو بالسلام» وفيه تنبيه على أنّ السلام صلة ، ولاريب أنّه مع فقر بعض الأرحام وهم العمودان تجب الصلة بالمال ويستحبّ لباقي الأقارب ويتأكّد في الوارث وهو قدر النفقة، ومع الغنى فبالهدية في الأحيان بنفسه أو رسوله .

وأعظم الصلة ما كان بالنفس و فيه أخبار كثيرة ، ثمّ بدفع الضرر عنها ، ثمّ بجلب النفع إليها ، ثمّ بصلة من يحبّ وإن لم يكن رحماً للواصل كزوجة الأب والأخ ومولاه . وأدناها السلام بنفسه، ثمّ برسوله، والدعاء بظهر الغيب، و والثناء في المحضر .

---

(١) في المصدر : بلوا أرحامكم .

الرابع : هل الصلة واجبة أو مستحبّة ؟ والجواب: أنّها تنقسم إلى الواجب وهو ما يخرج به عن القطيعة ، فإنّ قطيعة الرحم معصية ، بل قيل هي من الكبائر والمستحبّ مازاد على ذلك .

وتظافرت الأخبار بأنّ صلة الأرحام تزيد في العمر ، فاشكل هذا على كثير من الناس باعتبار أنّ المقدرات في الأزل و المكتوبات في اللوح المحفوظ لاتتغيّر بالزيادة والنقصان، لاستحالة خلاف معلوم الله تعالى، وقد سبق العلم بوجود كلّ ممكن أراد وجوده وبعدم كلّ ممكن أراد بقاءه على حالة العدم الأصلي أو إعدامه بعد إيجاده ، فكيف يمكن الحكم بزيادة العمر أو نقصانه بسبب من الأسباب ؟

واضطربوا في الجواب ، فتارةً يقولون : هذا على سبيل الترغيب ، وتارةً المراد به الثناء الجميل بعد الموت . وقد قال الشاعر أبو الطيب المتنبّي :

ذكر الفتى عمره الثاني و حاجته ماقاته و فضول العيش اشغال

وقال :

ماتوا فعاشوا بحسن الذكر بعدهم ونحن في صورة الأحياء أموات

وقيل : بل المراد زيادة البركة في الأجل، أمّا في نفس الأجل فلا .

وهذا الاشكال ليس بشيء ، أمّا أولاً : فلوروده في كلّ ترغيب مذكور في القرآن والسنّة حتّى الوعد بالجنّة والنعيم على الايمان ولجواز الصراط والحور والولدان ، و كذلك التوعّدات بالنيران و كيفيّة العذاب ، لأنّا نقول : إنّ الله تعالى علم ارتباط الأسباب بالمسبّبات في الأزل و كتبه في اللوح المحفوظ ، فمن علمه مؤمناً فهو مؤمن أقرّ بالايمان أو لا، بعث إليه نبيّ أو لا ، ومن علمه كافراً فهو كافر على التقديرات . و هذا لازم يبطل الحكمة في بعثة الأنبياء والأوامر الشرعيّة والمناهي ومتعلّقاتها و في ذلك هدم الأديان .

والجواب عن الجميع واحد ، وهو أنّ الله تعالى كما علم كمّيّة العمر علم ارتباطه بسببه المخصوص ، و كما علم من زيد دخول الجنّة جعله مرتبطاً بأسبابه المخصوصة : من إيجاده ، و خلق العقل له ، و بعث الأنبياء، و نصب الألطاف ، و حسن الاختيار ، و العمل بموجب الشرع . فالواجب على كلّ مكلّف الاتيان بما امر فيه ولايتّكل على العلم ، فإنّه مهما صدر منه فهو المعلوم بعينه . فإذا قال الصادق : إنّ زيداً إذا وصل رحمه زاد الله في عمره ثلاثين سنة ، ففعل ، كان ذلك إخباراً بأنّ الله تعالى علم أنّ زيداً يفعل ما يصير به عمره زائداً ثلاثين سنة . كما أنّه إذا أخبر أنّ زيداً إذا قال : لااله إلّا الله دخل الجنّة،ففعل، تبينا أنّ الله تعالى علم أنّه يقول ويدخل الجنّة بقوله .

و بالجملة : جميع ما يحدث في العالم معلوم لله تعالى على ماهو عليه واقع من شرط أو سبب ، وليس نصب صلة الرحم زيادة في العمر إلّا كنصب الايمان سبباً في دخول الجنّة والعمل بالصالحات في رفع الدرجة والدعوات في تحقّق المدعوّ به وقد جاء في الحديث «لاتملّوا من الدعاء فإنّكم لاتدرون متى يستجاب لكم» وفي هذا سرّ لطيف ، وهو أنّ المكلّف عليه الاجتهاد ، ففي كلّ ذرة من الاجتهاد إمكان سببيّة لخير علمه الله ، كما قال تعالى : «والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا» (١) و العجب كيف نصب الاشكال في صلة الرحم ولم يذكر في جميع التصرفات الحيوانيّة ، مع أنّه وارد فيها عند من لايتفطّن للمخرج منه !

فإن قلت : هذا كلّه مسلّم ، ولكن قدقال الله تعالى : «ولكلّ امّة أجل فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعةّ ولايستقدمون» (٢) وقال تعالى : «ولن يؤخّر الله نفساً إذاجاء أجلها» (٣) .

(١) العنكبوت : ٦٩ .
(٢) الاعراف : ٣٤ .
(٣) المنافقون : ١١ .

قلت : الأجل صادق على كلّ ما يسمّى أجلاً موهبيّاً أو أجلاً مسبّبياً . فيحمل ذلك على الموهبيّ ويكون وقته وفاءً لحقّ اللفظ ، كما تقدم في قاعدة الجزئي والجزء .

و يجاب أيضاً بأنّ الأجل عبارة عمّا يحصل عنده الموت لامحالة سواء كان بعد العمر الموهبيّ أو المسبّبي ، ونحن نقول كذلك ، لأنّه عند حضور أجل الموت لايقع التأخّر . وليس المراد به العمر ، إذ الأجل مجرّد الوقت .

و ينبّه على قبول العمر للزيادة و النقصان ـ بعد ما دلّت عليه الأخبار الكثيرة ـ قوله تعالى : «ومايعمّر من معمّر ولا ينقص من عمره إلّا في كتاب» [١] انتهى كلامه أعلى الله تعالى في الخلد مقامه وجزاه الله سبحانه وتعالى خير جزاء المحسنين. وإنّما نقلناه بطوله لجودة جدواه ومحصوله كما لايخفى على المحصّل، وله ـ رحمه‌الله ـ فائدة متعلّقة بالمقام لعلّنا نذكرها بعد ذلك فيما يأتي من الكلام إن شاء الله العلّام ، والله المشكور .

ثمّ أقول : روى في الكافي ـ في الباب ـ مسنداً عن أبي‌عبدالله عليه‌السلام قال : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله في حديث : ألا إنّ في التباغض الحالقة، لا أعني حالقة الشعر ولكن حالقة الدين [٢] .

و روى أيضاً عنه عليه‌السلام قال : اتّقوا الحالقة فإنّها تميت الرجال ، قلت : وما الحالقة ؟ قال : قطيعة الرحم [٣] .

و روى عنه عليه‌السلام قال : قلت له: إنّ إخوتي وبني عمّي قد ضيّقوا عليّ الدار وألجأوني منها إلى بيت، ولو تكلّمت أخذت ما في أيديهم، قال: فقال: اصبر فإنّ الله سيجعل لك فرجاً، قال : فانصرفت ووقع الوباء في سنة إحدى وثلاثين، فماتوا

---

(١) القواعد والفوائد : ج٢ ص٥٠ ــ ٥٧ .

(٢) الكافي : ج٢ ص٢٥٨ ح١ باب قطيعة الرحم .

(٣) الكافي : ج٢ ص٢٥٩ ح٢ باب قطيعة الرحم .

والله كلّهم ، فما بقي منهم أحد ، قال : فخرجت فلمّا دخلت عليه قال : ما حال أهل بيتك ؟ قال : قلت : قد ماتوا والله كلّهم فما بقي منهم أحد، فقال: هو بما صنعوا بك وبعقوقهم إيّاك وقطع رحمهم بتروا ، أتحبّ أنّهم بقوا وأنّهم ضيّقوا عليك ؟ قال : قلت : إي والله (١) .

وروى عن أبي جعفر عليه السلام قال : في كتاب عليّ عليه السلام ثلاث خصال لا يموت صاحبهنّ أبداً حتّى يرى وبالهنّ : البغي وقطيعة الرحم واليمين الكاذبة ، يبارز الله بها . وإنّ أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم ، وإنّ القوم ليكونون فجّاراً فيتواصلون فتنمي أموالهم ويثرون ، وإنّ اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع من أهلها وتنقل الرحم ، وإنّ نقل الرحم انقطاع النسل (٢) .

وروى أيضاً أنّه جاء رجل فشكا إلى أبي عبدالله عليه السلام أقاربه ، فقال له : اكظم غيظك وافعل. فقال: إنّهم يفعلون ويفعلون! فقال: أتريد أن تكون مثلهم؟ فلا ينظر الله إليكم (٣) .

وروى عنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تقطع رحمك وإن قطعتك (٤) .

وروى عن أبي حمزة الثمالي قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة : «أعوذ بالله من الذنوب الّتي تعجّل الفناء» فقام إليه عبدالله بن الكواء اليشكري ، فقال: يا أمير المؤمنين أوتكون ذنوب تعجّل الفناء ؟ فقال : نعم ، ويلك ! قطيعة الرحم إنّ أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله ، وإنّ أهل البيت ليتفرقون ويقطع بعضهم بعضاً فيحرمهم الله وهم أتقياء (٥) .

وروى عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين : إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار (٦) .

---

(١) و(٢) و(٣) الكافي : ج٢ ص٢٥٩ ح٣و٤و٥ باب قطيعة الرحم .
(٤) الكافي - ج٢ ص٢٥٩ ح٦ .
(٥) و(٦) الكافي : ج ٢ ص٢٦٠ ح٧و٨ .

ويستفاد من الحديث الثالث والخامس أنّ المراد بالرحم أعمّ من المحارم ويشمل مطلق الأقارب، ومن المجموع أنّ في الصلة طول العمر وسعة الرزق و الغنى والثروة ودفع البلايا، وفي القطيعة الفقر وتعجيل الموت وأخذ الأموال ظلماً وما يوجب لذلك من وباء وطاعون وسرقة وبرقة، وأنّها يبعد عن رحمة الله ونظره، وهي الحالقة، والصلة على العكس ـ في الأتقياء و الفجّار ـ وكلّ ذلك في أعجل زمان.

ثمّ إنّ للأرحام أفراداً متعددة من والد ووالد وإخوة وأخوات وأعمام وعمّات وأخوال وخالات وسائر الأقارب والأرحام. ويختلف أيضاً مراتب صلتهم و برهم وعقوقهم وقطيعتهم: من الخصائص المقدرة المقررة للأولاد والعمودين، و حرمة التزويج ورجحانه، والانفاق واللازم والراجح، وسائر الأحكام والآداب الواردة للأولاد: من التعاهد والتربية و تعليم المعالم الدينيّة، وللعمودين والمحارم، وليطلب من مواضعها ومظانّها من الكتب الفقهيّة وغيرها. ومن الصلة العامّة المأمور بها ممّا وردت في الآثار، ومالم يرد فيها ممّا يستحسن في العادات وتصدق عليه لفظة «الصلة» عرفاً، واشير إليه في الأخبار إلى السلام فمادونه.

وممّا يلحق بهذا الباب صلة أرحام النبيّ صلّى الله عليه وآله و الأئمّة الطاهرين عليهم السلام والآباء الحقيقيّين ـ صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ـ والاخوان المؤمنين، لتحقّق الرحميّة في المقامين على الحقيقة وبحسب المعنى، بل بوجه آكد، وإن لم يصدق في عرف العوام ولم تجر الأحكام المتعلّقة بتلك اللفظة من النذور والوصايا وغيرها. ولنذكر بعض اللواحق المتعلّقة بهذا المرام، ثمّ لنعطف إلى الكلام في المقامين. واللواحق امور:

الاول:

قال الشهيد ـ رحمه الله ـ في القواعد: لا ريب أنّ كلّ ما يحرم أو يجب للأجانب يحرم أو يجب للأبوين وينفردان بامور:

الأول: تحريم السفر المباح بغير إذنهما و كذا السفر المندوب، وقيل بجواز سفر التجارة و طلب العلم إذا لم يمكن استيفاء التجارة و العلم في بلدهما ، كما ذكرناه فيما مرّ .

الثاني : قال بعضهم : يجب عليه طاعتهما في كلّ فعل وإن كان شبهة، فلو أمراه بالأكل معهما من مال يعتقده شبهته أكل، لأنّ طاعتهما واجبة وترك الشبهة مستحبّ .

الثالث : لو دعواه إلى فعل و قد حضرت الصلاة فليؤخّر الصلاة وليطعهما ، لما قلناه .

الرابع: هل لهما منعه من الصلاة جماعة؟ الأقرب أنّه ليس لهما منعه مطلقاً، بل في بعض الأحيان بما يشقّ عليهما مخالفته كالسفر في ظلمة الليل إلى العشاء والصبح .

الخامس : لهما منعه من الجهاد مع عدم التعيين ، لما صحّ أنّ رجلاً قال : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابايعك على الهجرة والجهاد ، فقال: من والديك أحد ؟ قال: نعم كلاهما ، قال: أفتبتغي الأجر من الله ؟ قال : نعم ، قال : فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما .

السادس: الأقرب أنّ لهما منعه من فرض الكفاية إذا علم قيام الغير أو ظنّ ، لأنّه حينئذ يكون كالجهاد الممنوع منه .

السابع : قال بعض العلماء : لو دعواه في صلاة النافلة قطعها ، لما صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ امرأة نادت ابنها وهو في صومعة قالت : يا ضريج [1] فقال: اللّهم امّي وصلاتي، فقالت : يا ضريج ، فقال: اللّهمّ امّي وصلاتي، فقالت : لاتموت حتّى تنظر في وجوه المومسات ، الحديث .

وفي بعض الروايات أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لو كان ضريج فقيهاً لعلم أنّ إجابة

---

(١) ويحتمل أن تقرأ « خريج » وفي المصدر « جريج » وفي بعض نسخه «جريح» .

امّه أفضل من صلاته» وهذا الحديث يدلّ على قطع النافلة لأجلهما، ويدلّ بطريق الأولى على تحريم السفر، لأنّ غيبة الوجه فيه أعظم، وهي كانت تريد منه النظر إليها والاقبال عليها.

الثامن: كفّ الأذى عنهما وإن كان قليلاً بحيث لا يوصله الولد إليهما ويمنع غيره من إيصاله بحسب طاقته.

التاسع: ترك الصوم ندباً إلّا بإذن الأب، ولم أقف على نصّ في الامّ.

العاشر: ترك اليمين والعهد إلّا بإذنه أيضاً ما لم يكن في فعل واجب أو ترك محرم. ولم نقف في النذر على نصّ خاصّ، إلّا أن يقال هو يمين يدخل في النهي عن اليمين إلّا بإذنه [1].

الثاني:

قال في القواعد في خاتمة ماذكر: تنبيه، برّ الوالدين لايتوقّف على الاسلام، لقوله تعالى: «ووصّينا الانسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلاتطعهما»[2] «وصاحبهما في الدنيا معروفاً»[3] وهو نصّ. وفيه دلالة على مخالفتهما في الأمر بالمعصية، وهو كقوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

فإن قلت: ماتصنع لقوله تعالى: «فلا تعضلوهنّ أن ينكحن أزواجهنّ»[4] وهو يشمل الأب، وهذا منع من المباح فلاتكون طاعته واجبة فيه، أو منع من المستحبّ فلا يجب طاعته في ترك المستحبّ

قلت: الآية في الأزواج، ولو سلّم الشمول أو التمسّك في ذلك بتحريم

---

(١) القواعد والفوائد: ج٢ ص٤٦.

(٢) العنكبوت: ٨.

(٣) لقمان: ١٥.

(٤) البقرة: ٢٣٢.

العضل فالوجه فيه أنّ للمرأة حقّاً في الاعفاف والتصون ودفع ضرر مدافعة الشهوة والخوف من الوقوع في الحرام وقطع وسيلة الشيطان عنهم بالنكاح ، وأداء الحقوق واجب على الآباء للأبناء كما وجب العكس، وفي الجملة النكاح مستحبّ وفي تركه تعرّض لضرر ديني أو دنيوي ، ومثل هذا لا يجب إطاعة الأبوين فيه [1] انتهى.

الثالث :

قال في القواعد : فائدة ، سؤال جاء في الحديث عن النبيّ ﷺ أنّه قال له رجل : يا رسول الله من أحقّ الناس لحسن صحابتي ؟ قال : امّك ، قال : ثمّ من؟ قال: امّك ، قال : ثمّ من؟قال: أبوك . ذكر الامّ مرتين ، وفي رواية اخرى ثلاثاً. فقال بعض العلماء:هذا يدلّ على أنّ للامّ إمّا ثلثي الابن على الرواية الاولى أو ثلاثة أرباعه على الرواية الثانية، وللأب إمّا الثلث أو الربع. فاعترض بعض المستطيعين [2] بأنّ هنا سؤالات :

الأول : أنّ السؤال بأحقّ عن أعلى رتب البرّ ، فعرّف الرتبة العالية، ثمّ سأل عن الرتبة التي تليها بصيغة «ثمّ» التي هي للتراخي الدالّة على نقص رتبة الفريق الثاني عن الفريق الأول في البرّ، فلابدّ أن تكون الرتبة الثانية أخفض من الاولى، وكذا الثالثة أخفض من الثانية ، فلا تكون رتبة الأب مشتملة على ثلث البرّ وإلّا لكانت الرتب مستوية، وقد ثبت أنّها مختلفة، فنصيب الأب أقلّ من الثلث قطعاً أو أقلّ من الربع قطعاً ، فلا يكون ذلك صواباً

الثاني: أنّ حرف العطف يقتضي المغايرة لامتناع عطف الشيء على نفسه ، وقد عطف الامّ على الامّ .

الثالث: أنّ السائل إنّما سأل ثانياً عن غير الامّ فكيف يجاب بالامّ؟ والجواب يشترط فيه المطابقة.

وأجاب عن هذين بأنّ العطف هنا محمول على المعنى، كأنّه لمّا اجيب أولاً

---

(١) القواعد والفوائد: ج٢ ص٤٩ .

(٢) في بعض نسخ المصدر « بعض المستضعفين » .

بالامّ قال : فلمن اتوجّه ببري بعدفراغي منها؟ فقيل له: الامّ ، وهي مرتبة ثانية دون الاولى كما ذكر أولاً، فالامّ المذكورة ثانياً هي المذكورة أولاً بحسب الذات وإن كانت غيرها بحسب العرض، و هو كونها في الرتبة الثانية من البرّ. وإذا تغايرت الاعتبارات جاز العطف، مثل : زيد أخوك وصاحبك ومعلّمك. و(بعض المستطيعين) أعرض عن الأول كأنّه يرى أن لا جواب عنه ثمّ تبجّح به .

قلت: قوله: «السؤال بأحقّ» ليس عن أكثر الناس استحقاقاً بحسن الصحابة، بل عن أعلى رتب الصحابة، فالعلوّ منسوب إلى المبرور ـ على تفسيره حسن الصحابة بالبرّ ـ لا إلى نفس البرّ ، مع أنّ قوله : « نقص رتبة الفريق الثاني عن الفريق الأول » مناف لكلامه الأول إن أراد بالفريق المبرورين ، وإن أراد بالفريق من البرّ ورد عليه الاعتراض الأول . وقوله : «الرتبة الثانية أخفض من الاولى» مبنيّ على أمرين فيهما منع، أحدهما: أنّ « أحقّ » هنا للزيادة على من فضّل عليه لا أنّها الزيادة مطلقاً ، كما تقرر في العربيّة من احتمال المعنيين . و الثاني : أنّ « ثمّ » لمّا أتى بها السائل للتراخي كانت في كلام النبيّ ﷺ للتراخي ، و من الجائز أن يكون للزيادة المطلقة ، بل هذا أرجح بحسب المقام ، لأنّه لايجب برّ الناس بأجمعهم، بل لا يستحب لأنّ منهم البرّ والفاجر ، فكأنّه سأل عمّن له حقّ في البرّ فاجيب بالامّ، ثمّ سأل عمّن له حقّ بعدها فاجيب بها تنبيهاً على أنّه لم يفرغ من برّها بعد ، لأنّ قوله : «ثمّ من» صريح في أنّه إذا فرغ من حقّها في البرّ لمن يبرّ ؟ فنبّه على أنّك لم تفرغ من برّها بعد ، فإنّها الحقيقة بالبرّ، فأفاده الكلام الثاني الأمر ببرّها كما أفاده الكلام الأول وأنّها حقيقة بالبرّ مرتين، ولا يلزم من إتيان السائل بـ «ثمّ» الدالّة على التراخي كون البرّ الثاني أقلّ من الأوّل، لأنّه بناه على معتقده من الفراغ من البرّ ثمّ ظنّ الفراغ من البرّ، فاجيب بأنّك لم تفرغ منه بعد، بل عليك ببرّها، فإنّها حقيقة به، فكأنّه أمره ببرّها مرتين وببرّ الأب مرة في الرواية الاولى وأمره ببرّها ثلاثاً وببرّ الأب مرة في الرواية

الثانية ، وذلك يقتضي أن يكون الأب مرة من ثلاث أو مرة من أربع، وظاهر أنّ تلك الثلث أو الربع . وبهذا يندفع السؤالان الآخران ، لأنّه لاعطف هنا إلّا في كلام السائل . سلّمنا أنّ «أحق» للأفضليّة على من اضيف إليه و أنّ من جملة من اضيف إليه الأب ، لكن نمنع أنّ الأحقيّة الثانية ناقصه عن الاولى ، لأنّه إنّما استفدنا نقصها من إتيان السائل بـ «ثمّ» معتقداً أنّ هناك رتبة دون هذه، فسأل عنها، فأجاب النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله: «امّك» و كلامه في قوة «أحقّ الناس بحسن صحابتك امّك، أحقّ الناس بحسن صحابتك امّك» وظاهر أنّ هذه العبارة لاتفيد إلّا مجرد التوكيد ، لا أنّ الثاني أخفض من الأول .

فالحاصل على التقديرين الأمر ببرّ الامّ مرتين أو ثلاثاً و ببرّ الأب مرة واحدة، سواء قلنا إنّ «أحق» بالمعنى الأول أو المعنى الثاني[1] انتهى.

وهو في غاية الجودة ونهاية التحقيق والأخذ به حقيق وهو بالاقتداء يليق، وفهم العرف على ذلك شاهد مساعد، والله وليّ التوفيق.

قوله صلى الله عليه وآله : «وتحنّنوا على أيتام الناس يتحنّن على أيتامكم» .

يستفاد من الفقرة الشريفة أنّ الأعمال الحسنة كما أنّ لها اجوراً ومثوبة في الآخرة ، فكذا في الدنيا لها آثار مماثلة لها . وهو كذلك تدلّ عليه الآثار ، بل و كذا الأعمال السيّئة المتعلّقة بأبناء النوع . وذلك كلّه لطف من الله سبحانه يرغب إلى الطاعة والقرب إليها وترك المعصية و البعد عنها ، فمن يرحم يرحم ، ومن حفر بئراً لأخيه وقع فيها .

فقد قرر الله سبحانه لطفاً منه و كرماً أن يلهم عباده إلى الاحسان إلى من أحسن إليهم رحمةً منه و تقريباً إلى الاحسان ، وقضى أيضاً أنّ من قصد إلى شيء بالنسبة إلى أحد من أبناء نوعه أن يقصد بمثله ، مثلاً من قصد حريم أحد بالزنا أو بالتقبيل أو بالملامسة أو بالمضاجعة و هكذا يقصد حريمه بمثله. و هذا عقوبة

(١) القواعد والفوائد : ج٢ ص٥٨ .

عاجلة قضى بها الله سبحانه و تعالى من لطفه و كرمه كي يرتدعوا عن المعاصي والسيّئات ويبعدوا عنها ويقربوا إلى الله وينقلعوا عن المهلكات. وماذكر منصوص في كثير من الحسنات والسيّئات المتعلّقات بأبناء نوعهم.

ومن قبيل ماذكر حكاية القصص وبيان أحوال الامم الماضية والقرون الخالية فإنّها ألطاف الأجودين إن تأمّلوا وعقلوا، وهذا واضح. وبالجملة ألطاف الله تعالى كثيرة وممنوحه وعطاياه لاتحصى.

قوله ﷺ : «وتوبوا إلى الله ... إلخ».

التوبة في الأصل مطلق الرجوع، وفي عرف أهل الشرع رجوع العبد الآبق العاصي إلى الربّ المعبود تبارك وتعالى. وإذا نسب إليه تعالى يراد رجوعه على عبده بالرحمة والمغفرة.

وتوضيح المقام: أنّ المقام على المعصية والاصرار عليها من شرّ الخصال، فالعصيان مذموم والاصرار عليه كذلك حقيقيّاً كان أو حكميّاً، بل به يصير الذنب كبيرة.

ففي الأثر ينادي كلّ يوم ملكان ويتجاوبان بأربعة [1].

وأيضاً: كلّ دار يعصى فيها تخرب لتطهرها الشمس. وأيضاً: كلّ نقص في رزق وعسرة للعصيان بل الاختلاج والصداع والأمراض لذلك [2].

فهذه البلايا كما أنّها مكفّرات منبّهات لطيفة من الربّ تبارك و تعالى لعباده ليرجعوا إلى بارئهم، كسائر الآيات من الكسوف والخسوف والزلازل وذكر عذاب القرون الماضية وما لحق بهم من البلاء في القبر وغيره.

ثمّ العبد المؤمن بالله وبوعده وبوعيده المتيقّن لضرر المعاصي وكونها سموماً قاتلة يندم على العصيان ويعزم على الترك في ما بعد ويتركه في الحال،

---

(١) كذا في النسخة، لم يأت ــ قدس سره ــ ببقية الحديث.

(٢) راجع البحار: ج٧٣ ص٣٠٨ــ٣٦٥ باب الذنوب وآثارها.

فهذه معلولات علّة هي اليقين بما ذكر و الايمان . فالعزم من لوازم الايمان،ومن لوازم اليقين بضرر المعاصي ، والعاصي الغير العازم إمّا لعدم إيمانه وكفره ، أو لتوغّله وانهماكه في المعاصي وغروره وغفلته فلا يشعر ، أو لعدم الشعور بالمباحات أو للاستهانة والشقاوة . فالعزم من لوازم الايمان بمعنى اقتضائه له ، لاأنّه لازم، وإلّا فالمؤمن العاصي يعزم على العصيان و يفعل و معه لاعزم على الترك و فعل الصالحات ، فيلزم أن لايكون مؤمناً . وكذا الحال في اليقين بضرر المعاصي ، بل اليقين المزبور من أجزاء الايمان .

بل هنا شبهة اخرى ، كمن لايقدر على العصيان فلا يتحقّق العزم على الترك لعلمه بعدم قدرته عليه ، فلوجعلنا التوبة ندماً تتحقّق التوبة في حقّه ، ولو جعلنا العزم جزءً منها لاتوبة لغير القادر .

وفيه: أنّه يتحقّق العزم على تقدير القدرة، والمأخوذ في التوبة من العزم ما يعمّ ذلك والمحقّق المنجّز .

ثمّ التوبة والرجوع يتحقّق بمجرد الندم والعزم، فإذا رجع العاصي فلابدّ من إزالة ما فعل وهو بالاستغفار و طلب الغفر والستر . ففي العرش تمثال لكلّ أحد إذا فعل خيراً يرى مثله في تمثاله ويظهر الله تعالى لملائكته ، فإذا فعل شراً يقع مثله في تمثاله بتلك الحالة، فيأمر الله سبحانه ملائكته بوضع ستر عليه لئلّا يظهر على ملائكته، وهذا معنى « يامن أظهر الجميل وستر القبيح » ثمّ إذا استغفر وأزال كان كأن لم يكن ، و إلّا يظهر في الموقف صورته في السجّين بتلك الحالة، فالاستغفار طلب الغفر والستر والازالة .

فقوله ﷺ في الفقرة الآتية : « ففكّوها باستغفاركم » أي استغفروا لتزال المعاصي وتبرأوا من حقوق الله المرهونة بأنفسكم وتستخلصوا ولاتحبسوا في الموقف فإنّ العاصي تحجبه المعاصي وينظر إلى أهله من الحوراء وغيرها ومقامه، ولا سبيل له إليهم إلّا بعد الاطلاق والخلاص.

ثمّ إنّ التوبة والاستغفار يعمّان الأنبياء والأوصياء، وخيال الاختصاص بغيرهم لتفرعهما على العصيان المنتفي في حقّ المعصوم أوهن شيء، إذ هو مستلزم لانسلاخهم عن أعظم مقامات العبوديّة والكمال وسدّ أهمّ أبواب الرحمة عليهم ، إذ لا يوجد في العبوديّة مقام أعلى من الاعلان بالندامة وإظهار التقصير والاعتراف به وبالقصور عن خدمة ربّ الأرباب ولذا كان العابدون يواظبون على الدخول من ذلك الباب أكثر منه من غيره من الأبواب، فكان النبيّ صلى الله عليه وآله لايقوم من مجلسه إلّا بعد الاستغفار سبعين أو أكثر إن حمل « السبعون» على العدد الكثير، وهكذا كان عليهم السلام .وكانوا يبادرون إلى الاستغفار عند حلول منبّه لهم ونزول بلاء، كذا أكثروا من الاستغفار على حدّ لا يحصى. وتأويل كلّ ذلك وصرفه عن الظاهر ظاهر البطلان. وتحقيق هذا المقام ـ على ما ظهر للعبد ببركة مشكاة النبوة وما استضاء من مصباح الولاية والهداية ـ بذكر امور :

الاول : أنّ الأنبياء والأوصياء منزّهون عن الأرجاس والأدناس والذنوب صغائرها وكبائرها ومعصومون عنها وعن الخطأ والسهو والنسيان بكلّ حال. لكن هنا دقيقة شريفة قدسيّة و لطيفة ربّانيّة سريّة ، هي أنّهم لايرتكبون المعاصي بل ولا للمكروهات ولا للمباحات ، بل كلّ أفعالهم وحركاتهم وسكونهم واقعة بقصد التقرب ، فهي عبادات عارضيّة بالنيّة ، فإنّ كلّاً من المعاصي والطاعات قد يكون كذلك بجعل الشارع وبالأصالة وبالذات ـ كالصلاة والصوم والخمس والزكاة والحجّ والجهاد ونحوها وكالزنا والربا وشرب الخمر والظلم ونحوها ـ وقد يكون كذلك بضمّ قصد الرجحان والتقرب من المكلّف وهذا يتأتّى في المباحات وصرحوا به . فالسلوك في الطريق المباح مباح ، ولو قارن بقصد ظلم من لايستحقّ أو قتله يحرم ، ولو قصد به زيارة مؤمن والسعي في حاجته ونحوه يكون عبادة . ولا أفهم وجهاً لهذا التخصيص ، فإنّ عروض الرجحان يعقل في المكروهات أيضاً لبيان الجواز ونحوه ، بل في المحرمات . كما أنّه ربما يجيء في الراجحات، فيجتمع

فيها الرجحان الأصلي والعارضي بل عدّة رجحان من عدّة جهات ولو ألفاً وأزيد، كالافطار تقيّة يوم الصوم.

والحقّ أنّها تنقلب إلى الجواز أولاً ثمّ تصير عبادة، فالمراد الاباحة بالمعنى الأعمّ من الخاصّ و ممّا بالعارضي، فلا نزاع.

فالمعصوم لا يفعل ويترك إلّا لله ولقصد راجح. وفي الأخبار «يا أباذرّ ولتكن لك في كلّ أمر نيّة حتّى ...إلخ»[1] فكيف يطمع من أبي ذرّ ولا يطمع من الأنبياء والأوصياء؟

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ المعصوم مع تنزهه عن العصيان بل عن إتيان شيء إلّا لله وعن مباشرة مباح يتصور في حقّه العصيان ولا ينافي ذلك نفي العصيان، فإنّ معاصي سائر الناس منفيّة عنهم، لكن بعض الطاعات عصيان لهم على سبيل الحقيقة مثلاً اللازم لهم مباشرة أولى الراجحين، فالعدول إلى المفضول وارتكاب خلاف الأولى عصيان حقيقيّ لهم، فالصوم ندباً راجح والافطار عند سؤال مومن أرجح، فلو صام النبيّ ﷺ حينئذ ربما كان عاصياً. وكذا دعاء يونس على قومه كان لله وكذا دعاء موسى على قارون، ولكن الحلم والعفو أرجح وأولى. وكذا دعاء الخليل على الزناة كان عبادة ولله تعالى، لكن العفو والتشبّه بالله تعالى وبالنبيّ الامّي خاتم الأنبياء وأكملهم ﷺ وبأوصيائه المعصومين عليهم السلام أولى، فترك الأولى عصيان. وما ورد عليه وآله ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ أمران قطّ إلّا وقد اختاروا أشقّهما على أنفسهم وأرضاهما لله تعالى، فاختيار بعض الأنبياء للأسهل عصيان في حقّهم كما في حقّ آدم في الأكل من الشجرة.

الثاني: أنّ الأنبياء والأوصياء ليسوا على حالة واحدة وفي مقام الوقوف الدائم من أول عمرهم إلى آخره، بل استعدادهم أشدّ وأقوى من كلّ أحد ويحصل لهم الترقّي في آن يسير بأزيد ممّا يخطر ببال أحد ويعقله إنسان سواهم، ويكشف

(١) مجموعة ورام: ج٢ ص٥٨.

عنه استغفار النبيّ صلّى الله عليه وآله سبعين وأزيد في كلّ مجلس، فبعد الترقّي ما فعلوه قبل ذلك نقص وعصيان لو فعلوه حينئذٍ.

الثالث: أنّهم عليهم السلام يباشرون للمباحات من الأكل و الشرب والجماع والنوم و نحوها بحكم الضرورة و بمقدار الضرورة على وجه الرجحان، لكنّها بالنسبة إلى مقام خلواتهم نقص، ولذا قال تعالى حكاية عن يونس: «سبحانك إنّي كنت من الظالمين» [1] بترك لمثل هذه العبادة والتفريغ والخلوة في بطن الحوت كما ورد عن الرضا عليه السلام مضافاً إلى ما في هذه الامور ممّا ينافي الأدب من الأكل ومدّ الرجل والنوم في حضور الربّ تعالى وإلى تربية صفة الحيوانيّة ونحوها.

الرابع: أنّ عبادات الناس لاتليق بجناب الربّ تبارك وتعالى، كما قال صلّى الله عليه وآله: يا أباذرّ إنّ حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد، وإنّ نعم الله عزّ وجلّ أكثر من أن يحصيها العباد ولكن أمسوا تائبين وأصبحوا تائبين [2].

الخامس: أنّ عدم عصيانهم بعصمة الله وتوفيقه لهم على الطاعة وعدم مباشرة المعصية، وإلّا فلو تركوا وأنفسهم لربما أتوا بما تأمره نفوسهم، كما قال دانيال عليه السلام و كما قال يوسف. والوجه الأول من هذه الوجوه لايتأتّى في حقّ نبيّنا وآله عليهم السلام لأنّهم ما فعلوا خلاف الأولى أبداً، وسائر الوجوه عامّة لهم ولسائر المعصومين.

فإن قلت: الوجه الأول فاسد، إذ مرجعه إلى إثبات المعصية لهم، غاية ذلك أنّ معصيتهم ليست معصية في حقّ غيرهم، وهذا القدر لايكفي في توصيفهم بصفة المعصية، كما أنّ إفطار الصوم للمسافر ليس معصية وللحاضر المقيم عصيان فيلزم أن يجوز ذلك في حقّ المعصوم.

قلت: إنّما أثبتنا الطاعة لهم لاغير، لكن الطاعة المفضولة عصيان في حقّهم

---

(١) الانبياء: ٨٧.

(٢) مجموعة ورام: ج٢ ص٥٣.

كما يدلّ عليه قوله : «حسنات الأبرار سيّئات المقربين» [١] فهذا طاعة لهم وإن كان عصياناً بالنسبة إلى مقامهم، فعلى هذه الوجوه يحمل استغفارهم . و هنا وجوه اخر :

الأول : أنّ الوجود العارضي ذنب ، والكمال في الفناء وهو على الوجه الأتمّ لايتحقّق مع بقاء الحياة ، فاستغفارهم اشتياق إلى الوصال وإظهار الشوق كما قال عليه السلام :«فزت وربّ الكعبة» [٢] .

الثاني : أنّ استغفارهم لرفع الدرجة ، فالاعتراف بالذنب والتقصير من أفضل مقامات العابدين ، و ليس إخباراً بل إنشاء لنوع عبادة ، فكما أنّ البلايا ترد عليهم من دون ذنب لرفع الدرجة ، فكذا الاستغفار .

الثالث : قيل للتعييب، كمثل سفينة المساكين .

چون برخش آينه غيب ديد نيل عصى آدم بروى كشيد

الرابع : قيل للتعليم . وينافيه الاكثار وفي المواضع الخالية .

ثمّ إنّ التوبة رجوع الآبق إلى المولى، فاشتغاله بالأكل والجماع ومشغوليّته عنه ثمّ الرجوع إلى محادثته و مناجاته توبة ، و إن لم يكن استغفاراً لاقتضائه سبق العصيان. و نسبة العصيان في الكتاب والسنّة إلى المعصومين محمولة على أحد هذه الوجوه . و ربما تحمل على ذنوب الرعيّة ، ويمكن أن يكون هذا وجهاً للاستغفار أيضاً ، فيستغفرون عمّا بهم من ذنوب رعيّتهم .

قوله صلى الله عليه وآله :«وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم ، فإنّها أفضل الساعات. . إلخ ».

اعلم أنّه لله سبحانه و تعالى دعاء و للعباد « والله يدعو إلى دارالسلام » و « يخرجهم من الظلمات إلى النور » و « يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » « إنّك تدعوني فاولّي عنك » .

(١) بحار الانوار : ج٧٣ ص٣١٦ .

(٢) تاريخ ابن عساكر: ج٣ ص٣٦٧ في ترجمة الامام علي بن أبي طالب .

وأمّا دعاء العباد المأمور به فهو من أفضل العبادات «قل ما يعبأ بكم ربّي لولا دعاؤكم» وكان أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً دعّاءً. والدعاء مستجاب من كلّ أحد مؤمن أو كافر، كما في القدسيّات أنّه يستجيب دعاء الكافرين ويجعل استجابته لعناً عليهم.

وبالجملة: كلّ دعاء مستجاب من كلّ أحد وفيه مقامان: دعاء باللسان الظاهر، وبلسان الاستعداد، وكلاهما مستجابان بلاشبهة قضاءً للحكمة وعموم فيض المبدأ، فالكافر المولّي لطريق الجنّة والتارك للتوحيد ومعرفة النبيّ ﷺ والامام كلّما اجتهد في العبادة زاد بعداً من الصراط المستقيم، وكذا كلّما دعا الله باللسان الظاهر، إذ هو قد أخطأ الطريق وولّى مدبراً، فلو عبدالله أتى ببدعة لفقد شرط صحّتها، وكذا لو دعا الله فهو أيضاً عبادة فاسدة وبدعة مهلكة مضلّة ومبعّدة، فلو عمر عُمر النوح وعبدالله في أشرف المقام مثل ما بين الركن والمقام بقيام الليالي وصيام الأيّام لم يزد إلّا بعداً وسخطاً قضيّة للحكمة في إعطائه لما سأل وتأهّل له. نعم ربما يوجر في دنياه بامور دنيويّة وهو في الحقيقة أيضاً عذاب وإعطاء مبغوض لمبغوض، بل ربما يرتفع عنه عذاب الآخرة، أو يخفّف عنه بواسطة بعض المكارم العظام، لكنّه لايدخل دار السلام ويحشر مع أعداء الله وهو كسابقه عذاب. وأمّا المؤمنون السالكون في طريق الجنّة والتوحيد وموالاة الأنبياء والأئمّة فدعاؤهم مستجاب أيضاً وإن أبطأ لبعض الحكم والمصالح أو تبدل سؤلهم بأحسن منه أو يدخر لهم في الآخرة أو صرف عنهم ما سألوه لكونه مفسدة مهلكة، لكنّه تعالى يلبّيهم ولايخيّبهم وإن انحرفوا عن طريق الجنّة، فالله لايبغضهم وإنّما يبغض انحرافهم وعملهم، فإن رجعوا تشملهم الرحمة المحجوبة عنهم بانحرافهم والمعلّقة فوق رؤوسهم، فهم مرحومون، لكن ربما يحجب أعمالهم عن شمول الرحمة ويتأخّر عنهم في الدنيا والآخرة إلى رفع الحجاب، حتّى أنّ المؤمن العاصي ربما توقف في الآخرة مدة طويلة ينظر إلى الجنّة ومقامه فيها وإلى الحور العين وهو محجوب ومحبوس عنهم إلى أن يطهّر ورفع الحجاب وفتحت له

الأبواب ، فافهم ، والله المشكور .

وممّا ذكر علم أنّ كلّ الأعمال الصالحة دعاء من المؤمن ويستجاب له . وكذا العكس في الكافر ، فافهم .

قوله صلى الله عليه وآله : « أيّها الناس إنّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم » السيّئة «ففكّوها » عن الرهانة « باستغفاركم»

ويحتمل الرهانة بمطلق الأعمال ، إلاّ أنّه ينافيه التفريع ، فالمراد اعملوا عملاً صالحاً لتجرد[تتنجر]بأداء الرهن عن الرهانة. ثمّ تخصيص الاستغفار بالذكر لايفيد الحصر في الاستغفار، إذ ممّا يسقط الذنوب: الصلوات،والصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله ، وترحّم بعض على بعض، و الشفاعة، وعفو الله، واجتناب الكبائر. والترحّم ممّا يوجب رحمة الله للمترحّم و المرحوم معاً . ووجه الأول واضح، إذ لو رحم العبد الضعيف أو عفا عن مثله فالله سبحانه أولى بذلك بالراحم . و أمّا المرحوم فلما ورد أنّ نبيّاً ـ و الظاهر أنّه موسى عليه السلام ـ كان في مجلسه ملك الموت ، فنظر إلى شابّ بتحديق ، فسأله عن شأنه ، فقال : امرت بقبض روحه بعد سبعة أيّام ، فأمره ذلك النبيّ بمعاشرة زوجته و أبنائه والعود إليه في السابع ، ففعل ذلك فلم يأت الملك القابض ، فأمره بمثله فكان آخره كالأول ، وثالثة فنزل ملك الموت فسأله عن التخلّف ، فقال: رحمه الله لترحّمك عليه .

و قال أبوذرّ أيّام إقامته في ربذة لما مات ابنه : « اللّهمّ إنّ اي عليه حقوقاً قدأوجبته » إلى أن قال: « وقد عفوت عنه وأنت أولى . . . إلخ » [1]وسرّ ذلك أوضح ، إذ لو رحم العبد فالله أولى .

ويمكن أن يكون هذا وجه الصلوات ، فلو ترحّم بعض على بعض بطلب الرحمة وأداء النعمة فهو يوجب لرحمة الله على الراحم و المرحوم ، و لأنّه أدى شكر المخلوق فشكر الله سبحانه ، فيوجب شكر الله له . و هذان وجهان لقبول

(١) من لايحضره الفقيه: ج١ ص١٨٥ ح٥٥٨ نقلا بالمعنى .

الصلوات ، ويجيئان ـ أو الأول منهما ـ في الصلاة على غير النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

ووجه آخر سعة فيض الله واستعداد المحلّ ، فلابدّ من نزول الرحمة ويختصّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله وأتباعه .

ووجه آخر لعدم التخصيص أن يراد بالاستغفار طلب مايوجب للمغفرة قولًا وفعلاً ، فيعمّ كلّ ما ذكر، إذ لو اجتنب الكبائر فهو استغفار ولو بغير اللسان ولو أطاع أو تاب أو استغفر فكذا ولو كان باللسان . ومن ذلك أيضاً الصلاة على النبيّ وآله إذ هو طلب الرحمة والمغفرة ، فهو استغفار له ، والاستغفار يعمّ للنفس وللغير . ومن هنا يظهر وجه آخر للصلاة .

وفرق بين التوبة والاستغفار، إذ التوبة للشخص نفسه ، والندامة والاستغفار طلب الغفران والستر بنسيان ملائك الحساب وصور الأعمال .

ويمكن هنا تقرير الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله بوجه أوضح، وهو أنّه سأل الله حمل ذنوب الامّة عليه ، وقد فعل الله ذلك وشكر له ذلك الترحّم فرحمه و غفر له ذنوبه المحمولة عليه من امّته ، ومع ذلك أمرنا بالصلاة عليه وطلب الشفاعة. ومرجع الشفاعة والصلاة حينئذٍ الغفران إنما بالحمل عليه والرحمة عليه والغفران، فهذا معنى الشفاعة . أو كان الذنوب حملت عليه ، والأول أوضح ومنصوص . فمعنى الشفاعة هو بعينه معنى الحمل الوارد ،وهو سرّ الصلاة عليه وقبولها. ولذا تمسّك العلاّمة المجلسي ـ رحمه الله ـ في أحاديث الصلاة عليه بأخبار الشفاعة والوسيلة ، فكلّ ذلك صلوات ، ووجه القبول متعدد ، والله العالم .

ثمّ في حمله لذنوب امّته عليه ترحّم عليهم ، وفي صلواتنا عليه توقير الكبار فيشكر الله سبحانه ذلك من الكلّ . وقد تقدم أنّ الصغير والكبير يعمّان العبيد والرعيّة والسلاطين والأنبياء و الأبناء والآباء والعبيد و الموالي وكلّ شخص بالنسبة إلى أعضائه وجوارحه ، ولذا في دعاء أبي حمزة «وقد أمرتنا إلى الاحسان

إلى ما ملكت أيماننا ... إلخ»[1] فيشمل مثل ذلك ، إذ ذلك ترحّم على النفس وسائر ما تحت أيدينا من يد ولسان وغيرهما، فيرحم الكلّ والجزء بذلك، فافهم.

قوله صلى الله عليه وآله : «واعلموا أنّ الله تعالى ذكره» .

أي إدراكه في الضمائر ، وكذا ذكره على ألسنة الواصفين، إذ الأدوات تحدّ أنفسها والآلات تشير إلى نظائرها ، فالطلب مردود والطريق مسدود، فتعالى ذكره كلّه وبجميع أصنافه ـ من جوانحي وجوارحي ولساني ـ عن الذاكرين كلّهم حتّى النبي والأوصياء والأنبياء وإن بلغوا أقصى ما للممكن من المراتب ، إذ هو تعالى في الأزل وواجب.وهم في الامكان ومحدثون ،وهو لا ينزل إليهم وهم لا يتصاعدون يصلون مرتبة الوجوب . ولاستغراقهم في نعمه حتّى أنّ الشكر أيضاً من نعمه قال عليه السلام مشيراً إلى تلك المراتب في مناجاة الذاكرين « إلهي لولا الواجب من قبول أمرك لنزهتك» فالمراد تعاليه سبحانه من أن يذكر باللسان أو يدرك بالضمائر والأذهان.

«أقسم بعزته»

وهو تعالى إذا أقسم لا يتخلّف البتّة ، بل إذا أخبر ، فضلاً عن القسم عليه .

«أن لا يعذّب المصلّين والساجدين» . الّذين يقيمون الصلاة .

و تخصيص السجود بالذكر ثانياً للاهتمام ، أو المراد سجود الشكر ، فالمصلّون و الساجدون في الصلاة و غيرها لا يعذبون بالنار البتّة ، هذا ظاهره . و في الباطن المحبّون للأئمّة و الخاضعون لهم لا يعذبون البتّة ، إن هم حقيقة الصلاة و السجود ، كما في الأثر .[2] و يصحّ إطلاق الصلاة عليهم بمعان .

---

(١) مفاتيح الجنان : أعمال شهر رمضان .

(٢) راجع البحار : ج٢٤ ص٢٨٦ باب أنهم عليهم السلام الصلاة و الزكاة و سائر الطاعات .

«وأن لا يروعهم بالنار . . . إلخ » .

كما أنّ النار لا تعذبهم لا تروعهم ، فإنّ غير الموالين يتّفق أن يدخل النار ولا تحرقه ولكن تروعه ، وذلك لبعض الخصال الحسنة : من سخاوة وشجاعة وعدالة وإيواء مؤمن وستر على عيب ونحوها ، لكنّ الموالين لا يعذبون بها ولا يروعون .

والظاهر أنّ المراد عدم الترويع في الموقف ، لقوله صلى الله عليه وآله : «يوم يقوم ... إلخ» أي في مشهد يوم القيامة ويوم الحساب ، فأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، أظلّهم العرش يستأنسون بصحبة سيّد الشهداء آمنين فرحين غافلين عن كلّ لذة سواه وعن الجنّة والحوراء والولدان وغيرها

وما ذكر نصّ في عدم تعذيب الشيعة الاثنى عشريّة ، لما عرفته من الباطن ولأنّ المصلّي على الحقيقة لا يوجد غيرهم ، لأنّها اسم للصحيح ، والولاية شرط الصحّة . وهنا أخبار اخر وآيات وأدلّة دالّة على عدم التعذيب ، مثل ما في دعاء أبي حمزة في أسحار شهر رمضان ، ودعاء الأيّام ، ودعاء كميل ، والآيات القرآنيّة وأدلّة اخرى وأخبار تدلّ على التعذيب ودخول النار ، واختلف لذلك العلماء الأبرار .

والحقّ عندنا أنّهم يعذبون بالنار ولا يعذبون ، فأصاب كلّ فريق من جهة وأخطأ من جهة . أمّا الشيعة الكاملون والمؤمنون فلا يدخلون النار أبداً ، بل يطفي نورهم النار ، ولا يمكن دخولهم فيها ، بل مكفّراتهم ومطهّراتهم أو رافع درجاتهم ما في الدنيا والبرزخ والموقف من العبادات والرياضات والتوبة والحدود والبلايا والأمراض وسكرات الموت وعذاب البرزخ وأهوال يوم القيامة . وأمّا فسّاق الشيعة والّذين ارتكبوا الفسوق وانهمكوا فيها ، فكما يطهّرون بما ذكر ، فكذا يطهّرون بما يلحقهم على الصراط ، فربما تزلّ قدم وتثبت اخرى وربما لا يثبت ويقع في النار ، أي في ظلّها بحذاها ، لما فيه من لطخ أعدائهم ، لكن لا قوة لها العلقتها إلى نفسها وإلى أسفل الدركات ، بل إلى ظلّها ونواحيها ، فكما يطهّر بسائر المطهّرات ولا ينافي لدخوله الجنّة ، فكذا هذا المطهّر ، مع أنّه ليس بالنار ، بل بظلّها.

وأيضاً ليس تعذيباً بل تطهيراً وعلى سبيل الشفقة والعطف لاالعذاب والمهانة، فافهم.

ثمّ إنّ في نفي الترويع إشارة إلى ما في بعض الأخبار: من أنّ يهودياً كان متشرفاً بجوار الحسنين عليهما السلام و كان يحبّهما ، فسأل النبيّ صلى الله عليه وآله أينفعه حبّنا ؟ فقال له [1] : نعم يدخل في جهنّم ويرزق هناك والنار تروعه ولا تحرقه . فالمراد أنّ المحبّين الخاضعين لهم لا يروعهم النار أيضاً وإن كان مطلق محبّتهم ولو مع الكفر نافعاً بنفي التعذيب .

وقد ظهر من ذلك فائدة اخرى لعطف قوله صلى الله عليه وآله: « و أن لا يروعهم . . . إلخ » ولعطف قوله : « الساجدين » على « المصلّين » وما ذكرنا من منفعة حبّهم ولو مع الكفر لا استبعاد فيه، لجلالتهم. بل قد وجدنا نظائر كثيرة له في الأخبار مثل العدالة والسخاوة. فقد ورد أنّ حاتم وأنوشيروان كانا كافرين ويدخلان جهنّم والنار تخوفهما ولا تحرقهما ويرزقان مثل الدنيا .

والحاصل: أنّ بعض الامور لغاية جلالتها ربما يجدي مع الكفر إمّا لكونها من الاتّصاف بصفات الله ـ مثل العدالة والسخاوة وستر العيوب ونحوها ـ و إمّا لكونه تعظيماً عن عظمة الله، مثل محبّة العترة الطاهرة وزيارتهم وتعزيتهم وصلة أرحامهم ونحو ذلك ، فإكرام محبّيهم إكرام لهم كما في الأخبار « أن بشّر يا محمّد أخاك علياً أنّي لا اعذّب من تولّاه ولا أرحم من عاداه » [2] .

ومن هذا يظهر أنّ ترجيح زيارة سيد الشهداء عليه السلام في الثواب على الحجّ وكذا زيارته وتعزيته وصوم يوم الغدير على الواجبات مع ماورد من أنّ « أفضل ما يتقرب به إلى الله هو أداء الفرض » [3] لا تنافي بينهما. وقد ذكرنا أنّ ذلك في الحقيقة إكرام وتعظيم لهم، إذ من أهمّ الفرائض التي يتقرب به إلى الله تعالى

---

(١) كذا . والصحيح : لهما .

(٢) الجواهر السنية في الاحاديث القدسية : ص٢٢٢ .

(٣) بحارالانوار: ج٧٠ ص٢٢ نقلا بالمعنى.

ولايتهم وقبول إمامتهم وإطاعتهم وكلّ ما ينكشف عن ذلك يرتبط به ، فزيارته يبرز الاذعان وقبول الولاية ، وكذلك التعزية والتصلية ولعن أعدائهم وصوم يوم ينسب إليهم ـ كالغدير ـ وهكذا ، فافهم .

وفي مجموعة الشيخ ابن الورام : هشام عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ قوماً أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يا رسول الله اضمن لنا على ربّك الجنّة، قال: على أن تعينوني بطول السجود ، قالوا : نعم يا رسول الله ، فضمن لهم الجنّة . قال : فبلغ ذلك قوماً من الأنصار ، قال : فأتوه فقالوا : يا رسول الله اضمن لنا الجنّة ، قال : على أن لا تسألوا أحداً شيئاً ، قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : فضمن لهم الجنّة. وكان الرجل منهم يسقط سوطه وهو على دابّته فينزل حتّى يتناوله كراهيّة أن يسأل أحداً شيئاً، وكان الرجل لينقطع شسعه فيكره أن يطلب من أحد شسعاً[1].

وفيها : محمّد بن مسلم، قال أبو جعفر عليه السلام : يا محمّد لو يعلم السائل ما في المسألة ما سأل أحد أحداً قطّ ، و لو يعلم المعطي ما في العطيّة ما ردّ أحد أحداً . ثمّ قال لي : يا محمّد إنّه من سأل وهو يظهر غنى لقي الله مخموشاً وجهه [2] .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ومن أكثر فيه الصلاة عليّ ثقّل الله . . . إلخ » .

يفيد محبوبيّة إكثار الصلاة . وثقل الميزان كناية عن أنّه إذا كان ميزانه خفيفاً بمعنى قلّة حسناته فيثقل بكثرة الصلاة عليّ فيه ، بمعنى أنّ أجرها عظيم في الغاية حتّى أنّها يثقّل الميزان . و هو نصّ في أنّ الوعيد وعدم عفو الكبائر ـ بل إمّا أن يحبط أو يوازن الحسنات و السيّئات ـ باطل ، فإنّ الميزان لاستعلام وزن الأعمال الحسنة و الأعمال السيّئة ، فيوزن هذه على حدة ليعلم قدرها وهاتي على حدة كذلك، لا أنّهما يوازنان ليعلم أنّ أيّهما أكثر و أيّهما أقلّ ليسقط الثاني بالأول ويبقى الأول ـ كالقول بالاحباط ـ أو يسقط من الأكثر مقدار الأقلّ ويبقى الباقي بلا معارض ، كما قال به القائل بالموازنة .

---

(١) و(٢) مجموعة ورام : ج٢ ص٧٩ .

والدليل على ما قلناه قوله سبحانه :«فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» [(١)] فيرى شره أولاً ثمّ يدخل الجنّة ويخلد فيها إن كان مؤمناً ، و إن كان كافراً يرى خيره في الدنيا و يخلد في النار . و قوله ﷺ : «نقّل الله» نصّ فيما قلناه ولم يقل : « رجّح الله حسناته على سيّئاته » و ظاهر بعض الأخبار يدلّ على الموازنة أو الاحباط ، و به قال صاحب الأنوار النعمانيّة لأجل تلك الأخبار ، وهو عجيب ! ونقل أنّه كان مذهب شيخ الطائفة أولاً ، فتاب .

واستدلّوا أيضاً بقبح الكذب على الله سبحانه ، وقد أخبر بتعذيب أرباب الكبائر بالنار .

وفيه أولاً : أنّه لا خصوصيّة للكبيرة، فقد قال تعالى: «ومن يعص» إلى قوله: «فإنّ له نار جهنّم » [(٢)] فاللازم أن يقولوا بعدم العفو في الصغائر أيضاً .

وثانياً : أنّ الوعيد نمنع كونه إخباراً بل إنشاء للتهديد .

وثالثاً : نقول : إخبار عن الاستحقاق لا الفعليّة ، فالعفو محتمل .

ورابعاً : نمنع قبح كلّ كذب ، بل قد يجب ، فلعلّ هذا منه ، أي ممّا لا يقبح بحكم العقل والعرف أنّ مخالفة الوعيد حسن بخلاف الوعد .

قوله ﷺ : «الورع عن محارم الله ... إلخ» .

تخصيص الورع بالذكر ووجه كونه أفضل أنّ هذا الشهر المبارك شهر صوم والصوم الحقيقي هو الامساك بجميع الجوارح و الجوانح عمّا لا يحلّ ، و بحكم ما ذكرنا سابقاً من اشتمال الورع على جميع ما يمكن ويوجد في عالم الامكان من مراتب العبوديّة ، وهو كذلك ، إذ معناه التجنّب عن محارم الله عزّ وجلّ ولا يحلّ للعباد التوجّه إلى نحو غير جنابه تعالى وتقدس ، كما سئلوا عليهم السلام عن

---

(١) الزلزلة : ٧-٨ . (٢) الجن : ٢٣ .

قوله تعالى : «اتّقوا الله حقّ تقاته» [١] فأجابوا بأن يترك العبد جميع المعاصي ويفعل كلّ ما يجب عليه ويكون دائماً بذكر الله [٢] .

ولو لاحظت هذا المعنى : من لزوم المراقبة ودوام ذكر الله و عدم الغفلة عنه سبحانه وعدم استحلال ما حرمه اعتقاداً وفعلاً ولا ترك ما يجب كذلك لاهتديت بمجمل ما أشرنا : من جامعيّة الفقرة الشريفة لجميع مراتب ما يمكن للممكن وكون الورع أفضل الأعمال وأشدّها .

ثمّ غرضهما الكلّي عليهما السلام من ذلك السؤال والجواب إرشاد الأصحاب من كمال الرأفة وبعثهم على تحصيل أقصى المراتب .

ونظير ذلك منهم كثير لايحصى ، مثل حكاية خروج فاطمة عليها السلام عن بيت الأمير عليه السلام بدون إذنه لمّا رأته نائماً على حجر جارية له أهداها إليه أخوه جعفر . وكذلك ذلك مرة اخرى لمّا اخبرت بتزويجه عليه السلام بزوجة غيرها. وكذلك حكاية تأديبه سيّد الشهداء لمّا وصل إليه ضيف ولم يكن عنده شيء فأمر قنبر فأعطاه قدراً من العسل . ومثل ذلك في الأنبياء السابقين وأوصيائهم كثيرة .

ثمّ ورعه أوضح من أن يحتاج إلى البيان وأعلى من أن يوصف باللسان أو تقدر على إدراكه الأذهان ، ففي مدة خلافته [٣] .

وكتب إلى عمّاله : اوقوا أسنان أقلامكم [٤] .

ثمّ فوائد الورع جامع لجميع الفوائد كنفسه لجميع مراتب العبوديّة، قال الله سبحانه: «اتّقوا الله حقّ تقاته» «واتّقوا الله ويعلّمكم الله» [٥] «ومن يتّق الله» [٦] الآية.

---

(١) آل عمران : ١٠٢ .

(٢) البرهان في تفسير القرآن : ج١ ص٣٠٤ نقلا بالمعنى .

(٣) كذا في النسخة، ولعله ــ رحمه الله ــ أراد أن يشير الى نموذج من ورعه عليه السلام فلم يجر على قلمه الشريف . ويحتمل السقط أيضاً .

(٤) كذا، ولعله ــ قدس سره ــ أراد أن يكتب ما قاله عليه السلام لكاتبه عبيد الله أبي رافع «ألق دواتك وأطل جلفة قلمك ... الخ» نهج البلاغة : قصار الحكم ، ٣١٥ .

(٥) البقرة : ٢٨٢ . (٦) الطلاق: ٢ .

وقال صلى الله عليه وآله: يا أباذر كن بالعمل بالتقوى أشدّ اهتماماً منك بالعمل لغيره فإنّه لايقلّ عمل بالتقوى. وكيف يقلّ ما يتقبّل؟ لقول الله عزّوجلّ: «إنّما يتقبّل الله من المتّقين»(١). يا أباذر لايكون الرجل من المتّقين حتّى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك شريكه، فيعلم من أين مطعمه؟ ومن أين مشربه؟ ومن أين ملبسه؟ أمن حلّ أو من حرام؟ ياأباذر من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار. ياأباذر من سرّه أن يكون أكرم الناس فليتّق الله عزّوجلّ. ياأباذر أحبّكم إلى الله جلّ ثناؤه أكثركم ذكراً له، وأكرمكم عند الله أتقاكم وأنجاكم من عذاب الله أشدّكم خوفاً. يا أباذر إنّ المتّقين الّذين يتّقون الله من الشيء الّذي لايتّقى منه خوفاً من الدخول في الشبهة. يا أباذر من أطاع الله عزّوجلّ فقد ذكر الله وإن قلّت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن. يا أباذر أصل الدين الورع ورأسه الطاعة. يا أباذر كن ورعاً تكن أعبد الناس، وخير دينكم الورع. يا أباذر فضل العلم خير من فضل العبادة، واعلم أنّكم لو صلّيتم حتّى تكونوا كالحنايا وصمتم حتّى تكونوا كالأوتار ما نفعكم ذلك إلّا بورع (إلى قوله) ياأباذر إنّ أهل الورع والزهد في الدنيا هم أولياء الله حقّاً. يا أباذر من لم يأت يوم القيامة بثلاث فقد خسر، قلت: وما الثلاث فداك أبي وامّي؟ قال: ورع يحجزه عمّا حرم الله عزّوجلّ عليه، وحلم يردّ به جهل السفيه، وخلق يداري به الناس (٢).

واعلم أنّه قال الشارح البهائي ـ رحمه الله ـ: للورع عندهم درجات أربع: الاولى: ورع التائبين، وهو ما يخرج به الانسان عن الفسق، وهو المصحّح لقبول الشهادة، انتهى.

أقول: الأولى التعبير بـ «المحرم» ليشمل الصغائر، إلّا أن يقال المراد ورع

(١) المائدة: ٢٧.

(٢) مجموعة ورام: ج٢ ص٦٢.

التائبين والتوبة إنّما يلزم في الكبائر، وأمّا الصغائر فيغفر من دونها. وفيه: أنّ ذلك حسن، لكنّ الورع عن المحرمات الصغائر ترك حينئذٍ، إذ لم يذكره بعد ذلك. وكيف كان قال:

الثانية: ورع الصالحين، وهو التوقّي من الشبهات، فإنّ من رتع حول الحمى أوشك أن يدخله، قال ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

الثالثة: ورع المتّقين، وهو ترك الحلال الّذي يتخوف أن ينجرّ إلى الحرام كما قال ﷺ: «لا يكون الرجل من المتّقين حتّى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس» وذلك مثل الورع عن التحدث بأحوال الناس مخافة أن ينجرّ إلى الغيبة[1] انتهى.

أقول: كان الأولى بل اللازم إلحاق الورع عن المكروهات وترك المندوبات بعد الدرجات الثلاثة، فإنّهما حمى المحرمات والواجبات كالشبهات.

ثمّ الشبهة إمّا شبهة في الحكم فيستحبّ التورع والاجتناب على المشهور، وقيل بالوجوب. وإمّا شبهة في الموضوع، مثل مال من لا يتورع من السارقين والظالمين ونحوهما، فيستحبّ التورع في المعاملة معه وأكله والتصرف في ماله. وما ذكره ـ رحمه الله ـ من النبويّ يمكن شموله الشبهة، كما أنّ ما ذكرناه من قوله ﷺ: «إنّ المتّقين... إلخ» يدلّ على أنّ ورع المتّقين ما ذكره وبالفحوى على الورع من الشبهة. وقوله ﷺ: «خوفاً من الدخول في الشبهة» أي التجنّب عمّا لا يتّقى منه خوفاً من أن يجتري وارتكب الشبهات أو أفضى إلى الدخول فيما يشتبه حلّه وحرمته فوقع في الشبهة.

قال ـ رحمه الله ـ:

الرابعة: ورع الصدّيقين، وهو الاعراض عمّا سوى الله خوفاً من صرف ساعة

---

(١) الاربعين للشيخ البهائي: ص٨٩.

من العمر فيما لا يفيد زيادة القرب عند الله عزّ وجلّ ، وإن كان معلوماً أنّه لا ينجرّ إلى حرام البتّة . وقوله ﷺ في هذه الخطبة : «الورع عن محارم الله» ظاهر في المرتبة الاولى من الورع ، ولا يبعد إدراج الثانية والثالثة أيضاً فيه ، كما لا يخفى[1] انتهى .

أقول: وجه نفي البُعد عمّا ذكره تعميم المحرّم للمعلوم والمشتبه والمخوف. و الأولى التعميم للرابعة أيضاً ، فإنّ المحرمات تختلف بالنسبة إلى الأشخاص ، فالصدّيقون يحرم عليهم الاقبال إلى ماسوى الله سبحانه. وليس ما قلناه مستلزماً لجعل الخواصّ لغير النبي ﷺ فإنّ اختصاصها به في التكاليف الظاهرة، والخواصّ إنّما هي بالنسبة إلى الثواب و العذاب المشتركين دون المختصّ ، فالناس شرّع سواء فيما يعذب بالنار مثلاً . و أمّا العذاب بمراتب نار الهجران فيفترقون فيه ، والكلّ أحد درجات أو دركات .

ووجه آخر، اختلاف الناس في حصول شرط التكليف وعدمه أوجب الاختلاف، فالعلم والمعرفة شرط التكليف، فمن وصل إلى درجة في المعرفة لا يليق به التوجّه إلى غير الله سبحانه يحرم عليه ذلك أيّاً من كان، مثل اختلاف الحاضر والمسافر. ويدلّ عليه قوله: «حسنات الأبرار سيّئات المقربين»[2] وقوله تعالى: «يا نساء النبيّ لستنّ كأحد من النساء»[3] الآية. وظواهر الآيات والأخبار من التعبير عن ترك الأولى في حقّ الأنبياء والأوصياء بالمعصية، فإنّ الصواب الابقاء على ظواهرها و كونه معصية في حقّهم ، وإن كان كلّ فعلهم لله وطاعة و بقصد التقرب . و لا ينافي ذلك كونه عصياناً لكونه ترك الأولى و مستلزماً له ، فافهم و قد يعدّ الأولياء التكلّم بما لا

---

(١) الاربعين للشيخ البهائي : ص٩٠ .

(٢) بحار الانوار : ج٧٣ ص ٣١٦ .

(٣) الاحزاب : ٣٢ .

يعني و فعل ما لا يعنيهم معصية ، كما ترى في العابد الّذي تاب من ذنبه أربعين سنة حتّى كاد أن ييأس ، فتشرف بصحبة عيسى روح الله .

و بالجملة : جميع ما مرّ من المحرمات من غضّ البصر عن المحرم و غيره داخل في الورع . واختصاص هذا الشهر بأنّ الورع فيه أفضل الأعمال، لأنّه شهر الصوم و حقيقة الصوم الامساك عن جميع ذلك ، و إلّا فالحكم عامّ سوى محرمات الصوم. ثمّ سؤال الوصيّ وجواب النبيّ ﷺ لتأكيد الأمر على الأصحاب والثبات في قلوبهم ، كمعارضة الحسنين عليهما السلام وغيرها ، كما مرّ ، والله المشكور .

و اعلم أنّ للتقوى عن المحرمات موارد :

الأول : التقوى عن الكفر والشرك . ولا يقبل عمل بدونه، كالتقوى في سائر شرائط العمل ، كالطهارة واللباس والمكان ونحوها .

الثاني: التقوى عن سائر المحرمات وترك الواجبات، وهذا تصحّ بدونه العمل لكن لا يقبل ، فالتقوى عن سائر الطاعات شرط الكمال .

الثالث : التقوى من المكروهات و ترك المندوبات . وهذا شرط الكمال في العبادات الواجبة أيضاً ، إذ لا يقبل عمل من عاص أو مرتكب لما الأولى خلافه . ثمّ بهذا الأخير يحصل التقرب للعبد إلى أن يكون الله سمعه وبصره ويده، و لعلّه لذا ترك الشارح ـ رحمه الله ـ هذا الثالث لادراجه في الدرجة الرابعة. وهو ممنوع، غاية الأمر أنّه يفضي إليها بعد التكرر والتأكّد ، لا أنّه داخل تحتها .

هذا آخر ماوجد من النسخة الشريفة. وماجمعناه من قوله ﷺ: «وتحنّنوا على أيتام الناس» إلى هنا وجدناه في بعض الأوراق المتشتّتة الّتي هي من مسوّدات الرسالة الشريفة. وما جمعه ـ رحمه الله ـ و نظمه هو من أول الخطبة إلى ما كتبناه في شرح قوله ﷺ : « وصلوا أرحامكم » وهو ناقص أيضاً : كما لا يخفى .

واعلم أنّ هذه النسخة المباركة قلّما يوجد مثلها ، و كذا مصنّفه «روح الايمان» و «الأنوار القدسيّة في الفضائل الأحمديّة ﷺ» و لعمري ! إنّ جميع ذلك ممّا يليق أن يكتب بالنور على خدود الحور لاالتبر على الأحداق والحبر على الأوراق، لما فيها من النكات المرموزة واشتمالها على الدقائق والأسرار المكنوزة

فإنّ فيها ماتشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين، وتعطّر

به مشامّ الأرواح، وتحيى به رميم الأشباح

و تزال به كدرة القلوب الباصرة

و تقرّ به العيون الناظرة

فهرس أنوار الولاية

العنوان	الصفحة

رسالة
في علم الامام

رسالة
في حديث المعرفة